

تقي الدين المقريزي (ت 845 / 1441)

الجزء الرابع

(1402- طينال — 1561- عبد الله بن القاسم)

تحقيق
محمد اليعلاوي



الطبعة الأولى

1991 - 1411

دار الغرب الإسلامي
ص.ب : ١١٣/٥٧٨٧
بيروت - لبنان



4



باسم الله الرحمان الرحيم

هٰذا المجلّد الرابع من كتاب المقفّى للمقريزي يحوي مادّة المخطوطة الباريسيّة ، وهي نحو 159 ترجمة من حرف الطاء والظاء وبعض العين . ونذكّر بأن تقسيم الكتاب إلى أجزاء هو من عملنا . فلا ندري حقيقةَ القسمة في نيّة المقريزيّ ، ولا الحجم الذي يبلغه الجزء في نظره . وعلى هٰذا الأساس ، لا تفيدنا كثيراً العبارة التي تعترضنا في نهاية الترجمة رقم 1530 : « هٰذا آخر الجزء السادس » ، ما دام الكتاب مخروماً بين الخاء والطاء .

ومخطوطة باريس هٰذه هي مسوّدة بخطّ المؤلّف ، وخطّ المقريزيّ فيها – وفي تاليتها مخطوطة ليدن – يتفاوت بين الوضوح النسبيّ والرداءة المطلقة التي يتعذّر معها القراءة والفهم ، فنضطرّ إلى التماس المادّة المكملة أو الموضّحة من مصادر أخرى ، فنظفر حيناً ونخيب أحياناً .

وتتفاوت التراجم بين القصر والطول ، فأطولها هي تراجم الخلفاء العبّاسيّين السفّاح فالمنصور فالمأمون ، وكلّهم عبادلِة ، وطولها المفرط لا يزيدها غناءً ، فمادّتها متداولة ، كما أسلفنا ، في كتب التاريخ والأدب . ولكنّ المقريزي كان ينوي بدون شكّ التشذيب والتهذيب ، ولو فعل ، لأكتسب هٰذا المعجم الكبير شيئًا من التوازن ومزيداً من الإفادة . على أنّ التراجم الكثيرة التي خصّصها للمَماليك لا تخلو من فائدة ، إذ تجمع ، في خصوص الشخص ، ما يجيء مبعثرًا في كتاب السلوك مثلاً ، أو عند المؤرّخين الآخرين . وبهٰذا الصدد ، يطيب لنا أن

نشيد بالمساعدة الثمينة التي لقيناها لدى الزميلة اللطيفة منيرة شابوطو – الرمادي ، فقد أمدّتنا بكثير من التصويبات والإيضاحات في تراجم المماليك ، أمراء وسلاطين ، وهم محلّ اهتمامها ودراستها .

ولا يفوتنا أيضا أن نشكر الأستاذ أبا القاسم محمد كروّ الذي أمدّنا بمُصوّرة من المخطوط ، وكذلك مركز البحوث والدراسات الاجتماعيّة بتونس الذي تولّى تصوير كامل المخطوط على الورق .

تونس في 9 شعبان 1409 / 17 مارس 1989

محمد اليعلاوي

مخطوط باريس 2144

الورقة الأولى . (بالحبر الأحمر) هٰذا الجزء من المقفّى للمقريزي رحمه الله آمين

وهو بخطّه

وعدّة أوراقه مائتين وستّين (هكذا) ورقة كبار مع صغار [1]

---

(1) يعني بالصغار الأوراق الطيّارة التي أُدرجت في الكتاب بطرق مختلفة فتارة أُلصقت عموديّا على نسَق الكتاب . وتارة ألصقت أفقيا وخِيطت مع جملة أوراق المخطوط .

1402 – طَيْنال سيف الدين [– 743] [1]

/طينال ، الأمير سيف الدين ، أحد المَماليك الأشرف.خليل بن قلاوون [2] . [2 أ]

ترقّى في الخدم إلى أن صار من جملة الأمراء . وسار من القاهرة إلى نيابة طرابلس عِوَضا عن قرطاي الصلاحيّ [3] في يوم الخميس رابع جمادى الآخرة سنة ستّ وعشرين وسبعمائة . فلمّا قدِمها وخرج الأمراء والعسكر والأعيان إلى لقائه على العادة ، بعث إليهم أن يترجَّلُوا بأجمعهم عند لقائه بحيث لا يسلّم عليه أحدٌ وهو راكب . فترجَّلُوا كلّهم وقبّلوا يده . فلمّا بلغ السلطانَ ذلك ، أنكر عليه . وبعث يأمُره بإكرام الأمراء والأجناد ويحذّره من شكوى الناس منه .

فبعث الأمير تنكز [4] يشكو من ترفعّه عليه . فكتب له بالإنكار عليه ، وأن لا يكاتب في سائر الأمور إلّا الأمير تنكز ، ولا ترِدُ منه بعدها مكاتبة إلى السلطان .

فحضر بعض أمراء طرابلس إلى السلطان وشكا من كبره وحمقِه وطمَعِه . فلمّا بلغه ذلك ، طلب الإذنَ بالحضور ليحاققَ خصمَه ، فأذِن له . وقدم في عاشر رجب سنة تسع وعشرين [وسبعمائة] ، ومعه تقادم [5] للسلطان ، وتُحَف للأمير قَوصون [6] ، فتحاققا [7] ، وقام الأمراء معه حتّى عاد إلى طرابلس في

---

(1) الدرر 2 / 334 (2066) – الوافي 16 / 516 (565) – النجوم 10 / 103 – الخطط 3 / 123 .

(2) خليل بن قلاوون ، قتل اغتيالا سنة 693 – انظر ترجمته رقم 1397 .

(3) له ترجمة في الدرر 3 / 332 (3427) .

(4) تنكز : ولي نيابة الشام من 712 إلى 740 . الدرر 1 / 55 (1424) – الوافي 10 / 420 (4926) – خطط الشام 2 / 149 . المقفّى رقم 1034 .

(5) التقادم هي الهدايا .

(6) الأمير قَوصون الناصريّ ، له ترجمة في الدرر 3 / 342 (3282) .

(7) المُحاقَقة والتحاقق : المكافحة والمحاججة بين الخصمَين .

خامس عشر منه .

ثمَّ نُقل منها إلى نيابة غزّة في [...] سنة ثلاث وثلاثين ، إهانةً له ، لجفاته الأميرَ تنكز نائب الشام [1] ، وترفّعِه على أمراء طرابلس . ورسم له أن يكاتب الأمير تنكز بِمَا يحتاج منه إلى المكاتبة ، وأُضِيفَت غزّةُ من حينئذٍ إلى نيابة الشام .

ثمّ أعيد إلى نيابة طرابلس في سنة خمس وثلاثين ، فوطَّنَ نفسَه على طاعة تنكز ، وكان يجهِّز مطالعتَه إلى باب السلطان بغير ختم حتّى يقفَ عليها تنكز . فمشى حاله [2] .

وعُزل منها في سنة إحدى وأربعين بالأمير أرقطاي [3] ، ورُسم بإقامته في دمشق على إمرتها . فلمّا قام الأمير قطلوبغا الفخريّ [4] بنصرة الناصر أحمد [5] ، وسار بِمَن معه من العسكر النازل على الكرك وملك دمشق ودعا بها للنّاصر ، قبض على طينال . ثمّ أفرج عنه وبعثه نائبا بطرابلس عوضا عن أرقطاي وقد توجّه مع ألطنبغا [6] نائب الشام إلى مصر منهزمَين من الفخريّ .

فباشر نيابة طرابلس مرّة ثالثة فلم تطل مدّته بها . ثمّ وليَ نيابة صفَد في أيّام

---

(1) في الدرر : بشكوى تنكز منه .

(2) مشت الحال : تعبير جار عند المقريزي بمعنى : صلحت أمورُه .

(3) الحاج أرقطاي ، له ترجمته في المقفّى رقم 705 (ت 750) . الدرر 1 / 326 (877) . الوافي 8 / 361 (3792) .

(4) ويكتب أيضا قطلبغا ، الفخري ، الناصريّ : الدرر 3 / 335 (3261) . خطط الشام 2 / 150 .

(5) الناصر أحمد ، ابن الناصر محمد بن قلاوون (ت 745) : انظر ترجمته وأخبار سلطنَته القصيرة في هٰذا الكتاب : رقم 611 – الوافي 8 / 86 (3513) – الدرر 1 / 313 (745) .

(6) ألطنبغا الحاجب الناصريّ (ت 742) : انظر ترجمته رقم 838 . الدرر 436 (1055) . الوافي 9 / 361 (4291) .

الصالح إسماعيل [1] ، فأقام قليلاً فمات بها يوم الجمعة خامس شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . ودُفن بِمغارة يعقوب في قبرٍ أعدّه الأمير طشتمر حمص أخضر [2] لنفسه .

وله بالقاهرة قيساريّة [3] بخطّ سويقة أمير الجيوش [4] ، ودار بخطّ [الخرّاطين] [5] .

1403 – طَيْنال الجاشْنِكير [– بعد 752] [6]

/الأمير سيف الدين . ترقّى حتّى صار من جملة الأمراء وأخرج في [2ب] مُهِمّات . ثمّ نُفي إلى دمشق في الأيّام الصالحيّة صالح [7] فقدمها في العشرين من شعبان سنة ٱثنتين وخمسين .

1404 – طيبرس الوزيريّ [– 689] [8]

/الأمير علاء الدين ، أحد المَماليك . [3أ]

... ثمّ ولاّه الملك الظاهر [بيبرس] قلعة دمشق في صفر سنة سبعٍ

---

(1) الملك الصالح إسماعيل ، ابن الناصر محمد بن قلاوون (ت 746) . انظر ترجمته رقم 726 – الدرر 1/ 406 (960) – الوافي 9/ 219 (4123) .

(2) طشتمر الساقي الناصريّ : كان يحبّ أكل الحمص الأخضر فلُقِّب به . انظر الوافي 16/ 437 (474) – الدرر 2/ 320 (2017) .

(3) القيساريّة : سوق الأقمشة .

(4) سويقة أمير الجيوش : انظر الخطط 3/ 56 و 164 .

(5) خطّ الخرّاطين : الخطط ، 3/ 124 .

(6) الوافي 16/ 517 (566) .

(7) الملك الصالح صلاح الدين ابن محمد بن قلاوون (ت 761) – الدرر 2/ 302 (1972) الوافي 16/ 270 (302) – السلوك 3/ 55 .

(8) الوافي 16/ 508 (555) – البداية والنهاية 13/ ٣١٩ –

وخمسين [وستّمائة] ، وجعل إليه المُحدَثَ في الأموال . وأقام الأمير أيدكين البندقداري [1] في نيابة دمشق مدّة شهر . ثمّ ولي طيبرس عوضَه فأقام إلى ثالث ذي العقدة سنة ستّين .

[و] وصل الأمير عزّ الدين الدمياطيّ [2] على عسكر إلى دمشق ، فخرج طيبرس ليلقاه ، وأهوى ليكارشه [3] على العادة ، فقبض الدمياطيّ بيده عضُدَ طيبرس ، وباليد الأخرى سيفَه ، وأنزله عن فرَسه . وأركبه بغلاً وشدّه عليه وقيّده وتركه بِمصلّى العيد . وبعث به ليلاً إلى مصر فاْعتُقل بقلعة الجبل ، وأُخِذَت أموالُه . فكانت مدّةُ نيابتِه دمشق سنةً وشهراً . ولم تُحمَد سيرتُه : فإنه رسم على أكابر دمشق وأخرجهم بعيالهم وأهانهم ، ومكّن العُربانَ من شراءِ الغلال فجلبُوا الجمال وباعوها بأضعاف قيمتِها ، لتخويفهم الناسَ من التتار ، واْشتَرَوا بثمنها الغلال بأرخص شيءٍ ، وذلك عند جفلة [4] إلى مصر .

ومات في خامس عشر من ذي الحجّة سنة تسع وثمانين وستّمائة . وخلّف مالاً عظيماً ، وأوصى بثلاثمائة [ألف] درهم تنفق في العساكر . وعمّر بِمدينة مصر مدرسة مليحةً ورتّب بها درسَين : درساً للفقهاء الشافعيّة و [درسا] لفقهاء المالكيّة ، ووقف خاناً بظاهر دمشق على الصدقات ، وكان ديّنا كثير الصدقة . له مكارم وصدقات كثيرة . وكان شجاعاً مقداماً .

وكان إذا خرج للغَزاة لا يقدر أحد من جنده أن يعلّق له قِدراً : فإنهم كلّهم كانوا يلازمون سماطه [5] ، ولكلّ غلام من غلمانهم زندمة [6] طعام وقطعة

---

(1) علاء الدين أيدكين البندقداريّ : الوافي 9/ 491 (4456) . وله الترجمة 874 في المقفّى .

(2) عزّ الدين أيبك الدمياطيّ : الوافي 9 / 477 (4436) .

(3) المكارشة : نوع من المعانقة للسلام والتحيّة .

(4) قرأنا « جفلة » دون يقين . ولعلّها تعني اجفالهم إلى مصر هروبا من التتار .

(5) السماط : المائدة الفاخرة .

(6) كلمة غير مفهومة .

لحم . وكان مع ذلك لا بدّ أن يتفقّد حوائجهم .

وكان يسكن مدينة مصر .

1405 – طيبرس الخزنداري [– 719] [1]

الأمير علاء الدين . أصله من مماليك الأمير بدر الدين بيليك الخازندار [2] ونائب السلطان بمصر في الأيّام الظاهريّة . ثمّ انتقل إلى الأمير بدر الدين بيدرا [3] وتنقّل في خدمه حتّى باشر ديوان بيدرا بدمشق . فرأى الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام في منامه كأنّ لاجين قد وقع في بحر متلاطم الأمواج ، فتارة يخفى في الماء وتارة يطفو ، وقد اشتدّ هبوب الرياح ، ثمّ إنَّ الريح سكنت وركد موج البحر . فصعد وهو على فرس أشهب بهيئة الملوك ، وسار في موكب جليل مثل موكب السلطان .

فقصّ عليه هٰذه الرؤيا . فأعجبته ، ووعده ، إنّ صحّت رؤياه ، بإمرة ، وعاهده على ذلك . فصار يتقرّب إليه ويلازمه . فولّاه نيابة قلعة الصبيبة نيابة عن الأمير بيدرا عندما أنعم عليه بها . فباشرها إلى أن قُتل بيدرا . فعاد إلى دمشق حتى ولي لاجين السلطنة [4] . ومات الأمير سيف الدين بلبان الفاخريّ [5] نقيب

---

(1) الدرر 2 / 330 (2054) – النجوم 9 / 246 – الخطط 1 / 383 – السلوك 2 / 199 .

(2) بيليك الخازندار (ت 676) : الوافي 10 / 3105 (4861) .

(3) بيدرا المنصوريّ نائب الأشرف : الوافي 10 / 360 (4855) – وانظر ترجمته رقم 1009 (ت 693) . والصبيبة قلعة من أعمال دمشق .

(4) حسام الدين لاجين المنصوريّ (ت 698) : نائب السلطنة بدمشق ثمّ مصر ، وتسلطن من سنة 696 إلى 698 ولُقب بالملك المنصور . انظر السلوك 1 / 859 .

(5) بلبان الفاخريّ (ت 697) . له ترجمة في المقفّى رقم 957 . وانظر : السلوك 1 / 850 .

[3ب] الجيش في / ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستّمائة ، [فـ]ـأحضره الملك المنصور لاجين من دمشق إلى القاهرة وجعله نقيب الجيش عوضاً عن الفاخريّ . فباشرها إلى أن مات بالقاهرة يوم [...] العشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبعمائة [1] ، ودفن بمدرسته الطيبرسيّة [2] بجوار الجامع الأزهر .

وكان حسن السيرة أمينا ديّنا مهابا ، لم يُعرَف عنه أنّه قبل لأحدٍ هديّةً . وكانت مدّة أيّامه في نقابة الجيش نحو أربع وعشرين سنة . وترك مالاً عظيماً ، وبنى عدّة مساجد ، وأنشأ الجامع والخانقاه على شاطىء النيل بخطّ أراضي بستان الخشّاب [3] ، وكانا من أحسن الأماكن إلى أن خربا لخراب ما حولها منذ كانت الحوادث والمحن من سنة ستٍّ وثمانمائة . وأنشأ أيضاً المدرسة الطيبرسيّة التي بها قبره بجانب الجامع الأزهر من بحيرته [4] ، ولم يُبْنَ بالقاهرة نظيرها . ولمّا تمّ بناؤها أحضر إليه مباشروه حساب مصروفها ، فلم ينظر فيه وقال : شيءٌ خرجنا عنه لله ، ما نحاسِبُ عليه .

1406 - طيبرس الركنيّ [- 693] [5]

الأمير علاء الدين الأعمى ، أحد أمراء مصر الصالحيّة وشجعانها ، أضرّ في آخر عمره وأقام بالقدس على نظره . وكان كثير المعروف ، له بالقدس مدرسة ورباط . وله أيضاً ببلد الخليل وبالمدينة النبويّة آثار فاضلة . وكان عارفاً بالخيل معتنياً بتربيتها ، ونال منها حظّاً وافرا فكان يُقصَد للشراء من نتاجه ، ويبلغ ثمن

---

(1) في المخطوط : سبع عشرة . والإصلاح من السلوك 2 / 199 ومن النجوم 9 / 246 .
(2) المدرسه الطيبرسيّة : خطط 3 / 223 .
(3) الجامع : خطط 4 / 98 والخانقاه 4 / 291 .
(4) قراءة ملتبسة .
(5) نكت الهميان . 123 - ويسمّى في الوافي 9 / 485 (4448) : أيدغدي .

فَرَسه من خمسة آلآف درهم إلى عشرة آلاف . وكان بعد عماه ، إذا جيىء له بفرس من أولاد خيله ، قام إليه وجسّه ثمّ قال : هٰذا من أولاد خيلي ! – فلا يخطيء . ويذكر أنّ له علامةً بِمعرفَة الفرس [1] .

ومات بالقدس في شوّال سنة ثلاث وتسعين وستّمائة .

1407 – طيبغا المحمّديّ [– بعد 753] [2]

/ أحد الأمراء الناصريّة . تنقّل في الخدم حتّى وليَ نيابة حماة . ثمّ ولي [4أ] الأستداريّة الكبرى بِمصر في شوّال سنة ستّ وعشرين [3] وسبعمائة . ثمّ أُخرِج إلى دمشق أميراً في شوّال سنة ثلاث وخمسين . ثمّ صرف عن الأمر لحدّ سؤاله [4] [فـ]ـخرج إلى مصر ...

1408 – طيدمر الإسماعيليّ [– بعد 750] [5]

تنقّل في الأمر ، فكان أميراً بحلب في خدمة أرغون شاه [6] . ثمّ تولّى على أمرة دمشق لمّا انتقل أستاذه إلى نيابتها ، ثمّ ولي الحجوبيّة [7] بها . ثمّ ولي نيابة قلعة المسلمين في ذي الحجّة سنة خمسين [وسبعمائة] . ثمّ عاد أميراً بحلب ثمّ

---

(1) المعرَفة : منبت العرف – أي شعر العنق .

(2) الدرر 2 / 333 (2061) – الوافي 16 / 512 (560) وسمّاه : المجديّ .

(3) قراءة عسيرة ، وقد تكون : ثنتي وأربعين .

(4) قراءة ظنّيّة .

(5) الوافي 16 / 512 (561) – الدرر 2 / 334 (2065) .

(6) أرغون شاه : درر 1 / 373 (869) – المنهل 1 / 306 (374) وانظر ترجمته في المقفّى رقم 699 (ت 731) .

(7) وظيفة الحُجُوبيَّة : انظر صبح الأعشى 4 / 19 .

انتقل إلى دمشق أميراً بعد بيبغا أروس [القاسميّ][1].

1409 – طيّب الأمير سيف الدين [– بعد 760] [2]

تأمّر بِمدينة صفد ، ثمّ نقل على أمرة بدمشق ، ثمّ قدم إلى القاهرة بعد نوبة أمير أحمد الساقي [3] بصفد ، فأقام بها من أوائل سنة آثنتين وخمسين إلى أن آعتُقل [بالإسكندريّة] في شهر رجب . [ومات في حدود الستّين] .

1410 – طغتكين بن أيّوب [– 593] [4]

[5 أ] / طغتكين بن أيُّوب بن شاذي بن مروان ، الملك العزيز ، سيف الإسلام ، ظهير الدين ، ابن الأجلّ نجم الدين والد الملوك أبي الشكر ، الأيوبي ، الكرديّ .

قدم إلى القاهرة على أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب . وسمع بالإسكندريّة من السلفيّ .

ثمّ جهّزه السلطان إلى بلاد اليمن فخرج من القاهرة في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسار إلى زبيد وملكها ، وأخَذ منها ما قيمتُه ألف ألفِ دينار ، وآستولى على عدن ، ودانت له مَمالكُها .

---

(1) بيبغا أروس القاسميّ (– 754) . له ترجمة في المقفّى رقم 1008 . والدرر 2 / 44 (1387) والنجوم 10 / 293 . وانظر السلوك 2 / 905 .

(2) الوافي 16 / 511 (559) – الدرر 2 / 333 (2063) .

(3) أحمد بن بيليك (ت 754) – له ترجمة في المقفّى رقم 413 – وانظر : الوافي 16 / 511 .

(4) أبو شامة : ذيل ، 11 – الوافي 16 / 450 (484) – آبن كثير 13 / 15 – النجوم 6 / 41 – وفيات 2 / 523 – شذرات 4 / 311 .

وشُكرت سِيرتُهُ وحسنت سياستُه . وقصده الناس من الآفاق فأفاض عليهم من برّه وغمر[هم] بإحسانه . ومدحه غير واحدٍ من الشعراء ، منهم آبن عنين ، وكان قد رحل إليه من دمشق .

ولم يزل باليمن حتى مات بها [1] في شوّال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

وقام من بعده ابنُه الملك المعزّ فتح الدين إسماعيل [2] .

1411 – طقصو الأمير ركن الدين [– 691] [3]

/أحد الأمراء الأكابر ، ومِمّن ذكر للسلطنة . وكانت آبنتُه تحت الملك [6أ] المنصور لاجين [4] .

وكان فيه سؤدد وشجاعة وخبرة بالأمور [...] [5]

وقبض عليه الملك الأشرف خليل [6] بدمشق هو وسنقر الأشقر [7] في ليلة عيد الفطر سنة إحدى وتسعين وستّمائة وقتله .

1412 – طقطاي الأمير عز الدين [– 760] [8]

أحد المَمَاليك الناصريّة محمد [ابن قلاوون] . عمله جمدارا ، ثمّ أعطاه

(1) أبو شامة ، 11 : مات بالحمراء باليمن .
(2) ابنه إسماعيل : سفك الدماء ثمّ آدّعى الخلافة وانتسب إلى بني أميّة فقُتل .
(3) الوافي 16 / 469 (509) – السلوك 1 / 782 .
(4) المنصور لاجين حسام الدين (ت 698) .
(5) بياض بقدر سطر .
(6) الأشرف خليل ابن قلاوون . انظر ترجمته رقم 1397 (ت 693) .
(7) سنقر الأشقر . انظر تاريخ ابن الفرات 8 / 151 .
(8) الدرر 2 / 328 (2045) – الوافي 16 / 470 (511) – النجوم 10 / 334 .

دوادار الأمير يلبُغا اليحياويُّ لمَا ولآه نيابة دمشق ، فسلَّم قياده إليه . فشكرت سيرته في الناس ، ثمّ أنعم عليه في أيام الكامل شعبان بإمرة غزّة . ونقله المظفّر حاجي[1] إلى أمرة طبلخاناه . وما زال حتى كانت نوبة أستاذه يلبُغا . [فـ]ـقبض عليه وحمل إلى مصر ، فعني به الأمير شيخو ، وأفرج عنه في شهر رجب سنة ثمان وأربعين [وسبعمائة] وأنعم عليه بإمرة غزّة ثمّ بإمرة طبلخاناه . ثمّ عمل دوادارا للسلطان [الصالح صالح] في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين عوضا عن الأمير طشبغا [2] . وتوجّه إلى الشام مراراً في مهمّات إلى أن خرج مع الأمير بيبغا أروس القاسميّ ، وقد استقرّ في نيابة حلب ، ليقرّه فيها ويعود . فلمّا وصل غزّة عمل له الأمير بيبغا تتر نائبها [3] سماطا . فلمّا فرغ من أكله أمسكه وجهّزه مقيّداً إلى الكرك ليعتقل بها وذلك في سنة أثنتين وخمسين ، ثمّ أفرج عنه . وأخرج إلى طرابلس فمَات سنة ستين وسبعمائة .

1413 – طنيرق الأمير سيف الدين [– بعد 763][4]

[6ب]/ أحد ممَاليك يوسف [5] ابن الناصر محمد بن قلاوون .

شغف به المظفّر حاجي لجماله ، وأنعم عيه في شوّال سنة سبع وأربعين [وسبعمائة] بإمرةماية فانتقل من الجنديّة إلى أمرة مِائة دفعة واحدة . ثمّ أخرج على إمرة بالشام في محرّم سنة تسع وأربعين . وأعيد على إمرة مِائة بديار مصر . ثم عمل رأس نوبة كبيراً إلى أن أضيفت إلى الأمير مغلطاي إمرة أخور في ذي القعدة

(1) المظفّر حاجيّ : مرّت ترجمتُه برقم 1108 .

(2) طشبغا الدوادار : الوافي 16 / 435 (473) – السلوك 2 / 857 – النجوم 10 / 251 الدرر 2 / 319 (2015) .

(3) بيبغا تتر « حارس الطير – انظر ترجمته رقم 1007 (ت بعد 751) – الوافي 10 / 358 (4852) – الدرر 2 / 44 (1386) .

(4) السلوك 2 / 721 .

(5) يوسف ابن الناصر : الدرر 5 / 248 (1560) توفّي سنة 747 .

سنة إحدى وخمسين .

ثمّ أخرج لنيابة حماة في آخر ذي القعدة منها عوضا عن أَسَنْدَمُر[1] العمري [فـ]ـقصدها في ذي الحجّة منها .

ثمّ نقل إلى دمشق في شعبان سنة ٱثنتين وخمسين ، فأقام بها بطّالا إلى أن كانت نوبة بيبغا أروس . [فـ]ـقدم اليه تقليد نيابة حماه وتشريفه ، وهو مع الأمير أرغون الكامليّ نائب الشام [2] على لد [3] صحبة الأمير طقطاي الدوادار . فلبس التشريف وأقام حتى قدم السلطان إلى لدّ فسار في الخدمة صحبة الأمير شيخو . وسار مع الأمراء إلى حلب وعاد إلى نيابته بحماه في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين عوضا عن أمير أحمد الساقي . ثمّ عزل بأسندمر العمري في شوّال سنة خمس وخمسين [وسبعمائة] ونقل على إمرة دمشق . ثمّ ٱعتقل مدّة وأفرج عنه بعد قتل السلطان حسن [4] ثمّ أعيد إلى نيابة حماه ونقل منها إلى نيابة طرابلس في سنة ثلاث وستين .

ومات في [...]

1414 - طغج بن جفّ [- 310]

/ طغج -- ومعناه عبد الرحمان - بن جفّ بن بلتكين بن فوران بن [7 أ] فوري ابن خاقان صاحب سرير الذهب ، الأمير أبو محمّد ، الفرغانيّ .

---

(1) أسندمر العمري : الوافي 9 / 245 (4157) . وانظر ترجمته رقم 789 (ت 761) .

(2) أرغون الكاملي (ت 758) . الوافي 8 / 356 (3790) - النجوم 10 / 326 .وانظر ترجمته رقم 703 (ت 758) .

(3) لد : قرب الرملة بفلسطين .

(4) الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . الوافي 12 / 226 (238) - الدرر 2 / 125 (1060) - النجوم 10 / 187، .

كان أحد قوّاد ابن طولون ، وولي لخمارويه بن أحمد بن طولون دمشق .

....

وفي إمارته ظهر ببلاد الشام رجل زعم أنّه علويّ وأنّه المهديّ بالله عبد الله ابن أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وكثير من الناس ينكر هٰذا النسب ويقول إنّه ليس بعلويّ ، وأنّه الحسن بن زكرويه بن مهرويه أحدُ دعاة قرمط . وكان زكرويه من أهل سواد الكوفة وهو الذي قتل عبدان داعيةَ قرمط . فلمّا طلبه الدعاة ليقتلوه بعبدان ،آستتر وتنقّل في القرى بالسّواد مدّة ، سنةَ ستٍّ وسنةَ سبع وثمانين ومائتين .

ثمّ بعث آبنه الحسنَ في سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين إلى الشام ومعه أبو الحسين الحسن بن أحمد من القرامطة ، فنزل في بني كلب وانتسب إلى محمد بن إسماعيل ابن جعفر وآدّعى أنّه الإمام فآستجاب له فخِذ من بني العليص وطائفة من بني الأصبع بن كلب ، وبايعوه . فبعث إليه زكرويه رجلا يلقّب بالمدّثر وتسمّى بعبد الله وتأوّل أنّه المذكور في القرآن بقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ » . ويقال أنّ هٰذا الرجل هو آبن أخت عيسى بن مهرويه ، وضمّ معه أيضاً غلاماً من بني مهرويه يلقّب بـ« المطوّق » ، وكان سيّافاً .

وكتب معه إلى ابنه الحسن بن زكرويه يعرّفه أنّه آبن الحجّة ويأمره بالسمع والطاعة له . فتلقّاه الحسن بن زكرويه وسرّ به وجمع له الجمع وقال : « هٰذا صاحب الإمام » . فآمتثلوا أمرَه وقالوا مُرنا بِما أحببتَ .

فقال : آستعدّوا للحرب ، فقد أظلّكم النصر .

ففعلوا . وخرج إليه شبل مولى المعتمد في سنة تسع وثمانين ومائتين فقاتلوه وقتلوه بالرّصافة غربيّ الفرات ، وأخذوا الرصافة ونهبوها وتوجّهُوا / نحو الشام [7ب] ينهبون القرى . فتهاون طغج بهم حتى قدمُوا أطرافَ دمشق فخرج إليهم بغير أهبة

ولا عدّة ، لأستخفافه بشأنهم . فلقوه وهزموه أقبح هزيمة وقتلوا كثيراً من رجاله ونزلوا على دمشق .

فبعَث إلى مصر يطلب النجدةَ، فخرج إليه بدر الحمامي[1] وفائق في جيش كبير ، وسارا إلى دمشق . فخرج إليهم طغج بعدما أقام محصورًا من القرامطة سبعة أشهر ،وفنِي أكثر الناس وخرب البلد .

وكان المطوّق يحضر الحرب على ناقة ويقول لأصحابه : لا تسيروا من مصافّكم حتى تنبعث بينَ أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا ، فإنّه لا تردّ لكم راية إذ كانت مأمورة .

فسمّي صاحبَ الناقة . فلمّا وصلت جيوش مصر آجتمعوا مع طغج على محاربة صاحب الناقة ، وقاتلوه خارجَ دمشق فقُتل بسهم - ويقال بحربة - فجالد أصحابُه عسكر بدر وطغج حتى آنحازوا عنهم .

وساروا عن دمشق فبايعوا الحسن بن زكرويه - ويقال : بل آسمُه أحمد ابن عبد الله . ويقال : عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فيمَا يزعُم ، ويعرف بصاحب الخال من أجل خال كان في وجهه - فسار بهم حتّى أفتتح عدّةً من مدائن الشام ، وظهر على جند حمص وقتل خلقا من قوّاد المصريّن وأجنادهم . وتسمّى بأمير المؤمنين [...] وخطب له على المنابر .

وسار نحو الرقّة في سنة تسعين ومائتين ، وقتل عاملَها . ثمّ عاد إلى دمشق وجعل ينهب ما مرّ به من القرى ويسبي ويحرق . فلمّا قارب دمشق أخرج إليه طغج جيشاً كثيفاً فهزمه القرمطيّ وقتل أكثرَ مَن خرج إليه . فبلغ ذلك أمير المؤمنين المكتفي بالله فندب أبا الأغرّ السلميّ وضمّ إليه عشرة آلاف من الجند والموالي والأعراب وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين .

(1) مرّت ترجمة بدر الحمامي برقم 912 .

فسار حتى نزل حلب . فوافاهم حسن القرمطيّ فهزموهم وأتوا على عامّتهم فلم يسلم منهم إلّا القليل . ولحق أبو الأغرّ بحلب ومعه من أصحابه نحو الألف فتحصّن بها . فنازله القرامطة ثمّ رحلوا عنه ولم يظفروا به . وساروا ، وقد عظم جمعهم ، إلى حمص ، فخطب له بها وبحماة والمعرّة وبعلبك وسلميّة ، بعدما أثخن في القتل وأسرف في النّهب والسبي والتحريق بعامّة البلاد . فضعف أمر طغج وقلّت رجاله ، وتتابعت الكتب إلى بغداد بأنّ دمشق قد أشفت على الأخذ وأشرف أهلها على الهلاك . وكثر الضجيج ببغداد ومصر .

فأخرج المكتفي المضارب [1] ورحل من بغداد لأثنتي عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين . وسار حتى نزل الرقّة / فأنْبَثَّتْ جيوشه بين حلب [8أ] وحمص ، وقلّد محمدَ بن سليمان كاتب لؤلؤ الطولونيّ حرب الحسن بن زكرويه ، وهو يومئذ صاحب ديوان العطاء . وعارض الجيشَ بِمدينةِ السلام وآختار له جيشاً كثيفاً فتقدّ[م] نحوه بِمن معه . وسار إليهم ولقيهم في سادس المحرّم سنة إحدى وتسعين ومائتين بالقرب من حماة فقتل عامّتهم ، وانهزم الحسن ابن زكرويه فقبض عليه كمَا ذكر في ترجمةِ محمد بن سليمان الكاتب[2] . ثمّ سار محمد بن سليمان إلى العراق ، وأقام لؤلؤ بدمشق ، ومعه فائق . فكتبا إلى محمد ابن سليمان يحثّا[نـ]ـه على أخذ الشام ومصر ويعدا[نـ]ـه القيامَ معه . فسار من بغداد في رجب منها حتّى أخذ دمشق . ومضى منها إلى مصر ومعه طغج . فبعثه واليا على قنّسرين وضمّ إليه جمعاً من جند بني طولون .

ثمّ صرف طغج عن قنّسرين ومضى إلى العراق وأقام بها حتى مات في سنة عشر وثلاثمائة .

وترك من الاولاد أبا بكر محمد بن طغج الإخشيد ، وولي مصر وغيرها .

---

(1) المِضرب : الخيمة العظيمة .

(2) هي الترجمة رقم 2319

وترك أبا القاسم علي بن طغج ، وأبا المظفّر الحسن بن طغج [1]، وأبا الحسن عبيد الله بن طغج ، وولي الشام وحُمل إلى المغرب ماسورًا /[2] . [8ب]

1415 - طغجي الأشرفيّ [- 698] [3]

الأمير سيف الدين

أحد مَماليك الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

كان الأشرف يهواه فقدّمه وخوّله وأنعم عليه بِمال كثير . فلمّا قُتل الأشرف [4] أستمرّ على إمرته أيّام الناصر محمد وأيّام كتبغا العادل ، وأقرّه المنصور لاجين .

فلمّا أستبدّ الأمير منكوتمر نائب السلطنَة بِمصر ودبّر جميع أمور الدولة ، أحبّ أن يغيّر الأمراء بدولة ينشئها ، وحسّن للسلطان الملك المنصور [لاجين] ذلك حتّى قبض على الأمير بدر الدين بيسري [5] وبعث حمدان بن صلغاي [6] للقبض على قبجق نائب دمشق وعلى الأمراء المجرّدين لغزو سيس . فثقل عليه طغجي وأراد اخراجه من مصر . فأحسّ بذلك وبادر لطلب الإذن بالحجّ وسافر أميرا للرّكب في سنة سبع وتسعين [وستمائة] . وقدم في صفر سنة ثمان وتسعين [وستمائة] وقد أبرم منكوتمر مع السلطان أن يخرجه لنيابة طرابلس . فلمّا

---

(1) الحسن بن طغج : له ترجمة : رقم 1161 .
(2) الحسن حفيده هو الذي أُسِر ، وهو الحسن بن عبيد الله بن طغج (ت 371) وله ترجمة في المقفّى رقم 1172 .
(3) الوافي 16/ 452 (486) - النجوم 8/ 183 - العبر 5/ 387 - شذرات 5 - 444 .
(4) قتل الأشرف خليل سنة 693 - انظر ترجمته رقم 1397 .
(5) بيسري الشمسيّ (ت 698) - له ترجمة رقم 1016 - الوافي 10/ 364 (4859) 444 .
(6) حمدان بن صلغاي : خطط 4/ 231 .

رسم له بها اعتذر بأنّه لا يصلح للنيابة وخرج إلى كرجي وبيبرس الجاشْنكِير [1] فأعلَمَهُما الخبر وسألها السعيَ لهُ عندَ السلطان حتّى يُعفِيَه . فمَا زالا بالسلطان حتّى أعفاه . فشقّ ذلك على منكوتمر وغضب .

واتّفق مع هٰذا ورود قاصد [2] الأمير قبجق نائب دمشق في السرّ لطغجي يخبره بِما وقع من إخراجه عن دمشق والعمل على قبضه وقبض الأمراء المجرّدين إلى غزو سيس . فأطلع بيبرس وسلّار [3] وغيرهما على ذلك ، وتواعدوا جميعاً على قتل السلطان ، واستمالوا الأمراء والمماليك المنصوريّة قلاوون والأشرفيّة حتى تمّ لهم ما أرادوه ، ومنكوتمر يلحّ في إخراج طغجيّ ويبعث إليه يأمره بالمسير ، إلى أن كان من قتل السلطان ونائبه الأمير منكوتمر في ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستّمائة ما ذكر في ترجمتيهما [4] .

فجلس طغجي على باب القلّة [5] واستدعى الأمراء في الليل فاتّفقوا على إقامته في نيابة السلطنة إلى أن يحضر الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك [6] .

فلمّا أصبحوا يوم الجمعة جلس طغجي في مرتبة النيابة ، والأمراء عن يمينه ويساره . ومُدَّ السماط السلطانيّ على العادة ، ودار الكلام بينهم في الإرسال إلى

---

(1) بيبرس الجاشنكير ركن الدين : يتولّى السلطنة ويُقتل سنة 709 . انظر ترجمته رقم 1004 . وكرجي : مملوك الأشرف خليل وخشداش (أي زميل) طغجي . الخطط 4/ 231 .

(2) القاصد : المبعوث .

(3) سلّار نائب سلطنة مصر (ت 709) – الدرر 2/ 276 . الوافي 16/ 55 (76) – النجوم 9/ 11 .

(4) ترجمة لاجين ومنكوتمر مفقودتان . وفي خصوص منكوتمر انظر : نجوم ، 6/ 103 والسلوك 1/ 858 .

(5) باب القلّة : انظر الخطط 3/ 345 .

(6) الكرك : قلعة حصينة جداً بين أيلة والقلزم (ياقوت) . وانظر دائرة المعارف الإسلاميّة 4/ 633 _ والكرك أيضاً : قرية قرب بعلبك ، وليست هي المقصودة هنا .

الملك الناصر ليحضر [1] فقام كرجي وقال : يا أمراء ، أنا الذي قتلت السلطان لاجين وأخذتُ بثأر أستاذي الملك الأشرف ، والملك الناصر صغير ما يصلح ، ولا يكون السلطان إلّا هٰذا – يعني طغجي – وأنا أكون نائبه ، ومن خالف فمِنّي ومنه .

فسكت الجميع إلّا الأمير كرت الحاجب [2] فإنّه قال له : يا خوند ، الذي فعلتَه أنت قد علمه الأمراء / ومهما رسمت ماثمّ مخالف . [9أ]

وآنفضّوا . فبعث طغجي إلى التاج عبد الرحمان الطويل مُستوفي الدولة [3] فأحضره وسأله عن إقطاع النيابة وعبرتها [4] ، فذكره له ، فقال : هٰذا كثير ، أنا لا أعطي ذلك للنائب .

ورسم أن توفّر منه جملة تستقرّ في الخاصّ . فلمّا خرج من عنده آستدعاه كرجي وسأله عن إقطاع النيابة ، فذكره له فآستقلّه ، وقال : هٰذا لا يكفيني ولا أرضَى به – وعيّن بلادًا زيادة على ما كان لمنكوتمر . فكثر تعجّب التاج الطويل من آستعجال كلّ منهما قبل أن ينعقد له ما يريد .

فلمّا كانت ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر المذكور ، سقط الطائر [5] بنزول الأمير بدر الدين بكتاش الفخري [6] أمير سلاح ومن معه من الأمراء والعسكر المجرّدين إلى سيس [7] ، بِمدينة بلبيس ، ففرح الأمراء بذلك وكتبوا في السرّ إليه وإلى من معه بِما وقع من قتل السلطان وبِما عزموا عليه من إحضار الملك الناصر من الكرَك وبمخالفة كرجي وطغجي . وآنقسم أهل الدولة قسمَين :

---

(1) هٰذه المحاورات مفصّلة في السلوك 1 / 866 .
(2) كرت الحاجب (ت 699) . انظر السلوك 1 / 888 .
(3) التاج عبد الرحمان المستوفي : انظر النجوم 8 / 92 . والمستوفي له وظيفة مالية .
(4) العبرة : الدخلُ من الإقطاع .
(5) الطائر : حمام الزاجل الذي ينقل الرسائل .
(6) بكتاش (ت 706) . له ترجمة في المقفّى رقم 933 – الوافي 10 / 188 (4674) .
(7) سيس أو سيسيّة : بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة .

الأمراء ورأيهم معقود [1] بما يشير به الأمير بكتاش إذا حضر . وأمّا طغجي وكرجي وجاورجي فإنّ المَماليك الأشرفيّة معهم على سلطنة طغجي ونيابة كرجي ، وانهم لا ينزلون من قلعة الجبل إلى لقاء بكتاش ومن معه ، وإنّما يقيمون بالقلعة حتى يحضر بِمَن معه اليهم . ومن رأي الأمراء النزول بأجمعهم إلى لقاء العسكر .

فلمّا أصبحوا يوم الأحد نزل الأمير بكتاش بركة الحاجّ وشرع الأمراء في الحركة إلى لقائه . فأمتنع كرجيّ من أن ينزل اليهم أحد ، وإنّما يعبر كلّ أمير وكلّ جنديّ إلى بيته ، ويحْضر الجميع من الغد إلى الخدمة [2] بالقلعة فيلبس طغجي خلعة السلطنة ويجلس على تخت الملك ويتصرّف في المَملكة على ما يراه ، وأنفضّوا على ذلك . فعلم الأمراء أنهم ما لم ينزلوا إلى لقاء الأمير بكتاش فاتَهُم ما دبّروه . فلمّا اجتمعوا بالخدمة من القلعة بعد العصر أخذوا مع طغجي وكرجي في تحسين النزول للّقاء ، فإنّ الأمير بكتاش قديم الهجرة وأتابك العساكر وقد أثّر في سبيل الله آثارًا جميلة وملك من الكفّار إحدى عشرة قلعةً وله [وهو] غائب بالعسكر سنة ونصف ، وإن لم يتلقَّهم [3] الأمراء صعب عليهم تأخُّرهم عن اللقاء ، ولو كان السلطان حيّاً لخَرَجَ إلى لقائهم . وطغجي وكرجي يَقولان : لا ننزل ، وإنّما أنتم أنزلوا / إن شئتم . [9ب]

فلمّا طال تحاوُرهم أستحيى طغجي من الأمراء وقال لكرجيّ : الصواب فيمَا أشار بهِ الأمراء ، والرأي أن أركب أنا معهم في المَماليك السلطانيّة حتى نلقى الأمير بكتاش . وتُقيمُ أنت وطائفة بالقلعة .

فأذعن لذلك . وعرض طغجي وكرجي المَماليك ، وعيَّنا أربعمائة مَملوك تركب مع طغجي وأخرجت لهم الخيول من الإسطبل السلطانيّ ، وتركا بقيّة المَماليك بالقلعة مع كرجي . وبات الجميع على هٰذا . وأصبحوا يوم الاثنين رابع

(1) في المخطوط : ورأيهم معروف بمَا ...
(2) الحضور إلى الخدمة : المثول أمام السلطان كلّ صباح لتسلّم الوظيفة وتلقّي الأوامر .
(3) في المخطوط : لم يتلقّاهم .

عشره تحت القلعة حتى ركب طغجي في موكب جليل وسار ومعه الأمراء ، وتقدّموا الحلقة والأجناد ، وقد خرج الناس من القاهرة ومصر لرؤية العسكر . فلم يزل طغجي سائراً إلى أن لقي الأمير بكتاش فتعانقا وهما على فرسَيهما ، وقبّل طغجي يده ، وتواكبا سائرَين إلى قبّةِ النصر . فسار الأمير كرت الحاجب في وسط الموكب وقال لبكتاش : يا خوند ، الأمير يطلع القلعة أو يمضي إلى داره ؟

فقال : « المرسوم مرسوم السلطان » . كأنّه لم يعرف أنّه قُتل .

فقال كرت : يا خوند ، وأين السلطان ؟ السلطان تعيش وتبقى ! قد قتلوه !

فأمتعض وقال : مَن قتله ؟

قال : « هٰذا » ! وأشار لطغجي . فقام بكتاش في الركب عن السرج وقال لطغجي : انت قتلت السلطان ؟

قال : نعم .

قال له : تكذب .

فلم يتمّ قوله « تكذب حتى جرّد قراقوش الظاهريّ [1] سيفه وضرب طغجيَ على كتفه ، فلم تؤثر ضربته . ووقعت الصيحة وضربت نقارات الأمراء القادمين حربيًّا ونشرت صناجقهم [2] وفرّ طغجي ، وكرت في طلبه ، وقد تفرّقت المَماليك السلطانيّة عنه ، فلم يبق معه منهم سوى مَملوك واحد . فأدركه قراقوش وضربَه ضربةً ثانية بالسيف قطع وجهه نصفَين ، فسقط إلى الأرض وأخذته السيوف حتى هلك .

وجاء الأمير بكتاش فوقف عليه وأمر به ، فَحُمِل في مزبلة من مزابل الحمّام على حمار إلى تربته بجوار إسطبله خارج باب زويلة . وقُتل أيضاً كرجي كمَا ذكر

(1) قراقوش الظاهريّ : انظر السلوك 1 / 753 ، 797 ، 874 ، 950 .

(2) النقارات : نوع من الأبواق والمزامير ، والصناجق : أعلام ورايات .

في ترجمته [1] ، فلم يكن بين قتلها وقتل لاجين سوى أربع ليالٍ .

وكان طغجي مليح الصورة حلوَ الشكل ، فاتّخذ الناس تفاصيل الحرير برسم النساء وسمّوها « طغجي » [2] .

1416 – طغلغ ، أحد قوّاد أحمد بن طولون [– بعد 257] [3]

[10أ] /جعله على الشرط موضعَ أخيه موسى بن طولون في رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين . ثمّ آستخلفه على الفسطاط لمّا خرج إلى الإسكندريّة ، فخلفَه حتّى قدم .

1417 – طغلق [الأشرفيّ] الأمير سيف الدين [– 735] [4]

أحد أمراء الأشرف خليل بن قلاوون . قُبِض عليه في سنة آثنتي عشرة وسبعمائة ، وسجن فأقام في السجن ثلاثا وعشرين سنة . وأخرج منه في ثاني عشر رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة . فمات بعد أسبوع .

1418 – طُغريل الإيغانيّ [– 709] [5]

[10ب] / أحد المَماليك المنصوريّة قلاوون . تنقّل في الخدم . وولي نيابة طرابلس حتى

(1) ترجمة كرجي مفقودة .

(2) في الوافي 16 / 452 : ومن حلاوة شكله وظرفه ومحاسنه ، أطلع الناس تفاصيل قماش وسمّوها « طغجي » .

(3) الكندي ، 215 .

(4) الدرر 2 / 324 (2030) وفيها أنّه مات سنة 737 – السلوك 2 / 388 وفيه أنّ وفاته كانت سنة 735 .

(5) في المخطوط : الإتقانيّ . وفي الدرر 2 / 323 (2029) : كان من مماليك اتقان الملقّب =

صرفه الأشرف خليل بن قلاوون بأيبك الخزندار في سنة آثنتين وتسعين [1] وستمائة ، وأحضره إلى مصر وأنعم عليه بإمرة ، فمَا زال من الأمراء الكبار المُهابين حتى مات في عاشر شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة .

وكان شجاعاً كريماً .

1419 – طُقتَمُر الأحمديّ [– 747] [2]

الأمير سيف الدين

[11أ] / أحد المَماليك الناصريّة محمد بن قلاوون . كان يعرف بينهم بـ« طاسَة » . وترقّى في الخدم حتّى استقرّ أستادار عِوَضًا عن الأمير أقبغا عبد الواحد [3] بعد قبضه في آخر المحرّم سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة .

وأخرج لنيابة صفَد [4] فباشرها مديدةً ، ونقل منها لنيابة حماة عِوَضًا عن الأمير علم الدين سنجر الجاوُلي [5] . فلمّا نقَل الأمير يلبُغا اليحياوي [6] من نيابة حلب إلى نيابة دمشق استقرّ طقتمر عوضه في نيابة حلب ، ولم يوافق الأميرَ يلبغا على خلع الكامل شعبان [7] . فلمّا زالـ[ـت] دولتُه بأخيه المظفّر حاجي [8] ،

= « سمّ الموت » . وهو في الوافي : عز الدين ايغان سمّ الموت (ت 675) – الوافي 10 / 24 (4465) .

(1) في المخطوط : وثمانين ، وهو خطأ لأنّ الأشرف تسلطن من سنة 689 إلى سنة 693 .

(2) الدرر 2 / 325 (2035) – الوافي 16 / 464 (504) .

(3) أقبغا عبد الواحد (ت 744) – له ترجمة في المقفّى : رقم 818 .

(4) صفد : مدينة مطلّة على حمص في جبل لبنان (ياقوت) .

(5) سنجر الجاولي (ت 745) : الوافي 15 / 482 (645) – الدرر 2 / 266 (1877) .

(6) يلبغا اليحياويّ : الدرر 5 / 212 (5078) .

(7) شعبان بن محمد بن قلاوون (ت 747) – الوافي 16/ 153 (168) – الدرر 2/ 289 (1938) .

(8) حاجّي بن محمد بن قلاوون (ذبح سنة 748) : الوافي 11 / 237 (341) – الدرر =

كاتب الأمير يلبغا في عزله فأجيب لذلك وعزل بالأمير بيدمر البدري [1] ، وطلب إلى مصر فأقام بها من جملة الأمراء حتى مات في سنة سبع وأربعين وسبعمائة .

1420 – طُقْتَمُر الصلاحيّ [– 747] [2]

أحد المَماليك الناصريّة محمّد بن قلاوون . ترقّى في الخدمة حتّى صار أميراً . وتقدّم في أيّام أولاد السلطان ، وتوجّه مراراً إلى البلاد الشاميّة في المهمّات . ثمّ أخرج لنيابة حمص فمات بها بعد قليل في سنة سبع وأربعين وسبعمائة .

1421 – طُقتمر الدمشقي [– 716] [3]

[12 أ] / الأمير سيف الدين ، أحد المَماليك الناصريّة محمد بن قلاوون . كان ربّاه صغيراً وشُغِفَ بحبّه فأمّره في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة . وشغف به شغفاً زائداً ، وأنشأ له داراً جليلة بدار البقر تحت القلعة بلغ مصروفها زيادة على ألف ألف درهم فضّة ، فلم يطل تمتّعه بها ومات عن مرض طويل يوم الاثنين ثاني عشرين رجب سنة ستّ عشرة وسبعمائة .

وكان من حسن الصورة بِمكان ، إلّا أنّه كان شحيحاً بحيث إنّ السلطان لمّا مرض عاده وأعطاه ثلاثين ألفَ درهم ليتصدّق بها ، فتصدّق بنحو ثلثها وادّخر ثلثيها . وقال له السلطان أيضاً : يا طقتمر ، أنت على طريق إلى الله فهب حاشيتَك ومَماليكك وأنعم عليهم حتى يدعُوا لك ، ولا تبخَل فالمال مالك !

= 3 / 83 (1476) – وانظر ترجمته رقم 1108 .

(1) بيدمر البدري (قتل 748) – النجوم 10 / 180 .

(2) الوافي 16 / 463 (503) – الدرر 2 / 325 (2038) .

(3) الدرر 2 / 325 (2036) – النجوم 9 / 237 – السلوك 2 / 168 .

فلم يعمل شيئًا من هذا .

ولمّا مات دفِنَ بتربة أنشأها له السلطان خارجَ باب القرافة ، وعمل لها أوقافاً جارية ، منها أراضي بساتين بخطّ جزيرة الفيل / . [13 أ]

1422 – طُقُزْتَمُر الساقي الناصريّ [746] [1]

الأمير سيف الدين نائب السلطنة .

بعث به الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فاختصّ به وما زال في الخدم حتى صار من جملة أمراء مصر .

ثمّ خلع عليه في يوم السبت تاسع ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، وٱستقرّ به أميرَ مجلس عوضا عن الأمير طُرجي الساقي[2] بعد وفاته .

فلّما قام الملك المنصور أبو بكر في السلطنة بعد موت أبيه الملك الناصر [محمد ٱبن قلاوون]، أقيم طقزتمر في نيابة السلطنة ، وكانت معطّلة مدّة سنين ، وذلك في يوم الاثنين الثالث والعشرين من المحرّم سنة ٱثنتين وأربعين [وسبعمائة] ، وجلس في دست النيابة وحكم بين الناس . وكانت ولايتُهُ النيابة بوصيّة السلطان الناصر بعد أن ٱمتنع منها .

ثمّ عزله الأمير قوصون [3] لمّا خلع أبا بكر ، وولّاه نيابة حماة في سابع عشر

---

(1) الدرر 2 / 326 (2042) – الوافي 16 / 465 (507) – النجوم 10 / 142 . أمراء دمشق ، 46 .

(2) طرجي الساقي ثمّ السلاحدار الناصريّ (ت 731) – الدرر 2 / 317 (2005) . النجوم 9 / 287 – السلوك 2 / 338 .

(3) قَوصون الساقي الناصريّ (ت 742) – الدرر 3 / 342 (3282) – النجوم 10 / 75 .

ربيع الأوّل عوضاً عن الملك الأفضل [الذي نقل إلى إمرة دمشق] حتّى نقله الصالح إسماعيل لنيابة حلب عوضاً عن أيدغمش [الناصريّ][1] فلمّا مات أيدغمش نُقل من نيابة حلب إلى نيابة الشام عوضاً عن أيدغمش فدخلها في نصف شهر رجب سنة ثلاث وأربعين [وسبعمائة] . واستمرّ بها حتّى تسلطن الكامل شعبان في ربيع الآخر سنة ستّ وأربعين [فـ]كتب بإحضاره إلى مصر وولّى عوضه يلبغا اليحياوي نائب حلب .

فخرج من دمشق ، وهو مريض في محفّة يوم السبت خامس جمادى الأولى حتى نزل بلبيس . فركب الأمير أرغون العلائيّ [2] إلى لقائه . وقدم إلى القاهرة وقد تزايد مرضُه حتى مات مستهلّ جمادى الآخرة سنة ستّ وأربعين وسَبْعمائة . ودُفِنَ بخانقاته بالقرافة .

وكان عاقلاً وادعا عديمَ الشرّ . وإليه ينسب حكر طقزتمر خارج القاهرة [3] وربع طقزتمر خارج باب زويلة ، وحمّام طقزتمر عند قبو الكرمانيّ .

1423 – طُقْصُبَا الحساميّ التتريّ [– 745][4]

[14أ] / الأمير سيف الدين ، التتريّ ، الظاهريّ ، أحد المَماليك الظاهريّة بيبرس . ترقّى في الخدم إلى أن ثار الأمير حسام [الدين] لاجين نائب السلطنة على السلطان الملك العادل كتبغا [5] بالعوجاء [6] من طريق الشام وهزمه إلى دمشق وتسلطن

(1) أيدُغْمُش (ت 743) الناصريّ أمير أخور – له ترجمة رقم 873 – والوافي 9 / 488 (4452) – والنجوم 10 / 99 – والدرر 1 / 455 (1120) .

(2) أرغون العلائيّ (ت 748) – الوافي 8 / 355 (3788) – النجوم 10 / 158 – الدرر 1/ 376 (875) . وله ترجمة في المقفّى : رقم 702 .

(3) حكر طقزتمر : انظر الخطط 3 / 189 . ودارطقزتمر : الخطط 3 / 151 .

(4) الدرر 2 / 326 (2043) – النجوم 10 / 111 – السلوك 2 / 674 .

(5) العادل كتبغا (ت 702) – الدليل الشافي 553 (1897) – الدرر 3 / 348 (330) .

(6) العوجاء : بين أرسوف والرمله بفلسطين – السلوك 1 / 819 .

بعده [1] [فـ]ـخاف من الأمير شمس الدين كرتاي التتري [2] نائب الغيبه بقلعة الجبل أن يقيم الملك المجاهد أنص [3] ابن العادل كبتغا في السلطنة إذ أبلغه ما وقع فأشار الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحاجب [4] بإرسال طقصبا إليه ليعِده عن السلطان كلّ جميل ، فإنّ الجنس يميل إلى الجنس [...] .

فطلب طقصبا وعرف ما يقوله ووعد بأنّه إذا تمّ الأمر بِمصر على يديه أنعم عليه بإمرة .

فتوجّه من العوجاء يريد القاهرة ، وكان قد سبق الخبر إلى المجاهد ابن كتبغا وواقفه كرتاي وقطلوبرس العادلي [5] وشرعوا في تدبير أمورهم وتحليف العسكر للمجاهد . فوافى طقصبا بكرتاى حَموِّه [6] حتى دخل في طاعة المنصور لاجين ، وكتب بذلك هو والأمراء ، ونوديَ في القاهرة بسلطنة لاجين ، وأمر الخطباء بالدعاء له على المنابر . وأذعن المجاهد أنص وسلم بغير مدافعة ، فعاد طقصبا بكتب الأمراء إلى لاجين فعظم سروره وخلع عليه . وسار إلى القاهرة فملك قلعة الجبل وتمّ له أمره في صفر سنة [ستّ] وتسعين وستّمائة كمَا ذكر في ترجمته [7] .

فلمّا تمَكّن أمّر جماعة من أتباعه ، منهم طقصبا .

ووليَ بعد ذلك قوص، وغزا النوبة في سنة خمس وسبعمائة وعبر إلى دُنقُلة [8]

---

(1) تسلطن لاجين في سنة 696 .

(2) كرتاي التتريّ : لم نعرفه .

(3) أنص ابن العادل كتبغا : الدرر 1 / 440 (1081) – وانظر ترجمته رقم 844 . (ت 723) .

(4) بهادر الحاجب (ت 710) – انظر الترجمة رقم 982 .

(5) قطلوبرس العادليّ ، الأمير علاء الدين (ت 699) : كان مملوكا للعادل كتبغا – السلوك 1 / 883 ، 906 .

(6) قال ابن حجر في الدرر : « وصاهر كرتاي الذي كان نائب الغيبة عن كتبغا » .

(7) ترجمة لاجين مفقوده من المقفّى .

(8) دنقلة : من بلاد النوبة شرقي النيل ، وهي في السودان الحاليّ . الخطط 1/ 308 ودائرة المعارف ، 2/ 630 .

وعاد بعد غيبته بالعسكر تسعة أشهر .

ثمّ جرّده الملك الناصر إلى مكّة في شوّال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، ومعه من الأمراء بَيْدَرَا [1] وأيدغدي الخوارزمي [2] وصاروجا الحساميّ [3] في عدّة من الأجناد ليقبض على الشريف حميضة بن أبي نُمَيّ [4] لكثرة ظلمه . فلمّا قدم مكّة فرّ حميضة إلى جهة اليمن ، فأقام عوضه أبا الغيث ابن أبي نمي ، وأقام بالعسكر شهرين بعد الموسم . وعاد إلى القاهرة ، ومضى إلى قوص [5] .

وغزا النوبة ، ومعه من أمراء مصر مغلطاي [6] أمير مجلس ، وساطي السلاحدار[7] وأزبك الجرمكي[8] ، وأيدمر الدوادار[9] ، وعلي بن قراسنقر[10] ، وشيخو الدميثري [11] في عدّة من أجناد الحلقة . وتقدّمها فمرّوا على صحراء عيذاب إلى سواكن [12] ، وأوقعوا بالسودان ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، ومرّوا إلى دنقلة . وعاد العسكر إلى القاهرة في أوّل جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة / [14ب] وسبعمائة بعدما غابوا ثمانية أشهر .

ثمّ جرَّدَه إلى عيذاب في سنة تسع عشرة .

(1) بيدرا العادليّ (ت 714) – الدرر 2 / 46 (1391) .

(2) أيدغدي الخوارزمي (ت 729) – له ترجمة : رقم 869 – الدرر 1 / 454 (1116) .

(3) صاروجا الحساميّ المظفّري (ت 743) الدرر 2 / 296 (1954) .

(4) حميضة : الدرر 2 / 167 (1637) – وله ترجمة في المقفّى رقم 1311 (ت 720) .

(5) قوص : قصبة الصعيد .

(6) مغلطاي علاء الدين . وانظر السلوك ، 2/ 162 (حوادث سنة 716) . ولعله مغلطاي خرز الجمالي المترجم في الدرر ، 4/ 354 (964) .

(7) ساطي (ت 732 أو 762) – الدرر 2 / 316 (1768) .

(8) أزبك الحمويّ (ت 737) . له ترجمة في المقفّى رقم 706 . ولم نجد نسبة الجرمكي التي في المخطوط .

(9) أيدمر الدوادار (ت 740) – له ترجمة في المقفّى رقم 882 .

(10) علي ابن قراسنقرات (ت 748) – السلوك 2 / 754 .

(11) شيخو الدميثري : ذكر ابن حجر شخصا بهذا الاسم كأنّه متأخّر عن الأحداث المرويّة هنا (ت 758) . انظر الدرر 2 /293 (1950) .

(12) سواكن : على الساحل تجاه جدّة .

ومات عن مائةٍ وعشرين سنة في [...] سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وهو يركب الخيل ويرمي بالنشّاب ، ويأكل بنهَمٍ أكلاً جيّداً .

1424 – طلحة ابن دقيق العيد [668 – 696] [1]

/ طلحة بن محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، وليّ الدين، أبو محمد، ٱبن [15أ] قاضي القضاة تقي الدين ٱبن دقيق العيد .

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستّين وستّمائة . وسمع من الحافظ عبيد الأسعرديّ [2] ، وبهاء الدين القفطيّ ، وعز الدين الحرّاني وغيره . وبرع في الفقه وكتب وعلّق وأفاد . وناب عن أبيه في الحكم .

توفي سنة ستّ وتسعين وستّمائة .

وكان فقيهاً نبيلاً ذكيّاً . وقال عنه أبوه إنّه يعرف مذهبَ الشافعيّ

1425 – طهمان بن عمرو الكلابي [– (80)] [3]

/ أحد بني بكر بن كلاب . كان راميا ، وكانْ يضع سهماً حَيثُ يريد فلا [16أ] يخطىء . وكان مع الضحّاك بن قيس يوم مرج راهط [4] ، فأشجى مروان بنَ

(1) هو ٱبن أخي الفقيه الشافعي المشهور سراج الدين موسى بن عليّ بن دقيق العيد (ت 685) – الوافي ، 16/ 485 (529) – الأعلام 8/ 277 . والترجمة كتبت على ورقة طيّارة ، وقفاها أبيض .

(2) الحافظ عبيد بن محمد ، التقيّ الأسعرديّ (ت 621) – طبقات ٱبن قاضي شهبة ، 2/ 248 هامش 6 .

(3) الأعلام 3/ 335 . ديوانه نشر محمد جبّار المعيبد ، بغداد 1968 . وهذه الترجمة أيضا على ورقة طيّارة .

(4) واقعة مرج راهط في المحرّم سنة 65 – انظر الكامل 3/ 328 . والضحّاك بن قيس الفهريّ (قتل سنة 64) كان من دعاة ٱبن الزبير – الأعلام 3/ 309 .

الحكم . فلمّا هزمَت قيس كان مع ناتل [1] بن قيس بفلسطين . فلمّا هزمهم مروان أيضاً لحق بِمصر فيمَن صار إليها من أصحاب ناتل ، فكان مع بني فهم . وكان رأساً في أيّام الخندق ، فلقي أصحاب مروان منه ما لم يلقوا من أحد ، وكانت سهامه تأتيهم قد كتب عليها ٱسمه . فيقال إنّه قتل يوم الخندق من أهل الشام ٱثنَي عشر عريفاً سوى من قُتل من سائر الناس .

فلمّا صلح حال أهل مصر مع مروان لحق طهمان بعبد الله بن الزبير وكان معه حتّى قُتِل [2] . فطلبه عبد الملك بن مروان وأهدر دمه . ففرّ إلى نجران ، فوجد رجلاً من بني عبس طريداً فاصطحبا وكانا يتوحّشان ولا يقربا [ن] الناس . فقال طهمان في ذلك [طويل] :

فإنّيَ والعبسيَّ في أرض مذحج	لمَا كانت الدنيا لمغتربان [3]
طر يدان مجفوّان في مثل عيشنا	وخِيفَ مكانانا بكلّ مكان
فَمَن يَرَ مُمْسَانَا ومُلقى رحالِنا	من الناس يحسَبْ أنّنا سبُعان

فأخذه نجدة بن عامر أحد الخوارج فقال له : ٱرم ، وأرني رميَكَ .

قال : مُر بِقربةٍ تملَأُ ، ثمّ ضع عليها ثلاث بعراتٍ ، ثمّ سلني أيّهنّ شئتَ أرميها ، ولا أصيب القربة .

ففعل ذلك وقال : ٱرم الوسطى .

فرماها ولم يصب القربة . ثمّ الثانية ، ثمّ الثالثة فقال نجدة : لا ترمِنا مع [16ب] المشركين أبداً ! — / وقطع يده . فقال [طويل] :

---

(1) ناتل بن قيس الجذاميّ: انظر الكامل 3/ 329 .

(2) قتل ابن الزبير سنة 73 – انظر ترجمته فِيمَا يلي رقم 1481 .

(3) في معجم البلدان (دمخ) جاء العجز على هٰذا النحو :

... غريبان شتّى الدار مختلفان

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها بعفوك من عار عليها يَشِينُها[1]
ولا خيرَ في الدنيا ولا في نعيمها إذا ما شمال فارقتها يمينها

1426 – طوطيس بن ماليا [2]

/ طوطيس بن ماليا بن خربتا بن ماليق بن تدارس بن صا بن مرقونس ابن [17
صا آبن قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

ملك بعدما قتل أباه ماليا ، وجلس على تخت الملك بِمدينة منف . وكان جبّاراً جريئاً شديدَ البأس مُهابا . فلمّا دخل عليه أَشراف مدينة منف للهناء ، أمرهم بالإقبال على ما يعينهم ، واشتغالهم بِمصالحهم . ووعدهم بالإحسان إليهم .

وتزعم القبط أنّ طوطيس هذا أَوَّلُ الفراعنةِ السبعة ، وهو فرعون بن إبراهيم خليل الرحمان صلوات الله عليه .

وقيل : بل فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن أمراز بن أشوذ بن سام آبن نوح .

والمشهور أنّهم من العماليق ، منهم الربان بن الوليد ، وهو فرعون إبراهيم . ومنهم الوليد بن مصعد ، فرعون موسى .

ومنهم سنار بن علوان .

ويقال فرعون إبراهيم آسمه عمرو بن آمرئ القيس بن بابليون بن حميَر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

---

(1) في الديوان ، 40 : . . . بحقَوِيْك أن تُلقى بِملقىً يُهينُها .
(2) الورقة طيّارة ملصقة أفقيّا .

وقيل : فراعنة مصر من عملاق الأوّل بن لاوز بن سام بن نوح .

وقيل : فرعون إبراهيم هو سنان الأسل بن علوان بن عبيد بن عريج بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليحا بن لوذ بن نوح .

وكان من خبر إبراهيم – سلام الله عليه – معه ، أنه قدم إلى مصر بزوجته سارة . فعندما رآها الحرس الموكّلون بأبواب مدينة منف عجبوا من حسنها فرفعوا خبرها إلى طوطيس . فأمر وزيرَه فأحضر إبراهيمَ عليه السلام ، وسأله عنها . وبعث بها إلى طوطيس . فأكرمها الله وكفّ عنها طوطيس ، وجفّت يدُه لمّا مدّها إليها حتى دعت الله سبحانه فخلّصها . وهابها طوطيس وبعث بها إلى ٱبنته حُورِيا فأكرمَتها وأعادتْها إلى إبراهيم (عم) . ووهبَتها « هاجر » أمّ إسماعيل .

وخرج بها إبراهيم[1] من مصر كمَا ذكر في خبر إبراهيم وسارّة وهاجر من هٰذا الكتاب .

[17ب] وطوطيس هو الذي / حفر الخليج من النيل حتّى صبّ في بحر الملح لتصل السفُنُ فيه حتّى تصل إلى مكّة بالغلال وغيرها توسعةً على هاجر ، فأحيى أرض الحجاز وأهلَها مدّةً حتّى سمّته العرب من جرهم وغيرها بالصادق .

ويقال إنّه إنّما سمّيَ فرعونَ لإسرافه في القتل وخروجه فيه عن الحدّ حتّى قتل أقاربه وأهلَ بيتِه ونساءَهُ وخَدَمَه وكثيراً من الكَهَنَة والحكماء .

ولم يرزق ولداً قطّ سوى ٱبنته حوريا ، وكانت عاقلة فخافت خروجَ الملك منهم لشدّة عُتُوِ أبيها ، ومنعَته مراراً حتّى توحّش ما بينها وبينَه . فلمّا أعياها أمرُه رشَّتْ إليه سُمّاً فهلك بعدما أقام بعد أبيه في ملك مصر سبعين سنةً . فٱختلَف الناسُ بعد مَهْلكِه وقامت طائفة وقالت : « لا نملّك علينا أحداً من أهل بيته » ودعوا لبعض أولاد أتريب[2] .

(1) ترجمة إبراهيم الخليل هي أولى تراجم المقفّى .
(2) أتريب أيضا له ترجمة : رقم 402 .

وقامت طائفة بدعوة حوريا ونصبوها على تخت الملك بعد أبيها فتمّت لها الكلمة وقامت بتدبير الأمور .

ويقال إنّه نَقَلَ كتب العلوم من بلاد الكلدانيّين إلى مصر وأنّه أوّل من دوّن الكتب في علم النجوم وفي السحر بِمصر ، وأوّل مَن أظهر بها علمَ الحساب . وهو قول بعيد من الصحّة .

1427 - طوغان المنصوريّ [- 724][1]

أحد مَماليك الملك المنصور قلاوون

تنقّل في خدمته إلى أن ولّاهُ نيابة ألبيرة[2] فأستمرّ فيها مدّة طويلة إلى أن ثقل على الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فإنّه كان عظيم الكبر عظيمَ النفس ، فيه جاهليّة وحمق ، وقصد عزله . فلمّا ورد عليه كتاب السلطان لم يعبأ به وقال : لا أخرج من هنا إلى أن أموت ، فإنّ السلطان الشهيد - يعني قلاوون - أعطاني هٰذه القلعة ، وعهد إليّ أن لا أخرج منها .

فخاف السلطان غائلته ، وأعرض عنه . إلى أن بعث الأمير كراي[3] على عسكر [و] قبض على أسَنْدَمُر كرجي[4] نائب حلب ، [فـ]كتب إليه بإعمال الحيلة على طوغان . فكتب إليه كراي بأنّ عدّة من مَماليك أسندَمُر نائب حلب تسحّبوا عند قبضه إلى جهة بلاد الشام[5] ، فتركب بِمن معك وتقبض عليهم . ودسّ إلى نقيب قلعة ألبيرة ورجالته بِمنع طوغان إذا خرج منها أن يعود إليها ، وأن

---

(1) الدرر 2/ 329 (2051) - السلوك 2/ 94 ...

(2) البيرة : كورة بالشام بين القدس ونابلس ، وهي بيرة بعد حذف التعريف (ياقوت) .

(3) كراي المنصوريّ سيف الدين (ت 719) - الدرر 3/ 352 (3309) - النجوم 9/ 245 .

(4) أسَنْدمُر كرجي (ت 711) - الدرر 1/ 413 (988) - الوافي 9/ 248 (4156) والمقفّى : رقم 788 .

(5) هكذا في المخطوط . ولعلّها : بلاد الشرق .

يقبضوا عليه .

فمشى ذلك[1] على طوغان ، وخرج بِمماليكه إلى ظاهر ألبيرة في طلب مَماليك أسندمر فلم يقِف لأحد منهم على خبر ، وعاد بعد يومين فإذا برجال القلعة قد استعدّوا له ومنعوه من القلعة . فعلم أنّ الحيلة تمّت عليه . وأحاطوا به فأخذوه وحملوه مقيّداً إلى حلب فسيّره كراي إلى السلطان .

فلمّا قدم عليه في أخريات ذي الحجّة سنة عشر وسبعمائة عنّفه وحبسه أيّاماً . ثمّ أفرج عنه وولّاه شدّ الدواوين بدمشق[2] . ثمّ صُرف بالأمير بدر الدين بكتوت القرماني[3] في ثاني شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

ثمّ قبض عليه في ربيع الآخر سنة ثنتي عشرة وسجن بالكرك فلم يفرج عنه إلى سنة عشرين .

1428 - طوغان الشمسيّ [- 741] [4]

أحد مَماليك شمس الدين سنقر الطويل المنصوريّ

تنقّل في الخدم ، وولي الأشمونيّين من الوجه القبلي . ثم نقل إلى شدّ الدواوين في وزارة الجمالي [5] . وأخرج إلى دمشق لتغيّر السلطان عليه ، ثمّ ولّاه شدّ الدواوين بها ، حتى مات في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وكان ظالماً غشوماً سفّاكاً للدماء . يتكلّم بعظائم ويُتّهم في اعتقاده ودينه .

(1) عبارة متكرّرة عند المقريزي بِمعنى : وانطلت عليه الحيلة .
(2) شَدّ الدواوين وظيفة ماليّة .
(3) بكتوت القرماني (ت 749) - له ترجمة في المقفّى رقم 945 .
(4) السلوك 2/ 553 - الدرر 2/ 329 (2050) .
(5) في الدرر : مغلطاي الجمالي .

1429 – ظافر الحدّاد [– 529][1]

/ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني ، أبو القاسم [18أ] وأبو المنصور ، الجذامي ، الجرويّ ، البرقي ، الإسكندرانيّ ، المعروف بالحدّاد ، الشاعر المشهور .

أحد الشعراء المجيدين . قال فيه الرشيد[2] في كتاب الجنان : « شاعر مجيد مستعذب النظم موصوف بالفهم » . وقال الإمام أبو الطاهر ابن عوف : « لم يعرف لظافر الحدّاد خربةٌ[3] في دينه » .

ولظافر ديوان شعر أكثره جيّد ، ومعظمُه في مديح وزراء الدولة الآمريّة والحافظيّة وأعيان مصر . وكان كثير الاختصاص بأبي علي بن الفضل[4] ، فنوّه به لمّا وزر في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وله فيه قصائد عديدة . وقد روى عنه الحافظ السّلفي وغيره من الأعيان . فمَن مختار شعره قصيدتُه الذالية وهي [كامل] :

لو كان بالصبر الجميل ملاذُه ماسحَّ وابلُ دمعِه ورذاذُ
ما زال جيش الحبِّ يغزو قلبَه حتّى وهى و تقطَّعَتْ أفلاذُه
لم يبق فيه للغرام بقيّة إلّا رسيسا يحتويه جُذَاذُهُ
من كان يرغب في السلامة فليكن أبداً من الحَدَقِ المِراضِ عِياذُه

(1) الوافي ، 16/ 521 (567) – وانظر دراسة حسين نصّار : ظافر الحدّاد ، القاهرة 1975 – الخريدة (مصر) 2/ 3 (34) – النجوم 5/ 376 – حسن المحاضرة 1/ 324 – الوفيات 2/ 540 (314) – بدائع البدائه 2/ 160 – شذرات 4/ 91 – ياقوت : أدباء 12/ 19 .

(2) القاضي الرشيد ابن الزبير مرّت ترجمته برقم 522 . وعنوان كتابه : جنان الجَنان ورياض الأذهان .

(3) الخربة هنا فسادُ الدين .

(4) قُتل أبو عليّ سنة 526 .

5 لا تخدعنّك بالفُتور فإنّه نظرٌ يضرّ بقلبك استلذاذُه

يا أيّها الرشأُ الذي في لحظِه سهمٌ إلى حَبِّ القلوب نفاذُه

درٌّ يلوحُ بفيك ، مَن نظّامُهُ ؟ خمرٌ يجولُ عليه . من نبّاذُه ؟

وقناةُ ذاك القدّ كيف تقوّمَت ؟ وسنانُ ذاك اللحظ ما فولاذُه ؟

رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإنّني أخشى بأن يسطو عليهِ لاذُه[1]

10 هاروتُ يعجز عن مواقع سحره وهو الإمام . فمَن تُرى أستاذُه ؟

تالله ما علقت محاسنُه آمرءًا إلّا وعزّ على الورى آستنقاذه

أغريت حبّكَ بالقلوب فأذعنت طوعاً وقد أودى بها استحواذه

ما لي أتيتُ الحظَّ من أبوابه جهدي فَدَامَ نفورُه ولواذه ؟

إيّاك من طمع المُنى فعزيزه كذليله ، وَغنيّه شحّاذُه

15 ذاليّةُ ابن دريد استهوى بها قوماً غداةَ نبَتْ به بغداذُه[2]

دانوا لزخرف قوله فتفرّقَتْ طمعاً بهم صَرْعَاهُ أَوْ جُذَّاذُه

من قدّر الرزق السني لك آنّما قد كان ليس يضرّه إنفاذُه

وقال [كامل] :

[19ب] لا يسكن اللفظ البديعَ حلاوةً حتى يكون ثناك من أركانه /

ويظلّ بيت الشعر قفراً خالياً ما لم تكن بالمدح من سُكّانه

وقال يعزّي الأفضل ابن أمير الجيوش بأخيه المظفّر ، وهي طويلة [طويل] :

إذا كان عقبى ما يَسوء التصبّرُ فتقديمُه عند الرزيّة أجدَرُ

وليس الشجاعُ النّدْبُ مَنْ يَضْرِبُ الطّلَى دِرَاكًا ونار الحرب تُذكى وتُسعَر

---

(1) اللاذ ج الاذة : ثوب الحرير .

(2) لم نجد له في رويّ الذال إلّا أربعة أبيات من مربّعته المعروفة . ديوانه ، نشر عمر بن سالم تونس 1973 ص 43 .

ولكنّه من يؤلم الثكلُ قلبَه و يعرف أحداث الزمان فيصبر [1]

لئن عَظُمَ الخَطبُ الشديد محلّه فحكمك أعلى منه قدراً وأكبرُ

و بعض الذي يحويه صدرُك همّةٌ تضيق بها الدنيا جميعاً وتصغر 5

لقد زعزعَت شمَّ الجبالِ رزيّةٌ ألمّت ، ولكنْ طودُ حلمِك أوقَرُ

بعلمك تستهدي نفوسُ ذوي النّهَى وأنت بما قال المعزّونَ أخبرُ

وحكم التعازي شيمةٌ نبويّةٌ وإلّا فمنك الحزمُ يبدوء و يصدر [2]

....

وتوفيَ في المحرّم سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وقال السلفي : في ذي الحجّة سنة ثماني وعشرين . قال ابن ميسّر : وأنا أعتقد أنّه وهم في ذلك .

1430 – عبّاس بن جعفر بن الفرات [– 441] [3]

/ عبّاس ، ابن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف [20 أ] بابن خنزابة .

تُوفّي بِمصر في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

1431 – أبو الربيع العنَزيّ [– 233]

عبّاس بن ربيع بن عبد ربّ [4] بن مخارق بن مهران ، أبو الربيع .

---

(1) في الخريدة 2 / 9 : وتعروه .

(2) بعد هٰذه الأبيات بياض بنحو 15 سطراً كأنّ المقريزي كان ينوي إدراج مقطوعة أخرى للشاعر .

(3) انظر ترجمة والده رقم 1077 .

(4) خطّ رديء جداً لا يقرأ . والإصلاح من الجواهر المضيئة ، 3 / 289 (683) .

العنزيّ ، البصريّ ، الفقيه الحنفيّ .

قدم مصر . وتوفّي بها يوم الخميس مستهلّ ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

1432 – عبّاس بن شعيب العبيدي [– 415][1]

[20ب] / عبّاس بن شعيب بن داود بن عبيد الله [المهديّ] ، العبيديّ ، أبو هاشم ، من أقارب الحاكم العبيديّ خليفة مصر . وكان ذا نعمة وسعة وكرم وإفضال . وكان الحاكم ولّاه العهد من بعده .

1433 – عبّاس بن أبي الفتوح الصنهاجيّ [– 549][2]

عبّاس بن أبي الفتوح يحيى[3] بن أبي طاهر يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس ، الحمَيريّ ، الصنهاجيّ .

قدم صغيراً على يدَي أمّه بلّارة بنت القاسم [4] مع أبيه أبي الفتوح إلى الإسكندريّة لمّا أخرجه أخوه أبو الحسن عليّ بن يحيى بن تميم [5] من إفريقيّة . فأمر الخليفة الآمر بأحكام الله [6] بإكرامه . فلم تطل أيّام حياته بالإسكندريّة

(1) وهٰذه أيضا مشوّهة الخطّ لا تقرأ ، والإصلاح من الاتعاظ ، 2/ 173 . وفي أمراء دمشق ، رقم 167 ، والدول المنقطعة ، 58 ، ذكرٌ لوليّ آخر للعهد آسمه عبد الرحمان بن إلياس بن أحمد بن عبيد الله ، وانظر الملحق السادس من الاتّعاظ ج 1/ 313 .

(2) اتّعاظ 1 / 324 – النجوم 5 / 288 – وأطروحة هـ . ر . إدريس عن الصّنهاجيّين 317 ، (هامش 83) . الوافي ، 16 / 646 (687) .

(3) أبو الفتوح يحيى بن يحيى : لم يُعرَف أمير صنهاجيّ بهٰذا الاسم .

(4) بلّاره : انظر إدريس ، 312 .

(5) في المخطوط وردت حاشية تعرّف بعليّ بن يحيى : ولد بالمهديّة يوم الأحد نصف صفر سنة تسع وسبعين وأربعمائة . وولي إفريقيّة بعد موت أبيه يحيى . ومات يوم الثلاثاث لسبع من ربيع الآخر سنة خمس عشرة وخمسمائة . وله شعر .

(5) الآمر العبيديّ (495 – 524) . انظر الخطط 4/ 315 .

ومات .

فتزوّجت بّلارة بعد وفاته بعليّ بن السلّار الملقّب بالعادل [1] ، الوزير . فسعِد بها وعلا شأنه . وشبّ عبّاس فقدّمه الخليفة الحافظ لدين الله وجعله صاحب الباب .

فلمّا مات الحافظ في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين خمسمائة وٱستخلف من بعده آبنه أبو المنصور إسماعيل الظافر بأمر الله [2] ، خلع على [نجم الدين سليمان بن محمد] بن مصال وأقامه في الوزارة . [فـ]سخط ذلك المظفّر عليّ بن السلّار ، وهو يومئذ والى الغربيّة [3] . وسار فرافقه عبّاس وتوجّه معه إلى القاهرة واستقرّ في وزارة الظافر . فخرج عبّاس بعسكر إلى محاربة الوزير نجم الدين سليمان ابن مصال إلى دَلاص [4] ، وقاتل ابن مصال حتّى هزم مَن معه وحرق جامع دلاص وقد ٱمتنع به قوم من لواته وكثير من السودان حتّى أتلفَهم ، وأسر ابن مصال وقتله وحمل رأسه ، ودخل إلى القاهرة ، وولده نصر بن عبّاس يحمل الرأس على رمح .

وأقام بالقاهرة ونُعت بـ« ركن الإسلام » إلى أن قوِي الإفرنج ونازلوا عسقلانَ في البرّ والبحر . فجهّز العادل ابن السلّار العساكر وسيّرها مع ركن الإسلام عبّاس . فخرج ومعه من الأمراء ملهم والضرغام وأسامة بن منقذ [5] في عدّة .

وكان أسامة خصيصا بعبّاس . فحسّن له ، وقد نزلوا على بلبيس ، أن يعمل في أخذ الوزارة من العادل بأن يبعث ابنه ناصر الدين نصر بن عبّاس إلى

---

(1) العادل عليّ بن السلّار الكرديّ : انظر الوفيات 3/ 416 وأعلام النبلاء ، 20/ 281 (189) .
(2) الظافر العبيديّ (544 – 549) ، له ترجمة في المقفّى : رقم 773 .
(3) في ابن ميسّر ، 90 – 95 : والي الإسكندريّة .
(4) دلاص : على غربيّ النيل بصعيد مصر معدودة في كورة البهْنَسي (ياقوت) .
(5) أسامة بن منقذ (ت 584) : له ترجمة في المقفّى : رقم 711 .

القاهرة ليتحدّث مع الظافر في ذلك ، فوافق هٰذا غرض عبّاس . وبعث ابنَه فكان من قتله العادل ما قد ذكر في ترجمته [1] .

فكتب الظافر إلى عبّاس فحضر من بلبيس وتقلّد وزارة مصر بعد زوج أمّه العادل علي بن السلّار في يوم الجمعة سابع المحرّم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة [. . .] والأتراك قد استوحشوا من قتل ابن السلّار ، فلم يجد سبيلاً إلى تلافي أمرهم . وخرجوا يداً واحدة إلى دمشق وبطل مسير العساكر إلى عسقلان . [21ب] فسرَّ الفرنجَ ما وقع بالقاهرة وقالوا لأهل عسقلان ، وهم على حصارهم / : إنّ سلطانكم قد قتله آبنُه . فأنتم لمَن تقَاتلون ؟ ففترت عزائمهم عن القتال إلى أن أخذ الفرنج عسقلان .

واستبدّ عبّاس بأمر الدولة وضبط الأمور وأكرم الأجناد ، وأحسن إلى الأمراء إلى أن قتلَ آبنُه نصر بن عبّاس الظافر . فصعِد العبّاس إلى القصر يوم الخميس على العادة وجلس في مقطع الوزارة ينتظر الخليفة الظافر حتى طال جلوسُه فاستدعى بِمفلح زمام القصر وقال له : ان كان لمولانا شغل عُدْنَا إليه في الغد .

فمَضى الزمام وهو حائر . وأعلم أخوَي الظافر يوسف وجبريل بالقصّة ، فمَا شكّا في قتل الظافر ، فعاد إليه . وكان من إقامته عيسى بن الظافر ونعته بـ«الفائز» [2] ما ذكر في خبره . فظنّ أنّ الأمرَ قد آستقام له ، فأتاه ما لم يحتسبه ، وأخذ أهل القصر في إعمال الحيلة عليه ، فاختلف عليه الأمراء والسودان ونافروه لما آشتهر من قتل ابنه نصر بن عبّاس للخليفة الظافر . وهاجت الفتنة وصارت العساكر أحزاباً ، ولبسوا سلاحهم . فخرج عبّاس لقتالهم في يوم الاثنين عاشر ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين وخمسمائة وكسرهم وقتل منهم جماعة .

---

(1) ترجمة العادل ابن السلّار مفقودة . والقاتل هو نصر « قتله غيلةً على فراشه » .
(2) ترجمة الفائز كذلك ساقطة من المقفّى .

فبعثَت عمّةُ الفائز إلى طلائع بن رزيك والي الأشمونيين والبهنسي تستدعيه لأخذ ثأر أخيها الظافر ، فحشد وسار من منية بني خصيب . فبعث إليه عبّاس عسكراً في عاشر ربيع الآخر نزل على إطفيح ، فخالف عربُ إطفيح على عبّاس ولحقوا بطلائع وهو على أَبْوَيْط ، فسار بهم إلى دهشور[1] . فآضطرب عبّاس وآنحلّ عنه الناس يريدون لقاء طلائع ، وناكده أهل القاهرة بحيث إنه مرّ في يوم فأُلقِيَ عليه من طاق في الشارع هاوون ورُمِيَ مرّةً بقِدر قد مُلِئَت بطعامٍ حارّ ، فقال : « ما بقي بعد هٰذا من شيء » وهمّ بالفرار فوجد أبواب القاهرة مغلقة .

ثمّ دبّر أمره وخرج ومعه آبْنُه نصر ، وأسامة بن منقذ ، ومعهم جميع أموالهم . فأخذ طلائع القاهرة ، ونهبت دور عبّاس وولدِه وأتباعه .

وسار عبّاس على طريق أيلة[2] فبعثت عمّة الفائز إلى الفرنج بعسقلان تعلمهم الحال وتبذل لهم المال . فخرجوا إلى عبّاس وقاتلوه . ففرّ عنه أسامة بن منقذ ومعه أصحابه . وبقي يُقاتل حتى قُتل يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وأُسِر آبنه نصر وحمل إلى القاهرة .

وحكي أنّ عبّاساً جلس للمنادمة . فلمّا أخذت الكأسُ منه قال : تبّاً لمَن يعتقِد إمامة هؤلاء ويقول إنّه لا يكون إمام إلّا بوصيّة . والله لقد قتلت الظافر[3] ولا علم له بذلك حتى يُوصي . وقد استعرضت أقاربه كالغنم إهانة وذَبحاً ، وقدّمت هٰذا الملقّب بالفائز ، وعمره خمس سنين ، وعلى يدينا ذهبت دولتهم بالمغرب ، وكذلك تذهب بالمشرق – فقتله الله وقتل ولده بالظافر .

1434 – أبو علي ابن الجرّاح الكاتب [275 – 348][4]

[22أ] / عبد الرحمان بن عيسى بن داود بن الجرّاح بن مهاجر ، أبو عليّ ،

(1) إطفيح وأبويط ودهشور من قرى الصعيد الأدنى على النيل (ياقوت) .
(2) أيلة على البحر الأحمر ممّا يلي الشام (ياقوت) .
(3) رأينا أنّ قاتل الظافر هو نصر ، فلعلّه يعني : دبّرتُ قتلَه .
(4) الوافي ، 18 / 214 (259) .

الكاتب ، الوزير .

مولده ليلة الجمعة سلخ شهر رمضان سنة خمس وسبعين ومائتين . وتصرّف بين يدي أخيه علي بن عيسى بن الجرّاح ، وفي تقلّد الدواوين معه وبه .

وكتب لمؤنس المظفّر ، وخرج معه إلى مصر ، فدخلها يوم الخميس الخامس من المحرّم سنة ثمان وثلاثمائة ، وخرج في سادس ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة .

فلمّا قبض على الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة خُلع على عبد الرحمان هٰذا خِلع الوزارة بعدَه في يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، وقال له أمير المؤمنين الراضي بالله أبو العبّاس محمد بن المقتدر : قد قلّدتُك وزارتي ودواويني .

فركب ومعه الجيش إلى داره . وكان قد قيل لأخيه في أن يستوزر فاستعْفَى فأعفيَ .

وباشر الوزارة شهرين وثلاثة أيّام فعجز عن تمشية الأمور لقلّة الأموال وٱنقطاع الموادّ ، فإنّ أبا بكر ابن رائق[1] كان قد استولى على واسط والبصرة ، والبريديّين[2] استولَوا على الأهواز ، وعلي بن بويه على فارس .

فقبض عليه وعلى أخيه وٱعتقلا في يوم الاثنين لسبع خلونَ من رجب . وبقي إلى أن مات يوم الجمعة تاسع شعبان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

1435 – ٱبن قَحزم الخولانيّ [– بعد 88][3]

[22ب] / عبد الرحمان بن عمر بن صعد بن قحزم الخولانيّ ، أبو معاوية .

روى عنه ربيعة بن سيف . ولمّا وفد عبد الله بن عبد الملك بن مروان على

---

(1) ابن رائق : ترجمة 2256 .

(2) بنو البريدي أحمد (ت 333) ويعقوب (ت 332) وأبو الحسين (ت 333) لهم ترجمة مشتركة في دائرة المعارف ، 1/ 1078 .

(3) الكندي ، 59 ، 326 .

(4) الوليد بن عبد الملك ، تولّى الخلافة سنة 86 .

أخيه [4] آستخلفه على مصر ، وذلك في صفر سنة ثمان وثمانين .

1436 – ابن غَنم الأشعريّ « صاحب معاذ » [– 78] [1]

عبد الرحمان بن غَنم بن كريب بن هانيء بن ربيعة بن عامر بن [عديّ] بن وائل ، الأشعريّ .

آختلف في صحبته ، فقال الليث بن سعد وعبد الله بن لهيهة إنّ له صحبةً . ويقال إنّه قدم على النبيّ ﷺ . وقيل : كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يرَه ولم يَقدم عليه .

ولازم معاذ بن جبل منذ بعثه النبيّ ﷺ إلى اليمن ، إلى أن مات في خلافة عمر رضي الله عنه ، فعرف بـ « صاحب معاذ » لملازمته له .

وسمع من عمر بن الخطّاب . وكان أفقه أهل الشام ، وهو الذي فقّه عامّة التابعين بالشام . وكانت له جلالة وقدر .

وهو الذي عاتب أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص في انصرافِهما من عند علي رضي الله عنه رسولَين إلى معاوية ، فكان ممّا قال لهما : عجبت منكمَا كيفَ جاز عليكما ما جئتما به تدعوان عليًّا إلى أن يجعلها شورى ، وقد علمتُما أنّه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق ، وأنَّ مَن رضيَه خيرٌ ممّن كرهَه . ومَن تبعَه خيرٌ ممّن لم يُتابِعْه . وأيّ مدخلٍ في الشورى لمعاوية ، وهو من الطلقاء ، الذين لا تجوز لهم الخلافة ، وهو وأبوه رؤوس الأحزاب .

فندما على مسيرهما وتابا منه بين يديه .

وقال أبو زُرعة الدمشقي [2] : ناظرت دُحَيْماً [3] [فـ]ـقلت : الطبقة التي

---

(1) أسد الغابة رقم 3370 – مختصر آبن عساكر ، 15/ 7 (1) – الوافي ، 18/ 217 (262) .

(2) أبو زرعة : عبد الرحمان بن عمرو (ت 208) .

(3) دحيم : عبد الرحمان بن إبراهيم (ت 245) – الأعلام ، 4/ 64 .

أدركت رسول الله ﷺ ولم تره ، مَنِ المُقَدَّم ؟ الصنَابِحِيّ[1] أو ابن غنم ؟

قال : ٱبن غَنم ، وهو رجلُ أهلِ الشام .

وذكره غيرُ واحدٍ في كبارِ التابعين . وقد روى عنه أبو إدريس الخولانيّ وجماعة من تابعي أهل الشام .

[23ب] وقدم مصر / مع مروان بن الحكم سنة خمس وستين . ومات سنة ثمان وسبعين .

1437 - ٱبن القاسم صاحب مالك [132 - 191][2]

[24أ] / عبد الرحمان بن القاسم بن خالد بن جُنادة بن زُبيد بن الحارث ، أبو عبدالله ، العتقيّ ، المصريّ ، الفقيه ، أحد أصحاب مالك .

كان زُبَيد من حجر حِمير ، وذلك أنّ العتقاء إنّما هم جماع فيهم من حَجر حمير ، ومن سعد العشيرة ، ومن كنانة مصر وغيرهم . وكان سعيد بن الجهم الحميَري يقول لعبد الرحمان بن القاسم : « أنت منّا » ، أي إنّ زُبَيد بن الحارث حميَري .

ولد عبد الرحمان سنة ٱثنتين وثلاثين ومائة . وقيل : ولد في سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وقيل : سنة ثمان وعشرين ومائة .

وروى عن مالك ، وبكر بن مضر ، ونافع بن أبي نعيم القارئ ، وأبي شريح عبد الرحمان بن شريح ، وسفيان بن عُيَينة وجماعة .

وروى عنه : سعيد بن عيسى بن بليد ، وأصبغ بن الفرج ، وعبدالله بن

---

(1) الصنابحيّ : عبد الرحمان بن عسيلة المراديّ - أعلام النبلاء ، 3/ 505 (117) .

(2) الديباج ، 146 - الوفيات 3/ 129 - شذرات 1/ 329 - رياض النفوس 1/ 255 - 261 - الوافي ، 18/ 219 (266) - حسن المحاضرة ، 1/ 303 . أعلام النبلاء ، م 9/ 120 (39) .

عبد الحكم ، وولدُه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ومحمد بن سلمة المرادي ، وأبو زيد بن أبي الغمر ، وسحنون بن سعيد ، وعيسى بن إبراهيم بن مثرود ، وأبو الطاهر بن السرح ، وآخرون . وقد خرّج له البخاري والنسائيّ .

قال أبو زُرعة : ثقة رجل صالح عنده ثلاثمائة جلد أو نحوه عن مالك مسائل ممّا سأله أسد . كان سأل محمد بن الحسن عن مسائل سأل ابنَ وهب أن يخبرَه بمَا كان عنده عن مالك وما لم يكن عنده عن مالك فمن عِندِه . فلم يفعل . فأتى آبن القاسم فتوسّع له فأجابه . على هٰذا فالناس يتكلّمون في هٰذه المسائل .

وقال النسائيّ : ثقة مأمون ، أحد الفقهاء .

وعن آبن القاسم أنّه قال : رأيتُ في النوم كأنّه يقال لي : أنّ الله يصلّي عليك وعلى سعيد بن زكريّا ، يعني سعيد الأدم[1] .

وقال : كنت بالإسكندريّة فرأيت كأنّي آصطدت بَازاً فقصصته فإذا جوفهُ مملوءًا جوهراً . فجئْت إلى / آبن سعيد ففسرّت عليه رؤياي ، فقال : لعلّك [24ب] حدّثت نفسَك بشيء من طلب العلم ؟

(قال) قلت : هو ذاك .

قال : من الذي ذكرت ؟

فقلت له : مالك .

فقال لي : هو بازك الذي صدته .

وقال أحمد بن معاوية عن الحرث [. . .] - وذكر آبن القاسم - و [. . .] على علم مالك ، قال : سمع من سفيان أحاديث فكتبها في ألواحه ، ثمّ سمع من مالك شيئاً فمَحا أحاديث سفيان وكتب ما سمع من مالك . (قال)

---

(1) سعيد الأدم : متعبّد مصريّ (ت 207) - تهذيب التهذيب 1 / 295 .

وقال ابن القاسم : رجلان أقتدي بهما في ديني : سليمان بن القاسم في الورع ، ومالك بن أنس في العلم . وكان من دعاء ابن القاسم : اللهمّ امنع الدنيا منّي وامنعني منها بمَا منعتَ به صالحَ عبادك !

وقال مالك ، وذكر له ابن القاسم فقال : عافاه الله ، مثَله كمثَل جرابٍ مملوءٍ مسكا .

وعن أبي الطاهر بن السرح قال : سمعتُ خالي قال : رأيتُ في المنام قائلاً يقول : لا يُفتي الناسَ إلّا ابن القاسم المهذّب .

وعن ابن القاسم أنّه قال : خرجت إلى مالك اثنتي عشرة خرجة ، أنفقتُ في كلّ خرجة ألف دينار .

وصحب مالك عشرين سنة . وانتفع به أصحابه بعد موت مالك . وهو صاحب المدوّنة في مذهب مالك رحمه الله .

وكان ابن القاسم كبير أصحاب مالك ورأسَهم ، مع الدين والزهد .

قال الحرث بن مسكين [1] ، وذكر ابن القاسم : كان في الزهد والورع شيئاً عجيباً .

وسئل مالك عن ابن وهب وابن القاسم فقال : ابن وهب رجل عالم ، وابن القاسم فقيه .

وعن أسد بن الفرات : كان ابن القاسم يختم كلّ ليل ويوم ختمتين ، فترك لي حين جئته ختمة رغبة في إحياء العلم .

وتوفّي ابن القاسم في ليلة الجمعة لسبع مضَين من صفر سنة إحدى وتسعين ومائة . ودفن بالقرافة قبالة قبر أشهب .

---

(1) الحرث بن مسكين : انظر ، الكندي ، 502 (ت 250) ، وهو من قضاة مصر . وله ترجمة في المقفّى رقم 1114 .

ورآه سحنون في نومه فقال : ما فعل الله بك ؟

فقال : وجدت عنده ما أحببتُ .

قال : فمَا وجدتَه أفضَلَ ؟

قال : تلاوة القرآن .

قال : فالمسائل ؟

فاشار بأصبعه يليّشُها [1] . فسأله عن ابن وهب فقالَ : هو في علّيين .

1438 – ابن المسجف العسقلانيّ [583 – 636][2]

/ عبد الرحمان بن أبي القاسم بن غنائم بن يوسف ، بدر الدين ، أبو [25 أ] محمد ، المعروف بآبن المسجّف ، العسقلانيّ .

ولد في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . ومات بدمشق في [...] المحرّم سنة ستّ وثلاثين وستّمائة .

وقدم القاهرة وأقام بها .

1439 – عبد الرحمان آبن الأشعث [– 84]

/عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن [26 أ] جبلة بن عديّ بن ربيعة بن الحارث الأصغر ، آبن الحارث الأكبر ، ابن معاوية آبن ثور بن مرفع بن معاوية بن ثور بن عفير بن عدي بن مرّة بن أدد بن زيد بن [. . .]، الكنديّ ، أبو[. . .] ، آبن أبي القاسم ، آبن أبي محمّد .

(1) كلمة غير مفهومة ، وكأنها منحوتة من لا شيء .

(2) الوافي ، 18/ 220 (267) وقال : الأديب ، الشاعر ، وأكثر شعره في الهجو . ووفاته فيه سنة 635 .

أسلم جدُّه الأشعث بن قيس سنة عشر بعدما كان في الجاهليّة رئيسا مطاعا في كندة ، فبقي في الإسلام وجيها في قومه ، إلّا أنّه آرتدّ عن الإسلام بعد موت النبيّ ﷺ فأُتيَ به أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه أسيراً فأسلم . وزوّجه أبو بكر بأختِه أم فروة بنت أبي قحافة ، فولدت له محمد بن الأشعث .

فلمّا آستخلف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، خرج الأشعث مع سعد بن أبي وقّاص إلى العراق فشهد القادِسيّة والمدائن وجلولاء ونهاوند ، ونزل الكوفة في دار آختطّها .

ثمّ شهد تحكيمَ الحكَمين . ومات بالكوفة سنة أربعين ، وقيل آثنتين وأربعين .

وآبنه محمد روى عن عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعائشة . وحدّث عنه الشعبيّ ومجاهد . وخرّج له أبو داود والنسائيّ . وقتله المختار بن أبي عبيد الثقفيّ سنة سبع وستّين في محاربته لمصعب بن الزبير ، وكان محمد مع مصعب يستنفر الناس لقتال المختار ويحرّض عليه ويقاتله بأصحابه وقومه .

وأمّا عبد الرحمان بن محمّد فإنّه ولد [. . .][1] .

ثمّ بعثه بشر بن مروان بكتاب مدداً لخالد بن عبد الله بن أسيد القسريّ ، وهو يقاتل الخوارج . فسار في جيش كثيف إلى خالد وقاتل معه قطريّ بن الفجاءة وأبلى بلاءً حسناً ، وصرع يومئذ هو ويزيد بن المهلّب بن أبي صفرة فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا / . [26ب]

فلمّا كانت سنة تسع وسبعين أغزى الحجّاج بن يوسف عبد الله بن أبي بكْرة رتبيل[2] ، وكان على سجستان ، فغَنِم ، وهدم حصونا ، وغلب على بعض أراضي

---

(1) انظر فصل دائرة المعارف الإسلاميّة 3 / 737 – الوافي ، 18 / 225 (273) – ويأتي هٰنا بياض بقدر ستّة أسطر .

(2) أنظر : الكامل 4/ 72 . وفي هٰذا الاسم اختلاف بسطه ش . بلّا في المروج ، 6/ 358 تحت : زنبيل .

الترك . ثمّ ألجؤوه حتى صالحهم ونجا بِمَن بقيَ معه وكتب إلى الحجّاج فٱستأذن عبد الملك بن مروان في تسيير العساكر فأذن له . فأخرج من أهل الكوفة عشرينَ ألفَ فارس ، ومن أهل البصرة عشرين ألفَ فارس ، وأعطاهم عطاءهم كاملا ، وأنفَق فيهم ألفَي درهم سوى أعطياتهم ، وألزمهم أن يسيروا بالخيول الرائقة والسلاح الكامل ، وقدّم عليهم عبد الرحمان بنَ محمد بن الأشعث مع بغضه له . وقال : « ما رأيته قطّ إلّا أردت قتله » . فبلّغ عامر الشعبيّ ذلك له فقال : والله لأحاولنّ أن أزيل الحجّاج عن سلطانه .

فأتى إسماعيل بن الأشعث الحجّاج وقال له : لا تبعث عبد الرحمان ، فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوالٍ عليه طاعةً ، وإنّي أخافُ خلافَه .

فقال : هو أهيبُ لي من أن يخالِف أمري .

وسيّره في سنة ثمانين فمَضى حتّى قدمسجستان. فجمع أهلها وقام خطيباً فقال : إنّ الحجّاج ولّاني أمركم ، وأمرني بجهاد عدوّكم الذي ٱستباح بلادكم . فإيّاكم أن يتخلّفَ منكم أحدٌ فتمَسَّهُ العقوبة !

فعسكروا معه . وسار بهم ، فبعث إليه رتبيل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه ومضى ، فلم يلقه رتبيل وترك بلاده . فٱحتوى عليها عبد الرحمان ، وملك حصونها وبثّ عمّالَه في الأعمال وندب معهم الأعوان وأقام على العِقاب والشعاب أرصاداً ووضع في كل مكان مخوف مسلحةً ، فحوى أرضاً عظيمةً وٱمتلأت أيدي من معه على كثرتهم بالغنائم العظيمة .

ثمّ أمسك عن المسير ومنع الناس من التوغّل في أرض الترك وقال : نكتفي بِما قد أصبناه العامَ من بلادهم حتّى نَجبيَها ونعرفَها ويجترىءَ المسلمون على طَرقها . وفي العام المقبل نأخذ ما وراءها إن شاء الله تعالى حتّى نُقاتلهم في آخر ذلك على كنوزهم في آخر بلادهم .

وكتب بِما فتح الله عليه إلى الحجّاج وعرّفه ما عزم عليه . فكتب إليه : إنّ

كتابك كتابُ أمرىءٍ يحبّ الهدنة ويستريح إلى الموادعة ، قد صانَعَ [عدوًّا] قليلا ذليلا قد أصابوا للمسلمين جندًا كان بلاؤهم حسنا وغَناؤهم عظيماً . وإنّك حيث تكفّ عن ذلك العدوّ جندي وحدك لتسخو نفسك بمن أصيب من المسلمين . فأمضِ لمَا أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مُقاتليهم وسبيِ ذراريهم !

[27أ] ثمّ / أردفه بكتاب ثان وفيه : أمّا بعد ، فمُر مَن قِبلَك من المسلمين فليحرثوا ويقيموا بها فإنّها دارُهم حتى يفتحها الله عليهم .

وكتب كتَابا ثالثا بَمعناهُما وفيه : إن مضيتَ لمَا أمرتك ، وإلّا فأخوك إسحاق بن محمد أمير الناس !

فدعا عبد الرحمان الناس وقال لهم : إنّي لكم ناصح ، ولصلاحكم محبّ ، ولكم في كلّ ما يحيط به نفعُكم ناظر . وقد كان رأيي فيمَا بيني وبين عدوّكم ما رضِيَتْه ذوو أحلامِكم وأولو التجربة منكم . وكتبت بذلك إلى أميركم الحجّاج . فأتاني كتابه يعجّزني ويضعّفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم إلى أرض العدوّ . وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمْس . وإنّما أنا رجل منكم أمضِي إذا مَضَيتم وآبى إذا أبَيْتُم .

فثار اليه الناس وقالوا : بل نأبى على عدوّ الله ولا نسمع له ولا نطيع !

وكان أوّل من تكلّم أبو الطفيل عامر بن واثلة – وله صحبة – فقال بعد حمد الله : أمّا بعد ، فإنّ الحجّاج يرى بكم ما رأى القائل الأوّل : آحمل عبدَك على الفرس ، فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك ! إنّ الحجّاج لا يبالي أن يخاطر بكم فيقحمَكم بلايا كثيرةً ويغشّي بكم اللهوب واللصوب . فإن ظفرتم وغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادةً في سلطانه . وإن ظفر عدوّكم كنتم أنتم الأعداءَ البغَضاءَ الذين لا يبالي عنَتهم ولا يُبقي عليهم . آخلعوا عدوَّ الله الحجّاج وبايعُوا الأمير عبد الرحمان ، فإنّي أُشهِدكم أنّي أوّلُ خَالِع !

فنادى الناس من كلّ جانب : فعلنا ! فعَلنا ! قد خلعنا عدوَّ الله !

وقام عبد المؤمن ين شيث بن ربعي ثانيا فقال : عبادَ الله ، إنّكم إن أطعتم الحجّاج جعل هٰذه البلاد بلادَكم وجمّركم تجمير فرعون الجنود . فإنّه بلغني إنّه أوّل من جمّر البعوث[1]. ولن تعاينوا الأحبّةَ أو يموتَ أكثرُكم فيمَا أرى . فبايعُوا أميركم وانصرفوا إلى عدوّ الله الحجّاج فانفُوهُ عن بلادكم !

فوثب الناس إلى عبد الرحمان فبايعوه على خلع الحجّاج ونفيه من العراق وعلى النصرة له . ولم يذكروا عبد الملك بن مروان .

فجعل عبد الرحمان على بُست عياض بنَ هميان الشيباني ، وعلى زرنج[2] عبد الله بن عامر التميميّ ، وصالَحَ رتبيل على أنّه إن ظهر على الحجّاج أسقط عنهُ الخراج أبداً ما بقيَ ، وإن هزم وصار إليه منعَه .

فلمّا ثمّ ذلك قفل عبد الرحمان إلى العراق ، وسار وبين يديه أعشى همدان ، وهو يقول [رجز] :

شطت نوى مَن داره بالإيوان	إيوان كسرى ذي [القرى] والريحان
من [عاشق] أمسى بزابلسان	إنّ ثقيفاً منهم الكذّابان / [27ب]
كذّابُها الماضي وكذّاب ثان	أمكن ربّي من ثقيف همدان
يوماً إلى الليل يُسلّي ما كان	إنّا سمونا للكفور الفتّان
حين طغى في الكفر بعد الإيمان	بالسيّد الغطريف عبد الرحمان 5
سار بجمع كالدبى من قحطان	ومن معدّ قد أتى ابن عدنان
بجحفلٍ جمّ شديد الأركان	فقلْ لحجّاج وليّ الشيطان
يثبت لجمع مذحج وهمدان	فإنهم ساقوه كأس الذيفان[3]

ومِلحقوه بقرى ابن مروان

(1) تجميرُ العساكر : حبسُهم في الثغور ومنعهم من العود إلى أهليهم . قال عمر (رضه) : لا تجمّروا الجيش فتَفتِنوهم (اللسان : جمر) وفيه أنّ كسرى جمّر بعوث فارس .

(2) بست : من أعمال كابل ، وزرنج : قصبة سجستان (ياقوت) .

(3) الأبيات عند الطبريّ ، 6/ 337 ، وفي الأغاني 6/ 58 ، وفي الكامل 4/ 78 .
والذيفان : السمّ .

وجعل عبد الرحمان على مقدّمته عطيّة بن عمرو العنبريّ ، وبعث على كرمان خرشة [1] بن عمرو التميميّ .

فلمّا بلغ فارس ٱجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : إذا خَلَعْنا الحجّاج عاملَ عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك .

فثار أبجر [2] بن تيم الله بن ثعلبة وقال : أيّها الناس إنّي خلعتُ أبا الذبّان [3] كخلْعي قميصي .

فخلعه الناس إلّا قليلاً منهم ، وبايعوا عبد الرحمان على كتاب الله وسنّة نبيّه ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم ، وجهاد المُحِلّينَ .

فلمّا بلغ الخبرُ إلى الحجّاج كتب إلى عبد الملك يعلمه ، وسألَه تعجيلَ إنفاذ الجيوش إليه . وسار إلى البصرة ، وجيوش عبد الملك تصل إليه شيئاً بعد شيءٍ حتّى تكاملت عنده . فسار إلى تُستر وقدّم خيلا فلقُوا طليعة عبد الرحمان وقاتلوهم قتالا شديداً . فٱنهزم أصحاب الحجّاج في يوم الإضحى سنة إحدى وثمانين وقُتل منهم جمع كبير . فعاد الحجّاج إلى البصرة ، وتبعَه أصحاب عبد الرحمان فقتلوا منه وأصابوا بعض أثقاله ، فلم ينزل بالبصرة وتركها وعسكر بالزاوية . وفرَّق في أصحابه مائة وخمسين ألف ألف درهم .

فأقبل عبد الرحمان إلى البصرة وٱستولى عليها بغير مدافع ، وبايعَه جميع أهلها من القرّاءِ والكهول وغيرهم على حرب الحجّاج وخلع عبد الملك في آخر ذي الحجّة [سنة 81] . وخندق عبد الرَّحمان على نفسه كَما خندق الحجّاج .

وٱلتقى الجمعان في المحرّم سنة ٱثنتين وثمانين فاقتتلوا قتالاً شديداً تزاحفوا فيه عدّة دفعات . وٱشتدّ قتالهم في آخر المحرّم ، فٱنهزم اصحاب الحجّاج حتى ٱنتهَوا إليه وقاتلوا على خنادقهم . ثمّ تزاحفوا آخرَ يوم من المحرّم فتقوّضت صفوف الحجّاج ،

---

(1) في الكامل 4/ 79 : حريثة . وعند الطبريّ ، 6/ 337 : خرشَة كما في المخطوط .
(2) في الكامل : تيجان من أبجر .
(3) في المعارف ، 355 : يكنّى أبا الذِبّان لبخَره ورشحَ الحجَر لبُخلِه .

وجثا على ركبتيه وعزم على أن لا يفرّ . فحمل سفيان بن الأبرد [الكلبي] على ميمنة عبد الرحمان فهزمها ، فأنهزم الجميع وأقبلوا مع عبد الرحمان نحو الكوفة ، وقد قتل منهم خلق كثير ، فيهم جماعة من القرّاء – ثمّ قتل الحجّاج منهم غدرًا أحد عشر ألفَ رجل – فسمّيتَ هٰذه الوقعةُ / وقعةَ الزاوية . [28أ]

فأقاموا صفر ، وعبد الرحمان بالكوفة ، وقد أستولى على القصر ، واستمرّ الحال إلى شعبان من هٰذه السنة [سنة 82] – وقيل : من سنة ثلاث وثمانين .

فسار الحجّاج من البصرة ونزل دير قرّه قريباً من الكوفة . فبرز إليه عبد الرحمان من الكوفة وعسكر بدَيْر الجماجم فتطيّر الحجّاج على عبد الرحمان .

وأجتمع على عبد الرحمان أهل الكوفة والبصرة والقرّاء وأهل الثغور . وأجتمع مع الحجّاج أمدادُه من أهل الشام ، وخندق كلّ منها على نفسه ، وأقتتلوا كلّ يوم .

فبعث عبد الملك بأبنه عبد الله وبأخيه محمد ، فعرضا على أهل العراق عزلَ الحجّاج . وأن تجرى عليهم أعطيائُهم كمَا تجرى على أهل الشام ، وأن ينزل عبد الرحمان أيّ بلدٍ شاء من العراق فيكون واليا عليه ما دام حيّاً ، وعبد الملك خليفة .

فأجتمعوا عند عبد الرحمان فقال لهم : قد أعطيتم أمرًا انتهازُكُم اليوم إيّاه فرصة . فإنّكم اليوم على النَّصَف . فإن كانوا أعتدُّوا عليكم بيوم الزاوية فأنتم تعتدّون عليهم بيوم تستر . فأقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزّاء أقوياء ، فالقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون ، فوالله لا زلتم عليهم أجرياء وعندهم أعزّاء أبداً ما بقيتُم إن أنتم قبلتُم .

فوثب الناس من كلّ جانب فقالوا : إنّ الله قد أهلكهم فأصبحوا في المجاعة والضنك والقِلّة والذلّة ، ونحن ذوو العددِ الكثير والسعر الرخيص والمادّة القريبة . لا والله ، لا نقبل !

وأعادوا خلعه مرّةً ثانيةً ، فكان هٰذا الخلع أكثرَ جمعاً من خلعهم بفارس . وقال عبد الرحمان : ألا إنَّ بني مروان يعيّرون بالزرقاء . والله ما لهم نسَب أصحّ منه ! ألا إنَّ بني أبي العاص أعلاج من أهل صفوريّة[1]. فإن يكن هٰذا الأمر في قريش فعنّي [تقشّرت] بيضة قريش ، وإن يكن في العرب ، فأنا ٱبن الأشعث ! – ومدّ بها صوتَه ليسمع الناس .

وبرزوا للقتال وعلى ميمنة عبد الرحمان الحجّاج بن حارثة الخثعميّ ، وعلى ميسرته الأبرد بن قرّة التميميّ ، وعلى خيله عبد الرحمان بن العبّاس بن ربيعة الهاشميّ . وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقّاص ، وعلى القرّاء جبَلة بن زحر ٱبن قيس الجعفيّ ، وفيهم سعيد بن جبير ، وعامر الشعبيّ ، وأبو البختريّ الطائيّ . وعبدُ الرحمان بن أبي ليلى .

وتزاحفوا كلّ يوم ، وعبد الرّحمان يأتيه مددُه وموادّه من الكوفة وسوادها فهو وأصحابه في خصب ، والحجّاج ومن معه في ضيق شديد قد غلت عندهم / [28ب] الأسعار وفقد اللحم .

وأبلى القرّاء في القتال بلاء عظيماً . ونادى جبلة بن زحر : يا عبدَ الرحمان ٱبن أبي ليلى ، يا معشر القرّاء ، إنّ الفرار ليس بأحدٍ أقبحَ به منكم . إنّي سمعتُ عليّ بنَ أبي طالب ، رفع الله درجته في الصالحين وأثابه ثواب الصدّيقين والشهداء ، يقول يوم لقِينا أهل الشام : أيّها المؤمنون ، إنّه من رأى عدوانا يُعمل به ومُنكرا يُدعى إليه فأنكرَه بقلبه فقد سلم وبرِيء . ومن أنكره بلسانه فقد أجر[2] ، وهو أفضل من صاحبه . ومن أنكره بالسيف لتكونَ كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهُدَى ونوّر قلبه باليقين . فقاتلوا هؤلاءِ المحِلّينَ المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحقّ فلا يعرفو[نـ]ـه ، وعلموا بالعدوان فلا ينكرو[نـ]ـهُ .

(1) صفوريّة : قرب طبريّة بالأردن (ياقوت) . هذا ولم نجد تعليلا لنبز المروانيّين بالزرقاء .
(2) في الكامل : 4 / 85 : أجسر .

وقال أبو البختري : أيّها الناس ، قاتلوهم على دينكم ودنياكم !

وقال الشعبيّ : أيّها الناس ، قاتلوهم ولا يأخذكم حرَجٌ من قتالهم ، فوالله ما أعلم على بسيط الأرض أعملَ بظلم ولا أجور في حكم منهم !

وقال سعيد بن جبير نحو ذلك .

وقال جبلة : آحملوا عليهم حملة صادقة ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفَّهم .

فحملوا حملة صادقةً وضربوا الكتائب حتّى أزالوها وفرّقوها . وتقدّموا إلى أن واقعوا صفّهم فأزالوه عن مكانه . فقتل جبلة ولم يعرف قاتله ، وحملت رأسُه إلى الحجّاج فبشّر أصحابَه بذلك . وجزع القرّاء لموته فقال أبو البختريّ : لا يظهرنّ عليكم الجزع ، فإنّما كان كرجل منكم أتَته منيّتُه فلم يكن ليتقدّم ولا يتأخّر .

فظهر الفشل فيهم ، وناداهم أصحاب الحجّاج : يا أعداء الله ، قد هلكتم وقد قُتل طاغِيتُكم !

فقدّم القرّاء عليهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وكان شجاعاً . فدخل عسكر الحجّاج فأخذ أصحابه ثلاثين آمرأة فأطلقهنّ فقال الحجّاج : منعوا نساءهم ، لو لم يردّوهنّ لسبيتُ نساءهم إذا ظهرت عليهم .

وآستمرّت الحرب مائة يوم وثلاثة أيّام من حين نزولهم بدَير الجماجم لليلة من ربيع الأوّل إلى أن كانت الهزيمة لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة .

فلمّا كان يوم الهزيمة آقتتلوا أشدّ قتال ، وآستظهر أصحاب عبد الرحمان على أصحاب الحجّاج ، فحمل سفيان بن الأبرد من ميمنة الحجّاج على الأبرد بن قرّة صاحب ميسرة عبد الرحمان فانهزم الأبرد من غير قتال ، فظنّ الناس أنّه قد بيّت معه أن ينهزم . وتقوّضت الصفوف من نحوه / وركب الناس بعضهم بعضاً . [29 أ]
فصعد عبد الرحمان المنبر فنادى الناس : إليّ عِبادَ الله ، فأتاه جماعة ، وقد ثبت

حتى دنا منه أصحاب الحجّاج فقاتلهم وقد دخل عليه أصحاب الحجّاج في عسكره فقال له عبد الله بن يزيد [بن المفضّل الأزدي] : انزل فإنّي أخاف عليك أن تؤسر ، ولعلّك إن ٱنصرفتَ أن يجتمعَ إليك جمعٌ يُهلكُهم الله به .

فنزل وٱنهزم بِمن معه لا يلوي على شيءٍ حتى أتى البصرة . فٱجتمع إليه المنهزمون وبايعه الناس على الموت ، وقد صار في جمع كبير . فعسكر بِمسكن[1] وخندق عليه وعلى أصحابه . فأتاه الحجّاج بعدما ملك الكوفة . واقتتلوا خمسة عشر يوماً من شعبان أشدّ قتال . فانهزم عبد الرحمان ، وقتل عبد الرحمان بن أبي ليلى الفقيه ، وأبو البختري في أربعة آلاف من الشجعان . ومرّ عبد الرحمان بن الأشعث نحو سجستان ، فأتبَعه الحجّاج بِٱبنه محمد بن الحجّاج على جيش فقاتلوه بالسوس ساعة فٱنهزم إلى سابور . وٱجتمع إليه الأكراد فقاتله جيش الحجّاج قتالاً شديداً فهزمهم ومضى إلى كرمان فلقيه عامله بالإنزال . ثمّ رحل إلى زرنج[2] فلم يمكّن منها ، فسار إلى بست وعليها من قِبله عياض بن هميان فٱستقبله وأنزله : فلمّا تفرّق أصحابُه قبضه وأوثقه ليبعث به إلى الحجّاج . وقد كان رتبيل ملك الترك قد سمع بِمقدمه ، فسار إليه ونزل على بست ، وبعث إلى عياض : والله لئن آذيتَه بِما يُقذي عينَه أو أخذتَ منه ولو حَبْلاً لا أبرح حتّى استنزلك وأقتلك وجَميعَ من معك وأسبي ذراريكم وأغنم أموالكم !

فخلّى عنه . وخرج إلى رتبيل فسار به إلى بلاده وأكرمه وعظّمه ولحق به جماعة من أصحابه وأشاروا عليه أن يسير عن سجستان إلى خراسان ، وبها يزيد ٱبن المهلّب . فسار إلى هراة ، فتركه عبيد الله بن عبد الرحمان بن سمرة في ألفَين ومضى عنه . فعزم على العود إلى رتبيل ، فتفرّق عنه معظم أصحابه وبقي في طائفة . فمضى إلى رتبيل ، فقال له علقمة بن عمرو الأودي : ما أريد أن أدخلَ معك إلى رتبيل لأنّي ٱتخوّف عليك وعلى مَن معك . والله لكأنّي بالحجّاج وقد

---

(1) زاد الطبريّ ، 6/ 366 : على دُجيل .

(2) السوس وسابور وزرنج بخوزستان (ياقوت) .

كتب إلى رتبيل يرغّبه ويرهّبه ، فإذا هو قد بعث بك سلماً أو قتلك . ولكنّ معي خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة فنتحصّن فيها حتّى نُعطى الأمان أو نموتَ كراماً .

ثمّ مضى بالخمسمائة . فتتابعت كتب الحجّاج إلى رتبيل في عبد الرحمان أن ٱبعثْه / إليّ وإلّا فوالذي لا إلاه غيره لأوطِئَنّ أرضك ألف ألف مقاتل ! [29ب]

وكان مع عبد الرحمان عبيد بن سبيع التميميّ – وكان رسوله إلى رتبيل – فخفّ عليه وتقرّب منه . فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمان : إنّي لا آمن غدرَ هٰذا التميميّ فٱقْتُلْه !

فخافه عبيد ووشى به [إلى] رتبيل وخوّفه الحجّاج ، وما زال به يحسن له الغَدْرَ بعبد الرحمان ، وضمن له أن يأخذ له من الحجّاج عهداً ليكفّ عن أرضه سبع سنين حتى أجابه ، وخرج سرّاً إلى عمارة بن تميم اللخميّ – وكان حصر علقمة والخمسمائة الذين معه – وذكر له ما استقرّ مع رتبيل وما بذل له ، فكتب عمارة بذلك إلى الحجّاج فأجابه إليه . فبعث رتبيل برأس عبد الرحمان إلى الحجّاج .

ويقال إنّه كان قد أصابه السلّ فمات فقطع رتبيل رأسه قبل أن يدفَنَ .

وقيل إنّ رتبيل لمّا صالح عمارة عن ٱبن الأشعث كتب إلى الحجّاج بذلك فأطلق لرتبيل خراج بلاده عشرَ سنين فأرسل حينئذ ليأخذ عبد الرحمان وثلاثين من أهل بيته فحصرهم وقيّدهم وبعث بهم إلى عمارة فألقى عبد الرحمان نفسه من سطح قصرٍ فمَات .

وقيل إنّه قام في الليل وهو في السّطح ليبوّل فردّى نفسه .

وقيل : بل سقط بسِنة النوم . فٱحتزّ رأسه وبعثه إلى الحجّاج فسيّره الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي فأرسل الرأس إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بِمصر فدفنه بها[1].

---

(1) فدخول ابن الأشعث مصر كان برأسه فقط .

وكان مهلك عبد الرحمان سنة أربع وثمانين ، وفيه يقول [بعض الشعراء] (كامل) :

هيهات موضع جثّة من رأسها   رأس بِمصر وجثّة بالرخَّج[1]

قال محمد بن الأشعث : لولا أربع خصال لمَا أعطيت بشريّاً طاعةً : لو ماتت أمّ عمرو - يعني أمّه - ولو شاب رأسي ، ولو قرأت القرآن ، ولو لم يكن رأسي صغيراً .

وخطب الناس بالمربد فقال : أيّها الناس ، أنّه لم يبقَ من عدوّكم إلّا كمَا يبقي من ذَنَب الوزغة تضرب به يميناً وشمالاً فلا تلبث أن تموت !

فسمعه بعض بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فقال : قبّح الله هٰذا ! يأمر أصحابه بقلّة الاحتراس من عدوّهم فيعدهم الغرور !

1440 - عبد الرحمان بن مُلْجِم - 40][2]

[30 أ] / عبد الرحمان بن مُلجِم - وٱسمُه يحيى - بن عمرو بن ملجم بن قيس ٱبن مكشوح بن نفر بن كلَدَة بن خُمَير ، المُراديّ ، أحد بني تدول .

ويقال فيه : الخُمَيريّ .

ويقال فيه : التجوبيّ ، لأنّ كلدة بن خُمَير أصاب دماً في قومه فأتى مراداً وأقام فيهم وقال : [جبت إليكم] فَسُميَ : تجوب . وأصله من زُبَيْر وله في مراد حِلف .

وذكر ٱبن يونس أنّه عبد الرحمان بن ملجم بن عمرو بن يزيد بن غونة بن

---

(1) الرخّج : مدينة من نواحي كابل (ياقوت) .

(2) الوافي ، 18 / 286 (340) - الأعلام ، 4 / 114 - النجوم ، 1 / 119 .

وجاء في أعلى الصفحة هٰذا التعليق : بنو ملجم ثلاثة : عبد الرحمان ويزيد وقيس . شهدوا ثلاثُتهم فتح مصر . وكانوا من فرسان تدُول المعدودين منهم .

نفر بن حجية بن تدول بن أنعم بن مراد . وتدول هو تدول بن زاهر بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد . وتدول وأنعم أخوان ٱبنا زاهر .

وقيل : تجوب فخذ في مراد مَذحج . وتجوب هٰذا رجل من حمير بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، كان أصاب دماً في قومه فلجأ إلى مراد فقال : جُبت إليكم الديار لأحَالفكم – فقيل له : أنت تجوب . – فسُمّيَ تجوبا[1] وهو في مراد من مَذحج رهط عبد الرحمان بن ملجم هٰذا . وعداده في مراد وهوحليف بني جبلة من كندة . وقيل : إنّ مراد أخواله .

قدم مع الأمداد في خلافة عمر بن الخطّاب (رضه) .

وقال ابن الكلبيّ : عبد الرحمان بن ملجم بن عمرو بن يزيد بن عُونَة بن نفر بن حجية بن تدول ، الذي قتل عليّ بن أبي طالب .

وقال البلاذريّ : عبد الرحمان بن ملجم الحميريّ ، وعداده في مراد . وهو حليف بني جبلة من كندة ، ويقال إنَّ مراد أخواله . شهد فتح مصر وٱختطّ بها مع الأشراف لأنّ عمرو بن العاص أمره أن ينزل قريباً منه – وكان فارسَ تدول

(1) جاءت هٰذه التدقيقات في هوامش الصفحة ، وأضافت ، بعد « فسمّي تجوبا » : وهو خلاف تُجيب أحد بطون كندة ، وهم ولد أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة ، وهم عديّ وسعد ، وأُمَّهُا تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها بن منبّه بن حرب بن عله بن جَلد بن مَذحِج ، وبها قيل : إنّهم تجيب . فمَن قال في عبد الرحمان بن ملجم : تُجِيبيّ ، بضمّ التاء وكسر الجيم فقد أخطأ ، ونسبه لغير نسبِه . وإنّما هو « تجوبِيّ » بفتح التاء المثنّاة من فوق ، وضمّ الجيم ، ثمّ واو وباء موحَّدة بعدها ياء آخر الحروف .

والحاشية الثانية تستغرق ظهر الورقة ، وفيها :

وقال ابن الكلبيّ : هو عبد الرحمان بن عمرو بن يحي بن عمرو بن ملجم بن قيس بن مكشوح بن نَفَر بن كلَدة ، من حمير . وكان كلَدة أصاب دماً في قومه فهرب ، فأتى مراداً في الزمن الأوّل فقال : أتيتكم أجوبُ الأرض إليكم – فسُمّي : « تجوب » . (وقال :) لا أعرف على الأرض آمرءاً من تجوب اليوم .

وكان عدادُهم في مراد . وكانت لعبد الرحمان أختٌ بالكوفة عند رجلٍ من مهرة . فمِن عندها خرج ابن ملجم ليلة ضرب عليّاً رضي الله عنه .

المعروف فيهم بِمصر ، وكان من قرّاء القرآن ، قرأ على معاذ بن جبل . وكان ناسكاً يجلس في قومه من صلاة الغداة إلى ارتفاع النهار ، والقوم يفيضون في الكلام وهو لا يتكلّم بكلمة . وهو الذي أرسل صبيغَ بن عسْل التميميّ إلى عمر ابن الخطّاب (رضه) يسأله عن مستعجم القرآن .

قال المعتمر بن سليمان : سمعت أبي يحدّث عن أبي عثمان النهديّ أنّ رجلاً من بني يربوع يقال له : صبيغ ، جاء إلى عمر بن الخطّاب فسأله عن النازعات والمرسلات والذاريات . فنظر إليه عمر رضي الله عنه فقال : ضع على رأسك ! – فوضع فإذا له وفرة . فقال : لو وجدتُك محلوقاً لضربتُ الذي فيه عيناكَ ! – ثمّ كتب إلينا : لا تجالسوه ! – فكان إذا جاء وأقبل تفرّقنا عنه ولو كنّا مائة .

[30 ب] وابن ملجم هو أحد أصحاب عبدالله بن وهب السبائيّ المعروف بآبن سبأ / وبابن السوداء . وقال بقوله في عليّ بن أبي طالب وصار من شيعَتِه . ثمّ خرج على عليّ رضي الله عنه مع من خرج عليه من المحكّمة وقتلَه .

وقد نُقل عن عليّ رضي الله عنه من طرقٍ كثيرة أنّه أخبر أنّ آبن ملجم هٰذا يقتله . قال صالح بن عبدالله مولى آل عليّ : حدّثتني أمّي – وكانت خادمَ علي – قالت : سمعت عليّاً يقول : ما يحبس الأشقى .

(قالت) قلت : وما الأشقى يا أبا الحسن ؟

قال : الذي يضرب هٰذا حتى يبلّ منها هٰذا .

وإنّها كانت تسمَع عليّاً يقول ذلك بالمدينة قبل أن يقدمَ العراق .

وقال أبو عثمان الأعرج : قال عليّ رضي الله عنه : لتخضبنّ هٰذه من هٰذا ! – وأومأ إلى لحيته ورأسه .

وفي رواية : ألا ينبعث أشقاها فتخضبَ هٰذه من دم هٰذا ؟ – يعني لحيتَه

من رأسه .

وقال يونس بن بكير : حدّثني عنبسة بن الأزهر قاضي جرجان قال : إنّما منع عليّا أن يخضب قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : تخضب هٰذه من هٰذه – ووضع يده على هامته .

وقال سعيد بن المسيّب : إنّ عليّا كان يقول : ألا ينبعث أشقاها ؟ والله لتخضبنّ هٰذه من هٰذه !

وقال أبو عوانة عن أبي حمزة الأسدي : حدّثني أبي قال : سمعتُ عليّا يقول : يا للدماء ! – ويمسح لحيتَه بيده ويقول : متى تخضب بالدماء ؟ – فكنّا نعجب . فمَا كان إلّا قليل حتّى جاء شقيّ مراد فضربه بسيف مسموم فأصابه . فأرادوا أن يقتلوه فقال : لا ، إنّ الجروحَ قصاص . ألينوا فراشه ، وأحسنوا طعامه وأحسنوا إليه ، فإن أعش ، فإنّه عفوٌ أو قصاص . وإن / أمت [32 أ] فعجّلوه أخاصِمْه عند خالقي !

وقال الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة الحماني : سمعتُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « من كذب عليّ متعمّداً فليتبَوّأ مقعَده من النار ! » وأشهد أنّه ممّا كان يُشير [به] إليّ : لتُخضَبَنّ هٰذه من هٰذه ! – وأشار إلى لحيتِه ورأسه .

وقال ابن سيرين : بلغني أنّ عليّاً قال : والله لتخضبنّ هٰذه من هٰذه ! – ووضع يده على لحيته ثمّ رفعها إلى رأسه – إذا آنبعث أشقاها .

وقال أبو مطر عن عليّ أنّه كان يقول : متى يبعث أشقاها يخضب هٰذه من هٰذه ؟

قال [قلت :] وإنّه لكائن يا أمير المؤمنين ؟

قال : ما كذَبت ولا كُذبت .

وقال أبو الطفيل : شهدت عليّا ، وأتاه عبد الرحمان بن ملجم فقال : يا

أمير المؤمنين . آمدد يدَك أبايِعْك !

فكفّ عليّ يده . فقال ذلك ثلاثا . ومدّ عليّ يده ثلاثا . فقال في الرابعة : ما يحبس أشقاها . لتخضبنّ هٰذه من هٰذا ! [هزج] :

(آشدد) حيازيمَك للموت ! فإنّ الموتَ آتيك
ولا تجزع من القتل إذا حلّ بواديك [1]

وقال سفيان عن عمّار الدهني إنّ عليّا قال على المنبر وهو يخطب إنّ رسول الله ﷺ قال : هل تدري أيّ الناس أشقى ؟ صاحب الناقة ، والذي يخضب هٰذه من هٰذه – وأشار إلى اللحية والرأس .

وكان عليّ يقول : ما يحبس أشقاها !

فيقولون له : لا والله ، لا يقتلك أحدٌ إلّا أبَدْنا عِترتَه ؟ [2]

فقال : أَذْكُرُ الله مُؤْمِنًا أن [لا] يُقْتَلَ بي إلّا قاتلي .

[32ب] وقال المعلّى بن زياد عن بعض أصحابه قال : جاء عبد الرحمان بن ملجم / إلى عليّ يستحمله ، قال : آحملني يا أمير المؤمنين !

فنظر إليه علي ، فقال : من أنت ؟

قال : أنا عبد الرحمان بن ملجم المرادي .

قال : أنت عبد الرحمان بن ملجم ؟

قال : نعم .

---

(1) في الأغاني 15 / 178 : رحالَك شُدَّ للموت وبعد هٰذين البيتين تعليقٌ عروضيّ في الحاشية ، في خطّ مشابهٍ دون أن نجزم أنّه للمقريزي .

الشعر إنّما يصحّ بحذف « آشدد » فتقول : حيازيمَك للموت ! ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ، ولا يعتدّون به في الوزن ، ويحذفون ، على ما كان المخاطب يعلم المراد به . فهو إذا قال : « حَيازيمك » ، فقد أضمر : « آشدد » ، فأظهر ولم يعتدّ به .

(2) في المخطوط : أبدنا . وفي أسد الغابة 4 / 116 : اهلكنا . لذلك آخترنا قراءة : أبدنا .

قال : أأنت عبد الرحمان بن ملجم المرادي ؟

قال : نعم .

قال : أأنت عبد الرحمان بن ملجم المرادي ؟

قال : نعم .

قال : يا عزوان . احمله على الأشقر .

(قال :) فجيء به فدفع إليه فأخذ بعنانه فجعل يقوده . فلمّا مضى نظر إليه عليّ فقال (وافر) :

أريد حَيَاتَه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مُراد [1]

---

[1] هٰذا البيت والأبيات التي تليه ، في الأغاني 10 / 26 ، وفي أسد الغابة 4 / 275 . ويصحبُها في المخطوط هٰذا التعليق في الحاشية :

قائله عمرو بن معدي كرب في قيس بن مكشوح المراديّ ، والمكشوح هبيرة ، سمّي بذلك لأنّه ضُرِب على كشحه .

ويأتي تعليق آخر في ورقة طيّارة موالية ، فيه :

هٰذا البيت من أبيات تنسب إلى عمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم ابن عمرو بن زبيد الأصغر – وهو منبّه بن ربيعة بن مسلمة بن هانىء بن ربيعة بن زبيد الأكبر ، أبو ثور الزبيديّ .

وتنسب أيضاً لدريد بن الصمّة ، وهي لعمرو أشهر ، وأوّلها [وافر] :

أعاذلَ عُدّتي بدَني ورمحي وكلُّ مُقَلِّص سلسِ القيادِ
أعاذلَ إنّما أفنى شبابي إجابتيَ الصَّريخَ إلى المنادي
مع الأبطال حتّى سلّ جسمي وأقرح عاتقي حملُ النِّجاد

منها :

ويبقى بعد حلم القوم حِلمِي ويفنى قبل زاد القوم زادي
تمنّى أن يلاقيَني قُبيسٌ وددتُ ، وأينما مِنّي ودادي
ولو لاقيتني ومعي سلاحي تكشّف شحمُ قلبك عن سوادِ
فمَن ذا عاذري من ذي سفَاهٍ يرود بنفسِه شرَّ المراد ؟
أريد حياتَه ويريد قتلي عذيرك من خليلِك من مُرادِ =

وكان سبب قتل ابن ملجم عليًا رضي الله عنه أنّه ٱجتمع هو والبُرَك بن عبد الله التميمي الصريمي – وٱسمُه الحجّاج – ومعهما عمرو بن بكير التميميّ السعدي بِمكّة [1] فتذاكروا أهل النهروان الذين خرجوا على عليّ وكفّروه بتحكيم الرجال وقالوا : « لا حكم إلّا الله ! » . فخرج إليهم عليّ وقاتلهم وقتلهم . فترحّموا عليهم وقالوا : ما نعبأ بالبقاء في الدنيا شيئًا بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون في الله لومةَ لائم ، الذين كانوا مصابيح الهدى .

ثمّ ذكروا الناس فعابوا عليهم أعمالهم ، وعابوا عملَ ولاتهم ، وقالوا : لو شَرَيْنَا لله أنفسَنا وٱلتمسْنا غِرَّةَ هؤلاء الأئمّةِ الضُّلاَّل فثأرنا بهم إخوانَنا وأرحنا منهم العباد ؟

فقال ابن ملجم : أنا لكم بعليّ .

وقال البُرَك : وأنا لكم بِمعاوية .

وقال عمرو بن بكير : أنا أكفيكم عمرو بنَ العاص [2] .

فتعاهدوا على ذلك وتعاقدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سما إليه ، ويتوجّه حتّى يقتله أو يموت دونه . فٱتّعدوا بينهم في شهر . . [3]

تمنّاني وسابغَتي دلاصٌ كأنّ قتيرها حدَقُ الجرادِ
وسيفي كان مُذ عهد ابن ضِدٍّ تخيّره الفتى من قوم عاد

في أبيات كثيرة ، وهي من مستحسن قوله .

ويروى : عذيركَ بفتح الرّاء وضمّها . فالرفع على معنى : ما هو عذيرُكَ ؟ والنصبُ على معنى : هاتِ عُذيرَكَ ! – يريد : هات من يعذرك .

(1) في الوفيات 7 / 216 : داذويه ، مولى لبني العنبر بن عمرو بن تميم .

(2) في كتاب الولاة للكندي ، 31 : وكان يزيد بن ملجم هو صاحب عمرو .

(3) تقف الترجمة هنا فجأة ، وأضفنا بقيّة من رواية الكامل وأسد الغابة 4 / 120 . ولكنّ المخطوط يورد بعد هذا في ورقة طيّارة ترجمة وجيزة لقطام صاحبة المترجم ، مع أنّها لم تُذكر فيمَا وصل إلينا من ترجمة ابن ملجم . ولعلّ في وجود هذه الحاشيَة دليلا على أنّ بقيّة الترجمة سقطت من المخطوط .

[رمضان ، ثمّ توجّه كلّ رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه . فقدم عبد الرحمان بن ملجم الكوفة .... فزار نفراً من بني تيم الرباب ، فرأى آمرأة منهم يقال لها : قطام بنت شجنة .

قطام هٰذه بنت شجنة بن عمرو بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل ابن تيم بن عبد مناة أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . قُتل أبوها شجنة وأخوها الأخضر بن شجنة يوم النهروان سنة سبع وثلاثين] .

1441 – ابن أبي حاتم الرازيّ [240 – 327] (1)

/ عبد الرحمان بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران ، أبو محمد ، [35أ] ابن أبي حاتم ، التميميّ ، الحنظليّ ، الرازيّ .

ولد [...] سنة أربعين ومائتين . وارتحل به أبوه في طلب الحديث . فسمع بالعراق ومصر ودمشق ، من أبيه ، وأبي زرعة الرازيّ ، ومحمد بن مسلم بن وارة(2)، وعبد الله وصالح ،آبنَي أحمد بن حنبل ، ويونس بن حبيب ، ومحمد بن يعقوب الدمشقيّ ، وإسماعيل بن يحيى المزي ، ومحمد بن نصر الخولانيّ ، وأحمد بن عبد الرحمان بن وهب ، ويونس بن عبد الأعلى ، ومحمّد بن عبد الله آبن عبد الحكم ، والربيع بن سليمان ، وجماعة كثيرة .

روى عنه أبو الحسن محمد بن عبد الله ، والد تمّام ، وأبو العبّاس أحمد آبن محمد ين الحسين بن البصير ، وخلق كثير .

---

(1) تذكرة الحفّاظ 3/ 46 – فوات 2/ 287 (257) – طبقات الحنابلة 2/ 55 . الأعلام 4/ 99 . الوافي ، 18/ 228 (276) – السبكي ، 3/ 324 (207) .

(2) ابن وارة الرازي (ت 270) – الوافي 5/ 27 (1992) .

قال أبو يعلى الخليليّ [1] : أخذ علمَ أبيه وأبي زرعة ، وكان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال . صنّف في الفقه وٱختلاف الصحابة والتابعين .

وكان زاهداً يُعدّ من الأبدال .

وكتابه في الجرح والتعديل يقضي له بالرتبة المنيفة في الحفظ . وكتابه في التفسير عدّة مجلّدات .

وله مصنّف كبير في الردّ على الجهميّة يدلّ على إمامته .

قال علي بن أحمد الفرضي : ما رأيت أحداً ممّن عرف عبدَ الرحمان ذكر عنه جهالةً قطّ .

ويروى أنّ أباه كان يعجب من تعبّد عبد الرحمان ويقول : من يقوى على عبادة عبد الرحمان؟ لا أعرف له ذنبا !

وقال علي بن إبراهيم الرازي الخطيب : كان عبد الرحمان قد كساه الله بهاءً ونوراً يسرّ به مَن نظر إليه . سمعته يقول : رحل بي أبي سنة خمس وخمسين وما ٱحتلَمْتُ بعد . فلمّا بلغنا ذا الحليفة [2] احتلمت فسُرّ أبي حيث أدركت حجّة الإسلام .

وقال ابن أبي حاتم : كنّا بِمصر سبعة أشهر لم نشرب فيها مرقة ، نهارُنا ندور على الشيوخ ، وبالليل ننسخ ونقابل . فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا ، فقالوا : هو عليل . فرأينا سمكةً أعجبتنا فٱشتريناها . فلمّا صرنا إلى البيت حضر وقتُ مجلس بعض الشيوخ فمَضينا . فلم تزل السمكة ثلاثة أيّام وكادت تتغيّر فأكلناها نيّةً ، ولم نتفرّغ نشويها .

ثمّ قال : لا يستطاع العلم براحة الجسد .

---

(1) الخليل : بن عبدالله الخليليّ (ت 446) ، سِيَر ، 17/ 666 (458) .

(2) ذو الحليفة : على ستّة أميال من المدينة ، ومنها ميقات المدنيّين (ياقوت) .

وقال : وقع عندنا الغلاء ، فأنفذ بعض أصدقائي حبوباً[1] من أصبهان . فبعته بعشرين ألفاً ، وقال لي : ٱشترِ لي بها داراً .

فأنفقتُها على الفقراء ، وكتبتُ إليه : ٱشتريتُ لك بها قصراً في ٱلجنّة .

فقال : رضيت إن ضمنتَ !

فكتب على نفسي صكّاً بالضمان . فرأيت في المنام : قد قبلنا ضمانَك ، ولا تعُد لمثل هٰذا !

/ وقال محمد بن مهرويه : سمعتُ ابن ٱلجنيد يقول : سمعت يحيى بنَ معين [35ب] يقول : إنّا لنظعن عن أقوام لعلّهم قد حطّوا رحالهم في الجنّة من مائتي سنة . (قال محمد بن مهرويه :) فدخلت على ٱبن أبي حاتم وهو يحدّث بكتاب الجرح والتعديل ، فحدّثتُه بهٰذا فبكى وٱرتعدت يداه وسقط الكتاب وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية .

توفّي في المحرّم من سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .

---

(1) حبوب أيضا عن السبكي ، ولا ندري هل يعني القمح ونحوه .

الصفحة 35 ب من مخطوط باريس ويظهر فيها الفرق بين الخطّ المتأنّي والخطّ المتسرّع .

1442 – زين الدين الرَّشِيديّ [741 – 803][1]

عبد الرحمان بن محمد بن إبراهيم [بنَ لاجين] ، الرَّشيديّ ، [زين الدين ، الموقّع .

ولد سنة إحدى وأربعين وسبعمائة . و] سمع على الميدوميّ وآبن عبد الهادي ، وآشتغل في الفرائض فاشتهر بها ، وولي رئاسة المؤذّنين . وكان أحدَ عدول القاهرة .

وله شرح الجعبريّة والياسمينة [في الجبر والمقابلة] .

وتوفّي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانمائة ، وله آثنتان وستّون سنة .

1443 – ابن يزيد الشاعر [– بعد 362][2]

/ عبد الرحمان بن محمد بن خالد بن يزيد . [36 أ]

ونسب إليه أنّه قائل الأبيات التي وجدت في بطاقة ملصقة على المنبر بعد أوّل جمعة صلّاها المعزّ لدين الله أبو تميم معدّ بمصر ، وهي [سريع] :

إنّا سمعنا نسباً مضمراً ... نصّ على المنبر في الجامع

يكتمه مخبره جاهلاً ... رجاءَ أن يخفى على السامع

---

(1) طبقاب ٱبن قاضي شهبة ، 4 / 31 (730) والإكمال منها – شذرات ، 7 / 29 – الضوء اللامع ، 4 / 119 (319) – الدليل الشافي ، 406 (1399) . والخطّ مشوّه فآضطررنا إلى الإكمال من المصادر الأخرى .

(2) هٰذه الترجمة مبتورة ، وفي صدر النصّ بياض بقدر 7 أسطر ، لعلّ المقريزي كان ينوي تعميره فيمَا بعد . هٰذا ، ولم نعرف عبد الرحمان هٰذا .

إن كنتَ فيمَا قلتَه صادقاً   فاذكر أباً بعد الأب الرابع
وأْتِ بجَدٍّ خامسٍ بعده   وانسب لنا نفسك كالطائع [1]
5 أو فدعِ الأشياءَ مستورةً   وادخل إذن في نسبٍ واسع
فإنَّ أنساب بني هاشمٍ   يضيقُ عنها طمَعُ الطامع

1444 – ابن أبي منصور النصوليّ [– 634] [2]

عبد الرحمان بن محمد بن أبي منصور ، الحنفيّ ، النصوليّ .

سمع بِمصر من أبي القاسم البوصيريّ [3] ، وأبي عبد الله محمد بن حمد الأرتاحيّ . وبدمشق من علي بن صدقة الحرّانيّ ، وأبي سعد عبد الله بن أبي عصرون ، وأبي طاهر الخشوعيّ . وببغداد من أبَوَي القاسم ذاكر بن كامل الخفّاف ويحيى [بن أسعد] بن بوش ، وأبي الفرج [عبد المنعم] بن كليب . وحدّث .

مات بدمشق ليلة الثامن من ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستّمائة ، ودفن بسفح قاسيون .

---

(1) في المخطوط بهامش الصفحة : يعني الخليفة العبّاسيّ .
(2) تتكرّر هٰذه الترجمة في ورقة 149 باختصار كبير وفي خطّ رديء سريع ، كأنّها مسوّدة أوّليّة لهٰذه الترجمة . إلّا أنّ المقريزي زاد ، فيمَن أخذ عنهم المترجم : [فاطمة] بنت سعد الخير . ولعلّ الذي أوقع المؤلّف في التكرار ورود آسم الأبْ تارة : محمد ، وتارة : محمود . وفي التكملة ، 3 / 443 (2724) : أبو منصور ، والزيادة منها . وفي الجواهر المضيئة ، 2 / 404 (792) : ابن محمود . .
(3) هبة الله بن علي المنستيريّ (ت 598) – سير ، 21/ 390 (197) .

1445 - أبو القاسم اللّخميّ النحويّ [555 - 643] [1]

/ عبد الرحمان بن محمد بن عبد العزيز ، أبو القاسم ، اللّخميّ ، [36ب] النحويّ ، الفقيه الحنفيّ .

ولد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وأخذ عن آبن برّي[2] . وتفقّه على أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعد البجلي[3] . وروى عن أبي محمد القاسم بن علي آبن عبد الرحمان .

وكان شيخاً فاضلاً شاعراً متبحّراً في مذهب أبي حنيفة .

درس بالمدرسة العاشوريّة[4] بحارة زويلة ، حتى مات في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وستّمائة .

وله مصنّفات في فنون ، نظماً ونثراً ، في الفقه واللغة والتفسير والوعظ والإنشاء . وكتب خطّا حسنا .

---

(1) الوافي ، 18 / 259 (312) ولقبه فيه : وجيه الدين ونسبته : القوصيّ .

(2) ابن برّي (عبد الله ، محشّي الصحاح - ت 582) . انظر ترجمته فيمَا يلي رقم 1519.

(3) البجليّ (ت 584) له ترجمة في الجواهر ، 2/ 332 (726) .

(4) في الجواهر المضيئة ، 2/ 394 (785) : المدرسة الحنفيّة . وفي الخطط ، 4/ 200 : أوقفتها على الحنفيّة الست عاشوراء بنت ساروج الأسديّ .

الصفحة 36 أ من مخطوط باريس . ويظهر فيها البياض المتعمّد من المؤلّف .

1446 – أبو القاسم الكنانيّ الكاتب [571 –]

/عبد الرحمان بن موسى بن حجّاج ، أبو القاسم ، ابن أبي عمران ، [37 أ] الكناني . الكاتب .

ولد في صفر سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بالإسكندريّة [1]. ومن شعره [بسيط] :

يا قلب مالك باللذّات مشغول حتّامَ أنت بسيف اللهو مقتولُ ؟
فاترك مناهيهِ وافعل ما أمرتَ به لعلّه منك يومَ الحشْرِ مقبولُ

1447 – عبد الرحمان بن موسى الهواري [– بعد 216] [2]

هو أوّل من جمع الفقه في الدين وعلم العَرب بالأندلس . ورحل في أوّل خلافة عبد الرحمان بن معاوية الداخل ، فلقي مالكا ونظراءه ، ولقي الأصمعيّ وأبا زيد الأنصاريّ [3] وأمثالهما ، وداخَلَ العربَ في محالّها . وعاد إلى الأندلس فعطب بجهة تدمير فذهبت كتبه . فقصده أهل إسْتِجَة [4] يهنّئونه بقدومه ويعزّونه بذهاب كتبه ، فقال لهم : ذهب الخُرج وبقي ما في الدُرج ! أنا شعبيّ [5] زماني ، فليسألني مَن شاء منكم عمّا شاء !

(1) بعد هذا بياض بقدر ثلاثة أسطر .
(2) الديباج ، 1 / 471 – جذوة ، 259 (614) – ابن الفرَضيّ ، 257 .
(3) أبو زيد والأصمعيّ توفّيا سنة 215 و 216 . فنقدّر وفاة المترجم بعد هذا التاريخ .
(4) استجة Ecija . على عشرة فراسخ من قرطبة على نهر الشنيل (ياقوت ودائرة المعارف الإسلاميّة) .
(5) الشعبيّ هو عامر بن شراحيل الرّاوية (ت 103) – الأعلام 4 / 18 .

وكان إذا قدِم قرطبة لم يُفتِ مُفتوها عيسى ويحيى وسعيد بن حسّان حتى يرحل عنها .

وكان يسكن بقرية من قُرى موزور[1] .

ولمّا وقع الاختلاف بين العرب والمولّدين[2] بأستجة بسبب تحريش قعنب بينهم – وكان سبب ذلك إباية المولّدين من الصلاة خلف الإمام العربيّ ،وكان[3] خلفاء الأندلس لا يقدّمون للصلاة إلّا العرب – ترافعوا إلى السلطان يومئذ . فقال لهم الوزر [اء] : أترضون بأبي موسى الهواري ؟

فأجمع الفريقان على الرضى به . فوجّهوا فيه وحضُّوه على صلاح ذات البين . فأجاب بأن يصلّي بلا رزق يجري عليه . فكان يركب من باديته كلّ جمعة فيأتي أستجة فيصلّي بأهلها .

ثمّ ثقل في آخر عمره فاحتاج إلى شراء دار على مقربة من الجامع فسكنها إلى أن توفّيَ .

وكان له كتاب في القراءات وكتاب في تفسير القرآن ، وكان ابن لبابة يرويه عن العُتبيّ عنه . وكانت العبادةُ أغلب عليه من العلم .

وتوفّيَ [...] .

1448 – ابن موهب المعافريّ [– بعد 65][4]

[38أ] / عبد الرحمان بن موهب بن عامر ، المعافريّ ، أبو [...] .

---

(1) كورة مَوْزور تتّصل بكورة قرمونة على عشرين فرسخا من قرطبة (ياقوت) .

(2) في تاريخ إسبانيا الإسلاميّة لليفي بروفنصال 1 / 198 هامش 1 ، أنّ الصراع كان بين العرب والبربر .

(3) في المخطوط : وكانت .

(4) الكندي ، 42 .

شهد فتحَ مصر ، وكان شريفاً بها في أيّامه . روى عن معاوية وابن عبّاس .

روى عنه أبو قبيل حيّ بن هانىء[1].

وكان على المعافر في أيّام محاربة مروان بن الحكم[2] لأهل مصر ، وشهدها منهم عشرون ألفا . فلمّا طالت الأيّام وكثرت القتلى بين الفريقين ، مضى كريب بن أبرهة [الأصْبَحيّ][3] وزياد بن حناطة [التجيبيّ] ، وعابس ابن سعيد . وعبد الرحمان بن موهب إلى مروان في الصلح ، على أن يدفع لابن جَحْدَم مالا ويهدر ما كان ، فكره ذلك . فقال عبد الرحمان لأصحابه : قوموا فإنّا لا نسلّم ابن جحدم ، وَلَيَعْلَمَنَّ أميرُ المؤمنين من يَغدو إليه من أبناء الموت !

وفي رواية أنّه قال لكريب : قم يا أبا رشدين ! ثمّ والله لتغدونَّ عليه خيل ما كان رآها أمس !

فقال مروان : مَن هٰذا يا أبا رشدين ؟

قال : غلام إذا غضب غضب لغضبِه عشرون ألفاً من قومه .

فأمضى مروان الصلْحَ .[4] .

---

(1) أبو قبيل المعافريّ (ت 128) - سِيَر ، 5/ 214 (86) .

(2) ولي مروان الخلافة سنة 64 . وكان عبد الرحمان بن جحدم الفهريّ والي مصر مواليا لابن الزبير . وقد قيل في شجاعته في الوقائع التي عرفت بأيّام الخندق [طويل] :

وما الجِدّ إلّا مثل جِدّ ابن جحدم   وما العزمُ إلّا عزمةٌ يومَ خندقِ

والمعافر قومٌ صاحب الترجمة بايعوا ابن الزبير .

(3) كريب له ترجمة في حسن المحاضرة ، 1/ 229 .

(4) وقع الصلح في جمادى الأولى سنة 65 .

1449 – ابن منيع الراوية [537 –] (1)

[38ب] /عبد الرحمان بن ناصر بن منيع الفيضيّ ، المقدسيّ الأصل ، المصريّ الدار ، العداس ، المعروف بالراوية .

ولد في نصف رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة . تعلّق بالأدب والمعقول . وهو القائل [طويل] :

إذا ضمّنا جنس ونوع ووالد وعمرٌ حثيث للمنيّة أوصل
فلا فضل إلّا في العقول التي بها يفضّل ذو لبّ و يدحض جاهل

1450 – الناصح ابن الحنبليّ [554 – 634] (2)

[39أ] /عبد الرحمان بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد ، الشيخ ناصح الدين ، أبو الفرج ، ابن أبي العلاء ، ابن شرف الإسلام أبي البركات ، ويقال : أبو القاسم ، ابن الفقيه أبي الفرج ابن الشيخ أبي عبد الله ، الأنصاريّ الخزرجيّ ، السعديّ ، العبادي ، الشيرازيّ الأصل ، الدمشقيّ المولد ، المعروف بابن الحنبلي .

ولد بدمشق ليلةَ السابع عشر من شوّال سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

سمع ببغداد من أبي شاكر يحيى بن يوسف بن أحمد السقلاطوني ، وأبي الحسين عبد الحقّ بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف ، وأبي عبدالله مسلم بن

---

(1) لم نجده في مصدر آخر ، وقراءتنا ظنّيّة ، فلعلّه : القفصيّ .

(2) الأعلام 4/ 116 – شذرات 5/ 164 – التكملة 3/ 429 (2688) – الوافي ، 18/ 291 (342) سير ، 19/ 54 (33) .

ثابت بن زيد المعروف بٱبن جوالق ، وشُهدة [1] ، وتجنّي الوهبانيّة[2]، ونعمة بنت القاضي أبي خازم محمد بن محمد بن الفرّاء ، وجماعة .

وسمع بأصبهان من الحافظ أبي موسى ، وأبي العبّاس أحمد بن أبي منصور أحمد بن محمد بن ينال المعروف بالترك[3].

وسمع بهمذان من أبي محمد عبد الغنيّ بن الحافظ أبي العلاء الهمذاني .
وقدم مصر مرّتين .

وحدّث بدمشق وبغداد وأَربد والموصل وغيرها .

وتوفّي بدمشق في ثالث المحرّم سنة أربع وثلاثين وستّمائة . ودفن بسفح قاسيون .

1451 – الديباجيّ [– 512] [4]

/عبد الرحمان بن يحيى بن إسماعيل العثمانيّ الديباجيّ . [39ب]

حدّث عن جدّه لأمّه البوصيري .

حدّث عنه ولده أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان العثمانيّ .

وكانت وفاته في أوائل المحرّم سنة ٱثنتي عشرة وخمسمائة .

1452 – العفيف النشاوريّ [705 – 791] [5]

/عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان ، الشيخ عفيف الدين ، أبو محمد ، [40 أ]

---

(1) شُهدة بنت الإبريّ الكاتبة الفقيهة (ت 574) – أعلام 3 / 259 .
(2) تجنّي بنت عبد الله ، أمّ عتب (ت 575) – سِيَر ، 20/ 550 (351) .
(3) أبو موسى المدينيّ الأصبهانيّ : محمد بن عمر بن أحمد (ت581) – سِيَر ، 21/ 152 (78) . وأبو العبّاس الترك الأصبهانيّ أيضا توفّي سنة 585 – سِيَر 21/ 124 (62) .
(4) قراءتنا لهٰذه الترجمة ظنّيّة .
(5) الدرر 2/ 407 (2229) .

ابن أبي الفضل ، النيسابوري الأصل ، المكّيّ المولد والوفاة ، المعروف بالنشاوُري .

ولد بِمكّة سنة خمس وسبعمائة ، وحدّث بها عن الرضيّ إبراهيم ابن محمد الطبريّ ، وكان خاتمة أصحابه بالسّماع . وحدّث عن عيسى الحجّي ، ونجم الدين محمد الطبريّ . وأجاز له القاضي سليمان بن حمزة وعيسى المطعم ، وإسماعيل بن مكتوم ، وأبو بكر بن عبد الدائم ، وجماعة من شيوخ الشام في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

وكان خيّرا ساكنا .

سمعت عليه صحيح البخاري بِمكّة[1]. وقدم القاهرة مراراً ، آخرها سنة تسعين وسبعمائة . وحدّث بها وعاد إلى مكّة ، فمات بها – وقد تغيّر عقلُه – في أوائل ذي الحجّة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة رحمه الله .

1453 – القاضي زين الدين الكفريّ [750 – 809] [2]

[141آ] /عبد الرحمان بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة بن بدر ابن محمد ابن يوسف ، قاضي القضاة الحنفيّة بدمشق ، زين الدين ، أبو هُرَيرة ، الكفريّ ، الدمشقيّ ، الحنفيّ .

ولد سنة خمسين وسبعمائة تخمينا . وأحضر على محمد ابن إسماعيل بن الخبّاز وغيره .

وقدم القاهرة بعد كائنة تيمور ، وولي قضاء دمشق مراراً .

---

(1) معلوم أنّ المقريزيّ جاور مدّة بمكّة .

(2) الدليل الشافي 408 (1405) – الضوء اللامع 4/ 159 (415) وقال السخاويّ : ذكره المقريزيّ في عقوده .

ومات في يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة .
ولم تحمد سيرتُه في القضاء .

1454 – النجم الأصفونيّ [677 – 750] [1]

عبد الرحمان بن يوسف بن إبراهيم بن عليّ ، أبو القاسم ، نجم الدين ، الأصفونيّ .

ولد سنة سبع وسبعين وستّمائة . وتفقّه ببلاده وعلى البهاء القفطيّ [2] ، وقرأ بالروايات ، وبرع في الفقه . وحجّ مراراً وجاور . وله مختصر الروضة ، أحسن فيه .

ومات بِمنى في ثالث عشر ذي الحجّة سنة خمسين وسبعمائة .

1455 – علم الرؤساء القاضي السديد [577 – 592] [3]

عبد الرحمان بن هبة الله بن حسن بن رفاعة ، المصريّ ، أبو القاسم ، علم الرؤساء ، كاتب الإنشاء .

وصفه القاضي الفاضل [بكلام] من جملته : ومكانُه من الفضل مشهور ، واحتواؤه على الخلال الجميلة معلوم .

ومات في سادس عشر شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

---

(1) الدرر 2 / 459 (2374) – الدليل الشافي 408 (1404) وقال : أصفون قرية من عمل قوص . وزاد ياقوت : غربيّ النيل تحت إشني .

(2) البهاء القفطيّ : هبة الله بن عبد الله (600 – 697) – الأعلام 9 / 61 .

(3) هٰذه أيضا مسوّدة سريعة والإكمال من الوافي ، 18/ 295 (349)ومن نجوم ابن سعيد ، 266 ، على أنّ الوفاة فيهما كانت سنة 593 .

1456 – ضياء الدين الورّاق [546 – 616][1]

[42 أ] /عبد الرحمان بن محمد بن إسماعيل بن خالد بن الحسين ، أبو القاسم ، ضياء الدين ، ابن الوزير ، الورّاق ، القرشيّ ، المصريّ ، الفقيه الشافعيّ .

ولد يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجّة سنة ستّ وأربعين وخمسمائة . .

تفقّه على شهاب الدين الطوسيّ . وأعاد عنده بِمنازل العزّ بَمصر .

وسمع من عبد الله بن برّي وغيره .

وتفقّه عليه الحافظ زكيّ الدين عبد العظيم ، وقال : كان عالماً صالحاً حسَن الأخلاق تاركاً لِمَا لا يعنيه .

كتب الكثير بخطّه . قيل إنّه كتب أربعمائة مجلّد .

توفّي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة وستّمائة بِمصر .

وكان من أعيان الفقهاء وأكابرهم ، منقطعا عن التردّد إلى الأعيان .

وولي قضاء الجيزة مدّة ثمّ تركه . ودرس بالمدرسة الناصريّة بِمصر .

1457 – أبو القاسم ابن المسيري فلك الدين [– 643][2]

[43أ] / عبد الرحمان بن هبة الله بن علي ، الصاحب الوزير ، أبو القاسم ، فلك الدين ، ابن المسيري ، [. . .] .

---

(1) التكملة 2 / 467 (1675) .

(2) الدليل الشافي ، 407 (1402) – شذرات 5 / 221 . الوافي ،18 / 294 (348) .

خدم الملك الأشرف موسى ٱبن الملك العادل . ثمّ نكبه في سنة أربع وثلاثين وستّمائة ، وٱحتاط على ماله . وسبب سخطه عليه أنّه وُشِي به أنّه كاتب الملك الكامل .

فقدم إلى مصر وما زال بها حتى مات في يوم الجمعة التاسع من شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وستّمائة .

وكان صدراً كبيراً حشما وافر الرحمة ، ظاهر الفخامة ، كثير التيه والصلف مع جهلٍ إلى الغاية .

ولمّا ٱجتمع الملك الأشرف بالملك الكامل في مصر ، ركبا في يوم كسر الخليج ، ودخل الفلك المسيري بينهما ، ثمّ ٱلتفت إلى الملك الكامل وقال ، يا خوند ، ترى أيّ شيء يقول الناس إذا رأوا المَملوك بين السلطان وبين الملك الأشرف ؟

قال الملك الأشرف : يقولو [ن] : نصفع الفلك .

فقال : يا خوند ، كنت غنيّاً عن هٰذا السؤال .

ولبعض الأدباء فيه [متقارب] :

غدا ٱبن المسيريّ في عصرنا	لنا ضحكةً أينَما قد سلك
إذا ما تجعمص في منصب الـ	ـوزارة فٱضرط له في الحنَك
يقول الأنام إذا ما رأوه	من الغبن بظر عيال الفلَك

وفيه أيضاً ، ويقال إنّ فخر القضاة ابن بصاقة [1] نظمها وعزاها إلى النصير الاخميمي :

صعب القيادة يا فلك	تـــنـــقـــاد لك
إيش هو فلك ، وإيش هو مسير	حتى يجى منها وزير ؟

---

(1) ابن بصاقة : نصر الله بن هبة الله أبو الفرج الكاتب (ت 646) - حسن المحاضرة ، 1/ 567 .

والله ولا راعي حمير كـنـت أجـعـلـك !
ترضي غلامك بالنهار مرّات وبالليل زاد مرار
بالصاحب ازعق لي جهار قع طز في جوف لحيتك
اسمك مقار ما تُعْرُبُه والمال بالـقـول تحسبه
لو كان في الدنيا خبير كان ركبك فوق الحمير
والسرج بالصاد [تـ]كتبه مـــا أجـــهـــلــك !
والبوق خلفك والنفير وأنـــــــا انــــــدلك
خلّي القيادة والفضول كم ذا تخاصم كم تصول
وتـدّعي أنك رسول مـن أر سـلك ؟
لو كنت أملك يا قبق أمرك جعلتك في الحلق
عريان وفي عنقك حلق وأنـــــا انـــــطـــــلك

وكان له غلام في غاية الحسن والجمال ، يعلّمه الغناء ، سمّاه أزبك ولقبه بدر الدين . فقال فيه عماد الدين أبو محمد القاسم بن شمس الدّين أبي بكر محمد [43ب] ابن / سعيد بن ندي الجزري دوبيت ، وهو :

البدر بدا من صدغه في حلَك والعقل غدا مِن حبّه في شرك
تحت الفلك الخلق كثير لكن ما متلك يا أزبك تحت الفلك

فبلغا الملك الأشرف موسى بنَ العادل أبي بكر بن أيّوب ، وكان الفلَك معه في سنجار فاستحسَنَهُما وقال : يا عماد الدين ، ما قصّرت في هٰذين الدوبيتين ، لكن عليك فيه أخذ .

قال : وما هو يا مولانا ؟

قال : قولك : تحت الفلَك . وكان ينبغي أن تقول : فوق الفلك ، لأنّ هٰذا الفلك لا يكون تحته أحد .

فقال : أمّا أنا فهٰذا الذي وقع لي . وأمّا هٰذه التتمّة فهي للسلطان أعلى الله

شأنَه .

وقال فيه محيي الدين محمد بن حيدر بن مسعود الدُّنْبَدَار الواسطيّ وقد عمل في داره سماعاً عندما فرغت (منسرح) :

الله يا دار مَن بناك فقد سلكت نهجا مِن قبلُ ما سُلكا
أما كفاك الذي منحتِ به حتّى أظلّت سقوفك الفلَكا !

وقال فيه مجد الدين أبو المجد أسعد بن إبراهيم بن الحسن بن علي الاربلي المعروف بالمجد النشّابيّ[1] [طويل] :

غدا ابنُ المسيريّ الملقّبُ صاحبا بجهل بعيد العرض منه حذاذا
فلا صاحبٌ عُلًى ، ولا حبٌ حجًى ولا صاحبٌ فضلاً ، فصاحب ماذا ؟

واتّفق أنّ شهاب الدين يوسف ابن عزّ الدين مسعود ابن سابق الدين عثمان صاحب [شيزر] ، وكمال الدين [عمر][2] بن العجمي أرسلا الفلك المسيري من حلب سنة أربع وثلاثين وستّمائة إلى الملك الأشرف[3] يطمعانه في ملك حلب ووعداه بالمساعدة فأبى ذلك ، فبلغ الخبر الصاحبة ضيفة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيّوب ، ووالدة الملك العزيز غيّاث الدين محمد بن الظاهر غازي ، وهي يومئذ تُدبّرُ دولة ابن ابنها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز . فسيّرت من وقف الفلك في طريقه ، فلمّا رجع إلى حلب قبض عليه وأصعِد إلى القلعة ، وسئل عن الحديث فاعترف به ، فحلقت لحيتُه وحُمل إلى دربساك[4] فاعتقل هناك .

(1) المجد النشابيّ «كان في صباه نشّابيًّا» -(ت 656) - الوافي ، 9/ 35 (3942) .
(2) الزيادة من زبدة الحلب ، 3/ 228/ 974 .
(3) هو موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيّوب صاحب خلاط منذ سنة 607 - السلوك ، 1/ 171 .
(4) عند ياقوت : هو دَير بسّاك قرب أنطاكية .

1458 – صدر الدين ابن مهران [– 634] [1]

[44أ] / عبد الرحمان بن عليّ بن محمد بن علي بن مهران بن علي بن مهران ، أبو القاسم ، آبن أبي الحسن ، آبن أبي عبد الله ، آبن أبي الحسن ، آبن أبي الفرج ، القرميسيني الأصل ، الإسكندرانيّ المولد والدار ، الفقيه الشافعيّ ، العدل الحاكم ، صدر الدين ، ابن الإمام محيِي الدين .

ولد بالإسكندريّة ...

وتفقّه على مذهب الشافعيّ ، وسمع الحديث وتأدّب ، وقال الشعر الحسن .

وتولّى الحكم بالأعمال الغربيّة من ديار مصر مدّة . ثمّ ولي نظرها وولي نظر ثغر الإسكندريّة . وكان وجيهاً عند الملك الكامل ودرّس بالزاوية المجديّة [2] من جامع مصر مدّة .

وتوفّي بِمصر في أوّل صفر سنة أربع وثلاثين وستّمائة ، ودفن بسفح المُقطّم .

ومن شعره (سريع) :

من يكره العزلَ فانّي آمرؤٌ أعدّه من جملةِ الأنعُمِ
لو لم يكن فيه سوى أنّني نُزّهتُ عن لفظةِ مستخدَمِ

ومدحه الأديب أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزّار بقصيدة ، فلمّا فرغ من إنشادها أنشدَه لنفسِه ارتجالا (رمل) :

وقريض راح من إعجازهِ يصلح الصبّ ويصبي الصُّلَحا
يا له شعر [ا] تناهى حسنه حسد الممدوحُ فيه المادحا

(1) التكملة 3/ 432 (2696) . الوافي ، 18/ 197 (289) و 134 (157) .
(2) الزاوية المجديّة : بجامع عمرو نسبة إلى مجد الدين المهلّبي وزير الأشرف الأيّوبيّ (ت 628) – الخطط ، 4/ 20 .

وله (كامل) :

بالمنطق اشتغلوا و يكفي قولهم « إنّ البلاء موكّلٌ بالمنطق »[1]

1459 – مجد الدين ابن العديم [614 – 677][2]

/عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد [45 أ]
ابن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جراده ، العُقَيليّ ، الحلبيّ ، أبو المجد ، مجد الدين ، ابن الصاحب كمال الدين أبي القاسم ابن العديم ، الحنفيّ .

ولد بحلب في جمادى الأولى سنة أربع عشرة وستّمائة . وسمع من ثابت بن مشرِّف حضوراً ، ومن عمّ أبيه القاضي أبي غانم هبة الله ، وأبي محمد عبد الرحمان بن عبد الله بن علوان ، وأبي حفص السهرورديّ ، وعبد الرحمان بن بصلا ، وابن شدّاد ، والحاكم ، وعبد اللطيف بن يوسف وابن روزبة ، وجماعة بحلب وبمكّة ودمشق وبغداد ومصر والإسكندريّة .

وقرأ السبع على الفاسي[3] . وخرّج له الحافظ أبو العبّاس ابن الظاهريّ معجماً في عشرة أجزاء ذكر فيه شيوخه ، وحدّث به بدمشق ومصر . وانتهت إليه رئاسة الحنفيّة في وقته .

وكان صدراً معظّماً محتشماً ذا دين وتعبّد وأورادٍ وسيرة جميلة لولا [غرور] بادٍ فيه وتيه .

---

(1) مثل معروف – مجمع الأمثال رقم 35 .

(2) الدليل الشافي ، 403 (1390) – النجوم 7 / 281 – شذرات 5 / 358 . تالي وفيات الأعيان ، رقم152 ص 103 . الوافي ، 18/ 201 (246) ، والزيادة منه والجواهر المضيئة 2/ 386 (779) و 4/ 498 (تعداد لأفراد الأسرة) .

(3) جمال الدين أحمد بن محمد (ت 696) – الجواهر 1/ 289 (212) . أمّا الفاسي فهو أبو عبد الله محمد بن حسن شارح الشاطبيّة (ت 656) – غاية النهاية ، 2/ 122 (2942) .

وكان إماماً مفتيا مدرّسا عالما بِمذهبِه عارفا بالأدب . وولي خطابة الجامع الحاكميّ في سنة ثلاث وستّين وستّمائة ، وهو أوّل حنفيّ تولّى خطابة الجامع الحاكميّ [1] بالقاهرة .

ودرّس بالمدرسة الظاهريّة [2]، وحضره السلطان فقيل : حتّى يقضي ورد الضحى . ثمّ جاء وقد تكامل الناس فقام كلّهم ، [ولم يقم هو لأحدٍ] .

ثمّ قدِم على قضاء دمشق بعد موت شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء [3] في [جمادى الأولى] سنة ثلاث وسبعين وستّمائة . وهو بزيّ الوزراء فلم يعبأ بالمنصب ولا غيّر زيّه ولا وسّع كمه .

ودرّس بعدّة مدارس بدمشق حتى مات في سادس عشر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستّمائة .

ومن شعره ، وكتبها إلى خاله عون الدين أبي المظفر سليمان بن بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الرحمان بن العجميّ الحلبي في حقّ الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّانيّ النحويّ (طويل) :

أمولاي عون الدين يا من روى لنا ... حديثَ المعالي عن عطاءٍ ونافِع

بعيشك حدِّثني حديثَ ٱبن مالك ... فأنت له يامالكي خيرُ شافع

وكتب إلى خاله عون الدين أيضاً [بسيط] :

رحا المنون غَدَتْ بالقطب دائرة ... والصبر من بعده قد عزّ إلماما

فقلت للنفس : ما هٰذا الغرور ؟ أما ... علمتِ حقّا بكون الكون أحلاما !

ولست آسَى لخالٍ كان لي حسنٍ ... فإنّ لِي الآن خالا جَمَّلَ الشاما

ومن نثرِه : فلا يفقد المولى صبرا جميلا إن فقد حَسَنَة ، فقد كان لكم في

---

(1) جامع الحاكم أو الجامع الأنور - خطط ، 4/ 55 .

(2) المدرسة الظاهريّة أنشأها الظاهر بيبرس سنة 662 - الخطط ، 4/ 215 .

(3) ابن عطاء الأذرعيّ قاضي الحنفيّة بدمشق من 664 - الجواهر المضيئة ، 2/ 336 (729) .

رسول الله أسوة حسنة .

1460 - عبد الرحمان بن عمر بن الخطّاب [- 14]

/ عبد الرحمان بن عمر بن الخطّاب بن نُفيل بن عبد العُزّى بن رَباح بن [46 أ] عبد الله بن قُرَط بن روّاح بن عديّ بن كعب ، القرشي ، العدويّ ، أبو شحمة ، آبن أمير المؤمنين أبي حفص الفاروق ، وهو الأوسط .

قدم مصر ، وحُدّ بها في الخمر . قال آبن شهاب : حدّثني سالم بن عبد الله عن أبيه قال : شرب أخي عبد الرحمان بن عمر . وشرب معه آبن عقبة بن الحارث شرابا فسكرا منه بِمصر في خلافة عمر رضي الله عنه . فلمّا صحوا أتيا عمرو بن العاص وهو أمير بِمصر فقالا : « طهّرنا ! » . فذكر أخي أنّه سكر ، فقلت : آدخل الدار أُطَهّرك .

فقال : قد حدّثتُ الأمير .

فقلت : لا والله ، لا تُحلق على رؤوس الناس ! (قال) - وكانوا يُحلقون .

(قال) فحلقت أخي بيدي . وجلدهم عمرو .

فسمع بذلك عمر . فكتب إلى عمرو : آبعث إليّ عبد الرحمان على قتب ! ففعل . فلمّا قدم عليه جلده لمكانه منه ثمّ أرسله . فمَكثَ شهراً صحيحاً فأصابه قدرُه . فحسب عامّة الناس أنّه مات من جلده .

وقال الشعبيّ : ضرب عمر آبنا له في حدٍّ ، فأتاه وهو يموت فقال : يا أبتِ قتلتني .

فقال : إذا لقيت ربّك فأخبره أنّا نُقيمُ الحدود .

قال آبن عبد البرّ : وأمّا أهل العراق فيقولون إنّه مات تحت سياط عمر ، وذلك غلط .

قال الزبير بن بكار : أقام عليه عمر حدّ الشراب ، ومرض ومات . ويقال إنّ جَلدَه كان في سنة أربع عشرة .

وقال الطبريّ : المجلود عبد الله بن عمر .

وقد روي عن سعيد بن مسروق أنّه قال : كانت آمراة تدخل منزل عمر رضي الله عنه ومعها صبيّ . فقال عمر : من هٰذا الصبيّ معك ؟

فقالت : هو من آبنك . وقع عليّ أبو شحمة ، فهو آبنُه — فأرسل عمر إليه فأقرّ ، فقال لعليّ رضي الله عنه : آجلده ! — فضربه / عليّ خمسين . [46ب]

فقال : يا أبتي قتلتني !

فقال : إذا لقيت ربّك فأخبره أنّ أباك يقيم الحدود !

قال أبو الفرج ابن الجوزيّ : هٰذا حديث موضوع ، وضعه القصّاص فأبدَوا فيه وأعادوا ، وشرحوا فأطالوا .

وروي عن مجاهد أنّه قال : تذاكر الناسُ فضلَ عمر رضي الله عنه في مجلس عبالله بن عبّاس رضي الله عنهما ، فبكى آبن عبّاس وقال : رحمَهُ الله رجلاً لم تأخذه في الله لومةُ لائم : أقام الحدودَ كمَا أُمِر ، لم يزدجر عن قريب لقرابته ، ولم يَجْنَفْ على البعيد لبعده . ولقد أقام الحدّ على ولده حتّى قتله . بينمَا نحن عنده ذات يوم بالمسجد إذا بجارية قد أقبلت تتخطّى رقاب المهاجرين والأنصار ، ومعها ولد تحمِله ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، خذ هٰذا الولد ، فأنت أحقّ به منّي .

قال : ومن أين ؟

قالت : هو ولدُ ولدِك أبي شحمة . مررتُ في بعض الأيّام لحاجتي عند حائط لبني النجّار إذا بصائح يصيح من ورائي فآلتفتّ فإذا بآبنك أبي شحمة يتمايل سكراً — وكان قد شرب عند سبكّة اليهوديّ — فجرّني إلى الحائط وتوعّدني فأغمي عليّ ، فمَا أفقت إلا وقد نال منّي ما ينال الرجل من آمْرأته . ثمّ كتمتُ أمري عن أهلي ، وإذا بي حامل ، فوضعتُ هٰذا الغلام . فأردت قتلَه ثمّ

تديّنت . وقد أتيتك به فٱحكم بيني وبين ولدك بحكم الله .

فأمر عمر مناديه ، فنادى معاشر المهاجرين والأنصار . فأقبلوا مسرعين . فقام وأتى بيت أبي شحمة ، وأنا معه ، فدخل عليه فقال : يا بنيّ ، ما لي طاعة .

قال : بل طاعتان : طاعة الوالد وطاعة الخلافة .

قال : بالله ، وبحقّي عليك ، هل كنت ضيفا لسبكة اليهوديّ فشربت عنده الخمر ، وواقعتَ ٱمرأة في وقت كذا ؟

فقال : يا أبت ، قد كان ذلك ، وأنا تائب .

فقال عمر : التوبة رأس مال المذنبين .— وقبض عمر على يده ولحيتِه ، وجرّه إلى المسجد ، فقال : يا أبت ، لا تفضَحني على رؤوس الناس ! ٱقتلني هٰهنا ! هٰهنا !

فقال : أما سمعتَ قول الله تعالى : / وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ [47 أ] الْمُؤْمِنِينَ » (النور ، 2) .

ثمّ جاء به المسجد ، وأمر غلاما له يُقال له أفلح فقال : ٱنزع ثيابه وٱفعل ما آمرك به . ٱضرب مائة سوط ، ولا تقصّر في ضربه !

فبكى أفلح وقال : ليتني لم تلِدني أُمّي حيث أُكلَّفُ ضرب ولد سيّدي !

فقال : ٱضربه !

وضجّ الناس بالبكاء والنحيب . وجعل الغلام يقول : « يا أبت ، ٱرحمني ! » وعمر يبكي ويقول : يرحمك ربّك .

فلمّا ضربه السَوط الأوّل قال الغلام : بٱسم الله .

فقال عمر : نعم الاسم سمّيتَ !

فلمّا ضربه ثانيا قال الغلام : ما أمرّه !

قال : اصبر كمَا عصيتَ .

فلمّا ضربه ثالثا قال : الأمان ! الأمان !

فقال عمر : ربّك يعطيك الأمان .

فلمّا ضرَبه رابعا قال : واغَوثاه !

قال عمر : الغوث عند الشدّة .

فلمّا ضربه خمسا قال : الحمد لله .

قال عمر : حمد الله واجب .

فلمّا ضربه عشرا قال : يا أبت قتلتني .

قال : ذنبُك قتلك .

فلمّا ضربه ثلاثين قال : أحرقت قلبي .

فقال عمر : النار أشدّ حرّاً .

فلمّا ضربه أربعين قال : يا أبت ، دعني أستريح أذهب على وجهي .

فقال : يا بنيّ ، إذا أخذتُ حدّ الله منك فاَذهب حيث شئت .

فلمّا ضربه خمسين قال : نشدتك بالقرآن لمَا خلّيتني .

فقال : بنيّ هلّا وعظك القرآن عن المعاصي ؟

فلمّا ضربه ستّين قال : يا أبت أغثني !

فقال : إنّ أهل النار إذا اَستغاثوا لم يغاثُوا .

فلمّا ضربه سبعين قال : يا أبت اَسقني شربةً مِن ماء .

قال : يا بنيّ ، إن كان الله يطهّرك فسيسقيك محمد ﷺ شربةَ لا تظمأ بعدَها أبدًا .

فلمّا ضربه ثمانين قال : يا أبت ، السلام عليك .

فقال : يا بنيّ ، إذا لقيت محمّداً ﷺ فاَقرأه مني السلام وقل له : خلّفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود .

فلمّا ضربه تسعين ضعف وٱنقطع كلامه . فوثب أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أخِّر ما بقي إلى وقت آخر !

فقال عمر : كمَا لم تؤخَّر المعصية لا تؤخَّر العقوبة !

وبلغ أُمّ الغلام فجاءت صارخة تقول : يا عمر ، / أحجّ بكلّ سَوط [47ب] حجّة ماشيةً وأتصدّق بكذا وكذا درهما .

فقال عمر : الحجّ والصدقة لا ينوبان عن الحدّ .

فضربه مائة ، فمات الغلام . فجعل عمر رأسه في حجره وجعل يبكي ويقول : يا من قتله الحقّ ، بأبي مَن لم يرحَمْه أبوه ولا أقاربه !

فضجّ الناس بالبكاء والنحيب .

وجاء حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بعد ذلك فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت الغلام في المنام ، وعليه حلّتان خضراوان وهو مع رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ : يا حذيفة ، آقرأ على عمر منّي السلام ، وقل له : هٰكذا أمرَك ربّك أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود . وقال الغلام : قل لأبي : طهّرك الله كما طهّرتني .

والوضع على هٰذا الحديث لائح .

وذكر الزبير بن بكّار أنّ عبد الرحمان الأوسط من أولاد عمر كان يكنّى أبا شحمة . وعبد الرحمان هٰذا كان بِمصر ، فخرج غازيا ، وٱتّفق أنّه شرب نبيذاً فسكر ، فجاء إلى عمرو بن العاص فقال : « أقِم عليّ الحدّ » فٱمتنع فقال له : « إنّي أخبِر أبي إذا قدمتُ عليه » . فضربه عمرو الحدّ في داره ولم يُخرجْه . وبلغ عمر فكتب إلى عمرو يلومه في مراعاته عبد الرحمان ويقول له : ألا فعلتَ به ما يُفعل بجميع المسلمين ؟

فلمّا قدم على عمر ضربه . وٱتفق أنّه مرض فمَات .

وقال أبو الفرج ابن الجوزي : يحتمل أنّه شرب النبيذ متأوّلا فسكر من غير

اختياراً ، وأن عمر رضي الله عنه ضربه ضرب تأديب لا ضربَ حدّ ، فمرض لسبب آخر ومات ، لا من الضرب .

1461 – شمس الدولة ابن منقذ [523 – 600] [1]

[48أ] / عبد الرحمان بن محمد بن مرشد بن عليّ بن مقلد بن منقذ ، أبو الحسين ، وأبو الحرث ، ابن أبي عبد الله ، ابن أبي سلامة ، الشيزريّ ، أمير أديب فاضل .

مولده بشيزر يوم الأحد سابع شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة . وقدم إلى القاهرة ، وبعثه السلطان صلاح الدين يوسف رسولاً إلى المغرب[2] عند حصار عكّا ، فنزل الإسكندريّة وسمع الحافظ السِّلفيّ . وسمع بفاس من أبي الحسن علي بن محمد بن فرحون ، وعاد .

وكتب من الإسكندريّة إلى سيف الدولة عند عوده من المغرب إليها (وافر) :

ذكرتُك في سَلَا والقلبُ عنكم	على فرط التنائي غيرُ سال
وفي آسني خلى أسف عليكم	وأشواق تجدّدها الليالي
على البحر المحيط حططتُ رحلي	منازل لم تكن يوماً ببالي
بلاد لو سرى طيف إليها	لأعجزه الوصول من الكلال
5 ولو ريحُ الصبا طلبت هبوباً	إليها لاستعانت بالشمال
تملّ من المسير الشمس حتّى	توافيها على فرط المَلال
وأعجب ما رأيت بها رجوعي	إليكم وهو أغربُ ما جرى لي

(1) التكملة ، 2/ 52 (856) – الوافي ، 18/ 251 (301) ومنها لقب شمس الدولة .
(2) في الوافي : إلى ابن تاشفين صاحب مرّاكش .

وكتب إلى مجد الدين أسامة بن منقذ [طويل] :

أأحبابنا عزّ اللقاءُ وما أرى تماديَ هٰذا البينِ يُفضى إلى حدّ
إذا قلت قد آن التداني تجدّدت خطو ب من الأيّام تحكم بالبعدِ
ولستُ ألوم الدهر فيمَا أصابني لأنّ التنائي كان منّي على عمدِ
و بُعدك مجدَ الدين أعظم خطّة لقيتُ ، وما حال المفارق للمجد ؟

وكتب إليه (بسيط) :

إن كانت الكتبُ فيمَا بيننا انقطعَت فإنّ حبلَ ودادي غيرُ منقطِعِ
وإن تصدّع شملي عن جنابكُمُ فإنّ شملَ ثنائي غير منْصدِعِ

وقال (طويل) :

يَقولون : لو كان الهوى منه صادقاً لأصبح مغرًى بالفراق وذمّه
ولولا آحتجاجي بالتفرّق والنوى لمَا فُزتُ في يوم الوداع بلثمِه

وكانت وفاتُه بالقاهرة أوّل سنة ستّمائة .

1462 – أبو القاسم الحضرميّ [466 – 554][1]

/ عبد الرحمان بن محمد بن منصور بن الفضل ، أبو القاسم ، الحضرميّ . [48ب]
حدّث عن الحبّال[2] وغيره .

وتوفّي في يوم الثلاثاء نصف شهر رمضان سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

ومولده في رابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ستّ وستّين وأربعمائة .

(1) ذكره الذهبي عرضا في ترجمة ابنَيه محمد وأحمد – سِيَر أعلام النبلاء ، 21/ 216 – 217 (106 – 107) .

(2) الحبّال : إبراهيم بن سعيد النعمانيّ (ت 482) . قال الذهبيّ في السِيَر ، 18/ 495 (259) : آخر من حدّث عنه أبو القاسم عبد الرحمان الحضرمي بالإجازة .

1463 – تقيّ الدين الزبيريّ قاضي القضاة [741 – 813] [1]

[49 أ] / عبد الرحمان بن محمد بن عبد الناصر بن تاج الرئاسة ، قاضي القضاة ، تقيّ الدين ، أبو محمد ، الزبيريّ ، نسبة إلى الزبيريّة قرية من قرى المحلّة الغربيّة .

قدم صغيراً إلى القاهرة ، وسمع على أبي الفتح الميدومي وغيره . وآشتغل بالفقه . ووقّع على القضاة نحوا من خمسين سنة ، وفاق في معرفة السجلاّت ، وناب في الحكم بالقاهرة عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء ومَن بعدَه . فَعُرِف بالضبط والعفّة والدربة بالأحكام إلى أن آستدعاه السلطان الملك الظاهر برقوق على حين غفلة وخلع عليه في يوم الخميس ثالث عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة . فباشر القضاء أحسن مباشرة بتواضع ولين مع تثبّت زائد وتصميم إلى الغاية ودربة بالأحكام ومداراة مع عفّة وسهولة حجاب .

وعزل في يوم الاثنين النصف من شهر رَجب سنة إحدى وثمانمائة فلزم داره وصار يمشي في الأسواق لحوائجه على قدمَيه ، ولم يعهد ذلك لقاضٍ قبله ، حتّى مات في ليلة الأحد أوّل شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثماني مائة .

وقد حدّث ودرّس شيئاً في الفقه .

1464 – عبد الرحمَن بن محمود النصوليّ : انظر رقم 1444 [2]

---

(1) الدليل الشافي ، 406 (1398) – الضوء اللامع ، 4 / 138 (362) وقال : ذكره المقريزيّ في عقوده .

(2) بعد هذا تأتي مسوّدة مختصرة من ترجمة النصولّي التي مرّت برقم 1444 ، إلّا أنّ آسم الأب هنا محمود عوض محمّد . فأسندنا إليها رقم 1464 وألغيناها .

1465 – محيي الدين الربعيّ [627 – 722] [1]

عبد الرحمان بن مخلوف بن عبد الرحمان بن مخلوف بن جماعة بن [رجاء] ، أبو القاسم ، المالكيّ ، الربعيّ ، الإسكندريّ ، يلقّب مُحْيي الدين .

ولد سنة سبع وعشرين وستّمائة ، وسمع من حمد بن عليّ بن عبد الوهاب ٱبن رواج ، وغيره . وعمّر حتى صار سند بلدِه . [وكان] ذا مروءة ورئاسة [وكانت له معرفة بالشروط] مع العدالة والصلاح والخير .

ومات في الثامن من ذي الحجّة سنة ٱثنتين وعشرين وسبعمائة .

1466 – أبو سهل ابن مدرك المعرّي [– 553] [2]

/ عبد الرحمان بن مدرك بن علي بن محمد بن عبد الله بن سليمان ، أبو [50 أ] سهل ، التنّوخيّ ، المعرّي .

قدم مصر في صحبة عمّه القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد ، وعاد إلى دمشق ثمّ إلى بلده المعرّة . ومات في الزلزلة في رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

ومن شعره قوله (طويل) :

تعمّم رأسي بالمشيب فساءني ... وما سرّني تَفتيحُ نَور بياضه
وقد أبصرَت عيني خطوبا كثيرة ... فلم أر خطبا أسودًا كبياضِه

---

(1) الدرر ، 2 / 456 (2364) – الوافي ، 18 / 265 (321)
(2) الوافي ، 18 / 265 (322) – مختصر ابن عساكر ، 15 / 34 (28) .

وقوله (كامل) :

غربَتْ بهم نُوبُ الليالي فٱغتَدَوا   ما تستقِرُّ لهُم بأرضٍ دارُ
حتى كأنّهُمُ طريقُ بضائعٍ   وكأنّ أحداث الزمان تجار

وقوله (متقارب) :

جرحت بلحظيَ خدَّ الحبيب   فمَا طالَبَ المقلةَ الفاعلَة
ولكنّه ٱقتصّ من مهجتي   كذاك الدياتُ على العاقلة

1467 – تقيّ الدين الناشريّ المقرّى [580 – 661] [1]

[50ب] / عبد الرحمان بن مرهف بن عبد الله بن يحيى ، الإمام تقيّ الدين ، أبو القاسم ، الناشريّ ، المقرىء ، الفقيهُ الشافعيّ .

ولد سنة ثمانين وخمسمائة . وقرأ القراءات على أبي الجود غيّاث بن فارس . وسمع من الحافظ علي بن المفضّل[2] وغيره . وٱنتصب للإقراء مدّة بجامع عمرو بن العاصي بِمصر . وٱشتهر ٱسمُه ، وقرأ عليه جماعة ، منهم التقيّ محمد بن أحمد الصائغ[3].

وكان عارفا بالقراءات صالحا فاضلا وافرَ الحُرمة .

توفّي يوم [...] شوّال سنة إحدى وستّين وستّمائة .

---

(1) الوافي ، 18/ 266 (323) – غاية النهاية ، 1/ 380 (1618) وهو فيها : ٱبن ناشرة .

(2) عليّ بن المفضّل المقدسيّ (ت 611) – سِيَر ، 22/ 66 (29) .

(3) ابن الصائغ (ت 725) المقرىء . غاية النهاية ، 2/ 65 (2738) .

1468 – شمس الدين الحارثيّ [671 – 732] [1]

/ عبد الرحمان بن مسعود بن أحمد ، العلّامة شمس الدين ، آبن قاضي [51 أ] القضاة سعد الدين ، الحارثيّ ، الحنبليّ .

ولد سنة إحدى وسبعين وستّمائة .

سمع من العزّ الحرّاني ، وغازي [الحلاوي] وجماعة . وبرع في الفقه والنحو والأصول ، وأفتى وناظر ، وتصدّر للإفادة مع الديانة والصيانة والوقار والسمت الصالح والصدق .

وتوفّي بالقاهرة في يوم [...] ذي الحجّة سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة .

1469 – أبو معاوية ابن حديج [– 95] [2]

/ عبد الرحمان بن معاوية بن حديج بن جفنة بن قَتيرة بن جارية بن عبد [52 أ] شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السَّكُون آبن أشرس ، الكنديّ ، أبو معاوية ، آبن أبي نعيم .

سكن هو وأبوه مصر . وروى عن عبد الله بن عمر ، وأبي بصرة كُمَيل بن يزيد الغفاري ، وأبيه معاوية بن حديج ، وعبد الله بن عمرو .

وروى عنه يزيد بن أبي حبيب ، وعقبة بن مسلم ، وواهب بن عبد الله المعافريّ ، والحسن بن ثوبان وجماعة .

خرّج له البخاري في كتاب الأدب المفرد .

---

(1) الوافي ، 18 / 270 (327) – الدرر ، 2 / 456 (2365) .

(2) الكندي ، 324 . وانظر ترجمة إبنه عبد الله فيمَا يأتي (رقم 1501) .

وجعله عبد العزيز بن مروان أمير مصر على الشرط في أوّل سنة ستّ وثمانين عوضا عن يونس بن عطيّة بن يونس الحضرميّ . ثمّ جمع له مع الشرطة القضاء في ربيع الأوّل منها ، فنظَرَ فيهما جميعاً . ونظر في أموال اليتامى . وضَمَّنَ عريفَ كلّ قومٍ أموال يتامى تلك القبيلة ، وكتب بذلك كتابا ، وكان أوّل قاض نظر في أموال اليتامى . وجرى الأمرُ بعدَه على ذلك . فلمّا مات عبد العزيز بن مروان وقدم عبد الله بن عبد الملك بن مروان أميرًا على مصر ، أقرّه على القضاء والشرط . وأراد عزلَه فلم يجدْ عليه مقالاً ولا متعلّقاً ، فولّاه مرابطة الإسكندريّة في شهر رمضان ، فكانت ولايتُه ستّة أشهر .

وتوفّي عبد الملك بن مروان ، وبُويع بعده آبنُه الوليد بن عبد الملك ، فخرج عبد الرحمان ببيعة أهل مصر وافداً إليه ، وعاد إلى مصر . فلمّا ولي قرّة بن شريك إمارة مصر آستخلفَه عندما خرج إلى الإسكندريّة على الفسطاط [1] .

وتوفّي سنة خمس وتسعين .

1470 – عبد الرحمان الداخل [113 – 171] [2]

[53 أ] / عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو المطرّف [3] ، (الأمير) الأمويّ الداخل إلى الأندلس . يقال له صقر قريش .

كان أبوه معاوية وليّ عهد أبيه هشام بن عبد الملك ، وقاد إلى الروم خمس عشرة صائفة ، ومات في حياة أبيه سنة ثماني عشرة – وقيل اثنتين وعشرين –

(1) في سنة 91 (الكندي ، 64) .

(2) في المخطوط ميّزت الترجمة بعنوان أحمر : خليفة الأندلس الأمويّ . وانظر نفح الطيب 3 / 76 – البيان المغرب 2 / 40 – دائرة المعارف الإسلاميّة 1 / 84 .

(3) كنيته أيضا : أبو سليمان ، وأبو زيد (نهاية الأرب 23 / 334 – الكامل 5 / 83) .

ومائة ، وعمره إحدى وعشرون سنة . وترك من الأولاد عبد الرحمان ويحيى شقيقه ، وأبان ، وعبيد الله ، وهشاما ، والمنذر ، وعبدة ، وأم الأصبغ .

وولد عبد الرحمان سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنيناء [1] من عمل دمشق - وقيل بالعلياء من عمل تدمر - وأمّه أمّ ولد آسمها راح ، بربريّة .

فدخل يوما على جدّه هشام بن عبد الملك ، وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك ، وكان حينئذ عبد الرحمان صبيّا . فأمر هشام أن ينحّى عنه ، فقال له مسلمة : دعه يا أمير المؤمنين ، وضمّه إليه ، ثمّ قال : يا أمير المؤمنين هذا صاحب بني أميّة ، ووزرهم عند زوال دولتهم ، فاستوصِ به خيراً ! (قال عبد الرحمان) : فلم أزل أعرف من جدّي مزيّة بعد ذلك .

وما زال عبد الرحمان بالشّام إلى أن ظهرت الدولة العبّاسيّة ، وقتل من قتل من بني أميّة ، وفرّ من نجا منهم ، وكان عبد الرحمان بذات الزيتون [2] ففرّ منها إلى فلسطين فقدمها آخر سنة ستّ وثلاثين . وقيل إنّه عبر الفرات يشقّها عوما بذراعيه ، ثمّ قطع الفلاة بِمفرده . وأقام هو ومولاه بدر يتجسّس الأخبار . فحكي عنه أنّه قال : لمّا أعطينا الأمان ، ثمّ نكث بنا بنهر أبي فطرس [3] وأبيحت دماؤنا ، أتاني الخبر - وكنت منتبذا عن النّاس - فرجعت إلى منزلي آيسا ، ونظرت فيمَا يصلحني وأهلي ، وخرجت خائفا حتى صرت إلى قرية على الفرات ذات شجر وغياض . فبينا أنا ذات يوم بها ، وولدي سليمان يلعب بين يديّ - وهو يومئذ ابن أربع سنين - فخرج عنّي ثمّ دخل من باب البيت باكيا فزعا فتعلّق بي . وجعلت أدفعه وهو يتعلّق بي . فخرجت لأنظُرَ ، وإذا بالخوف

---

(1) من أعمال دمشق (ياقوت) - وفي البيان المغرب 2 / 47 : دير حسينة .

(2) الزيتونة عند ياقوت : موضع ببادية الشّام كان ينزله هشام بن عبد الملك قبل أن يعمّر الرصافة .

(3) نهر قرطوس : قرب الرملة ، وبه أوقع عبد الله بن علي بن عبد الله بن العبّاس بالأمويّين فقتلهم سنة 132 (ياقوت . وانظر الكامل 4 / 362) .

قد نزل بالقرية ، وإذا بالرّايات السّود منحطّة عليها ، وأخ لي حدث السنّ يقول لي : النجاة ! فهذه رايات المسودّة .

فأخذت دنانير معي ونجوت بنفسي وأخي ، وأعلمت أخواتي بِمتوجّهي وأمرتهنّ أن يلحقنني مولاي بدرا . وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي أثراً . فأتيت رجلاً من معارفي وأمرته فاشترى لي دوابّ وما يصلحني . فدلّ عليّ عبدٌ له العامل فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هراباً والخيل تبصرنا فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل إلى الفرات فسبحنا . أمّا أنا فنجوت ، والخيل [53ب] ينادوننا بالأمان ولا أرجع . وأمّا أخي فإنّه عجز عن السباحة / في نصف الفرات فرجع إليهم بالأمان فأخذوه فقتلوه وأنا أنظر إليه ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاحتملت فيه ثُكلاً آخر . ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة أشبة حتى انقطع الطلب عنّي وخرجت فقصدت المغرب .

وقدم مصر ثمّ صار منها إلى أرض برقة فأقام بها خمس سنين . ثم رحل من برقة يريد الأندلس .

ثمّ إنّ أخته أمّ الأصبغ بعثت إليه مولاه أبا الغصن بدرا ، ومعه نفقة له وجوهر . فبلغ عبد الرحمان إفريقيّة ، وعليها عبد الرحمان بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري متولّي إفريقيّة من قبل مروان . فظنّ عبد الرحمان أنّه يرعاه ويحسن مجاورته . فلمّا علم ابن حبيب بقتل مروان كتب إلى أبي العبّاس السفّاح بالسّمع والطّاعة ، وأراد قتل عبد الرحمان بن معاوية تقرّباً إلى بني العبّاس . فهربَ منه إلى مكناسة من قبائل البربر فلقي عندهم سَدّة . ثمّ هرب من عندهم فأتى نفزاوة وهم أخواله – لأن أمّه كانت بربرية منهم سبيت في غزاة إفريقيّة – ومعه مولاه بدر . فأحسنوا إليه . فاطمأنّ فيهم وأخذ في التدبير ومكاتبة أهل الأندلس من موالي بني أميّة يعلمهم بقدومه ويدعوهم إلى نفسه . ووجّه مولاه بدرا إليهم .

وكان أميرَ الأندلس إذ ذاك أبو زيد يوسف بن عبد الرحمان بن أبي عبيدة

ابن نافع الفهري . فاخذ بدر يتجسّس عن الخبر ، فرأى القوم وبأسهم ، وكانوا يمانيّة ومضريّة يقتتلون على العصبيّة . فقال للمضريّة : لو وجدتم رجلا من أهل بيت الخلافة ، أكنتم تبايعونه وتقومون به ؟

فقالوا : وكيف لنا بذلك ؟

فقال بدر : هٰذا عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك – ودعاهم إليه فأجابوه . ووجّهوا إليه مركباً فيه تمّام بن علقمة وجماعة . فوصلوا إليه وأبلغوه طاعتهم له ، وأخذوه إلى الأندلس ، فأرسى بالمنكب[1] في شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين ومائة . فأتاه جمع من رؤسائهم من أهل إشبيلية . وكانت نفوس اليَمن حنقة على الصّميل بن حاتم الكلابيّ ويوسف الفهريّ ، فأتوه أيضاً وبايعوه .

فسار وجمعه يكثر حتى نزل إشبيليّة . ثمّ نهد إلى قرطبة ، وكان يوسف غائبا بنواحي طليطلة . فأتاه الخبر وهو عائد إلى قرطبة ، وكان قد بلغه خبر عبد الرحمان فلم يعبأ به ولم يكترث . فلمّا قرب عبد الرحمان منه تراسلا في الصلح ، فخادعه يومين أحدهما يوم عرفة . فاطمأن أصحاب يوسف ، ثقة منهم بأنّ الصلّح قد انبرم . وأقبل يوسف يهيّىء الطّعام ليأكله الناس على سماطه يوم الأضحى ، وعبد الرحمان يرتّب خيله ورجله . وعبر النّهر ليلا في أصحابه ، فنشب القتال ليلة الأضحى وصبر الفريقان إلى أن ارتفع النّهار ، وقد ركب عبد الرحمان بغلا يرى النّاس أنّه يثبت ولا يفرّ . فسكنت قلوب أصحابه واشتدّ قتالهم فانهزم يوسف ، وبقي الصميل فقاتل في عصبة من عشيرته ثمّ انهزموا / . فمَضى [54 أ] يوسف إلى ماردة . وأتى عبد الرحمان قرطبة فدخلها من يومه يوم الجمعة عاشر

(1) في المخطوط : بالمركب ، وكذلك في نهاية الأرب 23/ 326 . وفي الكامل 4/ 362 والبيان 2/ 44 والنفح 3/ 74 : بالمنكبّ ، بساحل المنكب . وفي معجم البلدان : المنكبّ : من أعمال إلبيرة ، على أربعين ميلاً من غرناطة . وفي تاريخ إسبانيا الإسلامية ، 1/ 101 و 3/ 844 : المنيكر Al-Muñecar بين مالقة وألمرية .

ذي الحجّة يوم النحر سنة ثمان – وقيل تسع – وثلاثين ومائة ، والنّاس في المصلّى يصلّون العيد . وأخرج حشم يوسف وأهله من القصر ودخله بعد ذلك .

وشبّهت واقعة عبد الرحمان بيوم مرج راهط[1] ، فإنّها كانت يوم عيد النّحر وكانت بين أمويّ وفهريّ ، وكان على مقدّمة مروان حسّان بن بجدل الكلبيّ . وكذلك كانت هٰذه يوم الأضحى وهي بين أمويّ وفهريّ ، وكان على مقدّمة عبد الرحمان حسّان بن مالك الكبيّ . وكانت سنّ عبد الرحمان يومئذ تسعاً وعشرين سنة .

ثمّ سار (عبد الرحمان) في طلب يوسف . فلمّا أحسّ به يوسف خالفه إلى قرطبة وأخذها وملك قصرها واحتوى على جميع أهله وماله ، وأسر أبا عثمان جعدة صاحب الأرض ، وهو يخلف عبد الرحمان على قرطبة ، ولحق بمدينة إلبيرة وكان الصّميل بمدينة شوذر[2] . فلمّا بلغ عبد الرحمان الخبر رجع إلى قرطبة طمعاً في لحاق يوسف . فلمّا لم يجده سار إلى إلبيرة ، وقد قدم الصّميل إليها واجتمع بيوسف وصارا في جمع كثير . وآل الصلح على أن ينزل يوسف بأمان هو ومن معه وأن يسكن مع عبد الرحمان بقرطبة ، ويرهنه يوسف ابنيه أبا الأسود محمد وعبد الرحمان .

فسار يوسف مع عبد الرحمان ونزل معه بقرطبة . فلمّا استقر أمر عبد الرحمان بنى القصر بقرطبة ، وبنى المسجد الجامع ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، وبنى مساجد الجماعات ، وأتاه جماعة من أهل بيته .

وكان يدعو لأبي جعفر المنصور مدّة عشرة أشهر ثمّ قطع اسمه من الخطبة .

فلمّا كانت سنة أربعين – وقيل إحدى وأربعين – نكث يوسف الفهريّ

---

(1) وقعة « مرج راهط » بين الضحّاك بن قيس الفهريّ ومروان بن الحكم سنة 65 هـ (انظر الكامل 5/ 328 تحت سنة 64) .

(2) شوذر : بين غرناطة وجيّان : (ياقوت ، والكامل 4/ 363 ، ولم يذكرها النّويري) .

عهد عبد الرحمان ، وصار إلى ماردة فاجتمع عليه عشرون ألفا ، وقصد محاربة عبد الرحمان . فسار إليه من قرطبة . فمضى يوسف إلى إشبيليّة ، وعليها عبد الملك آبن عمر بن مروان ، فحاربه وهزمه [1] وقتل كثيراً من أصحابه ، وبقي يوسف متردّداً في البلاد حتّى قتله بعض أصحابه في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين بنواحي طليطلة وحمل رأسه إلى عبد الرحمان . فنصبه بقرطبة ، وقتل ابنه أبا زيد عبد الرحمان بن يوسف الذي كان رهينة عنده ونصب رأسه مع رأس أبيه . وبقي أبو الأسود بن يوسف عنده رهينة . وقبض على الصّميل وسجنه حتى مات في سجنه .

ثمّ خرج العلاء بن مغيث (اليحصبيّ) من إفريقيّة في سنة ستّ وأربعين إلى باجة ، ولبس السّواد ودعا لبني العبّاس . فسار إليه عبد الرحمان ولقيه بنواحي إشبيلية وحاربه أيّاما حتى هزمه وقتل سبعة آلاف من أصحابه في المعركة ، ثمّ قتل العلاء . وأمر بعض التجّار بحمل رؤوس جماعةٍ من مشاهيرهم إلى القيروان وإلقائها في السوق سرًّا ، ففعل ذلك . ثمّ حمل منها إلى مكّة عدّة فوصلت ، وقد حجّ أبو جعفر المنصور ، وكان مع الرؤوس لواء أسود وكتاب كتبه المنصور / للعلاء فأنكى بذلك المنصور . [54ب]

وخرج أيضاً سعيد اليحصبيّ المعروف بالمطري بِمدينة لبلة غضبا للعلاء ، فاجتمعت إليه اليمِنيّة ، وقصد إشبيلية وتغلّب عليها فكثر جمعه فبادره عبد الرحمان ، وما زال يحاصره حتى قتل وقتل كثير ممّن كان معه ، وعاد عبد الرحمان إلى قرطبة .

فخرج عليه عبد الله بن خراشة الأسدي بكورة جيّان ، وأغار على قرطبة في جمع كثير . فندب لقتاله جيشا فتفرّق جمعه ، وطلب الأمان فأمّنه .

ثمّ خرج في سنة إحدى وخمسين بشرق الأندلس رجل من بربر مكناسة

---

(1) المهزوم هو يوسف الفهريّ . الكامل 4 / 864 .

يقال له شقنا بن عبد الواحد ، وادّعى أنّه من ولد عليّ بن أبي طالب ، وتسمّى بعبد الله بن محمد ورفع نسبه إلى الحسين بن عليّ . فاجتمع عليه خلق كثير من البربر وعظم أمره . فخرج إليه عبد الرحمان ، وكانت له معه أخبار وحروب إلى أن كانت سنة ستّ وخمسين ، فخرج إليه لمُحاربته فخرج أهل إشبيلية عن طاعته ، فرجع وقد هاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم . وقدّم ابن عمّه عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم فقاتل اليَمانيّة وأهل إشبيلية ، فلم تقم بعدها لليَمانيّة قائمة . وعاد عبد الرحمان إلى قرطبة فقتل في سنة سبع وخمسين خلقاً كثيراً ممّن كان من الخارجين عليه ، ومال من حينئذ إلى اقتناء العبيد لمَا بلي به من غشّ العرب .

وثار عليه في سنة ستّين – وقيل إحدى وستّين – عبد الرحمان بن حبيب الفهريّ المعروف بالصقليّ ، وعبر إفريقيّة إلى الأندلس محاربا لهم ليدخلوا في طاعة الدولة العبّاسية ، فلم يزل عبد الرحمان يدبّر عليه حتّى اغتاله رجل من البربر فقتله وحمل رأسه إليه فأعطاه ألف دينار ، وذلك سنة اثنتين وستّين .

ثمّ ثار أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمان الفهريّ بالأندلس في سنة ثمان وستّين بعد ما فرّ من السّجن بقرطبة إلى طليطلة . واجتمع عليه خلق كثير ، وسار لحرب عبد الرحمان فلقيه واشتدّ القتال . ثمّ انهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف ، وغرق في النهر كثير . ثمّ بقي يُحارب عبد الرحمان إلى أن هلك سنة سبعين . فقام من بعد أخوه قاسم وجمع فقاتله عبد الرحمان حتى قتله بعد أن ظفر به .

ولم يزل عبد الرحمان مظفّراً إلى أن توفّي يوم الثلاثاء لستّ بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة [1] ، وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة

---

(1) (وقيل في غرّة جمادى الأولى سنة 172 – وهو الصحيح –) . النّويري 23 / 350 . وكذلك الكامل 5 / 83 .

أشهر ، بقرطبة ، وصلّى عليه ابنه عبد الله وأخذ البيعة لأخيه هشام ، وكان غائبا وقيل : مات وسنّه (...) وستّون سنة . وكانت إمارته ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، بعدما قطع القفر ، وركب البحر ، ودخل بلداً أعجميّاً وهو وحده فغلب عامله ، ومصّر الأمصار وجنّد الأجناد ودوّن الدواوين وأقام ملكا بحسن تدبيره وشدّة شكيمته . فولي بعده ابنه هشام بن عبد الرحمان .

وكان أصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم / سناطا [1] [55 أ] أعور ، له ظفيرتان وبوجهه خال . وكان أخشم لا يشمّ شيئًا [2]

وكان شديد البأس سريع الغضب سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد إلى راحة ، شديد الحذر .

وكان نقش خاتمه : بالله يثق عبد الرحمان وبه يعتصم [3] . وكان فصيحاً لسنا شاعراً حليماً عالماً حازماً ورعاً سخيّا جوادا ، يكثر لبس البياض .

وكان يقاس بأبي جعفر المنصور في حزمه وشدّته وضبط المَملكة . ووافقه في أشياء : منها أن كلّا منهما أمّهُ بربريّة . وكان الناس يقولون : ملك الأرض ابنا بربريّة ، يعنون عبد الرحمان والمنصور ، وذلك أنّ أمّ المنصور سلامة البربريّة ، وأمّ عبد الرحمان راح البربريّة .

ومنها أنّ المنصور قتل ابن أخيه السفّاح ، وقتل عبد الرحمان ابن أخيه المغيرة ٱبن الوليد بن معاوية .

وهو الذي بنى الرصافة بقرطبة تشبّها برصافة جدّه هشام بن عبد الملك بدمشق .

---

(1) سناط بالضمّ والكسر وسنوط : لا لحية له . وسنُط الرجل على وزن كرم وفرح .
(2) هذه الأوصاف الجسمانيّة لا توجد في الكامل ولا في نهاية الأرب ، ولكنّ المقري ذكرها نفح 3 / 85 .
(3) في البيان ، 2 / 84 : عبد الرحمان بقضاء ٱلله راض .

وكان عبد الرحمان لمّا سار يريد قرطبة في ابتداء أمره قيل له : «كيف تسير بلا لواء ؟ » فأتي بقناة وأرادوا إمالتها ليعقد عليها ، فأبى أن يُميلها كراهة الطيرة وعمد إلى شجرتين بين زيتون متجاورتين فركز القناة بينهما ثمّ أطلع أبا عثمان فعقد اللّواء على القناة وسار به فلم يزل هذا اللواء على تلك القناة عند خلفاء بني أميّة بالأندلس يتباركون به . وإذا أرادوا عقد لواء عقدوه على هذه القناة ، إلى أن كانت آخر أيّام عبد الرحمان بن الحكم بن هشام ، فأراد الوزراء عقد لواء فأحضروا القناة فإذا عليها عقدة خلقة فلمْ يدروا ما هي فأنفوا منها وألقوها عن القناة . فبلغ ذلك شيخ الوزراء الوزير جهور بن يوسف فشقّ عليه فعلهم وقال : إنّما تركت للتبرّك بها – وتطلّبها فلم توجد . ومن حينئذ دخل الوهن في مَملكة بني أميّة حتّى زالت وانقرضت .

والأمير عبد الرحمان أوّل من رتّب الحجابة بالأندلس . وكان حاجبه تمّام بن علقمة . ولم يكن له وزير وإنّما كان لهُ أهل مشورة .

وكان على قضائه يحيى بن يزيد التّجيبي ثمّ معاوية بن صالح الحضرميّ وعمر بن شراحيل ، وعبد الرحمان بن طريف اليحصبيّ .

وقصده رجل فمثل بين يديه يستجديه وقال : يا ابن الخلائف الراشدين والسادات الأكرمين ، إليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قلّل المال وشعّت الحال وصيّر إلي نداك المآل . فأنت وليّ الحمد وربِيُّ المجد المرجوّ للرِّفد .

فقال له مسرعا : قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك ، على كرهنا لسوء مقالك . فلا تعودنّ – ولا سواك – لمثله من إراقة ماء / وجهك بتصريح المسألة والإلحاف في الطلبة . وإذا ألمّ بك خطب أو [55ب] حزبك أمر فارفع إلينا في رقعة كيمَا تستر عليك خللك وتكفّ شماتة العدوّ عنك بعد رفعها إلى مالكنا ومالكك عزّ وجهه بإخلاص الدعاء وحسن النيّة .

وأمر له بجائزة حسنة . فخرج الناس يعجبون من حسن منطقه . وكان معاوية بن صالح يتناوب خطّة القضاء للأمير عبد الرحمان هو وعبد الرحمان بن طريف على قرطبة ، فابطأت على معاوية في بعض السّنين فقلق وكتب إلى الأمير يستعيدها ويذكّره وجوبها ، فلهي عنه ، وأمضي ابن طريف على حاله . فأعاد معاوية الكتاب إليه ، فعاتبه الأمير عبد الرحمان وقال : مثلك يستحثّ في عمل طالمَا لاذ الصالحون منه وفرّوا عنه .

فكان من عذره : فإن كنت سألتك الولاية فقد سألها من كان ظلُّه في الأرض خيرا منّي ، وذاك يوسف النبيّ ﷺ في قول الله تعالى عنه : ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف ، 12) .

وكان ابن طريف عادلا صالحا ورعا ، إذا شغل عن القضاء يوما لم يأخذ لذلك اليوم أجرا .

ومن شعر الأمير عبد الرحمان ، وقد رأى نخلة بالأندلس في الرصافة التي بناها فقال [طويل] :

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة	تناءت بأرض الغرب عن بلد النّخل
فقلت : شبيهي في التغرّب والنوى	وطول اكتئابي عن بنيّ وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة	فمثلك في الإقصاء والمنْتَأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي	يسحّ ويستمري السماكين بالوبل

ويذكر أنه نزل وهو متوجّه في مبدإ أمره بقوم يقال لهم بنو ماسين فأقام عندهم وقال للذّي كان عنده : إن سمعت بأوّل وال ولي الأندلس فارحل إليه . ـ فلمّا تمّ أمره أتاه الرجل فأقام ببابه مدّة لا يصل إليه حتى ركب عبد الرحمان ذات يوم ، فعرض له من بعد ، فعرفه ووكّل به من أحضره عنده . وسأله عن أهله وعياله وأمره بطلب ما يريد . فقال : تهب لي غلاما وجارية يرعيان علينا .

فقال : نعطيك عشرة من الغلمان وعشرا من الجواري !

ثمّ أنزله وأكرمه وبعث في إحضار أهله فلم يشعر البربري إلّا بأهله وولده وجميع حشمه عنده . فوسّع عليهم عبد الرحمان وغمرهم بفضله .

[56 أ] وكان أبو جعفر المنصور يثني على عبد الرحمان ويقول : ذاك صقر قريش / دخل المغرب ، وقد قتل قومه ، فلم يزل يضرب العدنانيّة بالقحطانيّة ، ويكبس القحطانيّة بالعدنانية حتى ملك .

وكان يدعو لأبي جعفر على المنابر حتى قدم عليه عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم . فلمّا حضر معه الجمعة وسمع الدعاء لأبي جعفر ، أنكره . وقال : إنّ من الحلم لجهلا ! وأي هوادة بيننا وبين هؤلاء ؟ عدوا علينا فلم يرقبوا فينا إلّا ولا ذمة واستحلّوا منّا كلّ حرمة وأخرجونا من أرض الله الواسعة فألجؤوا فلّنا إلى هذه القاصية الشاسعة . ثمّ ها نحن نسائرهم فيها ونَمُدّ لهم خيط باطلهم بالدعاء لهم ؟ أعطي الله عهدا : لئن لم تحوّل الدعوة لهم إلى البراءة منهم لأنقلبنّ على وجهي مبادرا في هذه الأرض العريضة !

وقد كان ذلك من هوى عبد الرحمان . إلّا أنّه آثر الأناة إلى أن استضاء برأي ابن عمّه . فترك الخطبة لأبي جعفر وتفرّد بالدّعاء لنفسه ، وذلك بعد سنة من دخوله الأندلس .

ثم شرع في تعظيم قرطبة فجدّد مغانيها وشيّد مبانيها وحصّنها بالسّور ، وابتنى قصر الإمارة والمسجد الجامع ووسّع فناءه ، وأصلح مساجد الكور . ثمّ ابتنى مدينة الرّصافة منتزها له واتّخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل إليها غرائب الغراس وأكارم الشّجر من بلاد الشام وغيرها من الأقطار . ورأى أوّل ما نزل هذه الرصافة نخلة فذّة فذكّرته باغترابها غربته فقال : تبدّت ... الأبيات .

وأشاع في سنة ثلاث وستّين ومائة الرّحيل إلى الشام لانتزاعها من بني العبّاس ، وذلك أنّ كُتب جَمَاعَة ممّن بها من أهل بيته ومواليه وشيعته توالت

عليه بضعف المسوّدة وفتور فورتهم وثقل دولتهم على النّاس . فعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفة ويذهب بعامّة من أطاعه ، وكمّل من ضروب المَماليك أربعين ألفا ، فاخترم دون ذلك .

1471 – النجم البادرّائيّ [594 – 655] [1]

/ عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن عثمان بن أحمد ، أبو [57 أ] محمد ، ابن أبي الوفاء ، ابن أبي محمد ، ابن أبي سعد ، الشيخ نجم الدين ، البادرّائيّ ، البغداديّ ، الشافعيّ .

وُلد ببادرايا[2] من عمل العراق في صفر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وسمع من عبد العزيز بن منينا ، وأبي منصور الرزاز ، وتفقّه وبرع في الفقه . ودرّس بالنظاميّة ببغداد ، وترسّل عن الديوان العزيز غير مرّة .

وحدّث ببغداد ومصر وحلب [. . .] [3] .

وولي قضاء بغداد كَرها فأقام بعد ولايته سبعةَ عشر يوماً .

ومات ببغداد في ذي الحجّة سنة خمس وستّين وستّمائة .

وكان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً .

وله بدمشق مدرسة تعرف بالبادرائِيّة كانت تعرف بدار شامة ، عمِل بها درساً وشرط على المقيم بها أن يكون غيرَ متزوّج ، وأن لا تكون كغيرها من المدارس . فلمّا كملت وحضر بها وحضر عنده الملك الناصر يوسف بن العزيز ،

---

(1) السبكيّ ، 8/ 159 (1156) – ابن قاضي شهبه ، 2/ 132 (408) – الإسنويّ ، 1/ 276 (254) – شذرات ، 5/ 269 ، وفيها جميعاً أنّه مات سنة 655 .

(2) قال ياقوت : بادرايا بنواحي واسط .

(3) بياض بأربعة أسطر .

قُرِئَ كتاب الوقف فكان من جُملتِهِ : ولا تدخلها ٱمرأة .

فقال السلطان : ولا صبيّ .

فقال البادراني : يا مولانا ، ربّنا ما يضرب بِعصاتين .

وجعل عليها أوقافا حسنةً ، ووقف بها خزانة كتب نافعة . وأوّل من درس فيها ٱلشيخ برهان الدين إبراهيم التاج الفزاريّ .

1472 – أبو القاسم القزوينيّ [– 315] [1]

[58 أ] / عبد الله بن محمد بن جعفر ، أبو القاسم ، القزوينيّ ، الفقيه الشافعيّ .

ولي قضاء دمشق نيابةً عن محمد بن العبّاس الجمحيّ . وولي قضاء الرملة . وسكن مصر . وحدّث عن يزيد بن محمد بن عبد الصمد ، ويونس بن عبد الأعلى ، ومحمد بن عوف ، وأبي حفص عمر بن مقلاص ، ومحمد بن إسحاق الصاغانيّ، وإبراهيم بن سليمان بن حيّان ، والربيع بن سليمان ، ومحمد ٱبن إصبغ بن الفرَج .

روى عنه أبو بكر المقرىء ، وعبد الله بن محمد بن عثمان الحافظ ، عُرِفَ بٱبن السقّاء الواسطيّ ، والجيش بن حبيب ، وأبو دفافة أسلم بن محمد بن سلامة العثمانيّ ، وأبو الحسن عبد الرؤوف بن الحسن الدمشقيّ ، وأبو الحسين الرازي ، وأبو القاسم بن أبي العقب ، وأبو الطيّب أحمد بن عديّ ، وأبو الحسين بن المظفّر الحافظ ، وأبو سعيد ابن الأعرابيّ .

قال ٱبن يونس : كان فقيهاً على مذهب الشافعيّ . وكانت له حلقة بِمصر . وكان قد تولّى قضاء الرملة ، فكان محموداً فيما يتولّى . وكان يُظْهِر عبادة

---

(1) الوافي ، 17 / 477 (399) – السبكيّ ، 3 / 320 (204) – الإسنويّ ، 2 / 296 (915) – النجوم ، 3 / 219 .

ووَرَعًا . وكان قد ثقل سمعُه شديداً . وكان يفهم الحديث ويحفظ . وكان له مجلس إملاءٍ في داره . وكان يجتمع إليه حفّاظ الحديث وذوو الأسنان منهم . وكان مجلسه وقوراً ويجتمع فيه جمع كبير . فخلط في آخر عمره ووضع أحاديثَ على متونٍ محفوظة معروفة ، وزاد في نُسَخٍ معروفة مشهورة فٱفتضح وحرّقت الكتبُ في وجهه وسقط عند الناس وترك مجلسه ، فلم يكن يجيءُ إليه كبير أحد . وتوفّي بعد ذلك بيسير .

وقال عبد الغنيّ بن سعيد الحافظ : سمعت عليَّ بنَ زريق بن إسماعيل يقول : آخذُ ما أُخِذ على عبد الله بن محمد بن جعفر القزوينيّ روايتُه عن أبي قرّة عن سعيد بن تليد عن عبد الرحمان بن القاسم عن مالك عن الزهري عن أنس بن مالك عن النبيّ ﷺ : « إذا قرب العشاء وأقيمت الصلاة فٱبدَؤوا بالعشاء » . وأُخِذ / عليه أنّه كان إذا حدّث يقول لأبي جعفر ابن البرقيّ في حديث بعد [58ب] حديث : كتبتَ هٰذا عن أحد ؟

فكان ذاك يقول له : نعم ، كتبتُه عن فلان وفلان .

فلمّا كثر هٰذا منه قال له القزوينيّ : ما مثلي ومثلُك إلّا كشاعرٍ جاء إلى رجل فمَدحَه بقصيدة . فلمّا فرغ منها وٱنتظر الجائزة قال له : هٰذه قصيدة مقولة . فحلف ذلك أنّه ما قالها إلّا هو وأنّه سهر فيها حتى نظمها ، فقال له المَمدوح : أنا أُنشدُك إيّاها حتّى تَعلمَ أنها مقولة ، فأنشدَه إيّاها .

فأنكر الناس هٰذا على القزوينيّ مع ما أنكروا عليه وٱتّهمُوه بأنّه يفتعل الأحاديث وأنّها ليست عند أحد . ووقع له البرقيّ : هٰذا يدّعيها كعادته الكذب .

قال عبد الغنيّ : وسمعتُ أبا الحقّ إبراهيم بن محمد الرغَني العدل يقول : قدم علينا ٱبن مظفّر ، وكان رجلا أحول أشجّ فحضر عند القزويني فقال له : إنّ هٰذا الذي تمليه علينا هو عندنا كثير بالعراق -- يريد حديثَ مصر . فكان ذلك

مبتدأ إخراج القزويني حديث عمرو بن الحرث ، فكان منه الذي كان من نكير الناس عليه أحاديث أملاها من حديث عمرو .

وقال أبو عبد الله الحافظ : سألت أبا الحسن الدارقطنيّ عن عبد الله بن محمد بن جعفر القزوينيّ المحدّث بِمصر ، فقال : «كذّاب يصنع الحديث ، وضع لعمرو بن الحرث أكثرَ من مائة حديث» . وقال لي أبو إسحاق الشيباني : أفسده علينا ٱبنُ المظفّر .

قلت : وكيف ؟

قال : كان يحدّثنا ولم نقِف على حاله حتّى جاء فقال له : «أين حديث المصريّين : عمرو بن الحرث ، وحيوة ، وهؤلاء ؟» فوقع في هٰذه البلايا .

وقال أبو جعفر الطحاويّ : «إن كان أبو القاسم قدِم إلى مصر فكتب عن شيوخها هٰذه الأحاديثَ ، ونحن بها لم نكتُبْها ، فمَا كنّا إلّا بياطرة !» .

قال عبد الغنيّ بن سعيد : ومِمّا أنكر عليه أنّه حدّث عن عبيد الله بن سعيد ٱبن عفير عن أبيه رشدين بن سعد عن عقيل ويونس وعمرو بن الحرث وقرّة عن الزهريّ فزاد فيها عمرو بن الحرث . والناس يَرْوُونَها وليس فيها عمرو بن الحرث .

فقال حمزة بن يوسف : سألتُ الدارقطني عن عبد الله بن محمد القزويني القاضي فقال : ضعيف .

[159] وقال/ [1]إبراهيم بن عبد الله بن حصن الأندلسيّ [2] محتسب دمشق : سألتُ الدارقطني – يعني : عنه – فقال : «ضعيف كذّاب يضع الحديث . ألّف كتاب سنن الشافعيّ ، وفيها مائتا حديث أقلّ أو أكثر لم يحدّث بها الشافعيّ» . ثمّ ذكر عنه الدارقطني مواضعَ كان يصحّف فيها .

---

(1) تكملة على ورقة طيّارة بخطّ المؤلّف ، وسُبقت في آخر الصفحة 58 ب بكلمة «إبراهيم» إعلانا ببداية الصفحة الموالية .

(2) له ترجمة في المقفّى رقم 255 (توفّي سنة 404) .

وقال عبد الغنيّ بن سعيد : ومِمّا جرى منه أيضاً أنّه كان يصحّف في أسماء شيوخه الذين حدّث منهُم .

وقال آبن زبر : مات في سنة خمس عشرة وثلاثمائة .

1473 – الحافظ النيسابوريّ [238 – 324] [1]

/ عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون ، أبو بكر ، النيسابوريّ، [60 أ] الفقيه الشافعيّ ، الحافظ ، مولى [آل] عثمان بن عفّان .

سمع بالعراق وبِمصر والجزيرة والشام من العبّاس بن الوليد بن مزيد ، وأحمد بن محمد بن أبي الحناجر ، وأبـ[ـي] بكر محمد بن عبد الرحمان بن الأشعث الدمشقي وأبـ[ـي] حميد عبد الله بن محمد بن تميم ، ويونس بن عبد الأعلى ، وأحمد بن عبد الرحمان بن وهب ، والربيع بن سليمان ، ووفاء بن سهل وأبـ[ـي] زرعة الرازي وجماعة .

وكتب عنه موسى بن هارون الجمّال ، وهو أكبر منه . وروى عند أبو العبّاس بن سعيد ، وحمزة بن محمد الكنانيّ ، ودعلج بن أحمد ، وأبو حفص ابن شاهين ، وطائفة .

وسكن بغداد . وكان إمامَ الشافعيّين في عصره بالعراق ، ومن أحفظِ الناس للفـ[ـقـ]ـهيّات وآختلاف الصحابة . وكان حافظا للحديث متقنا عالما بالفقه والحديث موثّقا في روايتِه . قال الدارقطني : « ما رأيتُ أحفظَ منه » . وفي رواية : « لم نرَ مثلَه في مشايخنا ، لم نرَ أحفظ منه للأسانيد والمتون . وكان أفقه المشايخ . جالسَ الربيعَ والمُزنيّ ، وكان يعرف زيادات الألفاظ في المتون .

---

(1) الوافي 17 / 480 (403) – غاية النهاية 1 / 449 (1871) – السبكيّ ، 3 / 310 (200) – تاريخ بغداد ، 10 / 120 (5248)

ولمّا قعَدَ للحديث قالوا : حدّث !

قال : بل سلُوا !

فسُئِل عن أحاديثَ فأجاب فيها وأملاها . ثمّ بعد ذلك ابتدأ فحدّث .

وقال يوسف بن عمر بن مسروق : سمعتُ أبا بكر النيسابوري يقول : « من الناس من أقام أربعين سنة لم ينم الليلَ ويتقَوّتُ كلّ يوم بخمس حبّاتٍ ويصلّي صلاة الغداةِ على طهارة العشاء الآخرة » . ثم قال : « أنا هو ، وهٰذا كلّه قبلَ أن أعرف أمّ عبد الرحمان ، إيش لمَن زوّجَني ؟ » ثمّ قال : ما أراد إلّا الخيرَ .

وتوفّي في رابع ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة . ومولده سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

1474 - موفّق الدين الحجاويّ [691 - 769] [1]

[61أ] / عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقي ، قاضي القضاة ، موفّق الدين ، أبو محمد ، ابن أبي عبد الله ، الحجاوي ، المقدِسي ، الحنبلي .

ولد بعد سنة تسعين وستّمائة . وقدم دمشق سنة سبع عشرة وسبعمائة ، فسمِع من أبي بكر ابن عبد الدائم ، وعيسى المطعّم وجماعة ، وعني بالرواية ، وبرع في المذهب .

وقدم القاهرة فولّاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر بعد عزل تقيّ الدين أحمد بن عزّ الدّين بن عمر بن عبد الله في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بسفارة الأمير بدر

---

(1) الدرر 2/ 403 (2223) - الوافي ، 17/ 596 (504) - السلوك ، 3/ 165 ، وهو فيه : الحجازيّ بالزاي .

الدين جنكلي بن البابا [1] .

وقد اشتهر بِمعرفة الفقه والحديث ، فباشر القضاء بقوّة وصرامة وعفّة زائدة ونزاهة ، وتخشُّن في معيشته ، وٱقتصاد في ملبسه ، ومهابة وديانة ، وأوصاف كلّها جميلة ، إلى أن مات يومَ الخميس سابع عشر من المحرّم سنة تسع وستّين وسبعمائة عن ثمانين سنة أو تسع وسبعين سنة لأنّه كان يشكّ في مولده .

وكان رجلا عاقلا سيوساً ، صدراً من صدور أهل الإسلام ، ورأساً من رؤوس الأئمّة الأعلام ، غير مُحابٍ لأحدٍ ولو جلّ قدره ونفذ أمره . يؤاخذ حتى بالكلمة الواحدة ، مع قوّة النفس وإمضاء الحكم وعدم مراعاة الجاه : رُفع إليه أنّ الشيخ مغلطاي المحدّث [2] صنّف كتابّ « الواضح المبين فيمَن ٱستشهد من المحبّين » ، وأنّه ذكر في حقّ أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، وحبِّ رسول الله ﷺ وسلّم إيّاها ، ما يجلّ مَقامُها عن إيراد ذلك في جملة أخبار المحبّين . فٱستدعاه إلى مجلس حكمِه ومعه الكتاب المذكور . فلمّا ٱعترَف أنّه صنّفه بطريقة ، أمر به فضُرب وكُشف رأسه وسُجِن ، ولم يخش فيه جاها .

ورفع إليه الشيخ أثير الدين أبو حيّان على الشيخ جمال الدين بن عبد الله بن هشام أنّه كتب على بعض مصنّفاته : «كذب أبو حيّان» في كلام من جنس ذلك . فأقامه وكشف رأسه وبعثه إلى السجن .

وقدم إليه مرّة مكتوب ليثبتَه ، فأدّى الشهادةَ فيه ثلاثة ، فقبل منهم ٱثنين وردّ واحداً . فأتاه بعد ٱنفضاضهم من مجلس قضائه ، وسأله عن موجب ردّ شهادته ، فقال : رأيتك منذ أيّام مارّاً بأرض الطبّالة / وأنا راكب لحاجة لي . [61ب]

فقال : يا مولانا ، هب أني كنت هناك لمَا ظننتموه بي ، فمولانا قاضي

---

(1) جنكلي بن البابا : له ترجمة في المقفّى : س 1097 (ت 746) . وانظر الدرر 2/ 76 (1461) .

(2) مغلطاي : لعلّه الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفيّ (ت 762) السلوك ، 3/ 71 .

القضاة كان هناك ، ما يصنَعُ ؟

فأطرق ساعة ثمّ طلب المكتوب وٱستعاده الشهادة ، وأعلم له تحت خطّه وصرفه مكرّماً . وهٰذا من إنصافه ، فإنّ أرض الطبّالة خارج القاهرة موضع مشهور بالفساد . فلمّا علم أنّه كان مرّ لحاجة ، فإنّ الشاهد يجيب بأنّه أيضاً إنّما مرّ لحاجة ، ومهمَا لزمه في مروره من هناك لزم القاضي حملَ مروره على وجه جميل وقبـ[ـو] لَ شهادتِه .

1475 – ٱبن حزم القلعي الأندلسيّ [– 383][1]

[62 أ] / عبد الله بن محمد بن القاسم بن حَزْم بن خلَف ، أبو محمد ، القلعيّ ، من قلعة أيّوب بالأندلس ، الثغريّ .

كان فقيها فاضلا ورِعا صليبا في الحقّ لا يخافُ في الله لومة لائم . كان يشبه سفيان بنَ سعيد الثوري في زمانه . ٱستقضاه الحكَم المستنصر بالله الأمويّ في موضعه . ثمّ ٱستعفاه فصرَفَه .

سمع بالأندلس كثيراً . ودخل العراق فسمِع من أبي علي ابن الصوّاف العِلل لأحمد بن حنبل وغيرَ ذلك ، ومن أبي بكر أحمد بن جعفر بن مالك بن حمدان . وبالبصرة من أبي إسحاق الهجيميّ ونظرائه . بدمشق من أبي العقب الدمشقي وغيره . وبِمصر من عبد الله بن جعفر بن الورد وطبقَته .

وعاد إلى الأندلس فلزم العبادة والجهاد .

وبعد انصرافه كانت ولايته القضاء [2] وكان صرفه لإنكاره بعضَ أسباب

---

(1) شذرات 3 / 104 .

(2) تعبير ملتبس . وفي الشذرات نقلا عن ابن الفرضيّ : ولّاه المستنصِر القضاء فٱستعفاه فأعفاه .

السلطان . فأقام بقرطبة يقرىء الناس ، فسمع عليه محمد بن أحمد بن يحيى القاضي ، وأحمد بن عون الله ، وعبّاس بن أصبغ ، وإسماعيل بن إسحاق ، وجماعة . ونفع الله به عالماً كثيراً .

وتوفّي لثماني عشرة ليلةً من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة عن ثلاث وستّين سنة بقلعة أيّوب .

1476 – ابن قاضي دارا الكاتب [581 – 644]

/ عبد الله بن المختار بن محمد بن محمد بن شريف ، فخر الدين ، أبو محمد ، [63 أ] ابن القاضي شمس الدين أبي محمد ، الزهري ، الكاتب ، المعروف بابن قاضي دارا .

ولد في سابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بدارا .

وتوفّي في شوّال سنة أربع وأربعين وستّمائة [1]

....

ومن شعره ما كتب به إلى الصاحب صفي الدين عبد الله بن شُكر ، وقد تغيّر على أخيه شهاب الدين أبي عبد الله محمد ابن قاضي دارا [كامل] :

عفوًا فمِثلُك مَن يُقيل ويغفرُ ... وتجاوزًا ، فبك التجاوز أجدَرُ !
لا تأخذنّي إن جنى غيري ، فمَا ... غيري أنا ، ولكلّ عُودٍ مَخبرُ
فأخو الشقا قابيل أشهر قصّة ... وأخوه مَن تُثنى عليه الخنصر
وكذا ابن نوح وهو أقرب نسبة ... ماضرّ نوحـ[ـا] كفره إذ يكفر [2]

ومن شعره قوله [سريع] :

---

(1) بياض بقدر أربعة أسطر .

(2) بياض بقدر سطرين .

أَتُعَبِّنِي الحرص على أنّني أعلم أن الخالق الرّازق
فليبك منّي أملٌ كاذب يضحك منه أجلٌ صادق

وقال (كامل) :

أخلاق صاحبنا كشتوة عامنا لا يستقيم على نظام ناضدِ
بَيْنا نرى منها السماءَ نقيّةً جاءت ببرق زائد ورواعدِ
ومن البليّةِ أن تُعاشرَ صاحباً يرضى و يسخط في زمانٍ واحدِ

وكتب إلى فخر القضاة نصر الله بن بُصاقة [1] [كامل] :

عجبا لمثلك كيف ينسَى ذاكرًا وكذا لمثلي كيف يذكر ناسيا ؟
بَعْد المدى ورُزقتُ قلبا ليّنًا يشكو الجوى ورزقتَ قلبا قاسيا
شتّانَ بيني في الوفاء و بين مَن آسَى عليه ولا أراه آسيا

1477 - الخليفة أبو العبّاس السفّاح [- 136] [2]

[64 أ] / عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم آبن عبد مناف ، أبو العبّاس السفّاح أميرُ المؤمنين ، آبن أبي عبد الله [محمد] ذي الثفنات [3] ، ابن أبي محمد [علي] السجّاد ، آبن حَبر الأمّه وترجمان القرآن أبي

---

(1) قد مرّ ذكر هذا القاضي في الترجمة 1457 .
(2) في رأس الصفحة عنوان بالحبر الأحمر : الخليفة السفّاح . والعناوين الفرعيّة وردت أيضا بالحبر الأحمر في الطرّة ، وهي التي لم نجعلها بين مربّعين . وفي ترجمة السفّاح انظر : الوافي . 17/ 431 (373) - تاريخ بغداد ، 10/ 46 (5178) - شذرات . 1/ 195 - مروج الذهب 4/ 94 .
(3) في الوفيات 3 / 274 : ذو الثفنات هو عليّ السجّاد ، والثَّفِنة يبوسة في الركبتين من كثرة السجود .

العبّاس [عبد الله] ابن أبي الفضل [العبّاس] عمّ رسول الله ﷺ ، الهاشميّ العبّاسيّ ، المعروف بابن الحارثيّة [1] ، أوّل خلفاء بني العبّاس .

قدم مصر قبل أن يلي الخلافة هو وأخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد وعمّهما عبد الله بن علي ، وقد تقدّم ذكر جدّ أبيه عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه [2] .

عليّ السجّاد

ولد جدّه عليّ بن عبد الله بن عبّاس – وهو السجّاد – ليلة قُتل ابن عمّ أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين ، فسمّاه أبوه عليًّا . وقيل : ولد في حياة عليّ فحنّكه [3] ودعا له ، ثمّ قال لأبيه : خذ اليك أبا الأملاك . وقد سمّيته عليًّا . – وفي هٰذا نظر .

وكان عليّ بن عبد الله أصغر بني أبيه ، وفيه الجمهرة والعدد والبيت والخلافة ، ولا عقبَ لعبد الله بن عبّاس إلّا منه . وكان إماماً عالماً محدّثاً زاهداً يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة – ويقال : ألف سجدة .

وولد [له] أبو عبد الله محمد بن عليّ ، وهو ذو الثفنات ، شُبّه أثرُ السجود بجبهته وأنفِه ويديه بثفنات البعير . وكان بينه وبين أبيه أربعَ عشرة سنة وأشهرٌ [4] . فلمّا شابَا خضّب عليّ بالسواد ، وخضب محمد بن عليّ بالحنّاء فلم يكن يفرّق بينهما إلّا بخضابهما لتشابهِهما وقُرب سنّ بعضِهما من بعض .

وكان عليّ أثيراً عند عبد الملك بن مروان ، كريماً عليه ، حتّى طلّق عبد الملك

---

(1) أمّه ريطة الحارثيّة (المعارف ، 372 . مروج الذهب 4/ 94 (2308) .

(2) ترجمة عبد الله بن عبّاس سترد تحت رقم 1527 .

(3) حنّكه : دلك حلقه قبل الإرضاع .

(4) انظر مناقشة ابن خلّكان لهٰذا الفارق في ترجمة محمد بن عليّ 4 / 187 (568) .

« أمّ أبيها [1] » بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فتزوّجها عليّ ، فتغيّر له وثقل عليه فبسط لسانه بذمّه وقال : إنّما صلاته رياءٌ.

وكان الوليد بن عبد الملك سمع ذلك من أبيه ، فلمّا وليَ الخلافة أقصاه وشتمه . فرأى عبد الملك في منامه يقول له : يا هٰذا ، ما تريد من عليّ بن عبد الله ؟ قد ظلمتَه . والله لا يبتزّكم أمرَكم ولا يسلب ملككم إلّا ولده !

فٱزداد بذلك بغضُه له ، وتجنّي عليه حتى ضربه بعدما أقامه في الشمس ، وصبّ عليه الزيت فوق رأسه ، وألبسَه جُبَّة صوفٍ وحبسه . وجعل يخرجه كلّ يوم فيقام في الشمس . وكتب إلى الآفاق بأنّ عليّ بن عبد الله قتل أخاه سليطا . ثمّ أمر أن يُنفى إلى دهلك [2] . فكلّمه أخوه سليمان بن عبد الملك فيه وسأله ردّه . فأرسل من يحبسه حيث لحقه ، وأذن له أن ينزل الحِجْر [3] .

فلمّا هلك الوليد وولي سليمان بن عبد الملك الخلافَة بعدَه ، ردّ عليّ بن عبد الله إلى دمشق . وكان يروي أثراً في نزول الشَّراة فٱنتقل إليها ، ونزل الحميمَةَ .

وكان يوماً عنده ٱبنُه محمد بن عليّ ، وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيّة ، فقال : يا أبا هاشم ، أنّ أهل المغرب يؤمّلونك . وقال / لٱبنه محمد [64ب] ٱبن عليّ : « إنّ أهل المشرق يلومونك » . ثمّ نظر إلى حمارٍ بين شجرتين فقال : والله لا تليان حتى يلي هٰذا الحمار ! كبرتُما عن سنّ صاحب هٰذا الأمر .

وتوفّي علي بالحميمة سنة ثماني عشرة ومائة .

وكانت الشيعة تروي أنّ الإمامَ محمدُ بن عليّ ، فتظنّ أنّه ٱبن الحنفيّة . فلمّا مات ٱبنُ الحنفيّة قالوا : الإمام ٱبنُه أبو هاشم عبد الله بن محمد . فلمّا سُمّ

---

(1) المعارف ، 207 .

(2) دهلك : وهي جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن . كان الخلفاء يحبسون بها مَن نقَموا عليه (وفيات 6 / 300) .

(3) الحجر : منازل ثمود بوادي القرى .

أبو هاشم في طريقه وهو يريد الحجاز عدل إلى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بالحُميمة فأوصى إليه وأعطاه كتبَه وجمع بينَه وبين قوم من الشيعة فقال : « إنّا كنّا نظنّ أنّ الإمامةَ والأمر فينا . فقد زالت الشُّبهةُ وصرّح اليقينُ بأنّك الإمامُ وأنّ الخلافة في ولدك . فعليك بالكوفة فإنّ فيها شيعتَك وأهلَ مودّتك . وآجتنب الشام ، فليس يحتمل دعاتَك ولا يصلح لهم . وعليك بخراسان ! »

فوجّه إلى خراسان رجلا وأمره أن يدعو إلى الرِضَى من آل محمّد ولا يسمّي أحداً .

ويقال إنّه قال له : إنّي ميّت ، وقد صرتُ إليك . وهٰذه وصيّة أبي . وفيها أنّ الأمر صائر إليك وإلى ولدك ، والوقتُ الذي يكون فيه ذلك ، والعلاماتُ ، وما ينبغي لكم أن تعملوا به ، على ما سمع وروى عن أبي ، عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . فاقبضها إليك ، وآعلم أنّ صاحبَ هٰذا الأمر من ولدك عبدُ الله ابنُ الحارثيّة ، ثمّ عبد الله أخوه . فإذا مضت سَنة الحمار فوجّه رسُلَك بكتبك نحو خراسان والعراق .

وعرّفه ما يعمل . وكان أبو هاشم قد أعلم شيعتَه من أهل خراسان والعراق عند تردّدهم إليه أنّ الأمرَ صائرٌ إلى محمّد بن عليّ ، وأمرهم بقصدِه . فلمّا مات أبو هاشم في سنة تسع وتسعين قصَدت الشيعةُ محمد بنَ عليّ ومالت إليه . وثبّتت إمامتَه وإمامة ولده ، وبايعوه ، وبايعوا آبنه إبراهيم الإمام على ذلك .

وكان الخراسانيّون الذين قدموا لطلب الإمام يقولون : هٰذا أمر لا يصلح إلّا لذي شرف ودينٍ وسخاءٍ ، فيتبعُه قومٌ لشرفِه وآخرون لدينه وآخرون لسخائه . فأتَوا رجلا من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدلّهم على محمد بن عليّ ذي الثفنَات وقال : هو صاحبُكم ومِن أفضَلِنا .

فأتَوه . وآختار خراسان وقال : لا أرى بلدا إلا وأهله يَميلون إلى غيرنا :

أمّا أهل الكوفة فمَيلهم إلى ولد عليّ بن أبي طالب .

وأمّا أهل البصرة فعُثمانيّة .

وأمّا أهل الشام فسفيانيّة مروانيّة .

وأما أهل الجزيرة فخوارج .

وأمّا أهل المَدينة فقد غلب عليهم حبّ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ومنهم مَن يَميل إلى الطالبيّين .

ولكنّ أهل خراسان قوم فيهم الكثرة والقوّة والجلَد وفراغُ القلوب من الأهواء .

فبعث إلى خراسان محمد بن حبيش ، وأبا عكرمة السرّاج – وهو أبو محمد الصادق – وحيّان العطّار [1] . [وبعث] أبا رباح ميسرة مولى بني أسد إلى الكوفة بَمشورة أبي هاشم . وقد كان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنَفيّة سمّى له قوماً من أهل الكوفة . فقدم على محمد بن عليّ ناس من أهل خراسان من الشيعة بعد مولد أبي العبّاس عبد لله بن محمد فأخرجه إليهم في خرقة ، وعمره خمسة عشرَ يوماً ، وقال : « هٰذا صاحبُكم الذي يتمّ الأمر على يده ! » فقبّلوا أطرافَهُ .

وكانت ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ عند عبد الله آبن عبد الملك بن مروان ، فمَات عنها ، فتزوّجها بعده الحجّاج بن عبد الملك آبن مروان . فطلّقها ، فقدم محمد بن عليّ السجّاد من الشّراة [2] وهو يريد الصائفة ، فسأل عمرَ بنَ عبد العزيز ، وهو يومئذ خليفة ، أن يأذنَ له في تزوّجها ، فقال : « ومن يمنعك – رحمك الله ! – من ذلك ، إن رضيَت ؟ هي أملك لنفسِها » . فتزوّجها بحاضر قنّسرين في دار طلحة بن مالك الطائيّ ،

(1) « خال إبراهيم بن سلمة » ابن خلدون 3 / 100 والكامل 4 / 159 .

(2) الشّراة قرب الحميمة بالشام في إقليم البلقاء بالقرب من الشوبك (وفيات 3 / 278) .

وٱشتملت منه على أبي العبّاس عبد الله بن محمد – السفّاح – وولدَته في سنة مائة ، ويقال : في سنة إحدى ومائة [1] . وكان / محمد بن عليّ يقول : لنا [65 أ] ثلاثة أوقات : موت الطاغية يزيد ، ورأسُ المائة ، وفتقٌ بإفريقيّة . فعند ذلك تدعو لنا الدعاة ثمّ يقبل أنصارنا من المشرِق حتّى يوردوا خيولَهم أرض المغرب ، وسيُخرِجون ما كنز الجبّارون فيها .

فلمّا قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية سنة ٱثنتين ومائة [2] ، وٱنتقضت البربر ، بعث محمدُ بن عليّ إلى خراسان وأمر أن يُدعى إلى الرِّضى من آل محمّد ولا يسمّى أحد . فاستجاب لهم مَن استجاب [و] دفعوا كتبهم إلى ميسرة فبعثها إلى محمد بن عليّ . فلمّا صاروا سبعين ٱختار منهم أبو محمد الصادق ٱثني عشر نَقِيبًا ، وهم :

أبو علي سليمان بن كثير مولى خزاعة ، وقيل : هو سليمان بن كثير بن أميّة بن إسماعيل بن عبد الله بن المؤتنف بن عمرو بن عامر بن ملك بن أقصى ، من أنفُسِهم . وأبو موسى بن كعب التميميّ ، وأبو نصر مالك بن الهيثم [الخزاعيّ] ، وأبو حامد القاسم بن مجاشع التميميّ ، وأبو النضر لاهز بن قريظ [التميميّ] ، وأبو الحكم عيسى بن أعيَن ، وأبو حمزة عمرو بن أعيَن الخزاعيّ ، وأبو عبد الحميد قحطبة بن شبيب الطائيّ ، واسمُه زياد ، وأبو إسماعيل شبل بن طهمان الربعيّ ، وأبو النجم عمران بن إسماعيل مولى [آل] أبي مُعَيط ، وأبو داود خالد ٱبن إبراهيم [، من بني شيبان بن ذهل] ، وأبو منصور طلحة بن رزيق [الخزاعيّ] .

(ومنهم من يجعل زياد بن صالح مكان أبي النجم عمران بن إسماعيل[3] ، ويجعل العلاء بن حريث مكان عيسى بن أعيَن) . وكتب لهم محمد بن [علي] كتابا

---

(1) في سنة 104 (الكامل 4 / 188) .
(2) وليَها من سنة 101 (الكامل 4 / 182) .
(3) في المخطوط : إسماعيل بن عمران خلافا لما سبق ، ولما في المحبّر ، 465 .

ليسيروا بسيرته ويكون لهم مثالا يقتدون به [1] .

ووفد محمد ذو الثفنات على هشام بن عبد الملك . فلمّا دخل عليه قال له : ما جاء بك ؟

قال : حاجة يا أميرَ المؤمنين .

قال : أنتظِرْ بها دولتكم التي تتوقّعونَها وتروونَ فيها الأحاديثَ وترشّحونَ لها أحداثكُم .

فقال : أعيذُك باللّه يا أميرَ المؤمنين .

فقال هشام : إنّ عامل ناحيتِك كتب يعلمُنا أنّ الوُلاة قَبْلَه تركوا لكم من الخراج مائة ألف درهم في سنين بغير حقّ واجبٍ ، فأدِّ ذلك !

وأمر أن يُؤْخَذَ بالمائة الألف ويقام في الشمس ويبسط عليه العذاب .

أبو مسلم [الخراسانيّ]

وكان في عسكر هشام يومئذ أبو موسى عيسى بن إبراهيم السرّاج ، ومعه أبو مسلم ، يَتَعلّمُ منه السّراجةَ ويخدمُه . وكان عيسى من رؤساء الشيعة بالكوفة ، وكان موسرًا يأتي بالسروج وآلتها أصبهانَ والرقةَ والجبالِ ونصيبين وآمد ونواحي البلاد فيبيعها بها . فجمع نفرًا من الشيعة ذوي يسار ، وانطلق بهم إلى سالم كاتب هشام . فضمنُوا ما على محمد بن عليّ ، وجعلوا يَرِدُونَ عليه الأوّل فالأوّل ، وأبو مسلم يأتي محمّدًا برسالة صاحبه وألطافه وما يجب من الأخبار . فلمّا أُدّيَت المائة الألف كُلّم هشام في محمّد فخلّى سبيله / فرجع إلى الحميمة . [65 ب]
ورجع أبو موسى السرّاج إلى الكوفة ، ومعه أبو مسلم ، وهو يومئذ ابن عشرين سنة ، واسمُه إبراهيم بن حيكان ، فتسمّى عبد الرحمان بن مسلم . ويقال إنّ

---

(1) ويضيف ابن الأثير (الكامل 3 159) أبا علي الهرويّ مولى بني حنيفة .

الذي سمّاه عبد الرحمان وكنّاه أبا مسلم إبراهيمُ بنُ محمد الإمامُ .

وكان هشام أراد أن يحبس محمّدا وولدَه وقال إنّهم يزعمون أنّ الخلافة تصير إليهم ، وقد استشرف الناس لهم .

فقال له سعيد بن الوليد بن عبد عمرو [بن جبلة] المعروف بالأبرش الكلبيّ[1] : إن كان في المقدور أن ينالوا الخلافة ، فلا بدّ والله من أن ينالوها ! فلا تقطعْ أرحامَهم ، وتأثم بربّك فيهم ، بل صانِعهم ، فإنّ مصانَعتَك إيّاهم خيرٌ لعقِبك . هذا هو الرأي والحزم . وإلّا يكونوا من هٰذا الأمر في شيءٍ ، فمَا خوفك لمَا ليس بمَقدور ؟ على أنّ إظهارك التخوّف لهم تنبيه للناس عليهم .

فأمسك هشام عند ذلك عن محمد .

وكان عبد الملك بن مروان قد نظر إلى محمد وهو غلام ، وكان محمد جميلا ، فقال : هٰذا والله يفتن المرأة الشريفة !

فقال خالد بن يزيد بن معاوية[2] : أمّا والله إنّ ولدَه لأصحابُ هٰذا الأمر .

فقال عبد الملك : كلّا !

فقال خالد : هو والله ذاك . إنّ تبيعاً[3] أخبرني عن كعب أن هٰذا الأمر يصير إلى بني العبّاس ، وأنّه لا يليه رجل من آل أبي طالب إلّا أن يخرج على وال فيقتل ، وأنها لولد العبّاس إلى أن ينزل المسيح .

وقعد هشام بن عبد الملك يوماً في منظرة له فرُفعَ له ركب ، فقال : يا غلام ، أئتني بخبر هؤلاء .

---

(1) هو كاتب هشام بن عبد الملك .

(2) خالد بن يزيد حكيم بني أميّة : له ترجمة في المقفّى رقم 1382 (ت 90) وانظره أيضا في دائرة المعارف الإسلاميّة

(3) التبيع هنا كأنّه الجنّيُّ أو الرئيُّ التابع للشخص .

فمَضى بعضُ مَن كان بين يديه حتى تلقّاهم فقال : من أنتم ؟

قالوا : هٰذا محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس وإخوته .

قال : فمَا أقدمكم ؟

قالوا : قدمنا لنشكو إلى أمير المؤمنين حالَنا ودَينَنا .

فرجع إلى هشام فأخبره فقال : ارجع فقل لمحمّد بن عليّ : ارجع من حيث جئت وآنتظر أن يَقضِي دَينَك ودَيْن أخوَيك ابن الحارثيّة – يعني أبا العبّاس [أ] .

فقال محمّد : قل لأمير المؤمنين : إن كان الأمر صائراً إلى ابن الحارثيّة ، فمَا عليك أن يكون لكم عنده يدٌ ؟ وإلّا يكُن ذلك ، فعلامَ تَحرِمُنا فضلك وصلتك وعائدتَك ؟

فقال هشام للرسول : قل له ما قلت لك وأَزعجْهُم حتّى يرجعوا عَوْدَهم على بَدْءِهِم .

فقال محمد : دعُونا لنُريح فقد نَصِبْنا وتعِبنا .

فأبلغ قولَه هشاماً فأذن لهم فأراحوا . فلمّا جنّ الليل أتى محمدٌ بعضَ جلساء هشام فعرض عليه مالا ، فلم يقبله . وسأله عن آبن الحارثيّة فأراه إيّاه ، وهو صبيّ . ثمّ رجع إلى الشراة / وقال : اللهمّ ، إنّ هٰذا بعينِك . [66 أ]

وكانت له بالحُميمة خمسمائة شجرة ، فكان يصلّي تحت كلّ شجرة ركعتين .

وكان إماماً عالمًا محدّثاً عدلاً . أخرج له مسلم في صحيحه . وفيه البيت والعددُ والخلافة .

دعاة بني العبّاس

وكان محمد بعث رجلا إلى خراسان كمَا تقدّم ذكرُهُ . فمَا زال بها حتى

(أ) الأخ الآخر لعلّه أبو جعفر ابن البربريّة ، وهما آبناه لا أخواه .

مات . فقدم قحطبة وسليمان بن كثير إلى الكوفة فلم يعرفا الإمام . فأتيا المدينة فسألا محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عن الإمام فقال : هو منّا ، وهو بالشام .

فلقيا محمد بن عليّ بن عبد الله فذاكراه أمرَهم وسألاه أن يبعثَ إلى خراسان رجلا معهما . [فـ]كتب إلى أبي عكرمة الصادق – واسمُه زياد بن درهم – وهو بالكوفة ، فخرج معهُما إلى خراسان . ويقال : بل كتب إلى ميسرة في توجيه رجلٍ يثقُ به ، فوجّه أبا عكرمة . فلمّا صار بخراسان اكتنى بأبي محمّد وتسمّى « ماهان » . فلم يزل حتى قدم أسد بنُ عبد الله ، أخو خالد بن عبد الله القسريّ ، والياً على خراسان من قِبل أخيه في أيّام هشام بن عبد الملك . فسعى إليه جبلة بن أبي داود حسين بأبي عكرمة وأصحابه . فقتل أسد أبا عكرمة وضرب أبا داود خالد بن إبراهيم ألفاً – ويقال ثلاثمائة – وأمر به فضُرب حتّى عمِش . ثمّ كلّم فيهم ورشا بعضهم حتّى تخلّصوا . ومكث محمد لا يبعث أحداً سنةً . ثمّ بعث أبا الحسن كثير بن سعد فأقام ثلاث سنين ثمّ قدِم . فبعث محمدُ ابن عليّ عمارَ بنَ يزداد فتسمّى بخمّاش بن يزيد . ويقال إنّ عمّارًا هذا كان فاخرانيّا من أهل الحيرةنصرانيًا ، ثمّ أظهر الإسلام وصار معلّماً بالكوفة . فلمّا مات ميسرة صيّر محمد بن عليّ بكيرَ بن ماهان أبا هاشم مكانه – ويقال : بل صيّر سالماً الأعمى أبا الفضل بالكوفة بوصيّة ميسرة ، وصار بكير بعده بالكوفة فوجّه بكير عمّارًا هذا ، فغيّر سننَ الإمام وبدّل ما كان من سيرة مَن قبلَه وحكم بأحكام منكرة مكروهة – فقيل : خدّش خدّاش الدين – ثمّ وثب به أصحاب محمد بن عليّ فقتلوه . ويقال : بل قتله أسد بن عبد الله وصلبه .

وكان هشام بن عبد الملك عزل خالدا فانصرف أسد عن خراسان معزولا وولّى هشام الجنيد / بن عبد الرحمان ، ثمّ ولّى هشام أشرس بنَ عبد الله [66ب] السلميّ ، ثمّ عاصم بنَ عبد الله الهلالي . ثمّ أعيدت خراسان إلى خالد بن عبد الله فولّى أسداً ، فكان لا يظفر بداعيةٍ ولا مدعوّ إلّا ضرب عنقَه وصلبه ،

حتى أخذ سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز بن قريط ، وخالد بن إبراهيم ، وطلحة بن رزيق . فأتى بهم فقال : يا فسَقة ، ألم أظفر بكم في مرّتي الأولى فعفوت عنكم ؟ [1] .

فقالوا : والله ما نعرف إلّا طاعة أمير المؤمنين هشام ، وإنّه لمَكذوب علينا .

فدعا بِمُوسى بن كعب فقال : يا ذا الثنايا ، أعليّ تتوثّبُ ، وفي سلطاني تدغِلُ ثمّ تدعو هٰذه السِّفلة إلى هٰذه الدعوة الضالّة ؟

وألجَمَه بِلجام حمار – ويقال بإيوان [2] – ثمّ أمر به فجُذِب حتّى حُطِّمت أسنانُه ، ثمّ أمَرَ به فرُتِم [3] أنفُه . وأمر بلاهز فضُرب ثلاثمائة سَوط وحُبس .

ثمّ طلب فيهم نفَر من الأزد وشهِدوا لهم بالبراءةِ فخلّى سبيلهمُ .

وشخص بكير إلى خراسان فأصلح ما كان خدّاش أفسَدَه ، وردّ النّاسَ إلى أمر الإمام وسنّته .

أبو سلمة الخلّال

فلمّا آحتُضِر أوصى إلى أبي سلمة حفص بن سليمان الداعية مولى همْدان [4] ، وهو صهره ، وكان صيرفيّاً ، ويقال : خلّالا . وكتب إلى محمد بن عليّ الإمام بآستخلافه إيّاه لرضا[ئـ]ـه مذهبَه وثقته ونصيحتِه . فكتب إليه محمد آبن عليّ بالقيام بِمَا كان بكير بن ماهان يقوم به .

---

(1) في المخطوط : فأعقوا ... وانظر الكامل 4 / 222 .

(2) ايوان اللجام .

(3) رتمه بوزن ضرب : كسره أو دقّه .

(4) في المروج 4 / 115 (2347) : مولى السبيع وفي المخطوط : سليمان بن حفص وسيأتي الأسم صحيحا في لوحة 67 ب . والخلّال بائع الخلّ .

وكان سليمان بن كثير القائم بأمر خراسان . فلمّا مات أسد [1] بخراسان ولّى خالد أمرَها جعفر بن حنظلة البهراني . ثمّ عُزل خالد عن العراق بيوسف بن عمر [الثقفيّ] . فولّى هشام خراسان نصرَ بن سيّار وأمره بِمكاتبة يوسف .

وقدم على الإمام محمد بن عليّ سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ وقحطبة ابن شبيب في رجال آخرين ، ومعهم أموالٌ وكُسًى فأوصلوا ذلك إليه . فقال لهم : ما أظنّكم تلقو[نـ]ـني بعد عامي هٰذا . فإن حدث بي حدَث فصاحبكم إبراهيم بن محمد ، وأنا أوصيكم به خيراً ، فقد أوصيتُه بكم .

ومات محمد بن عليّ سنة أربع وعشرين ومائة ، وترك أولاداً ، منهم عبد الله أبو العبّاس ابن الحارثيّة ، وعبد الله أبو جعفر ، وإبراهيم الإمام في آخَرين . فصار الأمر إلى إبراهيم الإمام ، ابن محمد ذي الثفِنات ، ابن عليّ السجّاد .

إبراهيم الإمام وابتداء أمر أبي مسلم

وكان أبو مسلم عبد الرحمان بن مسلم من أهل ضياع بني معقل العجليّين بأصبهان أو غيرها من الجبل ، يسمّى إبراهيم بن جيكان ، فسمّاه الإمام إبراهيم عبد الرحمان وكنّاه أبا مسلم . وكان إدريس وعيسى ابنا معقل محبوسَين بالكوفة مع قوْم حبسهم / يوسف بن عمر من أهل الجبل بسبب الخراج ، فكان أبو مسلم [67 أ] يخدمهما ويقضي حوائجُهما . وهو في ذلك مع أبي موسى السرّاج صاحبِه يخرز الأعنّة ويعمل السروج ، وله بضاعة في الأدَم . وكان عاصم بن يونس العجليّ محبوساً بسبب فساد ، فكان يخدمه أيضاً ، وكان شيعيّاً .

فقدم سليمان بن كثير ولاهز وقحطبة الكوفة يريدون الحجّ ، فدخلُوا على

(1) مات سنة 120 (الكامل 4 / 234) .

عاصم مسلّمين فوافَوا أبا مسلم عنده ، فأعجبهم عقلُه وظَرفه وأدبُه وشدّة نفسه وذهابُه بها . ومال إليهم فعرف أمرَهم فقال : أنا أصاحبُكم وأكون معَكم . فسألوا أبا موسى السرّاج أن يُعينَهُم به - وكان من كبار الشيعة - ففعل . وكتب معه كتابا إلى إبراهيم الإمام ، وقد كان علم أنّ إبراهيمَ يريد الحجّ في سنَتِه ، وأنّ القومَ واعدُوه الالتقاءَ بِمَكّة فأعطوه عشرين ألفَ دينار ومائتي ألف درهم ، وأوصلُوا إليه كُسًى حملوها له . ورأى إبراهيم الإمام فعرفَه وأثبتَه لأنّه كان يراه أيّام آختلافه إلى أبيه في محبسه . وتأمّلَ أمره وأخلاقَه فأعجبَه منطقُه ورأيه وجزالتُه فقال : « هٰذا عُضْلة [1] من العُضَل ! » ومضى به فكان يخدِمُه .

ثمّ إنّ هؤلاء النقباء قدموا على إبراهيم [مرّة أخرى] يطلبون رجلا يتوجّه معهم إلى خراسان . فعرض على سليمان بن كثير أن يكون ذلك الرجلَ فأبى ، وعرضَ مثلَ ذلك على قحطبة فأبى . فأراد توجيهَ رجلٍ من أهل بيتِه فكرِه ذلك . وذكرا أبا مسلم فأطرياه ووصفا عقلَه وعلمَه بِمَا يأتي ويذرُ . فآستخار اللهَ ووجّهَه إلى خراسان .

فنزل على سليمان بن كثير ، فكان - والشيعة جميعا - له مُكْرِمين مبجّلين سامعين مطيعِين . وجعل أمره ينمي [2] حتى كان منه ما كان .

ويقال : كان أبو مسلم لبعض أهل هراة أو بُوشَنج [3] . فقدم مولاه على الإمام وقدم به معه ، فأعجبه عقلُه فآبتاعَه منه بألفَين وعشرين درهماً وأعتقَه . ومكث عنده سنين ، ثمّ وجهّه إلى خراسان .

وقال هشام بن الكلبيّ : كان أبوه من خَوَل آل معقل ، فأسلم إلى أبي موسى السرّاج . فكان معه . وقدم أبو موسى الكوفة . فبينا أبو مسلم يخرز شيئًا

---

(1) العُضلة : الداهية المحنّك المجرّب .

(2) نَما ونمى بِمعنى .

(3) هٰذا وجه آخر في أصله . وانظر الكامل 4 / 254 . وبوشنج : بين هراة ونيسابور على عشرة فراسخ من هراة .

في يده إذ رأى الناس يتعادَون فقال : ما هٰذا ؟

قالوا : هٰهُنا فيل ينظر الناس إليه .

فقال : وأيّ عجبٍ في الفيلِ ؟ إنّمَا العجبُ أن تَروني وقد قلبتُ دولةً . وقمت بدولةٍ .

ويقال : كانت أمّهُ أمةً لبني معقِل ، وكان أبوه من ضياعهم / فأتى [67ب] الكوفة معهم ، فآبتيع للإمام .

ويقال : إنّه من أهل أصبهان ، وأنّ رجلا من ضَبّة آختدمَه وهو صبيّ فأقدمَه الكوفة .

ويقال : إنّ أباه كان من أهل بابل أو خُطَرْنيَه [1] وكيلا للعجليّين ، وكان آسمُه زاذان بن بيداد هرمز ، وأمّه وشيكة . فقدم العراق مع عيسى بن معقِل ، فكان يخدُمه في سجن الكوفة ويسمع قولَ الشيعة فمَال إليهم [2] .

ويقال انّه كان يسمّى إبراهيم وكان يقال لأبيه عثمان ، وأنّه من ولد كسرى، [3] وأنّ الإمام كان يبعثه إلى خراسان بكتبِه إلى سليمان بن كثير فيَمْضي على حمارٍ له ، ثمّ أنّه عزم على توجيهه إلى خراسان .

وذكر قوم أنّه كان عبداً للعجليّين فأسلموه إلى أبي موسى فتعلّم منه السِّراجة ، فآبتيع للإمام بسبعمائة درهم وأُهدِي إليه ، وأنّ اللذَين أهدياه سليمان آبن كثير ولاهز بن قريظ . فكان يختلف إلى خراسان يبعثه الإمام بكتبه إلى سليمان آبن كثير على حمارٍ له . فجاءه مرّة وقد غاب [سليمان] فلم يعرض عليه خادم سليمان الطعام آحتقاراً له ، فلامه سليمان على ذلك .

---

(1) خُطَرْنية : من نواحي بابل بالعراق .

(2) في هٰذه الرواية السادسة انظر الكامل 4 / 301 .

(3) الكامل 4 / 252 : من ولد بزرجمهر .

ولمّا وجّهه إبراهيم إلى خراسان قال له [1] : إنّك منّا أهلَ البيت . انظر هٰذا الحيّ من اليَمَن فأكرِمهم وأسكُن بين أظهرِهم ، فإنّ الله لا يُتمُّ هٰذا الأمر إلّا بهم . وآتّهِم ربيعَةَ في أمرهم . وأمّا مضر فَإنّهُم العَدُوُّ القريب الدار . وآقتل [من] شككت فيه . وإن آستطعتَ أن لا تدع بخراسان لسانا عربيّاً فآفعلْ . وأيّمَا غلام بلغ خمسة أشبار تتّهمُه فآقتُله . ولا تخالف هٰذا [الشيخ] – يعني سليمان بن كثير – ولا تَعْصِه ، وإذا أشكل عليك أمر فآكتفِ به .

وبعث براية النصر إليه ، فسار إلى خراسان ، وقد كتب محمّد بن عليّ معه إلى مِن بها مِن أوليائه بالسمع والطاعة ، وإلى أبي سلمة حفص بن سليمان الخلّال الداعية يعلمُه توجيهَه إيّاه ، ويأمره بإنفاذه إلى خراسان . فنزل على سليمان بن كثير فكان يجلّه ويوقّره ويعظّم أمرَه ، حتّى إذا ظهر أمرُ أبي مسلم والدعاة بخراسان ، وعليها نصر بن سيّار ، دسَّ نصر رجلاً استأمَنَ إلى أبي مسلم وأظهر الدخُولَ معه في أمره ، فعرف أنّ الذي يكاتبهم ويكاتبونَهُ ويدعون له [هو] إبراهيمُ بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس فكتب بذلك نصر بن سيّار إلى مروان بن محمّد . فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك – وقد نفى بعضهم أن يكون لمُعاوية ابن يقال له الوليد – عامِلِه على دمشق أن يكتب إلى عامله على البلقاء [2] في المسير إلى كَداد والحُمَيمة [3] وأخذ إبراهيم بن محمد بن عليّ وشدّه وثاقا وحمله إليه في خيل كثيفة تحتفظ به ، فإذا وافى إلى ما قِبَله أنفذهُ إليه مع مَن يقوم بحفظه وحراستِه .

فأتِيَ إبراهيم وهو في مسجد القرية فأُخِذ ولُفَّ رأسُه وحُمِل إلى دمشق فأنفذه الوليد بن معاوية إلى مروان . وكان معه عدّة من أهله قد شيّعوه ، فيهم عبد الله آبن عليّ ، وعيسى بن عليّ ، وعيسى بن موسى ، فآنصرفوا من حرّان .

---

(1) انظر الطبري في حوادث سنة 128 (6 / 14) والكامل 4 / 295 .

(2) البلقاء : كورة قصبتُها عمّان .

(3) في المروج 4 / 84 : كداد الحميمة . وانظر الطبريّ 6 / 79 (سنة 132) .

ووبّخ مروان إبراهيمَ حين أُدخِل إليه فاشتدّ لسان إبراهيم عليه فيمَا / خاطبَه [68 أ] به . وقال له مروان : أيرجو مثلُك أن ينالَ الخلافةَ ؟

فقال : رجوتَها وقُلّدتَها ، وأنتَ ابنُ طريد رسول الله ﷺ ولعينِه ، ولا أرجوها ، وأنا ابن عمّه ووليّهِ ؟ ولقد علمنا أنّ الذي يُذكر من بُغضِكَ بنِي هاشم ومَن به شَرُفوا حقٌّ .

فأمر به إلى الحبس فحُبِس بحرّان في سجنها ، وكان فيه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . ثمّ بعث مروان في بعض اللّيالي حاجبه صقلاب ، ومعه عشرون من مواليه ، خزَر وصقالبة وروم ، إلى السِّجن ، ومعهم صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا ثمّ خرجوا ، فأصبح إبراهيم وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ميّتَيْنِ . فقيل : دِيسَت بطونُهما . ويقال : غُمَّا . ويقال : سُمَّا . ويقال : عُصِر ما تحت سراويلَيهما حتى ماتا . وقال الهيثم بن عدّي [1] : غُمَّ إبراهيم الإمام في جراب نُورة [2] وغُمَّ الآخر بِمَرفقة فيها ريش .

وكان مهلهل مولاه يقول : كنت أخدِمه وهو محبوس بحرّان وأشتري حوائجه ، وكان شراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك محبوسا في حجرة غير حجرة إبراهيم التي كان محبوسا بها ، وكان صديقا لإبراهيم فكانا يتلاطفان ويتَهَاديان في محبسهما. فأتي إبراهيم بلبن مسموم – أو غير لبن – وقيل له : بعث إليك بهٰذا أخوك شراحيل – ولم يكن شراحيل بعث به ، فشربه فتوفّيَ ، وأنا الذي صلّيتُ عليه .

وقيل إنّه أُخرج فوضع على باب السجن فأخذه رجل من بني سهم فكفّنه وصلّى عليه ودفنَهَ .

ويقال : كان أبو العبّاس عبد الله بن محمد [بن عليّ] أشبه بأخيه إبراهيم

---

(1) الهيثم بن عديّ الإخباريّ النسّابة (ت 207) كان مطعونا فيه . الأعلام ، 9 / 114 .
(2) يضيف المسعودي : مروج 4 / 85 : مسحوقة . والنورة هي الجِير .

الإمام . فلمّا جاء الرسول لحمل إبراهيم وجد إبراهيم متغيّباً فأخذ أبا العبّاس . فلمّا علم إبراهيم بأخذه قال : « ما من الموت مفرّ ولا لأمر الله مدفع » . فخرج فقال للرسول : « أنا بُغيتُك فخلِّ عن أخي » . فحملَه .

وكان لإبراهيم يومَ ماتَ تسع وأربعون سنة . وقيل : أربع وثلاثون سنة .

وهرب أبو العبّاس بعد مقتل إبراهيم إلى الكوفة ومعه أهل بيته . فأخفاهم أبو سلَمَة الداعية في سرداب في دار بني أود حتّى قدِم المسوّدة . فكان يقال : ما رأى الناس أبعدَ هَمًّا ولا أكبرَ نفسًا من قوم خرجوا على تلك الحال يطلبون الخلافة .

وقال الهيثم بن عديّ : لمّا وقعت العصبيّة بخراسان ، وتحرّك أمر الدعاة ، كتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم [رجز] :

دونكَ أمرًا قد بدت أشراطُه لم يبقَ إلّا السيفُ واختراطُه
إنَّ السبيل واضحٌ صراطُه

[68ب] وكان يدعو في / حبسه : اللهمّ ربَّ السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبعة ، وربّ العرش العظيم ، والآيات والذكر الحكيم ، صلِّ على نبيّك ونجيّك محمّد وعلى آله ، وأخلفه علينا وعلى أهل مِلّتنا ودعوتنا بِمَا ينعش العاثر ، ويبرىء السقيم ، ويفكّ الأسير ، ويشفي المريض . اللهمّ ، ٱلعَن أهل بيتِ اللعنة ، وأنزل بِهم النّقمة ، وحقّق فيهم الرواية ، وٱحْصدهم بالسيف حصداً ، إنّك على كلّ شيءٍ قدير وبكلّ شيءٍ عليم .

وكان يصلّي في كلّ يوم خمسمائة ركعة ويقول : هٰذه صلاة أبي وجدّي .

وتحيّن غفلَةً ممّن كان وُكّل به حين حُمِل فكتب كتاباً إلى أبي العبّاس ورفعه إلى سابق مولاه وأمره أن يوصله إليه .

فلمّا وقف بباب مروان بحرّان أسرّ إلى سابق شيئًا سُئِل سابق عنه بعد ذلك

فقال : أمرَني أن أقرأ على أبي العبّاس السلام وأعلمَه أنّه وصيُّه بأمر الإمام محمد ٱبن عليّ .

وكانت نسخة الكتاب بعد البسلمة : حفظك الله يا أخي بحفظ أهل الإيمان ، وتولاّك بالخير والإحسان . كتابي إليك وقد وردتُ حرّان ، والرجلُ قاتلي لا محالةَ . فإذا أنا هلكتُ فأنت الإمام الذي يُقيم أمرَنا ويرعىَ حُرمَة أوليائنا ودعاتِنا . ويتمّ الله به وعلى يدَيه ما أَثَّلْنَا وأثَّل أوائلُنا . فعليك ، أي أخيَّ ، بتقوى الله وطاعته في قولك وفِعلك ، وإصلاح نِيّتِك ليصلحَ الله لك عملَك . وٱستوصِ بأهل دعوتنا وشيعتنا ، وٱحفَظ عبدَ الرحمان أمينَنا والساعي في أمورنا ، وعرّف أهلَ خراسان ما تُوجبُه له بإيثاره طاعتَنا . ولا يكونَنَّ لك رأي ولا لأهلنا إلّا الشخوص عن الحُمَيمة وكَداد إلى أوليائنا وشيعتنا بالكوفة مُخفِين لأشخاصكم مُستَتِرين عَمَّن تخافونَ غيلتَه لكم وسعيَه بكم إن شاء الله . وأنا استودعكُم الله وحدَه وأسأله لكم الصنع والكفاية ، وعليكم السلام ورحمةُ الله وبركاتُه .

خروج أبي العبّاس إلى الكوفة

ويقال : لمّا قُتل إبرهيم الإمام كان أبو العبّاس أوّلَ من خرج من الحُمَيمة لخوفه على نفسه بِمَصير الإمامة إليه . فلقيَه عمُّه داود بن عليّ بدومة الجندل فقال : يا ٱبن أخي ، أين تريد ؟

قال : الكوفة .

قال : أتأتي الكوفة وشيخ بني مروان [1] بحرّان مطلٌّ على العراق في خيل العرب ورجالها ؟

(1) الطبريّ : وشيخ بني مروان ، مروان بن محمّد .
الكامل : وشيخ بني أميّة ، مروان بن محمّد .

فقال : يا عمّ ، إنّ الله إذا اراد أمرًا بلّغه ، ومن أحبّ الحياة ذلّ .

ثمّ تمثّل [ببيتِ الأعشى – طويل] :

[69 أ] وما ميتةٌ إن متّها غيرَ عاجزٍ [بعارٍ] إذا ما غالت النفسَ غولُهَا/ [1]

فالتفت داود إلى آبنه موسى فقال : صدق آبن عمّك ! فآرجع بنا معه نحيا أعزاء أو نموت كراماً .

فلم يزل أبو العبّاس وأهل بيته بالكوفة حتّى ولي الخلافةَ .

وقال الهيثم بن عدّي عن معن بن يزيد الهمداني : كنّا نتحدّث أنّ الجعديّ قتيل ابن الحارثيّة .

ظهور أبي مسلم

وكان ممّا زاد أمرَ أبي مسلم بخراسان قوّةً العصبيّة التي وقعت بين مضر وبين ربيعة واليمن بسبب تقديم نصر بن سيّار الكنانيّ بني تميم وتوليته إيّاهم وتعصّبه على ربيعة واليمن ، حتى غضب جُديع بن سعيد [2] بن قبيصة بن سرّاق الأزدي – المعروف بالكرمانيّ لأنّه وُلد بِجيرَفت [3] من كرمان – وكلّم نصرًا مرّةً بعد مرّةٍ فأغلظ له حتّى أمر بحبسِه . فأخرجه غلام له من مجرى ماءٍ وهو متسلّح ، فآجتمَعت إليه اليمن وربيعة . فلم يزل نصر يحاربُه . ثمّ انفرد بِمُحاربته الحرث بن سُريج [4] بن يزيد المجاشعيّ فقتله الحرث وصلبه نصر بن سيّار وعلّق معه سمكةً يُعيّره بعُمَان وصيد السمك .

---

(1) في المخطوط : وما موتة . والتصحيح من ديوان الأعشى ، 227 (رقم 23) ومن الطبَريّ ومن الكامل لأبن الأثير .

(2) في الكامل 4 / 275 : جديع بن علي .

(3) جيرفت : من أعيان مدن كِرمان (ياقوت) .

(4) يدقّق ابن الأثير 4 / 203 : آبن سريج « بالسين المهملة والجيم » .

فقام علي بن جديع مقام أبيه فقاتلَه الحرث بن سريج فقُتل الحرث[1] .

وقيل : إنّ الحرث قاتل جُديع بن سعيد فقتله جديع . ثمّ وثبت تميم وفيهم حاتَم بن الحرث بن سريج فَقَتَلوا جديعا .

فكان تشاغل نصر بن سيّار بهذه الحروب فرصةً آنتهزها أبو مسلم . فقوي فيها أمرُه حتى أظهَرَ دعوتَه في شعبان سنة تسع وعشرين ومائة ، وكانت من قربٍ ومن بُعدٍ ، وأمر أصحابَهُ بإظهار أمرهم والدفع عن أنفُسِهم وتجريد السيوف وجهاد أعداء الله . فأتاه في ليلة واحدة أهل ستّين قريةً . فعقد اللواءَ الذي بعث به الإمام – ويقال له : الظّلّ – على رمح طوله أربع عشرة ذراعاً [2] ، وعقد الراية التي بعثها الإمام أيضاً – وتُدعى « السحاب » – على رمح آرتفاعه ثلاث عشرة ذراعاً ، وهو يتلو قول الله سبحانه : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » (الحجّ ، 39) . ولبس السوادَ هو والدعاة ومَن أجابهم ، وأشعلوا النيران ، وذلك في ليلة الخميس لخمسٍ بقين من شهر رمضان [سنة 129] وهو يومئذ بقرية من قرى مرو . فآجتمع الناس إليه في يوم الخميس [و] قد استعدّوا . وتأوّل أبو مسلم الظلّ والسحاب بأن السحاب يُطبّقُ / [69ب] الأرض ، فكذلك دعوتُه تطبّقُ الأرض ، وأنّ الأرضَ كمَا أنّها لا تخلو من الظّلِّ فكذلك لا تخلو من خليفة عبّاسيّ آخر الدهر . وقدمت الدعاة عليه بِمَن أجاب الدعوة فحصّن قريتَه وسَدَّ دروبَها .

وأتاه سليمان بن كثير في يوم عيد الفطر فصلّى به وبالشيعة ، ونصب له منبراً في عسكره ، وبدأ بالصلاة قبل الخطبة من غير أذانٍ ولا إقامةٍ وكبّر ستًّا تِباعاً ، ثمّ قرأ وركع ، وكبّر في الثانية خمسًا ، ثمّ قرأ . وآفتتح خطبتَه بالتكبير وختَمَها بالقراءة ، على ما رسمَه لهم الإمام ، وهو سنّة رسول الله ﷺ ، فخالف بذلك

---

(1) قُتل الحرْثُ وصُلِبَ سنة 128 (الكامل 4/ 294 – الطبري 6/ 2) . وفي المخطوط : ابن شريح ، وأخذنا بقراءة الطبريّ ودائرة المعارف الإسلامية ، 3/ 230 ب .

(2) هكذا في المخطوط بتأنيث الذراع . ولعلّها تعامل كجملة الأعضاء المثناة في بدن الإنسان .

ما أحدثه بنو أميّة من تقديم الخطبة على الصلاة ، ومن تكبيرهم أربعاً في الأولى وثلاثا في الثانية بعد القراءة .

فلمّا قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة ؛ آنصرف أبو مسلم والشيعة إلى طعام قد أعدَّه فأكلوا وآستبشروا بنصر الله وتأييده .

ثمّ كتب أبو مسلم إلى نصر بن سيّار يدعوه ، وتعاظم في مكاتبته ، فندب نصر لقتاله عسكراً ، فأخرج لهم أبو مسلم طائفةً من أصحابه فهزموهم وقتلوا منهم . وكان الكرمانيّ لمّا قُتل قام بأمر عسكره آبنه عليّ بن جديع ، وأظهر خلع مروان [بن محمّد] . فآنضمّ إليه خلق كثير .

هٰذا وقد سار شيبان الصغير ابن عبد العزيز الخارجيّ من سجستان إلى خراسان ، فكتب إليه عليّ آبن الكرمانيّ : إنّك ونحن خالعون لمَروان ،فصِرْ إلى التجمّع على محاربة أوليائه أولياء الشيطان .

فقدم عليه ووافقه فقاما بِحَرب نصر بن سيّار ، فآزداد بذلك أبو مسلم قوّةً إلى قوّته وتَمَكّنًا في بلاد خراسان لآشتغال نصر عنه بِمَا دهمَه . ثمّ أنّ أبا مسلم مال إلى آبن الكرمانيّ وأظهر طاعتَه وسلّم عليه بالإمرة فآنخدع له وركن إليه . فقال له أبو مسلم : إنّه قد قوِيَ أمرُك ووهن أمر نصر ، فآبعث الآن عُمَّالك على النواحي .

فمشّى ذلك عليه [1] وبعث ثقاته . فكان إذا بعث برجلٍ إلى ناحيةٍ في جماعة ، بعث أبو مسلم إليها مع أحد أصحابه بأضعاف ما بعث آبن الكرمانيّ فيدعون إلى الرضى من آل محمّد ، والناس تستجيب لهم حتّى كثُف جمع أبي مسلم فانفرَدَ بِعسكره . وبعث إلى نصر بن سيّار وإلى عليّ ابن الكرمانيّ يقول لهما : إنّي رجلٌ يدعو إلى الرضى من آل محمّد ، ولستُ أعرض لكم ولا أعين / [70 أ] منكم أحدًا على صاحبه .

---

(1) هٰذا التعبير من كلام المقريزي ، لا من منقوله .

فلمّا رأى قوّة أبي مسلم بعث إليه يسأله موادعتَه وأن يدخل مرو . فٱغتنم ذلك ومضى إليها وزوى أصحاب ابن الكرماني وأصحاب نصر عنها فدخلها في ربيع الأوّل سنة ثلاثين ومائة ، وهو يقرأ : « فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا » (القصص ، 15) . فلمّا تمكّن من مرو وٱستولى عليها قال نصر : « لا مُقامَ لنا معه لِمَا أرى من إقبال هٰذا الرجل وإدبار أمرنا » . وبعث إلى ابن الكرمانيّ : « هٰذا رجل يُظْهِرُ المَيلَ إليك وإنّمَا يريد ختلَك ، فصالحني » . فصالحه على أن يكون أمرُهُما واحدًا ، وإنْ حاربَه أبو مسلم رجعا إلى ناحية مرو .

وكان أبو مسلم يظهر لأبن الكرمانيّ إعظاما وإجلالاً ، حتّى إذا ضبط أمرَ خراسان ، وغلب أصحابُه ودعاتُه عليها ، ومال الناس إليه من كلّ أوبٍ ، ٱشتدّ حجابُه ، وغلُظ أمرُه وٱستفحل ، وبعث رسلَه إلى نصر بن سيّار ، وقد آنسه وبسطه وضمِن له أن يكفّ عنه ويقومَ بشأنه عند الإمام . وأعلمه أنّ كتابا أتاه من الإمام يَعدُه فيه ويُمنّيه ويَضمنُ له الكرامةَ . وكان رُسُلُه لاهزَ بن قريط وسليمان بنَ كثير وعمرانَ بن إسماعيل وداود بن كراز وقال لهم : إنّي أريد مشافهتَه و [أن] أقرأ عله كتاب الإمام .

فلمّا أتَوه تلا / لاهز بن قريط قول الله تعالى : « إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ » (القصص ، 20) . فتنبّه نصر على ما أراد مِن تحذيره فقال : « أنا صائر معكم إلى الأمير أبي مسلم » . ودخل بستانا كأنّه يلبس ثيابَه ، ثمّ ركب وٱبنَه وهرب إلى الريّ فمَات . وسأل أبو مسلم :« هل أنذره أحدٌ ؟ – فأُخبِر بتلاوة لاهز الآية . فدعاه وقال : « يا لاهز ، أعَصَبيّةٌ في الدين ؟ قوما فٱضربا عنقَه » ، فضربت عنقه . وبعث أبو مسلم إلى ٱبن الكرمانيّ مَن قبض عليه وأتاه به فحبسَه . وكان أخوه عثمان بن جُدَيع بناحية هَراة . فكتب أبو مسلم إلى أبي داود خالد بن إبراهيم في أمره ، فقال له أبو داود : إنّ الأميرَ أبا مسلم كتب إليّ في عُبُور النهر لأمرٍ ستعرِفه ، فإذا عبرناه خلّيتُ بينَك وبينَ ما وراء النهر وٱنصرفتُ أنا إليه . [70ب]

فمشت حيلتُه على عثمان ومضى معه . فقال : « لا يعبر إلّا أصحاب عثمان » . فعدَّوا حتى إذا بقيَ في نفَر وثب به أبو داود فقتلَه ، وبعث برأسه إلى أبي مسلم . فأخرج عند ذلك عليّاً وقتلَه .

وكان قد وادع شيبانَ إلى مدّةٍ ، فوجّه له جيشاً فواقعوه فكشفوه . وصار إلى ناحية أبيورد ، وأهلُها أوّلُ مَن سوَّد . فكتب إليه أبو مسلم أن بايعْ للرضى من آل محمّد حتى لا أعرض لك .

[71 أ] فبعث إليه : بل بايِعْني / أنت .

فكتب أبو مسلم إلى بسّام بن إبراهيم مولى بني ليث بن بكر ، وهو بأبيورد في مناهضتِه فناهضَه وقتلَه وأصحابه إلّا عدّة تفرّقوا في البلاد . ويقال : بل صاروا إلى نصر بن سيّار قبلَ هربهِ . وما أحسنَ ما كتب به نصر بن سيّار إلى ربيعة واليمن عندما ظهر أبو مسلم [بسيط] :

أبلغ ربيعة في مروٍ وذا يمَنٍ	أن اغضَبُوا قبلَ أن لا ينفَعَ الغضبُ [1]
ما بالكم تنشبون الحربَ بينكمُ	كأنّ أهل الحجى عن رأيكم غُيَبُ
وتتركون عدوًّا قد أحاط بكم	ممّن تأشَّب لا دينٌ ولا حسبُ
لا عربَ مثلكمُ في الناس نعرفهم	ولا صريحٌ مُوالٍ إن همُ نُسِبُوا
5 من كان يسألني عن أهل دينهم	فإنّ دينهمُ أن تَهلكَ العَربُ
قوم يقولون قولاً ما سمعتُ به	عن النبيّ ولا جاءت به الكتبُ

وكان ممّا صنع الله لأبي مسلم أنّ يزيد بنَ عمر بن هبيرة عاملَ مروان على العراق كان مُبْغضاً لنصر بنِ سيّار مستثقلا لولايتِه خراسان فكتب إليه نصر

---

(1) الأبيات في العِقد 4 / 478 مع اختلاف في البيت الأوّل – واضافة بيت :

... في مرو وإخوتَهم   فليغضبوا ... ...
ولينصِبُوا الحربَ إنَّ القومَ قد نَصَبُوا   حرباً تحرّق في حافاتها الحطبُ

[بَسيط] [1] :

أبلغْ يزيدَ ، وخيرُ القول أصدَقُهُ وقد تيقّنت أنْ لا خيرَ في الكذب
بأنّ أرض خراسانٍ رأيتُ بها بيضاً لَوَ أفرخَ قد حدّثتَ بالعجبِ
وقد وجدنا فراخا بعدُ قد كثَرَت لمّا يطِرنَ ، وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغبِ
إلّا تُدارِكْ بخيلِ الله معلمة ألهَبْنَ نيران حربٍ أيّمَا لهبِ [2]

فقال يزيد : لا عليه ، فمَا عندي واحداً أمدّه به .

وكتب نصر إلى مروان يستمدّه فأمدّه بنباته بن حنظلة الكلابيّ فقُتِل بجرجان . وكتب نصر إلى مروان [وافر] :

أرى خَلَلَ الرمادِ وميضَ جمرٍ حريٍّ أن يكون له ضِرَامُ
فقلت من التعجّب : ليت شعري أأيقاظ أميّةُ أم نِيامُ ؟
فإلّا تطفِئُوه يجرَّ حَرْباً يكون وقودَها قَصَرٌ وهامُ [3]

فلم يعبأ بكلامه .

---

(1) الأبيات في المروج 4/ 81 . وفي المخطوط : أنّ خراسان أرض ، ولا يستقيم به الوزن .

(2) في تاريخ الطبري (سنة 129) 6/ 37 ورد البيتان 3 و 4 على هذا النحو :

فراخ عامَين إلّا أنّها كبُرت لمّا يطرن ...
فإن يَطِرنَ ولم يُحتَلْ لهُنَّ بها يُلهِبْنَ ...

(3) أنظر الطبري 6/ 36 والمروج 4/ 79 . وقد وردت فيهمَا أبيات أخرى :

فإنّ النار بالعودَين تُذْكى وإنّ الحرب اوّلها كلامُ
فإن لم يُطفِئوها يجرّ حرباً مشمّرة يشيب لها الغلام
فإن يك قومنا أضحَوا نياما فقل : قوموا فقد حان القيامُ
فصُدّي عن رحالك ثمّ قولي عن الإسلام والعَرب السلامُ

وقد ترك المؤلّف مكانا فارغا للأبيات الثلاثة . والقصر بالتحريك ج قصَرة وهي الرقبة والعنق . وفي اللسان : . . . في حَومة تحتَها الهاماتُ والقصَرُ .

غزو قحطبة بن شبيب العراق بجيوش أبي مسلم [1]

ووجّه أبو مسلم في ذي القعدة سنة ثلاثين ومائة قحطبة بن شبيب إلى العراق ، ومعه أبو غانم عبد الحميد بن ربعيّ بن خالد بن معدان / ، والمسيّب [71ب] ابن زهير بن عمرو بن جميل الضبّيّ ، وعبد الجبّار بن عبد الرحمان الأزدي ، وموسى بن كعب بن عيينة بن عائشة بن سريّ التميميّ ، وحيّة بن عبد الله بن حدره بن النطّاق ، ومالك بن الطوّاف بن حضرميّ بن مالك بن كباثة ، والقاسم بن مجاشع بن تميم بن حبيب ، وأبو عون عبد الملك بن يزيد ، ومقاتل ابن حكيم بن عبد الرحمان العكّيّ وغيرهم ، وحمل معهم مالا عظيماً لأعطياتهم. وكان على مقدّمة قحطبة ابنه الحسن بن قحطبة . فلمّا وافى جرجان قال : يا أهل خراسان إنَّ النصرَ مع الصبر ، والتنازع فشل ، وإنّكم تقاتلون بقيّةَ قوم حرّقوا بيتَ الله وكتابه ، وٱغتصبوا هٰذا الأمر فٱنتزوا عليه بغير حقٍ .

وكان مروان قد أمر ٱبن هبيرة أن يمدَّ نصرَ بن سيّار بنباتة بن حنظلة فلقي سليمان بن حبيب بن المهلّب بن أبي صفرة بالأهواز ، وهو واليها من قِبل عبد الله ٱبن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حيث خرج عبد الله ودعا لنفسه . فقاتله نباتة فٱنهزم منه سليمان وصار إلى فارس . فكتب إليه ٱبن هبيرة في المصير إلى خراسان مددًا لنصر بن سيّار . فأتى أصبهان ثمّ الريّ ، ومضى إلى قومس فلم تَحْمِلْهُ . فصار إلى جرجان فلقيه قحطبة في [يوم الجمعة] مستهلّ ذي الحجّة سنة ثلاثين [ومائة] وقال : « هٰذا يوم يرجى فيه النصر وتزول الرحمة ! » وجعل يدعو إلى الرضا من آل محمّد . ونادى هو وأهل خراسان : « يا محمّد ! يا منصور ! » ونادى أهل الشام : « يا مروان ! يا منصور ! » فٱقتتلوا طويلاً فقُتل نباتة ، وٱنهزم أهل الشام أقبح هزيمَة ، فوضع السيف فيهم فقُتل منهم عشرة آلاف – وقيل ستّة آلاف – وبعث قحطبة برأس نباتة إلى أبي مسلم فأمر فطيفَ

(1) خبر هٰذه الوقعة عند الطبري 6 / 52 – 66 وابن الأثير ، 312 – 319 .

به في كور خراسان .

وقدم قحطبة الريّ فكتب إلى أبي مسلم يستمدّه ، فأمدّه بأبي الجهم بن عطيّة مولى باهلة في سبعمائة – وقيل في ألف وسبعمائة – وكان عامر بن ضَبارَة المُرّيّ قد وجّه لمُحاربة شيبان الخارجيّ ففاته ولحق بكرمان ، فأتى كرمان فأوقع به وٱستباح عسكرَه . فأتى شيبان سجستان ، ثمّ صار إلى خراسان . وواقع عامر عبدَ الله بن معاوية قبل ذلك بفارس فهزمه . فكتب ابن هبيرة إليه بأمرُه بالمسير إلى قحطبة ، ووجّه معه ٱبنه داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة فسارا في خمسين ألفاً حتّى نزلا أصبهان / ، وٱنضمّ إليهم ولدُ نصر بن سيّار وجماعة من المروانيّة من [72 أ] أهل خراسان . فوافاهم قحطبة [1] وعلى ميمنته مقاتل بن حكيم العكّيّ وخالد بن برمك ، وعلى ميسرته أبو غانم عبد الحميد بن ربعي الطائيّ ومعه مالك بن الطوّاف التميميّ فلم يلبث أهل الشام أن ٱنهزموا فقُتلوا قتلا ذريعا ، وقُتل عامر ابن ضَبارَة ، وقُتل مساور وقدير ومبشّر بنو نصر بن سيّار ، وخالد بن سريج المجاشعيّ . وحوى قحطبة عسكر ابن ضبارة ، وبعث برأسه إلى أبي مسلم مع عيسى بن هامان مولى خزاعة . وهرب داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبيه ، وهرب مالك بن أدهم بن محرز الباهليّ والي الريّ إلى نهاوند ، فأمّنه قحطبة وفتح نهاوند . وهرب عبيد الله بن العبّاس الكندي عامل حلوان عنها .

ووجّه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي ومالك بن الطوّاف في أربعة آلاف إلى شهرزور وبها عثمان بن سفيان ، وهو على مقدّمة عبد الله بن مروان بن محمّد ، فناهضا عثمان فقتلاه في العشرين [من ذي الحجّة] سنة إحدى وثلاثين [2] .

---

(1) « في عشرين ألفًا » – الكامل – 318 .

(2) فتح شهرزور سنة 131 (الطبري 69 والكامل 319 .) ويضيف ٱبن الأثير إلى عبد الملك بن يزيد نسبة الخراسانيّ ، ويسمّي مالكا ابن طرافة . أمّا الطبري فيسمّيه ابن ظريف .

وتوجّه قحطبة يريد ابنَ هبيرة حتى أتى الأنبار ، وقدم ابنه الحسن بن قحطبة ، وهو يريد الكوفة ، فواقعه آبن هبيرة ومعه محمد بن نباتة بن حنظلة وحوثرة بن سهيل الباهليّ ، فهزمهم أهل خراسان .

وفُقد قحطبة [1] ، فقيل : غرق في مخاضة . وقيل : وجد مقتولا . وقيل، إنّه سقط من جرف فغرق .

وكان قد أوصى ، إن حدث به حادث ، فالأمير الحسنُ بن قحطبة . فبعثوا إليه فردّوه وبويع . فسار بالناس ، وواقع آبن هبيرة بالنخيلة ، فقتل من أهل الشام أكثر من ثلاثة آلاف .

وسوّد [2] محمد بن خالد بن عبد الله القسري بالكوفة ، وخرج في أحد عشر رجلاً فدعا الناس إلى الرضى من آل محمد ، وضبط الكوفة حتى دخل الحسن آبن قحطبة . والناس في السواد .

تصرّف أبي سلمة الخلّال في الدولة

فسألوا عن أبي سلمة الخلّال وزير آل محمد فدلّوا عليه . فخرج إليهم فقدّموا له دابّة من دوابِّ الحسن بن قحطبة فركبها وجاء حتّى وقف بجبّانة السبيع فبايعه أهل خراسان والناس . ثمّ وجّه أبو سلمَة بالحسن بن قحطبة إلى آبن هبيرة ، وقد صار إلى واسط . وضمّ إلى الحسن خازم بنَ خزيمة التميميّ ، ومقاتلَ بنَ حكيم العكّيّ ، وزياد بنَ مشكان ، وعثمان بنَ نهيك وغيرَهم . وولّى الكوفة محمّد بن خالد القسريّ . ووجّه حميدَ بن قحطبة إلى المدائن ، ووجّه [72ب] خالدَ بن برمك والمسيّب بن زهير إلى دَير قُنّى . وبعث / يزيد بنَ حاتم في أربعمائة إلى عين التمر . وبعث بسّام بن إبراهيم إلى الأهواز . ففرّ منها عبد الواحد

---

(1) في 8 محرّم سنة 132 (الطبريّ ، 72) .

(2) سوّد : لبس السواد شعار العبّاسيّين .

ٱبن عمر بن هبيرة إلى البصرة .وٱقتتل أهل خراسان وأهل الشام بواسط مرّات ، في جميعها ينهزم أهل الشام .

ظهور أبي العبّاس السفّاح وبيعتُه

هٰذا وأبو العبّاس السفّاح وأهل بيتِه بالكوفة قد أخفاهم أبو سلَمَة الخلّال في دارٍ في بني أود [1] مُذ قدِموا في صفر سنة ٱثنتين وثلاثين . فكان إذا بعث إليه أبو العبّاس يسأله عن خبرهم عنده قال : « لم يئِنْ لظهوركُم » . فمكثوا بعد ظهور أبي سلمة كذلك أربعين يوماً ، وهو يريد أن يصرفَها عنهم إلى ولد فاطمة عليها السلام . وكان أهل خراسان يسألونه عن الإمام فيقول : نحن نتوقّعُه ولم يئِنْ لظهوره [2] .

ثمّ أرسل أبو العبّاس إلى أبي سلمة : إنّي على إتيانك الليلةَ ، فقد عرفت أنّي صاحب هٰذا الأمر .

فقال لِسلم مولى قحطبة ولأسد بن المرزبان : إنّ رجلا يأتيني الليلة . فإن قمتُ وتركتُه فٱقتُلوه ، فإنّه يحاول فسادَ ما نحن فيه .

فلمَا صار أبو العبّاس إليه ناظره . فغضب أبو سلمة وأراد القيامَ فتعلّق أبو العبّاس بثوبه وضاحكه ، ثمّ خرج فركب ولم يعرض له . فلمّا لقيَ أبو العبّاس أهلَ بيته حدّثهم حديثه وقال : والله ما أفلتُّ منه حتّى ساعدتُه على ما يريد ، وإنّه لعَلَى صرفِ الأمر عنّا .

فقال داود بن عليّ : الرأي أن نرجع إلى المدينة .

---

(1) بنو أود حيّ من اليمن – مروج 4 / 96 (2312) . وفي الكامل ، 323 : في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني داود . أمّا الطبريّ ، 80 فقال : في بني أود .

(2) في المخطوط : لم يأن . والمقريزيّ يضطرب في الهمزة . وقد اخترنا بين آن يئِينُ أينا بمعنى حان ، وأنى يني أنيا بِمعنى دنا وقرب ففضّلنا الأوّل : لم يَئِن ، لقربه من رسم المؤلّف .

وقال عبد الله بن عليّ : اَخرُجْ فأَعلِم الناسَ أنّك هٰهُنا .

وخرج صالح بن الهيثم رضيع أبي العبّاس ومعه مولى لهم أسود يقال له سابق.[1] فلقِيَهما أبو حميد السمرقندي[2] فعرَفَهُما لأنّه كان يأتي الإمام ، فقال لصالح : ألستَ رضيع اَبن الحارثيّة ؟

وقال لسابق : ألست مولى الإمام ؟

فقالا : بلى .

فقال : فمَا تصنعان هٰهنا ؟

قالا : أبو العبّاس ابن الحارثيّة ورجال من أهل بيته بالكوفة منذ كذا وكذا .

فأتى أبو حميد أبا الجهْم بن عطيّة بهما ، فصار معهُما إلى بني أود في جماعة ، ثمّ دخل دار الوليد[3] فقال : أيُّكُمُ أبو العبّاس عبد الله ابن الحارثيّة ؟

فقالوا : هو هٰذا .

فسلّم عليه أبو الجهْم بالخلافة ، ثمّ بكى . فقالوا له : تركَنا أبو سلمَة هنا ، وأنتم حضور فلم يُعلِمْكم خبرَنا .

وبعث أبو الجهْم إلى وجوه الناس ، فأتاه عبد الحميد بن ربعيّ ، وإبراهيم اَبن سلمة ، وشبيب بن واج في جماعة . فسلّموا على أبي العبّاس بالخلافة وبايعوه . فبلغ الخبر أبا سلمة فسُقِط في يده . ثمّ أتى أبا العبّاس فسلّم عليه بالخلافة ، فقال له أبو حميد : على رغم أنفِك يا ابن الخلّال .

فقال أبو العبّاس : مَهْ !

---

(1) سابق الخوارزمي (الطبري 81 – الكامل 323) .

(2) أبو حميد محمد بن إبراهيم الحمَيري (الكامل). الطوسيّ (مروج 2315) .

(3) لم يذكر المقريزي صاحب الدار فيمَا سبق . انظر هامش 52 .

وجعل أبو سلَمة يقول : إنّمَا أردتُ إظهارَ أمير المؤمنين / بَعدَ أن أُحكِمَ [73 أ] لَهُ الأمورَ .

ومنع أبو الجهْم وأصحابُه أبا سلَمة من الدخول على أبي العبّاس إلّا وحدَه . وأُتِيَ أبو العبّاس ببرذون أبلق ، وأتي أهل بيته بدوابّ ، فركب وركبوا ، وداود آبن عليّ يسايره ، وهو عن يساره . فجعل الناس يقولون لداود : « هٰذا أمير المؤمنين » وهم لا يعرفونه . فقصّر دون أبي العبّاس حتّى عُرف أنّه الخليفة . وكان أبو الجهْم وعبد الله بن بسّام يمشيان بين يديه ، وأبو سلمة يسير خلفَه على فرس ، والوجوم يُتبيَّنُ فيه .

وصار أبو العبّاس إلى المسجد فصعِد المنبر وصعِده داود بن علي فصار دونه بمرقاة ، فخطب أبو العبّاس فقال : الحمد لله الذي آصطفى الإسلام دينًا لنفسه فكرّمه وشرّفه وعظّمه ، فآختاره لنا وأيّدَه بنا وجعلَنا أهلَه وكهفَه وحِصْنَه والقُوَّام به والذابِّين عنه والناصرين له ، وألزَمَنا كلمةَ التقوى ، وجعلَنا أحقّ بها وأهلَها . خصّنا برحِم رسول الله ﷺ وقرابتِه ، ونسَلَنا من آبائه ، وأنشأَنا من شجرَته ، وآشتقّنا من نبعتِه ، وجعلَنا مِن أنفُسِه فوضَعَنا من الإسلام وأهله بالمَوضع الرفيع . وذكرنا في كتابه المنزّل فقال : « إنّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيَذْهِبَ عَنْكُمْ الرِجَس أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (الأحزاب ، 33) . ثمّ جعلنا ورَثَته وعُصبتَه فزعمت السبائيّة [1] الضُّلّالُ والمروانيّة الجُهَّال أنّ غيرَنا أحقُّ بالأمر منّا ، فشاهت وجوههم بقولهم [2] . وبنا هُدِي الناسُ بعد ضلالتهم وَبُصِّروا بعد جهالتِهم وأُنقِذُوا بعد هلكتِهم ، فظهر الحقُّ وأدحض الباطل ورُفعت المِحنةُ [3] وتمّمت النقيصة وجُمعت الفرقة ، وذلك بالنبيّ محمّد ﷺ . فلمّا قبض الله نبيّه قام

(1) المتاميّة في الكامل 324 . والسبائيّة عند الطبريّ 82 .
(2) في المخطوط : ... وجوهم بما ولم وبنا هدى ... وفي تاريخ الطبريّ والكامل : بمَ ولمَ أيّها الناس ...
(3) في المخطوط : الحِنّة ، وفي الكامل : الخسيسة .

بالامر بعدَه أصحابه فحوَوا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعَها وأعطَوها أهلها وخرجُوا من الدنيا خِماصاً . ثمّ وثب بنو حرب وبنو مروان فٱبتزّوها أهلها فجاروا فيها وأساؤوا وظلمُوا فأملى الله لهم حين آسفوه فٱنتقم منهُم بأيدينا وردَّ علينا حقَّنا وتدارك أُمَّتنا وولي نصرَنا والقيامَ بأمرنا كمَا قال : « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ[1] عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُم أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ » (القصص ، 5) . وإنّي لأرجو أن يُتمَّ لنا ما ٱفتَتَحَ بنا ، وسيأتيكم العدلُ والخيرُ بعد الجور والشرّ ، وما توفيقُنَا إلّا بالله :

[73ب] يا أهل الكوفة ، / إنّكم محلُّ دعاتِنا وأوليائنا . وأهلُ محبّتِنا ، فأنتم أسعدُ الناس بنا وأكرمهُم علينا . وقد زدتُكم في أعطياتكم مائةً مائةً ، فاستعدُّوا فإنّي السفّاح المَنيح[2] والثائر المبيرُ !

وكان موعوكا فجلس على المنبر وأشار لداود بن عليّ بالكلام فقام دونه فقال : شكرًا شكرا ! شكرًا شكرا ! إنّا والله ما خرجنا فيكم لنحفر نهراً ولا نبني قصراً ولا نسير سيَرَ الجبّارين الذين ساموكم الخسفَ ومنعوكم النصف . أظنَّ عدوّ الله أن لن نقدر عليه ؟ أرخي له في زمامه حتّى عثر في فضل خطامه . ألا وإنَّ العربَ أطبقَتْ على إنكار حقّنا ومعاونة الظالمينَ من بني أميّة علينا ، حتّى أتاح الله لنا بهٰذا الجند من أهل خراسان فأجابوا دعوتَنا وتجرّدُوا لنصرتنا .

(ثمّ قال) الآن عاد الأمر إلى نصابه ! الآن طلعت الشمس من مطلعها !

---

(1) في المخطوط : ولنمنّ .

(2) في المخطوط : المبيح بالضمّ والباء . وعلّق الشيخ النجّار في الكامل ، 4/ 325 فقال : السفّاح المنيح ٱسمٌ لِقدح ذي حظٍّ كبير في الميسر . وفي اللسان (منح – سفح) بسطة عن أسماء القِداح وترتيبها ، فهي : المصدّر ، ثمّ المضعّف ثمّ المَنيح ثمّ السفيح (لا السفّاح) .
وقد جاء في المخطوط على ورقتين طيّارتين إضافتان لهٰذه الترجمة لا تجدان مكانهما المعقول في متن الترجمة ، فالأولى هي هٰذه :

[74أ] . . . / وذلك أنّ الخبر أتى السفّاح بخروج مروان من حرّان ونزوله الموصل . فجمع =

الآن أخذ القوسَ باريها وعاد السهمْ إلى منزعه [1] ورجع الأمر إلى مستقرّةِ في أهل بيت نبيّكُم وورثتِه . أهل الرأفةِ والرحمة .

والله لقد كنّا نتوجَّعُ لكم ونحن على فرشنا . أمن الأبيضُ والأسودُ بأمان الله وذمّتِه وذمّة رسوله وذمّة العبّاس بن عبد المطّلب عمّ رسول الله ﷺ أنّه والله ما بينَكُم وبين رسول الله ﷺ خليفة هاشميّ إلّا . . . علي بن أبي طالب وأميرُ المؤمنين ، وما بايعتُم قطّ بيعَةً هي أهدى من بيعتكُم هٰذه .

ونزلا . وأجلس أبو العبّاس موسى بنَ كعب [2] لأخذ البيعة له على الناس ،

= السفّاح أهله وقال : من يلقـ[ـى] مروان دوني ؟

فقال له عمّه عبد الله بن عليّ : أنا ! وأنا له كفؤ .

فقال : صدقت ، وبذلك أخبر الإمام إبراهيم .

فعقد له لواءً أسود وألبسه السواد وأنهده إليه . ثمّ أنشد السفّاح مرتجلاً [بسيط] :

يا آل مروان إنّ الله مُهلككم ... ومُبْدلٌ أمنكم خوفاً وتشريدا

لا عمر الله من أنسابكم أحداً ... وبثّكم في بلاد الخوف تطريدا

ودفعها إلى رجل حصيف وقال له : تحيّل في إنشادها في عسكر مروان من حيث لا يعلمون ، كأنّك هاتف يهتف بها .

وسار عبد الله بن عليّ وجرت بينهم حروب . ثمّ إنّ ذلك الرجل تحيّل في سرب احتفره حتّى وصل إلى أصل شجرة / في معسكر مروان ، واتّخذ فيه خروقا خفيّة تخرج [74ب] الصوت ، ثمّ قام ، وأنشدها ليلا . فظنّوه هاتفا يهتف ، فتفلّلت عزيمتُهم وكان ذلك من أسباب الهزيمة .

ولمّا أتى السفّاح رأس مروان سجد ثمّ أنشأ يقول [طويل] :

تناولتُ ثأري في أميّة عنوة ... وحزت تراثي اليومَ عن سلفي قسرا

وألقيت ذلّا في مفارق هامهم ... وألبستُها عزًّا ولم آلها فخرًا

أمّا الثانية فهي تكرار لما جاء بلوحة 64 ب فألغيناها .

(1) في المخطوط : وصار الأمر إلى الترعة ، والإصلاح من الطبريّ ، 83 وابن الأثير ، 325 .

(2) في المروج (فقرة 2316) : وكان زعيمَهم .

وذلك كلّه يومَ الخميس .

قال هشام بن الكلبيّ : وُلد أبو العبّاس في أوّل أيّام يزيد بن عبد الملك ، وظهر بالكوفة عشيّة يوم الخميس لأثنتي عشرة ليلةً خلت مِن شهر ربيع الآخر سنة آثنتين وثلاثين ومائة .

وبعضهم يقول : ظهر يوم الأربعاء بالعشيّ . وبويع باقي يومه ويومَ الخميس . وبات ليلة الجمعة بالكوفة ثمّ صلّى بالناس يوم الجمعة وندب أهلَ بيته لقتال مروان بن محمد . فلم ينتدب له إلّا عبدُ الله بن عليّ ، فوجّهَه لحربه . وكان من أمره ما ذكر في ترجمته [1] .

وكان الذين آختفَوا بالكوفة مع أبي العبّاس أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمّد ، وعمّه داود بن عليّ وآبنهُ موسى بن داود ، وعيسى وإسماعيل وعبد الصَمد وعبد الله وسليمان وصالح أولاد عليّ ، والعبّاس بن محمد ، ويحيى آبن محمّد ، وعبد الوهّاب بن إبراهيم الإمام ، وعيسى بن موسى ، ويحيى بن جعفر بن تمّام بن العبّاس ، ومحمّد بن جعفر بن / عبد الله ، وبعض ولد معبد بن العبّاس . [76 أ]

وخطب بعد قيامه بأيّام بين الكوفة والحيرة فقال : والله لأعملَنَّ باللين حتّى لا تنفع إلّا الشدّة ، ولأكرمَنَّ الخاصّةَ ما أمِنتُهم على العامّة ، ولأُغمِدَنَّ سيفي حتّى يسلَّه الحقُّ ، ولأُعطِينَّ حتى لا أرى للعطيّة موضعاً . إنّ أهل بيتِ اللعنة كانوا عليكم عذابا ساموكم الخسفَ ومنعوكم النصف ، وأخذوا الجار منكم بالجار . وسلّطوا شراركم على خياركُم . وقد محا الله جورَهم وأزهقَ باطلَهم ، وأصلح بأهل بيت نبيّه ما أفسدوا منكم . ونحن متعهّدوكم بالأعطية والصدقة والمعروف غير مُجَمِّرين لكم [2] بعثا ولا راكبين بكم خطرًا .

---

(1) تأتي ترجمة عبد الله بن عليّ « الأصغر » أو « الشماخ » (ت 147) تحت رقم 1546 .

(2) جمّر القوم : جمعَهم .

قتل يزيد بن هبيرة

ثمّ وجّه أبو العبّاس أخاه أبا جعفر إلى واسط . فلمّا قدمها تحرّك له الحسن ٱبن قحطبة عن مضربه . وكتب أبو العبّاس إلى الحسن : إنّي إنّما وجّهت أخي إلى ما قِبَلك ليسكنَ الناسُ إليه ويثقَ ابن هبيرة بأمانه إن طلب الأمان . وأنت على أمرك وجيشِك ، والتدبيرُ لك .

فٱلتقوا وأهل الشام ، فٱنهزم أهل الشام . وٱستَمَرّوا على الحصار أحدَ عشر شهرًا حتّى جاءهم قتلُ مروان [فـ]ـطلبوا الصلح . فأمّن أبو جعفر معنَ بن زائدة ثمّ ٱبنَ هبيرة . وٱشترط عليه أنّه إن نكث أو غدر فلا أمان له . وكان مقيما بواسط يغدو ويروح إلى أبي جعفر في جماعة كثيرة ويتغدّى عنده ويتعشّى إذا حضر في وقت غَدائه وعَشائه . وهو في ذلك يدسّ إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويهمّ بالدعاء لآل أبي طالب وخلع أبي العبّاس . فتيقّن أبو العبّاس ذلك من أمره ، وكتب إليه أبو مسلم يشير بقتله ويقول : إنّ الطريق إذا كثرت حجارته فسُد وصعُب سلُوكُه .

فكتب أبو العبّاس إلى أخيه أبي جعفر يأمره بقتل ٱبن هبيرة . فأبى ذلك وكرِهه لمَا أعطاه من الأمان . فكتب إليه : إنّ هٰذا الرجل قد غدر ونكث . وهو يريد بنا العظمى ، وما لكتاب عبد الرحمان [1] فيه أقتلهُ ، ولكن لمَا بان من نكثه وفجوره ، فلا تراجعني في أمره ، فقد أحلّ لنا دمَه .

فأمر أبو جعفر الحسن بنُ قحطبة فأبى . فقال خازم بن خزيمة : « أنا أقتله » . وساعده على ذلك الأغلب بن سالم التميميّ ، والهيثم بن شعبة وغيرهما . فقتلوه وقتلوا ٱبنه وحوثرة / بن سهيل ومَن كان معه في القصر . وهم خمسون . [76ب] وأتوا برؤوسهم أبا جعفر . وكان معن بن زائدة وفد إلى أبي العبّاس ببيعة ابن

---

(1) عبد الرحمان : هو أبو مسلم .

هبيرة وأقام بالكوفة فسلِم .

وٱستخلف أبو جعفر بواسط الهيثمَ بن زياد الخزاعيّ وٱنصرف هو والحسن ٱبن قحطبة ومَن معهُما إلى أبي العبّاس .

تحوّل السفّاح من الكوفة إلى الأنبار

وكتب أبو مسلم إلى أبي العبّاس : إنّ أهل الكوفة شاركوا شيعةَ أمير المؤمنين في ٱلاسم وخالفوهم بالفعل ، ورأيُهم في آل عليّ الرأي الذي يعلمه أميرُ المؤمنين . وإنّمَا يُؤتى فسادُهم من قِبلهم بإغوائهم إيّاهم وإطاعهم فيمَا ليس لهم . فالحَظهم يا أميرَ المؤمنين بلحظة بوار ولا تؤهّلهم لجوارك . فليست دارهم لك بدار .

وأشار عليه أيضاً عبد الله بن عليّ بنحو ذلك . فٱبتنى مدينةً بالأنبار وتحوّل إليها .

وأخذ يوما بيد عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ [بن أبي طالب] فجعل يطوف به فيها ، وكان له مُكرما ، فجعل عبد الله يتمثّل [وافر] :

ألم تر حوشبا أمسى يُبَنِّي   منازلَ نفعُها لبني بُقيلة
يؤمّل أن يعمّر عمرَ نوحٍ   وأمر الله يأتي كلّ ليلة

فتطيّر أبو العبّاس وقال : أفّ ! لقلّمَا يَملك الحسودُ نفسَه ولسانه .

فقال عبد الله : أقلني !

فقال : لا أقالني الله إذن . ٱخرج عنّي !

فخرج إلى المدينة .

ويقال إنّه أنشده هذا الشعر وقد طوّفه بالهاشميّة حين استتمّ بناءها .

وٱستعمل أبو العبّاس أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان في ذي

القعدة سنة ٱثنتين وثلاثين .

وولّى يحيى بن محمّد بن عليّ الموصل .

وخرج بالجزيرة بريكة بن حميد الشّيبانيّ في قوم من الخوارج فحوربوا وقُتلوا .

قتل أبي سلمة الخلّال

وأراد أبو العبّاس قتل أبي سلمة الخلّال لمَيله إلى آل أبي طالب . فقال له داود بن عليّ : لا تتولّ قتلَه فيحتجّ عليك أبو مسلم بذلك . ولكن ٱكتب إليه فليُوَجّهْ مَن يقتله .

فدعا أبو العبّاس أخاه أبا جعفر وذاكره أمر أبي سلمة وقال : والله ما أدري ، لعلّ الذي كان منه عن رأي أبي مسلم ؟ وما لها غيرك . ٱخرج إلى أبي مسلم مهيبا بِمَا وهب الله لنا وبنجح سعيه فيمَا قام به من أمرنا ، وخذ البيعةَ عليه ، وأعلِمه ما كان من أمر أبي سلمة ، وٱعرف رأيَه ، وعرّفه الذي نحن عليه من شكره ومعرفة حقّه .

(قال) فخرجت إلى خراسان في ثلاثين رجلا ، منهم إسحاق بن / الفضل [77 أ] الهاشميّ ، والحجّاج بن أرطاة ، ونحن على وجَل . فلمّا شارفت مروَ تلقّاني أبو مسلم . فلمّا دنا منّي نزل وقبّل يدي . فقلت : « اركب ! » فركب . وقدمت مرو فنزلت دارا . ومكث ثلاثة أيّام لا يسألني عن شيءٍ . ثمّ قال لي : ما أقدمك يا أبا جعفر ؟

فأخبرته . فقال : قد تقدّمت بيعتي وأخَذْتُها لأمير المؤمنين قبلَ قدومك على مَن قِبلي . ولكنّي أماسحُك له .

فماسحني ثمّ قال : أفَعَلَهَا أبو سلمة ؟

قلت : قد فعلَها .

فقال : أكفيكمُوه .

ودعا بِمَرّار بن أنس الضبّي فقال : انطلق إلى حفص بن سليمان [1] فاقتُلْه حيث لقِيتَه !

فقدم مرّار الكوفة . وكان أبو سلمة يسمر عند أبي العبّاس . فقعد له في بعض الليالي على طريقه . فلمّا خرج قتلَه . فقالوا : قتلته الخوارج – فقال أبو اللفائف الأسديّ [خفيف] :

و يحَ مَن كان مذ ثلاثون حولا يبتغي حتف نفسِه غيرَ آل
لم يزل ذاك دأب كفّيه حتّى عضّه حدُّ صارمٍ في القذالِ
كاده الهاشميّ منه بكيدٍ حيلة غير حيلة الخلّال

وقال المفضّل الضبّي : كتب أبو العبّاس بخطّه أو بإملائه كتابا مع أبي جعفر ابن العنات [2] حين وجّهه إلى خراسان : إنّه لم يزل من رأي أمير المؤمنين وأهل بيتِه الإحسانُ إلى المحسن والتجاوزُ عن المسيءِ ما لم يكِد دينًا . وإنّ أمير المؤمنين قد وهب جُرم حفص بن سليمان وترك إساءَتَه لإحسانك إن أحببتَ ذلك .

فلمّا قرأ أبو مسلم الكتاب ، وجّه مرّار بنَ أنس إلى الكوفة لقتل حفص حيث ثَقِفَه [3] . وكتب : إنّه لا يتمُّ إحسان أحد حتّى لا تأخذه في الله لومة لائم . وقد قبلت مِنّةَ أمير المؤمنين وآثرتُ الانتقام له .

فقتل مرّار أبا سلمة غيلة . وقيل : قتلته الخوارج . وأمر أبو العبّاس أخاه يحيى بن محمد بالصلاة عليه .

وقال الهيثم بن عديّ : كان أبو مسلم يكتب إلى أبي سلَمة : « لوزير آل محمد من عبد الرحمان بن مسلم أمين آل محمّد » . فكتب أبو العبّاس إلى أبي مسلم

(1) حفص بن سليمان هو أبو سلمة .

(2) قراءة ظنّيّة .

(3) ثقِف الرجلَ : ظفر به .

يُعلمه الذي كان من تدبيره في صرف الأمر عنه ونكثِهِ بيعةَ الإمام ، فكتب أبو مسلم يشير بقتله ، فكتب إليه : « أنت أولى بالحكم فيه ، فٱبعث من يقتله » . فوجّه مدّار بن أنس الضبّي فلقِيَه ليلا فأنزلَه عن دابّتِه ثمّ ضرب عنُقَه . ثمّ جمع أبو الجهم بن عطيّة – وكان عينا لأبي مسلم يكتب إليه بالأخبار – جميعَ القوّاد فقال : إنّ حفصًا كان غاشًّا / لله ورسوله والأئمّة ، فالعنوه ! _ فلعن . [77ب]

وقال أبو جعفر المنصور : دويَ[1] العبد فأصاب أمير المؤمنين دواءه .

وقال عبد الله بن عليّ حين بلغه قتلُه : كلب أصابه قدَر فطاح .

ولمّا سمع أبو العبّاس الصراخ عليه قال متمثّلا [طويل] :

أفي أن أخشَّ الحربَ فيمَن يخشّها ... ألام ، وفي ألّا أقِرَّ المخازيا ؟
ألم أكُ نارًا يتّقي الناس حرّها ... فترهَبَني إذ لم تكن ليَ راجيا ؟

وكان بقاء أبي سلمة في دولة أبي العبّاس ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر .

وأعطى أبو العبّاس محمّد بنَ خالد بن عبد الله القسريّ ضياعَ أبيه فأعطى محمد ولدَ أخيه يزيد نصفَها ، فقال أبو العبّاس : إنّا إنّمَا سلّمنا هٰذه الضياعَ إليك لِبَلائك ومخاطرتك بنفسك ، ولم نُعطِك إيّاها لتقسِمَها بينك وبين ورثة أبيك .

ويقال إنّه إنّمَا أعطاه نصف ضياع أبيه فقال له داود بن عليّ : ما جزاؤُه مع ما فعل إلّا أن نُعطيَه إيّاها كَمَلاً ، فقد أحسن وأجملَ .

فأعطاه جميعَها .

وقال المدائني : حصر عبد الله بنُ عليّ إسحاق بن مسلم العقيليّ بسمياط أو بسروج أو غيرها أيّام ولايتِهِ لأبي العبّاس فقال : أنّ في عنقي بيعةً وأنا لا أنكثها ولا أزال متمسّكا بها حتّى أعلمَ أنّ صاحبَها قد هلك .

---

(1) في المخطوط : دَوَى بفتحتين واضِحتَين .

فقال له عبد الله بن عليّ : إنّ مروان قد قتل .

فلمّا تيقّن ذلك طلب الصلحَ والأمان . فأمّن وحُمل إلى أبي العبّاس فكانَ أثيرًا عنده وعند أبي جعفر المنصور ، وكانوا ينسبونه إلى الوفاء . وكان فيه جفاء يُدارى له . فلمّا خالف عبدُ الله بن عليّ أبا جعفر المنصور وصار بكّار بن مسلم معه فكان أشدّ الناس على أهل خراسان ، قال أبو جعفر : يا إسحاق ، ألا تكفينا أخاك ؟

قال : أكفِني عمَّك حتّى أكفيَك أخي !

فضحِك لقوله .

وكان أبو نخيلة [1] يوماً عند أبي العبّاس ، وإسحاق بن مسلم حاضر ، وذلك بعد قتل ابن هبيرة وهدم مدينة واسط وبناء أبي العبّاس مدينتَه بالأنبار فأنشدَه [رجز] :

أصبحت الأنبار داراً تُعمَرُ	وخربت من النفاق أدؤرُ
حمص وقنّسرينُها وتدمُر	أين أبو الورد وأين الكوثر ؟
وأين مروان ، وأين الأشقر	وأين أجساد رجال تُبّروا ؟
هيهات لا نصرٌ لِمَن لا ينصر	وواسط لم يبق إلّا القَرْقَرُ /
بها وإلّا الديدبان الأخضر	منازل كانت بهنّ العُهَّرُ [2]

[78 أ]

فغضب إسحاق وقال : والله لقد سمعتُه يقول فيكم مثلَ هٰذا القول .

---

(1) أبو نخيلة الراجز : انظر الأغاني ، 20/ 386 والطبريّ ، 8/ 20 - 23 . وسيأتي في اللوحة 81 أ خبرُ خروج أبي الورد مجزأة بن هذيل بن ذفر الكلابيّ .

(2) الكوثر بن الأسود هو صاحب شرطة مروان الجعديّ (الطبريّ ، 7/ 320) . وأبو الورد يأتي ذكره ص 170 . والأشقر اسم فرس (توضيح في الهامش) . وتبر بوزن فرح تَبرا بالتحريك : هلك . وتَبره بوزن ضرب : أهلكه . والقرقر : الأرض المطمئنّة الليّنة . والديدبان : حمار الوحش .

فقال أبو جعفر المنصور : إنّمَا أنت يا أبا نخيلة مع كلّ ريح .
وأمر أبو العبّاس لأبي نخيلة بخمسين ألفَ درهم [1] .

وجلس أبو العبّاس يوما للنّاس ، فقام رجل فذمّ أهل الشام والجزيرة ، فقال له إسحاق : كذبتَ يا ٱبنَ الزانية !

فقال زياد بن عبد الله : خذ للرجل بحقّه يا أمير المؤمنين .

فقال أبو العبّاس : أترى قيسا ترضى بأن يُضرب شيخُها وسيّدها حدًّا ؟ لو دعوته بالبيّنة لجاء مائة من قيس يشهدون أنّ قوله حقّ .

فترك الرجل مطالبتَه .

أصل بردة الخلفاء العبّاسيّين

وكان رسول الله ﷺ دفع بُردًا له إلى ناس من النصارى من أهل دومة الجندل وأهل مقنا أمانا لهم . فٱشتراه أبو العبّاس من أولادهم بأربعمائة دينار . فهو [البرد الذي] يلبسه الخلفاء . وذكر الواقدي أنّ الذيـ[ـن] دُفِع إليهم البرد أهل تبوك . وقال الهيثم بن عدّي : أهل أيلة .

ويقال : دفن مروان بن محمد البردَ والقعب والمخصب [2] لئلّا تَصير إلى بني العبّاس فدلّهم عليها خصِيّ لمروان .

ومن كلام أبي العبّاس : إذا عظمت القدرة قلّت الشهوة ، وقلّ تبرّعٌ إلّا ومعه حقّ مُضاع .

وقال : إنّ مِن أدنياء الناس ووضعائهم مَن عدَّ البخلَ حَزماً والحِلم ذُلًّا .

وقال : إذا كان الحلمُ مفسدة ، كان العفو معجزة ، والصبر حسَن إلّا على

(1) في الأغاني 20 / 387 : ولم يعط أبا نخيلة شيئًا .
(2) في المروج 4 / 88 : ... والقضيبُ ومخصر ...

من أَوْتَغَ [1] الدِّينَ وأوهنَ السلطان . والأناة محمودة إلّا عند إمكان الفرصة .

ووجد على إبراهيم بن جبَلة بن مخرمة الكندي ، وكان من صحابته وسمّاره فحجبه . فذُكِر عنده وقيل إنّه لحسَن العلم والحديث . فقال عيسى بن عليّ : إنّه لكذلك ، أفلا تَصفحُ عنه يا أميرَ المؤمنين وتعيدُه إلى مجلسك ؟

فقال : [لا] يَمْنعني من ذلك إلّا أنّي لا أحبّ أن يتبيّنَ الناسُ أنّ رضايَ قريبٌ من سخطي ، وسوف أدعو به .

وقالت أمّ سلمة آمرأتُه : ما أحسن الملكَ لو كان يدوم !

فقال : لو كان يدوم دام لمَن قبلَنا فلم يصِل إلينا .

وكان يقول : إن أردنا علمَ الحجاز وتهامة فعند سعيد بن عمرو بن الغسيل الأنصاريّ . وإن أردنا علمَ تميم وعلوم فارس والعجم فعند خالد بن صفوان . وإن أردنا علمَ الدنيا والآخرة ، والجنّ والإنس ، فعند أبي بكر الهذليّ .

[78ب] وكان هؤلاء سمّاره وحدّاثهُ . /

وركب بالأنبار فمرّ بقوم من الفعَلة ، فقال لعيسى بن عليّ : يا أبا العبّاس ، إنّ السعيد لمَن سلم من الدنيا . ولوددتُ أنّي لم أتقلّدْ شيئًا ممّا تقلّدت : أهؤلاء أحسنُ حالاً وأخفّ ظهورًا في معادهم أم أنا ؟

فقال عيسى : يا أمير المؤمنين ، قد أحسن الله إليك ، وإلى الأمّة بك ، وأنقذهم ببركتك من جور بني أميّة وجبروتهم .

ودخل عليه عبد الله بن عيّاش الهمداني بعد مقتل مروان بن محمّد الجعديّ [2] فقال : الحمد الله الذي أبدلَنا بحمار الجزيرة [3] وآبن أمةِ النخع آبنَ عمّ رسول

(1) وَتِغَ يَوْتَغ وَتَغًا (وزن فرح) : هلك .

(2) الجعديّ نسبة إلى الجعد بن درهم القائل برأي القدريّة . وعبدالله بن عيّاش هو المعروف بالمتوف .

(3) الكامل 321 هامش 3 : وكان مروان يُلقّب بالحمار .

الله وابن عبد المطّلب – يريد أنّ أمّ مروان كانت جاريةَ إبراهيمَ بن الأشتر النَخعيّ [1] ، فأخذها أبوه محمّد بن مروان بن الحكم حين حارب إبراهيم أيّام مصعب بن الزبير فولدت مروان بنَ محمد . وكان مروان عاتيا لا يبالي ما صنع ، فكان يقال : مروان أكفرُ من حمار الأزد ، وهو حمار بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان جبّاراً قتّالا لا يبالي ما أقدم عليه فسُمّي حمارَ الجزيرة [2] .

ودخل عليه مشيخة من أهل الشام فقالوا : « والله ما علمنا أن لرسول الله ﷺ قرابة يرثونه إلّا بني أميّة ، حتّى وَليتُم » . فقال إبراهيم بن مهاجر (رمل) :

أيّها الناسُ آسمَعُوا أُخبِرُكُم عجباً زاد على كلّ عجبْ
عجباً من عبد شمسٍ إنّهُم فتَحُوا للناس أبواب الكذبْ
ورثوا أحمد فيمَا زعمُوا دون عبّاس بنِ عبد المطّلبْ
كذبوا والله ما نعلمُه يحرز الميراث إلّا مَن قرُ بْ

وكتب أبو العبّاس إلى زياد بن عبد الله الحارثيّ ، وهو عاملُه على المدينة ، أن يُخرجَ المخنَّثِين عنها ، فأمر بإخراجهم فقال له صاحبُ شرطته : إنّ في دارنا مخنّثا ، فإن رأى الأمير أن يدعَه ؟

فقال : دع في كلّ دار مخنّثًا .

فقال : إذن نحتاجَ إلى أن نجلبَهم من الآفاق !

وكانت أمّ سلمة بنت يعقوب المخزوميّة عند[. . .]مسلمة بن هشام بن عبد الملك فطلّقها فصارت إلى فلسطين فتزوّجها أبو العبّاس قبلَ الخلافة ، وثبت عليها بعدما صارت إليه الخلافةُ فكلّمَته في سليمان بن هِشام بن عبد الملك وقالت إنّه كان مبايناً لمروان بن محمد ، فلم يعرض له . وكان يدخل عليه ، فبينا هو

(1) في المروج (2273) : كانت لمصعب .
(2) أكفرُ من حمار : مجمع الأمثال ، رقم 9203 ، وزهر الأكم لليوسيّ ، 1/ 316 .

ذات يوم عنده إذ دخل عليه سديف بنُ ميمون مولى بني هاشم فأنشد (خفيف) :

[79 أ] أصبح الدينُ ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العبّاس /

يا كريم المطهّرين من الرِّجـ ... ـس ويا رأس كلِّ قَرْمٍ وراس

أنت مهديُّ هاشمٍ ورضاها ... كم أناس رجَوك بعد أُناس

لا تُقيلَنَّ عبدَ شمسٍ عثاراً ... وٱقطعوا كلَّ رَقْلَةٍ وغراس [1]

5 أنزلوها بحيثُ أنزلها اللـ ... ـهُ بدار الهَوَانِ والإتعاسِ

فلقد غاظني وأوجع قلبي ... قربُهُمْ من نمَارقٍ وكرَاسي

أذكرُوا مصرعَ الحسين وزيدٍ ... وقتيلاً بجانب المهراسِ [2]

والإمام الذي بحرّان أضحى ... رهنَ قبر مجاور الأرماسِ

وأنشد [خفيف] :

أَظْمَأَتْنَا بنو أميّةَ حتَى ... ما غبطنا مُسوّغا للحياة

كيف بالعفو عنهمُ ، وقديماً ... قتّلونا وهتّكوا الحرمات [3]

قتلوا سبط أحمدٍ ، لا عفا الرحـ ... ـمان عنهم مكفِّرُ السيّئات

أين زيد ، وأين يحيى بن زيد ... يا لها من مصيبة وتراتِ !

5 والإمام الذي أصيبَ بحرّا ... ن إمام الهدى ورأس الثقاتِ

لا تزال الصدور آلة ما ... لم تَنَلْ من أميّة الثاراتِ

وأنشد [خفيف] :

---

(1) الرقلة : النخلة الباسقة .

(2) المهراس : جبل قرب أُحُد ، به دُفن حمزة بن عبد المطّلب (ياقوت) أ إبراهيم الإمام أخو السفّاح (العقد ، 5 / 90) .

(3) في هامش المخطوط قراءة أخرى للشطر :

. . . قتّلونا بالضرب والمثلات .

وأخبار سديف بن ميمون ومقتله في العِقد ، 5 / 88 .

لا يَغُرَّنْك ما ترى من رجالٍ إنّ تحت الضلوع داءً دويًّا
فضع السيفَ في ذوي الغَدْرِ حتّى لا ترى فوق ظهرها أمويًّا

وأنشد [وافر] :

علامَ وفيمَ نترك عبدَ شمسٍ لها في كلّ ناحيةٍ ثُغَاءُ
فمَا بالرمس من حرّان فيها ولو قتلت بأجمعها وفاءُ

فلمّا أنشد سديف الشعرَ قام سليمان فقال : إن هٰذا يشحذك عليّ ، وقد بلغني أنّك تريد ٱغتيالي .

فقال : يا جاهل ، ومن يَمْنعني منك حتّى أقْتُلَك ٱغتيالا ؟ خذوه ! فأُخِذ فقُتل .

وكان أبو مسلم كتب إلى أبي العبّاس في أمر سليمان : إذا كان عدوُّك ووليُّك عندك سواءً ، فمَتى يرجوك المطيعُ لك المائل إليك ، ومتى يخافُك عدوُّك المتجانفُ عنك ؟

ويقال : لمّا أنشد سديف شعره خرج سليمان فقال له : قتلتَني قتلك الله !

ثمّ دعا أبو العبّاس أبا الجهم بنَ عطيّة فقال له : بلغني عن سليمان بن هشام أمر أكرهُه فٱقتُله !

فأخرجه وقتله وٱبنا له ، وصلبهُما . وحضر غلام له أسود فجعل يبكي عليه ويقول : هكذا الدُّنيا تصبح عليك مقبلةً وتُمسي عنك مُدبِرةً .

وقيل : دُفع سليمان إلى عبد الجبّار صاحب الشرطة . فأمرَ المسيّب بنَ زهير فقتله .

ومدح أبو العطاء السندي بني العبّاس في أوّل خلافة أبي العبّاس فقال / [79ب] [كامل] :

إنّ الخيارَ من البريّة هاشمٌ ... و بنو أميّةَ أرذلُ الأشرار
و بنو أميّة عودُهم من خروع ... ولهاشم في المجد عُود نُضَارِ
أمّا الدعاةُ إلى الجنان فهاشِمٌ ... وبنو أميّةَ من دعاةِ النار

فلم يصله بشيءٍ ، فقال [بسيط] :

يا ليتَ جَور بني مروانَ عاد لنا ... وأنّ عدلَ بني العبّاس في النار !

وقال أيضا [طويل] :

بني هاشمٍ ، عودوا إلى بُخلاتكم ... فقد عاد سعرُ التمر صاعاً بدرهم
فإن قلتم ، رهط النبيّ محمّد ... فإنّ النصارى رهط عيسى بن مريمِ

فطُلب فهرب ولم يظهر حتى مات .

ورفع عبد الله بن عيّاش المنتوف إلى أبي العبّاس حوائج ، وكان فيها أن يجزّ لحية عليّ بن صفوان ليشوّه به ، وكان طويل اللحية . فلمّا دخل أبو العبّاس المقصورة وصعِد المنبر رأى ٱبن عيّاش وابن صفوان قبالته ورأى طول لحية ٱبن صفوان ، فٱستُضحِك فوضع كُمَّه على وجهه . فلمّا ٱنصرف قال لٱبن عيّاش : ويلك ! كدت تفضحُني .

فقال : والله ما أردتُ إلّا أن تذكر حاجتي !

وقال الهيثم بن عدّي عن ٱبن عيّاش : ٱبتدأ أبو العبّاس آل أبي طالب بالبرّ والكرامة ، فكان ذلك لا يزيدهم إلّا ٱلتواءً عليه . وكان عبد الله بن حسن بن حسن أشدّهم له حسداً وأقلّهم له شكراً . فقال أبو العبّاس يوماً : لقد صدق معاوية حين قال : « ما أحدٌ من الناس إلّا وأنا أستطيعُ إرضاءه إلّا حاسدَ نعمة لا يرضيه عنّي إلّا زوالُ نعمتي ، فلا أرضاه الله عنّي أبداً » . وهؤلاء بنو أبي طالب قد وصلتُ أرحامَهم فأحسنت برّهم يأبون بحسدهم وسوء نيّاتهم إلّا القطيعة . وإنّي أتخوّف أن يعودَ حلمي عليهم بمَا يكرهون في عواقب الأمور .

والله المستعان .

ويقال : أقدم أبو العبّاس عبدَ الله بن حسن عليه فبرّه وأكرمَه وأعطاه ألفَ ألف درهم . فلمّا آنصرف إلى المدينة أتاه أهلُها مسلّمين عليه ، وجعلوا يدعون لأبي العبّاس لبرّه وإجزاله صلته فقال عبد الله : يا قومُ ، ما رأيتُ أحمقَ منكم ! تشكرون رجلاً أعطانا بعض حقّنا ، وترك أكثره !

فبلغ ذلك أبا العبّاس فدعا إخوتَه وأهلَ بيتِه ، وجعل يُعَجِّبُهم من قول عبد الله . فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، إنّمَا تتمُّ إحسانَك إليه وإنعامَك عليه بالصفح عنه – إلّا أخوه أبو جعفر فإنّه تكلّم فيه بكلام شديد / وقال : إنّ [80 أ] الحديد بالحديد يُفْلَحُ !

فقال أبو العبّاس : يا أبا جعفر ، من تشدّد آنفرد ، ومن لان تألّف ، والجاهل تكفيكَه مساوئُه .

وقال الهيثم عن آبن عيّاش : كان أبو العبّاس أسخى الناس ، ما وعد عدةً قطّ فأخّرَها عن وقتِها ، أو قام من مجلسِه حتّى يَقضِيَها . ولقد سمعناه يقول : إنّ المقدرة تُصَغِّر الأمنية . ولقد كنّا نستكثِر أمورًا أصبحنا نستقلّها لأخسّ مَن صحِبناه ثمّ نسجد لله شكرا .

وقال المدائنيّ : سمر خالد بن صفوان عند أبي العبّاس ، ففخر قوم من بني الحرث بن كعب ، وخالد ساكت . فقال له أبو العبّاس : تكلّم يا خالد !

فقال : هؤلاء أخوال أمير المؤمنين .

قال : وأنت من أعمامه ، وليس الأعمامُ بدونِ الأخوال .

قال : وما أكلّم من قوم إنّما هم على آفتخارهم بين ناسج بردٍ ، وسائس قِرد ، ودابغ جلد ، دلّ عليهم هُدهُد وفرّقتهم فأرة !

فجعل أبو العبّاس يضحك .

وقال أبو العبّاس لخالد بن صفوان حين أُخِذ سليمان بن حبيب : أشعرتَ أنّ سليمان أُخِذ من بئر ؟

فقال : هٰذا الذي خرج رقَصا[1] ودخل قفَصاً .

ودخل عليه خالد مرّة فقال : لقد وليتَ الخلافة فكنتَ أهلها وموضعَها : رعيتَ الحقّ في مسارحه وأوردتَه مواردَه فأعطيتَ كُلًّا بقسطِه من نظرك وعدلك ورأيك ومجلسك ، حتّى كأنّك من كلّ أحدٍ أو كأنّك لستَ من أحدٍ .

فأعجبه قولُه وأمر له بِمَال .

وقال له أبو العبّاس مرّةً : ما تقول في أخوالي بني الحرث بن كعب ؟

فقال : هنالك هامة الشرَف ، وخرطوم الكرَم ، وعَرش الجود . إنّ فيهم لخصالا ما آجتمعَت في غيرهم من قومهم : إنّهم لأطوَلهم أمما ، وأكرمُهم شيَما ، وأطيبُهم طعَمًا ، وأوفاهم ذِممًا ، وأبعدهم هِما . هم الجَمرة في الحرب ، والرِّفدُ في الجدْبِ ، والرأسُ في كلّ خطب ، وغيرُهم بِمَنزلة العَجْب[2] .

فقال : لقد وصفتَ ، أبا صفوان ، فأحسنت .

وقال البلاذري : حدّثني أبو دُهمان بن أبي الأسوار قال : كان أبو العبّاس يسمع الغناء ، فإذا قال للمغنّي : « أحسنتَ » لم ينصرف من عنده إلّا بجائزة وكُسوة . فقيل له : « إنّ الخلافة جليلة . فلو حجبتَ عنك من يشاهدك على النبيذ ؟ » فآحتجب عنهم ، وكانت صِلاته قائمةً لهم .

ولمّا بلغ أبا جعفر عبد الله بن محمد استئذان أبي مسلم للحجّ ، وهو يومئذ بالجزيرة والِيها هي وأرمينيّة عن أخيه / أبي العبّاس ، كتب إلى أبي العبّاس يسأله [80ب] توليته الموسم . فكتب إليه يأمره بالقُدوم ليقلّده الموسم . ووافى أبو مسلم فدخل

---

(1) رقصا : مشكوله بفتحتين ، ولم نفهمها .

(2) العَجْب : الذنَب .

على أبي العبّاس ، وأبو جعفر عنده ، فسلّم على أبي العبّاس ولم يسلّم على أبي جعفر . فقال له أبو العبّاس : هٰذا أبو جعفر أخي .

فقال : إنّ مجلسَ أمير المؤمنين مجلسٌ لا تُقضى فيه الحقوق .

قتل سليمان بن كثير

وكان سليمان بن كثير من النقباء . فلمّا قدم أبو جعفر أخو أبي العبّاس خراسان على أبي مسلم ، قال له : إنّا كنّا نحبّ تمامَ أمرِكم ، وقد تمّ بحمدِ الله ونعمتِه . فإذا شئتم قلبناها عليه . وكان محمد بن سليمان بن كثير خداشيًّا[1] فكرِه تسليم أبيه الأمرَ إلى أبي مسلم . فلمّا ظهر أبو مسلم وغلب على الأمر ، قتل محمّداً . ثمّ أتى سليمانُ الكَفِيَّةَ ، وهم الذين بايعوا على أن لا يأخذوا مالا ، وأن تؤخذ أموالُهم إن آحتيج إليها ، ويدخلون الجنّة . ويقال إنّهم أعطَوا كفًّا من حنطة فسمُّوا الكَفِيّة . وقال لهم : حفَرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرُنا فأجرى فيه الماء – يعني أبا مسلم . فبلغ قولُه أبا مسلم فآستوحش منه ، وشهد عليه أبو تراب الداعية ، ومحمد بن علوان المروزيّ وغيرُهما في وجهه بأنّه أخذ عنقود عِنب وقال : « اللهمَّ سوِّدْ وجهَ أبي مسلم كمَا سوّدتَ هٰذا العنقود ، وآسقِني دمَه ! » ، وشهدوا أنّ آبنه كان خِدَاشيًّا ، وأنّه بال على كتاب الإمام . فقال أبو مسلم لبعضهم : خذ بيده « فألحقه بخوارزم ! » وكذلك كان يقول لمَن أراد قتلَه . فقُتل سليمان بن كثير . وكتب إلى أبي العَبّاس بِخَبَره وقتلِه إيّاه ، فلم يجبه عن كتابه .

وبلغ أبا مسلم عن زياد بن صالح تنقّص له وذَمّ ، وأنّه يقول : « إنّمَا بايَعْنا على إقامة العدل وإحياء السُّنَن ، وهٰذا ظالم يَسير سيرَ الجبابرة » ، وأنّه مخالفٌ له ، قد أفسدَ عليه قلوبَ أهل خراسان . فدعا به فقتلَه . وكان عيسى

---

(1) خداش الداعي العبّاسي : عمّار بن يزيد ، مرق عنهم إلى الخرّميّة (الطبريّ ، 7/ 109) .

آبن ماهان مولى خزاعة صديقاً لزياد ومطابقاً على بعضِ أمره . فقال للناس : « إنّ أميرَ المؤمنين قد أعظمَ قتلَ زياد ، وذمّ أبا مسلم وأنكر فِعلَه وقال : إنّه قتلَ رجلاً ذا قدَم وبلاءٍ حسن في دولتنا ، وبرئ منه ، وقد بعثَ بعهدي على خراسان » . ودعا قوماً إلى حرب أبي مسلم فأجابه قومٌ منهم سرًّا . وخالفه قوم فقتلهم . وكان يومئذ بإزاء قرية وجّهه أبو مسلم إليها ليحارب أهلها . فقدم أبو [81 أ] حميد رسول أبي العبّاس إلى أبي مسلم / بخلع وبزّ وبكتاب يلعن فيه زيادَ بنَ صالح وأشياعَه ، ويصوّب رأيَ أبي مسلم في قتله . فأمر أبو مسلم أبا داود بقتل عيسى بن ماهان . فكتب إليه : إنّ رسولَ أمير المؤمنين قدِم على الأمير بخِلَع وبزّ له وللأولياء ، وذكرناك له . فصر إلينا لتشركنا في أمرنا فنعرّفَه حالَك . فقدم على أبي داود ، فقال : « خذوا آبنَ الفاعلة ! » وأمر به فأدخل في جوَالِقٍ [1] ، ثمّ ضرب بالخشَب حتّى قُتل .

فكتب أبو العبّاس إلى أبي مسلم يعظّم قتلَ عيسى ويأمره بقتل أبي داود به . فكتب في جواب ذلك يعذر أبا خالد بن إبراهيم ، ويذكر أنّ آبن ماهان لو تُرك لكان منه مثلُ الذي كان من زياد بن صالح من إفساد الناس وحملهم على المعصية والخلاف .

وخرج أبو الورد مجزأة بن الهذيل بن زفر الكلابيّ ودعا الناس فأجابه من قيس وغيرهم زهاء سبعة آلاف . وبلغ أبا محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فطمع وقال : « أنا السفيانيّ الذي يُروَى أنّه يرُدُّ دولة بني أميّة ! » ونزل دَير حنينا فبايعه أبو الورد والناس . فبعث عبد الله بن علي بأخيه عبد الصمد بن عليّ إلى السفيانيّ وأصحابه ، وهم بقنسرين فآقتتلوا فآنهزم أصحاب عبد الصمد . وأقبل إليه عبد الله بن عليّ فآقتتلوا في آخر ذي الحجّة سنة آثنتين وثلاثين ، فآنهزم أصحاب السفيانيّ وتوارى هو .

(1) الجوالق والجولق : الكِيس .

وكان بسّام بن إبراهيم مع نصر بن سيّار . فلمّا ظهر أبو مسلم صار إليه ، وقدم مع قحطبة وتوجّه مع عبد الله بن عليّ لقتال مروان . فلمّا خلع أبو الورد[1] وبايع أبا محمّد السفيانيّ ، ثمّ هرب السفيانيّ وٱختفى ، صار بسّام إلى تدمر وعزمه على الخلاف لأشياء أنكرها من سيرة عبد الله بن عليّ . فمنَعه أهل تدمر من دخولها فقاتلهم وهزمهم وقتل منْهم جماعةً بعث برؤوسهم إلى عبد الله بن عليّ ليوهمه أنّه على طاعته . ثمّ أظهر الخلاف فٱنصرف عنه عامّة جندِه ، فأتى قرقيسيا . فكتب عبد الله بن عليّ بخبَره إلى أمير المؤمنين أبي العبّاس . فسار بسّام إلى المدائن في جمع ، فوجّه إليه أبو العبّاس خازم بنَ خزيمة فقاتله فٱنهزم بسّام وصار إلى السوس ، وقد تفرّق عنه أصحابُه ، ثمّ مضى إلى ماه البصرة[2] وخازم يتبعُه فتوارى وكتب إلى جعفر بن محمد الصادق : « إنْ / جِئْتَني ضرّبتُ بين [81ب] أهل خراسان وبايعتُ لك » . فخاف جعفر أن يكون أبو العبّاس السفّاح دسّ إليه الكتاب ، فأتى أبا العبّاس بكتاب بسّام فقال له : أحسنَ الله جزاءك يا ٱبن عمّ . ٱكتب إليه فواعِدْه مكانا يلقاك فيه .

فواعدَه الحِيرة ، ووجّه بذلك ٱبنَه إسماعيل بنَ جعفر . وأمر أبو العبّاس أبا غسّان مولاه وحاجبَه بتفقُّدِه ومراعاته . فلمّا رآه أبو غسّان مع إسماعيل بن جعفر ، وقد لبس سواداً ، وليس معه سيف ، قال له : مَن أنت ؟

قال : رجلٌ من أهل الحِيرة من العبَّاد .

فرفع أبو غسّان عليه العمود فشتَمَه بسّام وقال : لو كان معي سيفي ما ٱجترأت أن ترفعَ عليّ عمودك .

فأخذه وأتى به أبا العبّاس ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وصلب .

وخرج على أبي مسلم ببُخارى شريك بن شيخ المَهْريّ وقال : « إنّما

(1) خبر انتقاض أبي الورد مجزأة بن كوثر على عبد الله بن عليّ مفصّل عند الطبريّ ، 7/ 443 .

(2) ماه البصرة : قصَبتُها (ياقوت) .

بايعناكم على العدل ولم نبايعْكم على سفك الدماء والعمل بغير الحقّ » . فأتّبعه أكثرُ من ثلاثين ألفاً . فبعث إليه أبو مسلم زناد بن صالح قبل قتلِه بسنة أو نحوها – ويقال : بعث غيرَه – فحاربَه فأوقع بأصحابه وقتله .

وكان سَلم بن قتيبة بن مسلم على البصرة من قِبل يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلمّا حُصر ابن هبيرة وظهر أمرُ المسوّدة ، كتب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة إلى أبي سلمة الخلّال : « إن ولّيتَني البصرة أخذتُها لك » . فكتب إليه بولايَتِها فسوّد ، وجرَت بينه وبينَ سَلم مراسلات آلت إلى أن يُقيمَا على هيئتِهما حتّى ينظرا ما يصنع آبن هبيرة والمسوّدة . فبلغ ذلك أبا سلمة ، فكتب إلى بلج بن المُني بن مُخَرِّبة[1] العبدي : إن قاتل سفيان سلْمًا وإلّا فأنت أمير البصرة !

فأعلم بلج سفيانَ ذلك فقال : لا ، بل أقاتل .

فأمسك بلج عن تولّي البصرة .

فكتب أبو سلمة إلى الصمّة بن دريد بن حبيب بن المهلّب بعهده على البصرة . فحرّك ذلك سفيان بنَ معاوية ، وحارب سلمَ بن قتيبة فأنهزم . وأقام سَلم بالبصرة نحوًا من شهرين ، ثمّ شخص إلى البادية ، وكتب إلى أبي العبّاس ببَيْعَتِه فأمّنه ، وكتب عهد سفيان على البصرة بآستشارة أبي سلمة . فلمّا قُتل أبو سلمة الخلّال أمر أبو العبّاس بعزل سفيان وقال : « هو من عُمّال الناكث أبي سلَمة » . وولّى البصرةَ عمر بن حفص بن هزَارمَرد . ثمّ ولّى سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس .

وآجتمع لأبي العبّاس في سنة ستّ وثلاثين [ومائة] فتحُ السنّد وإفريقيّة ، ومكاتبة صاحب الأندلس . / فقال لبعض عمومته : سمعتَ أنّه إذا جاء فتح [82 أ] السند وإفريقيّة مات القائم من آل محمّد ؟

فقال له : كلّا !

---

١ الشكل في المخطوط .

فمَا برح حتّى دعا بُدواج [1] لقُشعريرة أصابَته ، وهاج به الدمُ . فأشار عليه الأطبّاءُ بالفصد فلم يُقدم عليه فحُمَّ . ثمّ خرج به المومُ [2] فكان يتقلّب فيبقى جلدُه على الفراش . فقال له بعضُ عمومته : كيف أصبح أميرُ المؤمنين ؟

فقال الطبيب : أصبح صالحاً بحمدِ الله !

فسلَت [3] ذراعَه بيدِه فتناثر لحمُه وقال : كيف يكون صالحاً مَن هٰذه حالُه ؟

وفاةُ السفّاح

وتوفّي بالأنبار يومَ الأحد لأثنتَي عشرة ليلةً خلَت من ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين ومائة ، وهو آبن ستٍّ وثلاثين سنة أو نحوها . ومولدُهُ في ربيع الآخر سنة أربع ومائة . فكانت خلافتُه أربع سنين وثمانية أشهر وأيّاماً . وصلّى عليه عيسى آبن عليّ – وقيل : عيسى بن موسى .

وكان آخر ما تكلّم به أن شهّد ثم قال : إليك يا ربّي ، لا إلى النار !

وكان طويلاً أبيض أقنى ذا شعر أسود جعدٍ ، حسنَ اللحية جعدَها ، سريعَ الغضب ، قريب الرضى ، سديد الرأي .

وكان قاضياه [محمد بن عبد الرحمان] آبن أبي ليلى و [عبد الله] [4] بن شُبرمة .

وكان أراد البيعةَ لأبنه محمّد . ثمّ قال : آبني حدَث ، فمَا عذري عند ربّي ؟

---

(1) الدُواج : معطف كبير .

(2) المُوم : الحُمّى .

(3) سَلَت (وزن ضرب ونصر) الشيء : قطعه .

(4) الإكمالُ من المعارف ، 470 و 494 .

فقالت له أمّ سلمة بنت يعقوب ٱمرأتُه ، وهي أمّ محمّد : « ولّ غيرَه وٱجعَلْه ثانياً . وكلّمت أخواله في أن يسألوه ذلك ، فقال : أخاف أن يقصر عمُر مَن أجعلُه قبلَه ، فتدركُه الخلافة وهو صغير ، فيصير الأمر إليه قبلَ أن يستحقّه . ولكنّي أصيّرُه إلى رجلٍ من أهلي أثقُ بفضلهِ وٱحتمالِه .

فأثبت ٱسمَ أخيه أبي جعفر ، وعيسى بن موسى بن محمد مِن بعدِه في كتاب . وخُتم الكتاب وجُعل في منديل وجُمعت أطرافُه وخُتم عليه بخاتم أبي العبّاس ، وأخذه عيسى بن عليّ إليه .

ويقال إنّ عيسى بن عليّ قال له : يا أميرَ المؤمنين ، ٱذكر رجلاً يمُدُّ الناسُ إليه أعناقَهم بعدَك ، فإنّ ذلك لا يقدّم ولا يؤخّر .

فقال : كنت وعدتُ عبد الله بنَ علي إن قام بهٰذا الأمر أن أولّيَه الخلافة بعدي .

فقال له سعيد بن عمرو بن جعدة المخزوميّ : « لا تُخرِجها من ولد محمّد ٱبن عليّ ! » فقبل قولَه .

وكان له من الولد : محمد ، والعبّاس ، وعليّ ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، درجوا ، وريطة ، وأمّهُم أمّ سلمة بنت يعقوب بن سلَمة بن عبد الله بن الوليد ٱبن المغيرة المخزوميّ .

ولم يلِ أحدٌ من أولاده الخلافة ، بل ٱنتقلت الخلافة بعدَه إلى أخيه أبي جعفر فٱستمرّت في عقبه / . [82ب]

ويقال إنّ أبا سلَمة الخلّال وسليمان بن كثير كانا يفِدان في كلّ عام على إبراهيم الإمام فيأتيانه بهدايا أهل الدعوة وبكتُبهم ويستأمرانه . ولم يكن أحدٌ من أهل بيتِه يعرفُهُا ولا يعرفُ الأمرَ الذي يأتيان فيه . فقدِما سنةً من السنين فرأيا أبا العبّاس وأبا جعفر أخوَي إبراهيم الإمام ، وهما إذ ذاك غلامان فأعجباهما ، فقال سليمان بن كثير لأبي سلمة : إنّي مسرٌّ إليك أمرًا مُهمًّا من أمور الدّين ، فٱحلف

لي على كتمانه !

فحلف له أبو سلَمة بأيمَانٍ رضيَها . فقال له سليمان بن كثير : إنّي أرى عند هٰذين الصبيَّيْنِ من أمارات الاستقلال ما لا كفاءَ له .

فقال له أبو سلمة : هما والله أولى بالأمر من صاحبِنا إبراهيم الإمام .

فقال له سليمان : ما منعني من ذكر ذلك لك إلّا التقيّة والتستّر .

وبينما هما يتفاوضان في هٰذا إذ مرّ أبو العبّاس وأبو جعفر وهما يضرُبان كرة ، فدعاهُما أبو سلَمة فأتياه ، فقال لهما : إنّي أنشدتُ صاحبي شعرًا أنا به معجب فلم يرضَه ، وقد رضينا بحكمِكُما فيه .

فقالا : أنشِده !

فأنشدهُما (طويل) :

أمسلِم فاْسمع [1] يا آبنَ كلّ خليفةٍ	و يا فارس الهيجا و يا جبل الأرض
شكرتُك إنّ الشكرَ حبْلٌ من التقَى	وما كلُّ مَن أوليتَه نِعمةً يقضي
ونوّهتَ من ذكري ، وماكان خاملا	ولكنّ بعضَ الذكر أنبهُ من بعضِ

فقال له أبو جعفر : مَن يقول هٰذا ؟

قال : يقوله أبو نخيلة .

فعضَّ أبو جعفر على أصبعه وقال : أآمنَ هٰذا العبدُ أن تدولَ لبني هاشم دولة فيُولِغُوا الكِلاب دمَه ؟

فقال له أبو العبّاس : مَهْ يا أخي ! فإنّه كان يقال : مَن أظْهَرَ غضبَه ضعُف كيدُه .

ثمّ أقبل أبو العبّاس على أبي سلمة فقال له : هٰذا شعر أحمق في أحمق !

---

(1) في المروج ، 4/ 108 : أمسلم إنّي . . .

كيف يقول لرجل هو في سلطان غيره وتابعٌ له : يا جبل الأرض ؟ وجبل الأرض مُرسيها وممسكُها ، فلا يصحّ أن يُقال هٰذا لمَن هو في سلطان غيره وتابع له . وأين يقع تعظيمه وتفخيمه مِن نقصِ ٱسمه ؟

وٱنطلق ، فقال له أبو جعفر : هلمّ يا أخي نلعب !

فقال أبو العبّاس : هل أولغتَ الكلابَ دم أبي نخيلة ؟

قال : لا ، ولكنّك أدّبتَني فتأدّبتُ .

وذهبا . فقال أبو سلمة لسليمان : بمِثل هٰذين يُطلب الملك ويدرك الثأر !

وما زالا بإبراهيم الإمام حتّى عهِد إلى أبي العبّاس .

ويقال إنّه وعدهُما أن يعهَد إليهِ ، ولم يفعلْ حتّى قبض عليه مروان ، فأمضى العهد لأبي العبّاس .

ثمّ إنّ أبا نخيلة وفد على أبي العبّاس عندما أفضت إليه الخلافة . فلمّا مثل بين يديه ٱستأذنَه في / الإنشاد . فقال له : مَن أنت ؟ [83أ]

فقال : عبدُك وشاعرُك أبو نخيلة .

فقال أبو العبّاس : لا قرّب الله للأبعد نوًى ولعنَه ! ألستَ القائل : أمَسلمَ فاسمَعْ .... الأبيات ؟

فقال أبو نخيلة : نعم يا أميرَ المؤمنين ، وأنا الذي أقول [رجز] :

كنّا أناسا نرهب الأملاكا ونركب الأعجاز والأوراكا
من كلّ شيءٍ ، ما خلا الإشراكا وكلّ ما قد قلتُ في سواك
زُورٌ ، فقد كفّر هٰذا ذاكا إنّا انتظرنا زَمنًا أباك
ثمّ ٱنتظرنا بعده أخاكا ثمّ ٱنتظرناكَ لها إيّاكَ
فكنت انت للرّجاءِ ذاكا [1]

(1) الأبيات في المروج ، 4/ 108 .

فوصلَه وعفا عنه .

ودخل عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ إلى السفّاح ، ومجلسُه أحفلُ ما يكون بوجوه قريش وبني هاشم والشيعة وأعيان الناس ، ومعه مصحف ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أعطِنا حقّنا الذي جعله الله لنا في هٰذا المصحف !

فأشفق الناس من أن يعجّل السفّاح بشيءٍ إليه ، أو يعيى بجوابه فيكون نقصا له وعارًا عليه . فأقبل السفّاح عليه غيرَ مغضبٍ ولا مزعج وقال له : إنّ جدّك عليًّا ، وكان خيرًا منّي وأعدل ، وليَ هٰذا الأمر فأعطى جدَّيك الحسن والحسين ، وكانا خيرًا منكم ، شيئًا ، وكان الواجبُ أَنْ أُعطيَك مثله . فإن كنت فعلتُ فقد أنصفتُك ، وإن كنتُ زدتُك ، فمَا هٰذا جزاءٌ لي منك .

فمَا ردّ عبد الله جواباً وٱنصرف ، والناس يعجبون من حسن جوابِه له .

وكان يقول : ما أبالي بالموت متى طرَقَني ، وقد نلتُ أمَلي في بني أميّة : أحرقتُ هشاما بٱبن عمّي زيد بن عليّ ، وقتلتُ مروان بأخي الإمام إبراهيم ، ثمّ ينشد [بسيط] :

/ لو يشربون دمي لم يرو شاربَهُم وما دماؤهُم للغيظ تُرويني [83ب]

ثمّ كان إذا ذكر بني أميّة أنشد قول جدّه العبّاس بن عبد المطّلب [طويل] :

أبى قومُنا أن يُنصفونا و بينَنا قواطعُ في أيماننا تقطر الدما
إذا خالطت هامَ الرجال تركتُها كبَيض نعامٍ في الوغى قد تحطّما

ولمّا ٱشتدّ أبو العبّاس على بني أميّة وأرهف حَدّهُ فيهم ، عمِل شاعرٌ منهم هٰذه الأبيات وتلطّف في إيصالها إليه ، وهي [رمل] :

ولقد أبصرتُ لو تَنفعُني عِبرًا والدهرُ يأتي بالعجب
أين زرقا عبدالشمس ، أين هم أين أهل الباع منهم والحسبْ ؟

كلّ سار الجدّ محمود الجدى واضح الغرّة بدر منتخب
لم تكن أيديهمُ عندكُم ما فعلتم يالَ عبد المطّلب
5 إن تجذّوا الأصل منهم سفها يا لقومي للزمان المنقلب !
إنّ هٰذا الدهرَ لا بدّ له بخيار الناس يوماً ينقلب

فألان جانبَه وفلّ غَرب سطوته .

ولمّا دخل عليه الطبيبُ في مرض موته ، أنشأ السفّاح يقول [كامل] :

أنظر إلى ضعف [...] [...] بيد السكون[1]
ينبيك قول بنانه هٰذا مقدّمة المنون

فلمّا جسّ نبضه قال له : « أنت صالح » . فقال [وافر] :

يبشّرني بأنّي ذو صلاح يبين لي ، و بي داءٌ دفين
لقد أيقنتُ أنّي غيرُ باقٍ ولا شكٌّ ، إذا وضُح اليقينُ

1478 – أبو جعفر المنصور [– 158] [2]

[84 أ] / عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، الخليفة أمير المؤمنين ، أبو جعفر المنصور ، ٱبن الإمام أبي عبد الله ذي الثفنات ، ابن الإمام أبي محمّد السجّاد ، ابن حَبر الأمّة ترجمان القرآن أبي العبّاس ،ٱبن عمّ رسول الله ﷺ أبي الفضل ، القرشيّ ، الهاشميّ ، العبّاسيّ ، ثاني خلائف بني العبّاس . ويقال له «الدوانيقي» لقبًا يُنبز به لبُخلِه .

---

(1) بياض في الشطرين .

(2) ترجمة أبي جعفر المنصور صدّرت بعنوان أحمر مثل سابقتها . وكذلك الأمر بخصوص العناوين الفرعيّة . وما جاء منها بين مربّعين فهو من وضعنا .

أمّه أمّ ولد تدعى سلامة [1] ، نفزيه ، وهي صَنهاجيّة بربريّة .

ولد في ذي الحجّة سنة [خمس وتسعين] .

ووجّهَه أبوه إلى البصرة ليزور مَن بها ويدعوَهم إلى الرضى من آل محمّد ، فكان يأتي عمرو بنَ عبيد . فلمّا صار إلى الشام سمعه أبوه يتكلّم بشيءٍ يُقايِس فيه فأنكرَه عليه وقال : هٰذا كلام مولى بني تميم – يعني عمرو بنَ عبيد .

ضرب أبي جعفر قبل الخلافة

ولمّا خرج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن عليّ على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، سار إليه أبو جعفر فيمَن أتاه من بني هاشم فولاه إيذَج من الأهواز فأخذه سليمان بن حبيب بن المهلّب بن أبي صفرة عامل عبد الله بن عمر على الأهواز فحبَسه وشتَمَه ومَن هُو منه وضربه وأراد قتلَه ، فقال له سفيان بن معاوية [2] ويزيد بن حاتم : « إنّمَا أفلتنا من بني أميّة بالأمس . أفتُريد أن يكونَ لبني هاشم عندنا دم « ؟ » فخلّى سبيلَه . فصار إلى عمرو بن عبيد وأقام عنده . ثمّ سار مستترًا إلى الحميمة . ويقال إنّه مرّ بالزوابي فسأل نوبخت المنجّم عمّا تؤول إليه حاله في وجهْه وفيمَا بعد ذلك ، فقال نوبخت : سيصير إليك ملك العَرَب . وأمّا وجهُك فسيَنالُكَ مكروه » . وكان من أمره مع سليمان ما كان من ضربه أسواطا يقال إنّها قدر ستّين سوطاً .

وقدم مصر هو وأخوه أبو العبّاس عبد الله بن محمّد السفّاح ، وعمُّهما عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس قبل استخلافه .

وسار مع أخيه من الحُميمة إلى الكوفة فٱختفيَا بها في بني أود ، ومعهُما طائفة من أهل بيتهِما ، حتى كان من ظهور أخيه أبي العبّاس السفّاح ومبايعته

---

(1) سلامة بنت بشير في العيون والحدائق ، 315 .

(2) سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب .

بالخلافة ما كان ، على ما ذُكر في ترجمته من هٰذا الكتاب . [فـ]ـرأى أبو العبّاس توجيهه إلى واسط لمُحاربة يزيد بن عمر بن هبيرة ، وقد بعث إلى قتاله أبو سلمة حفص بن سلمة الخلّال وزير آل البيت ، بالحسن ٱبن قحطبة قبل ظهور أبي العبّاس . فكان في نفوس قوم من أهل خراسان على الحسن أشياء فكرهوه ، وسألوا أبا العبّاس أن يوجّه رجلاً من أهل بيته ليسكنوا إليه ويقاتلوا معه .

فلمّا قدم أبو جعفر واسط تحرّك له الحسن بن قحطبة عن مضربه فقاتل أهلَ الشام أصحابَ ابن هبيرة فهزمهم . وثبت معن بن زائدة الشيبانيّ وقاتل ، وترجّل أبو نصر مالك بن الهيثم ، ثمّ ٱفترقوا . ومكثوا أيّاماً . فخرج معن بن زائدة ومحمّد بن نباتة بن حنظلة فقاتلا بِمَن معَهُما أهلَ خراسان فهزمهم إلى دجلة . فقال لهم أبو نصر : « يا أهل خراسان ، ويلَكم ! إلى أين تفرّون ؟ [84ب] إنّ / الموتَ بالسيف خيرٌ منه غرقاً ! » فثابوا وحملوا فهزمُوا أهل الشام ، فكانوا على ذلك أحدَ عشرَ شهرًا .

فلمّا طال عليهم الحصار وجاءهم قتلُ مروان ببوصير من أرض مصر ، أتاهم إسماعيل بن عبد الله القسريّ فقال : « علام تقتلون أنفسكُم ؟ قد قُتل مروان » . فطلب معن بن زائدة الأمان فأمّنه أبو جعفر .

[قتل ابن هبيرة]

ثمّ طلب ٱبن هبيرة [1] الأمان فأمّنه أيضاً . وكتب كتابا وشرط عليه أنّه إن نكث أو غدر فلا أمانَ له . وكان مقيما بواسط يغدو ويروح إلى أبي جعفر في جماعة كبيرة ة يتغدّى عنده ويتَعَشّى إذا حضر في وقتِ غَدائه وعَشَائه ، وهو في

(1) ابن هبيرة : وفيات 6 / 313 – الطبري 2 / 1941 – العيون والحدائق 208 . المعارف 571 – الكامل 4 / 336.

ذلك يدسّ إلى محمّد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ، ويهمّ بالدعاء له وخلع أبي العبّاس . فكتب أبو العبّاس إلى أبي جعفر يأمره بقتله فأبى وكره ذلك لمَا أعطاه من الأمان . فكتب إليه ثانيا يأمُره بقتله وأن لا يراجعه في أمره . فأمر أبو جعفر الحسنَ بنَ قحطبة بقتله فأبى . فقال خازم بن خزيمة : « أنا أقتله ! » وساعدَه جماعة ، فداروا في القصر ثمّ دخلوا على ٱبن هبيرة ، وعليه قميص مصريّ وملاءة مورّدة أو صفراء ، ومعه ٱبنُه داود وكاتبُه عمر بن أيّوب [1] وعِدّة من مواليه ، وقد دعا بِحَجّام ليحتجم . فلمّا رآهم مُقبلينَ نحوَه سجَد . فضُرب بالسيوف حتّى مات وقتل ٱبنه ومَن كان معه . ويقال : بل جرّوه برجله حتّى أنزلوه عن فراشه ثمّ قتلوه . وجاؤوا برأسه ورؤوس من كان معه إلى أبي جعفر . وأخذ عثمان بن نهيك سيف حوثرة بن سهيل فضرب به عنقه . وفعل بِمُحمّد بن نباتة وبيَحْيى بن حضين بن المنذر مثل ذلك .

وكان معن بن زائدة وفد إلى أبي العبّاس ببيعة ٱبن هبيرة وأقام بالكوفة فسلِم .

وكان ابن هبيرة إذا رأى وهنًا وضُعفًا في أمره أنشد (سريع) :

والثوب إن أسرع فيه البلى ... أعيى على ذي الحيلة الصانعِ
كنّا نداريها فقد مزّقت ... وٱتّسع الخَرقُ على الراقعِ

وقال الهيثم بن عديّ : كان زياد بن صالح الحارثيّ مع ٱبن هبيرة فكتب إليه أبو العبّاس : إنّ لك قرابةً وحقًّا – وأرغبه ، فخرج إليه فٱنكسر ٱبن هبيرة وطلب الأمان . (قال) ولمّا أمِن تُرِك بواسط . فكتب أبو مسلم إلى أبي / [185 أ] العبّاس : « إنّه قلّ طريق سهل فيه حجارة إلّا أضرّت بأهله ، ولا يصلح والله لكم أمرٌ دونَه ٱبن هبيرة ، فٱقتلوه عاجلاً ! فلست آمن أن يكيدَكم » . فوجّه أبو العبّاس رسولا إلى أبي جعفر بكتاب معه يعزم عليه فيه ليقتله . فوجّه أبو جعفر أبا

(1) في الوفيات 6 / 317 : عمرو بن أيّوب .

خزيمة ومعه الهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم وسلّام [1] الحاجب في جماعة ، فدخلوا رحبةِ القصر وأرسلوا إلى ابن هبيرة : إنّا نريد حملَ ما في الخزائن .

فقال : افعلوا .

فدخلوا الخزائن ، فوكّلوا بكلّ خزانة جماعة ، ثمّ دخلوا عليه فقتلوه ، ونادى منادي المنصور : « أمّن خلق الله إلّا عمرَ بنَ ذرّ ، والحكم بن عبد الملك ابن بشر ، وخالد بنَ سلمة المخزوميّ ! » وقتل من وجوه أصحاب ابن هبيرة خمسون . ونودي : « يا أهل الشام ، الحقوا بستانكم فاشهدوا أسماءكم هناك » . ووجّه إلى المثنّى بن يزيد بن عمر فقتله . واستخلف بواسط الهيثم بن زياد الخزاعيّ .

وقال أبو الحسن المدائني عن مسلم بن المغيرة قال : كنتُ مع أبي أيّوب الخوزي في عسكر أبي جعفر ، وكان لأبي جعفر بيت قد بني له ومضربه محيط به . وكان في ستارة المضرب خلل ، فكنت أنظر منه . فرأيت الحسن بن قحطبة إلى جانب أبي جعفر يحدّثه . ثمّ دُعي بحوثرة بن سهيل فجاء عثمان بن نهيك فأخذ سيفَه . فأراد أن يتكلّم ثمّ سكت . فأدخل البيت وأغلق عليه . ثمّ خرج سلّام حاجب أبي جعفر فدعا بِمُحمّد بن نباتة فصنع به مثل ذلك . ثمّ خرج فقال : « أين يحيى بن الحضين ؟ » ثمّ دعا ببسر بن عبد الملك بن بشر – أو قال : بالحكم بن عبد الملك – فقام ومعه أخوه أبان ، فقال : « ما فرّق بيني وبينه شيء قطّ » . ثمّ دعا بخالد بن سنان المرّي ، وكان على شرطة ابن هبيرة . ثمّ قتل خالد بن سلمة المخزوميّ وابنه . ثمّ قتل حرب بن قطن الهلالي . ثمّ خرج سلّام فقال للناس : « انصرفوا ! » (فقال مسلم بن المغيرة) فسألت عثمان بن نهيك عن السبعة النفر فقال : « أمّا حوثرة فإنّي أدخلتُ السيف بين ضلعين من أضلاعه وقلت : يا عدوّ الله ، أنت الكاتب إلى مروان : « إنّ الله مُخْزيهم » ،

---

(1) في الكامل 4 / 338 : الهيثم بن شعبة بن ظهير وسلام بن سليم .

ثمّ لم يرضك إلّا شتمُنا ؟ » ولم يكن في القوم أجزع من محمد بن نباتة : كان يصيح كمَا يصيح الصبيان ، على شجاعته وبأسه . وأمّا خالد بن سنان فقال : يا مجوس ، قتلتمونا غَدرًا / ! والله لقد قتلْنا سيّدَكم قحطبة ! » . وقتل مع آبن [85ب] هبيرة رياح بن عمارة مولى هشام ، آشتراه بعشرة آلاف درهم فأعتقه . فلمّا جرى الصلح بين ابن هبيرة و (بين) أبي جعفر ، قال له أبو جعفر : أعربيّ أم مولى ؟

فقال : إن كانت العربيّة لسانا فقد نطقنا بها . وإنّ كانت دينًا فقد دخلنا فيه .

فآستبرعَه . فسأل عنه فقيل : قتل .

ويقال إنّه أمر بأن يستبقى فعجِّل عليه .

وهرب أبو عُلاثَة وهشام بن هشيم بن صفوان الفزاريّان ، فلُحقا فقُتلا على الفرات . وقتل أبو عثمان حاجب ابن هبيرة ، وهو يتغدّى لحم بقر . وقتل الحكم آبن عبد الملك ، أخو بشر بن عبد الملك وآبنان له – وقيل إنّه هرب وأبو عُلاثة الفزاريّ ، وكان على حلوان ، ويوسف بن محمّد بن القاسم الثقفيّ .

ودعي بحرب بن قطن فطلب فيه الحسن بن قحطبَة وقال : خالكم !

فقال له أبو جعفر : إنّ أميرَ المؤمنين كتب يؤمّنك لرحمك ، وحقَن دمك .

ويقال : إنّهم لمّا دخلوا على آبن هبيرة قام سعد الموصلّي خليفة أبي عثمان الحاجب دون آبن هبيرة وقال : « وراءكم ! » فضربَه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه . وقام داود دون أبيه فقُتل .

وكان عمر بن ذرّ يقول : « ضاقت عليّ الأرض ، فخرجت على دابّتي أقرأ آية الكرسيّ فمَا عرض لي أحد ، فآستأمن لي زياد بن عبد الله الحارثي فأمّنني أبو العبّاس » . وكان عمر بن ذرّ يحرّض على المسوّدة .

وكان أبو جعفر قد أمّن خالد بنَ سلمة ، فقال أبو العبّاس « : لو كانت له

ألف نفس لأتيت عليه ! » فقتَله .

وكان خازم بن خزيمة يقول : والله ما بدرتُ إلى قتل ابن هبيرة إلّا مخافةَ أن يُدفع إلى رجلٍ من اليمانيّة فيفخر علينا بقتله .

وطلب سليمان بن عليّ الأمان لعقال بن شبّة بن عقال المجاشعيّ فأمّنوه ، فذكر بني العبّاس ففضّلهم وذمّ بني أميّة وتنقّصهم .

وذكر الهيثم بن عديّ قال : أرسل يزيد بن عمر بن هبيرة ، وهو محصور بواسط ، إلى أبي جعفر ، وهو بإزائه : إنّي خارجٌ إليك يومَ كذا وداعيك للمُبارزة . فقد بلغني تجبينك إيّايَ .

فكتب إليه أبو جعفر : يا ٱبن هبيرة ، إنّك ٱمرؤ متعدٍّ طورَك جارٍ في عنانِ غيّك ، يعدُك الشيطان ما الله مُكذِبُه ، ويقرّب لك ما الله مباعِدُه . فصخْ رويداً تتمّ الكلمة ويبلغ الكتاب أجلَه ! وقد ضربت لك مثلي ومثلك : بلغني أنّ أسدًا لقي خنزيرًا فقال له الخنزير : قاتلني !

[86 أ] فقال الأسد : إنّمَا أنت خنزيرٌ ، ولستَ لي / بكفُؤ ولا نظير . ومتى فعلتُ الذي دعَوتَني إليه فقتلتُك قيل : قتل خنزيرًا ، فلم أعتقد بذلك فخرًا ولا ذكرًا . وإن نالني منك شيء كان سُبّةً عليّ ، وإن قلّ .

فقال : إن أنت لم تفعل رجعتُ فأعلمتُ السباع أنك نكلت عنّي وجبُنتَ عن قتالي .

فقال الأسد : ٱحتمالُ عار كذِبك أيسرُ عليّ من لطخ شاربي بدمك .

ولم يمكث ابن هبيرة بعد ذلك إلّا أيّاماً حتّى طلب الأمان وضرع إليه .

وقال المدائنيّ : قال بعض الخراسانيّين لبعض الفزاريّين : ما كان أعظم رأسَ صاحبكم !

فقال : أمانُكم له كان أعظم !

قال المدائنيّ : حصره أبو جعفر تسعة أشهر . ولما قتل أُخرج إلى باب المضمار بواسط فصبّ النفط على جثّته وأحرق . وأمر أبو جعفر بهدم مدينة واسط .

وكان يقول حين حصر : والله لو كان أبو جعفر أعزّ من كليب وائل ما قدر عليّ ! ولو كان أشجع من شبيب [1] ما هبتُه !

وقال أبو جعفر لإسحاق بن مسلم العقيليّ : كيف رأيت صنيعي بآبن هبيرة ؟

فقال : تعزيرا ، وقد سلّم الله . كنت في خرق ، وحولك من يطيعه ويموت دونه ويتعصّب له من قيس وغيرها . فلو ثاروا لذهب الناس . ولكنّ أمركم جديد ، والناس بين راجٍ وهائب .

وقال هشام الكلبيّ : خرج ابن هبيرة حين خرج إلى أبي جعفر في جماعة ، منهم جعفر بن حنظلة البهرانيّ ، فألقى له الحاجب وسادةً وقال : آجلس راشدًا أبا خالد ! وقد أطاف بالحجرة عشرة آلاف من أهل خراسان . ثمّ أذن له فدخل على أبي جعفر فألقيت له وسادة . فحدّث أبا جعفر ساعةً . وكان يركب في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل . فقال يزيد بن حاتم : ما ذهب سلطان ابن هبيرة بعدُ ! إنّه ليأتينا فيتضعْضَع له العكسر ، فليت شعري ما يقول في هٰذا عبد الجبّار وجهور بن مروان وأشباهُهم ؟

فقال سلّام لأبن هبيرة : يقول لك الأمير : لا تسِر في هٰذه الجماعة !

فركب [2] في ثلاثين فقال له سلّام : كأنّك تريد المباهاة ؟

فقال : إن أحببتُم نَمشي إليكم فعَلْنا .

فقال : ما هٰذا بآستخفاف ، ولكنّ أهلَ العسكر كرهوا هٰذا الجمع ، فأمر

(1) شبيب الخارجي : وفيات 2 / 454 (288) .

(2) في المخطوط : فلمّا ركب .

الأمير بهٰذا نظرا لك .

فكان يركب في رجلَين وغلامه .

وختمت خزائنه وبيت ماله ودار الرزق ، وفيها طعام كبير .

وعزم أبو العبّاس على قتله . ووجد له كتابا إلى عبد الله بن حسن بن حسن . فأمر أبو جعفر عثمان بنَ نهيك بقتله / فقال : ليقتلْه رجل من العرب ! [85ب]

فندب له خازماً والأغلب والهيثم بنَ شعبة .

وسأل أبو جعفر ابنَ هبيرة عن أَدَمٍ كان قسمَه فقال : أيّها الرجل توسّعْ توسُّعًا قرشيًّا ولا تَضِقْ ضيقاً حجازيًّا ! فمَا مِثْلي يُسألُ عن أَدمٍ ولا يعاتب عليه . وهٰذا ضرب أخماس لأسداس .

وقال له أبو جعفر يوماً : يا أبا خالد حدّثْنَا !

فقال : والله لأمحضنّك النصيحةَ إمحاضًا ولأخلصنّها لك إخلاصا : إنّ عهد الله لا يُنكثُ وعقدَه لا يحلّ . وإنّ إمارتَكم حديثة وخلافتَكم بكر ، فأذيقوا الناسَ حلاوتَها وجنّبوهم مرارتها .

ثمّ نهض ، ونهض معه سبعمائة من القيسيّة . فقال أبو جعفر : لا يعزّ ملكٌ هٰذا فيه .

ودخل ٱبن هبيرة يوماً على أبي جعفر فجعل يحدّثه ، وأبو جعفر مزورٌّ عنه . فجعل ٱبن هبيرة يقول : عليّ فأقبل أيّها الرجل !

فلمّا خرج قال أبو جعفر : ألا تعجبون من ٱبن اللخناء وقوله لي ؟

وقال أبو جعفر لمسلم بن قتيبة : ما كلّمتُ عربيًّا قطّ أعظم نخوة من ٱبن هبيرة ولا أحسن عقلاً . قال لي يوماً وهو يكلّمني : « ٱسمع ، لله أبوك ! » ثمّ تدارك فقال : « إنّ عهدَنا بالإمرة والولاية قريب ، فلا تلُمني . إنّها خرجَت منّي على غير تقدير . فٱغفرها » . فقلت : قد غفرتُها .

ولاية أبي جعفر الجزيرة

ولمّا ٱنقضى أمر ٱبن هبيرة ٱنصرف أبو جعفر والحسن بن قحطبة ومَن معهُما إلى أبي العبّاس ، فٱستعمل أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان في ذي القعدة سنة ٱثنتين وثلاثين . فقدم قرقيسيا وعليها المنذر بن الزبير بن عبد الرحمان ٱبن هبّار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ، فدعاه إلى الطاعة فأبى . فخلف عليها مالك بن الهيثم فقتل المنذر وصلبه .

ومضى أبو جعفر إلى الرقّة فدعا أهلَها فلم يجيبوه فخلّف عليهم موسى بن كعب ففتَحها وغلب عليها .

وسار أبو جعفر في مدن الجزيرة يصالح من دخل في طاعته ويخلّف على من ٱلْتوى عليه حتّى فتَحها . فكان ممّن صالح أهل الرها وأهل نصيبين وأهل دارا .

وخرج في ولايته بُريكة بن حميد الشيبانيّ في قوم من الخوارج ، فوجّه إليهم مقاتل بن حكيم العكّيّ وٱتبعه من كفر توثا [1] إلى بعض قرى دارا فالتقَوا فقتل محمد بن سعيد خدينة بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العاصي ، وكان مع الخوارج ، وٱعتصم بريكة بجبل دارا ، فتوجّه إليه العكّيّ فقتلَه . وأمر أبو جعفر بهدم مدائن الجزيرة فهدمت إلّا حرّان / . واستعمل على [87 أ] أرمينيّة يزيد بن أسيد بن ذافر السلميّ . ثمّ شخص في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين إلى أرمينيّة فدوّخها . فٱستأمن إليه جماعة كانوا في قلعة الكلاب [2] . وقفل منها سنة ستّ وثلاثين [ومائة] . وعزل يزيد بن أسيد وولّى أرمينيّة الحسن ٱبن قحطبة .

---

(1) كفرتوثا : على خمسة أميال من دارا بينها وبين رأس عين (ياقوت) .
(2) درب الكلاب عند ياقوت ، في ديار بكر .

حجّ أبي جعفر وما كان من أبي مسلم

إليه حتى كان سببا لقتله

وكان أبو مسلم قد كتب إلى السفّاح يستأذنه في الحجّ . فكتب إليه : إنّ الجهاد أفضل من الحجّ .

فكتب : إنّه لا بدّ لي من الحجّ ، فإنّي حججتُ وأنا تابع بغير مالي ، وعلى غير ظهري ، وفي نفسي من ذلك شيءٌ .

فكتب إليه يأمره بالقدوم في ألف ويقول : إنّمَا تسير في سلطان أهلكَ ، وطريق مكّة لا تحمل العساكر ، فأمّا المال فلا تستكثرْ منه وعوّل علينا فيه .

فأقبل في الرجال ومعه الأموال حتّى نزل الريّ ، وخلّف بها ثمانية آلاف فارس ، وخلّف الأموال . وأتى الأنبار في ألف ، وقال : إنّي لأرجو أن يموتَ أبو العبّاس فَأكون أقوى مع من [1] يأتي بعده ، ثمّ أغلب على الأمور ، ويكون لي شأن من الشأن فلا يبقى بلد إلا وطئته برجليَّ هاتين .

فلمّا دخل على أبي العبّاس السفّاح أظهر أبو العبّاس له جفوةً لمَا بلغه عنه ، ثمّ أظهر له مبرّة ، وقال له : لولا أنّ أخي على الحجّ في عامِهِ لولّيتُك الموسم ، فإنّك رجل من أهل البيت .

وكان أبو جعفر لمّا بلغه أنّ أبا مسلم على الحجّ كتب إلى أخيه أبي العبّاس من الجزيرة يسأله أن يولّيَه الموسم . ويقال : بل كره أبو العبّاس أن يسأله أبو مسلم ولاية الموسم فلا يجد بُدًّا من توليتِه إيّاه فكتب إلى أبي جعفر بالقدوم ليقلّده الموسم . ووافى أبو مسلم فدخل على أبي العبّاس وأبو جعفر عنده ، فسلّم على أبي

---

(1) في المخطوط : مع أقوى مَن . . .

العبّاس ولم يسلّم على أبي جعفر . فقال له أبو العبّاس : هٰذا جعفر أخي .

فقال : إنّ مجلس أمير المؤمنين مجلسٌ لا تُقضى فيه الحقوق .

فأسرّها أبو جعفر وأضافها إلى ما حقده على أبي مسلم من قبل : وهو أنّ أبا العبّاس وجّهه حين ٱستخلف في ثلاثين من بني هاشم ومن الفقهاء ، فيهم الحجّاج ٱبن أرطاة [1] إلى أبي مسلم ليهنّئوه بظهور الإمام وما فتح الله على يده ، ويعلموه موقع ما كان له من الأمر الجميل عند أمير المؤمنين ، والذي هو عليه من شكره . فلمّا قدم عليه أبو جعفر وقف على بابه محجوباً ساعاتٍ ، ثمّ أذن له فلم يُظهر له من التبجيل ما كان يستحقّه / ولم يؤمّره ، فحقد ذلك عليه . فلمّا قدم على أبي [87ب] العبّاس قال : إنّه لا ملكَ لك ولا سلطةَ أو تقتُلَ أبا مسلم ، فقد أفرط في الدالّة وعدّى طورَه !

فأشار إليه أن ٱسكت !

ثمّ لمّا بعث أبو العبّاس أبا جعفر إلى أبي مسلم في أمر أبي سلَمة الخلّال . كان يأتي دهليزه فيجلس فيه ويستأذن له الحاجب . ثمّ أمر بعد ذلك أن ترفع له الستور إذا جاء وتفتح الأبواب .

وكان يحقد عليه أيضاً قتلَه سليمان بن كثير ويقول : قتل نقيبَ نقبائنا ورئيس شيعتِنَا وشيخ دعوتنا ويحقد أيضاً قتلَ ٱبنه وقتل لاهز .

فلمّا خرجا إلى الحجّ كان أبو مسلم يتقدَّم أمام أبي جعفر بادئاً وراجعاً خوفاً على نفسه لمَا كان حقد عليه حين أتاه بخراسان ، من إجلاسه إيّاه في دهليزه ، وكتابه إليه يبدأ بنفسه ، مع أشياء كانت تبلغه عنه . فكان أبو مسلم يقول : ما وجد أبو جعفر سنة يحجّ فيها إلّا هٰذه السنة التي حججت فيها ؟

---

(1) الحجّاج بن أرطاة : الوفيات 2 / 54 (150) .

استخلاف أبي جعفر

فلمّا قضيا الحجّ وأقبل أبو مسلم ، فكان بين البستان وذات عرق [1] جاء أبا جعفر وفاة أخيه أبي العبّاس السفّاح ، وأبو مسلم يتقدّمه بِمَرحلة فكتب إلى أبي مسلم : إنّه قد حدث حدث ليس مثلك غاب عنه ، فصر إليّ !

فلم يَقدم عليه ، وكتب إليه كتابا بدأ فيه بنفسه . فقال أبو جعفر : أنا بريىءٌ من العبّاس إن لم أقتُل آبن وشيكةِ !

وكان أبو مسلم يصلح العِقاب ، ويكسو الأعراب في كلّ منزل ، فكان ذلك يغيظ أبا جعفر ، ويرى أنّه آستطالة منه عليه . فلمّا ورد أبو جعفر الأنبار وجد عيسى بنَ موسى بها وقد حوى الخزائن والأموال وحفظها فسلّمها إليه .

وكان عبد الله بن عليّ قد خلع ، فندب أبو جعفر المنصور أبا مسلم لحربه فسارع إلى ذلك ليتخلّص من يده .

وذكر أن أبا مسلم لمّا قدم الأنبار أراد عيسى بنَ موسى على خلع المنصور ومخالفتِه وقال له : أنتَ وصيُّ الإمام ، وأحقُّ بالأمر من أبي جعفر .

فقال له : الأمر لعمّي ، ولو قدّمَني أبو العبّاس لقدّمتُه على نفسي !

وقال آبن الأعرابيّ عن المفضّل الضبّي : أتت أبا مسلم وفاة أبي العبّاس ، ولم يعلم أنّه قد ولّى أبا جعفر المنصور الخلافةَ بعده . فكتب إلى المنصور : عافاك الله وأمتع بك ! أتاني خبر وفاةِ أمير المؤمنين رحمه الله ، فبلغ منّي أعظمَ مبلغ وأمسَّه وجعاً وألَماً . فأعظم الله أجرَك وجبر مصيبتَك ، ورحم الله أمير المؤمنين وغفر له وجزاه / بأحسن ما عمله ! [88 أ]

فلمّا قرأ كتابَه آستشاط غضبا وكتب إليه : من عبد الله عبدِ الله أمير المؤمنين

---

(1) بستان بني عامر وكثيرًا ما يقال : البستان ، فقط (ياقوت) . وذات عرق : في طريق مكّة من الكوفة (تاريخ اليعقوبيّ ، 312) .

إلى عبد الرحمان : وصل كتابك فرأيتُك غيرَ موفَّقٍ فيه للرشد ، ولامسدَّدٍ للصواب . ولكنّي ذكرتُ ما تقدّم من طاعتِك فعطفني عليك . وقد ولّيتُك مقدّمتي ، فَسِرْ على اسم الله وبركتِه حتى توافيَ الأنبار . ومَن أنكرتَ من أمره شيئًا مِن عُمّالِنا ، فصَرْفُه والاستبدالُ به إليك .

فحقد كلّ واحدٍ منهما على صاحبِه .

قال ابن الأعرابيّ : وحدّثني سعد بن الحسن أنّ المنصورَ لمّا قرأ كتابه أجابه عليه ، وقد استشاط ، فقال لعطيّة بن عبد الرحمان البجليّ : لمثلها كنت أحَسّيكَ الحُسَى . إنّ العبدَ كتب إليّ بمَا ترى ، وقد أجبتُه . فانطلِق بالكتاب إليه ، فإذا أخذ في قراءته فاضرب عنقه ! فإن قُتِلت فشهادة ، والله خليفتك على من تُخلِّفُ ، وهو عندي عِدل ولدي ، وجرايتي عليه . وإن سلمتَ فلك من المكافأة ما يطأ به العربَ عقِبُك .

فقال له إسحاق بن مسلم : يا أمير المؤمنين ، إنّه لا يؤمن أن ينبوَ سيفُه فيُقتلَ باطلا ثمّ يكرّ العلج علينا .

وقال له مزيد بن أُسَيد : اذكر قول القطاميّ [بسيط] :

قد يدرك المُتأنّي بعض حاجتِه وقد يكوْن مع المستعجل الزللُ

وقال له أبو أيّوب كاتبُه : أجرِ الأمرَ حتّى يَقدم عليك شيعتُك وأهل بيتِك .

فأنفذ المنصور كتابه مع غير عطيّة .

وذلك أنّه لمّا بلغ أبا مسلم موت أبي العبّاس كتب به إلى أبي جعفر ، وهو لا يعلم باستخلافه إيّاه . فلمّا أتاه أنّه قد استخلفه كتب إليه : أصلحك الله يا أميرَ المؤمنين صلاحا تامًّا نامياً . بلغَني هٰذا الأمرُ الذي أقطعَني وأتاني به كتاب عيسى بن موسى مع محمّد بن الحُصَين . إلّا أنّه سرّى عنّي الغمَّ ولوعةَ المصيبة ما صار إليك من الأمر . فنسأل الله أن يُعظم أجرَك ويحسن الخلافةَ عليك فيمَا ولّاك ، وأن يباركَ لك فيمَا قُلّدتَه . اعلم أنّه ليسَ أحدٌ يا أميرَ المؤمنين أشدّ

تعظيمًا لحقّك وحرصاً على مسرّتك منّي . والله أسألُ لك السلامة في الدين والدنيا .

وكان ورود الكتاب عليه بصفينة [1] . ثمّ بعث أبو مسلم بالبيعة بعد يومين ، وإنّما أراد أن يرهبَه .

ولمّا توفّيَ أبو العبّاس قام عيسى بن عليّ فخطب الناس بالأنبار فقال : الحمدلله أهل الحمد ووليّه ، ذي المجد والعظمة ، والكبرياء والقدرة ، الذي كتب الموت على خَلقه وَسوّى فيه بين عِباده فلم يُعَرِّ منه / ملَكا مقرّبا ، ولا نبيًّا مُرسَلا ، ولا خليفةً هاديًا ، جعلهم فيه شرعاً ، وجعله عليهم حَتْمًا فقال لنبيّه ﷺ : « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ قبلَكَ الخُلْدَ ، أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ ؟ » (الأنبياء ، 34) وقال : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » (الزمر ، 30) . فتبارك الله ربّ العالمين . ثمّ إنّ خليفتكم عبد الله أبا العبّاس أميرَ المؤمنين رحمة الله عليه كان عبدًا من عباد الله الذين كتب عليهم الموت ونقلُهم إلى دار الثوابِ ، أكرمَه الله بخلافتِه ، وأحيَى به سنّةَ نبيّه ، وردّ به حقَّ أهلِ هٰذا البيتِ إليهم ، حتّى استقرّ في مقرّه وحلّ محلّه ، وخرج من أيدي الفجَرة الظَّلَمةِ أهل بيتِ اللعنة الذين أخذوه ٱغتصابا وظلما وٱبتزازا بالتمويه والشبه وٱدّعاء الأباطيل . ثمّ استعملَه الله لطاعته إلى انقضاء مدّتِه وأثرِه ونفَادِ أجَله وأُكله ، وقبَضه اليه حميدًا رشيدًا سعيدًا ، وقد رضيَ سعيَه وأقام به حقَّهُ ، فرحمةُ الله عليه وبركاتُه وصلواتُه .

[88ب]

« وقد ٱستخلف أخاه أبا جعفر أصلحه الله وأمتعَ الخاصّةَ والعامّةَ به ، لكمال سنِّه وفضلِ رأيِه وصحّةِ عزمِه ونفاذِ بصيرته ، وجعل وليّ العهد بعده عيسى بن موسى بن محمّد بن عليّ ، وهو مَن قد عرفتُم جزالتَه وبراعتَه وفضلَه . فعند الله نحتسِبُ أبا العبّاس أميرَ المؤمنين ، وإيّاه نسأل أن يُعْظِم أُجورَنا وأُجوركم فيه ، وأن يبارك لأمير المؤمنين أكرمَه الله فيمَا ولّاه وٱسترعاه ، ويحضرَه الرشدَ والسَّداد

(1) صفينة : بلد بالعالية من ديار بني سليم (ياقوت) .

في أموره .

« فبايِعوا رحمَكم الله لأمير المؤمنين عبدِ الله عبد الله ، أمتعَ الله به ، ولعيسى بن مُوسى بن محمد بن عليّ إن كان بعدَه ، بيعةً صادقةً عن طوعٍ وٱعتقادٍ ونيّةٍ حسنةٍ ، بيعةً تنشرحُ بها صدورُكم وتخلُصُ فيها نيّاتُكم لتنالوا بها عاجل المكافأةِ وآجلَ الثوابِ إن شاء الله .

« أحسن الله عليكم الخلافةَ وتولّاكم بالكفاية ! »

ثمّ بكى وبكى الناسُ . فلمّا نزل كتب إلى عيسى بن موسى بالقدوم ، وكان بالكوفةِ . فقدِم الأنبار وأعطى الناسَ أرزاقَهُم .

وكتب عيسى بن عليّ إلى أبي جعفر : أمّا بعد ، أصلح الله أميرَ المؤمنين وأصلح به وعلى يديه ، فإنّ أقلّ المصائب يا أمير المؤمنين نكايةً وإن عظُمَت بها الرزيّةُ وجلّ الخطبُ وأقطع [1] الأمر ، مُصيبةٌ جُبِرت بحسن العِوض في الدنيا وجزيل الثواب في الآخرة . وإنّ أميرِ المؤمنين أبا العبّاس رحمة الله عليه / وصلواتُه كان من عباد الله الذين حتم عليهم الموتَ وخلقَهم [89 أ] للفناء ، فقبضه الله حميدًا سعيدًا قائمًا بالحقّ جميلَ النظر للخاصّة والعامّة . مشفقًا عليهم ، مُعَفّيًا بعدله على جَور أهل الظلمة من أهل بيت اللعنة ، وبإحسانه على إساءتهم وشرارتهم .

« وقد استخلَفَكُ يا أميرَ المؤمنين بعدَه وجعلَ وليَّ عهدِك عيسى بنَ موسى آبن محمد . فأعظم الله أَجرَ أميرِ المؤمنين على الرزيّة الفاجعة ، وبارك لك في العطيّةِ الفاضلةِ ، فلا مُصيبةَ أجلّ من مصيبتِه ، ولا عُقبى أحسنُ من عُقباه . ورحم الله أبا العبّاس وغفر له وضاعف حسناتِه ، وجعل الله أميرَ المؤمنين خيرَ خليفةٍ وإمام [و] أعملَه بعدلٍ وأقوَمه بحقٍّ وأنظَرَه لعامّةٍ وأحناه على خاصّةٍ بمَنّه وقدرتِه .

---

(1) قراءة ظنّيّة .

« وقد دعوتُ الناس لبيعتك يا أميرَ المؤمنين ، فسارَعُوا إليها وآحتسَبوا الخيرَ فيها ، حقّق اللهُ آمالَهم وبَلّغهم بك وفيك أمانيَهم يا أميرَ المؤمنين . فآشكُرِ الله يزدْك واستعِنْه يُعِنْك وآستكْفِه يَكْفِك .

« أسأل الله لأمير المؤمنين أحسنَ الحفظ وأدْوَم العافية والسلامة في الدنيا والآخرة » .

وكتب رُقعةً أدرجَها في الكتاب لم يُدرَ ما فيها ، وبعث بالكتاب مع محمد آبن الحضين الَعبديّ . فلمّا قرأه أبو جعفر بكى . وحمّل عيسى بنُ عليّ وعيسى بنُ موسى محمّد بنَ الحضين كتابَين إلى أبي مسلم بالتعزية بأبي العبّاس والتهنئةِ بولايةِ أميرِ المؤمنين أبي جعفر . وقال محمد بن الحضين لأبي جعفر المنصور حين قرأ كتابَ عيسى بن عليّ إليه : قد أعقب اللهُ المصيبةَ الجليلةَ بالنعمة العظيمة ، فأحسن الله يا أميرَ المؤمنين من المصيبة عُقباك ، وبارك لك فيمَا ولّاك وأعطاك !

فأمر له بخمسمائة دينار - ويقال : بألف دينار . وكتب إلى عيسى بن عليّ بأبرّ كتاب وألطفِه ، وجزّاهُ الخيرَ على ما كان منه . وكتب إلى عيسى بن عليّ وعيسى بن موسى في القيام بأمر الناس وضبط ما قِبَلَهُما إلى قدومه .

خروج عبد الله بن عليّ

وكتب عيسى بن عليّ إلى عبد الله بن عليّ بالخبر ، وعزّاه عن أبي العبّاس ، وهنّاهُ بولاية أبي جعفر ، وأنفَذَ الكتابَ مع أبي غسّان حاجب أبي العبّاس ، والهيثم بنِ زياد الخُزاعيّ . فلمّا دخلا عليه سلّم الهيثم بالإمرة ، وسلّم أبو غسّان بالخلافة . فقال الهيثم : مَهْ ! فإنّ أبا العبّاس قد آستخلف أبا جعفر أخاه .

[89ب] فقال عبد الله : أنا / أحقُّ بالأمر منه : إنّ أميرَ المؤمنين رحمَه الله ندب الناسَ إلى الجعديّ فتثاقلوا عنه ، فقال : « من آنتدب إليه فهو الخليفة من

بعدي ! » فانتدبتُ .

فقال الهيثم : نشدتُك الله أن تُهيجَ الفتنةَ وتعرّضَ أهلَ بيتِك لزوال النّعمةِ !

فقال : اسكت لا أمّ لك !

وقام فخطب فَنَعى أبا العبّاس وادّعى أنّه ولّاه الخلافةَ بعدَه . فصدّقه أبو غسّان ، وكذّبه الهيثم ورجلٌ آخر معه ، فأمر بالهيثم والرجل فضربت أعناقُهما . وخرج من دابق [1] وكان متوجّها إلى بلاد الروم للغزو في مائة ألفٍ : فقال له ابن حنظلة البهرانيّ : يا أميرَ المؤمنين ، الرأيُ أن توجّهَ ألف رجل وتبعث عليهم رجلا تثِقُ بصرامتِه وبأسه ونصيحتِه وتأمره أن يأخذَ طريق السماوة [2] ، فلا يشعر أبو جعفر وأبو مسلم إلّا بِمُوافاته إيّاهُما ، وتغذّ أنت السير حتى تنزل الأنبار .

فلم يقبل مشورتَه لأنّه من أهل الشام .

وقد كان أبو جعفر خاف هٰذا الفعلَ من عبد الله بن عليّ ، فأسرع حتّى نزل الأنبار ، فسأل عن عبد الله بن عليّ فأخبر أنّه بحرّان قد صمِدَ صَمْدَ مقاتل بن حكيم العكّي لإبائِه بيعتَه حتّى يجتمعَ الناسُ . فحمِدَ الله على ذلك . ثمّ بلغه أنّه قد أخذَه وبعث به إلى عثمان بن سراقة فحبسه بدمشق ، فقال : لله العكّي ! ماذا يذهب منه !

وقد رويَ أنّ أبا جعفر لمّا بلغه خبرُ وفاة أبي العبّاس دعا إسحاق بن مسلم العقيليّ ، وقد حجّ معه فقال له : ما ترى أن نصنَعَ ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان عبد الله بن عليّ حازما فَسيُوَجّهُ خيلاً تَلْقَانَا في هٰذه البراريّ فتحول بيننا وبينَ دار الخلافةِ وتأخذنا أسرًا . فاقعُدْ على دوابِّك ، فإنّمَا هي نيالٍ حتّى نَقدمَ الأنبار .

---

(1) دابق : من أعمال عزار قرب حلب .

(2) السماوة هي البادية بين الكوفة والشام .

قال : فإن هو لم يخالف ؟

قال : فلا حياةَ به . والرأي إغذاذ السيرِ على كلّ حال .

فٱرتحل أبو جعفر وقدّم أبا مسلم أمامه يطوي المراحلَ إلى الأنبار . وندب أبا مسلم إلى عبد الله بن عليّ فسارع إلى محاربتِه .

وقال ٱبن الأعرابيّ : لقِيت ٱمرأة أعرابيّة أبا جعفر المنصور في طريقه ، وقد توفّي أبو العبّاس ، والمنصور مقبل إلى الأنبار فقالت : أعظم الله أجرَك يا أمير المؤمنين في أخيك ، فإنّه لا مصيبة أعظم من مصيبَتِك ، ولا عوض أفضل من خلافتك .

فقال : بلى ! الأجرُ !

فقالت : هو لك مذخور إن شاء الله !

فوهب لها ألف درهم .

[90 أ] وقال المدائنيّ : حجّ مع / المنصور إسحاق بن مسلم العقيليّ وكان عديله . فقال المنصور ذاتَ يوم : لقد أبطأنا عن الحجّ ، وإنّي لأخاف فَوْتَه .

فقال إسحاق ، وكان فيه جفاء : ٱكتب في تأخير الحجّ إلى قدومك !

قال : ويحك ! أو يكونُ أن يُؤَخّرَ الحجُّ عن وقتِهِ ؟

فقال : أَوَ تريدونَ شيئًا فلا يكونُ ؟

(قال) وكان المنصور يقول : الملوك تحتمِل كلّ شيءٍ إلّا ثلاث خلال : إفشاء السرّ ، والتعرّض للحرم ، والقدح في الملك .

وقال عن إسحاق بن مسلم العقيليّ : حججتُ مع أبي جعفر فقال : قل للحادي : ٱحْدُ !

فقلت : « يا عاصم ، ٱحد » فَحَدَا . فقال : « قل له : قد أمر لك أمير المؤمنين بألفَي درهم » . فدعا له . ثمّ قال : ٱحدُ أيضًا — فأعاد فأجاد .

فقال : قل له : قد أمر لكَ أمير المؤمنين بكسوة » فدعا له . فقال : « آحدُ أيضًا » . فحدا فأجاد . فقال : « قل له : قد أمر لك أمير المؤمنين بخادم » . فقلت له ، فقال لي مسرًا لقوله : « بأبي أنت ! فلعلّه موعوك ؟ » فأعطى ذلك الذي أمَرَ له به . وقال المسيّب : جرى عند المنصور ذكر أبي مسلم وما كان من مداراتِه إيّاه ، فقال : إذا مدّ عدوُّك إليك يدَه ، فإن أمكنك أن تقطعَها ، وإلّا فقبِّلْها .

وكان أبو الجهم بن عطيّة مولى باهلة من أعظم الدعاة قدرًا وأعظمهم غَنَاءً ، وهو الذي أخرج أبا العبّاس السّفاح من موضعه الذي أخفاه أبو سلَمة الخلّال فيه ، وحرسه ، وقام بأمره حتّى بويع بالخلافة . وكان أبو العبّاس يعرف ذلك . وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه من خراسان ويأمرُه أن يكاتبه بالأخبار . فلمّا آستخلف أبو جعفر بلغه أنّه يكتب إلى أبي مسلم بخبره وأنّه قال : ما على هٰذا بايعناهم ! إنّمَا بايعناهم على العدل .

فدعاه ذات يوم ، فتغدّى عنده ، ثمّ سُقِي شربةَ عسلٍ – وقيل : سويق لوز – فلمّا وقعت في جوفه هاج به وجَع ، فتوهّم أنّه قد سُمَّ ، فوثب . فقال له المنصور : إلى أين يا أبا الجهم ؟

فقال : إلى حيث أرسلتني .

ومات بعد يوم أو يومين فقال الشاعر [طويل] :

[ألا] آحذَرْ سُويقَ اللَّوْز لا تشرِبَنَّهُ   فشُرب سُويقِ اللوْز أردى أبا الجهم !

وأهديت إلى ولد المنصور حملان بربريّة ، فقال لقهرمانه : خذها إليك فآذبح لنا كلّ يوم منها حمَلا ، فإنّ الصِّبيانَ يكتفون بالصَّعْوِ [1] .

وقال لعيسى بن عبد الله النوفليّ لمّا مات أبو العبّاس : قد عرفتَني في

(1) الصَّعْوُ : صغار العصافير .

السلطان وقبله ، فهل رأيتَ لي لذّةً في مطعم أو مركبٍ أو ملبسٍ ؟ ولقد أتتني [90ب] الخلافةُ وما طلبتُها . /

فقال له : ما زلتُ والله أعرفك بالزهدِ والفضل وطلب العلم .

وقال الرشيد : أُدخلت على المنصور وأنا صبيّ ، فرأيتُه جالسا على حصير متّكئًا على مِسورَة [1] ، فدعا بعشرة دنانير جدد فوهبها لي وأخذني وقبّلني وصرفني .

وكان المنصور يخرج من مقصورة النساء ليلا يريد المسجد ، ومعه جارية حبشيّة أو صفراء تحمل له سراجاً .

وكان يقول : الملوك ثلاثة : معاوية ، وكفاه زياد ، وعبد الملك ، وكفاهُ الحجّاج . وأنا ، ولا كافِيَ لي .

وكان يذكر بني أميّة فيقول : رجلُهم هشام .

وكان يقول : الخلفاء أربعة ، والملوك أربعة . فالخلفاء : أبو بكر وعمر وعليّ ، وعثمان على ما نال وقد نيل منه أعظم . والملوك : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام وأنا . ولنِعم الرجل كان عمر بن عبد العزيز ! كان أعورَ بين عميان . ونعم صاحبُ الحرب حمار الجزيرة من رجلٍ لم يكن عليه طابع الخلافة – يعني مروانَ بن محمّد .

وأتى آبن ليوسف بن عمر [2] المنصورَ فوصلَه بثلاثة آلاف درهم . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أمّلتُ منك أكثر من هٰذا .

فقال : هٰذه كانت صلةُ أبيك لنا ؟

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، فأين فضل قريش على ثقيف ، وفضل الخلافة

---

(1) المِسورة : مُتّكَأ من جِلد .

(2) يوسف بن عمر الثقفيّ : ولي العراقَين لبني أميّة سنة 120 . الوفيات 7 / 101 (843) .

على الإمارة ؟

فضحِك وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقال المنصور : معاوية للحِلم والأناة ، وعبد الملك للإقدام والإحجام ، وهشام لتقسيط الأمور ووضعها مواضِعَها . وشاركت عبد الملك في قول كثيِّر [طويل] [1] :

يَصُدُّ و يُغضِي ، وهو ليثُ عرينةٍ وإن أمكنتْه فرصةٌ لا يُقِيلُها

وقال : إنّ الحِلم يزيدُ العزيز عزًّا والذليل ذلًّا .

وقال لسفيان بن معاوية : ما أسرعَ الناسَ إلى قومك !

فقال [بسيط] :

إن العرانين تلقاها محسّدةً ولن ترى لِلِئام الناس حُسَّادَا

قال : صدقتَ .

وبينا المنصور يخطب إذ قام رجلٌ فقال : « يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟ » (الصفّ ، 2) فأُخذ . فلمّا قضى المنصور صلاته ودخل القصرَ دعا به فقال : طالت صلاتُك وكثُر صومُك فضجرت من الحياة وقلت : أعترضُ هٰذا الرجل فأعظُه ، فإن قتلَني دخلتُ الجنّة ، وهيهات أن تدخلَها بي ! خلّوا سبيلَه !

وخطب في بعض الجمع فقام رجل من الصوفيّين فقال : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » (البقرة ، 44) فأخِذ . فلمّا فرغ من خطبتِه أمر أن يُضربَ أربعينَ دِرّةً فضُرِب . ثمّ دعا به فقال : « إنّا لم نضرِبْك لقولك ، إنّما ضربناك لكلامك في الخطبة ، فلا تَعُدْ ! » وأمر بتخلية سبيله .

---

(1) ديوان كثيّر : 261 بيت 12 .

[91 أ] وخطب مرّة فلمّا قال / : « وأشهد أ لا إلاهَ إلّا الله » ، قام إليه رجلٌ في أخريات الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي أذكّرُك مَن ذكرت .

فقال : « سمعًا سمعا لمَا ذكّر بالله وأيّامه ! وأعوذُ بالله أن أكون جبّاراً عنيدًا وأن تأخذَني العِزّة بالإثم ، « لقَدْ ضَلَلْتُ إذَنْ وَما أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ » (الأنعام ، 56) . وأنتَ فمَا أردتَ الله بها ، إنّما أردتَ أن يقال : قام فقال فضُرب فصبر . وأهونْ عليَّ بقائِلِها لو هممتُ ! فٱهتبِلْها ويلَك إذ عفوتُ ، وإيّاك وإيّاكم أيها الناس وما أشبَهَها ! فإن الموعظةَ علينا نزلت ومن عندنا انتشرت وعنّا أُخِذت وحُمِلت » . ثمّ عاد في خطبته .

وقدم عليه قوم من أهل الشام بعد هزيمَة عبد الله بن عليّ ، وفيهم الحرث ٱبن عبد الرحمان الجرشيّ فقام عدّة منهم فتكلّموا . ثمّ قام الحرث فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لسنا وفدَ مباهاةٍ ، ولكن وفدَ توبةٍ : ٱبتُلينا بفِتنةٍ ٱستنفزّت شريفَنا واستخفتّ حليمَنا ، فنحن بمَا قدّمنا معترفون ، وممّا فرط منّا معتذرون . فإن تعاقِبْنا فبجُرمِنا ، وإن تعفُ عنّا فبفضلِك علينا . فٱصفَحْ يا أميرَ المؤمنين إذ ملكتَ وٱمنُن إذ قدرتَ ، وأحسِنْ فطالمَا أحسنتَ !

فقال المنصور : « أنت خطيبُهم » .
وأمر بردّ قطائعه بالغوطة عليه .

ووجّه إسحاق الأزرق مولاه فأتاه بٱمرأتين وُصفَتا له ، إحداهمَا من ولد خالد بن أَسِيد [1] والأخرى فاطمة بنت محمد بن [2] عيسى بن طلحة بن عبيد الله . فجيِىء بهما ، وقد خرج إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بالبصرة . فقيلَ له : إنّ هاتين الجاريتين قد ٱستوحشتا إذ لم تَرَهُما .

---

(1) خالد بن أسِيد من الأعياص الأمويّين : المعارف ، 73 – الاشتقاق ، 529 – معجم بني أميّة ، 29 – نسب قريش ، 187 – الإصابة 2144 .

(2) في المخطوط بنت محمد بن محمد . والإصلاح من جمهرة ابن حزم ، 21 .

فقال : والله لاكشفتُ ثوب آمرأةٍ حتى أدريَ أرأسي لإبراهيم أو رأس إبراهيم لي !

وبعث المنصور إلى جعفر بن محمد ، الصادق ، عليهما السلام فقال « إنّي أريدُ مشاورتك في أمرٍ » . فلمّا دخل عليه قال : إنّي تأنّيتُ أهلَ المدينةِ مرّةً بعد أخرى ، وثانيةً بعد أولى ، ولا أراهم ينتهون ولا يرجعون . وقد رأيتُ أن أبعث إليهم من يعقر نخلهم ويغوّر عيونَهم .

فسكت جعفر . فقال : ما لك لا تتكلَّمُ ؟

فقال : إن أذن لي أميرُ المؤمنين ، تكلّمْتُ .

فقال : قلْ .

قال : إنّ سليمان عليه السلام أُعطي فشكر . وإنّ أيّوب عليه السلام آبتُلي فصبر . وإنّ يوسف عليه السلام قدر فغفر . وقد وضعك الله في الشّطّة [1] من بيت النبوّة ، وفضّلك بالخلافة ، وأتاك علمًا كاملاً . فأنت حقيق بالعفو / عن [91ب] المُسيء والصفح عن المجرم .

فسكن غضبه .

ودخل آبن شبرمة على المنصور فقال له المنصور : ألك حاجة ؟

قال : نعم : بقاؤك يا أمير المؤمنين !

قال : ويحك ! سلني قبل أن لا يمْكنك تسألني !

فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أستقصر عمرَك ، ولا أخاف بخلَك ولا أغتنم مالك . وإنّ سؤالَك شرف ، وعطاءَك فخرٌ . وما بآمرىءٍ يذلّ وجهَه إليك شَين ولا نقص . وعندي من فضل الله خير كثير .

ومات إسحاق بن مسلم من بثرة خرجت بظهره ، فحضر المنصور جنازتَه

---

(1) الشطة : الجانب .

وحمل سريره حتى وضعَه ، وصلّى عليه ، وجلس عند قبره . فقال له موسى بن كعب : يا أمير المؤمنين ، تفعل هٰذا به ، وقد كان والله مبغضا لك كارها لخلافتك ؟

فقال : ما فعلت هٰذا إلّا شكرًا لله إذ قدّمه أمامي .

قال : أفلا أخبر أهل خراسان بهٰذا من رأيك ؟ فقد دخلتْهُم وحشة لك لما فعلت .

قال : بلى ، فأخبِرهُم .

فأخبرَهم فكبّروا . وسمع يوم مات إسحاق بالهاشميّة وهو يتمثّل (طويل) :

كفاك عَدِيًّا موتُه وَلَرُبَّمَا تغيظُك أيّامٌ له وليال

وولّى المنصور طارقاً مولاه ضيعةً من ضياعه بالشام فشكاه قومٌ منهم فقال المنصور : إنّمَا نقَمتُم عليه ما ٱخترتُه له .

فقالوا : إنّه عبدٌ ، وربّمَا صلّى بنا .

فقال : هو حرٌّ ، فصلُّوا خلفه !

فقام متكلِّمهم فقال : ثب !

فضحك ، وكتب إلى طارق بالرفق بهم .

وكان المنصور ربّمَا علّق البواري على أبوابه في الشتاء وقال : هي أقوى .

وقدّمت إليه عصيدة فقال : ليس هٰذه العصيدة التي نعرِف . ليُعمَلْ لنا تمْرها بنواه !

فلمّا كان الغد حضر غداؤه ، وفيه قصعة فيها ثردة صفراء عليها عُراق ، فأكل منها . ثمّ رُفعَت وأُتي بلونَين . فلمّا رُفعا أُتي بالعصيدة فأكل منها أكلا صالحاً ، وقال : هٰذه هي ! هٰذه هي !

فلمّا رفعت المائدة غسل يده ودعا ببَخور فبخّرها ثمّ قال : إنّمَا فعلتُ هٰذا لأنّي أريد الجلوسَ للناس ، ومنهم من يُقبّل يدي .

وقال مرّة لعبد الله بن الربيع : قد عرَفتَني سوقةً وخليفةً ، فهل رأيتني كلِفاً قطّ بأمر مطعم أو مشرب أو ملبسٍ ؟

قال : لا ، ولكن رأيتُك تلذُّ حُسْنَ الذكر وتتّقي الضّيْمَ وتضعُ الأمور مواضعَهَا .

وكان إذا ولد للرجل من أهل بيتِه مولودٌ ذكرٌ أمر له من دار الرقيق بظِئْرٍ وجارية تخدمه ووصيفٍ ، وأمر لأمّه بجاريتَين ومائتَيْ دينار وطيبٍ . وإذا / كان [92 أ] المولود أنثى بَعَثَ بنصف ذلك .

وقدم عليه إسحاق الأزرق مولاه بآمرأتَين كان أشخصه لحملِها . إحداهمَا فاطمة بنت محمّد الطلحيّة ، والأخرى أمة الكريم بنت عبد الرحمان بن عبد الله من ولد خالد بن أَسِيد بن أبي العيص – وقيل : هي العاليه بنت عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله بن خالد ابن أسيد . فقالت له ديسانة قيّمةُ نسائه : يا أميرَ المؤمنين إنّ الطلحيّة قد آستجفَتْك وآستبطأت برّك وأنكرت – وصاحبتَها – تركَك الدعاء بِها . فقال : أما ترين ما نحن فيه ؟ – وكان إبراهيم آبن عبد الله قد خرج بالبصرة – ثمّ أنشد [بسيط] :

قومٌ إذا حاربُوا شدّوا مآزرَهُم   دونَ النساء ولو باتت بأطهار

وقال : ما أنا بناظرٍ إلى آمرأةٍ حتّى أدريَ أرأسي لإبراهيم أم رأس إبراهيم لي .

وكانت عليه جُبّة قد آتّسَخَ جَيبُها ، فقيل له : لو نزعتَها وغيَّرتها ؟

فقال : لا والله ! أوَ أدري أهيَ لي أم لإبراهيم ؟

وقال عبد الله بن الربيع الحارثيّ : قال لي أبو العبّاس السفّاح ذات يوم : « إنّي أريد أن أبايعَ لأبي جعفر أخي » . فأخبرتُ أبا جعفر بذلك ، فأمر لي

بكسوةٍ ومال . فقلت : « أصلح الله الأمير ! إنّ لك مؤونةً ، ولعلّه أن يأتيَك من أنا أعذر لك منه » . فأمر بردّ ذلك . وقُمتُ فانصرفتُ . وراح ورحتُ إلى أبي العبّاس ، فدخل عليه وجلستُ غيرَ بعيد . فطال تناجيهما ، ثمّ ارتفعت أصواتُهُما ، يقول أبو العبّاس : « بلى والله ! » ويقول أبو جعفر : « لا والله ! » ثمّ خرج أبو جعفر فأخذ بيدي . فسألتُه عن تخالفِهما ، فقال : « ليس هٰذا وقت إخبارك » ، وغمز يدي . فلمّا أفضى الأمرُ إليه وقتل أبا مسلم ، دخلتُ عليه وهو طيّب النفس ، فقال : « أُلقُوا لأبي الربيع وسادةً ! » فثُنِيَت لي وسادة وجلستُ . فقال : ألا أُخبِرُك عن الأمر الذي سألتَني عنه يوم دخلتُ على أبي العبّاس فتخالفنا ؟

فقلت : أمير المؤمنين أعلم .

قال : تذاكرنا الدعوةَ فقال لي : أتذكر إذ كُنّا نرمي وأبو مسلم يردّ علينا النبل ، فقال إبراهيم : « ما أكيسَه ! ويقتله عبد الله » ؟ فقلت : « بلى ! » فقال : « أنت عبد الله وأنت تقتله ! » فقلت : « لا والله ! » قال : « بلى والله ! » فلمّا سلِم منه وصنع ما صنع قلت : « أنا عبد الله ، أقتلُه ! » فقتلْتُه .

[92ب] وقال أبو جعفر : رأيتُ فيمَا يرى النائم ، وأنا بالشراة ، كأنّا / حول الكعبة ، فنادى منادٍ من جوف الكعبة : أبو العبّاس ! - فنهض فدخل الكعبة ، ثمّ خرج وبيده لواءٌ قصيرٌ على قناةٍ قصيرة . ثمّ نوديَ : « عبد الله ! » فنهضتُ أنا وعبد الله بن عليّ نبتدِر . فلمّا صرنا على درجة الكعبة دفعتُه عن الدرجة فهوى ، ودخلتُ الكعبةَ ، فإذا رسول الله ﷺ جالس ، فعقد لي لواءً طويلاً على قناة طويلةٍ وقال . خذه بيدِك حتّى تقاتلَ به الدجّال !

ووردت على أبي جعفر المنصور خريطة من صاحب أرمينية ليلا ، فلم يوصِلْها الربيعُ الحاجب إليه إلّا مُصبِحًا . فقال له : يا ٱبنَ اللخناء ، والله لهممتُ أن أضرِبَ عنقك ! أتحبِسُ عنّي خريطة صاحب الثغر الأعظَمِ ساعةً

واحدةً فضلاً عن ليلة ؟

وسخط عليه يومًا ، ثمّ رضيَ عنه وقال : لا تَعُدْ !

ومن كلامه : مَن أحبّ أن يُحمَدَ بغير مَرْزِئة [1] فليُحَسِّنْ خُلُقَه وليبسِطْ بِشرَه .

وقدم عليه وفدٌ من المدينة ، وفيهم عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، فسأل عبدَ الرحمان عن حالهم فأخبرَه بمَا كان من الوليد آبن عبد الملك من أخذ أموالهم . فأمر بردّها عليهم .

وبلغه أنّ عجلان بنَ سُهَيل الباهليّ سمع رجلاً قال – وقد مرّ هشام بن عبد الملك – : « قد مرّ الأحول » فقال له : « يا آبن اللخناء ، أتسمّي أميرَ المؤمنين بالنبز ؟ » وعلاه بسوطه ، ثمّ قال : « لولا رحمَتي لك لضربتُ عنُقَك ! » فقال المنصور : هٰذا والله الذي ينفع مَعَهُ المَحْيَى والممَاتُ !

وقدم عليه زياد بن أنعم المحدّث ، فقال له : لقد آسترحت منْ وقوفك بباب هشام وذوي هشام .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيتُ في تلك المواقِف شيئًا أنكرُه إلّا وقد رأيتُ في طريقي إليك ما هو أعظمُ منه .

فقال له المنصور : ويحَك ! إنّا لا نجد مَن نُولّيه أعمالَنا ممّن نرتضيه .

فقال : بلى والله يا أمير المؤمنين ! لو طلبتَهم لوجَدْتَهم . إنّمَا الملك بمَنزلة السوق يجلب إليها ما ينفُقُ فيها .

وأقبل يوما راجعا من ركوبه يريد قصره فلمّا صار على بابه رأى فرج بن فضالة المحدّث جالسا ، فلم يقم له . فلمّا دخل القصر دعا به فقال له : ما منعَك من القيام حين رأيتَني ؟

---

(1) المَرْزِئة والرُّزءُ : المصيبه (رزَأه يرزَؤُه ماله : أصاب منه ونقَصَه) .

قال : منعني من ذلك أنّي خفتُ أن يسألني الله : لم فعلتَ ؟ ويسألك : لمَ رضيتَ ؟ وقد كره رسولُ الله ﷺ ذلك .

فسكت ، وخرج فرج بن فضالة .

[93 أ] وقال المنصور يوماً / لهشام بن عروة : أتذكر يا أبا المنذر حيث دخلت أنا وإخوتي مع أبي الخلائف وأنت تشرب سويقاً ؟ فإنّا لمّا خرجنا قال لنا أبونا : يا بَنيَّ ٱستوصُوا بهٰذا الشيخ ، فإنّه لا تزال في قومكم عمارة ما بقي مثله .

فقال : ما أذكر ذلك .

فلمّا خرج هشام قيل له : ذكّرك أمير المؤمنين شيئًا يُتوسَّلُ بدونه !

فقال : لم أذكر ما ذكّرني ، ولو يعوّدني الله في الصدق إلّا خيرًا .

ودخل عليه سوّار بن عبد الله بنِ قدامة بن عنزة بن أثلث بن عمرو بن الحرث بن خلف بن الحرث بن جعفر بن كعب بن العنبر العنبريّ قاضي البصرة فقال : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال : وعليك السلام ورحمةُ الله وبركاته . ٱدنُ أبا عبد الله !

فقال : أدنو على ما مضى [عليه] الناس أم ما أحدثُوا؟

فقال : على ما مضى عليه الناس .

فدنا ومدّ يدَه فصافحَه ، ثمّ جلس .

وكتب إلى سوّار في بعض الأمور فكان في ذلك إضرار بقوم ، فلم ينفّذ سوّار الكتاب فٱشتدّ ذلك على المنصور . فكتب إليه سوّار : عدل سوّار مضافٌ إليك وزينٌ لخلافتك .

فسكن غضبُه وأمسك عن ذلك الأمر .

ونظر يوماً إلى بعض القضاة وبين عينيه سجّادة فقال له : لئِن كنتَ أردتَ الله بالسجود ، ما ينبغي لنا أن نشغلك عنه . وإن كنتَ إنّمَا أردتَنا بهٰذه

السجّادة ، فينبغي لنا أن نحترس منك .

وكان يحيى بن عروة رضيع أبي جعفر المنصور ، وهو مولى لهم ، فصيّره على ثقله عام حجّ . فلمّا دعا عبد الله بن عليّ إلى نفسه حمل ثقل أبي جعفر وجواريه وصار إلى عبد الله بن عليّ . فلمّا هرب آستخفى يحيى ، ثمّ ظفر به المنصور فأمر فقطّع بالسيوف .

قتل أبي مسلم

وكان أبو مسلم إذا أتاه كتاب المنصور وقرأه لوّى شِدقَه ثمّ ألقاه إلى أبي نصر مالك بن الهيثم فيتضاحكان . ويبلغ المنصورَ ذلك فيقول : إنّا لنخافُ من أبي مسلم أكثرَ ممّا كنّا نخاف من حفص بن سليمان -- يعني أبا سلمة الخلّال .

فلمّا فرغ أبو مسلم من محاربة عبد الله بن عليّ وحوى عسكرَه وما فيه بعث المنصور إليه مرزوقاً أبا الخصيب لإحصاء ذلك . فغضب أبو مسلم وقال : ما لأبي جعفر ولهٰذا ؟ إنّمَا له الخُمس !

فقال أبو الخصيب : هٰذا مال أمير المؤمنين دون الناس . وليس سبيلُ هٰذا سبيلَ ما له منه الخُمس .

فشتمَه وهمّ بقتله ثمّ أمسك . وبعث إليه المنصور يقطين بنَ موسى ليحصيَ ما في عسكر عبد الله بن عليّ . فقال أبو مسلم : أفعلها / آبن سلامة [93ب] الفاعلة ؟ -- لا يكنّي --

فقال يقطين : عجلت أيها الأمير ، إنّمَا أمرني أن أُحصِيَ ما وُجد في عسكر الناكث ثمّ أسلّمَه إليك لتعمل فيه برأيك وتصنعَ به ما أردتَ ، ويكون قد عرف مبلغَه .

فلمّا ورد يقطين على المنصور أبلغه ما قال أبو مسلم وما قاله هو له ، فخاف أن يمضِيَ أبو مسلم إلى خراسان ، فكتب إليه : إنيّ قد ولّيتُك الشام ومصر .

فهُما أفضلُ من خراسان . ومنزلك بالشام أقرب إلى أمير المؤمنين ، فمتى أحببتَ لقاءه لقيتَهُ .

وأنفذ الكتابَ إليه مع يقطين أيضاً . فلمّا قرأه قال : أهُوَ يولّيني الشامَ ومصر مكان خراسان ، وخراسانُ لي ؟

وعزم على إتيان خراسان . فنزل المنصور المدائن . وأخذ أبو مسلم طريق حلوان – سمّيت حلوان من أجل أنّ [. . .][1] – فقال المنصور : ربّ أمرٍ لله دون حلوان !

وأمر عمومتَه ومن حضر من بني هاشم أن يكتبوا إليه فيعظّموا عليه حقّ الطاعة ، ويحذّروه سُوءَ عواقب الغدر والتبديل والنكث ، ويسألوه الرجوعَ ، ويشيروا عليه به . وكتب إليه المنصور : إنّي أردتُ مذاكرتَك أشياءَ لم يحتملها الكتاب ، فأَقبِل فإنّ مقامك قِبلي يسير .

فلم يلتفت إلى الكتاب . فبعث إليه جرير بن يزيد البجليّ ، وكان صديقاً لأبي مسلم راجحا عنده . فلم يزل يَمْسح جوانبه ويرفق به ويعرّفُه قُبحَ ما ركب ، وأنّ النعمة إنّمَا دامت عليه بالطاعة ، وقال له: إنّ أمرَ القوم لم يبلغ بك ما تكره . وإنّمَا لك إن عصَيتهم خراسان ، وما تدري ما ينساق عليك من شيعتهم من أهل خراسان ، ممّن ترى أنّه معك . وإن أطعتَهم فخراسان وغيرَها من البلاد لك فأنصرف راجعاً .

فأنصرف راجعاً وكان المنصور قد كتب إلى أبي مسلم كتابا لطيفاً مع أبي حميد المرورودي وقال : إن أجاب إلى الانصراف ، وإلّا فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : نُفِيتُ من العبّاس ! لئن مضيت ولم تلقني لأوكلت أمرك إلى أحدٍ سوايَ ولو خضتُ إليك البحر الأخضرَ حتّى أموتَ أو أقتُلَك .

فلمّا قرأ الكتابَ عزم على المُضِيِّ لوجهه . فأدّى إليه أبو حميد الرسالة

---

(1) هٰذه حاشية في الهامش مبتورة ، ولعلّه كان ينوي أن ينسبها إلى حلوان بن عمران كما عند ياقوت .

فكسرَته وعزم على الانصراف إلى المنصور . وخلّف ثقله بحلوان ، وعليه مالك بن الهيثم ، وقال : « لئن أمكنني قتلُه لأقتُلنّه ثمّ لأُبايِعَنَّ لمَن أحببتُ ! » وتمثّل بعض مَن معَه (كامل) :

ما لِلرِّجالِ مع القضاء محالة ذهب القضاءُ بحيلةِ الأقوام

/ فلمّا قدم أبو مسلم على المنصور وهو بالروميّة التي عند المدائن ، أمر [94 أ] الناسَ بتلقّيه ، وقام إليه وعانقه وأكرمَه وقال : كنت تمضِي قبل أن نلتقيَ فأُلقي إليك ما أريد !

وأمره أن ينصرف إلى منزله فيستريح ويدخل الحمّام ليَذهب عنه كلالُ السفَر ثمّ يعود . وجعل يزيدُه إعظاماً وبرًّا وهو ينتظر الفرصةَ فيه حتّى قتله .

وذكر أنّ أبا مسلم لمّا أراد الشّخُوصَ إلى خراسان عاصيًا كتب إلى المنصور[1] : من عبد الرحمان بن مسلم إلى عبد الله بن محمد . أمّا بعد ، فإنّي اتّخذتُ أخاك إماماً ، وكان في قرابتِه برسول الله ﷺ ومحلّه من العلم على ما كان ، ثمّ استخفّ بالقرآن وحرّفَه طمَعًا في قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله[2] ، ومثّلت له ضَلالَه على صورة العدل فأمرني أن أُجرّدَ السيفَ وآخذَ بالظنّة ولا أقبلَ معذرةً ، وإن أسْقِمَ البريىء وأبرئَ السقيمَ وآثر أهل الدين في دينهم ، فأوطأني في غيركم من أهل بيتكم العَشوَة بالإفكِ والعدوان . ثمّ إنّ الله بحمده ونعمتِه استنقذني بالتوبةِ وكرَّه إليّ الحوبةَ ، فإن يعفُ فقديما عُرفَ ذلك منه ، وأن يعاقِبْ فبذنُوبي « وَمَا رَبُّكَ بظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » (فُصّلت ، 46) .

فكتب إليه المنصور : قد فهمتُ كتابك ، وللمدلّ على أهل بيتِه بطاعته ونصيحتِه ونصرته ومحاماته وجميل بلائه مقالٌ . ولم يُرِكَ الله في طاعتنا إلّا ما تُحبُّ . فراجعْ أحسنَ نيّتِك وعملِك ، ولا يدعوَنّك ما أنكرتَه إلى التجنّي ! فإنّ

---

(1) الرسالة في تاريخ الطبري (أحداث سنة 137) مع اختلاف كبير . وفي الكامل 4 / 351 .

(2) في الكامل : إلى خلقه .

المَغِيظَ ربّمَا تعدَّى في القول فأخبر بمَا لا يعلم ، والله وليُّ توفيقِك وتَسديدِك . فَٱقدِمْ رحمَك الله مبسوط اليد في أمرنا محكّماً فيمَا هوِيتَ الحكمَ فيه ، ولا تُشمت الأعداءَ بك وبنا إن شاء الله !

فلمّا قدِم وأكرمَه ثمّ صرفَه إلى منزله ليستريح ، ندم على ٱنصرافه . فلمّا أصبح أبو مسلم غدا إلى المنصور فتلقّاه أبو الخصيب مرزوق فقال له : إنَّ أميرَ المؤمنينَ مشغول ، فٱنصرِفْ ساعةً حتّى يفرغ . فأتى منزل عيسى بن موسى ، وكان يحبّه . وكان عيسى شديدَ التعظيم له . فدعا له عيسى بالغَدَاء . فبينا هو / [94ب] على ذلك إذ أتاه الربيع ، وهو يومئذ مع أبي الخصيب ، فقال له : يدعوك أمير المؤمنين – فركب . وشغُل عيسى بالوضوء ، وقد كان أبو مسلم قال له : ٱركب معي فكأنّي قد أحسستُ بالشرّ !

فقال له : أنت في ذمّتي ، فتقدَّمْ فإنّي لاحقُك .

فلمّا صار أبو مسلم إلى الرواق ، قيل له : أميرُ المؤمنين يتوضّأُ ، فلو جلستَ ؟

فجلس . وأبطأ عليه عيسى فجعل يسأل عنه . وأعدَّ له المنصور عثمان بن نهيك ، وهو يومئذ على حرسه ، وأعدَّ معه شبيبَ ٱبن واج ، وأبا حنيفة [1] صاحب الدرب ببغداد [2] ، ورجلَين من الحرس . وقال لعثمان بن نهيك : إذا عاتبتُه فعلا صوتي فلا تخرجوا – وكانِ أصحابه وراء سِتر خلف أبي مسلم – فإذا أنا صفّقتُ فدُونَكُم العلج !

ثمّ قيل لأبي مسلم : قد جلس أمير المؤمنين ، فقم !

فلمّا قام ليدخل نُزِع منه سيفُه فقال : ما كان يُصنع بي مثلُ هٰذا !

فقيل له : ليس ذاك إلّا لخيرٍ .

---

(1) ابن واج المورّوذي وأبو حنيفة حرب بن قيس في الكامل .
(2) بغداد ستؤسّس سنة 145 .

وكان عليه قباء خزّ أسود ، وتحته جبّةُ خزّ بنفسجيّ . فدخل فسلّم وجلس على وسادة ليس في البيت غيرها ، والقومُ خلفَ ظهره . فقال : يا أمير المؤمنين ، آستخفّ بي وأُخِذ سيفي !

فقال : ومن فعل ذلك قبّحَهُ الله ؟

ثمّ قال له : هيه ! قتلتَ أهل خراسان وفعلت وفعلت ! ثمّ جعلت [. . .] بِمَكّة ليصلّي هٰذا الغلام بالناس . وألقيتُ نعلي من رجلي فرفعتَ نفسَك عن مناولتي إيّاها حتى ناولنيها معاذ بن مسلم . وأعجبُ من هٰذا إقعادُك إيّايَ في دهليزك بخراسان مستخفّا بحقّي حتى أشير عليك بخلاف ذلك ، فتكارهتَ على تسهيل إذني وفتح الأبواب لي ؟ ثمّ كتابك إليّ تبدأ بنفسك ، وخطبتك إليَّ آمنة بنت عليّ [1] ، وقولك إنّك ابن عبد الله : لقد ارتقيتَ يا آبنَ اللخناءِ مُرتقًى صعبًا ! ثمّ ذمُّك أخي وسيرتَه وقولُك إنّه أوطأك العُشوَة [2] وحمَلَك على الإثم ، ثمّ أنت صاحبي بِمَكّة تنادي : من أكل طعام الأمير فله درهم ، ثمّ كسوتك الأعراب وقولك لهم : « لأُنجِدَنَّكُم دونَ أهل خراسان ! » وأعجب من هٰذا أنّي دفعتُ في صدر صاحبك بخراسان فقلت : أيضرب حاجبي ؟ ردّوه عنّا إلى العراق !

فقال أبو مسلم : إنّه لا يقال لي هٰذا القول بعد بلائي وعنائي .

فقال : / يا آبن الخبيثة ! والله لو كانت مكانَك أمةٌ لأَجزأت ! إنّما عمِلتَ ما عمِلت بدولتنا ، ولو كان الأمرُ إليك ما قطعتَ فتيلا ! [95 أ]

ثمّ فتل شاربه وفرَك يدَه . فلمّا رأى أبو مسلم فعله قال : يا أمير المؤمنين ، لا يدخلنّ نفسَك ما أرى ! إنّ قدري أصغرُ من أن يبلغ شيءٌ من أمري مثل هٰذا المبلغ !

---

(1) في المروج ، 2392 : أميمة بنت علي بن عبد الله بن عبّاس .

(2) أوطأه عُشوَة ، بالضم والكسر : أركبه أمرًا ملتبسا .

وصفّق المنصور بإحدى يديه على الأخرى ، فضرب عثمان بن نهيك أبا مسلم ضربةً خفيفة ، فأخذ برجل المنصور فدفَعه برجلِه ، وضربَه شبيب بن واج على حبل عاتقِه ضربةً أسرعت فيه فقال : وانفساه ! ألا قوّة ؟ ألا مغيث ؟

فقال المنصور : أضربوا ابنَ اللخناء !

فاعتَوره القومُ بأسيافهم . وأمرَ به فلُفَّ في مسحٍ أو عباءةٍ وصُيِّر ناحيةً .

وكان الطعامُ قد وُضِع للحرَس وقتَ دخول أبي مسلم فكانوا قد شغلوا به فلم يعلم أحد منهم بمَقتَله .

ووافى عيسى بن موسى الباب فاستؤذن له ، فقال المنصور : « أدخلوه ! » فلماّ وقف بين يديه قال : يا أميرَ المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟

قال : هٰهنا آنفاً .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد عرفتَ طاعتَه ومناصحتَه ورأي الإمام – كان – فيه .

فقال : اسكت يا ابن اللخناء ، يا ابنَ الشاة ! – وكانت أمّ عيسى تُوُفّيت وهو صغير أو مرضت ، فأُرضعَ لبنَ شاةٍ – فوالله ما كان في الأرض عدوّ أعدى لك منه ! ها هو ذا في البساط ! والله ما تمّ سلطانك إلّا اليوم !

ودخل إسماعيل بن عليّ وهو لا يعلم بقتل أبي مسلم ، فقال : إنّي رأيتُ يا أميرَ المؤمنين في ليلتي هٰذه كأنّك قتلتَ أبا مسلم ، وكأنّي وطِئتُه برجلي .

فقال : قم فصدِّق رؤياك ! فها هو في البساط .

فقام فوطئه ، ثمّ رجع ورمى بخفّه وقال : « لا ألبس خفًّا وطئتُ به مشركا ! » فأُتي بخفٍّ فلبسه . ثمّ أنشد المنصور [طويل] :

وما العجز إلّا أن تؤامر عاجزاً   وما الفتك إلا أن تهمَّ فتفعلا

وقال أبو دلامة [طويل] :

أبا مسلم ما غيَّرَ الله نعمةً على عبده حتى يغيِّرها العبدُ
أفي دولة المنصور حاولتَ غدرَه ألا إنّ أهلَ الغدرِ آباؤُك الكُردُ
فلا يقطَعِ اللهُ اليمينَ التي بها علاك صقيلُ الشفرَتين له حدّ
فمَا كان إلّا الموتُ في غمدِ سيفِهِ وما خلت أنَّ الموتَ يضبطُه غِمدُ / [95ب]
5 أبا مسلمٍ ، خوَّفْتني القتلَ فأنتَحَى عليك بما خوّفْتَني الأسدُ الوَردُ
فأصبحتُ في أهلي وأصبحتَ ثاويًا بحيث تَلاقى في ذرى دجلةَ المَدُّ[1]

وقيل : لمّا قتل أبا مسلم عثمانُ بنُ نهيك وشبيب بن واج وأبو حنيفة ورجلان من الحرس ضربوه بأسيافهم فلم يمُت فذُبح ذبحًا وجرّ برجله فألقِي في دجلة . وكان يومئذ ٱبنَ ثمانٍ وثلاثين سنة .

وقيل : حمل أبو حنيفة جيفته في صندوق حتى توسّط به دجلة ثمّ ألقاه .

وسار أبو جعفر بعد ذلك بثلاث إلى الحيرة . وتمثّل بعد قتل أبي مسلم ببيت الشمّاخ [طويل] :

وما إن شفى نفسا كأمر صريمةٍ إذا حاجة في النفس طال ٱعتراضُها

وقال بشار بن برد [طويل] :

أبا مسلم ما طيب عيش بدائم وما سالم عمّا قليل بسالِمِ
كأنّك لم تسمع بقتل متوّجٍ عزيز ، ولم تعلَم بفتكِ الأعاجم
لحا الله قوماً شرّفوك عليهم فقد كنتَ مشروفًا خبيثَ المطاعم

وكان المنصور يقول : أخطأت ثلاث مرّاتٍ وقاني الله شرّها : قتلت أبا مسلم ، وحولي من يُقدِّم طاعتَه على طاعتي . فلو وثبوا وأنا في خرْق لذهبت ضياعاً . وخرجتُ يوم الر [ا] ونديّة ، ولو أصابني سهم غربٌ لذهبت ضياعاً .

---

(1) الأبيات في الأغاني 10 / 247 .

وخرجتُ إلى الشام ، ولو آختلف بالعراق سفيان ، ذهَبت الخلافةُ ضياعاً .

وأمر المنصور حين قتل أبا مسلم بوضع الإعطاء في الناس فجعلوا يأخذون ويبايعون ويلعنون أبا مسلم . وقال أبو دلامة أيضاً [طويل] :

أبو مسلم عبد لعيسى بن معقل أخي دلف لا قول من يتكذّب
حمدت إلاهي حين قتل عدوّكم أبو مجرم أمسى على الوجه يُسحبُ
فإنّ يك عبداً ذاق حتفاً بجُرمه فقد صادفَ المقدار ، والحَين يُجلبُ
بكت عينُ من يبكيه ميتًا ، ولا رأى من الله رَوْحا من له يتعصّب

وقال أبو عطاء السندي [سريع] :

زعمتَ أنّ الدَّين لا يقتضى فاَستوفِ بالكيل أبا مجرم
سُقِيتَ كأساً كنتَ تسقي بها أمرّ في الحلقِ من العَلقَم

ولمّا قتل المنصور أبا مسلم دعا بجعفر بن حنظلة البهراني فأراه [إيّاه] مقتولا فقال : وفّقك الله يا أميرَ المؤمنين ، وسدّدك . عدّ خلافتَك منذ اليوم !

[96 أ] وكتب المنصور إلى / أبي نصر مالك بن الهيثم [1] وكان أبو مسلم خلّفه في ثقله بحلوان وهو يرى أنّه يرجع إلى خراسان ، كتابا على لسان أبي مسلم في القدوم بثقله وما خلّف معه ، وختمَ الكتاب بالخاتَم الذي أخذه من أصبع أبي مسلم . وكانت بينهُما علامة فلم يعرفها فيكتب بها[2] . فآمتنع أبو نصر من القدوم . فكتب المنصور إلى عامله بهمذان [3] بمَنعِه من النفوذ ، فَأخذَه وحبَسَه في القصر ، وقال لمن معه : والله لا يتحرّك متحرِّك إلّا رميتُ إليكم برأسه !

ثمّ حمله إلى المنصور فعفا عنه . فلمّا كان يوم الر [ا]ونديّة قام على الباب فذبّ وأبلى فرضيَ عنه وصارت له مكانةٌ عنده ، وولّاه الموصل .

---

(1) في العيون ، طبعة ليدن ، 221 : وكان ابن الهيثم لأبي مسلم كالوزير .

(2) التعبير غامض ، وعند الطبريّ ، 7/ 493 (طبعة أبو الفضل) : . . . علِمَ [مالك] أنّ أبا مسلم لم يكتب الكتاب . . .

(3) وهو زهير بن التركيّ (الكامل 4 / 355) .

وقال الحرمازي : آستشار المنصور إسحاق بن مسلم العقيلي أو سلم بن قتيبة في أمر أبي مسلم فقال: « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا » (الأنبياء ، 22) .

وقال سلّام الأبرش : أرق المنصور ذات ليلةٍ فقال للربيع : مَن في الدار من الصحابة فأدخِله ، إلّا أن يكون عبد الله بن عيّاش فإنّه سائل مُلحِفٌ !

فنظر فلم يجد في الدار غيرَه ، فقال : « أدخِلْه ! » وتقدّم إليه في ترك مسئلت[ـه] شيئًا . فضمِن له أن لا يسأل ليلتَه شيئًا . فلمّا دخل أقبل يحدّث بأمر السواد وفتوحه ، وما كان يرتفع من جبايتِه . ثمّ قال : فطول السواد يا أمير المؤمنين كذا ، وعرضُه كذا ، والله ما لعبدك منه شبر في شبر !

فضحك المنصور وقال : قد أقطعتُك غلّة ثلاثين ألفَ درهم من حيث تختار من السواد .

وقال الربيع : جلس المنصور يومًا بالنجف بالكوفة يشرف على الخورنق وظهر الكوفة ، فقال : يا ربيع ، ابغني رجلاً يحدّثني !

فقلت : يا أمير المؤمنين ، بالباب عبد الله بن الربيع بن الحارث وأنت تحبّ حديثه . .

فقال : نعم ، لولا كثرةُ سؤاله الحوائج .

فقلت : أنا أقطعُ عنك حوائجَه في هٰذا اليوم .

فخرجت إليه فآشتريتُ منه مسألتَه الحوائج بِمائتي دينار . فلمّا دخل ورأى طيب نفس المنصور جعل يعرّض بالسخاء وينشد شعر حاتم الطائيّ . فقال : يا ربيع ، لا تفِ له فإنّه لم يف لك ! كفى بالتعريض مسألةً !

وقال : أنشدني قول كثيِّر : « إذا المال لم يوجب عليك ... » فأنشده [طويل] :

إذا المالُ لم يوجب عليك عطاءَه صنيعةُ تقوى أو صديقٌ تخالقه / [96ب]

منعت و بعض المنع حزم وقوّة ولم يفتلذك المالَ إلّا حقائقه [1]

فكان عبد الله بن الربيع يقول : خرجت من عند المنصور وأنا أحبّ الناس إليه .

وقال المدائني : دخل المنصور المدينة ، فقال للربيع : « ٱبغني رجلا يسايرني ويحدّثني » . فأتاه برجل ظريف كان منقطعا إليه . فقال له المنصور : من أنت ؟ وأين منزلك ؟

فقال : ما لي منزل ، وإنّي لمغمور النسب لا تَبْلُغني معرفتُك .

وحدّثه فٱستظرفه وأمر له بخمسة آلاف درهم . فلمّا ٱنصرف قال للربيع : تنجز لي صلتي بأبي أنت وأمّي !

فقال له الربيع : هيهات ! ٱحتل لنفسك !

فلمّا ركب المنصور من الغد دعا به فحدّثه ثمّ أنشده قصيدة الأحوص [كامل] :

يا بيتَ عاتكةَ التي أتغزّل حذر العِدى ، و به الفؤاد موَكّلُ

حتى ٱنتهى إلى قوله :

وأراك تفعل ما تقول و بعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل

قال المنصور : وأبيك لقد ٱقتضيت فأحسنت ولطفت . يا ربيع ، يُعطى جائزتَهُ !

[حجّاب المنصور]

وكان عيسى بن روضة – وهي أمّه ، وأبوه نجح – عبدًا لآل طلحة ، فرآه المنصور بالكوفة في حلقة المسجد قبل خلافة السفّاح فقال : لئن ملكنا

(1) ديوان كُثيّر ، 309 وفيه : صنيعة قربى .

لنشترينَّهُ ، فإنّي لم أر ألسنَ ولا أظرف منه مع عقل كامل .

فلمّا ولي السفّاح سأله أن يشتريه فآشتراه بِمائة ألفِ درهم ، فكان حاجب المنصور حتى ظهر منه على تشيّع فعزله عن حجابتِه . وكان مع عيسى بن روضة مرزوق أبو الخصيب مولاه أيضاً . فلمّا نحّى آبن روضة صَيَّرَ أبا الخصيب مكانه . وكان الربيع مع أبي الخصيب . فلمّا مات أبو الخصيب صار الربيع مكانه . وكان من خبر الربيع أنّ يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة وقع على جارية لجدّته فآشتملت منه على الربيع . ولمّا ولدتْه جحده يونس فباعته جدّتُه لمّا شبّ ، فآشتراه زياد بن عبيد الله الحارثيّ خال أبي العبّاس السفّاح في خمسين غلاماً بالمَدينة ، وهو عامل المنصور عليها ، وأهداهم إليه ، وقيل : بل أهداهم إلى أبي العبّاس . ثمّ صار الربيع إلى المنصور فصيّره مع أبي الخصيب ، ثمّ ضمّه إلى ياسر صاحب وضوءِه ، والربيعُ يومئذ آبن ثماني عشرةَ سنةً . وحجّ المنصور في تلك السنة ، وكان ياسر إذا وضع المنصور /الماء عند نزوله لحاجتِه لم يرم حتى [97 أ] يفرغ المنصور من الاستنجاء . فآعتلّ ياسر فصيَّرَ الربيعَ يقوم مقامه في الخدمة ، فكان إذا وضع الماء للمنصور تنحّى عنه ، فإذا تحرّك صار إلى الإبريق فأخذه . فقال له : « ويحك يا غلام ، ما أكيَسَك وأخفَّك على قلبي ! » وسأله عن سنِّهِ فزاد فيها ليَتَكبَّر بذلك ، فأعجبه ما رأى منه .

ورأى المنصور في طريقه كتابا على حائط فقرأه فإذا هو [طويل] :

وما ليَ لا أبكي وأنشد ناقتي إذا صدر الرعيانُ عن كلّ منهِلِ

وفي أسفله : آه ! آه ! فجعل المنصور يردّد نظره في ذلك فينكره . فقال الربيع : إن أذن لي أمير المؤمنين تكلّمتُ .

فقال : تكلّمْ !

قال : أتبع البيتَ تأوُّهًا وحكايةً للبكاء .

فأعجبَه ما رأى من فطنته فقال : « قاتلك الله ! » وأعتقه وصيّره مكان

ياسر . ثمّ رأى تقليده أمر حجابته فكان مع أبي الخصيب . فلمّا مات صيّره مكانَه . فدخل بعض الهاشميّين على المنصور يوما فذكر أباه فترحّم عليه . فقال له الربيع : مَهْ ! أتترحّمُ على أبيك وأنت تخاطب أميرَ المؤمنين ؟

فقال : إنّك لو عرفتَ حلاوةَ الآباء ومواقعَهم من القلوب لم تُنكِر عليَّ ما قلت !

وأمر المنصور رجلا ولّاه عملا بالقصد فقال : عليك بالقصدِ والسداد فإنّه كان يقالُ : الظمأُ الفادحُ خيرٌ من الريّ الفاضح !

نوادر أبي دلامة مع المنصور

ومرّ المنصور في بعض السكك وكانت مضيَّقةً بالبناء فأمر بهدم ما ضيّقت به من ذلك البناء وبلغ الهدمُ دار أبي دلامة ، فدخل على المنصور وأنشدَه [خفيف] :

يا ٱبن عمّ النبيّ زارك زَورٌ ... قد دَنَا هدمُ داره و بوارُه
فهو كالماخضِ التي اعتادها الطّلْـ ... ـقُ فَقَرَّتْ وما يقرّ قراره
كيف يخشى البوار شاعر قوم ... هرمت في مديحهم أشعارُه ؟
لكمُ الأرض كلّها فأعيروا ... عبدَكم ما ٱحتوى عليه جداره

وأمر المنصور الربيعَ أن يحضِرَ أبا دلامةَ القصرَ ويأخذه بصلاةِ الظهر والعصر والمغرب . فأنشأ يقول [طويل] :

ألم تريا أنّ الإمام ألزّني ... بمَسجدِه والقصر ، ما لي وللقصر؟
يكلّفني الأُولى جميعا وعصرَها ... فويلي من الأولى ، وويلي من العصر!
[97ب] لقد كان في أهلي مساجد جمَّةٌ ... ولكنّ هٰذا الأمر قدرٌ من القَدْرِ/
و يحبسني عن مجلسٍ أستلذّه ... وأُكرَمُ فيه بالسماع و بالخمرِ

وماذا عليه ، أرشد اللهُ أمرَه ، لوَآنّ خطايا العالَمين على ظهرِي ؟ [1] 5

فقال : صدق لعنه الله ! دعوه !

وماتت ٱبنة [2] للمنصور فرأى أبا دلامة عند قبرها ، فقال له : ما أعددَت لهٰذا المضجع ؟

قال : التي حفر لها يا أميرَ المؤمنين .

فقال : ويلك ، هلّا قلت كما قال الفرزدق حين سأله الحسن البصري ورآه عند قبر النوار ٱمرأتِه عن مثل ما سألتُك فقال : شهادة أن لا إلاه إلّا الله مذ ثمانون سنة ؟

فقال أبو دلامة : إنّا لا نحبّ المُعادَ من الكلام !

ودخل عليه أبو دلامة فأنشدَه [بسيط] :

لو كان يقعد فوقَ الشمس من كرم قومٌ لقيل : ٱقعدوا يا آل عبّاس
ثمّ ٱرتقُوا في شعاع الشمس كلّكم إلى السماء ، فأنتم أكرم الناس

فقال المنصور : لقد غدا بك أمر .

قال : نعم ! ولدت لي البارحة ٱبنة وقد قلت فيها [وافر] :

وما ولدَتك مريمُ أمّ عيسى ولم يكفُلك لقمانُ الحكيمُ
ولكن قد تضمّك أمّ سوء إلى لَبّاتِها وأبٌ لئيم

فتبسّم المنصور وأمر له بأربعة آلاف درهم .

وأنشده أبو دلامة يوماً قوله [بسيط] [3] :

---

(1) الأغاني ، 10 / 259 ، وفي البيت الأوّل : ألم تعلمَا أنّ الإمامَ ...
(2) في الأغاني 10 / 273 : ابنة عمّه .
(3) طبقات ابن المعتزّ ، 62 .

قالت : تَبَغَّ لنا نخلاً ومزدرعاً كمَا لجيراننا نَخلٌ ومزدرع
خادِع خلِيفتَنَا عن ذاك في لطفٍ إنّ الخليفةَ للسُّؤالِ ينخدِعُ

فقال : يا عبدَ الملك بن حميد ، أقطِعه ألفَ جريب نصفُها عامرٌ ونصفُها غامر .

فقال : بأبي أنت ! وما الغامر ؟

قال : الذي لا يناله الماء إلّا بالكلفة والنفقة .

قال أبو دلامة : فإنّي قد أقطعتُ عبد الملك بن حميد باديةَ بني أسد وصحراء برتقيا وصحراء أنقف !

فضحك المنصور وأمر أن تجعل له الألف الجريب عامرة كلّها . فقال : جعلني الله يا أمير المؤمنين فداك ! آئذن لي في تقبيل رجلك !

فقال : لست أفعل .

فقال : والله أصلحك الله ، ما منعت عيالي شيئا أهون عليهم من هٰذا ![1].

وأشار أبو عبيد الله الكاتب على المهديّ بنزول الرافقة[2] وأراد أن يبعده من المنصور . فكتب أبو دلامة [بسيط] :

إنّ الخليفة والمهديَّ إن نأيَا فنحن في حيث لا ماءٌ ولا شجرُ
ولا نهارٌ ولا ليلٌ يطيبُ لنا ولا يضيءُ لنا شمسٌ ولا قمر
الله يعلم أنّي ناصحٌ لكمُ فيمَا أقولُ وأنّي حَيَّةٌ ذكرُ
أرى وأسمع ما لا تسمعان به من الحسود وفي في الحاسدِ الحجرُ

فردّ المهديّ إليه ولم يأذن له في نزول الرافقة .

(1) النادرة في العقد ، 2 / 128 ، وهي مع المهديّ لا المنصور .
(2) الرافقة قرب الرّقّة ، بناها المنصور سنة 155 (ياقوت) .

وكان المنصور يقول : ما شيءٌ أخلب لقلب من كلام يُصاب به موضعُه .

وقال يوماً لأبن عيّاش المنتوف[1] : لو تركتَ لِحيتَك لطالت . أما ترى عبد الله بن الربيع ما أحسنه ؟

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أنا أحسن منه .

فقال ابن الربيع : أما ترى هٰذا الشيخ ، يا أمير المؤمنين ، ما أكذبَه ؟

فقال ٱبن عيّاش : يا أميرَ المؤمنين ، مُرْ أن تجزّ لحيتُه ويُقام إلى جانبي حتى تنظر أيّنا أحسن .

وقال المنصور للأعلم الهمداني : ما مالك ؟

قال : ما أكفّ به وجهي ولا أعود بفضله على صديق .

فقال : « لقد لطفت في المسألة » . وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وقال لسفيان بن معاوية : ما أسرع الناسَ إلى قومك !

فقال : يا أمير المؤمنين [بسيط] :

إنّ العرانين تلقاها محسَّدَةً ولن ترى للئام الناس حُسَّادًا

قال : صدقت .

مقتل ٱبن المقفّع بسبب العهد الموثّق

وكان عبد الله بن المقفّع يكتب لبني علي بن عبد الله بن عبّاس . فأمروه أن يكتب لعبد الله بن عليّ أمانا حين أجابهم المنصور إلى أمانه ، فكان فيه : « فإن عبد الله أمير المؤمنين لم يفِ بِمَا جعل لعبد الله بن عليّ ، فقد خلع نفسَه ،

---

(1) المنتوف : من رواة الأخبار ، يروي عنه الهيثم بن عديّ ، وسمّي المنتوف لأنّه كان ينتف لحيتَه (المعارف ، 539 . كتاب التاج ، 60 – لسان الميزان ، 3 / 322) .

والناسُ في حلٍّ وسعة من نقضِ بَيْعَتِهِ » . فأنكرَ المنصور ذلك وأكبَرَه وآشتدّ له غيظه على آبن المقفَع . وكتب إلى سفيان ين معاوية عامله على البصرة أن أكفِني آبن المقفّع ! وكان سفيان أشدّ الناس بغضاً لآبن المقفّع . فجاءه يومًا في حاجة لعيسى بن عليّ فقتله شرّ قتلة سرًّا . فشكا بنو عليّ بن عبد الله سفيان فأمر المنصور بحمله فحُمِل . وجاء عيسى بن عليّ بقوم يشهدون أنّ آبن المقفّع دخل دار سفيان فلم يخرج وصُرفَت دوابّه ، وغلمانُه يصرخون وينعَونه . وجاء بآخرين يثبتون الشهادة على قتله . فقال لهم المنصور : أرأيتم إن أخرجتُ آبنَ المقفع إليكم ، ماذا تقولون ؟ — فآنكسروا عن الشهادة ، وكفّ عيسى بن علي عن الطلب بدم آبن المقفّع .

ومّما عُدَّ من دهاءِ المنصور أنّه لمّا وجّه جيشَه إلى محمد بن عبد الله بن الحسن [1] بلغه أنّه يريد اليمَن . فأمر كبار قوّاده الذين في الجيش أن يكتبوا إلى محمّد فيعلموه أنّهم إذا صاروا / إلى المدينة فواقعوه انقلبوا إليه . فأقام محمد طمعا في ذلك . فلمّا لقُوه كانت إياها . [98ب]

مقتل سديف بن ميمون الشاعر

وكان سديف بن ميمون مولى آل أبي لهب مائلاً إلى المنصور . فلمّا آستخلف وصله بألف دينار ، فدفعها إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن تقويةً له . فلمّا قتل محمد صار مع أخيه إبراهيم بالبصرة حتى إذا قُتل إبراهيم أتى المدينة فآستخفى بها . فأمّنه عبد الصمد بن عليّ . وقدم المنصور المدينة فأخذ عبدِ الصمد بإحضار سديف حتى جاء به فجعله المنصور في جوالق ثمّ خبّط عليه ، وضرب بالخشب حتى كسر ، ثمّ رُميَ في بئر وبه رمق حتى مات . وقيل غير ذلك .

---

(1) هو المعروف بالنفس الزكيّة .

وكان أحبّ الطيب إلى المنصور المسك فكان يُبتاع له منه في كلّ سنة آثنا عشر ألفَ مثقال من غلّة ضياعه فيستعمل منه في كلّ يوم عشرين مثقالا ينفخ منها في ثيابه ويغيّر شيبه ويَمسح جسدَه ، ويصرِف باقيَ المسك فيمَا يهَبُه .

وقال المنصور : ما رأيتُ آبنَ هرمة قطّ فذكرتُ أبياتَه في عبد الواحد بن سليان بن عبد الملك [1] إلّا هممتُ بأن آسِرَهُ . والأبيات [متقارب] :

إذا قيل : مَن خير مَن يُرتجى ... لـمُعتـرّ فِـهـرٍ ومحتـاجـها
ومَن يُعجلُ الخيل عنْد اللقا ... بـإلجامـهـا قـبـل إسراجها
أشادت نساء بني مالك ... إليك به قبلَ أزواجها

فقال عيسى بن عليّ : يا أميرَ المؤمنين ، فهو الذي يقول فيك [طويل] :

كريم له وجهان : وجه لدى الرضى ... أسيل ، ووجهٌ في الكريهةِ باسل
له لحظات عن حفافي سريرةٍ ... إذا كرّها فيها عقاب ونائل
يقاتل عنه الناسَ مجلود رأيِه ... على الحقّ ، والرأي الجليد مقاتل

آبن هَرمة والرخصة في الخمر

ومدح إبراهيم بن علي بن هرمة المنصور فأعطاه عشرة آلاف درهم فآستقلّها وقال : لي حاجة يا أميرَ المؤمنين ، فإنْ قضيتَها كنت قد كافأتني .

قال : وما هي ؟

قال : تأذن لي في شرب النبيذ بالمدينة فإنَّ بي هٰذه الأرواح وألمًا يضرّني .

فقال : وكيف أفعل ذلك ، وأنت تعرِف كراهةَ أهل الحجاز للشرب ؟

فقال : آحتل لي يا أمير المؤمنين .

---

(1) ولي المدينة من 127 إلى 130 . والأبيات في ديوان آبن هرمة ، 16 .

[99 أ] فأمر الوالي هناك أنّ من أتاه بآبن هرمة وهو سكران ضربه مائةً وضرب / ابن هرمة ثمانين . فكان الشرطيّ يراه بالمدينة سكران فيقول : مَن يشتري الثمانين بالمائة ؟ ويدعه . وفي رواية : لم يجبه المنصور إلى الإذن له في شرب النبيذ ، ولكنّ بعض عمّال المدينة كان أمر فيه بهٰذا .

ووعظ سوّار المنصور فوصله ، فأبى قبولَ صلتِه . فقيل له في ذلك فقال : كرهتُ أن أكون مثلَ سعيد بن الفضيل : وعظ هشاما ثمّ سأله فأعطاه فقال هشام : إلى هٰذا أجرى الحديث !

بعض الخارجين على المنصور

وكان أبو مسلم قد استخلف على خراسان حين سار للحجّ أبا داود خالد بن إبراهيم الذهليّ . فلمّا مات أبو العبّاس السفّاح بايع أبو داود لأبي جعفر المنصور بغير أمر أبي مسلم ، ولم يكتب إليه بالبيعة إلّا بعد حين خوفاً منه . فلمّا قُتل أبو مسلم وأتاه البريد بقتله أنكر قتلَه وذكر المنصور ذكراً قبيحاً ونسبَه إلى الغَدر . وكتب المنصور إليه يأمرهُ بغزو ما وراء النهر . ثمّ كتب إليه في القدوم عليه ، ووجّه بكتابه إليه رسولا مفردًا فقال : « ما يقدمني عليه إلّا لمسألتي عن أموٰر أبي مسلم وأمواله ، ثمّ قتلي بعد ذلك » . ثمّ قام يفرقع أصابعه ويرقص ويقول : « يا أبا جعفر ، غُرَّ غيري ! » والرسول يراه . فرجع إلى المنصور فأخبره بِمَا عاين ولم يجب المنصورَ على كتابه . فكتب المنصور إلى أبي عصام عبد الرحمان بن سليم ، مولى عبد الله بن عامر بن كريز : إن قتلتَ أبا داود ، فأنتَ أمير خراسان !

[99ب] فخرج أبو عصام إلى كُشْمَاهَن / وقد دسّ إلى أهلها من هيّجهم ليخرج أبو داود فيفتك به . وسمع أبو داود الضجّة فصعد لينظر فمشى على جناح داره . وكان ضعيف البصر فسقط على وتِد ، فقالت آمرأته : مَن ذا ؟

فقال : أنا أبو داود قد نزل بي ما يريد أبو جعفر .

وآحتمل فمات ودفن ، وذلك في سنة تسع وثلاثين ومائة . وكتب أبو عصام بِمَوته إلى المنصور . وآجتمع الناس إلى أبي عصام فبايعوا للمنصور وأخذ البيعة له عليهم . ولم يلبث إلّا قليلاً – قيل : أربعين يوماً – حتى ورد عبد الجبّار آبن عبد الرحمان الأزديّ على أربع من دوّاب البريد . وكان على شرط السفّاح ثمّ على شرط المنصور وقال له : قد ولّيتُك خراسان ، فأطع اللهَ في معصيتي ، ولا تُطعني في معصية الله ، ولِنْ للمحسن وكُنْ خشنًا للمسيء !

فسار إليها . وولّى المنصور الشرط بعدَه عمر بنَ عبد الرحمان أخاه ثمّ عزله وولّى موسى بن كعب التميميّ حتّى مات . ثمّ ولّى بعدَه المسيّب بن زهير الضبّيّ . فكان المسيّب يسعى في فساد حال عبد الجبّار عند المنصور ويوحشه منه ويغريه به . وكتب إلى عبد الجبّار أنّ المنصور قال ذاتَ يوم : « من ولي خراسان فأصلح أمر ثغورها وأحسنَ السيرةَ في أهلها ورزق جنودَها وكان في بيت ماله بعد ذلك عشرة آلاف ألف فهو الكامل » . فكتب عبد الجبّار إلى المنصور يعلمُه أنّ عندَه بعد سدّ الثغور وإعطاء المقاتلة عشرة آلاف ألف درهم . فكتب إليه المنصور في حملها . ولم تكن عنده وإنّمَا كذَبه . وألحّ عليه / فيها . فكتب يسأل الإذنَ له [100 أ] في إشخاص عياله إليه ، فلم يأذن له المنصور في ذلك . وكان يبلغه فسادُ قلبه عليه بِما يكيده به المسيّب عنده ويقول له فيه . فخلع وقال : « إنّ أبا جعفر دعاني إلى عبادتِه » . وأسرف في القول بعدما سار سيرةً حسنة ، ونظر في أمر الخراج وقوّى الدعوة . فلمّا خلع في سنة إحدى وأربعين ومائة دسّ إلى قوم من عمّال أبي داود وغيرهم ، ممّن كان مخالصا للعبّاسيّين فقتلهم . وصار إليه علج ينظر في النجوم فقال له : إنّك ستغلب على خراسان وغيرها وتنال ملكا عظيما .

فكتب رجل من عيون المنصور إليه : « إنّه قد نغِل [1] الأديمُ . فقال لأبي

---

(1) نغِل الجلد : فسد عنه الدبغ .

أيّوب الموريانِي كاتبِه ووزيره : ما تراه يقول ؟

قال : بخير أنّ عبد الجبّار على الخلع .

فقال : ما ترى ؟

قال : تكتب إليه أنّك تريد الغزوَ برجال خراسان ووجوه أهلها ، وتأمرهُ بتوجيههم إليك .

ففعل . فكتب إليه عبد الجبّار : إنّ التركَ قد جاشَت ، وخراسان محتاجة إلى رجالها .

فكتب إليه المنصور : إنِّي بخراسان أعنى منّي بغيرها . فإن أحببتَ أن يوجّه أمير المؤمنين إليك رجالا ممّن قِبَله فعل – وإنّمَا أراد أن يوجّه إليه من الجند من يلطف لأخذه .

فكتب : إنّ خراسان مجدبة ، فليتها تقوم بِمَن فيها من الرجال وتحملهم !

وأظهر الخلعَ ، وحضّ على طاعة آل أبي طالب . ووجّه إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ، وهو مستخفٍ ، يسأله أن يشخص إليه . فلم يفعل . فنصب رجلا قال إنّه إبراهيم بن عبد الله اسمُه يزيد ، ولبس البياض وأقام يزيد خطيبا في يوم جمعة فدعا على المنصور . ثمّ خطب ثانيا وذكر مَن قَتل المنصورُ من آل علي فبكى وأبكى الناسَ / فولّى المنصور ابنه محمد المهديّ [100ب] خراسان ، ووجّه معه خازم بن خزيمَة . فنزل الريّ ووجّه خازما إلى خراسان .

وخرج على عبد الجبّار الحسن بنُ حُمران مولى مطر بن وسّاج أخي بكير بن وسّاج ، ودعا للمَنصور وحضّ على التمسّك بطاعتِه والوفاء ببَيعتِه . ثمّ إنّه غيّر وبدّل فبعث إليه خازم من حاربه فقتَله وأتاه برأسه .

وخرج على عبد الجبّار أيضاً أبو جابر أشعث بن الأشعث الطائيّ وقتل عامل بخارى وأخذ الأموال .

وخرج أيضاً حرب بن زياد الطالقاني ، من العجم ، على عبد الجبّار وحاربه وقتل يزيدَ المدّعي أنّه إبراهيم . وٱنهزم عبد الجبّار حتّى بقي في خمسة نفر ، فقبض عليه الجنيد بن خالد بن هريم وحمله عريانا إلى خازم وهو بسَرَخْس ، فبعث به خازم مع نضلة بن نعيم بن خازم إلى المَهديّ وهو بنيسابور فوجّه به إلى المنصور . فلمّا أوقفَ بين يديه قال : ٱستبقِني يا أمير المؤمنين ، ولا تَذهبَنّ زلّتي بحسن بلائي وحرمتي وما كان منّي في هٰذه الدعوة .

فقال : « يا ٱبن اللخناء ، قتلت نظراء قحطبة وطبختَ أولياءنا طبخاً ! » وكانت له قدر عظيمة وكان أبو مسلم أصابها ، فكان يغلي فيها الدهن ثمّ يقيم الرجلَ من العبّاسيّة فيه حتى ينفسخ . ثمّ أمر به المنصور أن تُقطعَ يدُه ورجله ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قتلة كريمة !

فقال : يا ٱبن اللخناء ، تركتَها بخراسان !

فقتل وصلب بالكوفة ، ونُفِيت عياله إلى / دهلك فسبتهم الحبشة [101 أ] وباعتهم ، فٱشتراهم عبد الصمد بن علي أمير المدينة ، وبعث بهم إلى العراق . وقبض المنصور على عبد العزيز أخي عبد الجبّار وقتله ، وكان على البصرة ، وولّى عوضَه سوّار بن عبد الله بن قدامة العنبريّ . ثمّ ولّاها هزارمرد ، وهو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة ، وجعل سوّارًا على الصلاة والقضاء .

وقدم حرب ين زياد على المنصور في وجوه أهل خراسان ، فردّه إليها واليًا عليها فهمّ بالخلع وأطلق لسانَه بقول سيّىءٍ . فكتب المنصور إلى وجوه أهل خراسان في أمره ، فقُتل ببلخ .

وأحرم المنصور في سنة أربعين ومائة من الحِيرة وحجّ بالناس . ثمّ أتى المدينة ومضى إلى بيت المقدس زائراً . ثمّ انصرف منه في سنة إحدى وأربعين إلى الرقّة فقتل منصور بن جَعونة العامريّ ، ومضى إلى الكوفة .

وتوجّه في سنة ٱثنتين وأربعين إلى البصرة ، فولّى عمر بن حفص السند .

مواعظ عمرو بن عبيد للمنصور

ودعا بعمرو بن عبيد مولى بني تميم فوصله ، فلم يقبل صلتَه ، فقال له : بلغني أنّ محمد بن عبد الله بن حسن كتب إليك يدعوك إلى طاعتِه فأجبتَه ؟ وكان محمّد مستخفيا يبث دعاتَه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لو قلّدَتْني الأمّةُ اختيارَ إمام لها ما وجدتُه ، فكيف أجيب محمَّدًا وأبايعُه ؟ لقد كتب إليّ فمَا أجبتُه .

فقال : صدقت يا أبا عثمان وبررت .

فلمّا ولّى قال : مَن مثلك يا عمرو ؟

وقدم المهديّ من خراسان ، فبنى بامرأته ريطة بنت عمّه أبي العبّاس بالحيرة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين . وحجّ مع المنصور في هذه السنة ، فدعا المنصور عمرو بنَ عُبيد – وقد حجّ أيضاً – وأكرمَه ، وسأله أن يعِظَه ، فوعظه . وقضى عمرو حجّته وانصرف فمَات في طريقه في آخر السنة . فقال المنصور لمّا بلغه موتُه : يرحم الله عمرًا ! هيهات أن يُرى مثلُ عمرو !

وقال الهيثم بن عديّ : لمّا بايع المنصور للمهديّ ، كتب إلى عمرو بن عبيد كتابا لطيفا يستزيرُه فيه ، وكتب إلى عامله على البصرة في إشخاصه مكرَّمًا . فلمّا صار إليه بالكوفة ودخل عليه استدناه وقال : كيف كنت بعدي أبا عثمان ؟

فقال : أحمد الله وأذُمّ عملي .

فتغرغرت عينا المنصور . ثمّ قال له : عِظني يا أبا عثمان !

[101ب] /فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشترِ نفسَك منه ببعضها ، واعلَمْ أنّ الأمرَ الذي صار إليك ، لو بقي لمَن قبلَك ، لم يصل إليك . واعلم أنّك أوّل خليفة يموت فاحذر يا أميرَ المؤمنين ليلةً صبيحتُهَا القيامة ، ليلة يتمخض[. . .] الفزع الأكبر . إنّ اللهَ يقول : « ألمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

بعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ ؟ » (الفجر ، 6 – 7) إلى قوله : لبالمِرْصادِ » . ثمّ قال : هذا تخويف لمَن سلك جادّتهم واتّبَعَ آثارَهُم .

فبكى المنصور ونزل عن فرشه ثمّ سكن فقال : « يا أبا عثمان ، ناولني هٰذه الدواة ! » فأبى أن يناولَه ، فقال له : والله لتُناولِنّها !

فقال : والله ، لا ناولتُك إيّاها !

فقال له المهديّ ، وكان حاضرًا : يحلف عليك أمير المؤمنين ، فترادّه باليمين ؟

فقال : إنّ أمير المؤمنين أقدر على الكفّارة منّي . (ثمّ قال :) مَن هٰذا الفتى يا أميرَ المؤمنين ؟

فقال : هٰذا ابن أخيك ، هٰذا محمد المهديّ وليّ عهد المسلمين .

فقال : أرى شبابا وجمالا ونشاطا . وقد رشّحته لأمر يصير اليه إن صار ، وأنت عنه في شغل ، وقد وطّأتَ له الدنيا وأنت منتقل عنها إلى الآخرة . فهناك الحساب ! إنّ الله جعلك فوقَ كلّ أحد فلا ترضَ أن يكونَ فوقَك في طاعته أحدٌ !

ثمّ سكت عمرو . فقال المنصور : سلني حوائجك .

فقال : حاجتي ألّا تبعثَ إليّ حتّى أجيئك ولا تعطيني شَيئًا حتى أسألك .

ثمّ نفض ثوبه وقام . فأتبعه المنصور بصرَه وقال : شُغِل والله الرجل بِمَا هو فيه عمّا نحنُ فيه .

وقال :

كلّهم طالب صيد وهو ذو مشي رويد غيرَ عمرو بن عبيد

ودخل عمرو بن عبيد مرّة على المنصور ، وعليه طيلسان مخرّق ، فأخذ المنصور طيلسانا كان عليه طبريًّا فألقاه فوق ظهره ، وقال له : « عظني ! »

فوعظه حتى بكى . ثمّ قال له : سلني حوائجك .

قال : أوّلها أن تأمرَ برفع الطيلسان عنّي . وألّا تُعطيني شيئًا حتّى أسألك . ولا تبعث إليّ حتى أجيئك ، فإنّه إن جمعني وإيّاك بلدٌ صرتُ إليك فيه .

ثمّ مضى .

وعن أبي زيد الأنصاري قال : مشى شبيب بن شبيبة ونفرٌ معه إلى عمرو ٱبن عبيد فقالوا : يا أبا عثمان ، إنّ أمير المؤمنين المنصور قدِم ، ولا نراه قدم إلّا لمَكانك لينظر فيمَا بلغه من كتاب محمد إليك ، فتنحّ !

فأطرق ، ثمّ قال : لا يكون والله ذاك حتى أقوم بِمَا يجب لله عليّ .

فقال المنصور لعمرو : أبايعتَ محمد بن عبد الله ؟

فقال : لو قلّدْتني الأمّة أن أختار لها رجلا ما وجدتُه . فكيف أبايع محمّدًا ؟

وكتب المنصور إلى عمرو كتابا على لسان محمد . فلمّا قرأه خرّقه . فطلب [102 أ] الرسول / الجواب فلم يجبه ، فألحّ الرسول عليه فقال : دعونا نشرب الماء البارد وننتقل في هٰذا الظلّ إلى أن يأتي الموت !

فقال المنصور : هٰذا ثغر قد أمِنّاه .

وقال الربيع : دخل عمرو بن عبيد على المنصور . فدخل رجلٌ حسن الأدب كأنّما لم يزل مع الملوك . فأجلسَه المنصور إلى جانبه ، فأبى أن يجلس إلّا بين يديه . ثمّ قال له : إنّ الله واقِفُك وسائلُك عن مثاقيل الذرّ من الخير والشرّ ، وإنّ أمّة محمد خصماؤك يومَ القيامة ، وإنّك لا ترضى نفسك إلّا بأن يعدل عليك ، وإنّ الله لا يرضى منك إلّا بالعدل على رعيّتك . يا أمير المؤمنين ، إنّ على بابك نيرانا تأجّج من الجَور .

فبكى المنصور ونشج . فقال سليمان بن مجالد : يا عمرو ، قد شققتَ على أمير المؤمنين !

فقال عمرو : ويحك ! إنّ أمير المؤمنين ميّت ومخلٍ ما في يديه من هٰذه الدنيا ومرتهَن بعمله . وأنت غدًا جيفة بالعراء لا تُغني عنه شيئًا ، ولقُرب هٰذا الجدار منه خير له من قربك . يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هؤلاء آتخذوك سلّماً إلى درك إرادتهم وصفاء دنياهم لهم وكلّهم يوقد عليك .

قال : فكيف أصنع يا أبا عثمان ؟ آدعُ إليّ أصحابك أستعمِلْهم !

قال : آدعهم انتَ وآطرد هؤلاء الشياطين عن بابك ! فإنّ أهل الدين لا يأتون بابَك ، وهؤلاء يحيطون بك ، لأنّهم إن بايَنُوهم فلم يعملوا بأهوائهم أرّشُوك بهم وحملوك عليهم . والله لئن رآك عمّالُك لا تقبل منهم إلّا العدل لَيتقرَّبَنَّ إليك به مَن لا نيّة له فيه !

وعن أبي زيد قال : قدم المنصور البصرة قبلَ الخلافة . فقال عمرو بن عبيد لبحر بن كُنيز السقّاء : قد قدم هٰذا الرجل ، وكان لنا زوّاراً إذا / قدم بلدنا ، [102ب] فآمض بنا إليه !

فأتياه . فلمّا وقفا ببابه نادى عمرو : « يا جارية ! » فأجابته جارية ، فقال : قولي لأبي جعفر : « أبو الفضل وأبو عثمان » . فأذن لهما فدخلا عليه فإذا هو على مصلّى مخلق دارس ، وإذا بين يديه طبَق عليه قصعة فيها مرقٌ لا لحمَ فيه . فقال : يا جارية ، أعندكِ شيءٌ تزيديناه ؟

قالت : لا .

قال : فعندك درهم يُشترى به فاكهة لأبي عثمان ؟

قالت : لا .

قال : آرفعي ! « عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » (الأعراف ، 129) .

وعن أبي عبيدة : قال المنصور لعمرو بن عبيد : أكاتبتَ عبد الله بن حسن

ٱبن حسن ؟

فقال : جاءني كتاب يشبه أن يكونَ كتابَه فأجبتُه بخلافِ ما أحبّ ، وأنت تعرفُ رأيي في الخروج .

قال : أفتُبرىءُ صدري بيمين ؟

قال : وما تصنع باليمين ؟ لئن كذَبتُ تقيّةً لأَستجيزنَّ أن أحلفَ لك تقيّةً .

وقال الربيع : دعا المنصور بعمرو بن عبيد . فلمّا ٱستأذنتُ له ، وكانت عليه جبّة وشي ، دعا بِمُبَطّنة مرويّة فلبسها ، ثمّ نزل عن فرشه . فقلت : يا نفس ، ما كنت أظنّ أبا جعفر يداري أحدًا !

وعن المدائني : كان المنصور يقول : النَدم على السكوت خيرٌ من الندم على الكلام .

نوبة الراونديّة

وعن الهيثم بن عديّ : إنّ قومًا من أصحاب أبي مسلم من أهل خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح فيزعمون أنّ روح آدم عليه السلام في عثمان بن نهيك . ويقولون : إنّ أمير المؤمنين يرزقنا ويُطعِمُنا ويَسْقِينا ، فهو ربُّنا ، وأنّه لو شاء أن تسير الجبالُ لسارت ، ولو أمَرنا أن نستَدْبر القِبلة / لأستدبرناها . وكانوا يطوفون [103 أ] حول قصر المنصور ويقولون قولا عظيما . فحبس المنصور منهم نحوًا من مائتين من رؤوسائهم ، فغضِب أصحابُهم . وكان المنصور أمر أن لا يجتمعوا ، فٱتّخذوا نعشا وأظهروا أنّ فيه ٱمرأة ميّتة ، ومَلَؤُوه سلاحاً ثمّ حملوه ومرّوا إلى باب السجن فأخرجوا أصحابهم وهم مائتانِ . وكانوا أربعمائة فتتامّوا ستّمائة وقصدوا القصر . فتنادى الناس وأغلقت أبواب المدينة . وخرج المنصور يمشي من القصر ، ولم يكن عنده دابّة . فمن ذلك اليوم ارتبطِ فرساً في القصر يكون معه ، وٱقتدى به الخلفاء والملوك وٱرتبطوا عندهم فَرَسا سُمّيَ « فرس النوبة » .

فلمّا برز المنصور أُتي بدابّة فركبها وقصد قصدَهم . فجاء معن بن زائدة الشَيباني حتى دنا منه ، ثمّ ترجّل وأخذ أسافل ثيابه فجعلها في منطقته وأخذ بلجام دابّة المنصور وقال : أنشدك الله إلّا رجعتَ ! فإنّك تُكفى إن شاء الله .

ونودي في أهل السوق والعامّة فرمَوهم بالحجارة وقاتلوهم . وفتح باب المدينة فدخل الناس ، وجاء خازم على فرس فحمل عليهم فكشفهم . وقاتل معن يومئذ قتالا لم يُر مثلُه ، فكان المنصور يقول : كنت أسمع أنّ رجلا يقاتل ألفًا فلم أصدّق حتى رأيتُ معنًا .

فقتلوا عن آخرهم ، وهم ستّمائة . ورمي عثمان بن نهيك بنشابة مرض منها فمات . فأقيم بدلَه على الحرس أبو العبّاس الطوسيّ .

وكان أمر الر [ا]ونديّة بالمَدينة الهاشميّة بالكوفة في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أو في سنة أربعين .

بلاءُ معن بن زائدة في خدمة المنصور

وجاء الربيع فأخذ بلجام دابّة المنصور . فقال له معن : تنحّ / يا بنيّ . [103ب] وليس هٰذا من أيّامك .

ولمّا صار المنصور إلى القصر دعا بالعشاء ، وأمسك يدَه حتّى أُتيَ بِمَعن . وأمر بعضَ أهل بيتِه فتزحزح له حتّى جلس مكانَه . فلمّا فرغوا من العشاء قال المنصور لعيسى بن عليّ : يا أبا العبّاس ، أسمعتَ بأسد الرجال ؟ هو والله معن ٱبن زائدة !

فقال معن : والله ما قوّى منّتي إلّا ما رأيتُ من شجاعتك . ولقد ورَدْتُ وَجِلَ القلب حتى أبصرتُك .

فقال : أخبرْهم عنّي بِمَا رأيت !

وقال المنصور لمعن : يا أبا الوليد ، لقد كبرت سنّك !

فقال : في طاعتك .

قال : وإنّ فيك لبقيّةً .

قال : هي لك .

قال : وإنّك لتتجلّد .

قال : على أعدائك .

قال : إنّي أُعدُّك لأمر جسيم .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله قد أعدّ لك منّي قلباً معقوداً بنصيحتِك ، ويداً مبسوطة بطاعتِك ، وسيفاً مشحوذاً على أعدائك .

وكان معن مع ٱبن هبيرة فٱستأمن هو وطارق بن قدامة . فلمّا قُتل ٱبن هبيرة كان معن بالكوفة قد وجّه ببشارة فتح واسط وصلح ابن هبيرة فأقدم في أهلِه فنجا . وقُتل طارق . ثمّ ظهر من مناصحة معن ما قُدّم به على جميع القوّاد ، فولّاه المنصور مصر ، ثمّ ولّاه اليمَن ، ثمّ ولّاه سجستان ، وبها هلك .

أوّل من ٱتّخذ الخيش المنصور

وأصاب عيسى بن عليّ في بعض اللّيالي حرّ شديد ، فبُلّ له إزارٌ ونام فيه . فلمّا أصبح قال له المنصور : يا عمّ ، كيف كنت في ليلتِك من هٰذا الحرّ ؟

فقال : بللتُ إزارًا ونمْتُ فيه فكنت بخير ونمْتُ أطيب نوم .

فقال : وأنا والله أمرت فبُلّ لي ثوب فنمْتُ فيه . ثمّ لم أزل أروّح .

[104 أ] ثمّ إنّ المنصور فكّر ، فأمر بكرابيس غلاظ / ثخان فبلّت وجُعلَت على ثلاثة أعواد ونام تحتها . ثمّ أخبر عيسى بن عليّ بمَا صنع فاتّخذ عيسى مثل ذلك . ثمّ قال عيسى : يا أميرَ المؤمنين ، لو ٱتّخذت قبّة ثمّ غشيت بمِثل هٰذه الكرابيس

المبلولة ، وجعلت طاقات ، كان ذلك أنفى للحرّ وأوسعَ في المبيت والمَقيل ؟

فقال المنصور : أوَ غير ذلك يا عمّ ؟ نعمد إلى هٰذا الخيش الذي يأتي فيه القند والأمتعة من مصر فيغسل وينظّف ثمّ يبلّ وتغشى به القبّة مخيطا عليها ، فإنّه أحبس لرطوبة الماء وأبطأ جفوفاً .

فأمر المنصور بذلك وتتبّع الخَيش فآشترى من التجّار ، وأمر فكتِب إلى مصر في آتّخاذ شقاق الخيش ووجّه في ذلك رسولا حمله . فكان المنصور أوّل من آتّخذ الخيش ، وآقتدى به الناس في آستعماله .

وكان المنصور لا يستصبح إلّا بالزيت في القناديل ، وربّما خرج إلى المسجد ومعه من يحمل سراجاً بين يديه . ثمّ إنّه حُمل بين يديه من الشّمْع ما فيه الرطلُ والمنّا[ن] . وكان إذا أراد قراءة الكتب أو كتابـ[ـتـ]ـها أحضر شمعةً في نور[1] ثمّ ترفع إذا فرغ .

وكان أبو أيّوب سليمان المورياني مولى بني سُليم قد آتصل بالمنصور قبل الخلافة وكتب له . فغلب على الأمر في خلافتِه ، ثمّ تنكّر له المنصور فنكبَه ونكب أخاه خالداً ، وكان على الأهواز ، ونكب آل أبي أيّوب وأسبابه . فمات أبو أيّوب في سجنه .

وخرج المنصور إلى الشام وآستخلف آبنه المهديّ على مدينة السلام ، وتقدّم إليه باستيداء[2] آل أبي أيّوب ، ثمّ كتب إليه بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم ففعل ذلك ، وأخذت أموالهم وكانت مائة ألف ألف درهم . وولّى المنصور الربيع الحاجب ديوان الرسائل عندما حبس أبا أيّوب وقلّده النفقات إلى ما كان يقوم به من الحجابة . ثمّ عزله عن الرسائل وصيّرها إلى أبان بن صدقة ، وأقرّ الربيع على النفقات مع الحجابة .

---

(1) النّور : الإناء الصغير .

(2) آستيداء : لعلّها من ودأ : أتعب وأهلك .

فِتن أخرى واجهَت المنصور

وكان سنفاذ لمّا قتل أبو مسلم بحلوان ، فحمل أموالاً كانت عنده ومضى يريد خراسان . فلمّا كان بالريّ منعه أبو عبدة عامل الريّ من النفوذ . وكان قد أمر أن لا يدع أحدًا من أصحاب أبي مسلم أن يجوزه . فهرب سنفاذ في الليل فأتّبعه أبو عبدة وقاتله فأنهزم ودخل القصر . فحصره سنفاذ وقتله وغلب على الريّ وعاد إلى المجوسيّة وقتل العرب . وكتب إلى ملك الديلم أنّه قد أنقضى ملك العرب فقدم عليه بدَيالِمَتِه وكانت لهم حروب مع المسلمين قُتل فيها كثير من المسلمين .

فوجّه إليه المنصور جهور بن مرّار العجليّ فقاتل سنفاد وهزمه وقتل من جُموعه ثلاثين ألفاً فقتل أصبَهْبَذْ طَبَرِسْتان / سنفاذ وقد صار إليه . ثمّ تنكّر [104 ب] المنصور لجهور وعزله عن الريّ . فخَلَع وكانت له مع أصحاب المنصور حروب آلت إلى قتله [1] .

وخرج في سنة سبع وثلاثين ومائة ملبّد بن حرملة بن معدان بن شيطان بن قيس بن حارثة أحد بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بالجزيرة ، وحكّم . فأتاه الخوارج وغلب على الموصل ، وقتل خلقا كثيرًا وهزم عدّة عساكر بعث بها إليه المنصور . فجدّ المنصور في أمره ووجّه لقتاله خازم بنَ خزيمَة فهزمه وقتل عامّة الخوارج . فقامت بعد ملبّد عدّة من الخوارج كانت لهم ولأصحاب المنصور حروب كثيرة .

تحويل ولاية العهد من عيسى بن موسى إلى المهديّ

وكان أبو العبّاس السفّاح لمّا عهد لأخيه أبي جعفر المنصور جعل عيسى بنَ موسى من بعد أبي جعفر . فلمّا قام أبو جعفر رشّح أبنَه محمد المهديّ للخلافة ،

(1) هٰذه الحوادث في تاريخ الطبريّ تحت سنة 137 .

فكان يُجلسه عن يساره ويُجلس عيسى بن موسى عن يمينه ويكرمُه ويُجلُّه . ثمّ كلّمَه في العقد للمهديّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، كيف بالأيْمان والعهود والمواثيق ؟ ولئن فعلتَ هٰذا ليكوننّ حجّةً لمَن ترك الوفاء وخاس بالعهد .

فقدَّم المهديَّ عليه وأجلسه عن يمينه . وصار إذا ركب تعرّض له الجند بِمَا يكره وأسمعوه الكلام وتنقّصوه . فشكا ذلك إلى المنصور فقال للمسيّب : تقدَّمْ إلى القوّاد والجند في أن يُمسِكوا عن ٱبن أخي ولا يؤذوه . فإنّه ثمرة قلبي وجلدة ما بين عينيّ .

ودعا بقوم من الحرس فشتَمهم فكفُّوا . وكتب إلى عيسى كتابا يذكر فيه ما قذف الله في قلوب أنصار الدعوة وأهل المشايعة على الحقّ وأشربها من محبّة المهدي ومودّته وتفضيله حتّى صاروا له صاغين ولأعناقهم مادّين لا يذكرون إلّا فضلَه ولا يعرفون إلّا حقَّه ولا ينوّهون إلّا بٱسمه . وأنّه لمّا رأى ذلك علم أنّه أمرٌ تولّاه الله له ليس للعباد فيه صنع . وأنّه لا بدّ من استِصْلَاحِهِمْ ومتابعتهم . ويعلمه أنّه يرى له إذا ٱجتمع الناسُ على ٱبن عمّه أن يكون أوّلَ مَن يبدر إلى البيعة له وأن يعرف له ما عرفوه ويؤمّل فيه ما أملوه .

فكتب جوابه يذكّره الوفاء ويُعلمُه أنّ كثيرًا من الناس قد نارعَتهُم أَهوَاؤُهم ودعتهُم أنفسُهم إلى مثل الذي همّ به في ولده ، فآثروا الله وحقّه ، وكرِهوا الغدرَ وعارَه وشرّ عواقبه في الدنيا والآخرة ، فأمسكوا عن ذلك وكرهوه .

فغضب المنصور وقرأه على القوّاد والجند / فعادوا لأشدّ ما كانوا عليه . [105 أ] وكانوا يأتون بابه فيَمنعون من أن يدخل إليه أحد . ويمشون حوله ويسيرون إذا ركب ويقولون : أنت البقَرة التي قال الله « فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » (البقرة ، 71) . فشكاهم إلى المنصور فقال : إنّ هؤلاء قوم قد غلب عليهم حبُّ هٰذا الفتى حتى سيط[1] بدمائهم وٱجتمعت عليه آراؤهم . وأنا والله يا ٱبنَ

(1) سيط : قراءة ظنّيّة .

أخي وحبيب قلبي أخافهم عليك وعلى نفسي . فلو قدّمتَه بين يديك حتى يكون بيني وبينك لكفُّوا ، وأنا لك ناصح وأنت أعلم .

ويقال إنّه دسَّ إليه شربة سمّ فأفلت منها .

ودخل سلم بن قتيبة عليه فقال له : أيّها الرجل ، بايع هٰذا الأمير وقدِّمْه ، فإنّك لن تخرج من الأمر ، وأرضِ عمَّك .

فقال : أوَ ترى أن أفعَلَ ؟

قال : نعم .

قال : فإنّي أفعل .

فأتى سلم المنصور فأعلمَه ذلك فسرّ به وعظم له قدر سَلم عنده . ودعا المنصور الناسَ إلى البيعةِ . فتكلّم عيسى وسلّم الأمر إلى المهديّ وصار بعده . وخطب المنصور فشكر عيسى على ما كان منه ، وذكر أنّه التالي للمهديّ عنده في موقعه من قلبه وحاله عِندَه ، ووهب له مالا عظيما ، وأقطعَه قطائع خطيرةً نفيسة ، وولّاهُ الأهواز والكوفة وطساسيجها[1] .

ويقال إنّ المنصور أمر بعيسى فخنق بِحمائل سيفِه حتى خلع نفسه . وضمن له المنصور رضاه فوفى له به .

حزْمُه ووقارُه

وكان محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قدم البصرة مستخفيًا ، ثمّ خرج عنها وبلغ المنصور ذلك فقدم البصرة . ويقال بل قدم في أمر القطائع والمسالح ، وكان على البصرة عمر بن حفص فولّاه السند ، وولّى شهاب بن عبد الملك بن مسمع البحر ، وولّى عبد العزيز بن عبد الرحمان الأزديّ البصرة ،

(1) الطَّسُّوجُ ج طساسيج : الناحية .

وولّى سوّار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة العنبريّ القضاء ، ثمّ ولّاه صلاة البصرة .

وكان المنصور لا يُرى شارباً نبيذًا ، ولم يُعط مغنّيًا شيئًا قطّ ولا أجرى عليه رزقاً يثبت في ديوان أو يخرج به أمر أو كتاب . وكان أعطى الناس في حقٍّ وأعملهم بحزم وأشدّهم شكيمة على عدوّ .

وأقبل المهدي من داره يريد المنصور ، والمنصور جالس في الخضراء في قصره بالمَدينة ببغداد . فلمّا وقعت عينه عليه جعل يعوذه ويدعو له حتّى إذا تبيّنه غضب وقال : / ردّوه ! أما رأيتم عليه خفًّا أحمر كأنّه من عبيد الروم ؟ أهٰذا [105ب] لُبس مَن كان مثلَهُ ؟

فألزمه منزله أيّاماً ثمّ دعا به وعاتبَه . وكان أمر المنصور جدًّا كلُّه .

وقال المدائنيّ : كاتب العبسيّون محمد بنَ عبد الله بن حسن ، وكاتبهم محمد . وكان ممّن كاتبَه أبو ذفافة . فلمّا شخص المنصور إلى بيت المقدس في سنة أربع وخمسين ومائة ، وغزا الصائفة ، وتتبّع الأجناد والكور ، أقدم أبا ذفافة معه فأصحبه المهديّ فخصّ به . وكان يطلعه على أسراره وأموره . فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، قد غلب أبو ذفافة على المهديّ ، ورأيه ما تعلم .

فقال : يا بنيّ ، إنّ المهديّ قدم من الريّ في زيّ أهل خراسان ، فجهدت أن أنقله عن ذلك بكلّ حيلةٍ يحتال بها في مواجهةٍ وتعريض فلم ينتقل عنه . فلمّا صحبَهُ أبو ذفافة لم أشعر به ذات يوم إلّا وقد طلع عليّ معْتمًّا على قلنسوّته ، وفي رجله خفّان أسودان . فوالله لو ضُمّ إليّ مُلكٌ مثلُه ما كان ذلك بأسرّ إليَّ مِن هيئتِه . وإنّمَا أبو ذفافة رجل أراد أن ينال شيئًا من الدنيا ، فقد ناله وأكثر منه . وهو رجل شريف ، وللشّرِيفِ شُكرٌ ، فلا يَسُوءَنّكُمْ مكانُه .

ودخل عليه الربيع الحاجب يوماً وفي رجليه خفّ أبيض محكوك مكعّب ،

فقال له : لولا أنّي لم أتقدّم إليك لأدّبتُك ! ما لك ولخفاف الزفّانين ؟[1]

ودخل عليه المبارك بن فضالة وهو بالجسر الأكبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حدّثني الحسن قال : بلغنا عن النبيّ ﷺ أنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : من كان له على الله حقّ ، فليَقُم ! فمَا يقوم إلّا العافون عن الناس .

فقال المنصور : « قد عفوتُ » . ولم يدخل البصرة .

وكان المنصور وهو بالبصرة قبل أمر المسوّدة يجلس في حلقة فيها أزهر السمّان . فلمّا أفضت إليه الخلافة وفد إليه أزهر ، فقال له : ما جاء بك يا أزهر ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، داري مستهدمة ، وعليّ دَين مبلغهُ أربعة آلاف درهم ، وأريد أن أزوّج ٱبني محمّدًا .

فقال : قد أمرت لك بٱثني عشرَ ألفَ درهم ، فخذها ولا تأتنا طالباً .

فأخذ وٱنصرف . فلمّا كان العام المقبل أتاه . فلمّا رآه قال : ما جاء بك يا أزهر ؟

فقال : أتيتُك يا أميرَ المؤمنين مسلّماً .

فقال : إنّه ليقع في خلد أمير المؤمنين أنّك أتيتَ طالبا .

قال : ما أتيتُ إلّا مسلّمًا .

[106 أ] فقال : قد / أمرنا لك بٱثني عشر ألفا ، فخذنا ولا تأتنا طالبا ولا مسلّمًا !

فلمّا كانت السنة الثالثة عاد إليه . فقال : ما جاء بك يا أزهر ؟

قال : أتيتُك عائدًا .

---

(1) الزفّانون هم أهل الرقص والملاهي .

فقال : قد أمر لك أمير المؤمنين بٱثني عشر ألفَ درهم ، فخذها ولا تأتنا طالبا ولا مسلّما ولا عائدًا .

فلمّا كانت السنة الرابعة قدم عليه فقال : ما جاء بِك يا أزهر ؟

قال : سمعتك تدعو بدعاءٍ فجئت لأكتُبَه عنك .

قال : إنّه غير مستجاب : قد دعوت به أن لا أراك فلم يُجب !

وأمر له بٱثني عشر ألفاً وقال : تعالَ متى شئتَ ، فقد أعيتْ فيك الحيل !

وبعث المنصور إلى مسعد بن كدام الهلاليّ [1] فقال له : يا أبا سلَمة هل لك في أن أولّيَك ؟

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أرضى نفسي لأن أشتري لأهلي حاجة بدرهم حتّى أستعين بغيري ، على أنّ الثقّات قليل . فكيف أغرّك من عملك ، وأنا إلى أن تصل قرابتي ورحمي أحوج منّي إلى الولاية ؟ فقد قال النابغة الجعديّ : [وافر]

وشاركنا قريشا في تقاها   وفي أنسابها شِركَ العنان
بِمَا ولدت نِساءُ بني هلال   وما ولدت نساء بني أبان

يعني لبابة جدّتك ، فإنّها هلاليّة . — فأمر به بأربعة آلاف درهم ، وكساه . ولم يزل يَتَعَهّده ويصله [2] .

---

(1) في جمهرة ٱبن حزم ، 274 ، أضيف : الفقيه .

(2) حاشية في المخطوط : وكانت صفيّة بنت حزن عمّةَ أمّ الفضل – وهي لبابة الصغرى أمّ عبد الله بن عبّاس . وصفيّة هي أمّ أبي سفيان بن حرب ، وهي هلاليّة .

وكانت آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة أمّ الأعياص ، بني أميّة بن عبد الشمس .

وٱنظر الجمهرة ، 280 . والنابغة الجعديّ هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس . . . بن عامر بن صعصعة (الجمهرة ، 289) .

وبلغ المنصور أنّ عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بالبصرة ، فخرج إلى البصرة ، وأظهر أنّه يريد أن يقطع ٱبنه صالحاً المسكين بانِقْيا ويقطع سليمان الهنيئة.[1] وكان عيسى مستخفيًا عند رجل يقال له يزيد . فبينا المنصور يخطب في يوم جمعة / إذ وقعت عينُه على عيسى ، وعرف عيسى أنّه قد عاينَه . فلمّا [106ب] دخل المنصور في الصلاة ٱنسلّ عيسى ويزيد صاحبُه . فٱستُعرض الناس بعد الفراغ من الصلاة فلم يُوجَدَا . ثمّ إنّ عيسى مات عند يزيد . فأتى يزيد الربيع فقال له : « ٱطلب لي الأمان من أمير المومنين وأدخلني إليه حتى أخبرَه من أمر عيسى بِمَا يسرّ به » . فطلب له الربيع الأمان فأمّنه المنصور . فلمّا دخل عليه قال : « يا أمير المؤمنين ، قد مات عيسى بن زيد وأراحك الله منه » . فخرّ المنصور ساجدًا ، ووجّه من نظر إليه ميتًا فوفّى ليزيد بأمانه .

وحجّ المنصور فكان يأتي الطواف ليلا فيطوف مستخفيا متنكّرًا لا يعلم أحدٌ مَنْ هو ، فإذا طلع الفجر عاد إلى دار الندوة ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلّى بالناس . فسمع رجلا يقول في بعض الليالي : « اللهمّ إنّي أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحقّ وأهله من الطمع » . فوقف على الرجل ثمّ خلا به وسأله عمّا قال . فقال له : أتؤمّنني ؟

قال : نعم ، لك الأمان .

فقال : ما عنيتُ سواك .

فقال : كيف تنسبني إلى الطمع ، والصفراء والبيضاء في قبضتي ، والحلو والحامض بِيَدِي ؟

قال : وهل دخل أحدًا من الطّمع ما دخلك ؟ ٱحتجبتَ عن الضعفاء فلم يصلوا إليك ، ثمّ أوعيت الأموال وجمعتَها فلم تقسِمها في أهلها ، ورآك القوم

---

(1) في المخطوط : بابقليا . وبانقيا : من نواحي الكوفة (ياقوت) . أمّا الهنيئة فلم نعرفها .

الذين ٱستعنْتَ بهم خائناً فخانوك ، وأنت متغافل عن الأمور كأنّك لا تعلم ، وعملك حجّةٌ عليك . ثمّ أنت تطمع في السلامة في / دينك ودنياك . [107 أ]

ووعظه فاحتمل له ذلك وقال : « جُزيتَ عن النصيحة خيرًا » . وأقيمت الصلاة فصلّى المنصور بالناس فطلب الرجل فلم يوجد .

وسمع مرّة في داره جلبةً فقال : « ما هٰذا ؟ » فإذا خادم له قد جلس وغلمةٌ حوله وهو يضرب لهم بطنبور ، وهم يضحكون منه .

فأخبر بذلك فقال : « وما الطنبور ؟ » فوصفه له حمّاد التركيّ ، فقال له : وأنتَ فما يدريك ما الطنبور ؟

قال : رأيته بخراسان .

فدعا بنعله وقام يمشي رويدًا حتى أشرف على الغلمان فرآهم . فلمّا أبصروه تفرّقوا . فقال : « خذوا الخادم فٱكسروا ما معه على رأسه ! » ثمّ قال : « يا ربيع ، أخرِجه من قصري وٱبعث به إلى حمدان النخّاس حتّى يبيعه » . فوجّه به الربيع من ساعته فبيع بالكرخ .

وقال حمّاد التركي : ولّاني المنصور المدائن ، ثمّ عزلني . فقال لي ذات يوم : « يا ٱبن الخبيثة ، كم عندك منَ المال ؟ » فقلت : أصدقه فإنّه لا ينفعُني عنده إلّا الصدقُ . وأخبرتُه بمبلغ المال ، فقال : « ٱدفعه إلى الربيع » ففعلتُ . ثمّ رحتُ بالعشيّ . فإنّي بين يدي المنصور واقف لا أشكّ في ذهاب المال إذ دخل الربيع فقال له : يا ربيع ، أَحَمَلَ حمّادٌ إليك ذلك المال ؟

قال : نعم .

قال : أفعرفتَ وزنَه ؟

قال : نعم .

قال : ٱحتفِظ به . فإذا تزوّج حمّاد فٱدفعه إليه .

وكان المنصور يقسم على مواليه الأرزاق حتى الفانيدُ [1] والترياق . وكان مشايخ أهله يدخلون عليه بالعشيّات في النعال والأردية .

وخرج يوما سائرًا فأساء بعض أحداث مواليه الأدب وسار في ناحية أمَرَ أن لا يسير فيها أحدٌ كراهةً للغبار . فألتفت إلى عيسى بن عليّ وهو يسايره فقال : والله ما ندري يا أبا العبّاس ما نصنع بهؤلاء الأحداث ؟ لئن حملناهم على الأدب وأخذناهم بما يجب ليقولَنّ / جاهل إنّا لم تحفظ آباءهُم فيهم . ولئن تركناهم وركوبَ أهوائهم ليُفسدُنَّ علينا غيرَهم . [107ب]

ولمّا خرج عليه محمد وإبراهيم آبنا عبد الله بن حسن ، وجاءه فتق من ناحية أخرى ، جعل ينكت بقضيب معه ويقول [كامل] :

ونصبتُ نفسي للرماح دريئةً إنّ الرئيسَ لمِثل ذاك فعولُ

وقال في آل أبي طالب [طويل] :

فلولا دفاعي عنكمُ إذ عجزتمُ و بالله أحمي عنكمُ وأُدافعُ
لضاعَتْ أمورٌ منكمُ لا أرى لها كُفاةً ، وما لا يحفظُ الله ضائع
وما زال منّا ، قد علمتُم ، عليكمُ على الدهر إفضالٌ يُرى ومنافعُ
وما زال منكم أهلُ غدرٍ وجفوةٍ و بالله مغترّ وللرحم قاطع

وركب مرّةً وأهلُه حوله فقال عثمان بن عمارة المرّي : إنّ حشوَ أثواب هٰذا الرجل لمكر ودهاء ونُكر ، وما هو إلّا كما قال [آبن] جِذْل الطعان [وافر] :

فكم من غارة ورعيل خيلٍ تداركها وقد حميَ اللقاءُ
فردّ رعيلَها حتّى ثناها بأسمر ما يُرى فيه آلتواءُ

وقال إسحاق بن مسلم : لقد سبرتُه فوجدتُه بعيدَ الغَورِ . وعجمتُ عودَه

(1) الفانيد : نوع من السكر السجستانيّ ، فيقال : سجزيّ .

فوجدتُه مُرَّ المذاقِ ، وإنّه ومَن حولَه لكَما قال ربيعة بن مكدّم [طويل] :

سَمَا لِيَ فرسانٌ كأنَّ وجوهَهُم مصابيح تبدو في الظلام زواهِرُ
يقودُ[هُمُ] كبشٌ أخو مُصْمَئِلّةٍ عبوسُ السُّرَى قد لوّحَتْهُ الهواجرُ

وقال عبد الله بن الربيع الحارثيّ[1] : هو والله ليث خيس شرس ، وللأقران مفترس ، وإنّه لكَما قال أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب [طويل] :

فإنّ لنا شيخًا إذا الحرب شمّرَتْ بديهتُه الإقدامُ قبلَ التزاحُفِ
/ أخو الحرب قد عضّت به فتفلّلَتْ نواجذُ من أنيابها في المزاحِفِ[2] [108 أ]

ولمّا مات جعفر الأكبر ابن المنصور آشتدّ جزعُه عليه . فلمّا قُبر وسوّيَ عليه الترابُ قال : يا ربيع ، كيف قال مطيع بن إياس في يحيى بن زياد ؟

فأنشده [منسرح] :

يا أهل بكّوا لقلبيَ القرح وللدموع الذوارف السُّفُحِ
راحوا بيحيى ولو تطاوعُني الـ أقدارُ لم يبتَكِرْ ولم يُرحِ
يا خيرَ مِن يحسن البُكاءُ لَهُ الـ يومَ ومَن كان أمس للمِدَحِ
أعقبتَ حزنا من السرور وقد أدلْتَ مكروهَنَا منَ الفَرَحِ

فبكى المنصور وقال : صاحب القبر أحقّ بهٰذا الشعر .

وقال المنصور يوماً لأبنه محمد المهديّ : يا بنيّ ، آستدِمِ النعمة بالشكر ، والقدرةَ بالعفوِ ، والطاعةَ بالتأليفِ ، والنصرَ بالتواضع لله والرحمة للناس .

---

(1) في اسحاق بن مسلم [العقيليّ] وعبد الله بن الربيع [المدائنيّ] يقول الطبريّ 3 / 281 : وكان من صحابة المنصور .

(2) كلّ هٰذه الشواهد عند الطبريّ ، 7 / 621 و 8 / 95 ومنه الزيادة .

بعض خُطَبه

ولمّا أتاه مخرج محمد بن عبد الله شنّ عليه درعه ولبس خُفّه وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال [بسيط] :

ما لي أكفكفُ عن سعدٍ و يشتمني ولو شتمتُ بني سعدٍ لقد سكنُوا

جهلا علينا ، وجبنًا عن عدُوّهمُ لبِئسَت الخلّتان ، الجهلُ والجبنُ !

أما والله لقد عَجزوا عمّا قمنا به فمَا عضدوا الكافي ولا شكروا المنعم ، فماذا حاولوا ؟ أأشرَبُ رنقًا على غصَص ، وأبيتُ منهم على مضض ؟ والله إنّي لأصلُ ذا رحِم بقطيعة نفسي ، ولئن لم يرض بالعفوِ منّي ليطلبنّ ما لا يوجد عندي . وَلأَنْ أُقتلَ معذورًا أحبُّ إليّ من أن أحيى مستذَلاًّ . فليُبقِ ذو نفسٍ على نفسِه قبلَ أن يقضِيَ نحبه ، ثمّ لا أبكي عليه ولا تذهب نفسي حسرةً لمَا نالَه .

وخطب يومَ عرفة فقال : أيّها الناس ، إنّمَا أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وإرشاده ، وخازنُه على ماله وفيئه ، أعمل فيه بمَشيئته وأقسمُه بإرادته وأعطيه بإذنه . وقد جعلني الله قفلا فإذا شاء أن يفتحني فتحَني . فارغبوا إلى الله وآسألوه في هٰذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه إذ يقول : « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإسْلَامَ دِينًا » (المائدة ، 3) أن يوفّقني للصواب ويسدّدني للرشاد ويُلهمَني الرأفةَ بكم وقسمَ أرزاقكُم فيكم بالعدل / عليكم [108ب] والإحسان إليكم .

وبعث في سنة خمس وأربعين ومائة رجالا يطلبون له موضعاً يبني فيه مدينة ، فكانوا يأخذونَ تربة كلّ أرضٍ فإذا عُضنت[1] خرجت منها العقارب والخنافس . فلمّا أخذت تربة بغداد خرجت منها بنات وردان ، فقال :

---

(1) لم نفهم « عضنت » وقراءتنا تخمينيّة . وخبر بناء بغداد عند الطبريّ ، 7 / 614 .

« هٰذه ! هٰذه ! » فنزل الدير الذي على الصراة وقال : بغداد بلد تأتيه الميرة من الفرات ودجلة – فاختطّ المدينة وفرّغ من أساسها. فإنّه لنائم في يوم صائفٍ إذ أقبل سليمان بن مجالد ، وسليم الكّي فآستأذنا عليه . فدخل الربيع فآحتال له حتى آستيقظ . ودخلا عليه ومعهما كتاب صغير من محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ يخبر فيه بخروج محمد بن عبد الله . فقال المنصور : يكتب إلى مصر الساعة أن تقطع الميرة عن أهل الحرَمَين ، فإنّهم في مثل الحرجة إذا لم تأتِهم الميرة من مصر . وأمر أن يكتب إلى العبّاس بن محمد أخيه ، وهو على الجزيرة ، أن يُمدّه بمَن قدر عليه ، ولو أن يبعثَ إليه في كلّ يوم رجلا واحدًا ، لينكسر بهم أهل خراسان ، فإنّه لا يُؤْمَن فسادُهم مع دالّتِهم .

ونادى بالرحيل من ساعته ، فخرج في حرّ شديدٍ حتى عسكرَ بنهر صرصر وصلّى العصر هناك . وأتى الكوفة وعسكر وخندق عليه . ودعا بعيسى بن موسى فقال له : إمّا أن تخرجَ وأقيم فأمدَّك ، وإمّا أن أخرج فتقيم وتمدّني .

فقال : بل أقيك بنفسي وأكفيك هٰذا الوجه إن شاء الله .

فشخص . وخرج إبراهيم في عقيب خروج أخيه محمد ، فجمع المنصور ولد أبيه فقال : ما تقولون وما ترون ؟

قالوا : توجّه إليه موسى بن عيسى .

فقال : والله يا ولد عليّ ما أنصفتم ! وجّهت أباه وأوجّهُه فأكون قد رجّهتُ من ولد محمد بن عليّ رجلَين ؟

فقالوا : توجّه عبد الله بن عليّ وتصطنعُه .

فقال : أنصب عليّ حرباً أخرى . إن خافني مالأَ عدوّي عليّ ، وإن ظفر أعاد الحرب بيني وبينه . وقد سمعتكم تذكرون أنّ له أربعةَ آلاف مولى يموتون تحت ركابه . فأيّ رأيٍ هٰذا ؟ والله لو دخل عليّ إبراهيم بسيف مسلولٍ لكان آمنَ عندي من عبد الله بن عليّ !

فلمّا قتل إبراهيم بن عبد الله وبعث عيسى بن موسى برأسه ، أمر المنصور أن يطاف به بالكوفة . ثمّ خطب بها فقال : يا أهل الكوفة ، عليكم لعنة الله وعلى بلدٍ أنتم فيه ! والله للعجب لبني أميّة وصبرهم / عليكم ! كيف لم يقتلوا [109 أ] مقاتلتكم ويَسْبُوا ذراريّكم ويخربوا منازلكم ؟ سبائيّة خشبيّة ! قائل يقول : جاءت الملائكة ، وقائل يقول : جاء جبريل وهو يقول : أقدم حيزوم ! عمدتم إلى أهل هٰذا البيت وطاعتُهم حسنَة فأفسدتُمُوهم وأنغلتموهم[1]. فالحمد لله الذي جعل دائرة السوء عليكم ! أما والله يا أهلَ المدرة الخبيثة ، لئن بقيتُ لكُم لأُذلّنّكُمْ !

ولمّا أتمّ بناء مدينة بغداد ونزلها في سنة ستّ وأربعين ومائة بنى الخلد ، وهو قصر على دجلة سنة سبع وخمسين ، فتولّى ناحية منه الزبيع ، وناحية أبان آبن صدقة . فكان المنصور يعاقب من سمّاه الخلد ويقول : الدنيا دار فَناء وإنّمَا الخلد في الجنّة .

وكان من خبر بناء بغداد [. . .][2] .

وصيّته للمهديّ

.... ولمّا أراد الحجّ في السنة التي توفّي فيها أتى قصر عبدويه فأقام به . ثمّ دعا بآبنه المهديّ فقال له : يا أبا عبد الله ، آقرأ هٰذا الكتاب وآعمل بِمَا فيه !

فإذا فيه : أوصيك بتقوى الله ومراقبته . وعليك بإكرام أهل بيتك وإعطائهم ، ولا سيّما من صلحت طريقته وظهر ستره وحسنت مودّته منهم ، فإنّ أقرب الوسائل المودّة وأبعد النسب البغضاء . وآنظر أهل الجزالة والفضل والعقل منهم فشرّفهم وأوطىء الرجال أعقابهم فإنّه لا يزال لأمر القوم نظام ما كانت لهم أعلام . وأجزل لهم العطاء ووسّع عليهم في الأرزاق ، فإنّ أكثرَ الناس مؤونةً أعظمُهم مروءةً . ثمّ ليكن معروفك لغيرهم بعدهم ، فإنّ الصلةَ تُديمُ الألفةَ

(1) أنْغَلتموهم : أفسدْتمُوهم .
(2) انقطاع في الخبر دون علاقة بالورقة الموالية .

وصُنهم ينبلوا ولا تبتذلْهُم فيخلقوا . وآعلم أنّ رضا الناس غاية لا تدرك ، فتحبّب إليهم بالإحسان جهدَك ، وتثبّت فيمَا يرد من أمورهم عليك ووكّل همومك بأمورك وتفقّد الصغير بفقدك الكبير . وخذ أهبةَ الأمر قبلَ حلوله ، فإنّ ثمرَة التواني الإضاعة . وكن عند رأس كلّ أمرٍ لا عندَ ذنَبه ، فإنّ المستقبِل لأمره سابق والمستدبر مسبوق . وولّ أمورَك الفاضلَ يكن مستعليا ، ولا تولّ المفضولَ فإنّه مُزرٍ بآختيارك . وآنظر الأموال فإنّها عدّة الملوك وبها السلطان ونظام التدبير . فوفّرها بولاية أهل العفاف عنها والحيطة عليها ، ولا تبتذلها إلّا في إصلاح أمور السلطان والرعيّة ، وثواب أهل الطاعة والنصيحة . وأحسِن إلى نُصَحائِك وآستدِم مودّتَهم ومحبّتهم بجميل التعهّد لهم والتفقّد لأمورهم . ولا تُعطِ عطيّةَ تُبطر الخاصّ وتؤسف العامّ ، وآجعل لكلٍّ إليك حاجةً ، وآجعل لهم من فضلك مادّةً . وآسمع من أهل التجارب ، ولا تردّنّ على ذوي الرأي . وعوّد نفسك الصَبر على التعب في إصلاح الرعيّة ، وترك الهوينا والدَّعةِ . وآعلم أنّ ذهاب السلطان يؤتى من ثلاثة أمور : قلّة الحزم ، وضعف العزم ، وفقد صالحي الأعوان ، وأنّ ثباتَه بأربع خلال : المعرفة ، وحسن التخيّر ، وإمضاء الاختيار ، وتنكّب أهل الحرص ، فإنّ الحريص يبيعك باليسير من حظّه ، وشرَه الوزراء أضرّ الأعداء . ومن خانك كذبَك ومن كذبك غشّك .

وآعلم أنّ مادّة الرأي المشاورة فآختر / لِمُشاورتك أهل اللبّ والرأي [110ب] والصدق وكتمان السرّ . وكافِىء بالحسنة وتجاوز عن السيّئة ما لم يكن في ذلك ثلمُ دين ولا وهَن سلطان . ودع الانتقام فإنّه أسوأ أفعال القادر . وقد آستغنى عن الحقدِ مَن عظُم عن المجازاة وعاقب بقدر الذنب . وآعفُ عن الخطإ وأقلِ العثراتِ من أهل الحرمة والبلاء .

وعليك ببلاد نعمتك ومواليك من أهل خراسان وغيرها من الآفاق ، فإنّهم أنصح الناس وأشدّهم سعيًا في بقاء دولتك ، فإنّمَا عزّهم بعزّك .

وتجنّب دقيق أخلاق أهل العراق ، فإنّهم نشأوا على الخَبّ ومذموم

الأخلاق . وإذا اطّلعت من أحدٍ من خاصّتك وأهل نعمتك على هوى مفسد لنصيحتك فلا تُقله عثرةً ولا تَرْعَ له حرمةً ودع الاغترار به ، فإنّك إن آغتررتَ به كنتَ كمُدخِلِ الحيّةِ دونَ شعاره ، إن شاء الله .

فلمّا قرأ الكتاب ، قال : أفهمتَ يا بنيّ ؟

قال : نعم .

قال : فاتّخذْه لك إماماً ومثالًا .

ثمّ قال : آستودعك الله يا بنيّ ، وأنشد [كامل] :

المرء يأمل أن يعيـ ـشَ ، وطول عيش ما يضرّه
تبلى بشاشتُه و يبـ ـقى بعد طول العيش مرُّه
وتخونـه الأيّـام حـ ـتّى لا يَرى شيئًا يسرّه
كم شامتٍ بي إن هلـ ـكتُ وقائل : لله درّه !

ثمّ ودّع المهديّ وقال : يا أبا عبد الله ، إنّي ولدت في ذي الحجّة ووليتُ الخلافة في ذي الحجّة ، وقد هجس في نفسي أنّي أموت في ذي الحجّة من سنتي . وذلك حداني على الحجّ . فإذا أفضى إليك الأمرُ ، فإن آستطعت أن تكونَ حديثًا حسنا فآفعل .

قال الربيع : إنّي لمع المنصور في حجّتِه التي توفّي فيها ، فلمّا دنا من مكة آشتدّ به الوجعُ ، فقال لي ذات ليلة ، وأنا زميله : « أنزلني ! أنزلني ! » وكانت به خلفة ، فعدلنا به عن الطريق وأنزلناه . فأبطأ ، ثمّ أقبل متّكئًا على رجُلين من مواليه ، وأبو العبّاس الطوسيّ والمسيّب بن زهير مع وجوه أهل خراسان ، فوقف . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أبطأتَ ، فهل حدث شيءٌ ؟

فقال : « أنا صالح » ! وصاح بي .

فلمّا صرنا في المحمل قال : ويحك ! أترى هؤلاء الخراسانيّة وهم هم ،

وتسألني عن هٰذه المسألة ؟ أتذكر رؤيايَ التي أخبرتكم بها : أني رأيت كأنّ الكعبة انصدعَت فجئتُ بحبل فضمَمْتُها به [1] ...

1479 – المأمون العبّاسيّ [170 – 218] [2]

عبد الله بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصّي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، الإمام العالِم المحدّث النحوي ، أبو العبّاس – ويقال : أبو جعفر ، وكانت كنيتُه أوّلاً « أبو العبّاس » فلمّا وليَ الخلافة اكتنى بأبي جعفر – الخليفة المأمون أمير المؤمنين ، ابن الخليفة أمير المؤمنين أبي جعفر الرشيد ، ابن المهديّ أبي عبد الله أمير المؤمنين ، ابن أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين .

أمّه جارية تسمّى « مراجل » لقّبها صواحباتها بذلك لأنّها كانت حسنة الشعَر مولَعة بترجيله وخِدمتِهِ . وهي من « باذغيس » قرية في خراسان بينها وبين بُوشنج [3] ثلاث مراحل .

ولد للنصف من شهر ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة ، وذلك ليلة الجمعة ،

---

(1) تنقطع الترجمة هنا فجأة ، ولا يخلو الأمر من غرابة ، فمخطوط باريس لم يتعرّض إلى البعثرة مثل مخطوطات ليدن .

(2) في ترجمة المأمون ، أنظر : دائرة المعارف الإسلاميّة : فصل الأمين ثمّ المأمون – الأعلام ، 4 / 287 – تاريخ بغداد ، 10 / 183 . مروج 4 / 299 – الطبريّ 8 / 364 فوات 2 / 235 (   ) الوافي ، 17 / 654 (556) – تاريخ الخلفاء ، 306 .

(3) باذغيس وبوشنج عند ياقوت : من أعمال هراة .

وهي الليلة التي ملك فيها أبوه هارون الرّشيد ، ومات فيها موسى الهادي . وهو أَسَنُّ من أخيه محمد الأمين بستّة أشهر .

روى عن أبيه ، وهشيم بن بشير ، ومعاوية الضرير ، ويوسف بن عطيّة ، وعبّاد بن العوّام ، وإسماعيل بن عليّة ، وحجّاج بن محمد الأعور .

وروى عنه أبو حذيفة إسحاق بن بشر ، وهو أسَنّ منه ، ويحيى بن أكثم القاضي ، وابنه الفضل بن المأمون ، ومعمر بن شبيب ، وأبو يوسف القاضي ، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسيّ ، وأحمد بن الحرث الشيعيّ ، واليزيديّ ، وعمرو بن مسعدة ، وعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ومحمد بن إبراهيم السلميّ ، ودعبل بن عليّ الخزاعيّ .

وبايع له الرشيد بولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين في سنة ستّ وثمانين ومائة ، وولّاه خراسان وما يتّصل بها إلى همذان وإلى آخر المشرق ، ولقّبه المأمون . وسلّمه إلى جعفر بن يحيى البرمكيّ . وكان قد ولّى الأمينَ العراقَ والشام إلى آخر الغرب . ثمّ بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ولقّبه المؤتمن وضمّ إليه الجزيرة والثغورَ والعواصم ، وجعله في حجر عبد الملك بن صالح ، وجعل خلعَهُ وإثباتَه إلى المأمون .

وكان القاسم ماجنا ، أطلق أسدَين على النساء والرجال في حمّامَين كانا له على شارع معمور ، فخرج النساء والرجال عُراةً هرابا ، وقد قعد هو في علية له ينظر من ذلك ويضحك . فلذلك خلعه المأمون من ولاية العهد .

وكان الرشيد يقول للمأمون : أحبّ المحاسن كلّها لك ، حتّى لو أمكنَني أن أجعل وجهَ أبي عيسى لك لَفَعلتُ .

وقال الرشيد لأبي عيسى وهو صغير : ليت جمالك لعبد الله ! – يعني المأمون .

فقال له : على أنّ حظَّهُ منك لي !

فعجب من جوابه ، على صباه ، وضمّه إليه وقبّله . وذلك أنّ أبا عيسى محمد بن الرشيد كان أجملَ أهل زمانه . / [111ب]

قسمة الخلافة بين الأمين والمأمون

وفي سنة ستّ وثمانين ومائة قدم الرشيد إلى مكّة ومعه محمد وعبد الله أبناه ، ومعه وزراؤه وقرابته . وكان مسيره من الرقّة لسبع ليالٍ بقينَ من شهر رمضان . فعدل إلى المدينة من الرَّبَذَة ، فأعطى أهل المدينة ثلاثة أعطية ، بدأ بنفسه فُوزنَ له عطاؤه ثمّ فعل ذلك بالأمين محمد والمأمون عبد الله [فـ]ـأعطاهما . ثمّ بدأ ببَني هاشم فأُعطُوا . ثمّ أقبل يريد مكّةَ حتّى دخلها . فلمّا كان يوم سابع الثمان صعد المنبر فخطب خطبة الحجّ ، وأخبر الناس بمَناسكهم ، ثمّ نزل عن المنبر ، فأمر بالكعبة ففُتحت ، فدخل وحدَه ليس معه أحد غيره ، وقام مسرور الخادم على باب الكعبة فأجاف[1] عليه أحد المصراعَين ، فمَكَثَ في الكعبة مليًّا . ثمّ بعث إلى الأمين محمد وليّ العهد فكلّمه طويلاً في جوف الكعبة . ثمّ دعا بالمأمون عبد الله ففعل به مثل ذلك ، وكلامه لكلّ واحدٍ منهمَا وحده لا يسمعُ أحدهُما ما يكلّم به صاحبه . ثمّ أرسل إلى سليمان ابن أبي جعفر المنصور وإلى الفضل بن الربيع ، وإلى عيسى بن جعفر ، وجعفر ابن أبي جعفر ، وجعفر بن موسى الهادي في جماعة ، فدخلوا عليه الكعبة . ثمّ أرسل إلى محمد بن خالد ، وإلى الحرث وأبان وعبيد بني يقطين ونظرائهم ، ودعا يحيى بن خالد بن برمك ، فدخل . ودعا بجعفر بن يحيى . ثمّ أمر أمير المؤمنين وليّي العهد أن يكتبا له كتابا كلّ واحدٍ منهما على نفسه فيمَا أخذ على كلّ واحدٍ منهما لصاحبه من التوكيد والوثيقة ، فكتَبَا الكتابَ بأيديهمَا .

فبينا هم في ذلك إذ حضرت صلاة الظهر من قبل فراغهم فأقيمت الصلاة ونزل أمير المؤمنين فصلّى بالناس الظهرَ . ثمّ عاد إلى الكعبة فكان فيها إلى أن

(1) أجاف الباب : ردَّه .

فرغوا من الكتابين . وأحضر جماعةً من الناس غير مَن ذُكر ، منهم محمد بن عبد الرحمان المخزوميّ ، وأسد بن عمرو قاضي الشرقيّة ، من أصحاب أبي حنيفة ، وقوماً من بني عبد الدار بن قصيّ من حجَبَة البيت . ثمّ حضرت صلاة العصر عند فراغهم من الكتاب فأقيمت الصّلاة فنزل أمير المؤمنين فصلّى بالناس صلاة العصر . ثمّ طافوا سبعاً ثمّ دخلوا منزلَه في دار العجلة ومعه مَن حضر من الهاشميّين وغيرهم ليشهدوا على الكتابَين . وأخرج لهم الكتابين وقد وُضع عليهما [112 أ] طين / وعليهما خاتما وليّيْ العهد فقُرئا على جميع مَن حضر ليشهدوا على ما فيهما .

فلمّا شهد الشهود على الكتابَين أمر أميرُ المؤمنين ، فاتُّخذَ لهمَا قصَبتان من ذهب وكلّلهمَا بفصوص الياقوت والزبرجد واللؤلؤ وجُعلا في القصبتَين وأمر بهمَا أن يُعلّقا في داخل الكعبة قبالةَ بابها مع المعاليق التي فيها حيث يراهُمَا الحاجّ . وضمنهُمَا حجبةَ البيت وٱستحلفَهُم على حفظها والقيام بها وأن يعلّقوهُمَا في وقت الحجّ وينشرُوهُمَا للناس والحاجّ ويصونوهُمَا . فأعطوه على ذلك العهدَ والميثاقَ ليفعلُنّ .

وكان الشهود الذين شهدوا في الشرطين ، من بني هاشم : سليمان بن جعفر ٱبن أبي جعفر المنصور ، وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن أبي جعفر ، وعبد الله ابن المهدّي ، وجعفر بن موسى الهادي ، وعيسى بن موسى أخوه ، وإسحاق بن موسى ابن أمير المؤمنين ، وإسحاق بن عيسى بن عليّ ، وأحمد بن إسماعيل بن عليّ ، وسليمان بن جعفر بن سليمان ، وعيسى بن صالح بن عليّ ، وداود بن عيسى بن موسى ، ويحيى بن عيسى بن موسى وداود بن سليمان بن جعفر .

ومن موالي بني هاشم :

يحيى بن خالد بن برمك ، وجعفر بن يحيى ، والفضل بن يحيى ، والفضل بن الربيع ، والعبّاس بن الفضل بن الربيع . وعبد الله بن الربيع ، والقاسم بن

الربيع ، وخزيمة بن خازم ، من بني تميم ، وهرثمة بن أعيَن ، وأبان ، والحرث ، وخالد ، موالي أمير المؤمنين ، ومحمد بن منصور ، وإسماعيل بن صبيح .

ومن أهل مكّة ، من قريش ، من بني عبد الدار بن قصيّ :

إبراهيم بن عبيد الله الحجبي ، وعبد الكريم بن شعيب ، وعبد الله بن مسافع ، ومحمد بن عبد الله ، وإبراهيم بن عبد الرحمان ، وعبد الواحد بن عبد الله ، وإسماعيل بن عبد الرحمان الحجبيّون .

ومن بني مخزوم : محمد بن عبد الرحمان المخزومي قاضي مكّة .

ومن اليمن : عبد الرحمان بن أبي شمر الغسّانيّ ، والربيع بن عبد الله الحارثيّ ، وذفافة بن عبد العزيز العبسيّ[1] .

التزام الأمين

ونسخة الشرط الذي كتبه الأمين محمد :

بآسم الله الرحمان الرحيم ،

هٰذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له محمد ابن أمير المؤمنين هارون ، في صحّة منه وجواز من أمره ، طائعاً غير مُكرَهٍ : إنّ أمير المؤمنين ولاّني العهدَ من بعده وجعل لي البيعةَ في رقاب المسلمين جميعاً ، وولّى أخي عبدَ الله بن هارون العهدَ والخلافة وجميعَ أمور المسلمين بعدي / برضى منّي [112ب] وتسليم طائعاً غيرَ مكره . وولّاه خراسان بثغورها وكورها وحدودها وخراجِها وطرُزها وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتِها وعشرها وجميع أموالها في حياته وبعده . فشرطت لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد وولاية الخلافة

(1) عبس ليست من اليمن .

وأمور المسلمين بعدي ، وتسليم ذلك له وولاية خراسان وأعمالها وما أقطعه أمير المؤمنين من قطيعة وجعل له من عقد أو ضيعة من ضياعه وعُقدِه ، وابتاع له من الضياع والعُقد ، وما أعطاه في حياته وصِحّته من مالٍ أوحَلْيٍ أو جوهر أو متاع أوكسوة أو رقيق أو منزل أو دوابّ ، أو قليل أوكثير موفّراً عليه مسلّمًا له . وقد عِرفتُ ذلك كلّه شيئًا شيئًا بآسمه وأصنافه ومواضعه ، أنا وعبد الله بن هارون أمير المؤمنين . فإن آختلف الناس فيه فالقول قولُ عبد الله بن هارون أمير المؤمنين لا أتبعه بشيءٍ في ذلك ولا آخذه منه ولا أنتقصه صغيرا أو كبيرًا ، ولا من ولايته خراسان وأعمالها ، ولا غيرها ممّا ولّاه هارون أمير المؤمنين من الأعمال ، ولا أعزله عن شيءٍ منها ، ولا أخلفه ، ولا أستبدل به غيرَه ، ولا أقدّم قبله في العهد والخلافة أحدًا من الناس جميعاً ، ولا أدخل عليه مكروهاً في نفسِه ودمه ولا شعره ولا بشره لا خاطئًا ولا عامدًا من أموره وولايتِه ، ولا آخذه ، ولا آخذ أحدًا من عمّاله وكتّابه وولاة أموره ممّن صحِبَه وأقام معه بِمُحاسبةٍ ، ولا أتّبع شيئًا ممّا جرى على يديه وأمره في ولايتِه خراسان وأعمالها وغيرها ممّا ولّاه أمير المؤمنين هارون في حياته وصحتّه ، من الجباية والأموال والطُّرُزُ والبريد والصدقات والعُشور وغير ذلك ، ولا آمر بذلك أحدًا من الناس ، ولا أرخّص فيه لغيري ، ولا أحدّث فيه نفسي بشيءٍ أمضيه عليه ولا ألتمس قطيعتَه ولا أنقض شيئًا ممّا جعل له هارون أمير المؤمنين وأعطاه في حياته وخلافته وسلطانه من جميع ما سمّيتُ في كتابي هذا ، وآخذ له عليّ وعلى جميع الناس البيعة ، ولا أرخّص لأحدٍ من الناس كلّهم في خلعه ولا مخالفتِه ، ولا أسمع من أحدٍ من البريّة في ذلك قولا ولا أرضى بذلك في سرّ ولا علانية ، ولا أغمض / ولا أتغافل [113 أ] عليه ، ولا أقبل من برّ من العباد ولا فاجر ، ولا صادق ولا كاذب ، ولا ناصح ولا غاشّ ، ولا قريب ولا بعيد ، ولا أحد من ولد آدم ﷺ ، ذكرٍ ولا أنثى ، مشورة ولا حيلةً ولا مكيدةً في شيءٍ من الأمور ، سرّها ولا علانيتها ، وحقّها وباطلها ، وباطنها وظاهرها ، ولا سبب من الأسباب أريد بذلك إفساد شيءٍ

ممّا أَعطيتُ عبد الله بن هارون أمير المؤمنين من نفسي ، وأوجبت له عليّ ، وشرطتُ وسمّيتُ في كتابي هٰذا .

وإنْ أراد به أحدٌ من الناس أجمعين سوءًا أو مكروها ، وأراد خلعَه أو مُحاربتَه ، والوصولَ إلى نفسه ودمه ، أو حُرَمه أو مالِه ، أو سلطانه أو ولايتِه ، جميعاً أو فرادًا ، مسرّين ذلك أو مظهرين ، [فـ]ـله أن أنصرَه وأحوطه وأدفع عنه كمَا أدفع عن نفسي ومهجتي ودمي وشعري وبشري وخدمي وسلطاني ، وأجهّز الجيوش إليه ، وأعينَه على كلّ مَن غشيَهُ وخالفَه ، ويكون أمري وأمرُه في ذلك واحدًا أبدًا ما كنت حيًّا ، ولا أخذله ولا أسلمه ولا أتخلّى منه .

وإن حدث بأمير المؤمنين أو أحدنا ، أو كنّا غائبين عنه ، مجتمعَين كنّا أو مفترقَين ، وليس عبد الله في ولايته بخراسان ، فعليَّ لعبد الله ابن أمير المؤمنين أن أُمضِيَه إلى خراسان وأسلّم له ولايتَها وأعمالَها كلّها وكورَها ، ولا أعوقه عنها ، ولا أحبسه قِبلي ، ولا في شيءٍ من البلدان دون خراسان ، وأعجّلَ إشخاصَه إلى خراسان واليًا عليها وعلى جميع أعمالها ، مفرَدًا بها ، مفوَّضا إليه أعمالُها ، وأشخصَ معه جميعَ مَن ضمّه إليه أمير المؤمنين من قوّاده وجنوده وصحابتِه وكتّابه وعمّاله ومواليه وخدمه ومَن تبِعَه من صنوف الناس أهليهم وأموالهم ، ولا أرسل عليه أمينا ولا كاتبا ولا أضرب على يده في قليل ولا كثير .

وأعطيتُ أميرَ المؤمنين وعبد الله بنَ هارون على ما شرطتُ لهما على نفسي من جميع ما سمّيتُ وكتبتُ في كتابي هٰذا ، عهدَ اللهِ وميثاقَه وذمّةَ أمير المؤمنين وذمّتي وذمَم آبائي وذمَم أمراءِ المؤمنين وأشدّ ما أخذ الله على النبيّين والمرسلين وخلقِه أجمعين من عهوده ومواثيقه والأيمان المؤكّدة / التي أمر الله بالوفاء بها ونهى [113ب] عن نقضها وتبديلها .

فإن أنا نقضتُ شيئًا ممّا شرطتُ لهارون أمير المؤمنين ، ولعبد الله بن هارون ، وسمّيت في كتابي هٰذا ، أو حدّثتُ نفسي أن أنقضَ شيئًا من ذلك ،

أو بدّلتُ ، أو غدرتُ ، أو قبلتُ من أحدٍ من الناس ، صغير أو كبير ، أو برّ أو فاجرٍ ، ذكر أو أنثى ، أو جماعة أو فرادى ، فبرئتُ من الله ومن ولايته ، ومن دينِه ، ومن محمد رسول الله ﷺ ، ولقِيتُ اللهَ يوم ألقاه كافرًا به مشركا به ، وكلّ آمرأةٍ هي ليَ اليوم أو أتزوّجها إلى ثلاثين سنةً طالقٌ ثلاث البتّة طلاق الحرج ، وعليّ المشيُ إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجّة نذرًا واجبا في عنُقي ، حافيا راجلا ، لا يقبل اللهُ منّي إلّا الوفاءَ بذلك ، وكلّ مال هو اليومَ لي أو أملكه إلى ثلاثين سنةً هديٌ بالغ الكعبة البيت الحرام ، وكلّ مَملوك هو اليوم لي أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرارٌ لوجه الله ، وما جعلت لأمير المؤمنين ولعبد الله بن هارون وكتبتُه وشرطتُه لهما ، وحلفتُ عليه وسمّيتُ في كتابي هٰذا لازمٌ لي على الوفاء به ، لا أُضْمِرُ غيرَه ولا أنوي إلّا إيّاه .

فإن أضمرتُ أو نويتُ غيرَه ، فهٰذه العهودُ والمواثيق والأيمَانُ لازمةٌ لي واجبة عليّ ، وقوّاد أمير المؤمنين وجنودهُ ، وأهل الآفاق والأمصار ، وعوامُّ المسلمين بُرَءَاءُ من بَيعتي وخلافتي وعهدي وولايتي ، وهم في حلّ من خَلعي وإخراجي من ولايتي عليهم حتّى أكونَ سوقةً منَ السُّوَقِ ، وكرجلٍ من عرض المسلمين لا حقّ لي عليهم ، ولا ولايةَ ولا بيعة لي في أعناقِهم ، وهم في حلّ من الأيمَان التي أعطوَني وبرءاءُ من تبعتِها ووزرها في الدنيا والآخرة .

التزام المأمون

ونسخة الشرط الذي كتبه المأمون بيده :

بآسم الله الرحمان الرحيم

هٰذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه له عبد الله بن هارون أميرِ المؤمنين في صحّة من عقله وجوازٍ من أمره وصدقِ نيّة فيمَا كتب في كتابه ومعرفةٍ بِمَا فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين .

إنّ أمير المؤمنين هارون ولاّني العهدَ والخلافة وجميعَ أمور المسلمين في سلطانه بعدَ أخي محمد بن هارون أمير المؤمنين ، وولاّني في حياته وبعدَه ثغور خراسان وكورَها وجميعَ أعمالها من الصدقاتِ والعشر والبريد والطُّرز وغير ذلك .
وٱشترط لي على محمد ابن أمير المؤمنين هارون الوفاءَ بمَا عقد لي من الخلافةِ والولاية للعباد والبلاد بعده / وولاّني خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لي في [114 أ] شيءٍ ممّا أقطعني أمير المؤمنين . أو ٱبتاع لي من الضياع والعُقد والدور والرباع ، أو ٱبتعتُ منه من ذلك ، وما أعطاني أمير المؤمنين هارون من الأموال والجوهر والكسى والمتَاع والدوابّ ، في سبب مُحَاسبة عمّالي ، ولا يتّبع لأحدٍ منهُم أثرًا ولا يوكّل عليّ ولا على من كان معي ومنّي ، ولا من عمّالي وكتّابي ، ومَن استَعَنْتُ به من جميع الناس مكروها في نفس ولا دم ولا شَعر ولا بشر ولا مال ، ولا صغير ولا كبير . فأجابه إلى ذلك وأقرّ به وكتبَ له كتابا وكتبه على نفسه ورضي به أمير المؤمنين هارون وقبلَه وعرفَ صدقَ نيّته .

فشرطت لمُحمّد بن هارون أمير المؤمنين وجعلتُ له على نفسي أن أسمَعَ وأطيعَ ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشّه ، وأوفّي له ببيعتِه وولايتِه ، ولا أغدر ولا أنكث ، وأنفّذ كتبه وأمورَه وأحسنُ مُؤازَرتَه ومكاتفتَه ، وأجاهدَ عدوَّه في ناحيتي بأحسن ما وفَى لي وشرط لي ولعبد الله هارون أمير المؤمنين وسُمّي لي في الكتاب الذي كتبَه أمير المؤمنين لي ورضي به هارون أمير المؤمنين وقبله ولم ينقض شيئًا من ذلك ، ولا ينقض أمرًا من الأمور التي ٱشترطها لي عليه أمير المؤمنين .

وإن ٱحتاج محمد ابن أمير المؤمنين إلى أجنادٍ من جنودي وكتب إليّ بإشخاصهم إلى ناحيةٍ من نواحيه ، أو إلى عدوّ من أعدائه خالفَه أو أراد نقضَ شيءٍ من سلطانه وسلطاني الذي أسندَه هارون أميرُ المؤمنينَ إلينا وولاّنا ، [فله عليّ] أن أنفّذ أمره ولا أخالفه ولا أقصّر في شيءٍ إن كتب به إليَّ .

وإن أراد محمد ٱبن أمير المؤمنين أن يولّي رجلا من ولده العهدَ والخلافة ، فله ذلك ما وفّى لي بمَا جعل لي هارون أمير المؤمنين وٱشترط لي عليه ، وشرطه

على نفسه في أمري . وعليّ إنفاذ ذلك والوفاء له بذلك ، ولا أنقض ذلك ولا أغيّره ولا أبدّله ولا أقدّم قبلَه أحدًا من ولَدي ولا قريبًا ولا بعيدًا من الناس أجمعين ، إلّا أن يولّي هارونُ أمير المؤمنين من ولده العهدَ من بعدي ، فيلزمني ومحمّدًا الوفاءُ بذلك .

وجعلت لأمير المؤمنين هارون ولمحمّد ابن أمير المؤمنين جميع ما آشترط لي هارون أمير المؤمنين عليه في نفسي ، وما أعطاني أمير المؤمنين هارون من جميع الأشياء المسمّاة في هٰذا الكتاب الذي كتبه لي ، عهد الله وميثاقه / [114ب] وذمّة أمير المؤمنين وذمّتي وذمّة آبائي وذمَم أمير المؤمنين وأشدَّ ما أخذ الله على النبيّين والمُرسَلين وخلقه أجمعين من عهوده ومواثيقه والأيمان المؤكّدة التي أمر الله بالوفاء بها .

فإن أنا نقضتُ شيئًا ممّا شرطتُ وسمّيتُ في كتابي هٰذا أو غيّرت أو بدّلتُ أو نكثتُ أو غدرتُ ، فبرئتُ من الله ومن ولايتِه ومن دينه ومن محمد رسول الله ﷺ ، ولقيتُ اللهَ يومَ ألقاه كافرًا به مشركا .

وكلّ آمرأة هي اليوم لي أو أتزوّجُها إلى ثلاثين سنة طالقٌ البتّة طلاق الحرج .

وكلّ مَملوك لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله .

وعليّ المشيُ إلى بيت الله الحرام إلى مكّة ثلاثين حجّةً نذرًا واجبًا عليّ في عنُقي حافيا راجلا ، لا يقبل الله منّي الوفاء به . وكلّ مال هو لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنةً هديُ بالغ الكعبة .

وكلّ ما جعلت لمحمّد بن هارون أمير المؤمنين وشرطتُ في كتابي هٰذا لازم لي ، لا أضمر غيرَه ولا أنوي سواه .

شهد فلان وفلان .

مرض الرشيد وموته

فلمّا تمّ ذلك قال الناس : قد ألقى بينَهُمَا شرًّا وحربًا – وخافوا عاقبةَ ذلك ، وكان ما خافوه .

ثمّ إنّ الرشيد في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين ومائة شخص إلى الريّ ومعه المأمونُ ، وأشهدَ على نفسِهِ مَن عنده من القضاةِ والفقهاء أنَّ جميعَ ما في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمأمون ، وليس له فيه شيء . وجدّد له البيعةَ عليهم ، وأرسلَ إلى بغداد فجدّد له البيعة على محمد الأمين ، وجعل للمأمون خراسان وسجستان وجرجان وطبرستان ورويان ودنباوند والريّ خمسين سنة . فعظم ذلك على الأمين وحسده .

ثمّ إنّ الرشيد سار من الرقّة في سنة ٱثنتين وتسعين إلى بغداد يريد خراسان لحرب رافع بن الليث ، وكان مريضًا . واستخلف على الرقّة ٱبنه القاسم وضمّ إليه خزيمَة بن خازم . وسار من بغداد وٱستخلف عليها ابنَه الأمين ، وأمر المأمون بالمقَام بها . فقال الفضل بن سهل للمأمون : لستَ تدري ما يحدث بالرشيد ، وخراسان في ولايتِك ، ومحمّد الأمين المقدّم عليك . وإنّ أحسنَ ما يصنع بك أن يخلعَك ، وهو ٱبن زبيدة ، وأخواله بنو هاشم ، وزبيدة وأموالها . فٱطلب إلى أمير المؤمنين أن / تسير معه . [115 أ]

فطلب إليه ذلك فأجابه بعد ٱمتناع . فلمّا سار الرشيد سايرَه الصبّاح الطبريّ ، فقال له : « يا صباح ، لا أظنّك تراني أبدًا » . فدعا له ، فقال : ما أظنّك تدري ما أجد .

قال : لا والله .

فعدل عن الطريق فٱستظلّ بشجرة وأمر خواصّه بالبعد عنه ، فتنحَّوْا . ثمّ كشف عن بطنِه فإذا عليه عصابة حرير ، فقال : هٰذه علّة أكتُمُهَا الناس كلَّهم . ولكلّ واحدٍ من ولدي عليٍّ رقيب : فمسرور رقيب المأمون ، وجبريل

آبن بختيشوع رقيب الأمين، وما منهم أحد إلّا وهو يحصي أنفاسي ويستطيل دهري .

ثمّ ركب حتّى بلغ جرجان في صفر سنة ثلاث وتسعين ، وقد آشتدّت علّته . فسيّر المأمون إلى مرو ومعه القوّاد ، وهم : عبد الله بن مالك ، ويحيى ابن معاذ ، وأسد بن يزيد ، والعبّاس بن جعفر ، ومحمّد بن الأشعث ، والسنديّ ، ويحيى بن سعيد الجرشيّ ، ونعيم بن خازم .

وسار الرشيد إلى طوس ، وآشتدّ به الوجع . فقدم المأمون مرو لعشرٍ بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، ومرو يومئذ دار الإمارة ومستقرّ ولاة خراسان منذ فتحها المسلمون . فأقام المأمون بها إلى أن آنتقل عن الإمارة إلى الخلافة .

وتوفّي الرشيد بطوس على أثر قدومه بثلاثة عشر يوماً لثلاث خلون من جمادى الآخرة [سنة 193] فبويع بعده بالخلافة الأمين محمد ابن الرشيد . فلم يلبث أن وقع آلاختلاف بينه وبينَ أخيه المأمون من سنته .

الخلاف بين الأخوين

وسبب ذلك أنّ الأمين حسد المأمون على ما كان من إقرار الرشيد له بجميع ما معه من الأموال وغيرها ، وأخذه البيعةَ له على جميع مَن في عسكره من القوّاد وغيرهم . ثمّ بلغه شدّة مرض الرشيد فبعث بكر بن المعتمر بكتبٍ قد أخفاها ، وأمره أن لا يظهرَ الرشيدَ ولا غيرَه عليها حتى يمُوت ، فيدفع إلى كلّ إنسانٍ كتابه .

فلمّا مات الرشيد أخرج الكتب ، وهي :

– كتاب إلى أخيه المأمون يأمره بترك الجزع وأخذ البيعة لهما ولأخيهما المؤتمن على الناس – وكان المأمون قد مضى إلى مرو .

– وكتاب إلى أخيه صالح ابن الرشيد يأمره بتسيير العسكر بِمَا فيه وأن

يتصرّف هو ومَن معه برأي الفضل بن الربيع .

– وكتاب إلى الفضل [بن الربيع] يأمره بالحفظ والاحتياط على الحرم والأموال وغير ذلك .

وأقرّ كلَّ مَن إليه عمل على عمله كصاحب الشرطة والحرس والحجابة .

فلمّا قرؤوا الكتب تشاوروا هم والقوّاد في اللحاق بالأمين أو المأمون . فقال الفضل بن الربيع : لا أدع ملكا حاضرًا لآخر ما أدري ما يكون من أمره . وأَمَرَ الناسَ بالرحيل إلى بغداد فرحلوا / وتركوا العهود التي كانت أخذت عليهم للمأمون. [115ب]

فلمّا بلغ المأمون ذلك جمع مَن عنده من قوّاد أبيه ، وهم : عبد الله بن مالك ، ويحيى بن معاذ ، وشبيب بن حميد بن قحطبة ، والعلاء مولى هارون ، وهو على حجابته ، والعبّاس بن المسيّب بن زهير ، وهو على شرطته ، وأيّوب بن أبي سمير ، وهو على كتابته ، وعبد الرحمان بن عبد الملك بن صالح ، وذو الرئاستَين الفضل بن سهل ، وهو أعظمُهم عنده قدرًا وأخصُّهم به .

وآستشارهم فأشاروا عليه أن يلحقهم في ألفَي فارس جريدة فيردّهم . فخلا به ذو الرئاستَين وقال : إن فعلتَ ما أشار به هؤلاء جعلوك هديّةً إلى أخيك . ولكنّ الرأيَ أن تكتب إليهم كتابا وتوجّه رسولا تذكّرهم البيعةَ وتسألهم الوفاءَ وتحذّرهم الحنث وَمَا فيه دنيا وآخرَةً .

ففعل ذلك ووجّه سهل بن صاعد ، ونوفلًا الخادم ، ومعهُما كتاب . فلحقا الجند والفضل بن الربيع بنيسابور ، فأوصلا الكتاب إلى الفضل فقال : « إنّمَا أنا واحدٌ من الجند » . وشدّ عبد الرحمان بن جبلة الأنصاريّ[1] على سهل بالرمح ليطعنَه فأمرّه على جنبه وقال له : قل لصاحبك : « لو كنتَ حاضرًا لوضعتُه فيك ! » وسبّ المأمون .

---

(1) هٰكذا في المخطوط ، وعند الطبريّ ، 8/ 271 و 416 : الأبناوي . وفي اللباب : الأبناويّ : نسبة إلى الأبناء وهم أولاد الفرس باليمن .

فرجعا إليه بالخبر فقال له ذو الرئاستَين : أعداء استرحتَ منهم ، ولكن أفهم عنّي : إنّ هٰذه الدولة لم يكن قطّ أعزّ منها أيّام المنصور ، فخرج عليه المقنّع وهو يدّعي الربوبيّة أو يطلب بدم أبي مسلم ، فضعضع العسكر لِخروجه بخراسان . ثمّ خرج بعده يوسف البرم ، وهو عند المسلمين كافر فتضعضعوا أيضاً له . فأخبرني أنت أيّها الأمير ، كيف رأيت الناسَ عندما ورد عليهم خبر رافع بن الليث بن نصر بن سيّار ؟

قال : رأيتُهم اضطربُوا اضطرابا شديدًا .

قال : فكيف بك ، وأنت نازل في أخوالك ، وبيعتُك في أعناقهم ، كيف يكون اضطراب أهل بغداد ؟ اصبر ، وأنا أضمَنُ لك الخلافة !

قال المأمون : قد فعلت وجعلت الأمر إليك فقُم به .

قال ذو الرئاستَين : والله لأصدُقنّك ! إنّ عبد الله بن مالك ومن معه من القوّاد إن قاموا لك بالأمر كانوا أنفع لك منّي برئاستهم المشهودة وبمَا عندهم من القوّة . فمَن قام بالأمر كنتُ خادما له حتّى تبلغَ أملَك وترى رأيَك .

وقام ذو الرئاستَين فأتاهم في منازلهم وذكر لهم البيعة وما يجب عليهم من الوفاء ، فكأنّما جاءهم بجيفةٍ على طبقٍ فقال بعضهم : هٰذا لا يحلّ ، اخرج !

وقال بعضهم : مَن الذي يدخل بين أمير المؤمنين وبين أخيه ؟

تكليف الفضل بن سهل بأمر المأمون

فخرج وأتى المأمونَ فأخبرَه فقال له : قم بالأمر .

[116 أ] فقال له الفضل : إنّك أيُّها الأمير / قد قرأت القرآن وسمعتَ الأحاديث وتفقّهتَ في الدين . فأرى أن تبعث إلى مَن بحضرتك من الفقهاء فتدعوهم إلى

الحقّ والعمل به وإحياء السنّة . وتقعد على الصوف وتردّ المظالم .

ففعل ذلك جميعَه وأكرم القوّاد والملوك وأبناء الملوك . وكان يقول للتميميّ : نُقيمُك مقامَ موسى بن كعب ، وللربعي : نقيمُك مقام أبي داود خالد بن إبراهيم ، ولليماني : نقيمُك مقام قحطبة ومالك ابن الهيثم – وكلّ هؤلاء نقباء الدولة العبّاسيّة .

ووضع عن أهل خراسان ربُع الخراج فحسُن ذلك عند أهلها وقالوا : آبن أختنا وآبن عمّ نبيّنا ﷺ .

وهٰذا وقد أقبل الأمين على اللهو . فأقام المأمون يتولّى ما بيده من خراسان والريّ . وأهدى إلى الأمين وكتب إليه وعظّمه . فأمر الأمين في سنة أربع وتسعين [ومائة] بالدعاء على المنابر لأبنه موسى .

وسبب ذلك أنّ الفضل بن الربيع خشيَ [أنّ] المأمون إن أفضى الأمرُ إليه لم يُبْقِ عليه . فأخذ يغري الأمين به ويحثّه على خلعِه والبيعة لأبنه موسى بولاية العهد ، وصغّر عنده أمرَ المأمون . ووافقه على هٰذا عليّ بن عيسى بن ماهان ، والسندي ، وجماعة . فرجع إلى قولهم وكتب إلى جميع العمّال بالدعاء لأبنه موسى بالأمر بعده ، وتقديمه ، في الدعاء ، على المأمون والمؤتمَن . وعزل المؤتمَن عن الجزيرة .

فلمّا بلغ ذلك المأمون أسقط آسمَ الأمين من الطراز ، وقطع البريد عنه . فلحق به رافع بن الليث بن نصر بن سيّار ، وهرثمَة بن أعيَن . فولّى هرثمَة الحرس . فأنكر الأمين ذلك كلّه ، وكتب إلى العبّاس بن عبد الله بن مالك عامل المأمون على الريّ يأمره أن ينفذ إليه بغرائب غروس الريّ – يريد بذلك آمتحانه . فبعث إليه بِمَا أمره وكتم ذلك عن المأمون وذي الرئاستَين . فلمّا بلغ المأمونَ ذلك عزلَه .

وأرسل الأمين إلى المأمون بالعبّاس بن موسى بن عيسى بن محمّد بن عليّ ،

ومعه عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وصالح صاحب المصلّى ، ومحمّد آبن عيسى بن نهيك ، يطلب إليه أن يقدّم ابنه موسى على نفسه وأن يحضر عنده فقد آستوحش لبُعده . فبلغ الخبر إلى المأمون فكتب إلى عمّاله بالريّ ونيسابور وغيرهُما يأمرهم بإظهار العدّة والقوّة ، ففعلوا ذلك .

وقدم الرسل على المأمون فأبلغوه الرسالةَ . فآستسار الفضلَ بن سهل فقال : أحضر هشاماً والدَ علي وأحمد آبنيَ هشام ، وآستشِره .

ففعل ، فقال : إنّمَا أخذت البيعةُ علينا على أن لا نُخرَجَ من خراسان . فمَتَى فعل محمد ذلك فلا / بيعةَ له في أعناقنا ، والسلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتُه . ومتى هممتَ بالمسيرِ إليه تعلّقتُ بك بيميني ، فإذا قُطعت تعلّقتُ بيساري ، فإذا قُطعت تعلّقت بأسناني ، فإذا ضُرِبت عنُقي كنت قد أدّيتُ ما عليّ !

[116ب]

فقوي عزم المأمون على آلامتناع ، وأحضر العبّاس وأعلمَه أنّه لا يحضر ، ولا يقدّم موسى على نفسه .

فقال العبّاس : ما عليك أيّها الأمير من ذلك . فهٰذا جدّي عيسى بن موسى قد خُلع فمَا ضرّه .

فصاح به ذو الرئاستَين : آسكت ! إنّ جدّك كان أسيرًا في أيديهم . وهٰذا بين أخواله وشيعته .

ثمّ قاموا . فخلا ذو الرئاستَين بالعبّاس وآستمالَه ، ووعدَه إمر[ة] الموسم ومواضعَ من مصر . فأجاب إلى بيعة المأمون – فسُمّي المأمون من ذلك الوقت بالإمام – فكان العبّاس يكتب إليهم بالأخبار من بغداد .

آمتناع المأمون من ترك خراسان

ورجع الرسل إلى الأمين فأخبروه بآمتناع المأمون . وألحّ الفضل وعليّ بن

عيسى على الأمين في خلع المأمون والبيعة لأبنه موسى ابن الأمين . وكان الأمين قد كتب إلى المأمون يطلب منه أن ينزل له عن بعض كور خراسان ، وأن يكون له عنده صاحب البريد يكاتبه بالأخبار . فٱستشار المأمون خواصّه وقوّادَه في ذلك ، فأشاروا عليه بٱحتمال ذلك والإجابة إليه خوفًا من شرٍّ هو أعظمُ منه . فقال لهم الفضل بن سهل : أتعلمون أنّ الأمين طلب ما ليس له ؟

قالوا : نعم ، ونحتَمِل هٰذا لضَرَرِ مَنعِه .

قال : فإن فعل غيرها فمَا ترون ؟

قالوا : نمنعُه .

قال : فهٰذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء : فإنّهُم إنّمَا قالوا : ٱستصلح عاقبة أمرك بٱحتمال ما عرض من مكروه في يومك ولا تلتمِسْ هُدنَة[1] يومك بخطر أدخلتَه على نفسك في غدك .

فقال المأمون لذي الرئاستَين : فمَا تقول أنت ؟

قال : أسعدك الله ، هل تأمَن أن يكون الأمين قد طالبك بفضل قومك ليظهر بهم عليك ؟ بل إنّمَا أشار الحكماءُ بحمل ثقل يرجُون به صلاحَ العاقبة .

فقال المأمون : بإيثار دعة العاجل صار من صار إلى فساد العاقبة في دنياه وآخرته .

وٱمتنع المأمون من إجابته إلى ما طلب . وأنفذ ثقاته إلى حدِّ أعمَاله وأمرهم أن لا يُمكِّنوا أحدًا من العبور إلى بلاده إلّا مع ثقة من ناحيتِه . فضبط الطرق بثقات أصحابه ، فلم يُمكِّنوا من دخول خراسان إلّا مَن عرفوه وأتى بجواز أو كان تاجرًا معروفًا .

---

(1) الهدنة بتثليث الأوّل : الطريقة والجهة والشأن . ولعلّها : هدنة بالنون . وانظر الطبريّ 3 / 781 .

وقيل لمّا أراد الأمين أن يكتب إلى المأمون يطلب بعض كور خراسان قال له [117أ] إسماعيل بن صبيح : « يا أمير المؤمنين ، إنّ هٰذا ممّا / يُقوّي التهمةَ وينبّه على الحذر . ولكن اكتب إليه فأعلِمه حاجتَك إليه وما تُحبُّ من قربه والاستعانة على ما ولّاك الله ، وتسأله القدوم عليك لتَرجع إلى رأيه فيمَا تفعل » . فكتب إليه بذلك وسيّر الكتاب مع نفر وأمرهم أن يبلغوا الجهد في إحضاره . وسيّر معهم الهدايا الكثيرةَ . فلمّا حضر الرسول عنده وقرأ الكتاب ، آستشار فأشير عليه بمُلازمة خراسان ، وخُوِّفَ من القرب من الأمين . فقال : لا يُمكنُني مخالفتُه وأكثرُ القوّاد والأموال معه ، والناس ما يلوون إلّا على الدرهم والدينار لا يرغبون في حفظ عهدٍ ولا أمانة . ولست في قوّة حتى أمتنعَ ، وقد فارق جَبْغَوَيه الطاعة ، والتوى خاقان ملك التبّت ، وملك كابل قد آستعدّ للغارة على ما يليه ، وملك أترابندة قد منع الضريبة ، وما لي بواحدٍ من هٰذا الأمور يدٌ ، ولا أرى إلّا تخلية ما أنا فيه واللحاق بخاقان ملك الترك والاستجارة به ، لعلّي آمن على نفسي .

فقال ذو الرئاستَين : إنّ عاقبةَ الغدر وخيمةٌ ، وتبعةُ الغدر غيرُ مأمونة . ورُبّ مقهور قد عاد قاهرًا ، وليس النصر بالكثرة والقلّة ، والموتُ أيسر من الذلّ والضيم . وما أرى أن تصير إلى أخيك متجرّدًا من قوّادك وجندك كالرأس الذي فارَقَ بدَنه فتكون عنده كبعض رعيّته يجري عليك حكمَه من غير أن تُبليَ عذرًا في قتال . فآكتب إلى جبغويه وخاقان فولّهما بلادَهُما ، وآبعث إلى ملك كابل ووادِعْه ، وآترك للملك اترابندة ضريبته . ثمّ آجمع أطرافَك وضمّ جندَك وآضرب الخيلَ بالخيلِ والرجال بالرجال . فإن ظفرتَ ، وإلّا لحقتَ بخاقان .

فعرف المأمونُ صدقَه وفعل ما أشار به . فرضيَ أولائك الملوك العصاة . وضمّ جندَه وجَمَعَهُمْ عنده . وكتب إلى الأمين : أمّا بعد ، فقد وصل كتاب أمير المؤمنين ، وإنّمَا أنا عامل من عمّاله وعون من أعوانه ، أمرني الرشيد بلزوم هٰذا الثغر ، ولعمري إنّ مُقامي به أردّ عَنْ أمير المؤمنين وأعظمُ غَناء عن المسلمين من

الشخوص إلى أمير المؤمنين ، وإن كنت مغتبطا بقربه مسرورًا بِمشاهدة نعمة الله عنده . فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يُقرّني على عملي ويُعفيَني من الشخوص ، فعل أن شاء الله .

فلمّا قرأ الأمين كتابه علم أنّه لا يتابعه على ما يريده . فكتب إليه يسأله أن ينزل له عن بعض كور خراسان . فلمّا آمتنع من إجابته إلى ذلك أرسل جماعةليناظروه في منع ما طلب منه . فلمّا وصلوا إلى الريّ مُنعوا ووجدوا تدبيرَه محكمًا وحفظوا / في حال سفرهم وإقامتهم من أن يُخبروا أو يستخبروا ، وكانوا مُعَدّينَ [117ب] لِوضعِ الأخبار في العامّة فلم يُمْكنهم ذلك . فلمّا رجعوا أخبروا الأمين بمَا رأوا .

وقيل إنّ الأمين لمّا عزم على خلع المأمون وزيّن له ذلك الفضل وآبن ماهان دعا يحيى بن سليم وشاوره في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف نفعل ذلك مع ما أكّده الرشيد من بيعته وأخذ الشرائط والأيمَان في الكتاب الذي كتبهُ ؟

فقال الأمين : إنّ رأي الرشيد كان فلتة شبّهها عليه جعفر بن يحيى . فلا ينفعنا ما نحن فيه إلّا بقلعه وآجتثاثه .

فقال يحيى : إذا كان رأي أمير المؤمنين خلعه فلا يجاهده فيستنكر الناس ذلك . ولكن يستدعي أمير المؤمنين الجندَ بعدَ الجندِ والقائد بعد القائد ويؤنسه بالألطاف والهدايا ، ويفرّق ثقاته ومَن معه ويرغّبهم بالأموال . فإذا وهَّيْتَ قُوّتَه وآستفرغتَ رجاله أمرتَه بالقدوم عليك . فإن قدم صار الذي نريد منه . وإن أبى كنتَ قد تناولتَه وقد كلّ حدّه .

فقال الأمين : أنتَ مهذارٌ خطيب ، ولست بذي رأي مصيب ، قُم فآلحق بمدادك وأقلامك !

وكان ذو الرئاستَين قد اتّخذ قومًا ببغداد يكاتبونه بآلأخبار . وكان الفضل بن الربيع قد حفظ الطرق ، فكان أحد أولائك النفر إذا كاتب ذا الرئاستَين بمَا

تجدّد ببغداد ، سيّر الكتاب مع ٱمرأةٍ وجعل الكتاب في عود أكَاف [1] فتسير كالمُجتازة من قرية إلى قرية . فلمّا ألحّ الفضل بن الربيع في خلع المأمون أجابه الأمين إلى ذلك وبايع لولدِه موسى في صفر – وقيل في ربيع الأوّل – سنة خمس وتسعين ومائة ، وسمّاه « الناطق بالحقّ » . ونهى عن ذكر المأمون والمؤتمَن على المنابر ، وأرسل إلى الكعبة بعض الحجبة فأتاه بالكتابين اللذَين وضَعَهُمَا الرشيد في الكعبة ببيعة الأمين والمأمون ، فمزّقهُمَا الفضل . فلمّا بلغ المأمونَ ذلك قال : هٰذه أمور أخبر الرأي عنها ، وكفانا أن نكون مع الحقّ .

فكان أوّل ما دبّره ذو الرئاستَين حين بلغهم هٰذا الخبر أن جمع الأجناد الذين اتّخذهم بجنبات الريّ مع الأجناد الذين بها ، وأمدّهم بالأقوات وغيرها ، وكانت البلاد عندهم قد أجدبَت ، وأكثَرَ عندهم ما يريدونه حتّى صاروا في أرغد عيش . وأقاموا بالحدّ ما يتجاوزونه . ثمّ أرسل إليهم طاهرَ بن الحسين بن مصعب الخزاعيّ أميرًا في عدّة من قوّاده وأجناده ، فسار مجدًّا حتّى ورد الريّ ، [118 أ] فنزلها / ووضع المسالح والمراصد .

ووجّه الأمين عصمة بنَ حمّاد إلى همذان في ألف رجل ليقيم بها . وأخذ الفضل بن الربيع وعليّ بن عيسى بن ماهان يغريانه بحرب المأمون ، فأمر ٱبن ماهان بالمسير لحربه . وسبب تعيينه لذلك أنّ ذا الرئاستَين كان له عَين عند الفضل بن الربيع يرجع إلى قوله ورأيه ، فكتب إليه بأن يشير عليه بإنفاذ ٱبن ماهان لحربهم . وقصد بذلك أنّ ٱبن ماهان كان لمّا وليَ خراسان في أيّام الرشيد أساء السيرة في أهلها وظلمهم فعزله عنها . لذلك فإنّ أهل خراسان أبغضوه ونفروا عنه . فأراد أنّه إذا سار إليهم ازداد الخراسانيّون جدًّا في محاربتِه . ففعل الرجل ما أمره به ذو الرئاستين ، حتّى أمر الأمينُ ٱبنَ ماهان بالمسير .

وقيل : بل سبب ذلك أنّ عليًّا قال للأمين : « إنّ أهل خراسان كتبوا إليّ

---

(1) الأَكاف : البرذعة .

يذكرون أنّه إن قصدتهُم أطاعوني وٱنقادُوا إليّ ، وإن كان غيري ، فلا » . فأمره بالمسير ، وأقطعَه كُوَر الجبل كلّها : نهاوند ، وهمَذان ، وقمّ ، وقاشان وغير ذلك ، حربَها وخراجَها . وأعطاه الأموال وحكّمه في الخزائن ، وجهّز معه خمسين ألفَ فارس . وكتب إلى أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجليّ ، وهلال بن عبد الله الحضرميّ بالانضمام إليه . وأمدّه بالأموال والرجال شيئًا بشيءٍ . فلمّا عزم على المسير من بغداد ، ركبَ إلى باب زبيدة أمّ الأمين ليودّعها . فقالت له : يا عليّ ، إنّ أميرَ المؤمنين ، وإنّ كان ولدي [و] إليه تناهت شفقتي ، فإنّي على عبد الله متعطّفة لمَا يحدث عليه من مكروه وأذًى . وإنّمَا ٱبني ملك نافس أخاه في سلطانه ، والكريم يأكل لحم أخيه ويمْنعه غيرَه . فٱعرف لعبد الله حقّ ولادتِه ، وأخوَّتَه ، ولا تجبَهْه بالكلام . فإنّك لستَ بنظير له ، ولا تقتسِره اقتسار العبيد . ولا توهِنه بقيد ولا غلّ . ولا تمْنَعْه جاريةً ولا خادمًا ، ولا تعنف عليه في السير ولا تساوِه في المسير ، ولا تركب قبله ، وخذ بركابِه . فإن شتَمَك فٱحتمل منه .

ودفعت إليه قيدًا من فضّة وقالت له : إن صار إليك فقيّده بهٰذا القيد .

فقال : سأفعل ما أَمرتِ به .

ثمّ سار في شعبان ، وركب الأمين ليشيّعَه ومعه القوّاد والجنود ، فلم يُر ببغداد عسكر قبله أكثرُ رجالا ولا كُراعاً منه . ووصّاه الأمين إن قاتله المأمون أنْ يحرص على أسره ، ومضى .

فبلغه أنّ طاهرا مقيم بالريّ والأمدادُ تأتيه من خراسان / وهو يستعدّ [118ب] للقتال . فقال : « إنّمَا طاهر شوكة من أغصَاني ، وما مثل طاهر يتولّى الجيوش » . ثمّ قال لأصحابه : ما بينكم وبين أن ينقصف انقصافَ الشجر من الريح العاصف إلّا أن يبلغَه عبورُنا عقبة همذان ، فإنّ السخال[1] لا تقوى على

(1) السخال : أولاد الغَنم .

النطاح ، والبغال لا صبرَ لها على لقاء الأسد . وإن أقام تعرّض لحدّ السيوف وأسنّة الرماح . فإذا قارَبْنا الريّ ودنَونا منهم فتّ ذلك في أعضادهم .

ثُمَّ أنفذ الكتب إلى ملوك الديلم وطبرستان وما والاها يَعدهُم الصّلاتِ وأهدى لهُم التيجانَ والأساورةَ وغيرَها ، وأمرهم أن يقطعوا طريق خراسان . وسار حتّى أتى أوائل الريّ ، وهو قليل الاحْتياط . فأشار عليه أصحابُه بإذكاء العيون وعمل الخندق على عسكره وإرسالِ الطلائع خوفَ البياتِ ، فقال : مثل طاهر لا يُستعدُّ له . وإنّ حاله يؤولُ إلى أحدِ أمرَين : إمّا أن يتحصّن بالريّ فيَثِبُ به أهلُها فيكفُوننا أمرَه . وإمّا أن يرجع ويتركها إذا قربَت خيلُنا منه .

فقالوا : لو كان عزمَه تركُها والرجوعُ لفعل ، فإنّا قد قربنا منه .

فلم يلتفت إلى قولهمْ . فلمّا صار بينه وبين الريّ عشَرة فراسخ ، ٱستشار طاهر أصحابه ، فأشاروا عليه أن يقيمَ بالريّ ويدافع القتالَ إلى أن يأتيَه المددُ من خراسان ، أو يصل قائد يتولّى الأمورَ دونَه . وقالوا : إنّ مقامك أرفَقُ بأصحابك وأقدر لهم على الميرة ، والزمن شتاء وبردٌ . فتعتصِم بالبيوت وتقوى على المُماطلة .

فقال : إنّ الرأيَ غيرُ ما رأيتُم : إنّ أهل الريّ لعليّ هائبون ، ومن سطوته مشفقون ، ومعه من أعراب البوادي وصعاليك الجبال كثير . ولست آمنُ إن أقمتُ بالريّ أن يثب أهلها بنا خوفًا من عليّ . وما الرأيُ إلّا أن نسيرَ إليه ، فإن ظفرنا ، وإلّا عوّلنا عليها فقاتلناه فيها إلى أن يأتيَنا مدد .

القتال بين طاهر بن الحسين وٱبن ماهان

ثمّ نادى في أصحابه ، وخرج من الريّ في أقلّ من أربعة آلاف فارس ، وعسكر على خمسة فراسخ . فأتاه أحمد بن هشام صاحب شُرَطه وقال له : إن أتانا عليّ بن عيسى فقال : « أنا عامل أميرِ المؤمنين » وأقررنا له بذلك ، فليس

لنا أن نحاربَه .

وساروا . فقال له بعض أصحابه : إنّ جُندَك قد هابوا هٰذا الجيشَ . فَلَوْ أخَّرْتَ القتالَ إلى أن يُشَامَّهُم أصحابُك ويأنسُوا بهم ويعرفوا وجهَ المأخذِ في قتالهم ؟

فقال له طاهر : لم يأتني في ذلك شيء .

فقال : دعني وما أريد !

قال : ٱفعل .

فصعِد المنبر فخلع الأمين ونادى للمأمون بالخلافة .

فقال : إنّي لا اؤتى من قلّة تجربة وحزم : إنّ أصحابي قليل ، والقوم عظيمٌ سوادهم كثيرٌ عددُهم . فإن أخَّرتُ القتال ٱطّلَعُوا على / قلّتِنا ، وٱستمالوا [119 أ] مَن معي برغبة ورهبةٍ فيخذلني أهلُ الصبر والحفاظ . ولكن أَلْقَى الرجال بالرجال ، وأُقحم الخيلَ على الخيل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء فأصبِرُ صبرَ محتسِبٍ للجنّة حريصٍ على الفوز بالشهادة . فإن نصرَنا الله فذاكَ الذي نريده ونرجوه . وإن تكنِ الأخرى ، فلستُ بأوّلِ مَنْ قاتل فقُتل ، وما عند الله أجزلُ وأفضلُ .

وقال علي بن عيسى لأصحابه : بادروهم ، فإنّهم قليل ، ولو وجدُوا حرارةَ السيوف وطعنَ الرماح لم يصبروا عليها .

وعبّأ جنده ميمنةً وميسرةً وقلبًا ، وعبّأ عشرَ راياتٍ مع كلّ رايةٍ ألفُ رجلٍ وقدّمها رايةً رايةً ، وجعل بينَ كلّ رايتينِ غلوةَ سهمٍ . وأمر أمراءها إذا قاتلت الرايةُ الأولى فطال قتالُهم أن تتقدّم التي تليها وتتأخّر هيَ حتى تستريحَ . وجعل أصحابَ الجواشن أمامَ أصحاب الرايات ، ووقّفَ في القلب شجعانَ أصحابه .

وعبّأ طاهر أصحابَه كراديسَ ، وسار بهم يحرّضهُم ويوصيهم ويرجّيهم

فهرب من أصحابه جماعة إلى عليّ فجلدَ بعضهم وأهان الباقين ، فكان ذلك ممّا ألّب بقيّتَهم على قتاله .

وزحف الناس بعضهم لبعض ، فقال أحمد بن هشام لطاهر : ألا تُذكّر عليّ بنَ عيسى البيعةَ التي أخذَها هو علينا للمأمون خاصّةً ، معاشرَ أهل خراسان ؟

فقال : أفعل .

فأخذ البيعةَ فعلّقَها على رمح وقام بين الصفَّين ، وطلب الأمان فأمّنه علي ابن عيسى ، فقال : ألاتتّقي الله عزّ وجلّ ؟ أليس هذه نسخةَ البيعة التي أخذتَها أنتَ خاصّةً ؟ أتّقِ الله ، فقد بلغتَ بابَ قبرك !

فقال عليّ : من أتاني به فله ألف درهم !

فشتَمه أصحاب أحمد . وخرج من أصحاب عليّ رجل فحمل عليه طاهر وأخذ السيفَ بيديه وضربَه فصرعَه . فلذلك سُمّيَ طاهر « ذا اليمينَين » .

ووثب أهل الريّ فأغلقوا باب المدينة ، فقال طاهر لأصحابه : « آشتغلوا بمَن أمامَكم عمّن خَلْفَكم فإنّه لا ينجيكم إلّا الجدّ والصدق » . ثمّ اقتتلوا قتالا شديدا ، وحملَت ميمنَةُ عليّ على ميسرة طاهر فانهزمت هزيمة منكرة وحملت ميسرتُه على ميمنة طاهر فأزالتها أيضاً عن موضعها . فقال طاهر : اجعلوا جدّكم وبأسكم على القلب واحملوا عليهم حملةً خارجيّةً . فإنّكم متى فضضتم منها رايةً واحدةً رجعت أوائلُها على أواخرِها .

فصبر أصحابه صبرًا صادقًا وحملوا على أوّل رايات القلب فهزموهم وأكثروا فيهم القتل ، ورجعت الرايات بعضها على بعض ، فانتقضت ميمنة عليّ ، ورأى أصحاب ميمنةِ طاهر وميسرته ما فعل أصحابهم فرجعوا على مَن بإزائهم فهزموهم . وانتهتِ الهزيمَةُ إلى عليّ فجعل ينادي أصحابه : أين / أصحاب [119ب] الجواشن والجوائز والأساورة والأكاليل ؟ إلى الكرّة بعد الفرّة !

فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتلَه وحمل رأسه إلى طاهر ، وشدّت يداه إلى رجليه وحمل على خشبة إلى طاهر فأمر به فأُلقي في بئر . وأعتق طاهر مَن كان عنده من غلمانه شُكرًا لله تعالى [1] .

وتمّت الهزيمَة على أصحاب عليّ ووضع أصحاب طاهر فيهم السيوف وتبعوهم فرسخَين واقفوهم فيها اثنتي عشرة مرّة ، في كلّ ذلك ينكسر أصحاب عليّ ويقتل أصحاب طاهر منهم ويأسرون حتى حال الليل بينهُم . وغنموا غنيمةً عظيمَةً . ونادى طاهر : « مَن ألقى السلاح فهو آمنٌ ! » فطرحوا أسلحتَهم ونزلوا عن دوابّهم .

ورجع طاهر إلى الريّ ، وكتب إلى المأمون وذي الرئاستَين بعد البسملة : كتابي إلى أمير المؤمنين ، ورأس عليّ بين يديّ وخاتَمُهُ في أصبعي ، وجُندُه مُصَرَّفون تحت أمري ، والسلام .

فورد الكتاب مع البريد في ثلاثة أيّام ، وبينهُما نحو من خمسين ومائة فرسخ . فدخل ذو الرئاستين على المأمون فهنّأه بالفتح ، وأمر الناس فدخلوا عليه فسلّموا عليه بالخلافة. ووصل رأسُ عليّ بعد الكتاب بيومين فطِيف به في خراسان

فلمّا بلغ الأمين الخبر بقتل عليّ بن [عيسى] بن ماهان ، بعث الفضل بن الربيع إلى نوفل الخادم وكيل المأمون على ملكه بالسواد ، والناظر في أمر أولاده ببغداد ، فأخذ جميعَ ما عنده ، ومن جملته ألف ألف درهم كان الرشيد وصل المأمون بها . وقبض ضياعَهُ وغلّاتِهِ .

هزيمة ثانية لجيش الأمين

ووجّه الأمين بعبد الرحمان بن جبلة الأنباري[2] في عشرين ألفًا نحو همذان ،

---

(1) انظر الطبريّ تحت سنة 195 (ج 8/ 411) .

(2) هو الأنصاري فيما سبق ص 263 ، والأبناويّ عند الطبريّ ، ولا يُفهم هذا السهو من المقريزيّ ، والنسخة بخطّه .

وٱستعملَه عليها وعلى كلّ ما يفتحُه من أرض خراسان وأمره بالجدّ وأمدّه بالأموال . فسار من بغداد حتّى نزل همذان فحصَّنها ورمّ سورها . فأتاه طاهر إلى همذان فبرز إليه على تعبئتِه فٱقتتلوا قتالا شديدًا صبر فيه الفريقان . فكثر القتل والجرح فيهم . ثمّ ٱنهزم عبد الرحمان وٱمتنع بهمذان أيّامًا حتّى قويَ أصحابه وٱندملت جراحُهم ، ثمّ خرج . فقال طاهر لأصحابه : إنّ عبد الرحمان يريد أن يتراءى لكم ، فإذا قربتُم منهُ قاتلَكُم ، فإن هزمتمُوه دخلَ المدينةَ وقاتلَكم على خندقِها . وإن هزمَكم ٱتّسع له المجال . ولكن قفوا قريبًا من معسكرنا وخندَقِنا فإن قرب منّا قاتلناه .

فوقفوا . فظنّ عبد الرحمان أنّ الهيبةَ منعَتهم ، فتقدّم إليهم ، فٱقتتلوا قتالا شديدًا صبر فيه الفريقان ، وكثُر القتلُ في أصحاب عبد الرحمان . ثمّ قتل صاحبُ علَمه أيضاً وٱنهزم أصحابه فوضع أصحاب طاهر فيهم السيوف يقتلونهم حتّى / [120 أ] ٱنتهَوا إلى المدينة فحصرها طاهر حصارًا شديدًا حتّى ضجر أهل المدينة ، وخاف عبد الرحمان أن يثبوا به فطلب الأمان فأمّنه طاهر . وخرج من المدينة . فترك طاهر أصحابَه بباب همذان ، وصار في ألف فارس يريد قزوين فأخذها وترك فيها جندًا وٱستعمل عليها رجلا من أصحابه . وٱستولى على جميع أعمال الجبل .

وكان عبد الرحمان لمّا خرج من همذان أقام يُري طاهرًا وأصحابَه أنّه مسلم لهُمْ راضٍ بأمانهم . ثمّ ركبَ في أصحابه وهجم على طاهر وأصحابه فلم يشعروا إلّا به قد خالطهم ، فثبتُوا له وقاتلوه أشدّ قتال حتى تقطّعت السيوف وتكسّرت الرماح . وٱنهزم أصحاب عبد الرحمان وبقيَ في نفر قليل يقاتل ، وأصحابه يقولون له : قد أمْكنَكم الهرَب فٱهرْب !

فقال : لا يرى أمير المؤمنين وجهي منهزماً أبداً .

وقاتل حتّى قُتل . وكان الأمين قد أمدّه بجيش عظيم ، فعندما انتهى إليهم المنهزمون ولّوا على أدبارهم من غير قتال ، وعادوا إلى بغداد . فخلت البلاد

لطاهر وأقبل يحوزها كورة كورة حتّى بلغ بعض قرى حلوان . فنزل بها وخندق على عسكره وتحصّن . فبعث الأمين في سنة ستّ وتسعين ومائة عشرين ألفَ فارس مع أحمد بن مزيد الشيباني ، وأردفه بعبد الله بن حميد بن قحطبة على عشرين ألفًا لحرب طاهر . فساروا من بغداد إلى خانِقين [1] وطاهر مقيم بموضعه وقد دسّ الجواسيس وآحتال في وقوع الاختلاف بينهم حتّى تمّ له ما أراد وقاتل بعضهُم بعضا ورجعوا من خانقين . فتقدم طاهر ونزل حلوان ، فقدِم عليه هرثمَة آبن أعيَن في جيشٍ أمدّه به المأمون ، ومعه كتاب المأمون أن يسير إلى الأهواز ، فسار . وأقام هرثمَة بحلوان .

تولّي المأمون الخلافة

وخطب في هٰذه السنة [سنة 196] للمأمون بذكر أمير المؤمنين بعدما كان يقال له « الإمام » . فرفع منزلة الفضل بن سهل وعقد له على المشرق من جبل همذان إلى التبّت طولاً ، ومن بحر فارس إلى بحر الديلم وجرجان عرضا ، وحمل له ثلاثة آلاف ألف درهم ، وعقد له لواءً على سنانٍ ذي شعبتَين ولقّبه ذا الرئاستيْن ، رئاسة الحرب ورئاسة القلم [2] . وحمل اللواء عليّ بن هشام وحمل العلَم نُعيم بن خازم ، وولّى الحسنَ بن سهل ديوان الخراج .

فثار الحسين بن عيسى بن ماهان ببغداد وآجتمع إليه الناس ، وخلع الأمين يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من شهر رجب سنة ستّ وتسعين ، وأخذ البيعة من الغد للإمام المأمون . فوثب من غد البيعة العبّاس بن موسى بن عيسى بالأمين / فأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور ، وأخرج أمّه زبيدة [120ب] فجعلها مع آبنها الأمين . فثار الناس في طلب الأرزاق من الحسين بن ماهان ،

---

(1) خانقين قرب حلوان – الطبريّ ، 8/ 423 .

(2) عند الطبريّ ، 8/ 424 : رئاسة الحرب ورئاسة التدبير .

وقام محمد بن أبي خالد وجماعة عصبا للأمين وقاتلوا الحسين وأسروه ، ودخلوا على الأمين وكسروا قَيدَه وأقعدوه بِمجلس الخلافة ، وقُتل الحسين بعد حرب . وٱختفى الفضل بن الربيع ، وكان طاهر قد ٱستولى على الأهواز وأعمالها وبثّ عمّالَه في اليمامة والبحرين وعُمَان . ثمّ سار من الأهواز إلى واسط فٱستولى عليها . ووجّه بعضَ قوّاده إلى الكوفة وبها العبّاس بن موسى الهادي ، فقام وخلع الأمين وبايع للمأمون وكتب بذلك إلى طاهر . وأتَتْه أيضا بيعة أهل البصرة للمأمون ثمّ بيعة أهل الموصل ، كلّ ذلك في رجب [سنة 196] . فأقرّ العمّال على حالهم وأقام بجَرْجَرَايا . فبعث الأمين بعوثا فٱنهزمت ، وسار طاهر فنزل المدائن بغير قتال ، وٱنهزم جند الأمين منها إلى بغداد . وٱستولى على تلك النواحي ، ثمّ توجّه إلى صرصر ونزلها .

وخلع داود بن عيسى بن موسى الأمين بمَكّة والمدينة وبايع للمأمون في شهر رجب أيضاً ، وسار إلى المأمون بمَرو فأخبره بذلك فسرّ سرورًا كثيرًا وأعطاه خمسمائة ألف درهم معونةً ، وسيّر معه ٱبن أخيه العبّاس بن موسى بن عيسى وجعله على الموسم . فسارا حتّى أتيا طاهرًا فأكرمَهُما ووجّه معهُما عاملا على اليمن ومعه خيل كثيفةٌ ، فخلعوا باليمن الأمين ودعَوا للمأمون بعدما بايعوا له .

وكان الأمين قد عقد في رجب وشعبان نحوًا من أربعمائة لواء لقوّاد شتّى ، وأمّر عليهم عليّ بن محمّد بن عيسى بن نهيك ، وبعثَهم إلى هرثمة بن أَعيَن ، فلقِيَهم بنواحي النهروان وهزمهم في شهر رمضان ، وأسر علي بن محمّد وحمله إلى المأمون ، ونزل النهروان .

هٰذا وطاهر بصرصر لا يأتيه جيش إلّا هزمه ، والأمين ببغداد يبذل الأموال . فسار إليه من أصحاب طاهر نحو خمسة آلاف فسرّ بهم وفرّق فيهم مالا عظيمًا ووعدهم وغلّف لحاهم بالغالية فسُمُّوا « قوّاد الغالية » . وبثّ سراياه وجواسيسَه في أصحاب طاهر ودسّ إلى رؤوساء الجند فأطمَعَهم ورغّبهم حتّى

شغبوا على طاهر وآستأمَنَ كثير منهم إلى الأمين وصاروا في عسكره وساروا إلى صرصر . فعبّأ طاهر أصحابَه كراديس وسار فيهم يعدهم ويحرّضهم ، ثمّ تقدّم فآقتتلُوا صدرًا من النهار ، فآنهزم أصحاب الأمين ، وغنم أصحاب طاهر ما كان معهم . فأخرج الأمين الأموال وجمع أهل الأرباض وقوّد منهم جماعةً / وفرّق [121 أ] فيهم الأموال وأعطى كلّ قائد منهم قارورة غالية ، ولم يفرّق في أجناد القوّاد وأصحابهم شيئًا . فبلغ ذلك طاهرًا فكتب إليهم ووعدَهم وأغرى أصاغرهم بأكابرهم فشغبوا على الأمين في ذي الحجّة حتّى صعب الأمر عليه وأمر بقتالهم فآقتتلوا . وأخذ طاهر يراسلهم ويراسلو[نـ]ـه إلى أن أخذ رهائنَهُم على بذل الطاعة ، وأعطاهم الأموال .

حصار بغداد

ثمّ تقدّم فنزل على بغداد ، ومعه مَن آستأمنَ إليه من أصحاب الأمين ، وأخذ الأرباض ، وأضعف للقوّاد وأبنائهم والخواصّ العطاء ، ففتن الناس وثقب أهل السجون السجون وخرجُوا منها ، ووثب الشطّار على أهل الصلاح فساءت حال أهل بغداد ولمْ تتغيّر حال أحدٍ بعسكر طاهر لتفقّدِه الأمورَ وأخذِه على أيدي السفهاء ، وهو مع ذلك يغادي القتالَ ويراوح حتى خربت الديار .

ودخلت سنة سبعٍ وتسعين [ومائة] وطاهر يحاصر بغداد ، ومعه هرثمَة بن أعيَن وزهير بن المسيّب الضبّي وعبيد الله بن وضّاح ، وقد نصبت المجانيق والعرّادات ، وحُفرت الخنادق ، والأمين يفرّق الأموال حتى نفد ما كان بيده وباع ما كان في الخزائن من الأمتعة ، وضرب آنيةَ الذهب والفضّة ليفرّقَها في أصحابه . وأمر بإحراق مواضع فرُميَت بالنفط والنيران فقُتل بها خلق كثير . فكثر الحرب ببغداد والهَدْمُ ودَرَست المنازل وأحرقت الدروبُ والدور حتّى أوحشت بغداد من الخراب الشنيع .

وقبض طاهر ضياعَ مَن لم يخرج إليه وسمّى منازلَهم « دار النكث » وأخذ أموال مَن لم يأته من بني هاشم فذلّوا وأنكسروا . وضعفت الأجناد عن القتال ، إلّا باعة الطريق والعُراة وأهل السجون والأرباض والطرارين[1] وأهل السوق ، فكانوا ينهبون أموال الناس . وآستأمَن إلى طاهر جماعة من قوّاد الأمين وصاروا إليه . فاستولى على ما كان بأيديهم من نواحي بغداد في جمادى الآخرة [سنة 197] . ثمّ آستأمَن إليه محمّد بن عيسى صاحب شرطة الأمين ، وكان مجدًّا في نصرة الأمين ، ففتّ ذلك في عضد الأمين وأشفى على الهلاك .

ثمّ آقتتل العيّارون والباعة مع الأجناد قتالا عظيماً قُتل فيه جماعة من أصحاب طاهر وقوّاده ، فلم يكن عليه وقعة أشدّ منها . فما زال طاهر يكاتب القوّاد والهاشميّين وغيرهم بعد أن أخذ ضياعَهم ودعاهم إلى الأمان وبيعة المأمون حتّى أجابه كثير منهم .

وأقبل الأمين على الأكل والشرب ، ووكّل الأمر إلى محمّد بن عيسى بن نهيك ، فكان من الفسّاق / والغوغاء ما لمَ يسمع بمِثله . فلمّا طال ذلك على [121ب] الناس خرج من بغداد مَن به قوّة ، فكان أحدهم إذا خرج أمن على نفسه وماله . فكان العيّارون أصحاب الأمين يقاتلون طاهرًا وأصحابه من أهل النجدة والبأس ، وهم عُراة لا سلاح لهم ، وفي يد أحدهم باريّة مُقيَّرة وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة ، فكلّما رماه الفارس الشجاع صاحب السلاح والعُدّة والقوّة بسهم آستَتَرَ منه العيّار فيقع السهمُ في باريتِه أو قريبًا منها ، فيأخذ السهم ويتركُه معه ويصيح : « دانق » ، أي : ثمن النشّابة دانق قد كسبَه ، ولا يزال كذلك حتّى تفنى سِهام الفارس ، فيحمل العيّار عليه ويرميه بحجرٍ من مخلاته في مقلاع[2] فمَا يُخطئُه ، ثمّ يتبعه آخر فيصرعه أو يهزم ، حتّى طال ذلك على طاهر وقتل من أصحابه من قُتل . [فـ]ـأمر بالهدم والإحراق فهدم دورَ مَن خالفَه ما بين

---

(1) الطرّار : النشّال .

(2) المقلاع : وِعاءٌ من جلد مشدود بخيطين تُرمى به الحجارة .

دجلة إلى المدينة ، فإذا هدمت الدار أخذ أصحاب الأمين أبوابَها وسقوفَها فيكون ذلك أشدّ على أهلها . فلم يكفّوا عنه بذلك ، فمَنع الميرة عن بغداد حتى غلَت الأقواتُ ، وأخذَ الناس بالتّهمةِ والظنّةِ وافتتنوا فتقاتلوا ونزلت بهم شدائد لا تكاد توصَفُ قُتل فيها خَلق عظيم ، والحروب مع ذلك متّصله والحريق والهدم لا يبطل إلى [أن] قُتل من العيّارين عالَم عظيم . فضعُف أمر الأمين وفرّ عنه كثير ممّن حولَه ، وتحامل عليه السِّفلةُ والغوغاءُ . وكاتبه طاهر وحذّره وقبض على ضياعه وأمواله ، فضجر من ضعف أمره وٱستثار جندَه وأيقن بظفر طاهرٍ بهِ .

ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

ٱشتدّت الحرب إلى يوم الأربعاء لثمانٍ بقينَ من المحرّم فقدم طاهر إلى المدينة فقاتل قتالاً شديدًا فهزم الناس ودخل بالسيف . فنادى مناديه : « مَن لزم بيتَه فهو آمن ! » وأحاط بمَدينة المنصور ، وبها الأمين وأمّه زبيدة وأولاده في قصر الخُلد حتّى تفرّق عنه عامّةُ جندِه وخصيانه وجواريه في الطرق لا يلوي أحد على أحدٍ ، وتفرّق عنه السفلةُ والغوغاء ، وأخذ عليه طاهر الأبواب ولم يبق مع الأمين سوى سبعة آلاف فرس من خيارها . فأشار على محمد [الأمين] حاتم بن الصقر ومحمّد بن إبراهيم بن الأغلب الإفريقيّ أن يختار ممّن يعرفه سبعة آلاف فيحملِهم على هٰذه الخيل ويخرج ليلًا حتى يلحق بالجزيرة والشام ، فوافقهم على ذلك[1] .

ونمَى الخبر إلى طاهر فكتب إلى جماعة ممّن حول الأمين في ردّه عن ذلك ، فمَا زالوا به حتّى رجع عن المسير وطلب الأمان . ثمّ / خرج يوم [122 أ] الخميس لخمس بقين من محرّم سنة ثمانٍ وتسعين بعد العشاء ، فذُبح وحمل رأسُه إلى طاهر فنصبه على برج وكتب إلى المأمون بالفتح وسيّر الرأس إليه ، ومعه البردةُ

(1) ألف فرس وسبعمائة فارس عند الطبريّ ، 8/ 478 .

والقضيبُ والخاتمُ . فأخذ ذو الرئاستَين الرأس على ترس ودخل به على المأمون ، فلمّا رآه سجد . وحينئذ آستقامت له الخلافة وهو آبن سبع وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرة أيّام . وبويع له وهو بخراسان وكان قد [. . .] [1]

ولمّا قُتل الأمين نودي في الناس ببغداد : الأمان ! ودخل طاهر المَدينَةَ يوم الجمعة فصلّى وخطب للمأمون وذمّ الأمين .

فلمّا كان بعد مقتل الأمين بخمسة أيّام وثب الجند بطاهر عندما طالبوه بالمَال . فلم يكن معه ما يُعطيهم فهرب منهم إلى عقرقوف ونهبُوا متاعه ونادَوا : « موسى يا منصور ! » وكان طاهر قد أخرج موسى ابن الأمين وأخاه عبد الله من بغداد . فتعبّأ طاهر بِمَن معه من القوّاد لقتال الجند وأهل الأرباض ببغداد . فخرج إليه من تخلّف عنه من القوّاد وأعيان أهل المدينة وآعتذروا وحالوا على السفهاء ، فقبل منهم وأمر لهم برزق أربعة أشهر .

ووضعت الحرب أوزارها وآستوسق الناس في المشرق والمغرب على طاعة المأمون والانقياد لخلافته .

ثمّ خالف نصر بن شبث العقيليّ في شماليّ حلب لهواه في الأمين ، وملك سميساط وغيرها . وكثف جمعه وعبر الفرات إلى الجانب الشرقيّ .

وآستعمل المأمون الحسنَ بن سهل على كلّ ما فتحه طاهر من كور الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمَن ، وكتب إلى طاهر بتسليم ذلك إليه وأمر طاهرًا أن يسير إلى الرقّة لمُحاربة نصر بن شبث ، وولّاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب . فقدِم الحسن في سنة تسع وتسعين إلى بغداد وفرّق العمّال . وسار طاهر إلى نصر فدعاه إلى الطاعة فلمْ يجب ، فكان قصارى طاهر حفظ تلك النواحي من نصر .

وتحدّث الناس بالعراق أنّ الفضل بن سهل قد غلب على المأمون وأنزله قصرًا

(1) آنقطاع في الرواية .

حجبَه فيه عن أهل بيته وقوّاده ، وأنّه يستبدّ بالأمر دونَه . فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس وٱجترَؤوا على الحسن بن سهل ، وهاجت الفِتن في الأمصار ، فظهر بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب المعروف بٱبن طباطبا لعشر خلون من جمادى الآخرة [سنة 199] ودعا إلى الرضا من آل محمّد ﷺ . وكان [القيّم] بأمره أبو السرايا السرّيّ بن منصور [1] فبايعه أهل الكوفة وأتاه الأعراب ، فبعث إليه الحسن بن سهل زهير بن المسيّب الضبّيّ على عشرة آلاف فارس فهزمَهُم /[122ب] وٱستباح عسكرهم [2] في سلخ جمادى الآخرة . وأصبح [ابن طباطبا] ميّتًا مستهلّ رجب ، فأقام أبو السرايا مقامَه محمّد بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين [بن عليّ بن أبي طالب] وهو غلام أمرد ، واستبدّ بالأمر دونَه ، وقاتل جيوش الحسن بن سهل وقتلها وأسرها لثلاث عشرةَ بقِيت من رجب ، وبعث جيوشه إلى البصرة وواسط ، وولّى عمّاله فيها وفي مكّة واليمَن وفارس والأهواز ، وسيّر عساكره إلى بغداد . فبعث إليه الحسن بن سهل هرثمَة بنَ أعين فقاتلَه وأخرجه من الكوفة فقتل . وبثّ الجيوش حتى استردّ البلاد .

هٰذا وقد كثر الشقاق والخلاف ببغداد ، وثارت الشطّار بها ، وشنع أمرهم .

تعيينُ علويّ لولاية العهد

وجعل المأمون عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب وليّ عهد المسلمين ، ولقّبه « الرضى من آل محمد » ﷺ . وأمر جنده فطرح السواد ، ولبس ثياب الخضرة ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وذلك لليلتَين خلتا من شهر رمضان – وقيل : بل في يوم الاثنين لسبع خلون من

(1) السريّ بن منصور ، من ولد هانىء بن قبيصة الشيبانيّ ، الطبريّ ، 8/ 528 .
(2) المهزوم هو زهير عند الطبريّ ، 8/ 529 .

شهر رمضان – سنة إحدى ومائتين . فٱمتنع جماعة ببغداد من إجابتِه وقالوا : « لا تخرج الخلافة من ولد العبّاس ! » وتحدّثوا في خلع المأمون – وكان أشدّهم في هٰذا منصور وإبراهيم ابنا المهديّ – إلى أن خلعوه لليلتَين بقِيتا من ذي الحجّة ، وبايعوا إبراهيم بن المهديّ أوّل المحرّم سنة ٱثنتين ومائتين .

فشخص المأمون من مرو في شهر ربيع الآخر بعدما أقام بها تسع سنين ، فبقيَ في طريقه سنتَين ، وتزوّج بوران بنت الحسن بن سهل .

وقُتل ذو الرئاستَين الفضل بن سهل لليلتين خلتا من شعبان [سنة 202] ، فٱتّهم المأمون بقتله . فإنّه كان ٱستبدّ بالأمور دونه وحجبه حتّى لم يعلم بأخبار الناس . فلمّا أعلمَه عليّ بن موسى الرضا بأنّ الناسَ قد نقَموا عليه تحجّبه وقالوا : « هو مسجون » ، وأنّهم قد بايعوا إبراهيم بن المهديّ بالخلافة ، وأنّ الحرب قائمة بينه وبين الحسن بن سهل ، وأنّهم فعلوا ذلك كراهة فيه وفي أخيه الفضل ، « وكراهة في بيعتك لي من بعدك » ، وأحضر علي بن موسى إليه جماعةً من وجوه العسكر فأعلموه بذلك ، وأنّ أهل بغداد يتّهمونَه أيضًا بالرّفض[1] لمكان عليّ بن موسى منه ، وأنّ الناس في أمر مُريع ، قد انتقضت عليه الأطراف ، والفضل يموّه عليه ، وأنّه ما لم يتدارك الأمور خرجت عنه الخلافة . فكان هٰذا ونحوه ممّا حمله على الخروج من مرو .

ثمّ مات عليّ بن موسى في آخر صفر سنة ثلاث ومائتين بطوس ، وٱتُّهم المأمون أنّه سمَّه في عنَب . فكتب المأمون إلى الحسن بن سهل يعلمُه بمَوته . وكتب إلى أهل بغداد وبني العبّاس والموالي ، يعلمهم بموته وأنّهم إنّمَا نقمُوا / [123 أ] بيعته ، وقد مات ، ويسألهم الدخول في طاعته . فأغلظوا له في الجواب .

ثمّ كانت ببغداد أمور آلت إلى أن خلع إبراهيم بن المهديّ ، ودعي للمأمون في يوم الجمعة بالخلافة . ثمّ ٱختفى إبراهيم ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقِيت من

---

(1) بالرفض : أي بالتشيّع .

ذي الحجّة ، فكانت إمامتُه سنةً وأحد عشر شهرًا وآثني عشر يومًا .

ووصل المأمون إلى همذان في آخر ذي الحجّة فأقام بها شهرًا ثم سار فجعل يقيم بالمَنزل اليومَ واليومَين والثلاثة . وأقام بالنهروان ثلاثة أيّام ، فخرج إليه أهل بيته والقوّاد ووجوه الناس ، فسلّمُوا عليه .

دخول المأمون بغداد

وكان قد كتب إلى طاهر وهو بالرقّة ليوافيَه بالنهروان فأتاه بها . ودخل بغداد منتصف صفر سنة أربع ومائتين ، ولباسُه ولباس أصحابه الخضرة ، فكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخضر ، فإذا رأوا ملبوسا من السواد على إنسان حرّقوه . وكلّم بنو العبّاس طاهرًا في ذلك ، فكان أوّل حاجة سألها المأمون أن يلبس السواد . فقعد بعد ثمانية أيّام من قدومه للناس ، وأحضر سوادًا فلبسه ودعا بخلعةٍ سوداء فألبسَها طاهرًا ، وخلع على قوّاده السوادَ ، فعاد الناس إليه ، وذلك لسبع بقين من صفر [سنة 205] .

وآستعمَل العمّال على الأعمَال وأمر بمُقاسمَة أهل السواد على الخُمُسَين – وكانوا يقاسَمُون على النصف – فأصلح الأعمَال وآنقطعت الفتَن .

فلمّا دخلت سنة خمس ومائتين تفرّغ لخراسان . فولّى طاهرًا ما بين بغداد إلى أقصى أعمَال المشرق كلّهَا مع شرطة جانبَي بغداد التي كان يتولّاها . وعقد ولاية ذلك كلّه في شهر رمضان منها . فشخص إليها يوم النحر .

ثمّ نادى المأمون في سنة إحدى عشرة [ومائتين] : برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير أو فضّله على أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ . وأظهر في ربيع الأوّل سنة آثنتَي عشرة القول بخلق القرآن ، وتفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على جميع الصحابة ، وقال : هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ .

فلمّا كان شهر رمضان سنة ثلاث عشرة [ومائتين] ولّى المأمون آبنَه العبّاس

الجزيرة والثغور والعواصم . وولّى أخاه أبا إسحاق محمد بن الرشيد[1] أعمال المغرب مكان عبد الله بن طاهر . فأمر لكلّ منهُمَا ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف درهم ، فقيل : لمْ يفرّق في يوم مثل ذلك المال . وقيل : بل دفع لأخيه خمسمائة ألف دينار ، ولأبنه العبّاس خمسمائة ألف دينار ، ولأبن طاهر ، وقد عقد له على الجبل ومحاربة بابك ، ثلاثمائة ألف دينار ، وأمر لسائر الوفود بتسعمائة ألف دينار . وقال عمرو بن الفرج : هٰذا أوّل يوم فرّق فيه من المال ما لا فرّق في غيره بمِثله منذ كانت الدنيا .

ثمّ خرج المأمون من بغداد يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربع عشرة [ومائتين] يريد غزو الروم / وأستخلف على بغداد إسحاق بن [123ب] إبراهيم بن مصعب . فلمّا صار بتكريت أقام بها ، ثمّ سار على طريق الموصل إلى منبج ، ثمّ إلى دابق ، ثمّ إلى أنطاكية ، ثمّ إلى المصيصة وطرسوس . ورحل منها في جمادى الأولى [سنة 214] إلى بلاد الروم وعبر ابنه العبّاس ملطية ، فأقام المأمون على حصن قرّة حتّى فتحه عَنوةً وهدمَه لأربع بقينَ منه . ووجّه أشناس إلى حِصن سـ[ـنـ]ـدس ، ووجّه عجيفا إلى حصن سنان فأخذ الحصنين .

ثمّ سار المأمون إلى دمشق .

ثمّ عاد في سنة ستّ عشرة إلى بلاد الروم ، وقد بلغه أنّ ملك الروم قتل ألفًا وستّمائة من أهل طرسوس والمصيصة ، فوافاها في جمادى الأولى ، وأقام إلى منتصف شعبان حتّى صالحَهُ ملكُ الروم . ثمّ نزل على هرقلة فخرج إليه أهلها ، وبعث أخاه أبا إسحاق ابن الرشيد وقد وافاه من مصر قبل دخوله الموصل ، فأفتتح ثلاثين حصنًا . ووجّه يحيى بن أكثم فأغار وقتل وحرق وسبَى ثمّ عاد . فسار المأمون إلى كيسوم وَأقام بها يومين . ثمّ رحل إلى دمشق وأقام بها إلى منتصف ذي الحجّة .

---

(1) أبو إسحاق هو المعتصم . أنظر ترجمتَه رقم 3463 .

وتوجّه منها يريد مصر . وكتب إلى خليفته على بغداد إسحاق بن إبراهيم يأمره بأخذ الجند بالتكبير إذا صلّوا ، فبدأُوا بذلك منتصف شهر رمضان . ولمّا نزل المأمون الفرما أنشد [وافر] :

لَلَيْلُكَ كان بالمَيْدَا نِ أقصرَ منه بالفرَما
غريبٌ في قرى مصرٍ يقاسي الهمّ والسدَما [1]

قدومه إلى مصر

وقدم مصر لعشر خلون من المحرّم سنة سبع عشرة ومائتين ، فسخط على عيسى بن منصور أمير مصر ، وأمر بحلّ لوائه وأخذه بلباس البياض ، وقال : لم يكن هٰذا الحدث العظيم إلّا عن فعلك وفعل عمّالك : حمّلتم الناس ما لا يطيقون وكتمتُم الخبر حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد .

وضمّ أصحابه إلى ابن عمّه موسى بن إبراهيم . وولّى على شرط الفسطاط أحمد بن بسطام الأزديّ . وركب فنظر إلى المقياس ، وأمر بإقامة جسرٍ آخر فعمل . وعقد لأبي المغيث موسى بن إبراهيم على جيشٍ بعثه إلى الصعيد في طلب ابن عبيدس الفهريّ ومعه رشيد التركيّ فظفروا به في طحا .

ولمّا وقف على مدينة مَنْف وعين شمس قال :

سألت أطلال مصر عن عين شمس ومَنْف
فمَا أحارت جوابا ولا أجابت بحرف
وفي السكوت جواب لذي الفطانة يكفي

وارتحل إلى سخا سلخ / المحرّم ثمّ سار إلى البشرود ، والأفشين قد أوقع [124 أ] بالقبط بها ، فنزلوا على حكم أمير المؤمنين ، فحكم بقتل الرجال ، وبَيع النساء

---

(1) السدَم : الحزن والغيظ والندَم .

والأطفال فبيعُوا ، وسُبِي أكثرُهم . وأحضَر الفهريَّ إلى سخا فقتله . وتتبّع كلَّ مَن يومأُ إليه بخلافٍ فقتل ناساً كثيرًا . ورجع إلى الفسطاط يومَ السبت لستّ عشرة خلَت من صفر . ومضى إلى حلوان فأقام بها مليًّا ، وعاد إلى الفسطاط .

ثمّ خرج وعلى مقدّمته أشناس ، وآرتحل يومَ الخميس لثماني عشرة خلت من صفر ، وكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعةً وأربعين يومًا . فدخل دمشق ، ومضى منها إلى بلاد الروم ، فأناخ على لؤلؤة مائة يوم . ثمّ رحل عنها وترك عليها عجيفاً ، فخدَعَه أهلها وأسروه فبقي عندهم ثمانية أيّام وأفرجوا عنه . وجاء توفيل ملك الروم وأحاط بعجيف . فسيّر إليه المأمون الجنود فآرتحل قبل مجيئِهم ، وخرج أهل لؤلؤة إلى عجيف بأمان . وأرسل ملك الروم يطلب المُهادنة ، فلم يتمّ ذلك .

القول بخلق القرءان

وكتب المأمون في ربيع الأوّل سنة ثماني عشرة إلى خليفته على بغداد في آمتحان القضاة والشهود والمحدّثين بالقرآن المجيد : فمَن أقرَّ أنّه مخلوق مُحدَثٌ خلَّى سبيلَه ، ومن أبى أعلمَه به ليأمُر فيه برأيه . فأحضر إسحاق بن إبراهيم جماعةً ، وقرأ عليهم الكتاب مرّتَين حتَّى فهموه . فأجابوا بأجوبة مختلفَةٍ ، منها ما فيه التصريح بأنّ القرآن كلام الله ، وفيها ما هو حيدة عن القول بأنّه مخلوق . فكتب مقالتهم وبعث بها إلى المأمون ، فأجاب بذمّهم والوقيعة فيهم ، وأن يحضَرهم : فمَن أجاب إلى القول بخلق القرآن ، وإلّا حملَه في الحديد إليه مع نفر يحفظونه . فأحضرهم إسحاق وأعلمهم بما أمر بهم فشُدُّوا في الحديد . فلمّا كان الغدُ ، دعاهم في الحديد وأعاد عليهم المحنةَ ، فأجاب آثنان فأطلقَهُمَا ، وأصرّ أحمد بن حنبل ومحمّد بن نوح على قولهما . فشُدّا في الحديد ، ووجّه بهما إلى طرسوس ، وكتب إلى المأمون بمَا أجاب القوم به . فلمّا صارا إلى الرقّة بلَغهم

موتُ المأمون فعادا إلى بغداد .

موت المأمون

وكان من خبر موت المأمون أنّه لمّا خرج يريد الغزو أتاه رسول ملك الروم فقال : إنّ الملك يخيّرك بينَ أن يردّ عليك نفقتَك التي أنفَقْتها من بلدك إلى هٰذا الموضع ، وبين أن يُخرج كلّ أسيرٍ من المسلمين في بلد الروم بغير فداءٍ / ولا [124ب] درهم ولا دينار ، وبينَ أن يعمرَ كلّ بلدٍ للمسلمين قد أخربَتْه النصرانيّة ويردَّه كمَا كان ، وترجع عن غزاتك هٰذه .

فقام المأمون ودخل خيمتَه وصلّى ركْعتَيْ الاستخارة ، وخرج فقال للرسول : قل له : أمّا قولك : تردّ عليَّ نفقتي ، فإنّي سمعتُ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه العزيز : « وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ ثمَّ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ : أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ ؟ فَمَا آتَانِي اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون . ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ » (النمل ، 35) .

وأمّا قولك : إنّه يخرج كلَّ أسير من المسلمين في بلد الروم ، فمَا في يدك إلّا أحدُ رجلَيْن : إمّا رجل طلبَ اللهَ عزّ وجلّ والدار الآخرة ، فقد صار إلى ما أراد ، وإمّا رجل طلب الدنيا ، فلا فكّ الله أسرَه !

وأمّا قولك : إنّك تعمر كلّ بلدٍ للمسلمين قد خربه الروم ، فلو أنّي قلعتُ أقصى حجرٍ في بلاد الروم ، ما ٱعتضت بٱمرأة عثرتْ في حال أسرها فقالت : وامحمّداه !

عُد إلى صاحبك فليس بيني وبينَهُ إلّا السيفُ ! .

وضرب الطبل فرحل ، وكان من فتحه ما تقدّم . وٱنصرف من غزاته فنزل عين ٱلبُذَنْدُون على طريق طرسوس ، وهي عين ماءٍ ، وتُعرَف أيضاً

بـ« القشيرة » . وأقام هناك حتّى ترجع رسله من الحصون .

فوقف على العين ومنبع الماء فأعجبه بَرد مائها وصفاؤُه وحُسنُ بياضه وطيب الموضع وكثرة الخضرة . فأمر بقطع خشب طوال فبُسطت على العين كالجسر ، وجلس عليه والماء تحتَه . وطرح في الماء درهَمًا فقرأ كتابتَه ، وهو في قرار الماء ، لصفائه . ولم يقدر أحد يدخل الماء من شدّة برده . فبينا هو كذلك إذ لاحت له سمكةٌ نحو الذراع كأنّها سبيكة فضّةٍ فأمر بإخراجها . فلمّا صارت على حرف العين أو على الخشب اَضطربَت واَنمَاسَت من يدِ الفرّاشِ ، فوقعت في الماء كالحجر فنضَحَت الماء على صدر المأمون ونَحره وترقُوَته ، فبلّت ثوبَه . فأخذها الفرَّاشُ فوضَعَها بين يدَي المأمون في منديل وهي تضطرب ، فقال : تُقلى الساعةَ !

ثمّ أخذته رعدة من ساعتِه فلم يقدر يتحرّك من مكانه ، فغُطِّيَ باللحف والدواويج ، وهو يرتعِدُ كالسعفةِ ويصيح : « البرد ! البرد ! » ثمّ حوّل إلى المضرب ودُثِّر وأوقِدت النيرانُ حولَه ، وهو يصيح : « البرد ! » فأتي / بالسمَكة وقد فُرِغ من عمَلها . فلم يقدر على ذوقها ، وشغلَه ما هو فيه عن تناول شيءٍ منها . [125 أ]

واَشتدّ به الأمر . فسأل المعتصم بختيشوع واَبن ماسوَيه عنه ، هل يمَكن بُرؤُه ؟ فأخذا يدَيه وجسَّاه فوجدَا نبضَه خارجًا عن الاعتدال منذرًا بالفَناء . واَلتصَقت أيديهمَا ببشرَته لعَرَقه الذي كأنهّ الرّبُّ أو كَلُعَابِ الأفاعي ، فأنكرَا معرفةَ العرَق وذكرَا أنّهمَا لم يجدَاه في شيءٍ من الكتب ، وأنّه دالٌّ على اَنحلال البدَن .

ثمّ أحضر المأمون أُناسًا من الروم وسألَهم عن اَسم الموضع ، وهو « القشيرة » فقالوا : « معنى البذندون : مدّ رجلَيك » فاَضطرب عند سماع ذلك وتطيّر منه . فقال : ما اَسمُه بالعربيّة ؟

فقالوا : الرقّة .

وكان في مولده أنّه يمُوت بمَوضع يعرف بالرقّة ، فكان يتحامَى الإقامةَ بالرقّة خوفا من أن تدركه منيّته بها . فلمّا سمع ذلك علِم أنّه الموضع الذي يمُوت فيه . فلمّا ثقل قال : « أخرِجونى أشرف على عسكري وأنظرْ إلى رجالي وأتبيَّنْ ملكي ! » وذلك بالليل . فأخرج . فلمّا أشرف على الخيم والجيش وكثرته ، وما وقّدوا من النيران قال : يا مَن لا يزول ملكُه ، ارحَم مَن قد زال ملكه !

ثمّ ردّ إلى مرقده . وأجلس المعتصم رجلا يُلقّنه الشهادةَ لمّا ثُقل ، فرفع الرجل بها صوتَه ليقولَها المأمون ، فقال ٱبن ماسوَيه « لا تصِح ، فوالله ما يُفرّق في هٰذه الحالة بين ربّه وبين ماني ! » ففتح عينيه وبهمَا من العِظم والتورّم والحمرة ما لم يُر مثلهُ قطّ ، وأقبل يحاول أن يبطش بٱبن ماسوَيه ، ورام مخاطبَتَهُ فعجز عن ذلك ، فرمى بطرفِه نحو السماء وقد ٱمتلأت عيناه دموعاً ، وٱنطلق لسانُه من ساعته وقال : « يا من لا يمُوت ، ارحم مَن يمُوتُ ! » وقضَى من ساعته ، وذلك يوم الخميس لثلاث عشرة بقِيت من شهر رجب سنة ثماني عشرة ومائتين ، فحمل إلى طرسوس فدفِن بها .

وكانت خلافتُه عِشرينَ سنة وستّة أشهر تنقص سبعة أيّام ، سوى سنتَين كان يُدعى له فيهمَا بِمَكّة ، والأمين محصور ببغداد . وعمره ثمان وأربعون سنة وخمسة أشهر وأيّام ، وقيل : ويومان . وقيل : كان عمره تسعًا وأربعين سنة . والصحيح أنّه عاش من العمر ثماني وأربعين سنة وأربعة أشهر وخمسة أيّام ، وما سوى هٰذا غلَط في الحساب .

وكان ٱبتداء مرَضه لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة .

شيء من أخباره

وقال سعيد بن العلاء : دعاني المأمون يوما ، فوجدتُه جالساً على شاطىء البذندون ، والمعتصم عن يمينه ، وهمَا قد دلّيا أرجُلَهُا في المَاء . فأومأ إليّ أن

أضع رجلي في الماء ، وقال : « ذقه ! هل رأيتَ أعذبَ منه أو أصفى أو أشدَّ بردًا ؟ » ففعلتُ وقلت : ما رأيتُ قطّ مثلَه يا أميرَ المؤمنين .

فقال : أي شيء يطيب أن يؤكل ويشرب عليه ؟

فقلت : أمير المؤمنين أعلم .

فقال : الرطب الأ[خضر] .

[125ب] فبينا هو يقول إذ سمعت وقع لجم البريد فالتفتُّ فإذا بغالُ البريد / عليها الحقائب فيها الألطاف . فقال لخادم له : ٱنظر إنْ كان في هٰذه الألطاف رطب فأْتِ به .

فمَضى وعاد ومعه سلّتان فيهمَا [. . .] كأنّمَا جُني تلك الساعة ، فأظهر شكرَ الله تعالى . وتعجّبنا جميعًا . وأكلنا ، وشربنا من ذلك الماء . فمَا قام منّا أحدٌ إلّا وهو محموم ، وكانت ميتة المأمون في تلك العلّة . ولم يزل المعتصم مريضًا حتّى دخل العراق ، وبقيتُ أنا مريضًا مُدَّةً .

ولمّا مرض المأمون أمر أن تكتب إلى البلاد الكتب « من عبد الله المأمون أمير المؤمنين ، وأخيه من بعده أبي إسحاق ، ابن هارون الرشيد » . وأوصى إلى المعتصم بحضرة ٱبنه العبّاس ، وبحضرة الفقهاء والقضاة والقوّاد . وكانت وصيّته بعد الشهادة والإقرار بالوحدانيّة والبعث والجنّة والنار ، والصلاة على النبيّ ﷺ والأنبياء عليهم السلام : إنّني مُقرٌّ بذنب أرجو معه وأخاف ، إلّا أنّي إذا ذكرتُ عفوَ الله رجوتُ . فإذا متّ فوجّهوني وغمّضوني ، وٱسبغوا وضوئي وطهوري وأجيدوا كفَني . ثمّ أكثروا حمدَ الله على الإسلام ومعرفة حقّه عليكم في محمد ﷺ إذ جعَلَنا من أمّته المرحومة . ثمّ أضجعوني على سريري ، وعجّلوا بي . وليُصَلِّ عليّ أقرَبُكُم بي نسبًا وأكبركم سنًّا ، وليكبّر خمساً . ثمّ ٱحملوني وٱبلغوا بي حفرَتي . ولينزل بي أقربُكم قرابة وأودّكم محبَّةً ، وأكثروا من حمد الله وذكره . وَضَعُوني على شقّي الأيمَن ، وٱستقبلوا بي القبلة ، وحُلُّوا كفَني عن

رأسي ورجليّ . ثمّ سدّوا اللحد ، وأخرجوا عنّي وخلّوني وعمَلي فكلّكم لا يُغني عنّي شيئًا ولا يدفع عنّي مكروها . ثمّ قفوا بأجمعكم فقولوا خيرًا إن علمتُم ، وأمسكوا عن ذكر سيّيءٍ إن كنتُم عرفتُم . فإنّي مأخوذٌ من بينِكم بما تقولون . ولا تدَعُوا ناعيَةً عندي فإنَّ المُعْوَلَ عليه يعذّبُ . يرحم الله عبدًا أتّعظ وفكّر فيما حتَّم الله على خَلقه من الفناء وقَضَى عليهم من الموت الذي لا بدّ منه . والحمد لله الذي توحّد بالبقاء وقضى على جميع خلقه بالفناء . ثمّ لينظر ما كنت فيه من عزّ الخلافة ، هل أغنى ذلك عنّي شيئًا إذ جاءَ أمرُ الله ؟ لا والله ! ولكن أضعف به على الحساب . فيا ليتَ عبد الله بن هارون لم يكن بشرًا ! بل ليتَه لم يكُن خُلِق !

يا أبا إسحاق ، أدن منّي ! وأتّعظْ بمَا ترى ، وخذ بسيرة أخيك في القرآن ، وأعمل في الخلافة التي طوّقكَهَا الله عملَ المريد لله الخائف من عِقابه وعذابه ، ولا / تغترّ بالله ومهلته ، ولا تغفل عن أمر الرعيّة . الرعيّة ! الرعيّة ! [126 أ] العوامّ ! فإنّ قوّة الملك بهم وبتعهُّدك لهم . الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين ! ولا يُنهَيَنّ إليك أمر فيه صلاح المسلمين ومنفَعُهم إلّا قدّمتَه وآثرتَه على غيره من هواك . وخذ من أقويائهم لضعفائهم ، ولا تحمل عليهم في شيءٍ ، وأَنصِف بعضهم من بعض بالحق .

وعجّل الرحلةَ عني والقدومَ إلى دار ملكك بالعراق . وأنظر إلى هؤلاء القوم الذين أنت متاخِمُهم فلا تغفل عنهم في كلّ وقت . والخرّميّة فأعرهم ذا حزامة وصرامة وجلَد ، وأسعِفه بالأموال والسلاح والجنود ، فإن طالت مُدّتُهم فتجرّدْ لهم بمَن معك من أنصارك وأوليائك ، وأعمل في ذلك عمل مقدّم النيّة فيه ، راجيًا ثوابَ الله عليه .

ثمّ دعا المعتصم حين أشتدّ بِه الوجَع وأحسّ مجيءَ أمرِ الله فقال : يا أبا إسحاق ، عليك عهد الله وميثاقه وذمّة رسول الله ﷺ لتقومَّن بحقّ الله في

عباده ، ولتؤثرنَّ طاعةَ الله على معصيتِه . إذا أنا نقلتُها من غيرك إليك .

قال : اللهمّ نعم .

قال : هؤلاء بنو عمّك ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . فأحسِن صحبتَهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، واَقبَلْ من مُحسنهم . ولا تغفَل عن صلاتهم في كلّ سنة عند مَحلّها ، فإنّ حقوقَهم تجب من جهاتٍ شتّى . ﴿ اِتّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنّ إِلّاَ وأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ ! (آل عمران 102) . اَتّقُوا الله واَعملوا له ، اَتّقُوا الله في أموركم كلِّها . أستودعكم الله ونفسي ، وأستغفر ممّا سلف مِنّي إنّه كان غفّارًا . فإنّه ليعلَمُ كيف نَدَمي على ذنوبي ، فعليه توكّلتُ من عظيمها وإليه أنيب ، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم . حسبي الله ونعم الوكيل ، وصلّى الله على محمّد نبيّ الهدى .

ولمّا مات حمله اَبنُه العبّاس وأخوه المعتصم إلى طرطوس فدفناه بدار [. . .] خادم الرشيد بعدما صلّى عليه المعتصم ، ووكّلوا به حرسًا من أهل طرسوس وغيرهم مائةَ رجل ، وأُجرِي لكلّ رجلٍ منهم مبلغ تسعين درهمًا .

وقال جعفر بن أبي عثمان الطيالسي : صلّيتُ العصرَ في الرصافة خلف المأمون في المقصورة يومَ عرفة . فلمّا سلّم كبّر الناس فرأيتُ المأمون خلف الدرابزين ، وعليه كمّة[1] بيضاء وهو يقول : لا يا غوغاء ! لا يا غوغاء ! غدًا سنّة أبي القاسم ﷺ . فلمّا كان يوم الأضحى حضرت الصلاة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا / ، وسبحان الله بُكرة [126ب] وأصيلا . حدّثنا هشيم بن بشير أنبأنا اَبن الشبرمة عن الشعبيّ عن البراء بن عازب عن أبي بردة بن نيار قال : قال رسول الله ﷺ : مَن ذبح قبل أن يُصَلّيَ فإنّمَا هو لحمٌ قدّمَه لأهله ، ومن ذبَح بعد أن يُصلّيَ فقد أصاب السنّة.[2]

(1) الكُمّة : قلنسوة مدوّرة (دوزي) .

(2) هٰذا الحديث في سنن اَبن ماجة ، 3151 – 3154 ، والنسائيّ ، 7/ 222 : ذبح الضحيّة قبل الإمام .

الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا . اللهمّ أصلحني وآستصلحني وأصلح على يدي !

وقال أحمد بن إبراهيم الموصلّي : كنت بالشمّاسيّة والمأمون يجري الحلبة ، فسمعتُه يقول ليحيى بن أكثم ، وهو ينظر إلى كثرة الناس :« أما تنظر ؟ » ثم قال : حدّثنا يوسف بن عطيّة الصفّار عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : الخلق كلّهم عيال الله عزّ وجلّ ، فأحبّ خلقِه إليه أنفعُهُم لعيالِه .

(قال) وكنّا عند المأمون بالبذندون فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، قال رسول الله ﷺ : الخلق كلهم عيال الله ، فأحبّ عيال الله إلى الله أنفعُهم لعياله .

فقال المأمون : أمسك ! أنا أعلم بالحديث منك . حدّثنيه يوسف بن عطيّة الصفّار عن ثابت عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال : الخلق عيال الله فأحبّ عيال الله إليه أنفعُهم لعياله .

صِفة المأمون

وكان المأمون أبيض ربعة حسنَ الوجه قد وخطه الشّيب [1] ، تعلوه صفرة ، أعين طويل اللحية رقيقها ، ضيّقَ الجبين ، على خدّه خال . ويقال : كان أبيض تعلو لونه صفرة . وكانت ساقاه من سائر جسدِه صفراوين حتى كأنَّهُمَا طُلِيَتا بالزعفران .

* * *

وقال أبو محمّد اليزيدي : كنت أؤدّب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري ، فأتيتُه يومًا وهو داخل ، فوجّهت إليه بعض خدَمه يعلمُه بِمَكاني فأبطأ عليَّ . ثمّ وجّهتُ إليه آخَر فأبطأ فقلتُ لسعيد : إنّ هٰذا الفتى ربّمَا تشاغل

(1) في وصف المأمون ، آنظر تاريخ بغداد ، 10/ 184 .

بالبطالة وتأخّر ؟

قال : أجل . ومع هٰذا إنّه إذا فارقك يَعرُمُ على خَدَمه ويَلْقَوْن منه أذًى شديدًا ، فقوّمه بالأدب !

فلمّا خرج أمرتُ بحملِه فضربتُه سبع درر . فإنّه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل : « هٰذا جعفر بن يحيى قد أقبل » . فأخذ منديلًا فمسح عينيه من البكاء وجمع ثيابه وقام إلى فرشه فقعد عليها متربّعًا ، ثمّ قال : « ليدخل ! » فدخل . فقمت عن المجلس وخِفتُ أن يشكُوَني إليه فألقى منه ما أكره . فأقبل عليه بوجهه وحديثه حتى أضحَكه وضحك إليه . فلمّا همّ بالحركة دعا بدابّته وأمر غلمانَه فسعَوا بين يديه ، ثمّ سأل عنّي فجئت فقال : خذ عليّ ما بقيَ من حِزبي !

[127 أ] فقلت : أيّها الأمير ، أطال الله / بقاءَك ، خفت أن تشكوَني إلى جعفر بن يحيى ، وَلَوْ فعلتَ ذلك لتنكّر لي .

فقال : أتراني يا أبا محمد كنتُ أُطلع الرشيدَ على هٰذه ؟ فكيف بجعفر بن يحيى حتّى أُطلعَه أنّي أحتاج إلى أدب ؟ إذن يغفر الله لك بُعدَ ظنّك ووَجيبَ قلبك ! خذ في أمرك ، فقد خطر ببالك ما لا تراه أبدًا ، ولو عدت في كلّ يوم مائة مرّة .

وقال عبد الله بن محمد التميميّ : أراد الرشيد سفرًا . فأمر الناس أن يتأهّبوا لذلك ، وأعلمَهم أنّه خارج بعد الأسبوع . فمَضى الأسبوع ولم يخرج . فاْجتمعوا إلى المأمون وسألوه أن يستعلم ذلك . ولم يكن الرشيد يعلم أنّ المأمون يقول الشعر . فكتب إليه المأمون (منسرح) :

يا خير مَن حنّت المطيُّ به	ومن تَقَدَّى بسرجه فرَسُ
هل غايةٌ في المسير نعرفها	أم أمرُنا في المسير ملتبس ؟

(1) في هامش المخطوط : العرم : الشدّة . وفي القاموس : عرم بالتثليث : اشتدّ وخرج عن الحدّ .

ما عِلمُ هٰذا إلّا إلى ملكٍ ... من نوره في الظلام نَقتبِس
إن سرتَ سار الرشادُ مُتَّبِعًا ... وإن تقف فالرشاد محتبس

فقرأها الرشيد وسُرّ بها ووقّع فيها : يا بُنَيّ ، ما أنت والشعر ؟ فالشعر أرفع حالات الدنيء وأقلّ حالات السريّ . والمسير إلى ثلاث إن شاء الله .

* * *

وقال صالح بن الفضل بن عبيد الله الكاتب : أخبرني أبي قال : لمّا خرج المأمون من خراسان شيّعه حُميد الطوسيّ ، فسار معه فراسخ . فالتفت إليه المأمون فقال : ارجع أبا غانم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أتنسّم من وجهك ، وأتشرّق بطلعتك ، وآخذ بحظّي من دولتك .

فسار معه قليلاً ثمّ التفت إليه فقال : يا أبا غانم (كامل) :

عجبٌ لقلبِ مُتيَّمٍ ، أحبابُه ... ساروا وخُلّفَ ، كيف لا يتصدّع ؟
ارجع فحسبك ما تبعتَ ركابنا ... إنّ المُشيّعَ لا محالة يرجع
آنِسْ - فديتك - وحشتي بكتابكم ... إنّي إلى أخباركم مُتطلّعُ

* * *

وقال النضر بن شُميل : دخلت على المأمون فقال لي : كيف أصبحتَ يا نضر ؟

قلت : بخير يا أميرَ المؤمنين .

قال : أتدري ما الإرجاء ؟

قلت : دينٌ يوافقُ الملوكَ ، يصيبون به من دنياهم وينقص من دينهم .

قال لي : صدقت .

ثمّ قال : تدري ما قلت في صبيحة يومي هٰذا ؟

قلت : أنّى لي بعلم الغيب ؟

قال : أصبحت وأنا أقول (منسرح) :

أصبح ديني الذي أدين به ولست منه الغداة معتذرًا

حبّ عليّ بعد النبيّ ولا أشتم صدّيقنا ولا عُمَرَا

و [لا] ٱبن عفّانٍ في الجنان مع الـ ـأبرار ذاك القتيل مصطبرا

[127ب] / لا لا ولا أشْتُمُ الزبيرَ ولا طلحة إن قال قائلٌ : غدرَا

5 وعائش الأمُّ لست أشتمُها من يفتريها فنحنُ منه بُرَا

قال الأصمعي : كان نقشُ خاتم المأمون : عبد الله بن عبيد الله .

* * *

ولمّا دخل المأمون بغداد تلقّاه أهلُها ، فقال له رجل من الموالي : [1] يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك في مقدمك ، وزاد في نِعمتِك ، وشَكَرَكَ عن رعيّتك ، فقد فُقتَ مَن قبلك وأتعبتَ مَن بعدك ، وآيست أن يعتاض منك لأنّه لم يكن مثلُك ولا عُلِم شبهُك . أمّا فيمَن مضى فلا يعرفونَه ، وأمّا فيمَن بقي فلا يرتجونه . فهم بين دعاء لك وثناءٍ عليك وتمسّك بك ، أخصَب لهم جنابُك وٱحلولى لهم ثوابُك ، وكرمت مقدرتك وحسُنت أثرتك ولانت نظرتك فجبرت الفقير وفككتَ الأسير ، وأنت كمَا قال الشاعر (منسرح) :

ما زلت في البذل للنوال وإطـ ـلاقِ لعانٍ بجُرمه عَلِقِ

حتّى تمنّى البِرَاءُ أنّهُمُ عندكَ أمسَوا في القِدِّ والحِلقِ [2]

فقال له المأمون : مثلك يعيب من لا يصطنعُه ويعرّ من يجهل قدرَه .

(1) الخبر في العقد ، 2 / 134 وتاريخ بغداد ، 10 /- 184 .

(2) البِراء ج . بريء .

فٱعذرني في سالفتك ، فإنّك ستجدنا في مستَأنَفِك [1] .

ويقال : لم يحفظ القرآن أحدٌ من الخلفاء ، إلّا عثمان بن عفّان والمأمون [2] .

* * *

وقال الحسن بن أبي سعيد : نا ذو الرئاستَين في شوّال سنة ثنتين ومائتين أنّ المأمونَ ختَم القرآن في شهر رمضان ثلاثًا وثلاثين ختمة . أما سمعتُم في صوته بُحُوحَةً ؟ إنّ محمد بن أبي محمد اليزيدي في أذنه صمم : كان يرفع صوتَه ليسمع ، وكان يأخذ عليه .

شغف المأمون بالحديث

وقال يحيى بن أكثم القاضي : قال لي المأمون يومًا : يا يحيى إنّي أريد أن أحدّث .

فقلت : ومَن أولى بهٰذا من أمير المؤمنين ؟

فقال : ضعُوا منبرًا بالحلبة .

فصعد وحدّث . فأوّل حديث حدّثنا به عن هشام عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ٱمرؤ القيس صاحب لواء الشعر إلى النار .

ثمّ حدّث بنحو من ثلاثين حديثًا . ثمّ نزل ، فقال لي : يا يحيى كيف رأيتَ مجلسَنا ؟

قلت : أجلّ مجلس يا أميرَ المؤمنين ، يُفَقِّه الخاصّة والعامّة .

قال : لا وحياتك ، ما رأيتُ لكم حلاوةً ، إنّمَا المجلس لأصحاب

---

(1) نهاية الأرب ، 3/ 189 .

(2) تاريخ بغداد ، 10/ 190 .

الخُلقان والمحابر – يعني أصحاب الحديث .

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهريّ : لمّا فتح المأمون مصر قام فرج الأسود فقال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي كفاك أمرَ عدوّك ، وأدان لك العراقَين والشامات ومصر ، وأنتَ آبن عمّ رسول ﷺ .

فقال له : ويحك يا فرج ، إلّا أنّه بقيت لي خلّة : وهو أن أجلس في [128أ] مجلس / ومستملي بجنبي فيقول : مَن ذكرت رضي الله عنك ؟ فأقول : حدّثنا الحمّادان [1] ، حمّاد بن سلمة بن دينار ، وحمّاد بن زيد بن درهم قال : حدّثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أنّ النبيّ ﷺ قال : مَن عال آبنتين أو ثلاثاً أو أختين أو ثلاثًا يهتري ويموت عنهنّ كان معي كهاتين في الجنّة وأشار بالمسبِّحة والوسطى .

وقال محمد بن سهل بن عسكر : وقف المأمون يوماً ونحن وقوفٌ بين يديه إذ تقدّم رجل غريب بيده محبرة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، صاحب حديث منقطع به .

فقال له المأمون : إيش تحفظ في باب كذا ؟

فلم يذكر فيه شيئًا . فمَا زال المأمون يقول : حدّثنا هشام ، وحدّثنا حجّاج آبن محمد ، وحدّثنا فلان حتى ذكر الباب . ثمّ سأله عن باب ثان فلم يذكر فيه شيئًا فذكره المأمون . ثمّ نظر إلى أصحابه فقال أحدهم : يطلب الحديث ثلاثة أيّام ثمّ يقول : أنا من أصحاب الحديث ! أعطوه ثلاثة دراهم !

---

(1) في الهامش حاشية تصحيح تقول : في هٰذا الخبر غلط . ويشبه أن يكون المأمون رواه عن رجل عن الحمّاديّن : وذلك أنّ مولد المأمون سنة سبعين ومائة ، ومات حمّاد بن سلمة سنة سبع وستّين ومائة ، قبل مولده بثلاث سنين . ومات حمّاد بن زيد سنة تسع وسبعين ومائة .

والتصحيح يدلّ على اهتمام المقريزي برواة الحديث وتثبّته في الإسناد .

معرفتُه بالفرائض

وقال ٱبن عُيَيْنة : جمع المأمون العلماء وجلس للناس . فجاءت ٱمرأة فقالت : يا أمير المؤمنين ، مات أخي وخلّف ستّمائة دينار . أعطَوني دينارًا وقالوا : هٰذا نصيبُك ، رَحمك الله . (قال) فحسب المأمون ثمّ كسر الفريضة ثمّ قال لها : هكذا نصيبك يرحمك الله .

فقال له العلماء : كيف علمت يا أمير المؤمنين ؟

فقال لها : هٰذا الرجل خلّف أربع بنات ؟

قالت : نعم .

قال : لهنّ الثلثان : أربعمائة دينار . وخلّف والدة . فلها السدس : مائة دينار . وخلّف زوجة فلها الثمُن : خمسة وسبعون دينارًا . بالله . ألك ٱثنا عشر أخا ؟

قالت : نعم .

قال : أصابهم ديناران ديناران ، وأصابك دينار . رحمك الله !

. . . وبالطبّ

وقال محمد بن حفص الأنمَاطي : تغدّينا مع المأمون في يوم عيد . فأظنّ وضع على مائدته أكثر من ثلاثمائة لون . فكلّمَا وضع لون نظر إليه فقال : « هٰذا نافع لكذا ضارّ لكذا . فمَن كان منكُم صاحب بلغم فليجتنب هٰذا . ومن كان منكم صاحبَ صفراء فليأكل من هٰذا . ومن غلَبت عليه السوداء فلا يعرِض لهٰذا . ومن قصد قلّة الغذاء فليقتصر على هٰذا » . فوالله إن رأيت تلك حاله في كلّ لون يقدّم إليه حتى رفعت الموائد . فقال له يحيى بن أكثم : يا أمير المؤمنين . إن خضنا في الطبّ كنتَ جالينوس في معرفته ، أو النجوم كنت

هرمس في حسابه ، أو في الفقه كنت عليّ بن أبي طالب في علمه ، أو ذكر السخاءُ حاتم طيّىء في صفته ، أو صدق الحديث فأنت أبو ذرّ في لهجته ، أو الكرم ، فأنتَ كعب بن مامة في فعاله ، أو الوفاء / [فأنت] السموأل بن [128ب] عادياء في وفائه .

فسرّ بهٰذا الكلام وقال : يا أبا محمد إنّ الإنسان إنّمَا يفضل بعقله ، ولولا ذلك لم يكن لحمٌ أطيبَ من لحم . ولا دمٌ أطيبَ من دم .

تواضُعُه

(قال) ونظر يومًا إلى رؤوس آنيتِه محشوّة بقطن ، وكانت قبل ذلك بأطباق فضّة . فقال لصاحب الشراب : أحسنتَ يا بنيّ ، إنّمَا يباهي بالذهب والفضّة من قلّا عنده . أمّا نحن فينبغي أن نباهي بالأفعال الجميلة والأخلاق الكريمَة . فإيّاك أن تحشو رؤوس أوانيك إلّا بالقطن ! فذاك بالمُلوك أهيأ وأبهى .

وقال [1] : ما رأيت أكمل آلةً من المأمون – وجعل يحدّث بأشياء ، إلى أن قال : كنت عنده ليلةً أذاكرُه وأحدّثه . ثمّ نام وانتبه فقال : « يا يحيى ، آنظر إيش تحت رجلي » . فنظرت فلم أر شيئًا . فقال : « شمعة ! » فتبادر الفرّاشون ، فقال : « آنظروا ! » فنظروا ، فإذا تحت فراشه حيّة بطوله ، فقتلوها . فقلت : قد آنضاف إلى كمَال أمير المؤمنين علم الغيب !

فقال : معاذ الله ! ولكن هتف بي هاتف الساعة وأنا نائم ، فقال : [كامل] :

يا راقد الليل انتبه ... إنّ الخطوب لها سُرى
ثقة الفتى بزمانه ... ثقة محلّلة العرى

---

(1) وقال يحيى بن أكثم (تاريخ بغداد 10 / 188) .

فأنتبهتُ فعلِمتُ أن قد حدث أمرٌ إمّا قريب وإمّا بعيد ، فتأمّلتُ ما قرب فكان ما رأيت .

بصرُه بالشعر

وقال محمد بن يزيد المبرّد : حدّثني عمارة بن عقيل قال : قال آبن أبي حفصة [1] الشاعر : أعلمت أنّ المأمون أمير المؤمنين لا يبصر الشعر ؟

فقلت : من ذا يكون أفرسَ منه ؟ والله إنّا لنُنشِدُ أوّلَ البيت فيسبق إلى آخره من غير أن يكون سمِعه .

قال : إنّي أنشدتُه بيتًا أجدتُ فيه فلم أره تحرّك له . وهٰذا البيت فآسمعه [بسيط] :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلًا ... بالدين ، والناس بالدنيا مشاغيل

فقلت له : ما زدتَ على أن جعلتَه عَجوزًا في محرابها في يدها سبحة ! فمَن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولًا عنها وهو المطوّق بها ؟ ألا قلت كمَا قال عمّك جرير في عبد العزيز بن الوليد [طويل] :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبَه ... ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغلُه [2]

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهريّ : كنتُ واقفًا على رأس المأمون ، وهو يتفكّر . ثمّ رفع رأسَه فقال : يا إبراهيم ، بَيتا شعر قيلا لم يَسبُق قائلَيْهِما إليهمَا أحدٌ ولا يلحقُهمَا أحد !

قلت : من همَا يا أمير المؤمنين ؟

قال : أبو نواس وشريح .

---

(1) في العقد 5 / 368 : عبد الله بن أبي السمط .

(2) ديوان جرير ، 435 .

فتبسّمت . فقال : أمن أبي نوّاس وشريح ؟

قلت : نعم .

قال : خذ ! قال أبو نواس [طويل] :

[129 أ] إذا آمتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت له عن / عدوّ في ثياب صديق

فقلت : أحسن يا أمير المؤمنين . فمَا قال شريح ؟

فقال : قال شريح [طويل] :

تهون على الدنيا الملامة ، إنّه حريص على استصلاحها مَن يلومُها

فقلتُ : أحسن يا أمير المؤمنين .

فقال : أحسنُ منهُمَا [ما] سمعتُه أنا : كنتُ أسير في موكبي ، فألجأني الزحام إلى دكّان عليه رجل عليه أسمال . فنظرَ إليّ نظرَ من رحمني أو تعجّب ممّا أنا فيه فقال [طويل] :

أرى كلَّ مغرور تُمنّيه نفسُه إذا ما مضى عامٌ ، سلامةَ قابلِ

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني النضر بن شميل قال : دخلتُ على المأمون بمَرو ، وعليّ أطمار مُتَرَعْبِلة [1] ، فقال لي : يا نضر ، أتدخل على أمير المؤمنين في مثل هٰذه الثياب ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ حرّ مرو لا يدفع إلّا بمِثل هٰذه الأخلاق .

قال : « لا ! ولكنّك تتقشّف ! » فتجارينا الحديث ، فقال المأمون : حدّثني هشيم بن بشر عن مجالد عن الشعبيّ عن آبن عبّاس قال : قال رسول الله ﷺ : إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها ، كان فيه سَدادٌ من عَوَزٍ .

---

(1) في الهامش : أي متقطّعة . وفي القاموس : رعبل الثوب : مزّقه ، والرّعبلة والرّعبولة : الثوب البالي .

قلت : صدق قول أمير المؤمنين عن هشيم . حدّثني عوف الأعرابيّ عن الحسن أن النبيّ ﷺ قال : إذا تزوّج الرجل المرأةَ لدينها وجمالها كان فيه سِدادٌ من عَوَز .

وكان المأمون مُتّكئًا . فجلس وقال : السَّداد لحن يا نضر ؟

قلت : نعم ، ههنا . وإنّمَا لحن هشيم ، وكان لحّاناً .

فقال : ما الفرق بينَهُمَا ؟

قلت : السَّداد – بفتح السين – القصدُ في السبيل . والسِّداد – بكسر السين – البلغة . وكلُّ ما سددتَ به شيئًا فهو سِداد .

قال : أفتعرفُ العربُ ذلك ؟

قلت : نعم . هٰذا العرجيّ من ولد عثمَان بن عفّان رضي الله عنه يقول [وافر] :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهةٍ وسِداد ثغر

بكسر السين .

فأطرق المأمون مَليّا ، ثمّ قال : قبّح الله مَنْ لا أدبَ له !

ثمّ قال : أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب .

قلت : قول [حمزة] ابن بيض في الحكم بن مروان [منسرح] :

تقول لي ، والعيون هاجعة ... أَقِم علينا يوماً فلم أُقِمِ

أيّ الوجوه انتجعْتَ قلت لها : ... لأيّ وجهٍ ، إلّا إلى الحكَمِ

مَتى يَقُل حاجبا سُرادِقه : ... هٰذا ابن بيض بالباب ، يبتسِمِ

قد كنت أسلمت فيك مقتبلا ... هيهات! إذ حلّ أعطِني سَلَمي[1]

(1) شرح في الهامش : اسلمتُ فيك مقتبلا ، أي : اسلفت وأخذت قبيلا أي كفيلا . =

فقال المأمون : لله درّك ! فكأنّما شقّ لك عن قلبي ! أنشِدني أنصفَ بيت قالته العرب .

[129ب] قلت : قول ٱبن أبي عروبة المدني يا أميرَ المؤمنين / [كامل] :

إنّي وإن كان ٱبن عمّي عاتبًا لمُزاحِمٌ من خلفه وورائه
ومفيده نصري وإن كان ٱمرأً مُتَزَحزحا في أرضه وسمائه
وأكون واليَ سرّه وأصونُه حتى يحين إليَّ وقتُ أدائه
وإذا الحوادثُ أجْحَفَت بسوامه قُرِنت صحيحتُنا إلى جَرْبَائِه[1]
5 وإذا دعا بٱسم ليركب مركبا صعبا قعدتُ له على سيسائه ؟
وإذا أتى من وجهه بطريفة لم أطّلع فيمَا وراء خِبائه
وإذا ٱرتدى ثوباً جميلاً لم أقل يا ليتَ أنّ عليّ حُسنَ ردائه !

فقال : أحسنت يا نضر . أنشدني الآن أقنع بيت للعرب .

فأنشدته قول [الحكم] ٱبن عبدل [الأسديّ][2] [منسرح] :

إنّي ٱمرؤ لم أزل وذاك منَ الـ ـلّهِ أديبًـ[ـا] أُعلّـمُ الأدبَا
أقيم بالدار وما ٱطمأنّت بيَ الـ ـدار وإن كنت مازحًا طرِبا
لا أجتوي خلّة الصديق ولا أتبع نفسي شيئًا إذا ذهبا

= وحمزة بن بيض شاعر أمويّ ، له أخبار في الأغاني ، 16 / 143 وفي تجريد الأغاني ، 1721 ، وهٰذه الأبيات نقلها الزبيديّ مع الخبر كلّه بين المأمون والنضر في طبقاته ، 58 ، ونقلها العسكريّ في ديوان المعاني ، 1 / 10 .

(1) هٰذا العجز ورد في اللسان (جلف) منسوبا إلى العجير وهو شاعر أمويّ (ت 90) . ونسب الزبيديّ الأبيات إلى ٱبن أبي عروبة المدنيّ ، والعسكريّ إلى ٱبن غزوية وهما غير معروفين . ولا توجد الأبيات في أخبار العجير السلوليّ في الأغاني ، 13 / 56 ، ولا في الحماسة (التبريزي ، 2 / 193 و 4 / 79) .

(2) عند الزبيديّ ، 59 هي للراعي النميريّ . ولا توجد في أخبار ٱبن عبدل في تجريد الأغاني ، 1 / 299 .

أطلبُ ما يطلب الكر يم منَ الـ ـرزق بنفسي وأجملُ الطلبا
وأحلب الثَّرّة الصَّفيّ ولا أُجهدُ أخلافَ غيرها حلبا[1] 5
إني رأيتُ الفتى الكريمَ إذا رغّبتَه في صنيعةٍ رغبا
والعبد لا يطلب العلاءَ ولا يعطيك شيئًا إلّا إذا ذهبا
مثل الحمَار الموقع هو لا يحسن مشيا إلّا إذا ضُربا[2]
ولم أجد عروة العَلَائق إلْـ ـلاَ الدين أنّى اختبرت والحسبَا
قد يُرزق الخافض المقيمُ وَمَا شدَّ لعَيش رحلاً ولا قتَبا 10
ويُحرم الرزقَ ذو المطيّة والـ ـرحلِ ومن لا يزال مغترِبا

قال : أحسنت يا نضر . فهل عندك ضدّ هٰذا ؟

قلت : نعم . أحسن منه .

قال : هاتِه !

فأنشدته [وافر] :

يد المعروف غُنم حيث كانت تحمّلها كَفورٌ أو شَكورُ

قال : أحسنت يا نضر !

وأخذ القرطاس ، فكتب شيئًا لا أدري ما هو . ثمّ قال : كيف تقول : أَفعِلْ من التراب ؟

قلت : أَترِب .

قال : الطين ؟

---

(1) في الهامش شرح للصفي : الصفيّ بالمعجمة : الغزيرة اللبن . وبالمهملة (أي الصفى بالقصر) : هو ما للملِك دون السوقة ، وهو الشيء المختار المصطفى أيضا .

(2) الصدر غير موزون .

قلت : طِن .

قال : فالكتاب ؟

قلت : مُترب .

قال : هٰذه أحسنُ من الأولى .

فكتب لي بخمسين ألفَ درهم . ثمّ أمر الخادم أن يوصله إلى الفضل بن سهل ، فمَضيتُ معه . فلمّا قرأ الكتاب قال : يا نضر ، لحّنتَ أميرَ المؤمنين !

قلت : كلّا ، ولكنْ هشيم لحّانة .

فأمر لي بثلاثينَ ألفًا . فخرجت إلى منزلي بثمانين ألفًا .

* * *

وقال لي الفضل : يا نضر ، حدّثني عن الخليل بن أحمد .

[130 أ] قلت : حدّثني الخليل بن أحمد قال : / أتيت أبا ربيعة الأعرابيّ ، وكان من أعلم مَن رأيت ، وكان على سطح . فلمّا رأيناه أشرنا إليه بالسلام ، فقال : « ٱستوُوا ! » فلم ندر ما قال . فقال لنا شيخ عنده : يقول لكم : ٱرتفِعُوا » (فقال الخليل :) من قول الله عزّ وجلّ : « ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ » (فصّلت ، 11) . ثمّ قال : هل لكم في خبز فطير ، ولبن هجير ، وماء نمِير ؟

فلمّا فارقناه قال : سلامًا .

قلنا : فسّر قولَك هٰذا .

فقال : متاركة لا خير ولا شرّ . (فقال الخليل :) هٰذا مثل قول الله عزّ وجلّ : « وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قالُوا : سَلَامًا » (الفرقان ، 63) ، أيّ : متاركة .

* * *

وقال محمد بن زياد الأعرابيّ : بعث إليّ المأمون فصرت إليه وهو في بستان

يَمْشي مع يحيى بن أكثم ، فرأيتُهمَا مولّيين فجلستُ . فلمّا أقبلا قمتُ فسلّمتُ عليه بالخلافة . فسمعتُه يقول ليحيى : « يا أبا محمّد ، ما أحسنَ أدبَه ! رآنا مولّيَين فجلس ، ثمّ رآنا مقبلَين فقام » . ثمّ ردّ عليّ السلام وقال : يا أبا محمّد ، أخبِرني عن أحسنِ ما قيل في الشراب .

قلت : يا أمير المؤمنين ، قوله [طويل] :

تر يك القذى من دونها وهي دونه   إذا ذاقها مَن ذاقها يتمطّقُ

فقال : أشعر منه الذي يقول – يعني أبا نواس [رمل] :

فتمشّت في مفاصلهم   كتمشّي البرءِ في السقم
فعَلت في البيت إذ مُزجَت   مثل فعل الصبح في الظلم
وآهتدى ساري الظلام بها   كآهتداء السّفر بالعلَم

فقلت : فائدة يا أمير المؤمنين !

فقال : أخبِرني عن قول هند بنت عتبة [رجز] :

نحن بنات طارق   نمشي على النمَارق

من طارق هٰذا ؟

فنظرت في نسبِها فلم أجِده . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما أعرف في نسبها طارقًا .

فقال : إنّمَا أرادت النجم ، وانتسبت إليه لحسنها ، من قول الله تعالى : « وَٱلسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ » (الطارق ، 1) .

فقلت : فائدتان ، يا أمير المؤمنين .

فقال : « أنا بؤبؤ هٰذا الأمر وآبن بؤبؤهِ ! » ثمّ رمى إليّ بعنبرة كان يقلّبها في يده بعتها بخمسة آلاف درهم .

* * *

وأشرف المأمون ليلة من موضع كان به على الحرس ، فقال : هل فيكم مَن يُنشِد لأبي نوّاس أربعة أبيات ؟

فقال غلام من الحرس : أنا يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك !

قال : هات !

فأنشد [بسيط] :

لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند وآشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسًا إذا انحدرت من حلق شاربها أخذته حُمرتُها في العينِ والخَدِّ
فالخمرُ ياقوتةٌ ، والكأس لؤلؤة في كفّ لؤلؤة ممشوقة القدِّ
تسقيك من عينها خمرًا ومن يدها خمرًا ، فمَا لك من سكرين من بُدِّ
5 لي نشوتان ، وللندمان واحدةٌ شيء خصصت به من بينهم وحدي

[130ب] / فقال المأمون : « هٰذا والله الشعر ، لا قول الذي يقول : ألا هبّي بسلحك فآلطخينا ! » وأمر للغلام بأربعة آلاف درهم .

من خُطَبه

وقال يحيى بن أكثم : خطب المأمون يوم الجمعة ، فقال بعد الثناء على الله عزّ وجلّ والصلاة على نبيّه ﷺ : أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله وحدَه ، والعمل لمَا عنده ، والتنجّز لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنّه لا يسلم إلّا مَن آتّقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه . آتّقوا الله عباد الله وبادروا آجَالكم بأعمالكم ، وآبتاعوا ما يبقى لكم بمَا يزول عنكم . وترحّلوا فقد جدّ بكم ، وآستعِدّوا للموت فقد أظلّكُم ، وكونوا قومًا صِيحَ بهم فآنتبهُوا . وآعلموا أنّ الدنيا ليست لكم بدار ، فآستبدلوا فإنّ الله لم يخلقكم ولم يترككم سُدى ، وما بين أحدكم

وبين الجنّة أو النّار إلّا الموت أن ينزلَ به . وإنّ غاية تنقضها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرَة أن تنقص المدّة . وإنّ غائبًا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحريٌّ بسرعة الأوبة . وإنّ قادمًا يحل بالفَوز والشقوة لمستحقّ لأفضل العدّة ، فأتّقى عبدٌ ربّه ونصح نفسَه وقدّم توبتَه وغلَب شهوتَه . فإنّ أجلَه مستور عنه وأمله خادع له . والشيطان موكَّل به يزيّنُ له المعصيةَ ليركبها ويمنّيه التوبة ليسوّفها حتى تهجم عليه منيّتُه أغفلَ ما يكون عنها . فيا لها حسرةً على ذي غفلةٍ أن يكون عمرُه عليه حجّة أو تؤدّيَه أيّامُه إلى شِقوة . فنسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لا تبطره نعمتُه ولا تقصّر به عن طاعته ولا تحلّ به بعد الموت حسرة ، إنّه سميع الدعاء ، وبيده الخير ، وإنّه فعّال لمَا يريد .

* * *

[(قال)] وسمعت المأمون يخطب يوم العيد . فأثنى على الله وصلّى على النبيّ ﷺ وأوصاهم بتقوى الله وذكر الجنّة والنار ثمّ قال : عباد الله ، عظم قدر الدارين وأرتفع جزاء العاملين ، وطال أمد المُرْتَقِبين ، فوالله إنّه للجدّ لا اللعبُ . وإنّه للحقُّ لا الكذب ، وما هو إلّا الموت والبعث والحساب ، والفصل والصّراط ثمّ العقاب والثواب . فمَن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كلّه في الجنّة والشرّ كلّه في النار .

المأمون والواعظ الكاذب

وقال الحسن بن عبد الجبّار : بينا المأمون في بعض مغازيه يسير منفردًا عن أصحابه ، ومعه عجيف بن عنبسة ، إذ طلع رجل متحنّط متكفّن . فلمّا عاينَه المأمون وقف . ثمّ ألتفت إلى عجيف فقال : ويحك ! أما ترى صاحب الكفَن مقبلاً يريدني ؟

فقال له عجيف : أعيذُك بالله يا أمير المؤمنين .

[131أ] فمَا / كرب الرجل أن وقف على المأمون ، فقال له المأمون : من أردتَ يا صاحبَ الكفن ، وإلى مَن قصدتَ ؟

قال : إيّاك أردتُ .

قال : أوَ عرفتَني ؟

قال : لو لم أعرفْك ما قصدتُك .

قال : أفلا سلّمتَ عليّ ؟

قال : لا أرى السلام عليك .

قال : ولِمَ ؟

قال : لإفسادك علينا الغزاةَ .

(قال عجيف :) وأنا ألين مسَّ سيفي لئلّا يُبطئَ ضربَ عنُقه ، إذ ٱلتفت المأمون فقال : يا عجيف ، إنّي جائع ، ولا رأيَ لجائع ، فخذه إليك حتّى أتغدّى وأدعوَ به .

فتناولَه عجيف فوضعه بين يديه . فلمّا صار المأمون إلى رحله دعا بالطعام . فلمّا وُضع بين يديه أمر برفعه وقال : والله لا أسيغه حتّى أناظرَ خصمي . يا عجيف ، عليّ بصاحب الكفن !

فلمّا جلس بين يديه قال : هيه ! يا صاحبَ الكفن ، ماذا قلتَ ؟

قال : قلت : لا أرى السلامَ عليك لإفسادك الغزاة علينا .

قال : بِمَاذا أفسدتُها ؟

قال : بإطلاقك الخمورَ تُباع في عسكرك ، وقد حرّمها الله في كتابه . فأبدأ بعسكرك ثمّ ٱقصد الغزو ! بمَاذا ٱستحللتَ أن تبيع شيئًا قد حرّمه الله كهيئة ما أحلّ الله ؟

قال : أو عرفت الخمرَ أنّها تباع ظاهرًا ورأيتَها ؟

قال : لو لم أرَها وتصحّ عندي ما وقفت هٰذا الموقف .

قال : فشيءٌ سوى الخمر أنكرتَه ؟

قال : نعم ، إظهارُك الجواري في العمّاريّات ، وكشفهنّ الشعورَ منهنّ بين أيدينا كأنّهنّ فلق الأقمَار . خرج الرجل منّا يريد أن يهراق دمه في سبيل الله ويعقد جواده قاصدًا نحو العدوّ ، فإذا نظر إليهنّ أفسَدْنَ قلبه وركَنَ إلى الدنيا وٱنصاع إليها . فلم ٱستحللتَ ذلك ؟

قال : ما ٱستحللتُ ذاك ، وسأخبرك عن العُذر فيه ، فإن كان صوابًا ، وإلّا رجعتُ . أشيءٌ غير هٰذا أنكرتَه ؟

قال : نعم ، شيء أمرتَ به تنهانا عن الأمر بالمَعروف .

قال : أمّا الذي يأمر بالمُنكر فإنّي أنهاه . وأمّا الذي يأمر بالمَعروف فإنّي أحبّه على ذلك وأحْدُوه عليه . أشيء سوى ذلك ؟

قال : لا .

قال : يا صاحب الكفَن ، أمّا الخمر فلعمَري قد حرّمها الله . ولكنّ الخمرَ لا تُعرف إلّا بثلاث جوارح : بالنظر والشمّ والذوق . أفشربتَها ؟

قال : معاذ الله أن أنكر ما أشرب !

قال : أفيمْكن في وقتك هٰذا أن تذهب إلى بائِعها حتّى نوجّه معك مَن يشتري منها ؟

قال : ومَن يظهرها لي أو يَبيعُنيها وعليّ هٰذا الكفَن ؟

قال : صدقت ، فكأنّك إنّمَا عرفتها بهاتين الجارحتين . يا عجيف ، عليّ بقوارير فيها شراب !

فانطلق عجيف فأتاه بعشرين قارورةً فوقفها / بين يديه في أيدي عشرين [131ب]

وصيفًا . ثمّ قال : يا صاحبَ الكفن ، نُفيتُ من آبائي الراشدين المهديّين إن تكن الخمرُ فيها . فإنّك تعلم أنّ الخمر من سَتْر الله على عباده ، وأنّه لا يجوز لك أن تشهد على قوم مستورين إلّا بِمُعاينة وعلم ، ولا يجوز لي أن آخذ إلّا بمُعاينة بيّنة وشاهدَيْ عدل .

فنظر صاحب الكفن إلى القوارير ، فقال له عجيف : أيّها الرجل لو كنت خمّارًا ما عرفت موضع الخمر بعينها من هٰذه القوارير .

فقال له : هٰذه الخمرة بعينها في هٰذه القوارير .

فأخذ المأمون القارورة فذاقها ، ثمّ قطّب وقال : يا صاحبَ الكفن ، إلى هٰذه الخمر !

فتناول الرجل القارورة فذاقَها فإذا خلّ زانخ[1] فقال : قد خرجت هٰذه عن حدّ الخمر .

فقال المأمون : صدقتَ ، إنّ الخلّ مصنوع من الخمر ، ولا يكون خلًّا حتى يكون خمرًا ، ولا والله ما كانت هٰذه خمرًا قطّ ، وما هو إلّا رمّان حامض يُعصر لي أصطبغ به من ساعتهِ . فقد سقطتِ الجارحتان . بقي الشمّ . يا عجيف ، صيّرها في رصاصيّات وآتِ بها !

ففعل ، وعُرضت على صاحب الكفَن فشمّها ، فوقع مشمّه على قارورة منها فيها ميبختج[2] فقال : هٰذه !

فأخذها المأمون فصبّها بين يديه وقال : أنظر إليها كأنّها طلى قد عقدتها النار ، بل تقطع بالسكّين . قد سقطت إحدى الثلاث التي أنكرت يا صاحب الكفن !

---

(1) الزانخ : ما تغيّر طعمه . وفي المخطوط : ذانخ .

(2) الميبختج والميفَختج : هو رُبُّ العنب مَطبوخا (دوزي) .

ثم رفع المأمون رأسه إلى السماء فقال : اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بنَهْيِ هٰذا ونظرائه عن الأمر بالمعروف . يا صاحبَ الكفن أدخلَك الأمرُ بالمعروف في أعظم المنكر ! شنّعت على قوم باعوا من هٰذا الخلّ ، ومن هٰذا الميبختج الذي شمَمْتَ فلم تسلّم . آستغفر الله من ذنبك هٰذا العظيم وتب إليه ! ما الثاني ؟

قال : الجواري .

قال : صدقت ، أخرجتُهنّ أنّي عليك وعلى المسلمين : كرهت أن تراهنّ عيونُ العدوّ والجواسيس في العمّاريّات والقباب ، والسجف عليهنّ فيتوهّمُون أنّهنّ بنات أو أخوات فيجدّون في قتالنا ويحرصون على الغلبة على ما في أيدينا حتى يجتذبوا خطام واحدٍ من هٰذه الإبل يستقيدونه بكلّ طريقٍ إلى أن يتبيّن لهم أنهُنّ إماءٌ . فأمرتُ برفع الطلال عنهنّ وكشف شعورهنّ ، فعلم العدوّ أنّهنّ إماءٌ نتي بهنّ حوافر دوابّنا لا قدر لهنّ عندنا . هٰذا تدبير دبّرتُه للمسلمين عامّة ، ويعزّ عليّ أن ترى لي جرمة . فدع هٰذا فليس هو من شأنك ، فقد صحّ / عندك أنّي [132 أ] في هٰذا مصيب ، وأنّك أنكرتَ باطلًا . أيّ شيء الثالثة ؟

قال : الأمر بالمعروف .

قال : نعم ، أرأيتَ لو أنّك أصبتَ فتاةً مع فتًى قد آجتمعا في هٰذا الفجّ على حديث ، ما كنت صانعًا بهمَا ؟

قال : كنت أسألهُمَا : ما أنتُمَا ؟

قال : كنت تسأل الرجل فيقول : آمرأتي ، وتسأل المرأة فتقول : زوجي ، ما كنتَ صانعاً بهمَا ؟

قال : كنت أحول بينهُمَا وأحبِسُهمَا .

قال : حتى يكون ماذا ؟

قال : حتى أسأل عنهمَا .

قال : ومن تسأل عنهُمَا ؟

قال : كنت أسألهُمَا : من أين أنتُمَا ؟

قال : سألت الرجل : من أين أنت ؟ قال : أنا من استيجاب ، وسألت المرأة : من أين أنتِ ؟ قالت : من استيجاب . ٱبن عمّي ، تزوّجْنا وجِئْنا[1]. كنتَ حابسًا الرجل والمرأة لسوءِ ظنّك وتوهُّمِك الكاذب ، إلى أن يرجع الرسول من استيجاب . مات الرسول ؟ أو ماتا إلى أن يعود رسولك ؟

قال : كنت أسأل في عسكرك هٰهنا .

قال ، فلعلّك لا تصادف في عسكري من أهل استيجاب إلّا رجلاً أو رجلين فيقولان لك : لا نعرفهمَا على هٰذا النسب . يا صاحب الكفَن ما أحسبك إلّا أحد ثلاثة : إمّا مديون ، وإمّا رجل مظلوم ، وإمّا رجل تأوّلتَ في حديث أبي سعيد الخدري في خطبة النبيّ ﷺ قال : ونحن نسمع الخطبة إلى مغيربان الشمس ، إلى أن بلغ إلى قوله : « إنّ أفضلَ الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر » فجعلتَني جائرًا ، وأنت الجائِر ، وجعلت نفسَك تقوم مقام الآمر بالمعروف ، وقد ركبت من المُنكر ما هو أعظم عليك . لا والله ، لا ضربتُك سوطاً ولا زدتك على تخريق كفنك ! ونُفِيتُ من آبائي الراشدين المهديّين إن قام أحد مقامَك هٰذا لا يقوم بالحجّة إن نقصتُه من ألف سوط ولآمرنّ بصلبه في الموضع الذي يقوم فيه !

(قال) فنظرت إلى عجيف وهو يخرق كفن الرجل ويلقي عليه ثياب بياض .

* * *

وقال إبراهيم بن محمّد بن عرفة : حكى لي عن أبي عبّاد أنّه ذكر المأمون يومًا فقال : كان والله أحد ملوك الأرض ، وكان يجب له هٰذا الأسم على الحقيقة .

---

(1) تركيب متعثّر ، ولم نهتد إلى تقويمه .

ودخل رجل من الخوارج على المأمون ، فقال له : ما حملك على خلافنا ؟

قال : آية في كتاب الله تعالى .

قال : وما هي ؟

قال : قوله « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَائِكَ هُمُ الكَافِرُونَ » (المائدة ، 44) .

فقال له المأمون : ألك علم بأنّها منزّلة ؟

قال : نعم .

قال : وما دليلُك ؟

قال : إجمَاع الأمّة .

قال : فكَمَا رضِيت بإجمَاعهم في التنزيل فأرضَ بإجمَاعِهم في التأويل .

قال : صدقتَ . السلام عليك يا أميرَ المؤمنين .

* * *

وقال أبو العيناء : كان المأمون يقول / : كان معاوية بعَمْرِهِ وعبد الملك [132ب] بحجّاجه ، وأنا بنفسي .

وقال قحطبة بن حميد بن قحطبة : حضرت المأمون يناظر محمّد بن القاسم النّوشجاني في شيء ، ومحمّد يفضي له ويصدّقه . فقال له المأمون : أراك تنقاد إلى ما تظنّ أنّه يسرّني قبل وجوب الحجّة عليك . ولو شئت أن أقتسر الأمور بفضل بيان وطول لسان وأبّهة الخلافة وسطوة الرئاسة لصُدِّقتُ وإن كنتُ كاذبًا ، وصُوّبتُ وإنّ كنت مُخطئًا ، وعُدّلتُ وإن كنتُ جائرًا . ولكنّي لا أرضى إلّا بإزالة الشبهة وغلبة الحقّ . وإنّ شرّ الملوك وأقلّهم عقلاً وأسخَفَهم رأيًا من رضي بقولهم : صدق الأمير .

* * *

وقيل للمأمون : لو نصبت للناس رجلاً وأقمته لحوائجهم فتشاغل بهم ، وٱقتصرت عليه بينك وبين الرعيّة ، ولم تشغل نفسك بالأستمَاع إلى كلّ داخل ؟

فقال : إنّي بسطت للناس في الكلام وأذنت لهم في الدخول عليّ ، وجعلت حوائجهم بيني وبينهم ، لتصل إليّ أخبارُهم ، وأعرف مبلغَ عقولهم ، وأعطي كلّ ٱمرىء منهم على قدره ، فيكون كلّ إنسان حميل حاجتِه ولسان طلبته ، خارجًا عن يدي شكله ، والطلب إليّ مبلّغ . ولو جعلت ذلك إلى أحد ، لضاق على الرعيّة المذهب ، وخفِيت عليّ أمورُهم ، وحُبسَت عنّي أخبارهم ، ومُوطِلوا بحوائجهم ، وتأمّر عليهم غيري ، وكان الحمد والمنّ لواحدٍ في زمانهم دوني ودون أوليائي . وخفت مع هٰذا أن لو نصبتُ لهم رجلًا لا أشكر على صنيعه ، فينسَون نعمتي أوليائي[1] ويستعبدهم غيري ، فأكون قد صيّرت أحرارًا أرقّاءَ .

عدلُ المأمون

وجلس يومًا للمَظالم فأطال الجلوس حتى زالت الشمس ، فإذا ٱمرأة أقبلت تعثر في ذيلها حتى وقفت على طرف البساط فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فنظر إلى يحيى بن أكثم . فأقبل يحيى عليها فقال : تكلّمي !

فقالت : يا أمير المؤمنين ، قد حيل بيني وبين ضيعتي ، وليس لي ناصر إلّا الله تبارك وتعالى .

فقال لها يحيى : إنّ الوقت قد فات . ولكن عودي يوم المجلس .

فرجعت . فلمّا كان يوم المجلس قال المأمون : أوّلُ من يُدعى المرأة المظلومة .

فدعي بها . فقال لها : أين خصمُك ؟

(1) هٰكذا في المخطوط ولعلّها لغة أكلوني البراغيث .

قالت : واقف على رأسك يا أمير المؤمنين . قد حيل بيني وبينه – وأومأت إلى العبّاس آبنه .

فقال لأحمد بن أبي خالد : خذ بيده وأقعِده معها !

ففعل . فتناظرا ساعةً حتى علا صوتُها عليه . فقال لها أحمد بن أبي خالد : أيّتها المرأة ، إنّك تناظرين الأمير أعزّه الله بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه . فآخفضي عليك ! / [133 أ]

فقال المأمون : دعها يا أحمد ، فإنّ الحقّ أنطقها والباطل أخرسَه .

فلم تزل تناظره حتّى حكم لها المأمون عليه وأمره بردّ ضيعتها . وأمر آبن أبي خالد أن يوقّع لها بعشرة آلاف درهم .

* * *

ودخلت عليه آمرأة في أخريات الناس في أطمار بالية . وقد أذّن المؤذّن فقالت [بسيط] :

يا خير منتصف يهدى لَهُ الرشَدُ	و يا إمامًا به قد أشرقَ البلدُ
تشكو إليك عقيد الملك أرملة	عدا عليها ، فمَا تقوى به ، أسد
فآبتزّ منّي ضياعي بعد منعتها	وقد تفرّق عنّي الأهلُ والولد (1)

فأجابها المأمون :

في دون ما قلتِ عيل الصبرُ والجلَدُ	منّي ودام به من قلبيَ الكمَدُ
هٰذا أوان صلاة الظهر فآنصرفي	وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أعِدُ
والمجلس السبت إن يُقْضَ الجلوس لنا	أُنصِفْكِ منه ، وإلّا المجلس الأحدُ

فجلس يوم الأحد ولم يكن يريد الجلوس . فدعا بها ، فلمّا دخلت قال :

---

(1) الأبيات في العقد 1 / 28 ونهاية الأدب 6 / 276 .

[أين] الخصم يرحمُك الله ؟

[قالت :] . هوذا بين يديك – فأومأت إلى العبّاس . فقال لأحمد بن أبي خالد : « خذ بيده فأجلسه معها » . فجعلت ترفع صوتها ، فقال لها أحمد : ٱخفضي من صوتك فإنّك بين يدي أمير المؤمنين !

فقال : ٱسكت يا أحمد ، إنّ الحقّ أنطقَها والباطل أخرسه .

ثمّ أمر بردّ ضياعها إليها ، وكتب لها إلى العامل بحفظها .

حِلمُه

وقال أحمد بن يوسف القاضي للمأمون : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ رجلاً ليس بينه و بين الله أحدٌ يخشاه لحقيق أنّه يتّقي الله عزّ وجلّ .

فقال المأمون : صدقت .

ووقّع المأمون في رقعة متظلّمٍ من عليّ بن هشام : الشريفُ مَن[1] يظلم مَن فوقه ويظلمه من هو دونه . فأخبر أميرَ المؤمنين أيّ الرجلَين أنت ؟

ووقّع في قصّة رجل يتظلّم من بعض أصحابه : ليس من المروءة أن تكون آنيتُك من فضّةٍ وذهب ، وغريمُك عار ، وجارُك طاوٍ .

* * *

وأحضر[2] مرّة رجلاً وأمر بضرب عنقه . وكان الرجل من ذوي العقول ، فقال ليحيى بن أكثم : إنّ أمير المؤمنين قد أمر بضرب عنقي ، وإنّ دمي عليه لحرام . فهل له في حاجةٍ أسأله إيّاها لا تضرّ بدينه ولا مروءتِه . فإذا فعل ذلك فهو في حلّ من دمي .

---

(1) في المخطوط : الشريف لن . والإصلاح من العقد 4 / 215 .
(2) تاريخ بغداد 10 / 191 .

فأظهر المأمون تحرّجًا ، فقال ليحيى : سله عنها .

فقال الرجل : يضع يده في يدي إلى الموضع الذي يُضرب فيه عنقي ، فإذا فعل ذلك فهو في حلّ من دمي .

فقام المأمون من مجلسِه وضرب بيده إلى يد الرجل . فلم يزل يخبره وينشده ويحدّثه / حتّى كأنّه من بعض أسرته . فلمّا أن رأى السيّاف والسيف والموضع [133ب] الذي يكون فيه مثل هٰذه الحال انعطف فقال للمأمون : بحقّ هٰذه الصحبة والمُحادثة لمَا عفوت عنّي !

فعفا عنه وأجزل له الجائزة .

* * *

ووقف رجل بين يديه قد جنى جناية : فقال له : والله لأقتلنَّك !

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، تأنّ عليّ ، فإنّ الرفقَ نصفُ العدل .

قال : كيف وقد حلفتُ لأقتلنَّك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، لأن تلقى الله حانثًا خير لك من أن تلقاه قاتلاً .

فخلّى سبيله .

* * *

وقال المأمون : لوددتُ أنّ أهل الجرائِم عرَفوا رأيي في العفو ليذهب الخوف عنهم ويخلص السرور إلى قلوبهم .

* * *

وقال أبو الصلت عبد السلام بن صالح : حبسني المأمون ليلةً . فكنّا نتحدّث حتّى ذهب من الليل ما ذهب ، وطفىء السراج ونام القيّم الذي كان يصلح السراج . فدعاه فلم يجبه ، وكان نائمًا . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، أُصلحه .

فقال : لا .

فأصلحه هو . ثمّ انتبه الخادم ، فظننتُ أنّه يعاقبُه لأنّه كان يناديه وهو نائم فلا يجيبه . [قال] فتعجّبت منه ، فسمعته يقول : ربّما أكون في المتوضّأ ، فيشتمو[نـ]ـني ويفترون عليّ ولا يدرون أني أسمع ، فأعفو عنهم .

وقال عبد الله بن البوّاب : كان المأمون يحلم ، حتى يغيظنا : فجلس في بعض الأوقات يستاك على دجلة من وراء ستره ، ونحن قيام بين يديه . فمرّ ملّاح وهو يقول بأعلى صوته : « أتظنّون أنّ هٰذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه ؟ » فوالله ما زاد على أن تبسّم وقال لنا : ما الحيلة عندكم حتى أنبُلَ في عين هٰذا الرجل الجليل ؟

* * *

وقال يحيى بن أكثم [1] : بتّ ليلة عند المأمون ، فانتبهت في جوف الليل وأنا عطشان . فتقلّبت ، فقال : يا يحيى ، ما شأنُك ؟

قلت : عطشان والله يا أمير المؤمنين .

فوثب من مرقده فجاءني بكوز من ماء . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا دعوتَ بخادم ؟ ألا دعوتَ بغلام ؟

فقال : لا . حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : سيّد القوم خادمهم .

وفي رواية عن يحيى : بتّ ليلةً عند المأمون فعطشت في جوف الليل فقمْت لأشرب ماءً . فرآني فقال : مالَك ليس تنام يا يحيى ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا والله عطشان .

قال : ارجع إلى موضعك .

---

(1) تاريخ بغداد 10 / 187 ـ 188 .

فقام والله إلى البرّادة فجاءني بكوز ماءٍ وقام على رأسي وقال : آشرب يا يحيى !

فقلت : يا أمير المؤمنين ، فهلّا وصيف أو وصيفة تُغني ؟

فقال : إنّهم نيام .

قلت : فأنا أقوم للشرب .

فقال لي : لوم بالرجل أن / يستخدم ضيفَه . [134 أ]

ثمّ قال : يا يحيى !

قلت : لبّيْك يا أمير المؤمنين !

قال : ألا أحدّثك ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين .

قال : حدّثني الرشيد قال : حدّثني المهدي قال : حدّثني المنصور عن أبيه عن عكرمة عن آبن عبّاس قال : حدّثني جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيّد القوم خادمهم .

وفي رواية ، قال يحيى : ما رأيت أكرم من المأمون : بتّ عنده ليلةً فعطشَ وقد نِمْنَا . فكره أن يصيح بالغلمَان فأنتبه -- وكنت منتبهًا -- فرأيته قد قام يمْشي قليلاً قليلاً إلى البرّداة بينه وبينها بعد حتّى شرب ورجع ، ثمّ بتّ عنده ونحن بالشام وما معي أحد . فلم يحملني النوم . فأخذ المأمونَ فرأيتُه يَسدُّ فاه بكُمَّي قميصه حتّى لا أنتبه . ثمّ حملني آخر الليل النوم . وكان له وقت يقوم فيه يستاك . فكره أن ينبّهني . فلمّا ضاق الوقت عليه تحرّكت ، فقال : الله أكبر ! يا غلمان ، نعل أبي محمّد !

[(قال)] وكنت[1] أمشي يومًا مع المأمون في بستان موسى في ميدان

---

(1) العقد 2 / 431 .

البستان ، والشمس عليّ وهو في الظلّ ، فلمّا رجعنا قال لي : «كن الآن أنتَ في الظلّ ! » فأبيت عليه فقال : أوّل العدل أن يعدل الملك في بِطانته ، ثمّ الذين يلونَهم حتى يبلغ إلى الطبقة السّفلى .

* * *

وقال المأمون [1] : الملوك لا تحتمل ثلاثة أشياء : إفشاء السرّ ، والتعرّض للحرمة ، والقدح في الملك .

وقال يحيى بن خالد البرمكي : قال لي المأمون : يا يحيى ، اغتنِم قضاء حوائج الناس ، فإنّ الملك أدور ، والدهر أجور من أن يترك لِأَ [حَدٍ] حالا أو يبقي لأحد نعمة .

* * *

وقال المأمون : غلبة الحجّة أحبّ إليّ من غلبة القدرة ، لأنّ غلبة القدرة تزول بزوالها ، وغلبة الحجّة لا يزيلها شيء .

وقال لأبي حفص عمر [2] بن الأزرق الكرماني : أريدك للوزارة .

قال : لا أصلُح لها يا أميرَ المؤمنين .

قال : ترفع نفسَك عن الوزارة ؟

قال : ومَن يرفع نفسَه عن الوزارة ؟ ولكنّي قلت هٰذا رافعاً لها واضعاً لنفسي عنها [3] .

فقال المأمون : إنّا نعرف موضع الكُفاة الثقات المتقدّمين من الرجال ، ولكنّ دولتَنا منكوسة ، إن قوّمناها بالراجحين انتقضت ، وإنّ أيّدناها بالناقصين استقامَت ، ولذلك اخترتُ استعمَال الصواب فيك .

---

(1) العقد 1 / 12 .

(2) تاريخ بغداد 10 / 186 .

(3) في المخطوط : لنفسي بها . والإصلاح من تاريخ بغداد 10 / 186 .

* * *

وقال المبرّد : أنشد المأمون بيت أبي العتاهية [وافر] :

تعالى الله يا سلم بنَ عمرو   أذلّ الحرصُ أعناق الرجال

فقال : الحرص مُفسد للدين والمروءة . والله ما عرفتُ من أحدٍ قطُّ حِرصًا أو شرَها فرأيتُ فيه مصطَنَعًا !

وقال : من لم يحمدك على حسن النيّة لم يشكرك على جميل الفعل .

وقال : ما أقبحَ اللجاجة / بالسلطان ! وأقبح من ذلك الضجر من القضاة [134 ب] قبل التفهّم ، وأقبح منه سخافة الفقهاء بالدين ، وأقبح منه البخل بالأغنياء . والمزاح بالشيوخ ، والكسلُ بالشباب ، والجبن بالمُقاتل .

* * *

وقال : أظلم الناس لنفسه من عمل بثلاث : من يتقرّب إلى مَن يبعده . ويتواضَع لمَن لا يكرمُه ، ويَقبل مَدح مَن لا يعرفه .

وقال مخارق : أنشدت المأمون قول أبي العتاهية [طويل] :

وإنّي لمحتاج إلى ظلّ صاحبٍ   يرقّ و يصفو إن كدرتُ عليه

قال : « أعد ! » فأعدت سبع مرّات . فقال : يا مخارق ، خذ منّي الخلافة . وأعطني هٰذا الصاحب ! لله درّ أبي العتاهية ، ما أحسنَ ما قال !

* * *

وكان للمأمون آبن عمّ جيّدُ الخطّ ، فدخل عليه يومًا فقال له المأمون : يا آبن عمّ ، بلغني أنّك جيّد الخطّ ، وذاك معدوم في أهلك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، جودة الخطّ بلاغة اليد .

قال : وبلغني أنّك شاعر .

قال : ذاك ضَعَةٌ للشريف ، ورفعة للوضيع .

قال : وبلغني أنّك سخيّ .

قال : يا أمير المؤمنين ، منع الموجود قلّة ثقة بالمَعبود .

فقال : فأنت أكبر أم أمير المؤمنين ؟

قال : جوابي في ذلك جواب جدّك العبّاس للنبيّ ﷺ لمّا سئل ، فقيل له : النبيّ ﷺ أكبر أم أنت ؟ فقال : النبيّ ﷺ أكبر ، ووُلدتُ قبلَه .

* * *

ولمّا ظهر الشَّيب بالمأمون ، كان يتمثّل بهٰذا البيت من شعر مسلم بن الوليد [بسيط] :

أكره شيء ، وآسى أن يزايلَني ... أعجب بشيءٍ على البغضاء مودود !

نام العواذل واستكفَينَ لائمتي ... وقد كفاهنّ نهضُ البيض في السود

أمّا الشباب ، فمَفقود له خلَف ... والشيب يذهب مفقودًا بِمَفقود

* * *

وقال هدبة بن خالد : حضرت غَداء المأمون . فلمّا رُفعت المائدة جعلتُ ألتقط ما في الأرض . فنظر إليّ فقال : أما شبعتَ يا شيخ ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، إنّما شبعت في فنائك وكنَفِك ، ولكني حدّثني حمّاد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : مَن أكل ما تحت مائدتِه أمن من الفقر .

فنظر المأمون إلى خادم واقف بين يديه فأشار إليه ، فمَا شعرت حتى جاءَني ومعه منديل فيه ألف دينار ، فناولني . فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهٰذا أيضًا من ذاك .

وقال المأمون لمحمّد بن عبّاد المهلّبي : يا أبا عبد الله قد أعطيتُك ألف ألف ،

وألف ألف ، وألف ألف ، وعليك دين ! إنّ فيك سرفًا !

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ مَنعَ / الموجود سوء الظنّ بالمعبود . [135 أ]

قال : أحسنت . يا محمّد ، أعطوه ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف !

* * *

وكان الحسن بن سهل مؤالفًا للأدباء ، وكان له مجلس ينتابه فيه أهل الأدب . وكان رجل من أهل الأدب يأتيه . فلمّا تهيّأ عُرس بوران ، أهدى الناس إلى الحسن . وكان ذاك الرجل فقيرًا ، فأهدى إليه مزودين في أحدهمَا ملح طيّب ، وفي الآخر أُشْنَان [1] طيب ، وكتب إليه : « جُعلت فداءَك ، خفّة البضاعة قصّرت ببُعد الهمّة ، وكرهتُ أن تُطوى صحيفة أهل البِرّ ولا ذكرَ لي فيها ، فوجّهتُ إليك بالمبتدإ به ليمُنه وبركتِه ، وبالمختوم به لطيبه ونظافته » .

وكتب في أسفل رقعتِه [سريع] :

بضاعتي تَقْصُرُ عن همّتي وهمّتي تَقصُر عن مالي
والملح والأشنان يا سيّدي أحسنُ ما يُهديه أمثالي

فأخذ الحسن المزودَين ودخل بهمَا على المأمون فٱستحسن ذلك ، وأمر بالمزودين ففُرّغا ومُلئا دنانيرَ .

* * *

وقال أبو عبد الرحمان العتبيّ : جاءَني رجل من أصحاب الصنعة فقال : آذكرني لأمير المؤمنين المأمون ، فإنّي أحلّ الطلق [2] بين يديه في يوم وبعض آخر . فقلت : يا هٰذا ، أرح نفسك من العناء وٱجلس في بيتك ولا تغر أمير

(1) الأشنان بالضمّ والكسر : ما تغسلُ به الأيدي .
(2) لم نفهم المقصود من حلّ الطلق ، ولعله نوع من السحر .

المؤمنين منك .

قال : فالحلّ عليه حرام – يعني به الطلاق – وما لَه من قليل أو كثير صدقة لوجه الله ، وكلّ مَملوك له حُرّ إن كان كذبك فيمَا قال لك !

[قال :] والله ما آخذ منكم شيئًا عاجلاً . وقد آدّعيتُ أمرًا فآمتحنوني فيه ، فإن حاك ما آدّعيتُ كان الأمرُ فيَّ إليكم . وإن وقع بخلاف ذلك آنصرفتُ إلى منزلي .

فأخبرت المأمون بِمَا قال ، فتمثّل ببيت الفرزدق [طويل] :

وقبلك ما أَعييت كاسِرَ عينه زيادًا فلم تقدر عليّ حبائلُه

ثمّ قال : لعلّ هٰذا أراد أن يصل إلينا فآحتال بهٰذه الحيلة . وليس الرأي أن يُظهرَ أحدٌ علينا علمًا فنظهِرَ الزهد فيه ، فأحضِرْه !

فجئتُ بالرجل وقعد له المأمون ، وأحضرت له أداة العمل ، فإذا هو بحلّ الطلق أجهل مني بمَا في السمَاء السابعة . فنظر إليَّ المأمون وقال : تزعم أنّه حلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما يَمْلك ؟

قلت : بلى .

قال : فقد حنث .

فقلت للرجل ، والمأمون يسمع : ألم تحلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما تمْلك ؟

قال : بلى .

قلت : فقد حنثتَ .

قال : ليست لي آمرأة .

قلت : فالعتاق ؟

قال : وما لي مَملوك .

قلت : / فصدقة ما تَمْلك ؟ [135ب]

قال : ما أملك خيطًا ولا مِخْيَطًا .

قلت له : كذب يا أمير المؤمنين ، له غلام ودابّة .

قال : همَا ، وحقّ رأس أمير المؤمنين ، عارية !

فتبسّم المأمون وقال : « هٰذا بِحلّ الدراهم أعلم منه بِحلّ الطلق ! » ثمّ أمر أن يُعطى خمسة آلاف درهم . فلمّا خرج قال للفتى : « ردّة ! » فردّه . فقال : زيدوه ، فإنّه لا يجد في كلّ وقت من يُمَخرق عليه .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، عندي باب من الحملان ليس في الدنيا مثله !

قال : ٱحمله على هٰذه الدراهم ، فإن كنتَ صادقًا صرت ملكا في أقلّ من شهر .

* * *

ولمّا وصل المأمون إلى بغداد وقرّ بها قال ليحيى بن أكثم : وددت أني وجدتُ رجلا مثل الأصمعيّ ممّن عرف أخبار العرب وأيّامها وأشعارها فيصحبُني كمَا صحب الأصمعي الرّشيد .

فقال له يحيى : هٰهنا شيخ يعرِف هٰذه الأخبار ، يقال له عتّاب بن ورقاء من بني شيبان .

قال : فٱبعثْ ليأتيني .

فبعث ، فحضر . فقال له يحيى : إنّ أميرَ المؤمنين يرغب في حضورك مجلسَه ومحادثتِه .

فقال : أنا شيخ كبير لا طاقة لي ، لأنّه قد ذهب منّي الأطيبان .

فقال له المأمون : لا بدّ من ذلك .

فقال الشيخ : « فأسمع ما حضرني » . فقال أقتضابًا [مجتثّ] :

أبعد ستّين أصبو ؟ والشيب للمرء حرب
شيب وسنّ وإثم أمر لعمرُك صعب
يا ٱبن الإمام ، مهلاً أيّام عودي رطب
وإذ شفاء الغواني منّي حديث وقرب
5 وإذ مشيبي قليل ومنهل العيش عذب
فالآن لمّا رأى بي عواذلي ما أحبّوا
آليت أشرب راحا ما حجّ لله ركب !

فقال المأمون : « ينبغي أن تكتب بالذهب » وأمر له بجائزة وتركه .

* * *

وكان المأمون يتعصّب للأوائل من الشعراء ويقول : « أنقضى الشعر مع ملك بني أميّة ! » وكان الفضل بن سهل يقول له : الأوائل حجّة وأصول . وهؤلاء أحسنُ تفريعًا .

* * *

وتفرّد المأمون يومًا في بعض تصيّده ، فأنتهى إلى بعض بيوت البادية . فرأى صبيًا يضبط قربةً وقد غلبه وكاؤها ، وهو يقول : « يا أبه أشدد فاها ، فقد غلبني فوها ، لا طاقة لي بفيها ! » فوقف عليه فقال : يا فرخ غمّة ممّن تكون ؟

قال : من قضاعة .

قال : من أيّها ؟

قال : من كلب .

قال : من أيّها ؟

قال : من الأحرار ثمّ من بني كنانة . فمَن أنت يا خال ، فقد سألتَني عن حسبي ؟

قال : ممّن تبغضه [اليمن] كلّها .

قال : فأنت إذن من نزار ؟

قال : أنا ممّن تبغضه نزار كلّها .

قال : فأنت إذن من مضر ؟

قال : أنا ممّن تبغضه مضر كلّها .

قال : فأنت إذن من قريش .

قال : أنا ممّن تبغضه قريش كلّها .

قال : فأنت أذن من بني هاشم .

قال : أنا ممّن تحسده بنو / هاشم كلّها . [136 أ]

فأرسل فمَ القربة ودنا إليه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وضرب بيده إلى شكيمة الدابّة وهو يقول [رجز] :

مأمون يا ذا المنن الشريفة وصاحب الكتيبة الكثيفة
هل لك في أرجوزة ظريفة أطرف من فقه أبي حنيفة ؟
لا ، والذي أنت له خليفة ما ظُلمَت في أرضنا ضعيفة
عاملُنا مؤنتُه خفيفة وما جنى فضلا عن الوظيفة
فالذئب والنعجة في سقيفة واللصّ والتاجر في قطيفة
قد سار فينا سيرة الخليفة

فقال له المأمون : أحسنت يا فرخ عُمّة فأيُّهمَا أحبُّ إليك : عشرة آلاف معجّلة أم مائة ألف مؤجّلة ؟

قال : بل أؤخّرك يا أمير المؤمنين .

فمَا لبث أن أقبلت الفرسان ، فقال : « احملوه ! » فكان أحد مسامريه .

* * *

وخرج يومًا من الرصافة يريد الشماسيّة فدنا منه الهاشميّون وسلّموا عليه وقبّلوا يده ، وفيهم رجل من الطالبيّين يلقّب بـ« كلب الجنّة » [1] ، وكان ظريفًا . فلمّا دنا من المأمون [و] قبّل يده ، قال له المأمون كالمسرّ إليه : كيف أنت يا كلب الجنّة ؟

قال : « أما الدنانير والدراهم والرتبة فلعمرو بن مسعدة وأبي عبّاد . وأمّا الطّنْزُ [2] فلبني هاشم » . فردّ المأمون كُمَّه على فيه وقال : وَيْلك ! كفَّ ، لا تفضحني !

قال : لا والله ، أو تضمنَ لي شيئًا تُعجّلُه لي !

قال : العشيّة يأتيك رسولي .

فأتاه عمرو بن مسعدة بثلاثين ألف درهم .

وفي رواية : ركب المأمون يومًا إلى المطبق ، وبلغ القوّادَ ركوبُه فتبعوه فكان كلب الجنّة ممّن ركب . فبصر به المأمون ، وفي يده خشبة من حطب الوقود ، وفي اليد الأخرى لحافه ، فقال : كلب الجنّة ؟

قال : نعم ، كلب الجنّة . بلغه ركوبك فجاء لنصرتك . والله ما وجدت سلاحًا إلّا هٰذه المشققة من الحطب ، ولا ترسا إلا لحافي هٰذا . وعيّاش بن القاسم في ستّة ألف ترس وألف درع نائم غير مكترث !

---

(1) في الهامش حاشية تعرّف بكلب الجنّة : هو عبد الله بن الحسين بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

(2) الطّنْز : السخريّة (والتعرّض لها) .

فوصله المأمون بثلاثين ألفا . وجاء عيّاش يركض فشتمه المأمون وناله بمَكروه .

* * *

وقال عمرو بن سعيد : كنت في نوبتي في الحرس في أربعة آلاف إذ رأيتُ المأمون قد خرج ، ومعه غلمَان صغار وشموع . فعرفته ولم يعرفني . فقال : مَن أنت ؟

فقلت : عمرو عمرك الله ، آبن سعيد أسعدك الله ، آبن سلم سلّمك الله .

فقال : أنت تكلؤنا منذ الليلة ؟

قلت : الله يكلؤك يا أمير المؤمنين . هو / خيرٌ حفظاوهو أرحم الراحمين . [136ب]

وأنشأ يقول [رجز] :

إنّ أخا الهيجاء من يسعى معك ... ومن يضرّ نفسَه لينفعَك
ومَن إذا ريب زمان صدَعَك ... بدّد شملَ نفسه ليجمعك

ثمّ قال : يا غلام ، أعطه أربعمائة دينار . (قال) فقبضتها .

(قال) وأنشدته أربعة أبيات فأمر لي بأربعمائة دينار ، فلو أنشدتُه عشرَة أبيات لكنت آخذ ألفًا ، لكلّ بيت [مائة] .

وفي رواية : قال عمرو : كنت في حرس المأمون حين قفل من خراسان إلى العراق بعد قتل الأمين وآستثْبات الخلافة له . فخرج لينظر إلى العسكر في بعض الليالي ، فعرفتُه ولم يعرفني ، فأغفلته . فجاء من ورائى حتى وضع يده على كتفي فقال لي : من أنت ؟

قلت : عمرو عمرك الله ، ابن سعيد أسعدك الله ، ابن سلم سلّمَك الله .

فقال : أنت الذي كنت تكلؤنا من هٰذه الليلة ؟

فقلت : الله يكلؤك يا أمير المؤمنين .

فأنشأ يقول :

إنّ أخا هيجاك من يسعى معك ... ومن يضرّ نفسَه لينفعك
ومَن إذا ريب زمانٍ صدعَك ... فرّق من جميعه ليجمَعَك

ثمّ قال : أعطه لكلّ بيت ألفَ دينار .

فوددتُ أن تكون الأبيات طالت عليّ فآخذ الغنى . فقلت : يا أمير المؤمنين : وأزيدك بيتًا من عندي ؟

فقال لي : هات !

فقلت : وإن غدوت ظالمًا غدا معك .

فقال : أعطه لهٰذا البيت ألف دينار . فمَا برحت من موقفي حتى أخذت خمسةَ آلاف دينار

* * *

ودخل المأمون يومًا ديوان الخراج ، فمرّ بغلام جميل على أذنه قلم فأعجبه ما رأى من حُسنه ، فقال : منَ أنت يا غلام ؟

فقال : الناشيء في دولتك ، وخرّيج أدبك يا أمير المؤمنين ، المتقلّب في نعمتك ، المؤمّل لخدمتك : الحسن بن رجاء .

فقال له المأمون : يا غلامَ ، بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول .

ثمّ أمر له أن يرفع عن مرتبة الديوان ، وأمر له بِمائة ألف درهم .

* * *

وأنشد بعض الشعراء المأمون [طويل] :

تمرّ بك الأموال غيرَ مقيمةٍ ... أبى الجود إلّا أن تكونَ على رجل

فمَالكُ مُجتازٌ ، وجودُك مُوطِن   ولا تثبت الأموال ، والجود في رحل

فوصله صلة سنيّة .

* * *

ولمّا ولد ولد جعفر آبن المأمون دخل المهنّئون على المأمون فهنّؤوه بصنوف التهاني ، وفيهم العبّاس بن الأحنف ، فمَثل قائمًا بين يديه ، وأنشد [رجز] :

مدّ لك الله الحياةَ مَدًّا   حتى ير يك آبنَك هٰذا جدًّا

ثمّ يُفدّى مثلَما تُفَدَّى   كأنّه أنت إذا تبدَّى

أشبه منك قامةً وقدًّا   مؤزّرًا مجدًا له مُرَدّى

/ فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم . [137أ]

وكانت لهارون الرشيد جارية غلاميّة تصّب عليه وتقف على رأسه . وكان المأمون يعجب بها وهو أمرد . فبينا هي تصبّ على الرشيد من إبريقٍ على يده ، والمأمون مع الرشيد قد قابل بوجهه وجهَ الجارية إذ أشار إليها بقبلة فزبرته بحاجبِها ، وأبطأت عن الصبّ في مهلة ما بين ذلك . فنظر إليها الرشيد فقال : ما هٰذا ؟

فتلكّأت عليه . فقال : ضعي ما معك ! عليّ كذا ، إن لم تخبريني لأقتلنّك !

فقالت : أشار إليّ عبد الله بقبلة .

فآلتفتَ إليه ، وإذا هو قد نزل به من الحياء والرعب ما رحمه منه . فآعتنقه وقال : أتحبُّهَا ؟

قال : نعم يا أميرَ المؤمنين .

قال : قم فآدخل بها في تلك القبّة .

فقام ففعل .

فقال له هارون : « قل في هٰذا شعرًا » . فأنشأ يقول [مجتثّ] :

ظبيٌ كتبتُ بطرفي عن الضمير إليه
قبّلتُه من بعيد فأعتلّ من شفتيه
وردّ أحسن ردٍّ بالكسر من حاجبيه [1]
فمَا برحت مَكاني حتى قدرت عليه

ويُروى في ذلك أنّ المأمون دخل على أمّ جعفر بعد قتل محمد الأمين ٱبنها ، فرأى على رأسها جاريةً من أحسن الناس وجهًا وقدًّا وشمائل ، فأعجب بها وشغلت قلبه ، فكسر طرْفَه في طرفها ، فأجابته من طرفها بمثل ذلك . فأومأ بفيه فقبّلها من بعيد ، فعضت على شفتها فَدَمِيَتْ . فقال المأمون لأمّ جعفر : يا أمّه ، تأذنينَ لي في كلام هٰذه الجارية ؟

قالت : هي أمَتُك .

فدعا بدواة وكتب إلى الجارية : ظبيٌ كتبت . . . الأبيات . . .

وعشق المأمون جاريةً لأمّ عيسى ٱمرأتِه ، فوجدت عليه فكتب إليها بشعر أبيه [وافر] :

أما يكفيك أنّك تملكيني وأنّ الناس كلّهم عبيدي ؟

فرضيت عنه . وجاءها فأخرجت إليه الجواري . فغنّت الجارية الشعر من بينهنّ ، فقال المأمون [وافر] :

أرى ماءً ولي عطش شديد ولكن لا سبيلَ إلى الورود

فقالت : خذها غيرَ مباركٍ لك فيها !

---

(1) في تاريخ بغداد 10 / 185 : وردّ أخبث ردٍّ ...

فقال : ظبيٌ كتبتُ [الخ . . .] .

ومن شعره أيضاً [خفيف] :

عرفت حاجتي إليها فضنّت ورأت طاعتي لها فتجنَّتْ / [137ب]

وإذا النفس رامت الصبرَ عنها ذكرت حسرة الفراق فحنّت

لا تلومَنَّ غير نفسِك فيها أنت جنّيتها عليك تجنَّت

* * *

وعرضت على المأمون جارية شاعرة فصيحة متأدّبة شطرنجيّة ساوم فيها النخّاس بألفَي دينار . فقال : إن هي أجازت بيتا أقوله ببيت من عندها آشتريتُها بمَا تقول وزدتك .

قال : فكم الزيادة يا أمير المؤمنين ؟

قال : مائة دينار .

فقال : زدني .

قال : مائتا دينار .

قال : زدني .

قال : ثلاثمائة دينار .

قال : زدني .

قال : خمسمائة دينار .

قال : فليسألها أمير المؤمنين عمّا أراد .

فأنشد المأمون [بسيط] :

ماذا تقولين في مَن شفَّهُ أرقٌ من جَهد حُبّك حتى صار حيرانا ؟

فأجازته :

إذا وجدنا محبًّا قد أضرّ به داء الصبابة أوليناه إحسانا

* * *

وكان المأمون يهوى جارية من جواريه . فبعث إليها ليلة من الليالي خادمًا يأمرها بالمصير إليه . فصار الخادم إليها فأمرها بذلك . فقالت : لا والله ، لا أجيبه . فإن كانت الحاجة له ، فلْيصِر إليّ !

فلمّا آستبطأ المأمون الخادم أنشأ يقول [طويل] :

بعثْتُك مشتاقًا ففزت بنظرة وأغفلْتني حتى أسأت بك الظنّا

وناجيتَ مَن أهوى وكنتَ مُقرّبًا فيا ليت شعري عن دنوّك ما أغنى

وردّدتَ طرفًا في محاسن وجهها ومتّعتَ بآستمتاع نغمتها أُذنا

أرى أثرًا في صحن خدّك لم يكن لقد سرقت عيناك من حسنها حُسنا[1]

فقال الخادم : لا يا سيّدي ، إلا أنّها قالت كذا .

فقال : إذن والله أقومَ إليها !

* * *

ويذكر أنّ المأمون قال في بعض ندمائه وقد ثمل فناوله القدَح بيده فقال له : « يدي لا تطاوعني » قال : قم فنم – وكان ينام عنده . فقال : رجلي لا تواتيني [بسيط] :

أبصرتُه وظلام الليل مُنسدِلٌ وقد تمدّد سكرًا في الرياحين

فقلت : خذ ! قال : كفّي لا تطاوعني فقلت : قمّ ! قال : رجلي لا تواتيني

إنّي غفلتُ عن الساقي فصيّرني كمَا تراني سليب العقل والدين

(وأنشدها بعضهم لعبد الله بن طاهر) .

---

(1) في الهامش ، حواش لتصحيح الأبيات : عن سرارك (عوضا عن دنوّك) . ونزّهت (عوضا عن وردت) . أرى أثرا منها بوجهك في البيت الرابع .

ومن شعره أيضاً [متقارب] :

لساني كتوم لأسراركم ودمعي نموم بسرّي مُذيع
فلولا دموعي كتمتُ الهوى ولولا الهوى لم يكن لي دموع

وقال : [بسيط] :

مولاي ليس لعيش أنت حاضرُه قدر ولا قيمَة ولا ثمَنُ
ولا فقدت من الدنيا ولذّتِها شيئًا إذا كان عندي وجهُك الحسنُ

وقال : [طويل] :

وقائلة لمّا استمرّت بنا النوى ومحجرُها فيه دم ونجيع / [138 أ]
ألم يُقض للركب الذين تحمّلوا إلى بلد فيهِ الشجيّ رجوع
فقلت ، ولم أملك سوابق عبرة نطقن بمَا ضمّت عليه ضلوع :
تبيّن : فكم دار تفرّق شملها وشملٍ شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالي صرفهنَّ كمَا ترى لكلّ أناس جدبة وربيع 5

وكتب الرضى إلى المأمون [سريع] :

إنّك في دار لها مدّة يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطًا بها يقطع منها أمل الآمل ؟
يُعجّل الذنْب لِما يشتهي و يأمل التوبة من قابل
والموت يأتي أهله بغتة ماذا بفعل الحازم العاقل ؟

* * *

ودخل بشر المريسي يومًا على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ هٰهنا شاعرًا يهجو ويقول الشعر فيما أحدثناه من أمر القرآن ، فأحبّ أن تجدّد له عقوبة .

فقال : أما إنّه إن كان شاعرًا فلست أُقدِم عليه ، وإن كان فقيهًا أقدمتُ عليه .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّه يدّعي الشعر وليس بشاعر .

فقال : إنّه قد خطر على فؤادي في هٰذه الليلة أبيات ، فأنا أكتب بها إليه ، فإن لم يُجبني أقدمت عليه .

فكتب [منسرح] :

قد قال مأموننا وسيّدنا — قولا له في الكتاب تصديق
أنّ عليّا أبا حسن — أفضلُ من أرقلت به النوق
بعد نبيّ الهدى وإنّ لنا — أَعمالنا والقُرَان مخلوق

فكتب الشاعر الجواب [بسيط] :

يا أيّها الناس لا قول ولا عمل — لمَن يقول : كلام الله مخلوق
ما قال ذاك أبو بكر ولا عمر — ولا النبيّ ولم يذكره صدّيق
ولم يقل ذاك إلّا كلّ مبتدِع — على الالاه ، وعبد الله زنديق
عمدًا أراد [بكم] إمْحاقَ دِينِكُمُ — لأنّ دينهَمُ والله ممحوق
5 أصحّ يا قومُ عقلا من خليفتكم — يُمسي ويصبح في الأغلال موثوق

فلمّا وردت على المأمون قال لبشر : « يا عاضّ كذا من أمّه[...][1] أليس زعمتَ أنّه ليس بشاعر ؟ » وأغلظ له في القول .

* * *

ووقف المأمون في بعض أسفاره وهو قافل إلى طِرسوس في قدمته التي مات فيها على شرفٍ وقال [بسيط] :

---

(1) كلمة لم نفهمها .

حتّى متى أنا في حطّ وترحال وطول سعي وإدبار وإقبال ؟
ونازحَ الدار لا أنفكّ مغتربا عن الأحبّة ما يدرون ما حالي
بمشرق الأرض طورًا ، ثمّ مغربها لا يخطر الموت من حرص على بالي / [138ب]
ولو قعدتُ أتاني الرزق في دعة إنّ القنوع الغنى لا كثرةُ المال

* * *

ووصفت للمأمون جارية بكلّ ما توصف آمرأة من الكمَال والجمَال ، فبعث في شرائها ، فأتِيَ بِها وقت خروجه إلى بلاد الروم . فلمّا همّ ليلبس درعَه خطرت بباله ، فأمر فأُخرِجت إليه . فلمّا نظر إليها أعجب بها وأعجبت به . فقالت : ما هٰذا ؟

قال : أريد الخروج إلى بلاد الروم .

قالت : قتلتني يا سيّدي .

وخدّدت دموعها على خدّها كنظام اللؤلؤ ، وأنشأت تقول [وافر] :

سأدعو دعوة المضطرّ ربًّا يثيب على الدعاء و يستجيب
لعلّ الله أن يكفيك حربًا و يجمعنا ،كمَا تهوى القلوب

فضمّها إلى صدره وأنشأ يقول متمثّلا [طويل] :

فيا حسنَها إذ يغسل الدمع كحلها وإذ هي تذري الدمع منها الأنامل
صبيحة قالت في العتاب : قتلتني وقتلي بمَا قالت هناك تحاول

ثمّ قال لخادمه : يا مسرور آحتفظ بها وأكرم محلّها وأصلح لها كلّ ما تحتاج إليه من المقاصير والخدَم والجواري إلى وقت رجوعي . فلولا ما قال الأخطل حين يقول [بسيط] :

قوم إذ حاربوا شدّوا مآزرهم دونَ النساء ولو باتت بأطهار . . .

ثمّ خرج . فلم يزل يتعَهّدُها ويصلح ما أمرَ به حتى اعتلّت علّة شديدة أشفق عليها منها . فلمّا ورد نعي المأمون وبلغها ذلك تنفّست الصعداء ، وتوفّيت بعدما أنشدت [كامل] :

إنّ الزمانَ سقانا من مرارته   بعد الحلاوة أنفاسًا وأروانا
أبدى لنا تارة منه فأضحَكَنَا   ثمّ انْثنى تارة أخرى فأبكانا
إنّا إلى الله فيمَا لا يزال لنا   من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا تراها ترينا من تَصرّفها   ما لا يدوم مصافاةً وأحزانا
5 ونحن فيها كأنّا لا يزايلنا   للعيش أحياؤنا يبكون موتانا

* * *

وقال أبو سعيد المخزومي [خفيف] :

ما رأيتُ النجومَ أغنت عن المأ   مون في عزّ ملكه المأسوس
خلّفوه بعرصتَي طرسوس   مثلمَا خلّفوا أباه بطوس

* * *

وقال النديم : المأمون أعلم الفقهاء بالفقه والكلام . وكان دون محمد ابن زبيدة أخيه في الفصاحة .

كتاب من تأليف المأمون

وله من الكتب : كتاب جواب ملك البرغر فيمَا سأل عنه من أمور الإسلام والتوحيد ، يحتوي على أكثرَ من مائة ورقة ، لم يستعِن فيه بأحد ، ولا أورد فيه آيةً من كتاب الله ، ولا كلمة من حكيم تقدّمه .

[139 أ] والمأمون أوّل من اتّخذ من الخلفاء الأتراك / للخدمة . فكان يشتري الغلام من الأتراك بمائة ألف ومائتي ألف .

وكان يحبّ معرفة أخبار الناس ، فأتّخذ برسم ذلك ألفَ عجوز وستّمائة عجوز يتعرّفنَ له أخبار الناس ببغداد ، فلم يكن يخفى عليه من أمور الناس الظاهرة والباطنة كبير شيءٍ ، وكان لا ينام كلّ ليلة حتّى يسمَع أخبار مَن تأتيه منهنّ .

أولاد المأمون

وكان للمأمون من الولد : محمّد الأكبر ، والعبّاس – قتله عمّه المعتصم – وأحمد ، وهارون الأكبر ، وعيسى ، وهارون الأصغر ، وإبراهيم ، وإسماعيل وإسحاق ، ويعقوب ، وعليّ ، والحسن ، والحسين ، لأمهّات أولاد .

ومحمّد الأصغر ، وعبد الله ، أمّهُمَا أم عيسى بنت الهادي موسى .

وبنات : تزوّج إحداهُنّ محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر الصادق ونقَلها إلى المدينة ، وآسمُها أمّ الفضل .

وأخرى تزوّجها الواثق هارون ابن أبي إسحاق محمّد المعتصم ابن هارون الرشيد .

وأخرى تزوّجها المتوكّل جعفر بن أبي إسحاق محمّد المعتصم .

* * *

وقال محمّد بن الجهم البرمكيّ : قال لي المأمون يومًا : يا محمّد ، أنشدني بيتًا من المديح جيّدًا فاخرًا لمُحدَثٍ حتّى أُوَلّيَك كورةً تختارها .

قلت : قال عليّ بن الخليل في أمير المؤمنين المهديّ [كامل] :

فمَع السماء فروع نبعتهم ومع الحضيض منابتُ الغَرسِ
متهلّلون على أسرّتهم ، ولدى الهياج مصاعبُ الشُّمسِ

فقال : أحسنت ، قد ولّيتُك الدينَور . فأنشدني بيتَ هجاء على هٰذه الصفة حتى أولّيَك كورة أخرى .

فقلت : قول الذي يقول [كامل] :

قبحت مناظُرهم فحينَ خَبَرْتُهُمْ حسنت مناظرهُم لقبح المخبر

فقال : أحسنتَ ، قد ولّيتُك همَذان ، فأنشدني مرثية على هٰذا [الشرط] حتّى أزيدَك كورة أخرى .

فأنشدته [طويل] :

أرادوا ليخفُوا قبره عن عدوّه فطيبُ ترابِ القبرِ دلّ على القبرِ[1]

فقال : أحسنت ، قد ولّيتُك نهاوند . فأنشدني بيتًا من الغزل على هٰذا الشرط حتّى أولّيَك كورةً أخرى .

فقلت : قول الذي يقول [طويل] :

تعالَي نجدِّدْ دارسَ الوصل بيننَا كلانا على طول الجفاء مَلومُ

فقال : أحسنت . قد جعلت لك الخيار .

فآخترت السوس من كور الأهواز ، فولّاني ذلك أجمع ، ووجّهتُ إلى السوس بعض أقاربي .

* * *

وقال أبو حاتم الرازي : ولقد حضرت مجلس سليمَان بن حرب ببغداد ، فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل . وكان مجلسه عند قصر المأمون [139ب] فبنى / له شبه منبر . فصعد سليمَان وحضر حوله جماعة من القوّاد عليهم

---

(1) العقد 5 / 381 . والأبيات لصريع الغواني (ديوانه ، 231) .

السواد ، والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر ، وقد أرسل ستر شفّ وهو خلفه يكتب ما يمْلي .

فسئل أوّل شيء حديث حوشب بن عقيل ، فلعلّه قد قال : « نا حوشب » أكثر من عشر مرّات وهم يقولون : « لا نسمع » . فقام مستمل ومستمْليان وثلاثة ، كلّ ذلك يقولون : « لا نسمع ، حتى قالوا : « ليس الرأي إلّا أن يحضر هارون المستملي » . فذهب جماعة فأحضروه . فلمّا حضر قال من ذكرت : فإذا صوته خلاف الرعد فسكتوا ، وقعد المستملون كلّهم . فٱستملى هارون . وكان لا يسأل عن حديث إلّا حدّث من حفظه .

* * *

وكان القاضي يحيى بن أكثم قد غلب على المأمون ، فشكا أبا الوليد بشر بن الوليد بن خالد الكندي قاضي مدينة المنصور ، وقال للمأمون : « إنّه لا ينفّذ قضائي » . فقعد المأمون على سريره وأقعد يحيى بن أكثم معه على السرير ، ودعا بشر بن الوليد فقال له : ما ليحيى يشكوك ، ويقول إنّك لا تنفّذ أحكامه ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، سألت عنه بخراسان فلم يحمَد في بلده ولا في جواره .

فصاح به المأمون وقال : ٱخرج !

فخرج بشر . فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ، قد سمعتَه فٱصرفْه !

فقال : ويحَك ! هذا لم يراقبني فيك . كيف أصرفُه ؟

فلم يفعل .

* * *

ودعا المأمون يومًا إسحاق بن إبراهيم المصعبيّ ، فصار إليه ، ومعه المعتصم وعبد الله بن طاهر وسائر جلساته ومغنّيه . فلمّا جلس المأمون على شرابه غنّاه

محمّد بن الحرث بن يستجير [منسرح]

لو كان حولي بنو أميّة لم ينطق رجال إذا هم نطقوا

فغضب المأمون وقال : « تغنّيني في وقت سروري وساعة طربي في شعر يَمدح فيه أعدائي ، وأنتَ مولاي وربيب نعمتي ؟ » وأمر أحمد بن هشام صاحب الحرس بضرب عنقه . فأقامه ليمَضي فيه ما أمره . فبادر عبد الله بن طاهر وشفع فيه فشفعه وأمر بردّه إلى المجلس وقال له : إيّاك ومعاودة مثل ما كان منك !

* * *

وكان المأمون يدين بتفضيل عليّ رضي الله عنه على جميع الصحابة . فتقدّم إلى القاضي يحيى بن أكثم بجمع العلمَاء للمُناظرة في هٰذا . فجمع له منهم أربعين . فأنتدب منهم واحدٌ فقال : من أين قال أميرُ المؤمنين إنّ عليًا أفضل الناس بعد النبيّ ﷺ ؟

فقال المأمون : خبّرني ! بمَا يتفاضل الناس ؟

قال : بالأعمال الصالحة .

فقال المأمون : فأنظر ما رواه لك أصحابك من فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهمَا ، فقس بها فضائل علي ، ثمّ انظر فضائل أبي بكر وعمر ، لا بل فضائل العشرة . فإنّك تجد فضائل عليّ أعظم / . [140 أ]

ثمّ قال : أيّ الأعمال كانت أفضل حين بُعث النبيّ ﷺ ؟

قال : التوحيد .

قال : هل علمتَ أحدًا سبق إليه عليًا ؟

فقال : إنّ عليًا أسلم حدثَ السنّ لا يجوز الحكم عليه .

قال : أجبني أيّهمَا أسلم قبلْ ، ثمّ أناظرك على الحداثة والكمَال .

قال : أسلم عليّ قبل أبي بكر [1] .

قال : فأخبرني عن إسلام عليّ : هل يخلو من أن يكون رسول الله دعاه إلى الإسلام ، أو يكون إلهامًا ؟

فأطرق . فقال المأمون : لا تقل : إلهامًا فتقدّمه على النبيّ . فإنّ النبيّ ﷺ لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل .

فقال : دعاه رسول الله .

قال : فهل يخلو رسول الله من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من قبل نفسِهِ ؟

فأطرق . فقال المأمون : لا تنسب النبيّ ﷺ إلى التكلّف . فإنّ الله قال : « وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » (صٓ ، 86) .

قال : دعاه بأمر الله .

قال : فهل يأمر الله أن يُدعى مَن لا يجوز عليه حكمٌ ؟ وكيف يدعو النبيّ الصبيان ، وهم إن ارتدّوا لم يكن عليهم شيء ؟ وإنّما هٰذه فضيلة فضّل الله بها عليًّا حين دعاه النبيّ ، ولم يبلغنا أنّه دعا الصبيان .

ثمّ قال المأمون : أيّ الأعمال كانت أفضل بعد الإسلام ؟

قال : الجهاد .

قال : فهل تجد لأحدٍ من أصحاب النبيّ ﷺ في ذلك مثلَ ما لعليّ ؟ إنّ قتلى بدر من المشركين نيف وستّون رجلاً قتل عليّ منهم ثلاثة وعشرين أو ٱثنَينْ وعشرين .

قال المناظر : كان أبو بكر مع النبيّ في العريش .

---

[1] في الهامش حاشية : قال بعض الصحابة : لم يُسلم أبو بكر أوّلا ، ولكن كان أفضَلَنا إسلاما .

قال المأمون : يصنع ماذا ؟

قال : يُدبّر .

قال : ويلك ! دون النبيّ أو شريكًا معه ، أم ٱفتقارًا من النبيّ إلى رأيه ؟

قال : أعوذ بالله أن يدبّر أبو بكر دون النبيّ أو يكون معه شريكًا أو يفتقر النبيّ إلى رأيه .

قال : فمَا الفضيلة بالعريش ؟ أليس مَن ضرب بسيفه بين يدَي النبيّ أفضلَ ممّن هو جالس ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، كلّ الجيش كان مجاهدًا .

قال : صدقت . ولكنّ المحامي أفضلُ من الجالس . أوَ ما كان لأبي بكر وعمر فضل على مَن لمْ يشهد ذلك المشهد ؟

قال : نعم .

قال : فكذلك سبق الباذل نفسه أبا بكر وعمر . يا هٰذا ، فيمَن نزل « هَلْ أَتَى عَلَى ٱلإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا إلى قوله : يَتِيمًا وَأَسِيرًا » (الإنسان ، 1 _ 8) ؟

قال : في عليّ .

قال : هل وصف الله أحدًا بمِثل ما وصف به عليًّا ؟

قال : لا .

قال : صدقت ، لأنّ الله علِم سريرَته . هل تروي يا هٰذا حديثَ الطير[1] ؟

---

[1] في الحاشية متن الحديث : هٰذا الحديث يرويه أنس أنّ النبيّ ﷺ كان عنده طائر ، فقال : اللهمّ آتني بأحبّ خلقِك اليك يأكلْ معي من هٰذا الطير – فجاء أبو بكر فردّه . وجاء عمر فردّه ، ثمّ جاء عليّ فأذِن له .

قال : نعم .

قال : فمَن علم أنَّهُ صحيح ، ثمّ زعم أنّ أحدًا أفضلُ من عليّ لم يخل من أحد ثلاثة : أن تكون دعوة النبيّ مرْدودة . أو يقول إنّ الله علم الفاضل وكان المفضول أحبّ إليه . أو : لم يعلم الله الفاضلَ من المَفضول .

قال : يا أمير المؤمنين إنّ لأبي بكر فضلا .

قال : ومَا هو ؟

قال : قول الله ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ / إِذْ هُمَا فِي الغَارِ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : لَا [140ب] تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة ، 40) فنسبَه إلى صحبته .

فقال : قد نسب الله تعالى إلى صحبته من رضيه ، ومن رضيَ عنه كافرًا وهو قوله : « قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ . وَهُوَ يُجَاوِرُه : أَكَفَرْتَ بِالّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ؟ » (الكهف ، 37) .

قال : إنّ ذاك كان كافرًا ، وأبو بكر مؤمن .

قال : فإذا جاز أن ينسب إلى صحبته من رضيه كافرًا جاز أن ينسب إلى صحبة مؤمنا ، وليس بأفضل المؤمنين . أخبِرْني عن حزْن أبي بكر : كان رضًى أو سُخطًا ؟

قال : إنّمَا حزن أبو بكر خوفا على النبيّ .

فقال : ليس هٰذا جوابي . إنّمَا جوابي أن تقول : رضى أو سخط .

قال : كان رضى لله .

قال : فكأنّ الله بعث إلينا رسوله ينهى عن رضى الله وطاعتِه ؟

قال : أعوذ بالله !

قال : يا هٰذا ، مَن أفضلُ : مَن كان مع النبيّ في الغار ، أو مَن باتَ على فراشه ووقاه بنفسِه ؟ يا هٰذا ، أرأيتَ حديث الولاية ، هل أوجب على أبي بكر

وعمر ما لم يُوجِب لهُمَا عليه ؟

قال : ذكر الناس أنّ هٰذا الحديث إنّمَا كان بسبب زيد بن حارثة لأنّه أنكر ولاء عليّ ، فقال النبيّ ﷺ : من كنت مولاه فعليّ مولاه .

فقال المأمون : لم يقل النبيّ هٰذا إلا بعد منصرفه من حجّة الوداع ، وزيد قد قُتل . أرأيت لو كان لك آبن فقال : مولاي مولى آبن عمر فآعلمُوا ذلك ، أكنت تنكر عليه أن يعرّف الناس ما لا ينكرون ؟

قال : نعم .

فقال المأمون : يا هٰذا ، أرأيتَ حديث « أنت منّي بمَنزلة هارون من موسى ، إلّا أنّه لا نبيّ بعدِي » ؟

قال : إنّمَا أراد أن يطيّب نفسَ عليّ لمّا قال المنافقونَ ما قالوا .

قال : فطيّب نفسه بقول لا معنى له ؟

فأطرق . فقال المأمون : له في كتاب الله معنى مثل هٰذا ، وهو قوله : « ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ (الأعراف ، 142) . وله تأويل آخر في كتاب الله يدلّ على آستخلافه لا يدفعه أحدٌ : قوله عن موسى : « وَٱجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي ٱشْدُدْ به أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (طه ، 29 – 32) .

فقال يحيى بن أكثم : « قد أوضحت يا أميرَ المؤمنين لمَن أراد الله به التوفيق . وآنصرفُوا .

1480 – أبو محمّد ابن الوليد الأندلسيّ [360 – 448] [1]

عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر ، الفقيه أبو محمّد ، الأنصاريّ ،

---

(1) الصلة 267 (605) وقال : من أهل قرمونة ، من قرية شُنْتِبَقش . وضبط التواريخ منها .

الأندلسيّ ، المالكيّ .

قدم من بلاده . ثمّ توجّه إلى القدس فمَات بالطريق[1] [...] وأربعمَائة .

1481 – عبد الله بن الزبَيْر [2 – 73] [2]

/ عبد الله بن الزبَير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ [141 أ] آبن كلاب بن مرّة القُرَشيّ ، الأسدي ، أبو بكر – وقيل : أبو بُكَير ، وأبو خُبَيب ، والأكثر الأعمّ : أبو بكر ، ولم يكنّه بأبي خُبيب إلّا من أراد ذمَّه فيجعله كاللقَب له – ابن أبي عبد الله .

أبوه حواريّ رسول الله ﷺ وأحد العشرة المشهود لهم بالجنّة وأحد أصحاب الشورى .

وجدّته لأبيه صفيّة بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله ﷺ .

وأمّه أسمَاء ذات النطاقَين بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه .

وخالته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها . فهو آبن عُجُز الجنّة . وأعرق الناس في صحبة رسول الله ﷺ .

هاجرت أمّه أسمَاء من مكّة إلى المدينة وهي حاملٌ به فولدته سنة آثنتين من الهجرة لعشرين شهرًا من التاريخ – وقيل : بل ولد في السنة الأولى من الهجرة ، فكان أوّلَ مولود وُلدَ في الإسلام من المهاجرين بالمَدينة . وهو أسنّ ولَد الزبير ، وبه كان يُكَنّى . وقيل له لمّا قام بمَكّة : عائذ البيت .

---

(1) في الصلة : مات بالشام في رمضان سنة 448 .

(2) عبد الله بن الزبير : وفيات الأعيان 3 / 71 (340) – مروج الذهب 1934 وما بعدها – أسد الغابة 3 / 242 (2947) – حلية الأولياء 1 / 329 – خزانة الأدب 4 / 41 – دائرة المعارف الإسلاميّة : فصل عبد الله بن الزبير – الوافي 17 / 172 (159) مختصر ابن عساكر 12 / 170 (113) الطبريّ (فهارس) .

وكانت ولادته تعبًا فأتت به أمّه أسمَاء رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ فوضعَته في حجره فدعا بتمْرة فمَضغها ثمّ تفل في فيه ، فكان أوّل شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ . ثمّ حنكه بالتمر ثمّ دعا له وبرّك عليه . ففرح به المهاجرون فرَحاً شديدًا ، وذلك أنّهم بلغهم أنّ اليهود سحرَتهم فلا يولد لهم .

وكنّاه رسول الله ﷺ بآسم جدّه أبي أمّه أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وسمّاه عبد الله .

وبايع رسول الله ﷺ وهو آبن ثماني سنين فضحك له عليه السلام وتعجّب منه .

ولم يكن أحدٌ أحبّ إلى عائشة رضي الله عنها بعد رسول الله ﷺ وبعد أبي بكر رضي الله عنه من عبد الله بن الزبير لأنّ النبيّ ﷺ كنّاها به ، وكان في حجرها ، وإليهِ أُسنِدَت وصيّتُها عند موتها .

ولم يزل بالمَدينة حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر بن الخطّاب رضي الله عنها .

وشهد وقعةَ اليرموك مع أبيه .

وتولّى نسخ القرآن في المصاحف ، ومعه زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاصي . وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام ، في خلافة عثمَان رضي الله عنه .

مشاركة عبد الله بن الزبير في فتح إفريقيّة

فلمّا بعث عثمَان رضي الله عنه في خلافته إلى افريقية عبد الله بن سعد بن أبي سَرح أميرَ مصر ، آلتقى جرجير ملك إفريقية مع المسلمين وهو في مائة وعشرين ألفًا وقاتلَهم عدّة أيّام [و] انقطع خبر المسلمين عن عثمَان فسيّر عبد الله آبن الزبَير في جمَاعة ليأتيَه بالخبر . فسار مُجدًّا حتى مرّ بمصر ، ووصل إليهم وأقام معهم . فكبّر المسلمُون عند قدومه تكبيرًا كثيرًا وآشتدّ صياحهم ، فسأل

جرجير عن الخبر فقيل : « قد أتاهم عسكر » ، ففتّ ذلك في عضدِه .

ورأى عبد الله بن الزبير قتال المسلمِين كلّ يوم من بكرة النهار إلى الظهر[1] فإذا أذّن الظهر عاد / كلّ فريق إلى خيامهم . وشهد القتال من الغد ولم ير [141ب] آبن أبي سرح معهم فسأل عنه فقيل إنّه سمعَ مُناديَ جرجير يقول : « مَن قتل عبد الله بن سعد فله مائةُ دينار ، وأزوّجُه آبنتي » ، فهو يخاف .

فحضر عنده وقال له : تأمر مناديا ينادي : «مَن أتاني برأس جرجير نفّلته مائة ألف وزوّجتُه آبنتَهُ وآستعملتُه على بلاده » . ففعل ذلك فصار جرجير يخاف أشدّ من آبن أبي سرح .

ثمّ قال آبن الزبير لآبن أبي سرح : إنّ أمرَنا يطول مع هؤلاء ، وهم في أمداد متّصله ، وبلادٍ هي لهم ، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم . وقد رأيتُ أن نترُكَ غدًا جماعةً صالحةً من أبطال المسلمين في خيامهم متأهّبين ونقاتل نحن الرومَ في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملّوا . فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب مَن كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ، ونقصِدهم على غرّة ، فلعلّ الله ينصر عليهم .

فأحضر آبن أبي سرح [2] جماعة من الصحابة وآستشارهم ، فوافقوه على ذلك . فلمّا كان من الغد فعل ما آتّفقُوا عليه ، وأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم ، وخيولهم عندهم مسرجة ، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالاً شديدًا . فلمّا أذّن الظهر همّ الروم بالانصراف على العادة فلمْ يمكّنهم ابن الزبَير وألحّ عليهم بالقتال حتّى أتعبهم . ثمّ عاد عنهم هو والمسلمون فألقى كلّ من الطائفتين سلاحه ووقع على الأرض تعبا .

فبادر عند ذلك آبن الزبير وأخذ مَن كان مستريحًا من شجعان المسلمين

---

(1) الكامل تحت سنة 26 .

(2) نهاية الأرب 24/ 13 .

وقصد الروم ، فلم يشعروا بهم حتّى خالطوهم وحملوا عليهم حملةَ رجلٍ واحدٍ وهم يكبّرون ، فلم يتمكّن الروم من لبس سلاحهم حتّى غشيهم المسلمون ، وقتل الله جرجير بيَدِ ابن الزبَيْر . وٱنهزم الروم وقتل منهم مقتلة عظيمَة . وأخذت ٱبنة جرجير سبيّة فنفّلها ابن أبي سرح عبد الله بنَ الزبَيْر . فأرسله بالبشارة إلى عثمَان .

وفي رواية [1] : قال عبد الله ابن الزبير : هجم علينا جرجير [في معسكرنا في عشرين ومائة ألف فأحاطوا بنا من كلّ مكان ، وسُقط في أيدي المسلمين ، ونحن في عشرين ألفًا ، فٱختلف [الناس] على ٱبن أبي سرح ، [فدخل فسطاطَة] ورأيت غرّة من جرجير ، بصرت به خلف عساكره على برذون أشهب معه جاريتان تظلّان عليه بريش الطواويس ، بينه وبين جنده أرض بيضاء ليس فيها أحد . فخرجت أطلب ٱبن أبي سرح فقيل لي : قد خلا في فسطاطه . فأتيتُ حاجبَه فأبى أن يستأذِنَ لي عليه ، فدرتُ من كسر الفسطاط فدخلتُ عليه فوجدتُه مستلقيا على ظهره . فلمّا دخلت [استوى جالسًا ، فقلت : إيه ! إيه ! كلّ أزبّ نفور [2] ! إنّي رأيت غرّة من العدوّ ، فٱخرج فٱندب لي الناس ! — [فـ]ـقام من فوره] [3] وخرج معي مسرعًا فقال : أيّها الناس ، انتدبوا مع ابن الزبير — فأخذت ثلاثين فارسًا وقلت لسائرهم : « البثُوا على مصافّكم » ، وحملتُ في الوجه الذي رأيتُ فيه جرجير ، وقلت لأصحابي : « ٱحموا لي ظهري ! » فوالله ما نشبت أن خرقت الصفّ إليه فخرجت صامدًا له وما يحسب هو ولا أصحابه إلّا أنّي رسولٌ إليه حتى دنوتُ منه ، فعرف الشرّ ، فثنى برذونه مولّيًا فأدركتُه فطعنتُه فسقطَ ، وسقطت الجاريتان عليه . وأَهْوَيْتُ إليه مبادرًا فوقعتُ [4] عليه بالسيف وأصبت يد إحدى الجاريتَين فقطعتها . ثمّ

(1) رياض النفوس 1 / 23 – والبيان المغرب 1 / 10 .
(2) مثل . الميداني : مجمع 2996 .
(3) الزيادة من رياض النفوس 1 / 24 والبيان 1 / 11 .
(4) في المخطوط : فدفعت عليه . والإصلاح من البيان 1 / 11 .

ٱحتززتُ رأسَه فنصبتُه في رمحي وكبّرت . وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت فيه ، وارفضّ العدوّ في كلّ وجهٍ ، ومنح الله المسلمين أكتافهم . فلمّا أراد ٱبن أبي سرح أن يوجّه بشيرًا إلى عثمَان قال : أنت أولى مَن هٰهُنا بذلك .

فٱنطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر .

وقيل : بل أخذ ٱبنةَ جرجير رجلٌ من الأنصار .

فسار ٱبن الزبَير على راحلته إلى المدينة من إفريقية عشرين ليلةٍ . ودخل على عثمَان رضي الله عنه فجعل يخبره بلقائهم العدوّ وما كان في تلك الغزاة فأعجب عثمَان وقال له : هل تستطيع أن تخبر الناس بمِثل هٰذا ؟

قال : نعم .

فأخذ بيده حتى ٱنتهى به إلى المنبر ، ثمّ قال له : ٱقصص عليهم ما أخبرتني .

فتلكّأ عبْد الله . فأَخذ / الزبير ... [1] [142 أ]

ٱمتناع الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير عن مبايعة يزيد

... الزبير بن بكّار : كان ابن الزبير قد صحب عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

قال ابن الزبير : فلقِيته بعد العتمة متلثّماً لا يبدو منه إلّا عيناه . فعرفته

---

(1) الخطبة ساقطة من المخطوط . فالورقة الموالية ورقة طيّارة لا تواصل الحديث عن خطبته بالمدينة وإنّما تتحدّث عن موت معاوية وبيعة يزيد . فالسقط على ما يبدو كثير . في الرياض 1 / 25 والعقد 4 / 108 ، وفي نهاية الأدب 24 / 17 أنّ الزبير غضب لصعود ابنه منبر رسول الله ﷺ . وقيل إنّ عبدَ الله لم يرق المنبر وإنّما وقف بإزائه وخطب ، وعثمان على المنبر جالسا . ولم يورد ابن عساكر الخطبة ، بل ٱقتصر على قول ابن الزبير : فٱعتزمتُ فتكلّمتُ . (12 / 180) .

فأخذت بيده وقلت : ٱبن أبي سرح ، كيف كنتَ بعدي ؟ كيف تركتَ أميرَ المؤمنين ؟

فلم يكلّمني .

فقلت : ما لك ؟ أمات أميرُ المؤمنين ؟

فلم يكلّمني . فجلبته . وقد أثبتُّ معرفته . ثمّ خرجتُ حتى لقيت الحسين ٱبن عليّ فأخبرته خبرَه وقلت : سيأتيك الرسول فانظر ما أنت صانع ، وٱعلم أنّ رواحلي في الدار مُعَدّة . فالموعد بيني وبينك أن تغفل عنّا عيونُهم .

ثمّ فارقته . فلم ألبث أن أتى رسول الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فجئْتُه فوجدت الحسينَ عنده ، ووجدت عنده مروان . فنعى إليّ معاوية ، فٱسترجعت . فأقبل عليّ الوليد فقال : هلمّ إلى بيعة يزيد ، فقد كتب إلينا يأمرنا أن نأخذها عليك .

فقلت : إنّي قد علمتُ أنّ في نفسه عليّ شيئاً لتركي بيعتَه في حياة أبيه . [فـ]ـإن بايعتُ له على هٰذه الحال توهّم أنّي مُكره فلم يقع ذلك منه بحيث أريد . ولكن أُصبح ، ويجتمع الناس ، ويكون ذلك علانيةً إن شاء الله .

فنظر إلى مروان ، فقال مروان : هو الذي قلت لك . إن يخرج لم تره .

فأَحْبَبتُ أن ألقي بينه ستراً يتشاغل به . فأقبلت على مروان فقلت له : وما قلت يا ٱبن الزرقاء[1] .

[142ب] فقال لي وقلت حتى تناصيتُ أنا وإيّاه ، وقام الوليد يحجز بيننا / فقال له مروان : أتحجز بيننا ، وتدع أن تأمر أعوانَك ؟

فقال له الوليد : قد أرى ما تريد ، ولا أتولّى ذلك والله منه أبداً . ٱذهب

(1) في جمهرة ابن حزم ، 87 : أم مروان أسمها « أرنب » من بني مالك بن كنانة ، وهي الزرقاء التي يُعَيَّرُ بها بنو مروان .

يا ٱبن الزبير حيث شئت !

فأخذت يد الحسين[1] فخرجنا من الباب جميعاً حتّى صرنا إلى المسجد .

وٱبن الزبير يقول [طويل] :

[و]لا تحسبنّي يا مسافر شحمةً تعجّلها من جانب القِدر جائِع

فلمّا دخل المسجد ٱفترق هو والحسين ، وعمد كلّ رجل منهما إلى مصلّاه يصلّي فيه . وجعلت الرسل تختلفُ إليهما ، ويسمعون وقعهم في الحصى حتّى هدأ عنهما الحسّ . ثمّ ٱنصرفا إلى منازلهما ، فأتى ابن الزبير رواحله فقعد عليها ، وخرج من أدبار داره . ووافاه الحسين للموْعد ، فخرجا جميعاً من ليلتهم وسلكوا طريق الفُرع حتّى مرُّوا بالجثجاثة ، وبها جعفر بن الزبير قد ٱزدرعها ، فٱنتهَوا إليه . فلمّا رآهم قال : أمات معاوية ؟

قال له ٱبن الزبير : نعم . ٱنطلق معنا وأعطنا أحد حمليك – وكان ينضح على حملين له – .

فقال جعفر متمثّلاً :

إخوتي لا تَبْعُدُوا أبدا وبلَى والله قد بَعُدُوا

فقال ابن الزبير . وقد تطيّر منها : بفيك التراب !

فخرجوا جميعاً حتى قدموا / مكّة . وعليها عمرو بن سعيد الأشدق . فلمّا [143 أ] دخلها قال : أنا عائذ بالبيت وسمّى نفسه العائذ . وقال : أقيم ههنا فأنظر الكعبة وأعوذ بها حتى تنكشف الأمور . وٱمتنع من البيعة ليزيد .

ولم يكن يصلّي بصلاتهم . ولا يفيض من عرفة بإفاضتهم ، بل كان يقف هو وأصحابه بعرَفة ناحيةً .

(1) الكامل تحت سنة 60 (3 / 265) .

فولّى يزيد بن معاوية عمرو بنَ سعيد الأشدق المدينة ، وأمره بغزو عبد الله ٱبن الزبير . فبعث إليه جيشاً نحو الألفَين عليهم عمرو بن الزبير لمخالفته على أخيه عبد الله في عداوته له ، وقدّم أمامَه أنيسَ بنَ عمرو الأسلميّ في عدّة . فنزل أنيس بذي طوى ، ونزل عمرو بن الزبير الأبطح . فأرسل عمرو إلى أخيه عبد الله : برَّ يَمينَ يزيد ، فإنّه حلَف أن لا يقبل بيعتَك إلّا أن يؤتى بك في جامعة[1] من فضّة في عنقك . ولا تضرب الناس بعضَهم ببعض ، فإنّك في بلدٍ حرام .

فبعث عبد الله بن الزبير بعبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من أهل مكّة ومن ٱجتمع إليه فهزمه بذي طوى ، وأجهز على جريحهم ، وقتل أنيس بن عمرو .

وسار مصعب بن عبد الرحمان إلى عمرو بن الزبير فأجاره . ثمّ أتى عبد الله ٱبن الزبير فقال له : قد أجرتُ عمْراً .

انتقام ابن الزبير من أخيه عمرو

فقال : أتجير من حقوق الناس ؟ هٰذا ما لا يصلح . وما أمرتُك أن تجيرَ هٰذا الفاسقَ المستحلّ لحرمات الله .

وأخذ عبد الله أخاه عمراً فضربه بكلّ مَن ضرب وحبسه في سجن عارم[2] ، يرى أنّه أقاد عمراً من كلّ مَن ضربه إلّا المنذر وٱبنه محمد بن المنذر ٱبن الزبير فإنّهما أبيا أن يستقيدا منه . فمات عمرو تحت الضرب[3]

---

(1) الجامعة : قيدٌ أوغلّ للعنق .

(2) حبس عارم هو حبس مظلم موحش (مروج 1941) – وفي المخطوط حاشية تقول : سمّي عارم بعبد كان لعمرو بن الزبير سُجن معه فيه يقال له : زيد عارم . وقيل : كان عارم مولى لعبد الرحمان بن عوف .

(3) وفي حاشية أخرى : وٱقتصّ من عمرو بن الزبير رجل من القارة بن الهون ابن خزيمة ، =

وكان ٱبن الزبير قد لزم جانب الكعبة منذ قدم مكّة يصلّي عندها عامّة نهاره ويطوف ، ويأتي الحسين بن عليّ عليه السلام فيمن يأتي ويشير عليه بالرأي . وهو أثقل خلق الله على ٱبن الزبير لأنّه علم أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين بالبلد ، حتى [إذا] عزم الحسين على المسير إلى الكوفة ، أتاه ٱبن الزبير فحدّثه ساعةً ثمّ قال : ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكففنا عنهم ، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هٰذا الأمر دونهم . خبّرني ما تريد أن تصنع ؟

فقال : لقد حدّثت نفسي بإتياني الكوفة . ولقد كتب إليَّ شيعتي بها وأشرافُ الناس ، وأستخير الله .

فقال ٱبن الزبير : أمّا أنا ، لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلتُ عنها .

ثمّ خشي أن يتّهمَه فقال : أما إنّك لو أقمتَ بالحجازِ ثمّ أردتَ هٰذا الأمر هٰهنا ، ما خالفنا عليك ولساعدناك وبايعناك ونَصحنا لك .

فقال : إنّ أبي حدّثني أنّ لها كبشاً به تستحلّ حرمتها ، فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش .

قال : فأقم إن شئت وولّني أنا الأمر فتُطاع ولا تُعصى .

قال : ولا أريد هٰذا أيضاً .

= بالنّطاح ، فكان ينطحه فقال عمرو : ما ٱقتصّ منّي أحدٌ أشدَّ من قِصاصه – فقال بعضُهم : كنت أسمع : « قد أنصف القارة مَن راماها » ولم أعلم أنّهم جمعوا مع الرمي نطاحا .

وٱقتصّ من عمرو مُخنّث ، فقال له عبد الله بن الزبير : ٱضرب خصاه !

قال : ليس حقّي في خصاه . ذاك حقّكم أنتم – وكان عمرو ٱتُّهم ببعض حُرَم أخيه عبد الله .

وأمر عبد الله أن يُدفَن أخوه عمرو في مقابر المشركين فدُفن فيها . فرثاه عبد الله بن (الشاعر) . وفي خصوص القارة الرماة انظر المعارف ، 65 والهامش 52 من تر- عبد الله ابن عبّاس الآتية برقم 1527 .

[143ب] ثمّ / إنّهما أخفيا كلامهما ، فقال الحسين لمَن هناك : أتدرون ما يَقول ؟

قالوا : لا ندري .

قالوا : إنّه يقول : أقِم في هٰذا المسجد أجمَعْ لك الناس .

ثمّ قال له الحسين : والله لأَن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبُّ إليَّ من أَن أقتلَ فيها ، ولأن أقتلَ خارجاً منها بشبرين أحبُّ إليَّ من أن أقتل خارجاً عنها بشبر . وايم الله ! لو كنت في جُحْر هامّة من هٰذا الهوامّ لأستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتَهم . ووالله ليعتدُنَّ عليّ كما آعتدت اليهود في السبت !

فقام آبن الزبير فخرج من عنده . فقال الحسين : إنّ هٰذا ليس شيءٌ من الدنيا أحبَّ إليه من أن أخرجَ من الحجاز ، وقد علم أنّ الناس لا يعدلونه بي ، فهو يودّ أنّي خرجت حتى يخلو له .

فجاء عبد الله بن عبّاس إلى الحسين وحذّره من المسير إلى الكوفة ، فأبى عليه ، فقال : لقد أقررتَ عينَ آبن الزبير بالخروج من الحجاز ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك .

ثمّ خرج من عنده فمرّ بآبن الزبير فقال : « قرّت عينُك يا آبن الزبير ! » ثمّ قال متمثّلاً [رجز] :

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجوّ فبيضي وآصفري
ونقّري ما شئت أن تنقري

هٰذا حسين يخرج إلى العراق ويخلّيك والحجاز .

فلمّا سار الحسين عليه السلام شهّر آبن الزبير للأمر الذي يريد ، ولبس المغافر[يّ] وشبر بطنه وقال : إنّما بطني شبر ، وما عسى أن يَسَعَ الشبرُ ؟

تمرّد ابن الزبير على بني أميّة

وجعل يظهر عيب بني أميّة ويدعو إلى خلافهم وقال : « من ينصر الله وينصر الكعبة ؟ ومَن ينصر الحرم ؟ » وأقام على ذلك حتى جاء الخبر بقتل الحسين . فقام في الناس فعظّم قتلَ الحُسين وعاب أهلَ الكوفة خاصّة وأهل العراق عامّة فقال ، بعد حمد الله والصلاة على رسول الله : إنّ أهل العراق غُدَرٌ فُجَرٌ إلّا قليلاً . وإنّ أهلَ الكوفة شِرارُ أهل العراق . وإنّهم دعَوا حسيناً لينصروه ويُولّوه عليهم . فلمّا قدِم عليهم ثاروا عليه فقالوا : « إمّا أن تضعَ يدَك في أيدينا فنبعث بك إلى ٱبن زياد بن سُميّة فيُمضِي فيك حكمَه ، وإمّا أن تحارب ! » فرأى أنّه هو وأصحابه قليل في كثير ، وإن كان الله لم يُطلع على الغيب أحداً ، وأنّه مقتول . ولكنّه ٱختار المنيّة الكريمة على الحياة الذميمة . فرحم الله حسيناً وأخزى قاتلَه ! لقد كان من خلافهم إيّاهُ وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناهٍ عنهم . ولكنّه قدَر نازل ، وإذا أراد الله أمرًا لا يُدفع . [أ][1] فبعْدَ الحسين نطمئنّ إلى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبَل لهم عهداً ؟ لا والله ! ولا نراهم لذلك أهلاً . أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامُه ، أحقَّ بمَا هم فيه منهم ، وأولى به في الدين والفضل . والله ما كان يبدّل بالقرآن الغناءَ ، ولا بالبكاء من خشية الله الحداءَ ، ولا بالصيام شربَ الخمر ، ولا بالمجالس في حلق / الذكر تَطلابَ الصيد[2] . فسوف يلقَون غيًّا . [144 أ]

فثار إليه أصحابه وقالوا : أظهر بيعتك ، فإنّه لم يبقَ أحدٌ إذ هلك الحسين ينازعك هٰذا الأمر !

وكان ٱبن الزبير بويع سرًّا ، وهو إنّما يُظهر أنّه عائذ بالبيت . فقال : لا تعجلوا !

---

(1) زيادة من الطبريّ ، 5/ 475 .

(2) في الهامش حاشية : يعرّض بيزيد . وانظر الكامل 3/ 305 .

هٰذا وأخباره تبلغ يزيد بن معاوية وقد أمهله سنةً . ثمّ بعث إليه عشرة من أهل الشام ، عليهم النعمان بن بشير الأنصاريّ . وكان أهلُ الشام يسمّون النفر العشرة « الركب » ، وهم : عبد الله بن عضاه الأشعريّ ، وروح بن زنباع الجذاميّ ، وسعد بن حمزة الهمدانيّ ، ومالك بن هبيرة السكونيّ ، وأبو كبشة السكسكيّ ، وزِمل بن عمرو العذريّ ، وعبد الله بن مسعدة الفزاريّ ، وأخوه عبد الرحمان ، وشريك بن عبد الله الكنانيّ ، وعبد الله بن عامر الهمدانيّ ، ودفع إلى عبد الله بن عضاه سلسلة من فضّة ليقيّد بها عبدَ الله بن الزبير ، فإنّه أعطى اللهَ عهداً ليوثقنّه في سلسلة ، وأعطاه برنس خزّ ليلبسه عبد الله على السلسلة حتى لا تظهر للناس .

فأقبلوا حتّى قدموا المدينة ، فمرّ بها عبد الله بن عضاه على مروان بن الحكم فأخبره بمَا قدِم له ، وأنّ يزيد قد كتب إلى ٱبن الزبير : « إنّي قد بعثتُ إليك بسلسلة من فضّة وقيدٍ من ذهب وجامعة من فضّة ، وحلفت لتأتِيَنّي في ذلك » . فبعث معه بٱبنه عبد العزيز بن مروان وأخيه ، وقال له : [إذا] بَلَّغَته رسلُ يزيد رسالتَه فتعرّضْ له وتمثّلْ بقوله [طويل] :

فخذها فليست للعزيز بخطّة ... وفيها مقال لأمرىء متذلّل

أعامر إنّ القوم ساموك خطّة ... وذلك في الجيران غَزْلاً بمِغزل

أراك إذا ما كنت للقوم ناضحاً ... يقال له بالدلو أدبر وأقبلِ

فلمّا قدم الركب مكّة وبلّغوا ٱبن الزبير رسالة يزيد قال عبد العزيز بن مروان لٱبن الزبير : « إنّ أبي أرسلَني عناية بأمرك وحفظاً لحرمتك » وأنشده الأبيات .

فقال له ٱبن الزبير : يا ٱبنَيْ مروان ، قد سمعتُ ما قلتُما . فأخبرا أباكُما [بسيط] :

إنّي لمِن نبعة صُمٍّ مكاسِرُها ... إذا تناوحَت النكباءُ والغيرُ

فلا ألين لغير الحقّ أنملة حتى يلين لضرس الماضغ الحجرُ

ثمّ قال : « اللهمّ إنّي عائذ ببيتِك الحرام ! » فمِن يومئذ سمّي العائذ .

المفاوضة بين رؤوس الشام وابن الزبير

وصار النعمان بن بشير يخلو بآبن الزبير في الحجر كثيراً . فقال عبد الله بن عضاه يوماً : يا آبن الزبير ، إنّ هٰذا الأنصاريّ والله ما أمر بشيءٍ إلّا وقد أمرنا بمثله ، إلّا أنّه قد أُمّر علينا ، وإنّي لا أدري والله ما بين المهاجرين والأنصار .

فقال آبن الزبير : ما لي ولك ؟ إنّما أنا بمنزلة حمام من حمام مكّة . أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكّة ؟

/ قال : نعم ، وما حرمة حمام مكّة ؟ يا غلام ، آئتني بقوسي وأسهمي ! [144ب]

فأتاه بقوسه وأسهمه فأخذ سهماً فوضعه في كبدِ القوس ثمّ سدّده نحو حمامة من حمام المسجد ثمّ قال : يا حمامة ، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر ؟ قولي : نعم . والله لئن فعلت لأرمينّك ! يا حمامة ، أتخلعين يزيد بنَ معاوية وتُفارقينَ أمّة محمّد ، وتقيمين في الحرم حتى يُستَحَلّ به ؟ والله لئنْ فعلتِ لأرمينّك !

فقال آبن الزبير : ويحك ! أوَيتكلّم الطائرُ ؟

قال : لا ، ولكنّك يا آبن الزبير تتكلّم ، وأقسم بالله لتبايعَنّ طائعاً أو مُكرهاً ، أو لتعرفنّ راية الأشعريّين في هٰذه البطحاء ، ثمّ لا أعظّم من حقّها ما تعظّم .

فقال آبن الزبير : أوَتستحلّ الحرم ؟

فقال : إنّما يَستحلُّه مَن ألحد فيه .

فحبَسهم شهراً ، ثمّ ردّهم إلى يزيد بن معاوية ولم يجبه إلى شيءٍ .

وقال أبو العبّاس الأعمى في [قول] عبد الله بن الزبير [إنّ] بَطنه شبر

[بسيط] :

ما زال في سورة الأعراف يدرسُها حتى فؤاديَ مثل الخزّ في اللين
لو كان بطنُك شبراً قد شبعتَ وقد أفضلتَ فضلاً كبيراً للمساكين

ومضى عبد الله بن الزبير إلى صفيّة بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما ، وذكر أنّ خروجه كان غضباً لله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ والمهاجرين والأنصار من أثَرةِ معاوية وآبنه يزيد بالغيّ . وسألها مسألتَه أن يُبايعَه . فلمّا قدّمت له عَشاءَه ذكرَت له أمرَ آبن الزبير وآجتهاده وأثنت عليه وقالت : ما يدعو إلّا إلى طاعة الله عزّ وجلّ - وأكثرت القول في ذلك . فقال لها : أما رأيت بَغَلاتِ معاوية التي كان يحجّ عليها الشُهْبَ ؟ فإنّ آبن الزبير ما يريد غيرهُنَّ !

وقيل لآبن الزبير : الصلح أجمل .

فقال : والله لضربةُ سيفٍ في عزّ أحبُّ إليّ من ضربة سوطٍ في ذلّ .

ودعا لنفسه وحجّ بالناس سنة ثلاث وستّين وهو يسمّى يومئذ « العائذ » ويُري أصحابه أنّ الأمر شورى . وأقام على خلع يزيد ومالأه على ذلك أكثر الناس . فجاءه الخبر بوقعة الحرّة[1] هلال المحرّم سنة أربع وستّين مع المسوّر بن مخرمة فَفَجَأَهُ أمر عظيم وآستعدّ هو وأصحابه ، وعرفوا أنّ مسلم بن عقبة[2] المرّي نازل بهم . فسار إليه مسلم بعد فراغه من وقعة الحرّة ، فَهَلك في طريقه إليه ، وآستخلف على قتال بن الزبير الحصين بن نمير السكوني . فسار بالناس حتى

(1) حاشية : كانت وقعة الحرّة بالمدينة لثلاث بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين . وهنا يتساءل المرء هل هٰذه الحواشي هي من صنع المؤلّف ، مع أنّ الخطّ واحد ؟ ولعلّ المقريزي ينقل ما يجده عند سالفيه ويسجّل التاريخ المخالف استعداداً للتنسيق أو الاختيار عند التبييض .

(2) حاشية في الهامش : مسلم بن عقبة بن رياح بن أسعد بن ربيعة بن مالك بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان .

قدم / مكّة لأربع بقين من المحرّم ، وقد بايع أهلُها وأهلُ الحجاز ٱبنَ الزبير [145 أ] وٱجتمعوا عليه . ولحق به من ٱنهزم من أهل المدينة ، وأتاه المستبصر والخارجيّ والمرجىءُ والشيعيّ وأهلُ الأهواء جميعاً لينصروا الحرم . وقدم عليه من الخوارج نجدة بن عامر الحَنَفيّ وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير . وأتاه أبو راشد نافع ٱبن الأزرق الحنظليّ الحنفيّ ، وحسّان بن بحدج الذهليّ ، وكرّاز بن ربيعة ، وإياس بن مضارب العجليّ ، والقاسم بن ثرمُلة الغرني ، وأبو فديكٍ عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة ، وعيسى الخُطّي ، وسلَمة الهجيميّ ، وبرج بن عنان الراسبيّ ، وسعيد بن مسروح الشيبانيّ ، وهؤلاء رؤوس الخوارج . فسرّ بهم وأخبرهم أنّه على مثل رأيهم من غير تفتيش .

ثمّ تكلّم في المسجد الحرام وأعلم الناس بأنّ يزيد بن معاوية قد بعث جيشاً ليستحلّ حرمةَ هٰذا البيت ومَن عاذ به . وقال : « إنّما نحن وأنتم عائذون به » . ثمّ ألصق بطنه بين الركن والباب وقال : « هٰذا مقام العائذ بك من الظلم ! » . فأجابه الناس إلى نصرته والقيام معه والذبّ عن حرم الله وأمّته ، وشمّروا وتهيّؤوا لعدوّهم في السلاح والخيل . وجعل عبد الله شِعاره : « لا حُكم إلّا لله ! » ، و[هو] لا يذكر الخلافة ، وإنّما يسمّى العائذ .

ثمّ خرج بمَن معه إلى لقاء الحصين . فبارز المنذر بن الزبير رجلاً من أهل الشام وجعل يرتجز :

يأبى الحواريّون إلّا وردَا مَن يقتل اليوم يزوّد حمدَا

ويقول أيضاً :

لم يبقَ إلّا حسبي وديني وصارم تلتذّه يميني

فما زال يقاتل حتى ضرب كلّ منهما صاحبَه ضربةً مات منها . ثمّ حمل أهل الشام على / أصحاب ابن الزبير حملة ٱنكشفوا منها ، وعثرت بغلة ابن الزبير [145ب]

فقال : تعساً ! ثمّ نزل وصاح بأصحابه فأقبل منهم المسوّر بن مخرمة[1] ومصعب ٱبن عبد الرحمان بن عوف في طائفة ، فقاتلوا حتى قُتلوا جميعاً ، وٱبن الزبير صابر لهم إلى الليل ، فٱنصرفوا عنه . وهٰذا هو الحَصرُ الأوّل .

وأقاموا على ٱبن الزبير يقاتلونه بقيّة المحرّم وصفراً كلّه ، حتى إذا مضت ثلاثة أيّام من ربيع الأوّل ، قذفوا الكعبة بالمجانيق وحرقوها بالنار يوم السبت لثلاث خلون من ربيع الأوّل فارتجزوا :

خطّارة مثل الفنيق المزبد   نرمي بها أعواد هٰذا المسجد

ضرب الكعبة بالمنجنيق

وكان سبب حريق الكعبة أنّ ٱبن الزبير ضرب فسطاطه في المسجد من أجل أنّه نزل فيه ومعه أصحابه في خيام . وأقام النساء يسقين الجرحى ويداوينهنّ ويُطعمنَ الجائع حتى كان الحصين [بن النمير] يقول : ما يزال يخرج علينا من ذلك الفسطاط أسدٌ كأنّما يخرج من عرينه ، فمَنْ يكفينيه ؟ فقال رجل من أهل الشام : « أنا » . فلمّا جنّ الليل وضع شمعةً في طرف رمحه ثمّ ضرب فرسَه وطعن الفسطاط فٱلتهب ناراً ، والكعبة يومئذ مؤزرة في الطنافس ، وعلى أعلاها الحبرة فأطارت الريح اللهب وألقته على الكعبة فٱحترقت وما فيها من قرنَي الكبش الذي فدى الله عزّ وجلّ به نبيّه إسماعيل عليه السلام من الذبح حين أمر إبراهيم عليه السلام بذلك .

[146 أ] / وقيل : إنّ الكعبة ٱحترقت من نار كان يوقدها أصحاب ابن الزبير حول الكعبة فأقبلت شرارة هبّت بها الريح فأحرقت ثياب الكعبة ، وٱحترق خشب البيت .

---

(1) أصاب المسوّر بن مخرمة المنجنيق وهو يصلّي في الحجر فمكث خمسة أيّام ثمّ مات في ربيع الأوّل سنة أربع وستين (حاشية) .

وقُتل في حروب ابن الزبير هٰذه غيرُ واحدٍ ، منهم : المسوّر بن مخرمة ، ومصعب بن عبد الرحمان بن عوف .

موت يزيد وانتصاب ابن الزبير خليفة

وما زال ابن الزبير محصوراً حتى قدم نَعْي يزيد بن معاوية[1] لهلال ربيع الآخر . فبلغه ذلك قبل أن يعلم به الحصين ، وكان الحصار قد اشتّدّ على ٱبن الزبير ومَن معه . فأمر أن يُنادى : « علامَ تقاتلون ، وقد هلك طاغِيتُكُم ؟ » فلم يصدّق الحصين ذلك . فما هو إلّا أن أصبح [حتى] قدم الخبر بمهلك يزيد فانحلّ أمره . وبعث إلى ٱبن الزبير فقال : موعد ما بيننا الليلةَ الأبطح .

فالتقيا وتحادثا . فكان ممّا قال الحصين : أنت أحقُّ بهٰذا الأمر . هلمّ فلْنُبايِعْك ، ثمّ ٱخرج معي إلى الشام ، فإنّ هٰذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانُهم . فوالله لا يختلف عليك ٱثنان . ولنا عليك أن تؤمّن الناس ، وتُهدر الدماءَ التي كانت بيننا وبينك والدماء التي كانت بالحرّة .

فأبى ٱبن الزبير أن يهدر الدماء وقال : والله لا أرضى أن أقتلَ بكلّ رجل منهم عشرة !

وكان الحصين يكلّمه سرًّا ، وهو يجهر ويقول : والله لا أفعل .

فقال له الحصين : قبّح الله مَن يعُدّك بعد هٰذا داهياً أو أريباً ! وقد كنت أظنّ أنّ لك رأياً : أنا أكلّمُك سرًّا وتكلّمني جهراً . وأنا أدعوك للخلافة ، وتعدني القتلَ والهلكة !

وتركه راحلاً إلى الشام بمَن معه . فندم ابن الزبير وأرسل إليه : أمّا المسير إلى الشام فلا أفعله . ولكن بايِعني ، ثمّ بايع لي أنتَ ومَن معك هُناك ، فإنّي

---

[1] مات يزيد بن معاوية للنصف من ربيع الأوّل سنة أربع وستّين . وبويع ابنه معاوية بن يزيد ٱبن معاوية فعاش أربعين يوماً ثمّ مات (حاشية) .

مؤمّنكم وعادل فيكم .

فردّ عليه : إن لم تَقدم بنفسك لا يمشي الأمر .

ومضى لوجهه . فدعا عند ذلك ابن الزبير إلى نفسِه فبايعه مَن معه بمكّة ودعَوه بأمير المؤمنين في جمادى الأولى سنة أربع وستّين . وترك الشعار الذي كان عليه وهو : لا حكم إلّا الله . وبعث أخاه عبيد الله بن الزبير إلى المدينة فٱستولى عليها ، وأخرج منها مروان بن الحكم وٱبنه عبد الملك بن مروان وسائرَ بني أميّة فمضوا إلى الشام .

وبعث ابنُ الزبير عبد الرحمان بن عتبة بن جحدم إلى مصر أميراً عليها فبايعه أهلها .

وقام بالبصرة سلمة بن ذؤيب الحنظليّ في السوق وبيده لواء وقال : أيّها الناس ، هلمّوا إليّ ! إنّي أدعوكم إلى ما لم يدعُكم إليه أحد : أدعوكم إلى العائذ بالحرم – يعني عبد الله بن الزبير . فٱجتمع إليه ناس وبايعوه . فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد وهو يومئذ / أمير البصرة والكوفة ، وقد ضعف سلطانه عندهم [146ب] وٱنتقض أمره . وٱختفى حتّى فرّ إلى الشام ، وذلك في جمادى الأولى . فبعث ابن الزبير إلى البصرة عمر بنَ عبيد الله ، ثمّ صرفه بالحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الملقّب « قُباع »[1] .

وثار أهل الكوفة أيضاً بعمرو بن حريث خليفة ابن زياد عليهم ، وأقاموا

---

(1) حاشيه بالمخطوط : الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عمرو « ذي الرمحين » بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر – وهوقريش . قيل له « قُباع » لأنّ عبد الله بن الزبير لمّا استعمله على البصرة مرّ بالسوق فرأى مكيالا فقال : « إنّ مكيالكم هذا لقُباع » . والقُباع الذي له قعر واسع . فسمّاهُ أهل البصرة القباع ، وفيه يقول أبو الأسود الدؤلي [وافر] :

أميرَ المؤمنين فدتك نفسي ... أرحنا من قُباع بني المغيرة

وفي البيان 1 / 196 : والقباع : الواسع الرأس القصير .

عمر بن سعد وكتبوا لأبن الزبير ببيعتِهم فأقرّه . ثمّ بعث إليهم عبد الله بن يزيد الخطميّ الأنصاريّ على الصلاة ، وإبراهيم بن محمّد بن طلحة على الخراج . وٱستعمل محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل .

فٱجتمع له أهل الكوفة وأهل البصرة ومَن بالقبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر وأهل الشام ، إلّا أهل الأردنّ . فإنّ حسّان ٱبن مالك بن بَحْدل الكلبيّ قام بالأردن يدعو إلى بني أميّة . فٱجتمع الحصين بن نمير ، وعبيد الله بن زياد ، ورَوح بن زنباع [الجذامي] ، وحسّان بن بحدل ، وبايعوا مروان بن الحكم بالجابية لثلاث خلون من ذي القعدة [سنة أربع وستّين] .

وأوقع [مروان] بالضحّاك بن قيس ، وٱستولى على دمشق وحمص وقنّسرين . وسار إلى مصر في سنة خمس وستّين وقاتل ٱبن جحدم وأخرجه منها ، وبايعَه أهلُها .

وبعث جيش بن دلجة على جيش لقتال ٱبن الزبير . وعاد إلى الشام فمات في رمضان منها ، وبويع بعده ابنُه عبد الملك بن مروان .

القطيعة مع الخوارج

ولمّا دعا ابن الزبير إلى نفسه ٱجتمع الخوارج الذين معه وقالوا : إنّ الذي صنعنا أمس لغير رأي : قاتلنا مع رجل لا ندري ، لعلّه ليس على مثل رأينا ، وكان أمس يقاتلنا هو وأبوه وينادي : يا لثارات عثمان ! فٱئْتوه فٱسألوه عن عثمان ، فإن برىء منه كان وليَّكُم . وإن أبى كان عدوّكم .

فأتوه فسألوه . فنظر فإذا أصحابه حوله قليل . فقال : إنّكم أتيتموني حين أردتُ القيام . ولكن روحوا العشيّة حتى أعلمكم !

فانصرفوا . وبعث إلى أصحابه فجمعهم حولَه بالسلاح . وجاء الخوارج

وأصحابه حوله ، وعلى رأسه قوم منهم بأيديهم العمد . فقال نافع بن الأزرق لأصحابه : إنّ الرجل قد أزمع خلافكم .

وتقدّم إليه القوم . فقال له عبيدة بن هلال ، بعد حمد الله : أمّا بعد ، فإنّ الله بعث محمّداً ﷺ يدعو إلى عبادته وإخلاص الدين له ، فدعا إلى ذلك فأجابه المسلمون ، فعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله . وٱستخلف الناس أبا بكر ، وٱستخلف أبو بكر عمر ، وكلاهما عمل بالكتاب والسنّة . ثمّ إنّ الناس [147 أ] استخلفوا عثمان فحمى الأحماء ، وآثر القربى ، ورفع / الدرّة ، ووضع السوط ، ومزّق الكتاب ، وضرب مُنكري الجَور ، وآوى طريدَ رسول الله وطرَدَ السابقين بالفضل وحرمهم ، وأخذ فَيءَ الله الذي أفاءه عليهم فقسمَه في فُسّاق قريش ومُجّان العرب ، فسارت إليه طائفة فقتلوه . فنحن أولياؤهم ، ومن ابن عفّان وأوليائه بُرَءَاءُ . فما تقول أنت ، يا ٱبن الزبير ؟

فحمد الله ثمّ قال : قد فهمت الذي ذكرتُم به النبيّ ﷺ . فهو فوق ما ذكرتَ وفوق ما وصفتَ ، وفهمتُ الذي ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفّقت وأصبتَ . وفهمتُ الذي ذكرتَ به عثمان . وإنّي لا أعلم مكان أحدٍ من خلق الله اليومَ أعلمَ بٱبن عفّان وأمره منّي : كنت معه حيث نقَم عليه مَن نقم . وٱستعتبوه فلم يدع شيئاً إلّا أعتبهم . ثمّ رجعوا إليه بكتاب له يزعُمون أنّه كتبَه يأمر فيه بقتلهم فقال لهم : « ما كتبتُه ، فإن شئتم فهاتوا بيّنتَكم ، فإن لم تكن بيّنة حلفتُ لكم » . فوالله ما جاؤوه ببيّنةٍ ولا ٱستحلفوه . ووثبوا عليه فقتلوه . وقد سمعتُ ما عبتَه به : فليس كذلك ، بل هو لكلّ خيرٍ أهل ، وأنا أُشهدُكم ومَن حضَرني أنّي وليٌّ لٱبن عفّان وعدوٌّ أعدائه .

فقال الخوارج حينئذ : فبرىء الله منك !

قال : بل برىء الله منكم !

وتفرّقوا : فمضى نافع بن الأزرق ، وعبد الله بن صفار السعديّ ، وعبد الله

آبن أباض ، وحنظلة بن بيهس ، وبنو الماحوز إلى البصرة . ومضى أبو طالوت ، وأبو فديك عبد الله بن ثور ، وعطيّة بن الأسود اليشكريّ إلى اليمامة . ثمّ لحق نجدة بن عامر بهم .

إعادة بناء الكعبة

وأخذ آبن الزبير في بنيان الكعبة ، وأمر بهدمها فإنّها كانت قد هدمت من الحريق . فأبى الناس وخافوا إن هدموها أن ينزل عليهم العذاب وخرجوا إلى منى فأقاموا بها ثلاثاً في انتظار العذاب ، وقد آرتقى ابن الزبير على جدار الكعبة بنفسه وهدم . فلمّا لم يصبه شيءٌ عاد مَن خرج إلى منى . ولم يزل الهدمُ حتى كُشف عن ربض آخذٍ بعضُه ببعض فتركه آبن الزبير مكشوفاً ثلاثة أيّام ليراه الناس . وأدخل على خالته عائشة رضي الله عنها سبعين رجلاً من خيار قريش فأخبرتهم أنّ رسول الله ﷺ قال لها : « لولا حداثةُ عهدِ قومك بالشرك لبنيتُ البيت على قواعد إبراهيم » . ثمّ بناه على ذلك الربَض ونصب الستر ، وكان الناس يطوفون من وراء الستر . وجعل لها بابَين / لاصقَين بالأرض ، وزاد فيمَا [147ب] يلي الحجرَ ستّة أذرع . وزاد في طول البيت تسعةَ أذرع ، وقيل : عشرة أذرع . وأقام في داخل البيت ثلاث دعائمَ في صفّ ، وكانت قبل ذلك ستًّا في صفّين . وجعل درجة إلى السطح في الركن الشاميّ . وجعل ميزاباً في السّطح ، وعمل روازنَ[1] للضوء . وكان الحجر الأسود عنده ، فلمّا تمّ البناء وضعَه بيده .

ويقال إنّه هدم الكعبة بعدما حجّ بالناس سنة أربع وستّين . وقيل : هدمها للنصف من جمادى الآخرة منها . وقيل : تمّ بناؤها في سنة خمس وستّين ، وهو الأظهر .

وفي سنة خمس وستّين عزل أخاه عبيد الله عن المدينة من أجل أنّه خطب

(1) الروزنة : الكوّة .

الناس فقال : « قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتُها خمسمائة درهم » . فسمّي « مقوّم الناقة » . وولّى عوضَه أخاه مصعب بن الزبير .

[ثورة المختار الثقفيّ]

وفي ربيع الأوّل سنة ستّ وسبعين وثب المختار بن أبي عبيد[1] بالكوفة وأخرج منها عبد الله بن مطيع عاملَ ٱبن الزبير وٱدّعي أنّ أبا هاشم محمد بن عليّ المعروف بٱبن الحنفيّة[2] بعثه لأخذ ثأر الحسين عليه السلام . فلمّا ٱستجمع له أمر الكوفة أخذ يخادع ٱبن الزبير ، وكتب إليه : « قد عرفتَ مناصحتِي إيّاك وجهدي على أهل عداوتك ، وما كنتَ أعطيتَني إن أنا فعلت ذلك . فلمّا وفيت لك لم تفِ بمَا عاهدتَني عليهِ . فإن ترد مراجعتِي ومناصحتي فعلت . والسلام » . وقصد بذلك أن يكفّ ابن الزبير عنه ليتمّ أمره . فأراد ٱبن الزبير أن يختبر طاعتَه له فبعث عمر بن عبد الرحمان بن الحارث بن هشام المخزوميّ أميراً على الكوفة وجهّزه بثلاثين ألف درهم . فلمّا بلغ المختار مسيرُه عمل عليه حتّى صدّه عن الكوفة . فمضى إلى البصرة وٱجتمع بٱبن مطيع . وكتب المختار إلى ٱبن الزبير : « إنّي ٱتّخذت الكوفة داراً ، فإن سوّغتَني ذلك وأمرت لي بمائة ألف درهم سرتُ إلى الشام فكفَيْتك أمرَ ٱبن مروان » . فقال ابن الزبير : « إلى متى أماكر كذّاب ثقيف ويمَاكرني ؟ » وأنشد [طويل] :

ولا أمتري عبد الهوان ببدرتي [وإنّي لآتي الحتفَ ما دمتُ أسمع]

---

(1) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عميرة بن سعد ٱبن عوف بن ثقيف (حاشية) .

(2) اسمها خولة بنت قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة ٱبن لجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفَرس بن نزار بن معدّ بن عدنان . سُبِيَتْ في أيّام الردّة (حاشية) . ومحمّد ابن الحنفيّة له ترجمة في المقفّى : رقم 2760 .

وكتب إليه : لا والله ولا درهماً !

ثمّ إنّ عبد الملك بن مروان بعث بعثاً إلى وادي القرى ، فكتب المختار إلى ابن الزبير ، وقد وادعَه ابن الزبير ليكفّ عنه حتّى يتفرّغ لأهل الشام : بلغني أنّ ابنَ مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببتَ أمددتُك بمددٍ .

فكتب إليه : إن كنت على طاعتي فبايع لي الناسَ قِبَلك وعجّل بإنفاذ الجيش ومرهم / فليسيروا إلى مَن بوادي القرى من جند ابن مروان فليُقاتلوهم ، [148 أ] والسلام .

فسيّر المختار ثلاثة آلاف ، عليهم شرحبيل بن ورس ، وأمرَه أن يدخل المدينة ويكتب إليه ليأتيه أمره – وفي عزمه أنّ آبنَ ورس إذا أخذ المدينة أن يبعث إليه لمحاصرة ابن الزبير بمكّة .

وخشِي ابن الزبير مكيدة المختار فبعث ألفَين ، عليهم عبّاس بن سهل بن سعد وأمره أن يستنفر العرب . وقال له : إن رأيتَ القوم على طاعتي ، وإلّا فكايدهم حتّى تهلكهم .

فلقي عبّاس شرحبيل بن ورس بالرقيم ، وقد عبّأ ابن ورس مَن معه ، فجرت أمور آخرها قتل ابن ورس وأكثر مَن معه . فكتب المختار إلى آبن الحنفيّة يعلمه أنّه بعث إليه جيشاً ليذلّوا له الأعداء فقتلهم أصحاب آبن الزبير ، وآستأذنه في بعث جيش إلى المدينة . فأجابه أنّه لا يريد القتال .

ثمّ إنّ آبنَ الزبير دعا آبنَ الحنفيّة ومَن معه من أهل بيته وسبعةَ عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة ، منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة ليبايعوه ، فآمتنعُوا وقالوا : لا نبايع حتى تجتمع الأمّة (1) .

فأكثر عند ذلك ابن الزبير الوقيعة في آبن الحنفيّة وذمّه ، وقد خافه أن

---

(1) خزانة الأدب 4 / 41 .

تتداعى الناس إلى الرضى به . فألحّ عليه وعلى أصحابه في البيعة ثمّ حبسهم بزمزم وتوعّدهم بالقتل والإحراق ، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوه أن ينفّذ فيهم ما توعّدهم به . وضرب لهم في ذلك أجلاً .

فكتب ابن الحنفيّة إلى المختار يطلب منه النجدة . فبعث إليه سبعين راكباً عليهم أبو عبد الله الجدلي وأردفه بأربعمائة ثم بمائة ثمّ بأربعين . فدخلوا مكّة مع أبي عبد الله وهم ينادون : « يا لثارات الحسين ! » ، وبأيديهم الخشب كراهةَ إشهار السيوف في الحرم . وقد بقي من الأجل يومان . فكسروا باب زمزم وأخرجوا ٱبنَ الحنفيّة . فمَنَعَهم من القتال في الحرم . فقال ابن الزبير : واعجباً لهٰذه الخشبيّة ينعَون حسيناً كأنّي أنا قتلتُه ! والله لو قدرتُ على قتَلته لقتلتُهم !

ثمّ قال لأبي عبد الله : أتحسبون أنّي أخلّي سبيلهم دون أن يبايع محمد وتبايعوا ؟

فقال : أي وربّ الركن والمقام ، لتخلّينّ سبيلَه أو لنجَالدَنّك بأسيافنا جلاداً يرتاب منه المبطلون !

فكفّه ٱبن الحنفيّة وحذّره الفتنة ، وخرج ومَن معه إلى شِعب عليّ ، وهم يَسُبُّون ٱبن الزبير . فٱجتمع عند ابن الحنفيّة أربعة آلاف رجل وعزّوا وٱمتنعوا .

[148ب] فلمّا قتل المختار تضعضعوا ، فبعث ابن الزبير لٱبن الحنفيّة / : ٱدخل في بيعتي وإلّا نابذتك !

فسار يريد الشام حتى بلغ أيلة ، ثمّ عاد إلى مكّة ونزل شعب أبي طالب . فأرسل إليه ٱبن الزبير أن يرحل عنه وألحّ عليه في ذلك ، فقال : اللهمّ أَلبِس ابن الزبير لباس الذلّ والخوف ، وسلّط عليه وعلى أشياعه مَن يسومُهم الذي يَسومُ الناسَ !

وسار إلى الطائف . فدخل عبد الله بن عبّاس على ٱبن الزبير وأغلظ له ، وخرج إلى الطائف أيضاً من غير أن يبايعه ، فأقام به حتّى مات .

وفي سنة ستّ [وستّين] استولى عبيد الله بن زياد على الموصل وقطع منها دعوةَ ٱبن الزبير .

مقتل مُصعَب بن الزبير بالعراق

وفيها ٱستعمل ابن الزبير أخاه مصعب بنَ الزبير على البصرة فقاتل المختار وقتله ، وٱستولى على الجبال والسواد . وأعاد دعوة أخيه عبد الله بن الزبير بالكوفة والبصرة والموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان .

وفيها ولّى ابن الزبير ولَده حمزة العراق عوضاً عن مصعب ليباهي به بني مروان ، فظهر منه ٱختلاط وحمق فعزله وأعاد مصعباً . فلمّا قدم عليه حمزة قال : أين المال ؟

قال : وفَدَ عليّ قَومي فوصلتُهم به .

قال : مالٌ هو لك أو لأبيك ؟

وأخذه وقيّده وحبسَه في سجن عارم بمكّة .

ولم يزل عبد الله بن الزبير يقيم بالناس الحجّ إلى أن كانت سنة ثمان وستّين [فـ]ـوافى عرفات أربعة ألوية :

لواء عبد الله بن الزبير وأصحابه .

ولواء محمد بن الحنفيّة وأصحابه .

ولواء لبني أميّة ،

ولواء لنجدة بن عامر بن عبد الله بن سيّار مع مفرح الحنفي أحد الخوارج من الحروريّة . فلم تجرِ بينهم حرب ولا فتنة .

فلمّا قَتل عبدُ الملك بن مروان مصعَب بن الزبير في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين غلب على العراق كلّه ودعا لنفسه . فلمّا بلغ عبد الله ابن الزبير ذلك قام في الناس خطيباً فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يؤتي الملك

مَن يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ، ويُعزّ مَن يشاء ، ويذلّ مَن يشاء . ألا وإنّه لم يُذلل الله مَن كان الحقّ معه ولو كان فرداً ، ولم يعزز الله من [كان] الشيطان وليّه ولو كان الأنام كِلّهم معه . ألا وإنّه قد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا : أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه[1] . فأمّا الذي أحزننا فإنّ لفراق الحميم لوْعةً يجدها حميمُه عند المصيبة ثم يرعوي من بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكرم العزاء . وأمّا الذي أفرَحنا فإنّ قتلَه كان له شهادةً ، فإنّ الله جعل ذلك لنا وله خُبْرَةً . ألا وإنّ أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقلّ الثمن . فإن نُقتلْ فإنّا والله ما نموت حَبَجاً[2] كما يموت بنو أبي العاصي . والله ما قُتل رجل منهم في الجاهليّة ولا في الإسلام . وما نموت إلّا قتلاً بالرماح وتحت ظلال السيوف . ألا إنّما الدنيا عارية من المَلِك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فإن تُقبل الدنيا عليّ لا آخذها أخذ / الأشر البطر . وإن تدبر لم أبكِ [1149آ] عليها بكاء الضرع المُهْتَر .[3] أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

تولّي الحجّاج قتالَ ابن الزبير

ثمّ إنّ عبد الملك بن مروان بعث الحجّاج بن يوسف لقتال عبد الله في ألفَين من أهل الشام – وقيل في ثلاثة آلاف – في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين .

---

(1) هذا النعي مرويّ بصيغة مختلفة في الكامل 4 / 16 والعقد 4 / 109 . والطبريّ ، 6 / 66 .

(2) حاشية : يقال : حَبَجَ بطنُه : انتفخ .

وجاء في الهامش رواية مختصرة لهذا النعيّ ، فيها :

ألا انه أتانا خبر قتل المصعب فسررنا واكتأبنا . فأمّا السرور فلِمَا قدّر الله له من الشهادة وحِيزَ له من الثواب . وأمّا الكآبة فلوعة الحميم عند فراق حميمه . وإنّا والله ما نموت حَبَجا كميتة آل أبي العاصي . إنّمَا نموت والله قتلا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف . فإن هلك المصعب فإن في آل الزبير خلفا منه .

(3) المهتر بصيغة المفعول من أُهْتِرَ الرجل : ذهب عقله من حزن أو مَرض أو كبر . وفي الكامل والعقد : المهين عوض المهتر .

فنزل الطائف وبعث خيله إلى عرفة فقاتلت خيل عبد الله وهزمتهم مراراً . فقدِم طارق بن عمرو مولى عثمان مدداً للحجّاج في خمسة آلاف ، وقد نزل الحجّاج بئر ميمون في ذي الحجّة . فنصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى ابن الزبير . وحجّ بالناس فلم يحجّ ابن الزبير ولا أصحابه من أجل أنّه لم يتمكّن من الوقوف بعرفة ولا من الرمي بالجمار ، بل نحر بدنة بمكّة . وكانت الحجارة تقع بين يدي عبد الله وهو يصلّي فلا ينصرف .

قال هشام بن عروة [عن أبيه] : رأيتُ الحجر من المنجنيق يهوي حتى أقولُ : لقد كاد يأخذ لحية عبد الله بن الزبير [فقلت له :] أي ابنَ أمّ ، والله إن كان ليأخذ لحيتَك !

فقال : دعني يا ابنَ أمّ ، فوالله ما هي إلّا هنة حتّى كأنّ الإنسان لم يكن .

(قال أبي :) ألا إنّي والله ما أخاف عليك إلّا من تلك الهنة !

وعن هشام بن عروة قال : رأيت ابنَ الزبير يُرمى بالمنجنيق فلا يلتفت ولا يرعد صوته (قال) وربّمَا مرّت شظيّة منه قريباً من نحره .

وعن ابن أبي مليكة أنّه قال : والله ما رأيتُ أحداً أشدَّ جلداً على لحم ولا لحماً على عَظْمٍ من ابن الزبير . وما رأيت أحداً أثبتَ قائمًا ولا أحسن مُصَلّياً من ابن الزبير . ولقد رأيتُ حجراً من المنجنيق جاء فأصاب شرافة من المسجد . فمرّت قذاذة منه بين لحيتِه وحلقه . فما زال من مقامه ولا غيّر [...] ذلك في صوته .

وفي رواية : لقد قام يوماً إلى الصلاة فمرّ حجرٌ من حجارة المنجنيق بلبنة مطبوخة من شرفات المسجد ، فمرّت بين لحيته وصدره . فوالله ما خشع لها بصرهُ ، ولا قطع لها قراءتَه ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع . إنّ ابن الزبير كان إذا دخل في الصلاة خرج من كلّ شيءٍ إليها . ولقد كان يركع فيكاد يقع الرَّخَمُ على ظهره ، ويسجد فكأنّه ثوبٌ مطروح .

وكان أهل الشام يقولون [رجز] :

يا ٱبن الزبير طالما عَصَيْكا وطالما عنّيتَنا إليكا
لتُجزيَنَّ بالذي أتَيْكا[1]

وقدم عليه قوم من الأعراب فقالوا : قدِمنا لنقاتل معك . – فنظر فإذا مع كلّ ٱمرىء منهم سيف كأنّه شفرة ، وقد خرج من غِمدِه . فقال : « يا معشر الأعراب ، لا قرّبكم الله ! والله إنّ سلاحَكم لرثّ ، وإنّ حديثكم لغثّ ، وإنّكم لعِيال في الحرب ، أعداء في الخصب » . فتفرّقوا عنه .

ولم يزل القتال بينهم دائمًا ، فغَلت الأسعار عند ٱبن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتّى ذبح ابنُ الزبير فرسَه وقسَم لحمَه بين أصحابه . وبيعت دجاجة بعشرة دراهم ، والمُنّ الذرة بعشرين درهماً . ومع هٰذا كانت بيوت ابن الزبير مملوءةً قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً . وكان أهل الشام ينتظرون فناءَ ما عنده فكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلّا ما يمسك الرمق ، ويقول : نفوس أصحابي قويّة ما لم يفنَ هٰذا .

فلمّا كان قُبيل مقتله تفرّق الناس عنه وخرجوا إلى الحجّاج بالأمان ، فخرج من عنده نحو عشرة آلاف ، منهم ٱبنُه حَمزة ، وٱبنه خُبيب ، أخذا لأنفسهما أماناً . فقال عبد الله لأبنه الزبير : يا بنيّ ، خذ لنفسك أماناً كما فعل أخواك . فوالله إنّي لأحبّ بقاءكم .

فقال : ما كنت لأرغب نفسي عنك .

فصبر مع أبيه إلى أن قُتل بين يديه .

---

(1) في الكامل 4 / 23 : يعنون : عصيت وأتيتَ . وفي الخزانة 4 / 1428 جاء الشطر الثالث : لَنَضْرِبَنْ بسيفنا قَفَيْكَا .

تثبيت أسماء بنت أبي بكر لأبنها

وقويَ الحجّاج وٱنتشر أصحابه من الحَجون إلى أبواب المسجد . فدخل عبد الله على أمّه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وهي بنت مائة سنة فقال : يا أمّاه ، قد خذلني الناس ، حتى ولدي وأهلي ، ولم يبقَ معي إلّا اليسير ، ومَن ليس عنده أكثر من صبر ساعةٍ . والقوم يُعطونني ما / أردت من [149ب] الدنيا ، فما رأيكِ ؟

قالت : أنت أعلم بنفسك . إن كنتَ تعلم أنّك على حقّ وأنّك تدعو إليه فٱمضِ له ، فقد قُتل عليه أصحابك . فلا تمكّن من رقبتك تتلعّب بها غلمان بني أميّة . وإن كنت إنّما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ! أهلكتَ نفسَك ومَن قُتل معك . وإن قلت : كنتِ على الحقّ ، فلمّا وهن أصحابي ضعفتُ ، فهٰذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين . كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن !

فقال : يا أمّاه ، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثّلوا بي ويصلبوني .

قالت : يا بنيّ ، إنّ الشاة لا تتألّم بالسلخ بعد الذبح . فٱمضِ على بصيرتك ، فإنّك على الحقّ . وٱستعِن بالله .

فقبّل رأسَها وقال : هٰذا رأيي ، والذي خرجت به داعياً إلى يومي هٰذا ما ركنت ولا أحببت الحياة فيها . وما دعاني إلى الخروج إلّا الغضب لله وأن تُستحَلّ حرُماته . ولكنّي أحببتُ أن أعلم رأيكِ ، فقد زدتِني بصيرة . فانظري يا أمّاه فإنّي مقتول في يومي هٰذا ، فلا يشتدّ حزنك وسلّمي لأمر الله فإنّ ٱبنَك لم يتعمَّدْ إتيانَ منكر ولا عمل بفاحشة ، ولم يجُر في حكمه ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمَّدْ ظلم مسلم ولا معاهدٍ ، ولم يبلغني ظلم عن عمّالي فرضِيت به ، بل أنكرته ، ولم يكن شيءٌ آثَرَ عندي من رضى ربّي . اللهمّ إنّي لا أقول هٰذا تزكية لنفسي ، ولكن أقوله تعزية لأمّي حتّى تسلو عنّي .

فقالت : إنّي لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً ، إن تقدّمتني

ٱحتسبتُك ، وإن ظفرتَ سُررتُ بظفَرك . ٱخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك .

فقال : جزاك الله خيراً ! فلا تدَعي الدعاءَ لي !

فقالت : لا أدعُ الدعاءَ لك أبداً . فمَن قُتل على باطل فقد قتلتَ على حقّ .

ثمّ قالت : اللهمّ ارحم طولَ ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكّة والمدينة ، وبرَّه بأبيه وبي ، اللهمّ قد أسلمتهُ لأمرك فيه ورضيتُ بمَا قضيتَ ، فأثِبني فيه ثوابَ الصابرين الشاكرين .

فتناول يدها ليقبّلها ، فقالت : هٰذا وداع فلا تبعد .

فقال لها : جئت مودّعاً لأنّي أرى هٰذا آخر أيّامي من الدنيا .

قالت : ٱمضِ على بصيرتك وٱدنُ منّي حتى أودّعك .

فدنا منها فعانقها وقبّلها فوقعت يدها على الدرع فَقالت : ما هٰذا صنيع مَن يريد مَا تريد .

فقال : ما لبسته إلّا لأشدَّ منك .

قالت : فإنّه لا يشدّ منّي .

فنزع درعه ثمّ درج كُمّيه وشدّ أسفل قميصه وجبّة خزّ تحت السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة ، وأمّه تقول : ٱلبس ثيابك مشمّرة !

فخرج وهو يقول [رجز] :

إنّي إذا أعرف يومي أصبر وإنّما يعرفُ يومَه الحُرّ

إذ بعضهم يعرف ثمّ ينكر

فقالت : [تصبر إن شاء الله ! أبواك أبو بكر والزبير ، وأمّك صفيّة بنت عبد المطّلب .

فحمل على أهل الشام حملة منكرة ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، فتعاوروا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة ، وله ثلاث وسبعون سنة][1].

نجابة ابن الزبير منذ صباه

... / وقيل : أوّل ما عُلم من همّة ٱبن الزبير أنّه كان ذات يوم يلعب مع [150 أ] الصبيان ، وهو صبيّ ، فمرّ بهم رجل فصاح ففرّوا ، ومشى ابن الزبير القهقرى وقال : « يا صبيان اجعلوني أميرَكم وشدّوا بنا عليه » ففعلوا .

ومرّ به عمر بن الخطّاب وهو يلعب ، ففرّ الصبيان ووقف هو . فقال له عُمر : ما لك لم تفرّ مع أصحابك ؟

قال : لم أجرم فأخافَ ، ولم تكن الطريق ضيّقةً فأوسعَ لك .

وروي عن الشعبيّ أنّه قال : لقد رأيت عجباً : كنّا بفناء الكعبة ، أنا ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، ومصعب بن الزبير ، وعبد الملك بن مروان . فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم رجل رجل فليأخذ بالركن اليمَانيّ فليسأل الله تعالى حاجتَه فإنّه يعطى من سعة . قم يا عبد الله بن الزبير فإنّك أوّل مولود ولد في الهجرة .

فقام فأخذ بالركن اليمَانيّ ثمّ قال : اللهمّ إنّك عظيم تُرجى لكلّ عظيم : أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة بيتك أن لا تُميتني حتّى تولّيَني الحجاز ويُسلّم عليّ بالخلافة .

وجاء حتّى جلس . فقالوا : « قُم يا مصعب بنَ الزبير » . فقام حتّى أخذ بالركن اليمَانيّ فقال : « اللهمّ ، إنّك ربّ كلّ شيءٍ ، وإليك كلّ شيءٍ : أسألُك بقدرتك على كلّ شيءٍ أن لا تُمِيتني حتى تولّيني العراق وتزوّجني سكينة

---

(1) سقوط في الرواية . والإكمال من الطبريّ ، 6 / 189 والكامل ، 4 / 25 .

بنتَ الحسين » . وجاء حتى جلس .

فقالوا : قم يا عبد الملك بن مروان .

فقام فأخذ بالركن اليمَانيّ فقال : اللهمّ ، ربّ السمٰوات السبع وربّ الأرض ذات النبت بعد القفر ، أسألك ما سألك عبادُك المطيعون لأمرك ، وأسألك بحرمة وجهك ، وأسألك بحقّك على جميع خلقك ، وبحقّ الطائفين حولَ بيتِك أن لا تُميتني حتى تولّيَني شرقَ الأرض وغربَها ، ولا ينازعني أحد إلّا أتيت برأسه !

ثمّ جاء حتى جلس . فقالوا : قم يا عبد الله بنَ عمر .

فقام حتى أخذ بالركن اليمَانيّ ثم قال : اللهمّ يا رحمان يا رحيم ، أسألك برحمتك التي سبَقت غضبَك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ألّا تميتني حتّى توجب لي الجنّة .

[150ب] قال الشعبيّ : فما ذهبت عيناي حتّى رأيتُ كلّ رجلٍ منهم قد أُعطِي / ما سأل ، وبشّر عبد الله بن عمر بالجنّة .

نموذج من بخل عبد الله بن الزبير

وكانت بين الزبير بن العوّام وبين عبد الله بن جعفر ضيعة بالقرب من المدينة . فلمّا قُتل الزبير[1] سأل عبد الله بن الزبير ٱبنَ جعفر أن يقاسمَه فأجابه إلى ذلك ، ووعده البكور معه إليها . ومضى ٱبن الزبير إلى الحسن والحسين وعبيد الله بن العبّاس وإلى جماعةٍ من أبناء المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم ، فسألهم أن يحضروا ما بينه وبين ابن جعفر ، فأجابوه وغدَوا لميعاده . ووافاهم ابن جعفر .

وجاء ٱبن الزبير معه بجَزور ودقيقة وقال لوكيله : ٱذبح الجزور ناحية وٱستر

[1] قتل في وقعة الجمل سنة 36 ، قتله ابن جرمون (الخزانة 4 / 220) .

أمرها ولا تحدثنَّ فيها حدَثاً حتى آمرك ، فإنّي لا آمن ٱنتقاضَ الأمر بيني وبين ٱبن جعفر .

ثمّ سأل القومَ أن يسألوا عبد الله بن جعفر أخذ الغامر من الضيعة وتسليم العامر له ، فكلّموه فأجابهم إلى ذلك . وجاع القوم حتى تشاكَوا الجوع ، فقال الحسن بن عليّ رضي الله عنه : لو كانت البراذين تؤكل أطعمتُكم برذوني !

وقال الحسين رضي الله عنه : لو كانت البغال تؤكل أطعمتُكم بغلتي !

فقال عبيد الله بن العبّاس رضي الله عنه : لكن البخاتيّ تؤكل ، وكان تحته بختيّة قد ريضت فأنجبت .

فنهض إليها فكشط عنها رحلها وأخذ سيفه فوجأ به لبّتها . ونهض الناس إليها بكسَر المرْو[1] والسكاكين وغير ذلك فسلخوها وأخذوا لحمها وأوقدوا سعف النخل . وبعث عبيد الله فأتوا بقدور وخبز كثير فشووا وطبخوا . فلم يشعر ابن الزبير إلّا بريح القتار وبالدخان ، فظنّ أنّ وكيله نحر جزوره فجعل يشتمه ويعذله . فقال له : يرحمك الله ، إنّ جزورك على حالها . ولكنّ عبيد الله بن عبّاس أطعمهم بختيّته .

فأكل القوم وانصرفوا ، وأُتي عبيد الله بدابّة فركبها وٱنصرف .

وقال ٱبن قتيبة :/ بات ابن الزبير بالقفر – يعني منصرفهُ من إفريقيّة إلى [151 أ] المدينة – فلمّا قام ليرحل وجد رجلاً طوله شبران عظيم اللحية على الوَليّة[2] فنفضها فوجده على القِطْع[3] فنفضه فوجَدَه بين السرجَيْن ، فأخذ السوط

---

(1) المرو : حجارة الصوّان . وانظر الخزانة 4/ 44 في كرم عبيدالله بن العبّاس . وقول أبي الطفيل فيه [بسيط] :

ولا يزال عبيد الله مُتْرَعَةً جِفانُهُ ، مطعماً ضيفاً ومسكينا

(2) الوليّة : البرذعة (حاشية) . وكذلك في القاموس .

(3) القطع : الطنفسة (حاشية) . وفي القاموس : البساط تحت الراكب .

وقال : مَن أنت ؟

فقال : أنا إِزْب[1]

قال : وما إزب ؟

قال : رجل من الجنّ .

قال : ٱفتح فاك .

ففعل . فقال : أهكذا خلوقُكم ؟ لقد شوّهها الله .

ثمّ قلب السوط فوضعه في رأس إزب حتى باصَ[2] – يعني سبقه وتقدّمه .

1482 – عبد الله بن الزَّبِير الأسديّ الشاعر [– 75][3]

[151ب] / عبد الله بن الزَّبير[4] – بفتح الزاي وكسر الباء الموحّدة – بن الأَشْيَم بن الأعشى[5] بن بَجْرَة بن قيس بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قُعَيزة[6] بن الحرث بن ثعلبة بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . أبو كثير . ويقال : أبو سعد ،

(1) الإزبُ : القصير الغليظ (حاشية) .

(2) باصه بَوصا : هرب منه واستتر .

(3) في ترجمة ابن الزبير الشاعر : الأغاني 14 / 208 – الخزانة 2 / 264 – ابن سلّام 146 – الأعلام 4 / 218 – الوافي ، 17 / 180 (162) – مختصر ابن عساكر ، 12 / 210 (114) .

(4) حاشية : الزبير من أسماء الدواهي . والزبير : حمأة البئر (أي طينُها) وبه سمّي الزبير . وأنشد [متقارب] :

وقد جرّب النّاس آل الزبير فلاقَوا من آل الزبير الزَّبيرا

(5) وليس في بني أسد أعشى سوى هذا (الحاشية) .

(6) في الأغاني : عمرو بن قعين .

الأسديّ .

شاعر معروف من أهل الكوفة .

قدم دمشق وآمتدح معاوية بن أبي سفيان ، وابنَه يزيد بن معاوية ، وآبن آبنه معاوية بن يزيد بن معاوية .

ودخل مصر ومدح عبد العزيز بن مروان بأشعار كثيرة .

وله أخبار مع عبد الله بن الزبير بن العوّام .

وله أخبار مع الحجّاج بن يوسف ، وله شعر كثير في بني أميّة .

قال المرزباني : هو كوفيّ حجّة ، وكان من شعراء بني أسد ونبلائهم ، وقال الشعر في أيّام عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وهو القائل لمّا قَتل عبيد الله آبن زياد مسلمَ بنَ عقيل وهانىء بن عروة [طويل] :

[فـ]ـإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانىء في السوق وآبن عقيلِ[1]
تريْ جسداً قد هدمَ السيفُ وجهَه ونضحَ دم قد سال كلّ مسيلِ

ولمّا دخل الحجّاج الكوفة وخطب بها خطبتَه المشهورةَ وقتل عُمير بن ضابىء البرجمي ونفذ بعث المهلّب ، كان ابن الزَّبير فيهم فخرج على وجهه وقال [طويل] :

أقول لعبد الله لمّا لقيتُه أرى الأمرَ أمسى مُنصِباً مُتَشَعِّباً[2]
تجهّز فإمّا أن تزور ابن ضابىءٍ عُميرًا ، وإمّا أن تزور المهلّبا
فما إن أرى الحجّاج يغمد سيفَه مدى الدهر حتى يترك الطفلَ أشيبا
هما خطّتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حوليًّا من الثُّلج أشهبًا[3]

(1) في المخطوط : وهو قتيل بالإقواء . والإصلاح من حاشية بالمخطوط .
(2) مُنْصِباً : هالكاً (حاشية) . وانظر الخزانة 7/ 54 : اسم فاعل من أنصبَ .
(3) الثُّلج مفرده الأثلج : الفرَس النشيط السريع (خزانة 7/ 55) .

فأضحى ولو كانت خراسان دونَه   رآها مكان السوق أَوْ هيَ أقربا

وهو الذي أتى عبد الله بن الزبير بن العوّام مستحملاً فحرَمه ، فقال : لعن الله ناقةً حملتني إليك !

فقال له ابن الزبير : إنّ[1] وراكبها !

ودخل على مصعب بن الزبير بالعراق ، فقال له مصعب : أنت الذي تقول [طويل] :

إلى رجب أو غرّة الشهر بعدَه   توافيكمُ بيض المنايا وسودُها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينُها   مسوّمةً جبريل فيها يقودها[2]

ففزع ابن الزَّبير ، ثمّ قال : نعم ، أمتع الله بك .

فعفا عنه وأعظم جائزته ، فخرج من عنده وهو يقول [طويل] :

[152 أ] جزى الله عنّا مصعباً إنَّ فضلَه   يعيش به الجاني ومَنْ ليس جانياً /
ويعفو عن الذنب العظيم اجترامُه   ويوليك من إحسانٍ مالست ناسياً

وكفّ بصرُ عبد الله بن الزبير بعد ذلك فسمع كلام عبيد الله بن ظبيان بعد قتل مصعب بن الزبير فسأل عنه قائده فقال : هٰذا قاتل مصعب بن الزبير فقال : أدركه بي !

فلمّا لحقه قال له [طويل] :

أبا مطر شلّت يمين تفرّعت   بسيفِك رأس ابن الحواريّ مصعب

(1) انظر في الخزانة 11 / 215 : تأويل « إنَّ » بنعم .
(2) في الأغاني 14 / 220 : إلى رجب السبعين (سنة 70) . وفي البيت الأول : تصبّحكم عوض : توافيكم . وفي البيت الثاني :

... نصرُ مروان دينُهم   كتائب فيها جبرائيل يقودها

قتلت فتى كانت يداه بفضله تسحّان سحّ العارض المتصوّب
أغرّ كضوء البدر صورة وجهِهِ إذا ما بدا في الجحفل المتكثب

فقال : نعم . والله ما أفلحنا بعدَه ولا أنجحنا . فهل من توبة ؟

فقال له ابنُ الزّبير : سبَق السيف العذل !

وله في عبد العزيز بن مروان ، من أبيات – وتروى لعبد الله بن همّام السلوليّ [متقارب] :

ولا يستحي الناس أن يعدلوا بعبد العزيز بن يعلى أميرًا

وكان عبد العزيز إذا أمطرت السماءُ بمصر نثر على أصحابه الدنانير والدراهم إلى أن تكفّ السماء فقال عبد الله بن الزّبير ، وحضر ذلك [متقارب] :

لقد هطلت كفّ عبد العزيز لجيناً وتبراً على مجتديه / [152ب]
بجود ابن ليلى تنال المُنى ويَحظى المرجّي بمَا يرتجيه

وله [طويل] :

إذا ركبوا الأعواد [قالوا] فأحسنوا ولكنّ حسنَ القول خالفَه الفِعلُ

ويروى أنّ الحجّاج بعث عبدَ الله بن الزّبير إلى الريّ فمات بها في خلافة عبد الملك بن مروان .

1483 – الحميديّ محدّث مكّة [– 219][1]

عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشيّ الأسديّ ، أبو بكر ، الحميديّ ، المكّي ، محدّث مكّة وفقيهها ، أحد أئمّة الإسلام .

---

(1) تهذيب التهذيب ، 5/ 45 (372) – الوافي ، 17/ 179 (161) .

جالسَ سفيانَ بنَ عُيَيْنة تسع عشرة سنة وحمل عنه سائرَ ما عنده ، وعن مسلم بن خالد الزنجيّ ، وعبد العزيز العمي ، وعبد العزيز الداروردي ، والوليد ابن مسلم ، وإبراهيم بن سعيد ، والفضل بن عياض ، ووكيع وخَلْق .

وتفقّه بالشافعيّ ، وقدم معه مصر .

وروى عنه البخاري في صحيحه ، وأحمد بن الأزهر ، وسلَمة بن شبيب ، ومحمد بن يحيى الذهليّ ، ويعقوب بن سفيان الفسوي ، وأبو زرعة وأبو حاتم ، الرازيّان ، وخَلْق .

قال أحمد بن حنبل : الحميدي عندنا إمام .

وقال أبو حاتم : أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي ، وهو رئيس أصحاب ابن عيينة . وهو ثقة إمام .

وقال يعقوب الفسوي : ما لقيت أنصح للإسلام وأهله منه .

وقال الربيع : سمعتُ الشافعيّ يقول : ما رأيت صاحبَ تعلّم أحفظَ من الحميديّ : كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث .

وقال إسحاق بن راهويه : الأئمّة في زماننا الشافعي والحميديّ وأبو عبيد .

وقال عليّ بن خلف : سمعت الحميديّ يقول : ما دمتُ بالحجاز وأحمد بالعراق . وإسحاق بخراسان . لا يغلبنا أحد .

وقال الحاكم أبو عبد الله : الحميدي مفتي أهل مكّة ومحدّثُهم وهو لأهل الحجاز في السنّة كأحمد بن حنبل للعراق .

وقال محمد بن إسماعيل البخاريّ : الحميدي إمام في الحديث .

توفّي في شهر ربيع الأوّل سنة تسع عشرة ومائتين بمكّة .

1484 - ابن زُرَير الغافقيّ [- 80] [1]

/عبد الله بن زُرَير ، الغافقيّ ، مصريّ يروي عن عليّ وابن عمر رضي الله [154 أ] عنهما ، ويروي عن جماعة .

وعنه ، من أهل مصر : مرثد بن عبد الله [أبو الخير] اليزنيّ ، وعبد الله ابن هبيرة ، والحرث بن يزيد ، وأبو أفلح الهمدانيّ ، وبكر بن سوادة ، وكعب ابن علقمة ، وعيّاش بن عبّاس وجماعة .

وقال آبن سعد : ثقة له أحاديث .

وقال ابن يونس : كان من شيعة عليّ رضي الله عنه والوافدين إليه من أهل مصر .

توفّي سنة ثمانين . وقال ابن سعد : توفّي سنة إحدى وثمانين .

وقال أبو عمر الكندي : كان من أصحاب عليّ وممّن وفد عليه من مصر وقاتل معه . وكان في مائتين من العطاء . وأنّ مروان لمّا دخل مصر دعاه إلى بيعته فبايعه . ودعاه إلى البراءة من عليّ فلم يقبل منه وقال : إنّي سمعت عليًّا عليه السلام يقول : إنّكم ستُعرَضون على سبّي فسُبّوني ، وستُعرضون على البراءة منّي فلا تبرَؤوا منّي ، فإنّي على الإسلام .

فجاءه عبد العزيز بن مروان عند خروج مروان وردّه إلى أربعين . وفي رواية . قال له عبد العزيز ، وهو أمير مصر : « سبّ عليًّا ! » فسبّه . فقال : « تبرَّأْ منه ! » فقال : معاذ الله ! إنّ عليًّا عليه السلام قال : إنّكم ستعرضون على سبّي فسبّوني . أمّا البراءة فلا تبرَؤُوا منّي .

---

(1) تهذيب . 5/ 216 (374) .

قال عبدُ العزيز : إذن أمحُوَك من عطائك !

قال : ٱفعل ما شئتَ .

فصيّر عطاءه أربعين .

ورويَ أنّ عبد الملك بن مروان قال له : ما حملك على حبّ أبي تراب إلّا أنّك أعرابيّ جافّ !

فقال له : والله لقد قرأتُ القرآن قبل أن يجتمع أبواك .

وزُرَير بضمّ الزاي ، وفتح الراء .

وقد خرّج لعبد الله بن زرير هٰذا أبو داود والنسائيّ وٱبن ماجة .

1485 - قاضي القضاة شرف الدين ابن سرور [646 - 732] [1]

[155 أ] /عبد الله بن حسن بن عبد الله بن عبد الغَنيّ بن عبد الواحد بن [عليّ ابن] سرور ، قاضي القضاة ، شرف الدين ، أبو محمد ، ابن الشرف أبي محمد ، ابن الحافظ جمال الدين أبي محمد ، ابن الحافظ الكبير تقيّ الدين أبي [. . .] الدمشقيّ ، الصالحيّ ، الحنبليّ .

ولد في شهر رمضان سنة ستّ وأربعين وستّمائة . وسمع الكثير من مشايخ وقته . وقرأ بنفسه في الشام ومصر ، فسمع حضوراً سنة ثمان وأربعين . وحدّث عن مكّي بن علّان وجماعة . وقرأ على ٱبن عبد الدائم وغيره . وبرع في فقه أحمد . وأفتى ودرّس .

وناب في الحكم مدّة ، ثمّ استقلّ بقضاء الحنابلة في دمشق بعد عزّ الدين [...] المقدسيّ ، فلم يغيّر زيّه ولا حضر الموكب السلطانيّ ولا ٱتّخذ بغلة ، بل

---

(1) الدرر 2/ 361 (2135) - الوافي ، 17/ 134 (121) -

كان يركب حماراً . فحكم بمدينة دمشق على عادته إلى العصر .

وطلع إلى جبل الصالحيّة ففجأه الموتُ وهو يتوضّأ لصلاة المغرب ليلة [. . .] جمادى الأولى سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة .

وكان إماماً فقيهاً محدّثاً لغويًّا صالحاً خيّراً وقوراً ساكناً ليّنَ الجانب حسنَ السمت مديد القامة رفيقاً دقيق الصوت مليح الذهن ملولاً لا يحتمل تطويل المحدّثين . وتفرّد بروايته لأشياء ، كثير الأذكار والعبادة ، يقضي حوائج الناس لا يردّ مَن قصَده .

1486 – أبو محمّد التنيسيّ [404 – 462] (1)

/عبد الله بن الحسن بن طلحة بن النحّاس ، أبو محمد ، التنيسيّ . [155ب]

ذكر أنّه حدّث بدمشق عن أبي عبد الله محمد بن الفضل بن لطيف الفرّاء وغيره .

وتوفّي ببلبيس في سنة آثنتين وستّين وأربعمائة .

1487 – أبو المكارم السعديّ [563 – 646]

/عبد الله بن الحسَن بن منصور بن أبي عبد الله بن أبي بكر بن محمد ، أبو [156أ] المكارم ، جلال الدين ، آبن أبي علي ، ابن أبي الفتح ، السعديّ ، المقدسيّ الأصل ، الدمياطيّ المولد والدار ، الشافعيّ ، الفقيه الخطيب ، الحاكم .

ولد بدمياط في حادي عشر رجب سنة ثلاث وستّين وخمسمائة ، وتوفّي بقرافة مصر في ليْلة السبت السابع عشر من شعبان سنة ستّ وأربعين وستّمائة ،

---

(1) مختصر تاريخ دمشق ، 12/ 116 (78) –

ودفن بها .

حدّث عنه الحافظ شرف الدين الدمياطيّ وتفقّه عليه .

وتفقّه هو على شهاب الدين الطوسيّ . وأجازه السِّلفيّ وابن عساكر .

ودخل بغداد فسمع بها من أبي بكر الحازميّ ، وأبي منصور ابن عبد الله بن عبد السلام الكاتب .

وكان من أعيان الشافعيّة .

أقام مدّة بدمياط يدرّس الفقه .

1488 – عزّ الدين ابن رواحة الحمويّ الصقلّيّ [560 – 646] [1]

عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله ابن رواحة بن عبيد بن محمد بن عبد الله بن رواحة ، عزّ الدين ، أبو القاسم ، ابن أبي عليّ ، ابن أبي محمد ، الأنصاري ، الحمويّ ، الشافعيّ .

ولد في جزيرة مَشيني من عمل صقلّيّة بالمغرب سنة ستّين وخمسمائة .

وتوفّي فيمَا بين حلب وحماة يوم الأحد الثامن من جمادى الآخرة سنة ستّ وأربعين وستّمائة . وحُمل إلى حماة فدفن بها في يوم الثلاثاء عاشره .

وهو من بيت علم وأدب [2] .

ومن شعره في غلام قد عرق في الحمّام [بسيط] :

وأغيَدٍ كقضيب البان معتدلٍ قَدًّا ، وألحاظُه أمضى من القُضُبِ
كأنّما جسمُه كافورةٌ رشحَت دُرًّا ، ولمّتُه الشقراءُ من ذهب

---

(1) شذرات ، 5/ 234 – الوافي ، 17/ 144 (128) – أعلام النبلاء ، 23/ 261 (172) .

(2) بعد هذا بياض بخمسة أسطر .

1489 – أبو النهد ابن بشرى الواعظ [– 438]

عبد الله بن الحسن بن بُشرى ، الجوهري ، أبو النهد الواعظ .

مات في أوّل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

1490 – ٱبن حسنون المقريء [296 – 386] (1)

/ عبد الله بن الحسين بن حسنون ، أبو أحمد ، السامرّيّ ، البغداديّ ، [157 أ] المقرىء ، مسند القرّاء بالديار المصريّة .

ولد سنة خمس ، أو سنة ستّ وتسعين ومائتين .

وأخذ القراءة عرضاً عن محمد بن حمدون الحذّاء ، ويموت بن المزرّع ، وأحمد بن سهل الأشنانيّ ، وأبي بكر بن مجاهد ، وٱبن شنّبوذ ، وأبي الحسن الرقّيّ ، وسلامة بن هارون ، وأحمد بن محمد بن هارون بن بقرة ، ومحمد بن هارون التمّار ، ويوسف بن يعقوب الواسطيّ ، وموسى بن جرير الرقّيّ ، وأحمد بن الحسين المالحانيّ الذي قرأ على أبي شعيب القوّاس وجماعة .

وسمع الحديث من أبي بكر بن أبي داود ، وأبي بكر محمد بن الأنباري وطائفة .

وروى عنه القراءة في وقت حفظه وضبطه فارس بن أحمد ، ومحمد بن الحسين بن النعمان .

وقرأ عليه أبو الفضل الخزاعي ، ويوسف بن ربَاح ، وعبد السّاتر بن

(1) غاية النهاية ، 1/ 415 (1761) – تاريخ بغداد ، 9/ 442 (5067) – أعلام النبلاء ، 16/ 515 (379) .

الذرب اللاذقيّ ، وأبو الحسين التنيسيّ ، وأبو عبد الله محمد بن سليمَان المراني ، وعبد الجبّار بن أحمد الطرسوسيّ ، وخلق من المصريّين وغيرهم .

وكان عارفاً بالقراءات شديد العناية بها . قال أبو عمرو الداني في حقّه : مشهور ضابط ثقة مأمون ، غير أنّ أيّامَه طالت فٱختلّ حفظُه ولحقَه الوهمُ ، وقلّ من ضبط عنه في أخريات أيّامه . سمعت أبا الفتح فارساً يقول : كان أبو أحمد ربّمَا قال لي : أَخرِج رواية فلان فأخرجها وأدفعها إليه . (وقال) قلنا لأبي أحمد : قرأتَ القرآن على أبي الحسن الباهليّ ؟ – ووقفناه على ذلك – فقال : « قرأت عليه خمسَ آيات » – أو كما قال .

وقال الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبيّ : لا أشكّ في ضعف أبي أحمد ، وأعلى ما وقع لي إسناد القراءات من طريقه ، ولكن الحقّ / يقال : فمن ضعفه أنّه روى عن أبي العلاء الكوفيّ ، وعبد الله بن [157ب] المزرّع ، ويموت بن المزرّع ، ومحمد بن محمد الباهلي . وذكر أنّه قرأ على محمد بن يحيى الكسائيّ ، ولم يلقَ أحداً من هؤلاء . وزعم أنّه قرأ على الأشناني وقد أدرك من عمره إحدى عشرة سنة ، فالعهدة عليه . وقال إنّه قرأ على موسى بن جرير ، وعلى أبي عثمان النحويّ ، وعلي ابن الرقّيّ ، وأنّهم قرأُوا على السوسيّ : فموسى بعيد أن يكونَ لقيَه ، فإنّه كان بالرقّة ، والآخران لا يُعرفان إلّا من جهة أبي أحمد . وقد ضعّفهُ جماعة .

قال محمد بن عليّ الصوري الحافظ : قال لي أبو القاسم العُنّابيّ البزّاز : كنّا يوماً عند أبي أحمد السّامرّي فحدّثنا عن أبي العلاء محمد بن أحمد الوكيعيّ . فٱجتمعت بالحافظ عبد الغنيّ بن سعيد فذكرتُ له ذلك فٱستعظَمَه وقال : سَلْه متى سمع من أبي العلاء ؟

فرجعت إليه فسألتُه فقال : سمعتُ منه بمكّة في الموسم سنة ثلاثمائة .

فأتيت عبد الغنيّ فأخبرتُه فقال : مات أبو العلاء عندنا أوّل سنة ثلاثمائة .

ثمّ عبرتُ مع عبد الغنيّ بعد مدّة وأبو أحمد قاعد يقرىء . فقلت : ألا تسلّم عليه ؟

فقال : لا أسلّم على من يكذِب في حديث رسول الله ﷺ !

قال الذهبيّ : أبو أحمد قد ذكر أنّه ولد سنة ستٍّ أو خمس وتسعين ، فمن أبعد الأشياء بل أعدمها في ذلك الزمان أن يكون قد حجّ سنة ثلاثمائة وسمع فيها الحديث ، وهو آبن أربع سنين أو خمس سنين ، هٰذا لو كان أبو العلاء حجّ عامئذٍ . كيف وكان قد مات ؟

وقال مصنّف العنوان[1] : قرأتُ برواية الكسائيّ على عبد الجبّار الطرسوسيّ على قراءته على أبي أحمد السامريّ ، عن قراءته على محمد بن يحيى الكسائي الصغير . قال أبو عبد الله / القضاعيّ : كان نقل الجماعة عن السّامريّ أنّه قرأ [158 أ] على الكسائيّ الصغير . قال الصوريّ : فبلغني أنّه كتَب في ذلك إلى بغداد يسأل عن وفاة الكسائيّ فكان الأمر في ذلك بعيداً .

قال العلّامة أثير الدين أبو حيّان : وبين وفاة محمد بن يحيى ومولد أبي أحمد السّامرّيّ نحو من سبع سنين : مات محمد بن يحيى سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين ، ومولد أبي أحمد سنة خمس أو ستّ وتسعين ، على الشكّ منه .

قال الذهبيّ : وأمّا أبو عمرو الداني ، فإنّما روى هٰذه القراءة عن فارس بن أحمد عن أبي أحمد ، قال : قرأتُ بها على آبن مجاهد . (قال) أمّا محمد بن يحيى الكسائيّ [فـ]ـعن الليث عن الكسائيّ . وأمّا أبو القاسم الهذليّ وأبو القاسم الفحّام وغيرُهما ممّن عنده طرُق أبي أحمد السامرّيّ فلم يوردوا طريق السامرّيّ عن محمد بن يحيى أصلاً . وقد قرأ بهٰذه الرواية أبو الحسن بن شنبوذ على محمد آبن يحيى ، وتلا أبو أحمد السامرّيّ على آبن شنّبوذ بعدَه روايات ، فلعلّه سبقه

---

(1) كتاب العنوان في القراءات لأبن خلف السرقسطيّ . آنظر أعلام النبلاء ، 16 / 516 هامش 1 .

لسانُه أو قلمُه في كتابته الإجازة لجماعة فأسقط أبن شنّبوذ . (قال الذهبيّ) وقد سألت أبا حيّان محمد بن يوسف الأندلسيّ عن أبي أحمد فأثنى عليه ووثّقه ومشّى أمرَه .

وقال الداني : سمعتُ فارساً يقول : سمعتُ عبد الله بنَ الحسين السامرّي يقول : كنّا نقرأ على أبي العبّاس الأشنانيّ خفيةً من آبن مجاهد ، فكنّا نباكر إليه فنجلس عند المسجد ننتظر مجيىء الشيخ ، فربّمَا خطر علينا ابن مجاهد فيقول لنا : أحسنتم ! آلزموا الشيخ !

توفّيَ أبو أحمد بمصر ليلة السبت ، ودفن من يوم السبت لثمانٍ بقين من المحرّم سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة . ودفن بالأندلس من القرافة .

1491 – الحافظ ابن بصيلة [552 – 598][1]

[159 أ] / عبد الله بن خلف بن رافع بن ريش بن عبد الله ، الحافظ ، أبو محمّد ، المسكيّ الأصل ، الشارعي المولد والدار ، المعروف بآبن بصيلة .

مولده في السابع عشر من ذي الحجّة سنة آثنتين وخمسين وخمسمائة خارج القاهرة بالشارع .

وتوفّي به في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائة .

وكان حافظاً محصّلاً عالماً بالتواريخ والوفيات . وجمع مجاميع مفيدة . وله أجزاء من كتاب « الدرّ المنظّم في فضل من سكن المقطّم » أحسن فيه ما شاء ، وجعله على الطبقات مع أنّه لا يُصنّفُ على الطبقات إلّا الواثقُ بحفظه ، فإنّ

---

(1) التكملة ، 1 / 426 (667) ، والنقل منها واضح .

الغلط فيها يكثر بأن يقصّر برجل عن درجته أو يرفعَه فوق درجته . إلّا أنّه لم يُكمله .

وشرع في تاريخ مصر وخرّج منه أشياء وعجز عن إكماله لضيق يده .

والمسكي نسبة إلى مسكة ، قرية بالساحل قريبة من عسقلان . ومن الناس من يضبطها بفتح الميم ، ومنهم من يضبطها بكسرها .

1492 – ابن بقيّ البياسيّ الأندلسيّ المقرىء [– بعد 540][1]

عبد الله بن خلف بن بقيّ ، الأستاذ أبو محمد ، القيسيّ ، الأندلسيّ ، البياسيّ ، المقرىء .

أخذ القراءات بمرسية عن أبي الحسن البياز ؛ وبشاطبة عن أبي الحسن بن الدوش .

وسمع من أبي بحر سفيان بن العاص ، وعبد العزيز بن عبادة .

وقدم مصر حاجًّا فقرأ على ابن الفحّام ، وأبي بكر بن عبد الجليل ، وأبي محمد عبد الله بن عمر العرجاء إمام المقام .

وكان من أصحاب ابن نفيس ، وعبد الباقي بن فارس ، فبرع في القراءات ورأس فيها ، مع الصلاح والزهد والجهاد .

قرأ عليه أبو بكر محمد بن حسنون وغيره .

توفّيَ بعد الأربعين وخمسمائة ، وقد شاخ .

(1) غاية النهاية ، 1/ 418 (1766) .

1493 – عبد الله بن دسومة [– قبل 270]

[160 أ] /أقامه أحمد بن طولون أميناً على أبي أيّوب أحمد بن محمد بن شجاع لمّا أقرّه على الخَراج من قِبَله . وجعل نعيمًا المعروف بأمين الذويب عيناً عليهما .

وكان عبد الله شَهماً واسعَ الحيلة بخيلَ الكفّ زاهداً في شكر الشاكر يرى أنّ الثناء ممّن يعمل معه الجميل إنّما هو حيلةٌ من القاصد على المقصود لينال بها ما يريده . وكان لا يهشّ إلى شيءٍ من أعمال البرّ . وكان فيه مع هٰذا سعاية ، فمقَته الناس وكثر الدعاء عليه .

وكان أحمد بن طولون رقيباً على نفسه يتصدّق في إثر الإساءة إذا جرت منه إلى أحدٍ بصدقاتٍ جليلة ويتضرّع إلى الله تعالى في تمحيص ما جناه ، وكان بذلك يوقَّى ويُكفى ويُنصر .

فلمّا ورد عليه كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله بردّ الخراج إليه وزاده خراجَ الثغور الشاميّة رغب بنفسه عن أدناس المعاون ومَرافقها فأمر بتركها وكتب بإسقاطها في سائر الأعمال ، ومنع المتقبّلين من الفسخ على المزارعين ، وحظر الارتفاق على العمّال . وكان قبل إسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دسومة في ذلك فقال : إن أمّنني الأمير تكلّمتُ بما عندي .

فقال : قد أمّنك الله عزّ وجلّ .

فقال : أيّها الأمير ، إنّ الدنيا والآخرة ضرّتان ، والحازم مَن لم يخلط إحداهما مع الأخرى . والمفرّط من خلط بينهما فتتلف أعمالُه ويبطل سعيُه . وأفعال الأمير أيّده الله [أفعال] الخير ، وتوكّله توكّل الزهّاد . وليس مثلك من ركب خطّة لم يحكمها . ولو كنّا نثق بالنصر دائمًا طول العمر لما كان شيءٌ آثر عندنا من التضييق على أنفسنا في العاجل لعمارة الآجل . ولكنّ الإنسان قصيرُ العمر كثير

المصائب مدفوعٌ إلى الآفات . وترك الإنسان ما قد أمكنه وصار في يده تضييع . ولعلّ الذي حماه نفسَه يكون سعادةً لمَن يأتي بعدَه فيفوز ذلك بمَا قد حُرِمه هو . ويجتمع للأمير أيّده الله ممّا قد عزم على إسقاطه من المرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار . وإن فسخ ضياع الأمراء والمتقبّلين في هٰذه السنة لأنّها سنة ظلماء توجب الفسخ زاد مال البلد وتوفّر توفيراً عظيمًا ينضاف إلى مال المرافق ، فضبط به الأمير أيّده الله أمر دنياه . وهٰذه طريقة خدمة الدنيا وإحكام أمور / الرئاسة والسياسة . وكلّ ما عدل إليه الأمير أيّده الله من غير هٰذا مفسِد [160ب] لدنياه . وهٰذا رأيي ، والأمير أيّده الله عليّ عيناً وما يراه .

فقال له أحمد بن طولون : نَنظُر في هٰذا إن شاء الله

وشَغل قلبَه كلام ٱبن دسومة فبات في تلك الليلة بعد أن مضى أكثرُ الليل يفكّر في كلامه . فرأى في منامه رجلاً من إخوانه الزهّاد بطرسوس وهو يقول له : ليس ما أشار به عليك مَن ٱستشرتَه في أمر الارتفاق والفسخ برأي تُحمد عاقبتُه . فلا تقبلْه . ومن ترك شيئاً لله عزّ وجلّ عوّضه الله عنه . فأمضِ ما كنت عزمتَ عليه !

فلمّا أصبح بعث الكتب إلى سائر الأعمال بذلك ، وتقدّم به في سائر الدواوين فأمضاه . ودعا بٱبن دسومة فعرّفه ذلك . فقال له : قد أشار عليك رجلان : الواحد في اليقظة ، والآخر ميت في النوم ، وأنت للحيّ أقرب وبضمانه أوثق .

فقال أحمد بن طولون : دعنا من هٰذا ، فلست أقبل منك !

وركب في غد ذلك اليوم إلى الصعيد . فلمّا أمعن في الصحراء ساخت في الأرض يدُ فرس بعض غلمانه ، وهو رمل ، فسقط الغلام في الرّمْل . فإذا بنفَق ، ففُتح وأصيب فيه من المال ما مقداره ألفُ ألفِ دينار . فلمّا ٱنصرف من الصحراء وحمل المال أحضر ابن دسومة وأراه المال وقال له : بئس الصاحب

والمستشار أنت ! هٰذا أوّلُ بركة مشورة الميّت في النوم ، ولولا أنّني أمّنْتُك لضربتُ عنقَك .

وتغيّر عليه وسقط محلُّه عنده . فرفع إليه بعد ذلك عن ابن دسومة أنّه قد أجحف بالناس وألزمهم أشياءَ ضجُّوا منها ، فقبض عليه وأخذ ماله وحبسه ، فمات في حبسه .

1494 – القاضي ابن رفاعة السعديّ [467 – 561] [1]

عبد الله بن رفاعة بن غدير بن عليّ بن عمر بن الذيّال بن ثابت بن نعيم ، أبو محمّد، السعديّ ، القاضي ، الفقيه الشافعيّ .

ولد في ذي القعدة سنة سبع وستّين وأربع مائة . ولزم الخلعيّ فتفقّه عليه وسمع منه الكثير . وهو آخر مَن حدّث عنه بسيرة ٱبن هشام .

روى عنه محمد بن عبد الرحمان المسعودي ، وأبو الجود المقرىء ، وعبد القويّ بن الجباب ، وصنيعة الملك هبة الله بن حيدرة ، ومحمد بن عماد وآخرون .

وكان فقيهاً فرَضيًّا حيسوباً ديّناً ورِعاً .

وليَ القضاء بمصر بـ[الجيزة] مدّة. ثمّ ٱستعفى فأُعْفِي وٱشتغل بالعبادة حتى مات في يوم [...] من ذي القعدة سنة إحدى وستّين وخمسمائة .

---

(1) شذرات ، 4/ 198 – الوافي ، 17/ 167 (155) والزيادة منه – حسن المحاضرة ، 1/ 406 – السبكيّ ، 7/ 124 (820) – أعلام النبلاء ، 20/ 435 (284) .

1495 - شرف الدين ابن تيميّة أخو أحمد [666 - 727][1]

/ عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيميّة [162 أ] الحرّاني ، الدمشقيّ ، شرف الدين ، الحنبليّ .

ولد بحرّان في المحرّم سنة ستّ وستّين وستّمائة . وقدم دمشق واستوطنها هو وأخوه شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة .

وأقام بالقاهرة مدّة . وسمع حضوراً من أبي اليسر ، وسمع من الجمّال البغداديّ ، وابن أبي الخير ، وابن الصيرفي ، وابن أبي عمرو ، وابن علّان وخَلق كثير .

وطلب الحديث في وقته فسمع المسند والمعجم الكبير وعامّة كتب الحديث .

وبرع في الفقه والنحو ومعرفة السِّيَر والتاريخ وكثير من أسماء الرجال .

وكان فصيحاً يقظاً فهماً جزل العبادة غزيرَ العلم ، بصيراً بقواعد الفقه منصفاً في بحثه ، مع الدين والإخلاص فيه . والتعفّف والسماح والزهد والانجماع[2] عن الناس .

وكان يَتَنَفَّلُ في المساجد ويختفي أيّاماً .

وكان أخوه تقيّ الدين يتأدّب معه ويحترمُه لقوّة نفسه في طاعة الله تعالى .

وتوفّيَ في رابع جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبعمائة بدمشق ، فكانت جنازة عظيمةً .

---

(1) الدرر ، 2 / 371 (2156) - الوافي ، 17 / 240 (222) .

(2) في الوافي : الانقباض عوض الانجماع .

1496 – عبد الله بن عبد الحكم [155 – 214][1]

[163 أ] /عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث ، أبو محمد ، مولى عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

أصله من أهل حقل من أيلة . وسكن عبد الحكم وأعين جميعاً الإسكندريّة وبها ماتا . وولد عبد الله بن عبد الحكم سنة خمس وخمسين ومائة .

روى عن مالك ، والليث ، وٱبن لهيعة ، ومسلم الزنجيّ ، ومفضّل بن فضالة ، وبكر بن مضر ، وإسماعيل بن عيّاش ، وٱبن القاسم وطائفة .

وعنه بنوه الأربعة ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، والربيع بن سليمَان الخير ، وأبو محمد الدارميّ ، ومقدام بن داود الرعينيّ ، وأبو يزيد يوسف بن يزيد القراطيسي وجماعة .

ووثّقه أبو زرعة . وقال أبو حاتم : صدوق . وقال ٱبن دارة : كان شيخ مصر . وقال أحمد العجليّ : لم أرَ بمصر أعقلَ منه ومن سعيد بن أبي مريم .

وقال ٱبن حبّان : كان ممّن عقد على مذهب مالك وفرّع على أصوله .

وقال ٱبن عبد البرّ : سمع من مالك الموطّأ وتحويلاته أجزاءً ، ثمّ روى عن ٱبن وهب ، وٱبن القاسم ، وأشهب ، كثيراً من رأي مالك ، وصنّف كتاباً في فقه مالك ثمّ ٱختصره ، وعليهما مع غيرِهما مُعَوَّلُ البغداديّين من المالكيّة في المدارسة ، وإيّاهُما شرَح الشيخ أبو بكر الأبهريّ .

وقال ٱبن خلّكان : كان أعلمَ أصحاب مالك بمختلِف قوله . وأفضت إليه رئاسة الطائفة المالكيّة بعد أشهب . وروى عن مالك الموطّأ سماعاً .

---

(1) وفيات ، 3/ 34 (323) – الوافي ، 17/ 239 (221) – حسن المحاضرة ، 1/ 305 (41) .

ويقال إنّه دفع للإمام الشافعيّ عند قدومه إلى مصر ألفَ دينارٍ من ماله ، وأخذ له من ٱبن عَسَامة التاجر ألفَ دينار ، ومن رجلين آخرين ألفَ دينار .

وهو والد أبي عبد الله محمد صاحب الإمام الشافعيّ .

وروى بشر بن بكر قال : رأيت مالكَ بن أنس في النوم بعدما مات بأيّام فقال : إنّ ببلدكم رجُلاً يُقال له ابن عبد الحكم ، فخذوا عنه ، إنّه ثقة .

وذكر أبو عبد الله القضاعي أنّه كان من ذوي الأموال والرباع ، له جاهٌ عظيم وقدرٌ كبير . وكان يزكّي الشهود ويجرِّحهم ، ومع هٰذا لم يشهد لأحدٍ ، ولا أحدٌ من أولاده لدعوة سبقت فيه .

قال كاتبه[1] : وله أيضاً من الولد سوى محمد : عبد الحكم / بن [163ب] عبد الله ، وعبد الرحمان بن عبد الله صاحب كتاب فتوح مصر ، وسعد بن عبد الله ، وقد ذكرنا الأربعة في مواضعهم من هٰذا الكتاب[2] .

ولعبد الله أيضاً من الكتب كتاب الأموال ، وكتاب فضائل عمر بن عبد العزيز .

وخرّج له النسائيّ .

وكانت وفاته بمصر ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائتين . وقبره إلى جانب قبر الشافعيّ . وهو الأوسط من القبور الثلاثة .

1497 – ٱبن عبد الحميد [العمريّ] الناسك [– بعد 255][3]

/ عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله الناسك ، ابن عبد العزيز بن عبد الله [164أ]

(1) يعني المقريزي نفسه .

(2) عبد الرحمان وعبد الحكم مفقودان . وسعد مفقود مع حرف السين . وكذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم .

(3) لم نجد له ترجمة غير هٰذه . وذكر بٱقتصاب في الخطط ، 1/ 317 ، 321 .

ٱبن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، أبو عبد الرحمان ، العُمريّ ، العدويّ ، القرشيّ .

ولد بالمدينة ونشأ بها . وقدم مصر وجالسَ محمد بنَ عبد الله بن عبد الحكم ، وسمع منه الناسُ الحديثَ .

ثمّ مضى إلى إبراهيم بن الأغلب بالقيروان ومدحه ، فوصله بألف دينار ، وعاد في سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى مصر .

وكانت فيه أدوات من فقه وأدب وشعرٍ ومعرفة بالنجوم والفلسفة . فبلغه خبر المعدن وإشارة الناس للتبر ، فٱشترى عبيداً لعمل المعدن وسار إلى أسوان على سبيل التجارة ، ونزل بها وجالس شيوخَها وجاراهم العلم .

ثمّ دخل المعدن ونزل على حيّ من مضر ، فوقع بين المضريّة والربعيّة ٱختلاف بسبب رجل قُتل من مُضر ، فٱجتمع الفريقان وأقيد القاتل ووهب وليّ المقتول الدم . ولم يحضر العمري فغضب من ذلك ورحل عنهم فلحقته جماعة من القوم ليترضَّوه فٱمتنع عليهم وقال : نقَمت عليكم ٱطّراحي إذ لم تُحضِروني هٰذا الأمرَ .

قالوا : ما علِمنا أنّك تختار هٰذا . فإذ قد رغبتَ إلى مثله فلا خلافَ عليك منّا ، ولا نُورد ولا نُصدر بعد هٰذا إلّا عن أمرك .

وأتبعوا القول أيمَاناً مؤكّدة . فٱنتهز الفرصةَ بيمين القوم وجعلها بيعة فانحاز إلى معدن ممّا يلي الجنوب ، وكانت المياه على بُعدٍ وربّمَا عطشوا . فنظر ذات يوم إلى طير فقال : هٰذا من طيور الشطوط ، وأحسب أنّ النيل قريب ، فوجّه الواردَ فكان كما قدّر ، وعاد إليه من يومه بقِرَب الماء وأخبرَه بمَا شاهد من بلد مَقُرَّة ، وأنّهم في ظهره . فسرّ بذلك وأمر الناس بالورود . فأنكرت النوبةُ شأنهم وقبضوا على جماعةٍ منهم . فصار إليهم وٱلتمس خلاصَهم بعد أن راسلَ وتلطّفَ ،

وبعد عطش شديد نالهم بتأخّر الوارد حتى بلغت الشنكة[1] درهمين تبراً ، فعرف ذلك المعدن من حينئذ بالشنكة . وسأل العمريّ النوبة أن يجعلوا له طريقاً للورود إلى الماء لا يتجاوزونَ حدَّها ، فٱمتنعُوا من ذلك وقَتلوا مَن أسروا من أصحابه . فشقّ عليه فعلهم وعاد إلى أصحابه وٱستنفر الناس فٱجتمعوا إليه وحلفوا له . فأمرهم بإحضار آلة المعدن . فلمّا حضرت أمر بضربها جِرَاباً . وسار إلى النوبة في غفلة / منهم فوقع بموضع يعرف بشنقير قبليّ مدينة دمقلة بنحوٍ من شهرين .[164ب] والنيل ينعطف في هٰذا الموضع إلى مطلع الشمس حتى يصير بينه وبين الشنكة بعض نهار يوم ، ثمّ يعود النيل إلى الغرب ويرجع إلى الشرق . فبهٰذا التعطّف طالت المسافة على سالك النيل .وقد تركَتْ النوبةُ هٰذه العطوفَ وجعلت طريقَها المجادبَ فصارت تقطع مسيرة شهرٍ في يومين .

فنكى العمريّ في النوبة وقتل منهم مقتلة عظيمةً ، وكثُرَ السبيُ عند أصحابه حتّى إنّ أحدَهم كان يحلقُ رأسَه فيعْطي المُزيّنَ[2] رأساً . وٱنحازت النوبة إلى الغرب بالمراكب بجميع ما لهم . فٱختار العمري جماعةً من أصحابه وأمرهم بنفخ القرب والعبور عليها ليلاً . وكبس النوبةَ وأخذ المراكبَ منهم .

وٱتّفق أنّ واحداً من أصحابه قال بعدما وصل إلى الغرب : « يا قوم أخرجوني من الماء ، فإنّ التمساح قطع رجلي ! » وكان قد أتى عليه وهو سائر فخشِي أن يُفسِدَ أصحابَه عن عزمهم . فصبر حتى وصلوا إلى حيث النوبة .

وأوقع القوم بالنوبة فظفروا ووصلوا إلى الجزائر والغرب بالمراكب التي أخذوها .

---

(1) في المخطوط : الشنكة الماء . ولم نجد الكلمة في المعاجم . وفي بلدان اليعقوبيّ ، 335 طبعة أوروبا : السنطة . وليست السنطة عند ياقوت من بلاد النوبة . وفي أحد مخطوطات اليعقوبيّ : هامش 4 الشّنكة كما هُنا .

(2) المزيّن : الحلّاق . وكأنّها كلمة مصريّة منذ وقت المقريزيّ .

وكتب العمري إلى أسوان يسأل التجّارَ الخروجَ إليه بالجهاز من طريق المعدن . فخرج إليه رجل يعرف بعثمان بن حجلة التميميّ في ألف راحلة فيها الجهاز والبُرّ . فقام إليه العمريّ وتلقّاه وسرّ بذلك . وكثر رقيقهم بأسوان والمعدن حتى صار أكثر سراريّ أهل البلد من سبي النوبة وعرفوا بالهكيات[1] لرخصهنّ .

وكان ملك النوبة حينئذ قيرقي بن زكريا بن بحنس فندب لقتال العمريّ نيوتي بن قشما ، وكان شجاعاً ، ودفع إليه أكثرَ رجاله ، فوقعت بينهما وقائع وحروب يطول شرحُها .

ثمّ إنّ نيوتي صالَحَ العمريّ على أن يكون في ناحيةٍ من البلد ولا يهيجه ، وخالف خالَه قيرقي . فبعث قيرقي بولده الأكبر لمحاربة العمري فعجز عنه وهزمه مراراً . فٱنحاز إلى بلد علوة وٱستجار بمتملِّك علوة أربع سنين لأنَّه أقام ببلدهم إلى أن خرجَ سبعَ سنين ، فأنجده صاحب علوة .

وكان لقيرقي ٱبن آخر ٱسمُه زكريا فأشار عليه بموادعة العمريّ ومحاربة ابن قشما وأن يندبه لذلك . فسلّم إليه جيشه وبعثَه إلى ٱبن قشما بعد أن أرسل إلى العمري ألّا يدخلَ بينَهُمَا ، فأجابه إلى ذلك . فتحاربت النوبة محارباتٍ كثيرةً ، وقد أمرهم العمري أن يخندقوا على عسكره . فٱنتصر ٱبن / قشما على زكريا وهزم أصحابه وقتلهم ، وفرّ زكريا حتى رمى بنفسِه في النيل على فرَس ، وصار إلى المشرق ومعه غلامان ، فخاف من العمريّ وٱبن قشما ، ورأى أنّ العمريّ أخفّ عليه ، فأتاه وٱستأذن عليه يقول إنّه غلام لزكريا فأذن له . [165 أ]

فلمّا دخل إليه سأله عن حاله وخبر زكريا فعرّفه هزيمتَه وما قُتِلَ من رجاله ، وأنّه من غلمانه رغِب في الكون معه . فأنزله وأحسن إليه ، فطلب منه خلوَةً . فلمّا خلا به أعلمَه أنّه من وجوه غلمان زكريا وثقاته ، وأنّه أنفذه ليأخذ له أماناً ليصير إليه ويكونَ في جملتِه . فسرَّ العمريّ بذلك وأوثقه من نفسه أيمَاناً كما

(1) العكيات أو الهكيات : لم نجدها في المعاجم بهٰذا المعنى .

طلب . فلمّا توثّقَ منه أعلمَه أنّه زكريا فٱزداد سروراً وإعجاباً به لِمَا ظهَرَ من عقلِه على صغرِ سنِّه .

وأقام زكريا على ذلك مدّةً حتّى أنِس إليه ، وعرف رجالَ العمريّ فٱختلط بهم . وٱفتقد دفاتر كانت لهم فوجدَها بحالها لم يعلم بها المسلمون ، فأطلَعَ العمريَّ عليها وسلّمها إليه . ومضى إلى مواضع أخرى فأخرج ما فيها ودفعه إليه أيضاً ، فملك بذلك قلبَه وٱستولى عليه .

فلمّا عرف زكريا أنسَ العمريّ إليه وثقتَه به سأله معاونتَه على ٱبن قشما وقال له : عدوّي وعدوّك . وإن أظفرَ اللهُ به رجعَت النوبةُ إلى طاعَتي وٱجتمعَت إليّ فصرتُ بهم إليك وتصرّفتُ عن أمرك في الأعاجم ، وما بعُد منك وما بيدك يكون بحاله ، وأزوّجك من أختي زوجة ٱبن قشما بعد قتله لأنّ أبي شيخ كبير قد كبرت سنُّه .

وما زال يخدعُه حتى انقاد إليه وقال له : لو كان هٰذا الذي تطلبه من قبل ٱبن قشما لك خاصّةً لساعدتُك عليه لقصدك لي وركونك إليّ وكونك في جملتي ، فكيفَ وهٰذه إرادتي وصلاح شأني ؟ فأنّى لي بالذي تذكره مع شجاعته وكثرةِ مَن معه ؟

قال له زكريا : أحتال عليه وأغتالُه .

قال له العمريّ : ٱعمل ما بدا لك .

فٱختار زكريا من أصحاب العمريّ أربعةً من شجعان العسكر ووجوهه كان بعث بهم العمري إلى ابن قشما مراراً فصار يأنسُ بهم ، فأمرهم العمريّ بمساعدته . ثمّ سار بهم زكريا في زروق خفيف في النيل بعد أن وعدهم ومنّاهم . وقال : إن قتلتم ٱبنَ قشما أعطيتُكم وزنَه ذهباً لكلّ رجلٍ منكم .

فلمّا قرب منه أمرهم أن يقيّدوه ولقّنهم ما يقولونه . فنزلوا جزيرةً محاذيةً لأبن قشما وراسلوه بأن يقرب منهم بحيثُ يسمع كلامَهم ففعل . ثم قالوا : إنّ

الشيخ الصالح – يعنون العمريّ – يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنّ الله قد أمكن من عدوّي وعدوّك ، وإنّي قد راسلتُك في أمره جواباً عن رسالتك تسأل أن أُسَلّمَه إليك ، وتعطيني من المال كذا ، ومن الرقيق كذا . وقد وجّهت بذلك [165ب] مع فلان / وفلان إذ كانوا ثقاتي وأنت تأنس إليهم ، فعزِّر[1] الأمر معهم وخذه إليك وآدفع إلى القوم ما توافقتم عليه ، وعلى أن يكون بيننا من الشرط كذا وكذا .

فقال : « قد رضيت » وذكر لهم ما يدفعه . فقال لهم زكريا : « آمتنِعوا عليه » فأخذ آبن قشما يزيدهم حتى تقرّر الأمرُ بينهم . فأمرهم زكريا بإجابتِه .

وكان قد نظر لهم في الكَتِفِ[2] رجل مغربيّ فقال لهم : إن جاءكم ماشياً لم تصلوا إليه ، وإن جاءكم محمولاً قتلتُموه .

قال آبن قشما : أريد أن أراه قبل الدفع .

قالوا له : « آفعَل فآنزلْ إلى القارب محمولاً » – ليصحّ ما قال صاحب الكتِف – وتبعه جماعة من أصحابه .

قالوا : نحن أربعة ، وتأتينا بجماعة كأنّك تريد أن تقهَرنا عليه وتأخذه بلا عِوض .

فأمر أصحابه بالرجوع وخرج في قلّة إلى الجزيرة . وبسط له . ونصب له كرسيّ . وأمر زكريا أصحابه بحمله ووضعِه بين يدَي ابن قشما . وقال : « أُشاغِلُه بالكلام . فإذا آطمأنّ فآفتكوا به » . وجعل زكريا العلامةَ بينهُم البكاء .

فلمّا وُضع زكريا بين يدي ابن قشما نقف[3] رأسه بقضيب ذهب كان في

---

(1) عزره على الأمر (وزن ضرب) : أوقفه عليه . وعزّر الأمر هنا : قدّره . وقد تقرأ الكلمة : فقدّر .

(2) علم الأكتاف : التنبؤ بالمستقبل بالنظر في عظم الكتف (دوزي) .

(3) نقف رأسه : ضربه يسيرا .

يده وقال : الحمد لله الذي أمكن منك !

قال له : يا عمّ ، قد قدرتَ فآعفُ عَنّي وأحسِنِ الظفر ! فإنّ هؤلاء المسلمين غدروا بي ورَغِبوا إلى العِوَض .

فجعل آبن قشما يعدّد عليه قبائح أفعالِه ، وزكريا يعتذر وهو لا يقبل منه . ثمّ إنّه بكى . فوضع [1] الجماعة على آبن قشما وقتلوه للوقت ، وأخرجوا زكريا من القيد ، فسار إلى عسكر آبن قشما ونادى فيه بأنّ الله قد غفر لكم ما سلفَ . وأحضر وجوهَ العسكر فآستمالَهم وأسرّ إليهم الغدرَ بالعمريّ وبالأربعة الذين معه .

ثمّ آستدعى الأربعة وشكرهم بحضرة أصحابِه وأمرَ بالإحسانِ إليهم ، فلم يبقَ أحدٌ من الوجوه حتّى برّهم . وصار بهم إلى أختِه زوجة آبن قشما وأعلمها بحضرتهم أنّه يريد تزويجَها من العمري فرضيت ، ودفعَ إليها معجّلاً عنه . وأمرهُم فكتبوا بمَا جرى إلى العمريّ ، وكتب هو أيضاً بذلك ، وأنّه سائرٌ نحوَه بالعسكر ، وسأله أن يُعِدّ لهم النزل ، ولوجوه العسكر الخِلع والبرّ . وبعث بالكتب مع غلام لأحد الأربعةِ . فسُرّ العمري بذلك ، وتقدّم بإعداد ما طلب زكريا .

ثمّ إنّ زكريا بدأ بقتل الأربعة ، وعَبَر بالجيش إلى الشرق يريد العمريّ حتى قرُب منه . فقال رجل للعمريّ : إنّ هٰذا الكافر قد صار معنا بأرض واحدة / [166 أ] وهو في ما لا طاقة لنا به .

فقال : على هٰذا وافقَني : أن يسيرَ بالجيش إليّ ويكون في طاعتي .

ثمّ إنّ زكريا هجم على القوم وهم غارّون فقتل منهم مقتلةً عظيمةً ، وآنهزم العمري وأصحابُه ، وتركوا جميعَ ما معهم لا يلوون على شيءٍ منه . وآنحدر مَن كان في الجزائر منهم في مراكب فكانوا يبيتون بها ويحمل إليهم الطعام من الجزائر .

---

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : وثب .

فدسّ إليهم زكريا رجلاً مشهوراً بمعرفة طرق الجنادل[1] فأخذه العمريّ وأحسن إليه ودفع إليه مالاً على أن يجوز بهم الجنادل . فأمرهم بشدّ المراكب بعضها إلى بعض وركب في أولاها وسار بهم فسلك طريقاً غيرَ مسلوكةٍ حتى وقعوا في الهلكة [فـ]ـتركهم ونجا بنفسه عوماً في البحر ، فغرق الجميع .

وقدم على زكريا[2] فأقطعه مواضعَ وُقفَت عليه وعلى عقبِه . وتلف جميع ما بقي لهم من السلاح والرجال فَضَعُفُوا ولم يتمكّنوا من الإقامة .

وكان العمريّ بعد الوقعة الأولى قد تحابى[3] وتراجع إليه أصحابه حتّى هابته النوبة . وكتب إليه زكريا يعتذر بأنّ الشُّحَّ على الملك دفعه على ما فعل وأنّه لا يحاربه قطّ بعدها ، وسأله الخروج عن بلده . فخاتله مدّة سنة إلى أن وقع بين الشاميّين – وهم من سعد العشيرة من أصحاب العمريّ – وبين قيس عيلان شرّ ، فأتّهم الشاميّون العمريّ أنّه مايل قيساً فَتَجَنَّوا عليه . وبلغ ذلك زكريا من جواسيس كانت له فراسل الشاميّين يدعوهم إليه ويعدُهم ردَّ ما أخذ لهم وإعطاءهم ما يريدون . فأجابوه وصاروا إليه فوفَى لهم بمَا وعدَهم وأقطعهم دون الجنادل الأولى من بلد مَريس[4] من ناحية يقال لها ديدان وأدوى وما يليها . فخاف العمري وسار إلى معدن على ثلاث مراحل من النيل ، وعمل أصحابه المعدن وخرجت سراياهم فضربت بلد النوبة . وأرسل العمريّ يدعو الشاميّين إلى الصلح فأقبلوا إليه . وركب إليهم العمري فأوقع بهم وقتل منهم ألفاً وخمسمائة وقبض على مَن بقي فقطع أيديَهم وأرجلَهم وتركهم حتى ماتوا . وأقام على النيل

(1) الجنادل بأسوان : وهي حجارة ناتئة في وسط النيل . وهي موضع قرب أسوان بثلاثة أميال في أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة (ياقوت) . وفي المروج 1 / 144 : الجنادل والصخور بين أسوان والحبشة 2 / 73 .

(2) زكريا بن قرقي : خليفة أبيه قرقي ملك النوبة (اليعقوبي : بلدان 334) .

(3) في المخطوط : تحابا بالمدّ ، واخترنا القصر من حبا يحبو : ساروا إليه ببطء .

(4) المريس : من حدّ أسوان إلى آخر بلاد المقرة (ابن حوقل 62) وعند ياقوت : مَرِّيسة والمَرِيسة . وفي الوفيات 1 / 278 : قرية بِمصر ، أو جنس من السودان .

من بلد مريس . فشقّ ذلك على زكريا وسار إليه في عددٍ عظيم فأنطرد العمريّ بين يديه حتّى قرب من أسوان ونزل على قرية يقال لها أرطلها على مرحلة من أسوان . فخرج إليه شعبة بن حركام البابلي وقد بعثه أحمد بن طولون على جيش إلى أسوان خوفاً من العمري . فلمّا قرب من العمري قال العمريّ لأصحابه ، وقد بقُوا نحو ألف ومائتي رجل : لا تعجلوا فإنّ هٰذا رجل أعجميّ ، وأنا أخاطبه بنفسي وأنظر ما عنده .

ثمّ خرج من عسكره وقال لمن قرب من عسكر شعبة : إنّي أريدُ أن أخاطب الأميرَ قبل وقوع الحرب بيننا .

فخرج إليه شعبة ، ووقفا / بحيث يسمع بعضُهم كلامَ بعض . فقال [166ب] العمريّ : إنّ الأمير أحمد بن طولون لم يبلغه خبري على حقيقته ، وقد مُوِّهَ عليه في أمري . إنّي لم أخرج أبغي فساداً ، ويدلّك على ذلك أنّي لم أُؤْذِ مسلماً ولا معاهداً . وإنّما خرجتُ في طلب أعداء المسلمين حتى كفانا الله أمرَهم . فأكفُفْ يدَك عن القتال حتى أكتب إلى الأمير أيّدَه الله وأكشف له خبري ، وتكتب أنت أيضاً . فإن قبل عذري ولم تثقل عليه وطأتي وأمِنَ جانبي ، كتب إليك بالكفّ والانصراف فانصرفتَ مشكوراً . وإن أمرَك غير ذلك آمتثلتَ أمرَه غيرَ ملوم .

فقال له القائد شعبة : ليس أنا فَيْجـ[ـاً][1] لك أحمل كتابك . ما بيني وبينَك إلّا السيف !

فقال له العمري : ما أنت بحمد لله شعبة الرجال ، بل أنت بلعبة النساء أشبه ، وما هٰذا الفعلُ السيّىء والخُلُقُ القبيح إلّا لمَن هو كذلك !

ورجع إلى أصحابه فقال : « هٰذا رجل جاهل أحمق . فدونكم وقتالَه ! » وحمل عليه بعد أن راسلَه ثانياً . فطلب منه شعبة أن يطأ بساطَه ، فسأله العمريّ

(1) الفيجُ : الرسول من السلطان إلى مَن دونه . الخادم والساعي .

أن يؤخّر ذلك إلى أن يعودَ إلى أُسوان ويعطيَه رهينتَه ، فأبى عليه وحاربَه فُرُزق العمريّ على شعبةَ الظفرَ وهزمه أقبح هزيمة وغنم ما كان معه وشبع أصحابه بعد جوع وٱكتسَوا .

وكان العمريّ قد قسم رجاله خوفاً من النوبيّ وجعل الشطرَ بإزاء النوبة فلم يدخل النوبيُّ بينَهم . وقال : إنّي ما رأيت مَن يقف لألف إلّا رجلَين : العمري وابن قشما ، وقد رأيتُ الثالث – يعني شعبة .

ومضى شعبة على وجهه إلى الفسطاط . فأنّبه أحمد بن طولون وقال : أسأتَ وأخطأتَ . كنت أمهلتَه وكتبتَ إلينا بخبره على صحّة لنرى فيه رأيَنا ، لكنّك بغَيتَ عليه فنُصر عليك .

وأهمل أحمد بن طولون أمره .

وأمّا العمري فإنّه سار إلى قرية بحَرَى أسوان يقال لها أُدْفُو[1] وعبر منها إلى الشرق . وكانت له بأسوان وقعة مع واليها بعد شعبة .

ثمّ دخل المعدن وجرت له حروب أعظمُ من الأولى مع ربيعة ثمّ عاود إلى المعدن في سنة خمس وخمسين ومائتين وعلى ربيعة رجل يُعرف بأشهب بن ربيعَة من بني حنيفة بن لجيم بن مصعب ، شيعيّ ، وآخر يعرف بناس بن روح ، وآخر [167 أ] يعرف بمحمّد بن صريح على حيّ قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن / علي ٱبن بكر بن وائل وحلفائهم[2]– ، وعلى الجهنيّين رجل يعرف بعثمان بن سعدان ، وعلى الشاميّين رجل من سعد العشيرة ورؤساء دون هؤلاء . فكثرت العمارة حتّى صارت الرواحل التي تحمل الميرة إليهم من أسوان ستّين ألفَ راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم إلى عيذاب .

---

(1) الحرا : الساحة والفِناء ولعلّ الصواب : بَحريّ . وأُدْفُو – أَتفُو عند اليعقوبيّ 334 : في الجانب الغربي من النيل بين أسوان وقوص .

(2) عن هؤلاء انظر ابن حوقل ، 59 .

وعرض أحمد بن طولون لمنع ذلك بسبب العمريّ فكتب إليه أنّه في مائة ألف أو يزيدون ، فترك الاعتراض . ووقع بين المسلمين المنافسة والمنازعة والحروب ، ومالت البجّة إلى ربيعة وٱتَّفقَت معهم وتزوّجوا إليهم . فخرج أخ للعمري من أُمِّهِ يعرف بإبراهيم المخزوميّ إلى عيذاب ليمتار فٱعترضته البجّة فقتلته ومَن معه . فغضِب لذلك العمري وكتب إلى ربيعة يسألهم الإنصافَ من البجَّة أو التخلية بينه وبينهم ، فدافعوه عن الحالين فٱستدعى مضر إلى حَربهِم فشردوا عنه . وعبر بنو هلال النيل إلى الغرب ، وأقام بنو تميم شرقيَّ النيل ، وٱعتزلت المغاربة فلم يبقَ مع العمريّ إلّا القليل ، فقال في ذلك بعض بني نمير من أبيات [طويل] :

أبعد أبي إسحاقَ ذي الجود والندى ... تنامون والدنيا به قد تولّتِ ؟
وبعد رجالٍ قتّلت مضَريّةٍ ... عليها جباب الخزّ بالدم بُلَّتِ
فإن لم تثوروا عاجلاً بدمائهم ... فنِسوانُكمْ عَنكم بحقٍّ تخلّتِ
جزى مضراً شرّ الجزا عن أخيهمُ ... كما قلّدته أمرها ثمّ ولّتِ
فقام بها محض الضرائب ماجد ... كفى مضراً ما ضَيّعت وأضَلّت 5
وكانت تميم مرّةً خندفيَّةً ... فأضحت تميم عَن قريش تخلّتِ
وولّت هلال خيفةَ الحرب شرَّداً ... وبربرَ قيسٍ أبعَدَتْ حيث حلّتِ

ثمّ إنّ العمريّ واقعهم وهم غارّون فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وانتشبت الحربُ بينهم ، وقتل من الفريقين ألوفٌ . ولهم وقعتان مشهورتان في موضعَين يعرف أحدُهُما بمَيزح والآخر بكيا[1] . وللعمري في ذلك قصائد وشعر طويل فمنه [بسيط] :

إذا جزى اللّهُ أقواماً بعارفةٍ ... فلا جزى مضراً عنّا بإحسان !
أعني الذين بشطّ النيل مسكنُهم ... ما بين قوصٍ إلى ساحاتِ أُسوانِ

(1) اليعقوبي ، 335 : كبا (بالباء) : على 30 مرحلة من وادي العلاقي .

عليا تميمٍ وما كانت بخاذلةٍ   في النائباتِ ، وما كانوا بذُلّانِ

[167ب] ثمّ ذكر هزيمة رئيس جهينة فقال / [بسيط] :

كلّ الهزائم كانت غيرَ فاضحةٍ   إلّا هزيمةَ عثمان بنِ سعدانِ
ولّى بميزحَ والخيلان عاكفةٌ   والحربُ مسعرة والموتُ لونانِ

وله قصيدة أخرى يقول فيها [رجز] :

أصبح عان مستعان قد صَحَا   من بعد شوق شائق قد برحا
بقلبه قسمة وأقرحا   واستبدل الحلمَ وكان أرجحا
من سورة الجهل الذي قد أترحا   يا أيّها الساري الذي قد روّحا
أبلغ أبا الورد معاً والأبطحا   يا سامقاً لا للعلى قد أوضحا
5 بأيّ يوميك وجدتَ أَصلحا   يوم كيا وذي الوغى أم ميزَحا
لو تابع الرشد أطاع النّصَحَا   أو زجر الطيرَ لما تبرَّحا
وآغترّ بالشرك وما إن سبَّحَا   خوفاً من الله ولا ممّن لحا

ولهم أخبار وأشعار يطول شرحُها .

ثمّ إنّ ربيعة تخاذلت ووقع بين القوم خلف . فقصد العمريُّ المعروفَ بأشهب لتشيّعِه وقتلَه . ثمّ تغضب رئيس من مضر يعرف بمحمّد بن هارون فحالف على قتل العمريّ فقتله غيلةً . وتفرّق الجمع الذي كان معه وطفئت النائرة . وحُملت رأسه إلى أحمد بن طولون مع غلامَين زعما أنّهما من غلمانه وأنّهما قتَلاه . فدعا أحمد بن طولون بجماعة من أهل الصعيد ممّن يعرف العمَري فشهدوا أنّها رأسُ العُمريّ . فقال للغلامَين : أكان صاحبُكما مسيئاً لكما ؟

قالا : لا .

قال : فركب بحضرتكما إثماً استحلَلْتُما به قتلَه ؟

قالا : لا .

قال : فَبِمَ قتلتماه ؟

قالا : لأنّا أردنا بذلك الحظوة عند الأمير والقرب منه .

فقال : ذلك والله أبعد لكما منّي ومن الله عزّ وجلّ .

وأمر بضرب أعناقِهما فضُربَتَا وصُلِبا . ثمّ غَسَّلَ الرأسَ وطيّبَه وكفّنه ودفَنَهُ .

1498 – الدارميّ الحافظ [181 – 255][1]

/عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد ، أبو محمّد ، [168 أ] الدارميّ ، التَميميّ ، السمرقندي ، الحافظ ، أحد الأعلام .

سمع بالحرَمَين ومصر والشام والعراق وخراسان . وحدّث عن يزيد بن هارون ، ويعلى بن عبيد ، وجعفر بن عون ، والأسود بن عامر ، وأبي المغيرة الحمصيّ ، وأبي علي الحنفيّ ، والفرياني ، ومروان بن محمد ، ويحيى بن حسّان التنيسي ، والنضر بن شميل ، وأبي النضر هاشم بن القاسم ، ووهب بن جرير ، وعثمان بن عمر بن فارس ، وحبّان بن هلال ، وزيد بن يحيى الدمشقي ، وسعيد بن عامر الضبعي وسعيد بن أبي مريم ، وأبي عاصم ، وخلق كثير .

حدّث عنه مسلم وأبو دَاود والترمذي وبقيّ بن مخلد وأبو زرعة وصالح جزرة والبخاري ، فيمَا رواه عنه الترمذي في جامعه ومطين[2] وخلائق .

قال عبد الصمد بن سليمَان البلخي : سألت أحمد بن حنبل عن يحيى

---

(1) الوافي ، 17 / 242 (224) – تاريخ بغداد ، 10 / 29 (5148) – شذرات ، 2 / 130 – أعلام النبلاء ، 12 / 224 (78) .

(2) في تاريخ بغداد ، 10 / 29 : محمد بن عبد الله الحضرميّ مطين .

الجماني ، فقال : تركناه لقول عبد الله بن عبد الرحمان ، لأنّه إمام .

وقال إسحاق بن داود السمرقندي : قدم قريبٌ لي فقال : أتيت أحمد بن حنبل[1] فقال : أين أنت عن عبد الله بن عبد الرحمان ؟ عليك بذاك السيّد !

وقال نعيم بن ناعم : سمعت محمد بن عبد الله بن نمير يقول : غلَبنا عبد الله آبن عبد الرحمان بالحفظ والورع .

وقال إسحاق بن إبراهيم الورّاق : سمعت محمد بن عبد الله المخزوميّ يقول : يا أهل خراسان ، ما دام عبد الله بن عبد الرحمان بين أظهركم فلا تشتغلوا بغيره !

(قال) وسمعت أبا سعيد الأشجّ يقول : هو إمامنا .

وسمعتُ عثمان بن أبي شيبة يقول : أمر عبد الله أظهر من ذاك فيمَا تقولون من البصر والحفظ وصيانة النفس ، عافاه الله !

وقال بندار : حفّاظ الدنيا أبو زرعة والبخاري والدارمي ومسلم .

وقال آبن أبي حاتم عن أبيه : عبد الله بن عبد الرحمان إمام أهل زمانه .

وقال أبو حامد بن الشرقيّ : إنّما أخرجَت خراسان من أئمّة الحديث خمسة ، فذكر منهم عبد الله بن عبد الرحمان .

وقال محمد بن إبراهيم الشيرازي : كان الدارميّ على غاية من العقل والديانة ، ممّن يضرب به المثل في الحلم والدراية والحفظ والعبادة والزهادة . أظهر علم الآثار بسمرقند ، وكان مفسّراً كاملاً وفقيهاً عالماً .

وقال ابن حبّان : كان من الحفّاظ المتقنين وأهل الورع في الدين ، ممّن حفظ وجمع وتفقّه وصنّف وحدّث ، وأظهر السنّة في / بَلدِه ودعا إليها وذبّ عن حريمها وقمع من خالفها . [168ب]

(1) في كلام المقريزيّ حذف . . . فجعلت أمدحُه ، فقال : أين أنتَ مِن . . .

وقال الخطيب أبو بكر البغدادي : كان أحد الحفّاظ والرحّالين موصوفاً بالثقة والزهد والورع . آستقضِي على سمرقند وألحّ عليه السلطان حتّى وليَ . وقضى قضيّة واحدة ثمّ استعفى فأعفي . وكان على غاية العقل وفي نهاية الفضل ، يضرب به المثل في الديانة والحلم والرزانة والاجتهاد والعبادة والزهادة والتقلّل . صنّف المسند والتفسير والجامع .

قال إسحاق الورّاق : سمعت الدرامي يقول : ولدتُ في سنة مات ابن المبارك ، سنة إحدى وثمانين ومائة .

وقال أحمد بن سيّار : مات في سنة خمس وخمسين ومائتين يوم التروية ، ودفن يوم عرفة يوم الجمعة وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة .

وكذا أرّخ موتَه غير واحدٍ . وغلط من قال : وفاتُه سنة خمسين .

قال إسحاق بن خلف : كنّا عند محمد بن إسماعيل البخاري فورد عليه كتاب فيه نعي الدارمي . فنكس رأسه ثمّ رفعـ[ـه] واسترجع وجعل تسيل دموعه على خدّيه ثمّ أنشأ يقول [كامل] :

إن تبقَ تُفجَعْ بالأحبّةِ كُلِّهِمْ وبقاءُ نفسِك لا أبا لك أَفْجَعُ

1499 – آبن أبي اليابس الديباجيّ [484 – 572] [1]

عبد الله بن عبد الرحمان بن يحيى بن إسماعيل ، الشريف ، القاضي ، أبو محمد ، العثمانيّ ، الديباجيّ ، المعروف بآبن أبي اليابس .

ولد سنة أربع وثمانين وأربعمائة [....] [2] وتوفّي يوم السبت الحادي والعشرين من شوّال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

(1) أعلام النبلاء ، 20/ 596 (374) – حسن المحاضرة ، 1/ 375 (52) –

(2) بياض بقدر خمسة أسطر . والترجمة عند الذهبي طويلة .

1500 – ابن حجيرة الخولاني قاضي مصر [– بعد 98][1]

[169 أ] / عبد الله بن عبد الرحمان بن حجيرة ، الخولاني ، أبو عبد الرحمان ، قاضي مصر وٱبن قاضيها .

يروي عن أبيه .

روى عنه عبد الله بن الوليد التجيبي ، وخالد بن يزيد ، وإبراهيم بن نشيط الوعلاني .

قال النسائي : ليس به بأس . وذكره ٱبن حِبّان في الثقات .

وولّاه قرّة بن شريك أمير مصر القضاء في شهر ربيع الآخر سنة تسعين بدلاً من عبد الواحد بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج وصُرف بعد ثلاث سنين في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين بعياض بن عبد الله [الأزديّ السلاميّ][2] .

وخرج ببيعة أهل مصر لمّا قام في الخلافة سليمَان بن عبد الملك بعد موت أخيه الوليد بن عبد الملك في جمادى الآخرة سنة ستّ وتسعين ، وعاد إلى مصر ، فأعاده عبد الملك بن رفاعة أمير مصر إلى القضاء مرّة ثانية بعد صرف عياض في شهر رجب سنة سبع وتسعين ، وجمع له القضاء وبيت المال ، ثمّ صرف آخر سنة ثمان وتسعين عن القضاء .

وقال إبراهيم بن نشيط : أتيت عبد الله بن عبد الرحمان بن حجيرة فقال : أتتغدّى ؟

قلت : نعم .

---

(1) الكنديّ ، 331 .

(2) الزيادة من حسن المحاضرة ، 2 / 138 .

فقال : يا جارية ، الغَداء !

فأتت بعدس بارد على طبق خوص وكعك وماء . فقال : كل ! لم تتركنا الحقوق نشبع من الخبز .

وأتاه رجل فذكر له حاجةً . فقال : تعود .

فلمّا مضى سأل عنه ، فإذا هو صادق . فأعطاه ثمانية عشر ديناراً . فأتاه في مجلس القضاء يثني عليه فقال : أخّروه عنّي !

ورفع عليه قوم من يهود إلى عمر بن عبد العزيز في مال قبضه منهم ، فأقرّ أنّه قبضه منهم ثمّ دفعه إليهم . فقال عمر : هل عندك بيّنة أنّك دفعتَه إليهم ؟

قال : لا .

فقال : غرمت ابن حجيرة وضمنت .

ثمّ ذكر له بعد أنّ له بيّنة فشهد له رجال .

1501 - عبد الله بن عبد الرحمان بن حديج [- 155][1]

/ عبد الله بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج بن جفنة بن قُنْبَرة[2] بن [169ب] حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة ، الكنديّ ، ثمّ التجيبيّ .

تقدّم ذكر أبيه ويأتي ذكر جدّه معاوية بن حديج[3] .

ووليَ عبد الله رابطة الإسكندريّة ، وخرج ببيعة أهل مصر إلى يزيد الناقص

---

(1) انظر الكندي 98 . وفي الحاشية : حديج بِضمّ الحاء وفتح الدال المهملتين ثمّ ياء آخر الحروف وجيم .

(2) قنبرة أو قتيرة .

(3) ترجمة أبيه تقدّمت (رقم 1469) أما معاوية ففقود .

ٱبن الوليد فيمن خرج . ثمّ أجمع الجند بعد موت المغيرة بن عبيد الله الفزاري على أن يولّوه الشرط إلى أن يأتي أمر مروان بن محمّد . فقدم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير .

وولّاه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير البحرَ ، ثمّ صرفَه بعبد الرحمان بن عتبة المعافريّ وولّاه برقة .

فلمّا قُتل مروان ووليَ أمر مصر صالح بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ٱستعمل عبد الله على شرطه أيّاماً ، ثمّ صرفه . وأخذه معه فيمَن أخذَ من أهل مصر ليوفدَه على أبي العبّاس السفّاح . ثمّ عاد عبد الله إلى مصر .

وخرج إلى إفريقيّة فيمَن خرج إليها أيّام أبي عون عبد الملك بن يزيد فبلغوا سرت ثمّ عادوا .

وولّى حميد بن قحطبة عبد الله الشرط عوضاً عن محمد بن معاوية بن بُجَير[1] بن ريسان إلى أن صُرف [حميد] بيزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب ٱبن أبي صفرة فأقرّ عبد الله على الشرط . ثمّ ٱستخلفه على مصر لمّا حجّ سنة سبع وأربعين ومائة[2] . فلم يزل على الشرط إلى أن صُرف يزيد ، فولّى أبو جعفر المنصور عبد الله بن عبد الرحمان مصرَ على صلاتها في يوم السبت لثنتَي عشرة بقيَت من شهر ربيع الآخر سنة ٱثنتين وخمسين ومائتين ، فلم يولّ على الشرط أحداً ، ولكن جعل على التابوت علي بن زيدان التجيبي ، ثمّ عزله بمحمّد بن يعفر المعافريّ ، وعزله بعمران بن سفيان الحجريّ ثمّ عزلَه ، وولّى أبا المحبّ من الموالي .

وعبد الله أوّل مَن خطب في السواد[3] بمصر . وخرج إلى أبي جعفر المنصور

---

(1) بجير ككبير (حاشية) والشكل في المتن من المؤلّف .

(2) في المخطوط : ومائتين . وانظر الكندي 1101 .

(3) أي بشعار العبّاسيّين (أو المسوّدة) .

لعشرٍ بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائة ، وآستخلف أخاه محمّداً ، ورجع في آخر السنة .

وتوفّي وهو والٍ يومَ الأحد مستهلّ صفر سنة خمس وخمسين ومائة . وآستخلف أخاه محمّداً[1] ، فكانت ولايتُه مصر سنتين وشهرين .

روى عنه عمرو بن بحري السبائيّ [و] لم يذكره البخاريّ ولا آبن أبي حاتم في كتابيهما ، وليس بمشهور عند أهل الحديث ، والمشهور أخوه عبد الواحد بن عبد الرحمان قاضي مصر .

1502 – جمال الدين ابن عبد الغنيّ [581 – 629][2]

/ عبد الله بن عبد الغنيّ بن عبد الواحد بن عليّ بن سرور ، جمال الدين ، أبو [170 أ] موسى ، ابن الحافظ أبي محمد ، المقدسيّ الأصل ، الدمشقيّ الدار ، الحنبليّ .

مولدُه في شوّال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بدمشق .

وسمع بها من أبي محمد عبد الرحمان بن علي بن المسلم بن الخرقيّ ، وأبي الفضل إسماعيل بن عليّ بن إبراهيم الجنزويّ وجماعة .

وسمع ببغداد من أبي الفرج بن كليب الحرّانيّ ، وأبي الفرج بن الجوزيّ في آخَرين .

وبأصبهان من أبي سعيد خليل بن أبي الرجاء [بدر] بن أبي الفتح [ثابت] الرارانيّ[3] وعدّة .

---

(1) محمد بنُ عبد الرحمان بن حديج : انظر ترجمته رقم 2446 .

(2) التكملة 3 / 319 (2416) أعلام النبلاء ، 22 / 317 (194) – الوافي ، 17 / 293 (244) .

(3) في المخطوط : الزازانيّ بمعجمتين . وفي حاشية بهامشه : براءين مهملتين لا غير ، =

وبمصر من أمّ عبد الكريم فاطمة بنت سعد الخير [البلنسيّة][1] وغيرها .

وحدّث بدمشق ومصر وغيرها .

وتوفّيَ بدمشق في رابع شهر رمضان سنة تسع وعشرين وستّمائة ، ودُفن بسفح قاسيون .

1503 – أبو زرعة القتبانيّ [– 228]

[171 أ] /عبد الأحد بن الليث بن عاصم بن كليب بن خيار بن جَبْر بن ناشرة بن مرّي بن الأرقم بن مَرْثَد بن ذي مراثد بن جَسْر بن مالك بن شرحبيل بن يرعش ابن قتبان ، أبو زرعة ،القِتباني .

يروي عن حيوة بن شريح ، ومالك بن أنس ، ويحيى بن أيّوب ، وعثمان ابن الحكم الجذاميّ .

مات سنة ثمان وعشرين ومائتين .

1504 – عبد الأعلى ابن ظاعن الفهميّ [– 91][2]

[172 أ] /عبد الأعلى بن خالد بن ثابت بن ظاعن ، الفهميّ ، أبو [...] .

يروي عن رجل عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

روى عنه الحرث بن يعقوب .

وولّاه عبد الله بن عبد الملك بن مروان الشرطة مكان عمران بن عبد الرحمان

والحاشية ممضاة بـ : سيّد محمد الداوديّ . وانظر ترجمة خليل الرارانيّ في أعلام النبلاء ، 21 / 269 .

(1) فاطمة بنت سعد الخير (522 – 600) – أعلام النبلاء ، 21 / 412 .

(2) الكندي ، 60 وفيه : عبد الأعلى بن ظافر بن ثابت حسن المحاضرة ، 2 / 138 .

آبن شرحبيل بن حسَنة لمّا سخط عليه ، وصرفه في صفر سنة تسع وثمانين . فلمّا صرف عبد الله بقرّة [بن شريك][1] أقرّ عبد الأعلى . ثمّ آستخلفَه على الفسطاط لمّا خرج إلى رشيد حتى عاد .

فلم يزل على الشرط حتّى مات بالفَرَما وهو سائر إلى الوليد بن عبد الملك في ربيع الأوّل سنة إحدى وتسعين .

1505 - ابن أبي الهجرس [- نحو 132][2]

/عبد الأعلى بن أبي الهجرس ، المراديّ، مولاهم ، صاحب مراكب دمياط . [173 أ]

كان ممّن سوّد لمّا قدم مروان بن محمّد مصر ، وقاتل كوثر بن الأسود الغنويّ صاحب شرطة مروان . فلمّا هزمهم [ابن] الأسود على الكِرْيَون[3] ودخل الإسكندريّة . أمر بعبد الأعلى فقطعت يداه ورجلاه ، وتركه . فجعل يقرأ القرآن حتّى ختم . وبعث إليه الليثُ بشربة فسقاه إيّاها . وأدركه النزيف وقد ختم القرآن ، فتوفّي رحمه الله .

1506 - زين الدين الأسديّ قاضي حلب [578 - 635][4]

/ عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله بن علوان بن عبد الله بن علوان بن رافع ، [174 أ] الأسدي ، أبو محمّد ، زين الدين ، ابن الأستاذ ، الأسديّ أسد خزيمة ، الحلَبيّ ، الفقيه الشافعيّ ، قاضي حلب .

---

(1) الإكمال من الكندي ، 63 .

(2) الكندي ، 96 .

(3) الكِريَون : بين دمنهور والإسكندريّة (ياقوت) .

(4) التكملة 3 / 487 (2828) والزيادة منها - النجوم 6 / 301 - شذرات 5 / 170 . الوافي 17 / 246 (229) .

ولد في جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، ونشأ بحلب . وسمع من أبي الفرج يحيى بن محمود بن سعد الثقفيّ الأصبهانيّ ، قدم عليهم ، ومن عدّة .

وتفقّه على مذهب الشافعيّ ، وصحب قاضيَ حلب أبا المحاسن يوسف بن رافع بن تميم [المعروف بٱبن شدّاد] وقرأ عليه المذهب والخلاف والجدل والأصولين . وعُني به عناية شديدة لما رأى من نجابتِه وفهمِه وذكائه وقوّة إدراكه وحسن طريقتِه ، فٱتّخذه ولداً وصاهره ، وٱعتمد عليه في سائر جميع أحواله حتّى برع في العلم وصار معيداً لمدرسته وله نيف وعشرون سنة . ثمّ ولي التدريس بعده ، وتقدّم عند الملوك وروسل به إلى دمشق ومصر مرّاتٍ ، وإلى دار الخلافة . فقدم بغداد سنة أربع وثلاثين وستّمائة في رمضان . وجُمع له فقهاء بغداد ومدرّسوها بدار الوزارة وتكلّم معهم بحضرة الوزير فٱستحسن كلامه .

وكانت له معرفة حسنة بالحديث . ويدٌ باسطة في الأدب . مع الورع والدين الشديد ، والستر الثخين والتمسّك بسير السلف والوقار . وحسن الخَلق والخُلُق ، ولطف الطباع والمزح وطيب المعاشرة . وله شعر حسن .

ومات ليلة السبت سادس عشر شعبان سنة خمس وثلاثين وستّمائة بحلب .

1507 – عبد الله الأكبر ابن عبد الرحمان بن عوف [1]

عبد الله بن عبد الرحمان بن عوف الزهريّ . شهد فتح إفريقيّة وقُتل بها . وهو عبد الله الأكبر ، وأمّه العباديّة [2] .

---

(1) أنظر : جمهرة ابن حزم ، 131 . ولم يذكره ابن قتيبة في أولاد عبد الرحمان بن عوف .
(2) قراءة ظنّيّة ، ولم يذكرها ٱبن حزم .

1508 – ظهير الدين الحدّاد [615 – 669][1]

عبد الباري بن عبد القادر بن غدير ، أبو محمد ، ظهير الدين ، الحدّاد ، الشافعيّ .

ولد بمصر سنة خمس عشرة وستّمائة . وتوفّي بمصر في أوائل جمادى الآخرة سنة تسع وستّين وستّمائة [...][2] .

ومن شعره [كامل] :

أترى أعيش وتسمح الأيّام ... ويعود أحبابٌ عليّ كرام ؟

قومٌ أقام الحُزن عندي مذ نَأَوا ... وبظلّ منزلة العقيق أقاموا

مذ قُوِّضَت يومَ الرحيل خيامُهُمْ ... ضُربت لهم بين الضلوع خيام

كانت ببطحاء الغُوَير بيوتُهم ... مبنيّةً ولنا بها إلمامُ

5 والشملُ مجتمِع ، وقد مُدَّت على ... العلَمين من ذاك الحمى أعلامُ

ورُبى العقيق تفوح من طربٍ بهم ... والبانُ قد غنّى عليه حَمامُ

والحيُّ نشوانٌ بطيب حديثِهم ... فكأنّما دارت عليه مُدَام

وربوعُهم قد أصبحت مخضرَّةً ... وتعطّرت بشذاهم الآكامُ

غَرم الزمان عليهم فتباعدوا ... بعد الدنوّ ، وللزمان عُرَامُ[3]

10 شالت جِمالُهُمُ جَمَالَهُمْ ضُحًى ... وسروا وفي كبِدي لهُمُ إضْرَامُ

وتعطّلت أوطانُهم وتصرّمت ... أيّامُهُم فكأنّها أحلامُ

فعليهمُ وعلى حمًى حلُّوا به ... وعلى الزمان تحيّة وسلامُ

---

(1) لم نجد له ترجمة .

(2) بياض بقدر أربعة أسطر .

(3) عرم بالتثليث : اشتدّ وخرج عن الحدّ : « به شدّة وعُرامٌ » .

1509 – الوزير [علم الدين] ابن زنبور [العلائيّ] [– 754] [1]

[175 أ] / عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور [القبطيّ] ، الوزير الصاحب ، علم الدين ، ابن تاج الدين .

باشر أوّلاً استيفاء الوجه القبليّ شريكاً لوهبة بن شجرة .

وتوجّه صحبة الأمير علم الدين أيدمر الزرّاق الكاشف ، فنهض فيمَا نُدب إليه وعاد .

فلمّا كانت مصادرة النَّشْو [2] شرف الدين عبد الوهّاب ناظر الخاصّ لأولاد الجيعان آستدعى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عامّة الكتّاب ، وعرضهم ليختار منهم . فأثنى القاضي فخر الدين محمّد بن فضل الله المعروف بالفخر ناظر الجيش على آبن زنبور هٰذا ، وعرّف السلطان بأبيه تاج الدين ، فعرفه وأثنى عليه الأمير الأكوز شادّ الدواوين . فصرف السلطان الكتّاب . وآستدعى آبن زنبور بعد ذلك وخلع عليه ، واستقرّ به ناظر الإصطبل [3] في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فتمكّن في مباشرته ونال منها سعادةً جليلة القدر إلى أن مات السلطان ، وتحكّم الأمير أيدغمش أمير أخور في نوبة الناصر أحمد بن محمد [فـ]ـولّاه استيفاء الصحبة فاستمرّ حتّى مات جمال الكفاة إبراهيم [4] في ربيع الأوّل سنة خمس وأربعين [وسبعمائة] [فـ]ـعُيِّن لنظر الخاصّ ، وهو حينئذ قد بعثه جمال الكفاة لكشف القلاع الشاميّة صحبة جركتمر الحاجب [5] ، فتحدّث

---

(1) السلوك (سنة 745) 2 / 877 – حسن المحاضرة ، 2 / 224 .
(2) النشو ناظر الخاصّ . وسمّاه في الخطط ، 3 / 375 : القاضي شرف الدين .
(3) في السلوك 881 زاد : عوضا عن آبن جيعان .
(4) جمال الكفاة ابراهيم القاضي ناظر الخاصّ ثمّ الجيش ثمّ الشدّ (النجوم 10 / 211) .
(5) خرتكتمر الحاجب : انظر السلوك 2 / 670 .

الأمير أرغون العلائيّ زوج أمّ السلطان الملك الصالح إسماعيل بن محمد ومدبّر دولته في استقراره ناظر الخاصّ عوضاً عن جمال الكُفاة . وكان يُعنى به - فرسم بطلبه وتوجّه البريد إليه فأبطأ حضوره نحو شهر . فقام الوزير نجم الدين محمود بن عليّ [بن شروين] وزير بغداد[1] في ولاية الموفّق هبة الله بن إبراهيم ناظر الدولة فاستقرّ في نظر الخاصّ .

وقدم ابن زنبور من الشام بعد ولاية الموفّق فباشر ٱستيفاء الصحبة[2] على عادته إلى أن تسلطن الكامل شعبان بن محمّد [فـ]ـولّاه نظر الخاصّ عوضاً عن الموفّق هبة الله بن إبراهيم ، وٱستقرّ كاتبه فخر الدين بن سعيد مستوفيَ الصحبة عِوَضَه ، ثمّ صُرف في العشرين من شهر رجب منها بالفخر ابن السعيد المستوفي . وأعيد إلى الاستيفاء عوضاً عن ابن السعيد . وكانت مباشرته نظر الخاصّ [نيفاً] وثمانين يوماً .

ثمّ خلع / عليه في عشرين المحرّم سنة سبع وأربعين [وسبعمائة] وٱستقرّ في [176ب] نظر الدولة عوضاً عن تقيّ الدين سليمَان بن عليّ بن مراجل ، رفيقاً للوزير نجم الدين محمود بن عليّ وزير بغداد .

ثمّ أعيد إلى نظر الخاصّ في عاشر جمادى الآخرة منها . وأضيفَت إليه الوزارة ، فخلع عليه في يوم الخميس سابع عشرين ذي القعدة سنة إحدى وخمسين ، فٱستقلّ بالوزارة ونظر الجيش ونظر الخاصّ بعدما تمنّع وٱشترط شروطاً كثيرة . ونزل إلى داره في موكب عظيم .

وجلس يوم السبت تاسع عشرينِه بشبّاك الوزارة من قاعة الصاحب بالقلعة

---

(1) وزير بغداد : نجم الدين محمود بن علي بن شروين . قدم من بغداد إلى القاهرة فولي الوزارة ثلاث مرّات . وقتل بغزّة سنة 748 (السلوك 2 / 755) .

(2) ٱستيفاء الصحبة : « هٰذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال ، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانيّة . وصاحبه يتحدّث في جميع المملكة مصرًا وشاما ، ويكتب مراسيم يُعَلّمُ عليها السلطان » (صبح الأعشى 4 / 29) .

في دست الوزارة . وجلس الموفّق ناظر الدولة قدّامه ومعه جماعة المستوفين ، فطلب جميع مباشري الدولة وقرّر ما يعتمدو[نـ]ـه وطلب الحاج محمد بن يوسف المقدّم وشدّ وسطه[1] وأعاده إلى تقدمة الدولة ، وقد كان عُزل في وزارة الأمير منجك بأبن عمّه أحمد بن [أبي] زيد . وطلب المعاملين وسلّفهم على اللحم وغيره . وتقدّم بكتابة ما عليه الحال في بيت المال وفي الأهراء : فلم يكن بها درهمٌ ولا إردبّ غلّة ، وعرض ذلك كلّه على السلطان والأمراء .

وشرع في عرض الكتّاب والشادّين ، وعملِ أوراق المتأخّر في النواحي . وأهتمّ بتدبير الدولة أهتماماً زائداً . وأنفق في بيت السلطان جامكية[2] شهر ، وحمل إلى الحوائجخاناه[3] ما يحتاج إليه من السكّر والقُلوبات[4] والزيت ونحو ذلك من الأصناف .

وكتب له في تقليد الوزارة « الجناب العالي » ولم تكتب لوزير قبله ، وحمل التقليدَ إليه القاضي علاء الدين علي بن فضل الله فخرج إلى لقائه وبالغ في إكرامه وبعث إليه بتقاديم جليلة .

ولم يزل على أجلّ رتبة إلى أن قدم السلطان الملك الصالح بن محمد من دمشق في نوبة الأمير بيبغا أروس القاسميّ نائب حلب . وعمل الوزير المهمّ

(1) شدّ الوسط : قال ناشر السلوك المرحوم محمد مصطفى زيادة 2 / 663 هامش 3 : لعلّها تعني تقليد الإمارة .

وفي الصبح 5 / 34 و4 / 40 : « أرباب السلطان [يلبسون] القباء الإسلاميّ يشدّ عليه السيف من اليسار » . وسمّاها أيضا « مناطق مشدودة » وأيضا « الحياصة » فضّة وحتى ذهب . (قال) ولا ترصّع المناطق بالجواهر إلّا في خِلع السلطان لأكابر الأمراء .

(2) الجامكيّة ج جوامك : الراتب المقرّر والجراية في كلّ شهر (صبح 11 / 42 ، 14 / 398) فالمقاتله لهم جامكيّة شهريّة من الدينارين إلى العشرين (صبح 3 / 519) .

(3) الحوائجخاناه : ومعناها بيت الحوائج ، منها يصرف اللحمْ للمطبخ السلطاني والدور السلطانيّة ورواتب الأمراء والمَماليك وسائر الجند ... وكذلك توابل الطعام ، والزيت للوقود ، والحبوب ... وهي من أوسع جهات الصرف (صبح ، 4 / 12) .

(4) القلوبات : المكسرات المقشورة (كالجوز واللوز) – سلوك 2 / 829 هـ . 2 .

العظيم[1] في يوم الخميس سابع عشرين شوّال سنة ثلاث وخمسين [وسبعمائة] ومدّ للسلطان سماطاً بالغ في الاحتفال به . فخلع عليه وعلى جميع أرباب الوظائف من الأمراء والمباشرين بعد العصر .

فٱتّفق أنّه لمّا فرّقت التشاريف[2] التي تخلع على الأمراء غَلَط الذي أخذ تشريف الأمير صرغتمش رأس نوبة ودخل به إلى الأمير بلبان السناني أستادار[3] ودخل بتشريف بلبان لصرغتمش . / فعندما رآه صرغتمش ظنَّ أنّ ٱبن زنبور [177 أ] تعمّد ذلك ٱحتقاراً له ، وكانت في نفسه منه كوامن ، فٱشتدّ غضبه ، وقام من فوره ، وخرج من داره بالقلعة وعبر إلى بيت الأمير شيخو العمري وألقى التشريف قدّامه وقال : انظر فعلَ الوزير معي !

فقال له شيخو : هٰذا قد حصل فيه غلط من الذي حملَه إليك .

فلم يعجبه منه ذلك وتزايد غضبه ، وخرج وبه من الغضب شبه الجنون وهو يقول : هٰذا شُغل الوزير ، وأنا ما أرضى بالهوان . والله لا بدّ لي من القبض عليه ، ومهما شئْتَ فٱفعل بي !

فلسوء المقدور صادف الوزيرَ داخلاً إلى الأمير شيخو ، وعليه تشريفُه ، فصاح في مماليكه : خذوه !

فنزعوا عنه في الحال التشريف وجرّوه إلى بيت أستاذهم الأمير صرغتمش فسجَنه في مكان مظلم من بيته . وسجن ٱبنه رزق الله في موضع آخر .

وكان [صرغتمش] قبل أن يدخل على الأمير شيخو رتّب عدّةً من مماليكه

---

(1) المهمّ : المأدبة الفاخرة .

(2) التشريف : نوع من الخلع الفاخرة « وهو جبّة » أطلس أسود بِطراز مذهب وطَوق من ذهب يُجعَل في عُنق (المنعَم عليه) . صبح 3 / 272 .

(3) الأستادار : هو الذي يحكم في غلمان السلطان وفي باب داره والحاشية والمطابخ والشراب خاناه (صبح 4 / 20) .

على باب خزانة الخاصّ[1] وعلى باب النحّاس وعلى أبواب القلعة ، وأوصاهم بالقبض على حواشي ابن زنبور وجميع الكتّاب . فقبضوا على الجميع ، وطمِعَت الغلمانُ فيهم فسَلَبوا عدّةً من الكتّاب ثيابَهم ، وحصّل الغلامُ الواحدُ ستّ عشرة دواةً رهناً على [ما] وعدوه به فجَبَاهُم وعـ[ـو]دَهم من الغد .

وعندما قبض صرغتمش على ٱبن زنبور أرسل الأمير جرجي والأمير قشتمر في عدّة مماليك إلى دوره فأوقعوا الحوطة عليها وختموها . وختمُوا بيوت ألزامه[2] وحريمهم وقت المغرب ، وهم آمنون قد ٱجتمعوا في أفراحهم وتهانيهم . / وكتب إلى الأعمال بالحوطة على أمواله مصرًا وشاماً . [177ب]

وركب صرغتمش في يوم السبت ، ومعه رزق الله ابن الوزير ، إلى دورهم وأحضر أمّه وهدّدها . فأخذ خمسة عشر ألف دينار ذهباً وخمسين ألفَ درهم فضّةً ، وصندوقاً فيه ستّة آلاف دينار ومصاغ . ووجد في ثقله الذي قدم به من الشام ستّةَ آلافَ دينار ومائة وخمسينَ ألفَ درهم فضّة ، ومن الثياب والفرو ونحو ذلك ما يجلّ وصفه . ونقل ما في دور أزواج بناته . وطلب بناته فلم يقدر عليهنّ . وعاد إلى القلعة .

وصار صرغتمش ينزل ومعه بدر الدين ناظر الخاصّ وشهود الخزانة وينقل حوامل ٱبن زنبور حتى أعياهم كثرَةُ ما وجدوا له . وتُتُبّعت حواشيه فوُجد له في ركن داره خمسة وستّون ألف دينار .

ثمّ [طلبه] وجرّده من ثيابه وضربه عرياناً فلم يعترف بشيءٍ وعاقب ٱبنَه وٱمرأتَه عدّة أيّام .

فكانت عدّة الحمّالين الذين حملوا على رؤوسهم ما وُجد له من القماش

---

(1) خزانة الخاصّ أو خزانة الكسوة ، إليها يحمل ما يُعمل بدار الطراز بتنيس ودمياط والإسكندريّة ، وفيها تُفصَّل الخلعُ والتّشَاريف (صبح 3 / 472) .

(2) في السلوك 2 / 878 : أصْهَاره .

ونحوه ثمانمائة حمّال ، سوى ما حُمل على البغال .

ووُجد له من أواني الذهب والفضّة ما زنتُه ستّون قنطاراً ، ومن الجواهر ستّون رطلاً ، ومن اللؤلؤ كَيل إردبّين ، ومن الذهب الهرجة[1] مائتا ألف دينار وأربعة آلاف دينار ، ومن الحَوائص ستّة آلاف حياصة وستّة آلاف كلفتاه زركش .

ووجد له ألفاً فَرَجيّة[2] كان يلبسُها ، وستّة آلاف بساط ، ومن الصنج التي يوزن بها ما قيمته خمسون ألف درهم ، ومن الشاشات ثلاثمائة شاش .

ومن الخيل والبغال ألف رأس ، ومن البقر ستّة آلاف رأس . وأغنام حلّابة ستّة آلاف / رأس . [178 أ]

وخمسة وعشرون معصرة للسكّر . وبيد حواشيه سبعمائة إقطاع . متحصّل كلّ إقطاع منها خمسة وعشرون ألفَ درهم في كلّ سنة .

ومائة عبد ، وستّون طواشيّ ، وسبعمائة جارية . وسبعمائة مركب في النيل .

وأملاك قوّمت بثلاثمائة ألف دينار . ورخام بمائتَي ألف درهم . ونحاس بأربعة آلاف دينار ، وسروج وبدلات . عدّة خمسمائة .

ووجد له اثنان وثلاثون مخزناً ملآنة بأصناف البضائع قوّمت بأربعمائة ألف دينار .

وسبعة آلاف نطع ،

وخمسمائة حمار ،

ومائتا بستان ، وألف وأربعمائة ساقية .

---

(1) الهرجة : هكذا أيضا في السلوك ، 2/ 880 ولم نفهَمها .

(2) الفرجيّة : رداء « مفرّج من قدّام من أعلاه إلى أسفله مزرّر بالأزرار » (صبح 4 / 42) وهي في النفاسة دون دلق القضاة .

والحياصة هي المنطقة أو الحزام . والكلفتاه كالوتة الرأس . وانظر السلوك 2 / 880

وفي بيت المال مائة وستّون ألفَ درهم ، وفي الأهراء عشرون ألف ، وذلك سوى ما نُهب له وقت الحوطة وسوى ما ٱختلس له .

على أنّ موجوده قُوّم وبيع بنصف قيمته .

وكان قد عظم إلى الغاية بحيث كان ، إذا أخرجت الخيول من الإصطبل السلطان[يّ] للتفرقة على أرباب الوظائف في كلّ سنة تخرج له ثلاثة أرؤس . وإذا خُلع على أرباب الوظائف يخلع عليه ثلاث خلع .

وبعدت كلمتُه وقويت مهابتُه ، وفخمت نعمته ، وتجاوزت الحدّ سعادتُه .

وٱتّجر في سائر الأصناف ، حتى في الملح والكبريت . وكان ربح متجره في سنة واحدة زيادة على ألف ألف درهم ، منها ربحه في الزيت الحارّ خاصّة مائة ألف وعشرة آلاف درهم .

فكثرت حسّاده وعاداه الكتّاب لضبطه ، فأحصَوا عليه ما يتحصّل له وأخذوا في إغراء الأمير صرغتمش به ، وأنّه كان يحمل إلى الأمير شيخو مال الخاصّ كلّه . وأنّه هو الذي عمّر له الدار التي على النيل ، ويقوم له بمَا يحتاج إليه في / كلّ سنة من الحوائص ، حتّى ٱمتلأ من عداوته وصار يُسمِعُ شيخو ما [178ب] ينكيه به ويشنّع عليه بسبب ٱبن زنبور ، ويلتزم أنّه إن مكّن منه أخذ للسلطان أموالاً ينتفع بها . وشيخو يتلطّف به ويدافعه عنه ، وابن زنبور يصانعه ويحمل إليه الأموال ، وهو لا يزداد إلّا حنقاً عليه .

وما زال [صرغتمش] يستميل الأمير طاز حتى مال معه على ٱبن زنبور فقويا على شيخو .

هٰذا وقد انتدب جماعة لرمْيِ ابن زنبور بكلّ عظيمة تُخرجه عن الإسلام وتثبت أنّه على دين النصرانيّة ، وأنّ قَتلَه من جُملة ما يتقرّب به إلى الله تعالى . فمرّ به بعد القبض مِن أنواع العقوبات ما لا يوصف .

ثمّ أخرج في ليلة الاثنين تاسع عشر من المحرّم [سنة 754] إلى قوص ،

فكانت مدّة عقوبته ثلاثة أشهر .

ومات بقوص يوم الأحد سابع[1] عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

وكان من أجلّ وزراء الدولة التركيّة ، وكان له صدقات ومبارّ دارّة لأرباب البيوت في كلّ شهر . وكان يتفقّد الكتّاب والأمراء وغيرَهم بالإنعامات من السكّر وغيره . ويبعث إلى الحَرَمَيْن كلّ سنة عشرة آلاف درهم .

وكان يصوم شهر رمضان ويصلّي . ولم يعرف أنّه صادر أحداً في طول مباشرته ولا نكبه ، ولا ضرب أحداً بالمقارع .

وكان يظنّ أنّ الأمير شيخو لا يمكّن منه أحداً ، ويثق به ويَعتمد عليه ، فوكّله شيخو إلى ما تعلّق به ، وقام الأمير صرغتمش بأمر نكبته ، ولم يجسر أحد أن يتكلّم في خلاصه من يده .

ولم يعرف قبله أنّ وزيراً نكب بغير يد السلطان سواه ، فإنّه لم ينكبه إلّا الأمير صرغتمش .

1510 - أبو محمد البيّاسي الكاتب [555 - 635][2]

/عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان ، الإمام أبو [179 أ] محمد ، الثّقفيّ ، الأندلسيّ ، البياسي ، المالكي ، الكاتب .

مولده ببياسة في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة . ولقي أبا القاسم السهيليّ وغيره .

وله شعر حسن .

---

(1) في السلوك ، 2/ 906 : رابع عشر .

(2) التكملة 3/ 478 (2806) - الوافي 17/ 51 (46)

توفّي بالقاهرة في سابع عشر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستّمائة .

1511 – ابن تافراجين [– 760][1]

عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن تَافِرَاكيْن الحاجب ، أبو محمّد ، التونسيّ ، شيخ الموحّدين .

كان بنو تافراكين من بيوت الموحّدين في تينمال ، ولهم التقدّم من أيّام عبد المؤمن بن عليّ ، وفي أيّام بنيه ، إلى أن كان عبد العزيز جدُّ هٰذا الحاجب ، وهو على التقدّم فيهم .

فلمّا ٱختلّ سلطان بني عبد المؤمن بمرّاكش قدِم أحمد بن عبد العزيز وأخواه محمد وعمر إلى تونس ، فولّاه السلطان أبو حفص على قَفْصَة ، ثمّ على المهديّة . وكان السلطان أبو عَصِيدة يستخلفُه على الحضرة إذا خرج منها حتّى مات .

ونشأ ٱبناه أبو محمد صاحب الترجمة ، وأبو العبّاس أحمد في حِجرِ الدولة فٱستخلص أبو ضَربَة محمد بن أبي يحيى زكريا اللحيانيّ أبا عبد الله ، وما زال معه حتّى تفرّقت جموعه فلحق بالسلطان أبي بكر . وترقّى في خدمته حتّى ولّاه الوزارة . ثمّ قدّمه شيخاً على الموحّدين في سنة ٱثنتين وأربعين وسبعمائة .

وبعثه إلى ملك فاس مع ٱبنِه أبي زكريا صاحب بجاية صريخاً على بني عبد الواد ملوك تلمسان .

وما زال يَرجع إليه في المشورة والتدبير ويُعَوّل على رأيه إلى أن تقلّد الحجابة في سنة أربع وأربعين [وسبعمائة][2] وفوّض إليه السلطان أبو بكر ما وراء بابه ،

---

(1) ابن تافراجين : انظر رسالة برونشويك : تاريخ إفريقيّة في العهد الحفصيّ ، تعريب حمّادي الساحلي ، دار الغرب الإسلاميّ 1989 (الفهرس) .
(2) في تاريخ الدولتين للزركشي ، 77 : تقلّد الحجابة عوضا عن الحاجب أبي القاسم ابن عبد =

وعقد على الوزارة لأخيه أبي العبّاس أحمد .

وصار أبو محمد يلازم الباب ويدفع أخاه أبا العبّاس إلى الحرب وقيادة العساكر حتّى قتل بيد سحيم من العرب في أوّل سنة سبع وأربعين [وسبعمائة] ، وقد خرج لجباية هوارة .

ولم يزل أبو محمد مستبدًّا بالمملكة حتّى قدم السلطان أبو الحسن من فاس إلى إفريقيّة وملك تونس . فتحيّل في الخروج من عنده ولحق بالعرب وقد أقاموا أحمد بن عثمان بن أبي دبّوس[1] سلطاناً فقلّدوه حجَابتَهُ[2] وبعثوه إلى حصار قصَبة تونس ، وقد خرج عنها أبو الحسن لقتال العرب وترك بها حرمَه وأولادَه . فنزل عليها أبو محمّد[3] بسلطانه ونصب المجانيق عليها فلم يُغن شيئاً حتى قدم السلطان أبو الحسن من القيروان في [يوم] النحر إلى تونس . فتسلّل أبو محمد من أصحابه وركب البحر في شهر ربيع الأوّل[4] سنة / تسع وأربعين [179ب] [وسبعمائة] إلى الإسكندريّة وقدم القاهرة واتّصل بالأمير بيبغا أروس القاسميّ نائب السلطان .

فبعث السلطان أبو الحسن [المريني] في طلبه فلم يُسلِمه الأمير بيبغا أروس ، وجهّزه للحجّ في سنة خمسين . فحجّ واجتمع في حجّه بعُمر بن حمزة

= العزيز الغسّاني الذي توفّي في مستهلّ سنة 744 ، وبخصوص الحجابة في الدولة الحفصيّة انظر مقدّمة ابن خلدون ، 241 .

(1) أحمد بن عثمان بن أبي دبّوس : له ترجمة في المقفّى رقم 482 (ت بعد 748) وهو هناك : أحمد بن عبد السلام بن عثمان . وقال الزركشيّ : « وكان بتوزر أحمد بن عثمان بن أبي دبُّوس – آخر خلفاء بني عبد المؤمن – وكان خيّاطاً فجاؤوا به ونصبوه للأمر » (الدولتين 84) .

(2) في المخطوط : حاجبه ، والإصلاح من تاريخ الدولتين : « فخرج إليهم [ابن تافراجين] فقلّدوه حجابة سلطانهم أحمد ابن أبي دبُّوس ، ثمّ دفعوه لمحاربة مَن بقصَبة تونس ، فنازَلها ونصب المجانيق عليها فلم تُغنِ شيئاً (الدولتين 84) .

(3) أي ابن تافراجين ، وسلطانه هو الخيّاط المشار إليه آنفاً .

(4) في شهر ربيع الآخر عند الزركشي 85 .

آبن أبي الليل ، وتعاقدا على الرجوع إلى إفريقيّة والتظاهر على أمرها .

وعادا ووافقا العرب على المكر بالسلطان أبي العبّاس الفضل ابن السلطان أبي بكر ، وزحفوا إلى تونس . فخرج إليهم السلطان أبو العبّاس فقبضُوا عليه .

ودخل أبو محمد ابن تافراكين تونس لإحدى عشرة من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ، وأقام الأمير أبا إسحاق إبراهيم ابن السلطان أبي بكر في المملكة ، وهو غلام لم يبلغ الحلم . وقتَل أبا العبّاس الفضل ، وقام بأمر الدولة وحجّر على السلطان ، وآستبدّ بالأمور كلّها . فنقَم عليه الأمراء شأنَ آستبداده .

وشمّر أبو العبّاس أحمد بن مكّي متولّي قابس لِلسعي عليه لمنافسةٍ كانت بينهُما ، وآستعان بأولاد مهلهل ، فشنّوا الغارات على الضواحي وجمعوا الناس . فبعث إليهم أبو محمد عسكراً في سنة آثنتين وخمسين [وسبعمائة] فكسروه ، وجبَوا أموال النواحي ، وظاهروا الأمير أبا زيد عبد الرحمان ابن الأمير أبي زكريا يحيى صاحب قسنطينة ، وزحفوا به في سنة ثلاث وخمسين .

فجهّز أبو محمد السلطان أبا إسحاق وأخرجه إليهم فهزموه ونازلوا تونس أيّاماً ، ثمّ مضَوا عنها إلى القيروان ، ثمّ إلى قفصة .

ولم يزل الحاجب أبو محمد على آستبداده بالأمور حتّى مات أوّل ستٍّ وستّين وسبعمائة ، فشهد السلطان جنازتَه حتّى دُفِن بالمدرسة التي بناها[1] .

وآستبدّ بعد موته [أبو إسحاق] بسلطانه وولّى حجابتَه أبا عبد الله محمد ، ابن الحاجب أبي محمد .

---

(1) مدرسة ابن تافراجين تقع في حومة حوانيت عاشور بِمدينة تونس قرب مقام الشيخ إبراهيم الرياحيّ ، وهي الآن محلّ سكنى . انظر في شأنها : تاريخ معالم التوحيد للشيخ محَمد ابن الخوجة تحقيق حمّادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى ، دار الغرب الإسلاميّ 1985 ص 279 هامش 1 .

1512 - أبو محمد الرّيغي المغربيّ [549 - 645] [1]

/عبد الله بن إبراهيم بن سعيد بن القائد ، أبو محمد ، الهلاليّ ، الريغيّ - [180 أ] بالغين المعجمة - المالكيّ ، الفقيه ، الخطيب ، الحاكم .

تفقّه بالإسكندريّة وسمع الحديث بها من الفقيه أبي الطاهر إسماعيل بن مكّي ٱبن عوف ، والفقيه أبي القاسم مخلوف بن علي بن جارة .

وأجاز له الحافظ أبو الطاهر السِّلفيّ .

وقدم مصر وسمع بها الإمام أبا القاسم الشاطبيّ ، وٱشتغل بها مدّة ، ثمّ أعاد بالمدرسة المجاورة لجامع مصر .

وتوجّه إلى الإسكندريّة ووليَ القضاء بها بعد موت أبي القاسم عبد الرحمان ٱبن سلامة ، وذلك في سنة ثلاث وستّمائة . فحُمِدت سيرتُه وٱشتهرت ديانتُه وثبوتُه في الأحكام وصلابتُه . وقدم مصر بعد هٰذا مرّاتٍ .

قال الحافظ زكيّ الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري ، وقد ذكر ما تقدّم : ٱجتمعتُ به وسألتُه الدعاءَ وذاكرتُه مَن سمع فذكر لي ما قدّمتُه . وحدَّث بالإسكندريّة بكتاب الموطّإ ، ولم أجد معه شيئاً من مسموعاتِه . ورغبتُ إليه في الإجازة لي ولأولادي فأجاب إلى ذلك ، وكتب به خطّه ، وهو أحد العلماء العاملين . ورواؤه يشهد بمَا ٱشتمل عليه باطنُه من الخير والدين . سألتُه عن مولده فذكر ما يدلّ أنّه سنة تسع وأربعين ، أو سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . وبلغنا أنّه توفّيَ بالإسكندريّة في ليلة الأحد ودُفن يومَ الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وستّمائة رحمه الله .

---

(1) أعلام النبلاء ، 23/ 272 (183) وزاد في نسبه : المغربيّ . وقال : ولد بالريغ وهي ناحية بجنوب المغرب ، من عمل قسطيلية من بلاد الجريد .

1513 – ابن الفقيه نصر [605 –][1]

[181 أ] / عبد الله بن إبراهيم بن نصر بن ظافر بن هلال ، جلال الدين ، أبو محمد ، ابن برهان الدين أبي إسحاق ، ابن زكيّ الدين أبي الفتح ، الحمويّ ، المصريّ ، المعروف بآبن الفقيه نصر .

ولد بمصر سنة خمس وستّمائة .

وحجّ . ففكّر يوماً بمكّة في عمره وكونه يذهب ، وما حصل على ما يؤمّله ويرضاه ثمّ نظم ، من شعره [بسيط] :

هَا أكثرُ العمر قد ولّى وقد ذهبَا ... وما حصلتُ على شيءٍ ، فواحربا !

فدخل عليه الإمام العارف شيخ المجاورين تقيّ الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد الواحد بن مرا الحورانيّ ، فقال له : ما في هٰذه الورقة ؟

قال : قد عملتُ هٰذا البيت .

فأخذ الورقة من يده وكتب تحت البيت :

هٰذا مقالُ آمرىء بالوهم قد حجبا ... لظنّه أنّه يمحو الذي كُتِبا
الدينُ والعمرُ لله العظيم وقد ... أحصاهُما سابق العلم الذي وجبا
وليس للمرء شيءٌ منهما أبداً ... فكيف يحسن منه القول : واحربا ؟

---

(1) في أعلام النبلاء ، 19 / 136 (72) ترجمة لفقيه شافعيّ مقدسيّ ، يدعى الفقيه نصر وآبن أبي الحافظ (ت 490) وهو نصر بن إبراهيم ، فلا يمكن أن يكون جدّ هٰذا المترجَم . ولقب الفقيه نصر مشترك إذن – وفي حسن المحاضرة ، 1/ 566 ترجمة وجيزة للبرهان ابن الفقيه نصر « من شعراء مصر » ولعلّه أبوه . وذكره ابن فضل الله ، مسالك ، 18/ 189 وقال : لا أعرفه بغير هٰذا .

1514 - أبو محمد الشرائحيّ الحافظ [748 - 820][1]

عبد الله بن إبراهيم بن خليل بن عبد الله بن محمود بن يوسف بن تمّام ، أبو محمد ، الشرائحيّ ، البَعْليّ ، الدمشقيّ ، الحافظ .

ولد في شهر رجب سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وسمع على آبن أميلة جامعَ الترمذي وسننَ أبي داود . وسمع على جماعة من أصحاب الفخر وأصحاب آبن القوّاس ، وابن عساكر وأصحاب التقيّ سليمَان ، وأصحاب الحجّار .

وسمع على زينب بنت الكمال . وأكثر من السماع ، وعرف العالي والنازل ، وشارك في فنون الحديث .

وقدم القاهرة في الجفل سنة ثلاث وثمانمائة ، وحدّث بالكثِير ثمّ رجع إلى دمشق . وكان أمّيًّا لا يكتب ، وفي بصره ضعف كبير .

ومات في ثالث المحرّم سنة عشرين وثمانمائة .

1515 - أبو محمد الأصيليّ الأندلسيّ [324 - 392][2]

/عبد الله بن إبراهيم [بن محمد] الأصيليّ ، أبو محمد . [182ب]

أصله من كورة شُذُونة من بلاد الأندلس . وكان جدّهُ من مسالمة أهل

---

(1) الدليل الشافي ، 381 (1305) - الضوء اللامع ، 5 / 2 (5) .

(٢) ترجمته في معجم البلدان (أصيلة) ومدارك عياض 7 / 135 وهي ترجمة طويلة وقال فيها : مولده سنة 324 ، وتاريخ ابن الفرضيّ 1 / 290 (760) وجذوة المقتبس وزاد في نسبه بعد جدّه محمد : ابن عبد الله بن جعفر الأمويّ ، وتذكرة الذهبيّ 1024(954) وأعلام الزركليّ 4 / 187 . وشجرة النور الزكيّة ، 100 .

الذمّة بها . وكان والده إبراهيم يُلَقّب « زقّ الإبرة » لشكاسة كانت في خلقه ، ورثها عبد الله عنه . ووالده إبراهيم هو الذي رحل به إلى أصيلة من بلاد العدوة وسكنها فنشأ بها عبد الله ، ثمّ رحل وطلب العلم بالآفاق ودخل الأمصار ، فأوغل في بلاد المشرق فكان من جلّة العلماء ، ولقي الرجال ، وتفنّن في الرأي وحذق في الحديث وأبصر عِلَله . وروى كتاب البخاري فأبرّت روايته على رواية مَن قبله [...][1] وألّف كتباً كثيرة نفّاعة منها كتاب « الدليل على أمّهات المسائل » في السنّة[2] .

وسمع الخليفة الحكم بخَبَره وهو بالمشرق ، وكان مُعتَنِياً بهٰذا الشأن فاستجلبه من العراق وأقبل نحو الأندلس . فلمّا وصل منها إلى المريّة مات الحكم فانعكس أمَلُه وبقِي حائراً ، وكان مقلاًّ .

ثمّ نهض إلى قرطبة حضرة السلطان ونشر بها علمَه فشهر ذكرُه ، وشرق فقهاؤها بمكانه ، وبقي بها مدّة مُضاعاً حتّى همّ بالانصراف إلى المشرق .

فلمّا كانت أيّام المنصور محمد بن أبي عامر ، وعرَف مكانَه في العلم وبُعد أثره في طلبه ، وكنه قيامه به ، وحفظه ونبله ويقظته ، رغب في اتّخاذه واصطناعه . وكان أوّل ما وصله به من أسباب النباهة أن أمر بإجراء الرزق عليه باسم المقابَلة[3] فنعشه به . ثمّ أخرج أمرَ السلطان الأكبر بتقديمه إلى الشورى .

= وتنفرد ترجمة المقفّى مع ترجمة القاضي عياض بِمَعلومات : أنّ أصله من شذونة وإنّما انتقل إلى أصيلة بالمغرب ، وأنّ جدّه ذمّيّ ، لعلّه كان يهوديّاً أسلم فتسمّى بِمحمّد ، ولقب والده ، زق الإبرة ، وأنّه لحقته نوائب ومحن .

(1) بياض في المخطوط بقدر أربعة أسطر . ولعلّ المقريزي ترك هٰذا الفراغ لتعميره بأسماء شيوخه وتلاميذه على عادته في تراجم العلماء . وهؤلاء الشيوخ مذكورون في بقيّة المصادر .

(2) في المصادر الأخرى : كتاب الدلائل (عياض) ، كتاب الدلائل في اختلاف العلماء (الذهبي) ، الدلائل على أمّهات المسائل (ابن الفرضيّ ، وزاد : هو في اختلاف مالك والشافعيّ وأبي حنيفة) . وزاد مخلوف : شرح به الموطأ .

(3) هكذا في المدارك 7/ 137 ، ولا نفهم المقصود .

ثمّ ولي قضاء سرقسطة .

وكان من حفّاظ رأي مالك بن أنَس ، إلّا أنّه كان على مذهب العراقيّين من أصحابه في وضع الحِجاج والتكلّم على الأصول وترْكِ التقليد . وكان مع ذلك من أعلم الناس بالحديث وأنقدهم له ، وأبصرهم بعلله ورجاله . وكان يحضّ أصحابه على طلب الحديث وٱكتتابه ولا يرى أنّ من خلا من علمه فقيهٌ على حال .

وكانت وفاته سنة ٱثنتين وتسعين وثلاثمائة على إثر موت [المنصور] ابن أبي عامر . فدُفن بمقبرة الرصافة ، وصلّى عليه القاضي أبو العبّاس بن ذكوان .

1516 – عبد الله بن طباطبا العلويّ [286 – 348][1]

/ عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طَبَاطَبا بن إسماعيل [183 أ] الديباج بن إبراهيم الغَمْر بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، الشريف أبو محمد بن [....] .

ولد في سنة ستٍّ وثمانين ومائتين ، وتوفّي بمصر في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

وكان عين بني علي كلّهم بمصر ، وله ضياع ورياع[2] ، ونعمة ظاهرة ، وعبيد وحاشية وغاشية[3] ، لا يركب إلّا في موكب من أهله وخاصّته ومَن في جملتِه ومَن يلقاه .

(1) الوافي ، 17/ 42 (35) – أعلام النبلاء ، 15/ 496 (178) . وفي ترجمته بوفيات الأعيان ، 3/ 81 (342) أنّ وفاتَه كانت في 4 رجب .

(2) الرياع جمع رَيع : الغلّة والمرجوع من فلاحة وغيرها . وفي الوفيات : رباع .

(3) الغاشية : الخدم والزوّار .

وكان الإخشيد أبو بكر محمد بن طغج أمير مصر قد اختصّ به . وكان يسايرُه إذا ركب . وكان مع هٰذا من أهل الستر والصيانة والعفاف والإفضال ، مُعدَّلاً عند القُضاةِ متمكّناً عند السلطان يجلس في أرفع مجلس .

وكان ندًّا لأبي محمد الحسن بن طاهر بن يحيى[1] إلى أن مات . فصار ندًّا لابن أخيه أبي جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر لا يلتقي معه إلّا في مجلس السلطان أو في قضاء حقٍّ لأحدهما .

وكان لعبد الله إنعامٌ كثير ، فيرسل إلى كلّ مخالطٍ له أو منقطع إليه القمحَ والضحايا في كلّ سنة . ومنهم مَن يرسل إليه الحطب مع القمح من ضياعه . وكان يرسل إلى أبي القاسم أونوجور بن الإخشيد أمير مصر وإلى أخيه الضحايا : النوق والبقر والكباش . وكان ينفذ إلى كافور الضحايا ، وإلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات .

وكان يرسل الحلواء[2] المعمولة في داره فينفذ إلى كافور في كلّ يوم جامَين ، وإلى الوزير أبي الفضل وإلى سائر الرؤساء ومن يختصّ به . فكان منهم من يرسل إليه الحلواءَ في كلّ يوم ، ومنهم من يرسل إليه بين يومين ، ومنهم من يرسل إليه في كلّ جمعة . وكان في داره رجل يكسّر اللوز للحلواء بدينارَيْنِ في كلّ شهر[3] . وكان يرسل إلى كافور في كلّ يوم جامَين حلواءَ ، ورغيفاً في منديل

---

(1) ابو محمد الحسن بن طاهر بن يحيى : هو حسينيّ مثل ابن عمّه الشريف مسلم بن عبيد الله ابن طاهر . أمّا عبد الله بن طباطبا فَحَسَنيّ . وانتساب الحسن بن طاهر إلى ذرّية الحسين لم يثنه عن خدمة الإخشيد وحتّى عن ملاقاة المتّقي العبّاسي (ابن سعيد : المغرب – قسم مصر ، 192) . والمقريزي هنا يسوّي بين الرجلَين في المنزلة ، كمَا فعل ابن سعيد ، 166 ، إذ قال : هذا حسنيّ ، وهذا حسينيّ وبينهُما عداوة الرئاسة والاختصاص .

على أنّ اختصاص الحسينيّ بالإخشيد كان أقوى : فقد توسّط بينه وبين ابن رائق ، ثمّ بينه وبين سيف الدولة الحمدانيّ فقال ابن سعيد : وأكثر نعمته اكتسبها في هذه الوساطة (المغرب ، 189) .

(2) الحلواء والحلوى بمعنى .

(3) في الوفيات : بدينارين في الشهر ، والعمل من أوّل النهار إلى آخره . =

مختوم ، فخوطب كافور في الرغيف وقيل له : الحلواءُ أحسن ، وأيّ شيءٍ تصنع بالرغيف ؟

فأرسل إليه : يجريني الشريفُ على عادته في الحلواء ، ويعفيني من الرغيف .

فركب إليه وقال : أيّدك الله ! إنَّا ما نُرسل الرغيفَ تطاولاً ولا تعاطياً[1] ، وإنّما هي صبيّة / حسنيّة بكر تعجنه بيدها وتخبزه بيدها ، فنرسله على سبيل [183ب] التبرّك . وإذا كرِهتَه قطعناه .

فقال : لا والله ، لا تقطعْه ! ولا يكون لي غداء سواه .

وكان عبد الله حسن المعاملة . يوفّي[2] معامليه ، حَسَن الإفضال عليهم ، ملاطفاً لهم ، يركب إليهم وإلى سائر أصدقائه ، ويقضي حوائجهم ، ويطيل الجلوسَ عندهم . وأغنى جماعة[3] وكان حافظاً لمخلّفيهم . وله مع ذلك برّ كثير . قال ابن زولاق[4] : حدّثني قال :

رأيتُ فيمَا يراه النائمُ ، ولي أقلّ من عشرين سنة ، كأنّ طاقاً مفتوحاً في السماء ، فصعدت منه ومشيتُ حتى انتهيتُ إلى بيت في صدره سرير أسود عليه امرأة أعلم أنّها خديجة زوجة رسول الله ﷺ . فسلّمتُ عليها فقالت لي : مَن تكون ؟

فقلت : عبد الله بن الحسين بن طباطبا .

= وفي رواية الداوداري (الدرّة المضيئة ، 146) – وهو ينقل عن ابن خلّكان – أنّ الأجرة ديناران في كلّ يوم .

(1) في الوفيات : تعاظماً . والتعاطي : التغالب في العطاء .

(2) في الوفيات : في ، عوض : يوفي .

(3) زاد ابن خلّكان : وكان حسنَ المذهب ، أي معتدلاً في تشيّعه .

(4) ابن زولاق المؤرّخ (306 – 387) لهَ ترجمة في هذا الكتاب (رقم 1145) ، ويبدو أنّه عرف هذا الطباطبائي .

فصفّقت بيديها وقالت : يا فاطمة ، قد جاءك ولد .

فخرجت فاطمة مِن على يسار خديجة ، فقمتُ إليها فقبّلت يدها وجلستُ . ثمّ خرج كهلانِ أعلم أنّهما الحسن والحسين ، فقمتُ إليهما فقبّلت يد الواحد فقال لي : « عمّك ! » ، وأشار إلى الحسين . ثمّ جلسوا ، ثم خرج أمير المؤمنين[1] ، فقاموا كلّهم له . وجلس . ثمّ رأيتُ خديجة متحفّزة تريد النزول من السرير ، ورأيت الجماعة قد اشرأبّوا ، ونزلت خديجة وخرج رسول الله ﷺ فقاموا كلّهم وقمت . فأنكببْتُ على قدميه أُقبِّلُهما فمنعني وقال : لا تصنع هٰذا بأحدٍ !

ثمّ جلسوا يتحدّثون ، فما أنسى حديثهم ، وهواءٌ يخرج من ذلك البيت يكاد يأخذ روحي ، إلى أن قال لي النبي ﷺ : قم !

فقلت : يا رسول الله ، إنّي أريدُ المُقام عندكم .

فقال : قم .

فأخذ بيدي وأنزَلني من الطاق ، ويدي في يده ، وهو يقول لي : بلغت ؟

فقلت : « لا » إلى أن بلغ إبهامُ رجلي الأرضَ ، فقال : بلغت !

فقلت : لا .

فقال : بلى ! بلغت ولكنّك تتثبّت .

فلمّا حصلت رجلي على الأرض ، انتبهتُ بصرع ، وأنا لا أعقل . وجاؤوني بالمعزّمين[2] ، وعلّقوا عليّ التعاويذ ، فأقمتُ لا أعقل نحواً من شهر . ثمّ إنّي أفقتُ وفتحت عينيّ ، فاستبشر أهلي وسألوني . فحدّثتُهم بعد أيّام . وبلغ [الحديث] أبا عبد الله الرسيّ فركب وجاءني وسألني ، فحدّثته فبكى وقال :

---

(1) أي علي بن أبي طالب ، وهذا اللقب مخصوص به عند الشيعة .

(2) المعزّمون : الذين يقرؤون العزائم ، أي الرُقَى .

ليت عيني كانت معك ! لقد شاهدتَ يا عبد الله مشهداً عظيمًا وليكوننَّ لك شأن !

وكان عبد الله جريئًا في المجلس طلق اللسان . فحدّثني عنه أحمد بن أبي عمرو الحكيم قال : حدّثني عبد الله بن / أحمد قال : تعرّضنا أبو علي الحسين [184 أ] ابن أحمد بن زنبور عامل الخراج ، في ضياعنا ، فشكوت أنا وأخي إلى أبي عبد الله الرسيّ فركب معنا إليه وقال له : أيّدك الله ، هؤلاء وَلَدُ أبي جعفر ، وحقّهم واجب ، وقد آذاهم عمّالُك في ضياعهم .

فقال أبو علي : دعني الساعة من هٰذا المعنى ! إنّ عند عجائزهم دعاءً يتوارثونه ، فأحبّ أن تطلبَه لي منهم . (قال عبد [الله] بن أحمد) : فقلت له ، وأنا حدث : الدعاء عندنا وما يساوي شيئاً ، فلا تطلبه !

فقال : كيف ؟

فقلت : إنّا ندعو به عليك من مدّة فما استجيب !

فصاح أبو عبد الله الرسيّ : يا غلمان ، أخرِجوهُمْ !

فقمت أنا وأخي ، فقال لي أخي : أيّ شيءٍ كان لك في هٰذا من الفائدة ؟

فقلت له : قد كان ما كان .

ووقفنا للرّسّي حتّى خرج إلينا . فخرج رجل وقال : أبشِروا ! فإنّ الشريفَ قال له بعد خروجكم : أيّدك الله ، لا تُسِرَّ ما[1] علمت لهم . فالدعاء والله عندهم ، وما آمن أن يَكونوا قد دَعوا به عليك .

فاضطرب وقال : يا أبا عبد الله ، أيّ شيء الرأي ؟

قال : تكتب بصيانتهم وحفظ ضياعهم .

---

(1) في المخطوط : يا علمت .

[184ب] فقال : والله / لا كتَبْتُهُ إلّا بخطّي !

وهوذا يكتُبه .

ثمّ خرج الرسّيّ وفي يده الكتاب . فأعرض عنّا وسرنا خلفَه . فلمّا صار عند دار العنقود قال : أين عبدُ الله ؟

قلت : لبّيك !

قال : هات فمَك ! فما أنسى[1] حلاوة كلامك ، كثّرَ الله في أهلك مثلك !

وحدّثني عبد الله بن أحمد قال : لبس [أبو] عبد الله بن طباطبا ابن خالي السيف والمنطقة . فكنت يوماً في مجلس تكين أمير مصر ، وحضر قوّاده حتى دخل عليه أبو عبد الله بالسيف والمنطقة . فقال عليّ الليّن : أيّها الأمير ، أيطمع أبو عبد الله في السيف والمنطقة ؟

فقلت : ما أصفقَ[2] وجوهَكُم ! ولمن السيف والمنطقة ، إلّا لأبي عبد الله ومجدِه وأهلِهِ ؟ وإنّما العجب منكم في العبيد والإماء !

وحدّثني أبو محمد عبد الله بن يحيى بن طاهر بن الشويخ قال : غرّني قَوْم في أوّل ما دخلت مصر فتقبّلت من أبي بكر محمد بن علي الماذرّائي ضيعةً بألفِ دينار عقدت لي أربعمائة دينار وكسراً . فكلّمتُ أبا جعفر مُسلِّماً في أن يكلّمه ، وكلّمتُ عمّي في أن يكلّمه فلم يفعلا . فقلت : والله لأمضينّ إلى عدوّهم ! [185 أ] فمضيتُ إلى عبد الله بن أحمد / فعرّفته فقال : إنّي والله [أ]قدم[3] .

وركب معي إلى أبي بكر محمد بن علي فقال له : يا سيّدي ، هٰذا الفتى

---

(1) في المخطوط : فمَا في أنس ...
(2) الوجهُ الصفيقُ : الوَقِحُ .
(3) في المخطوط : قدموا ، ولم نفهمها .

يُحْرَمُ : غرُّوه في ضيعة حتى أخذها بألف دينار ، ولم تعقد له إلّا أربعمائة .

قال : نعم ! خَراب .

ثمّ قال له عبد الله : وقد تحمّلت عنه من مالي خمسمائة دينار لشرَفه ولَرحمِه من رسول الله ﷺ ، وحَمْلاً عنه .

ففتح أبو بكر محمد بن عليّ الدواة ووقّع له بالاحتساب بخمسمائة دينار . فشكره وقام وقمتُ . فلمّا خرجنا قال لي : يا شريف ، لم أجِيء على هٰذا ، ولم يكن للكلام وجه سوى قولي إنّي تحمّلتُ عنك خمسمائة دينار فاحتشم . وقبيح بشيخٍ شريفٍ مثلي أن يقول ما لم يفعل . أو رُدَّ هٰذا التوقيع على كاتبه وخذ خطّه بالاحتساب به ، وها أنا ذا أَكتُبُ[1] إلى ضيعتي معك بخمسمائة دينار لك . فخذ الكتاب واخرج وحصّل ما حصل من الضيعة ، بارك لله لك فيه[2] .

(قال) وكان أوّلَ مال جمعتُه . فرحم الله عبد الله بن أحمد !

ولمّا توفّي ابن عمّه علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن طباطبا المعروف بالجمل ، ركب كافور ومولاه في الحياة[3] وقصدوا لعبد الله ابن أحمد ليعزّوه ، فما لقيَهم إلّا راكباً . فلمّا فرغ من الصلاة قيل له : قد جاءك الأستاذ كافور .

فقال : راكب أو ماشٍ ؟

ثمّ قال : يكون بغلي خلفي ، خوفاً أن يكون راكباً . فركب فلقيَه كافور ماشياً وعزّاه .

ولمّا لحقته العلّة في لسانه[4] أوصى وباع عدّة من ضياعه وقضى دينَه

---

(1) في المخطوط : وهو ذا اكتب .

(2) وردت هذه الفقرة مضطربة . وفهمنا منها أنّ الطباطبائيّ تبرّع للشاكي بخمسمائة دينار وبضيعة .

(3) هٰكذا في المخطوط ولم نفهم الحياة هنا .

(4) في الوفيات أنّه أصيب بتورّم في حنكه « وكانَت علّةً غريبةً لم يعهد مثلُها » .

وحبّس داره على أبيه وعلى ولده من بعده . وأخرج ودائع كانت عنده فدفعها إلى أهلها . فلمّا بلغ وَلَدَه بيعُ الضياع وحبس الدار قال : « أفقرني ! » فبلغه فقال : « لا نفعَه الله بنفسه ولا بعمره ولا بالدار ! » فكان كذلك : زمن[1] من يده ومات بعده بيسير .

قال ابن زولاق : ورأيت أبا جعفر مسلماً في جنازة عبد الله بن أحمد ماشياً بنعلٍ من داره إلى المصلّى ، ومشى أكثر الناس لمشيه ، وحضر كافور ومولاه .

وحدَّثني أبو جعفر الحاسب قال : حدَّثني صديقٌ لي قال : وقفت بقبر عبد الله بن أحمد فترحّمتُ عليه وذكرت إفضالَه فقلت [وافر] :

وخلّفتَ الهمومَ على أناسٍ وقد كانوا بعيشك في كَفَافِ

(قال) فرأيتُه في المنام وهو يقول لي : قد سمعتُ ما قلت ، وحِيلَ بيني وبين الجواب والمكافأةِ . ولكن ، صر إلى مسجد حامد وصلِّ ركعتين وادعُ / [185ب] يُستجَبْ لك !

وحدَّثني أحمد بن عبد الله الحسينيّ قال : قال لي صديق لي : حَجَجْتُ سنةَ حجّ ملاك[2] وفاتتني الزيارة لرسول الله ﷺ ، فاغتممتُ . فرأيت النبيّ ﷺ وهو يقول : إذا فاتَتك الزيارةُ فزُرْ قبرَ عبد الله بن أحمد بن طباطبا .

ودخل الجامع فلم يجد مكاناً في الصفِّ الأوّل فوقف في الصفِّ الثاني . فالتفت إليه أبو حفص بن الجلّاب وتأخّر ، فتقدَّم الشريف مكانه . وكافأه على ذلك بنعمة حملها إليه ، ودار ابتاعها له ، ونقل أهله إليها بعد أن كساهم وحلّاهم .

وأهدى مرّة إلى أبي جعفر الطحاوي[3] كتباً ورثها عن مولى له قيمتها ألف

---

(1) زمِن بوزن فرح : أصابته الزمانة ، وهي تعطّل بعض الأعضاء .
(2) هكذا في المخطوط وقد تكون : جلدك أو بلدك .
(3) الطحاويّ (أحمد بن محمد – ت 321) له ترجمة في المقفّى : س 666 .

دينار .

واستعقد مرّة ضياعاً من أبي بكر محمد بن علي الماذرَّائي بثمانية وعشرين ألف دينار . فلمَّا خرج أبو بكر إلى الحجِّ سار معه إلى القلزم وسأله أن يرفق به في الاستخراج . فكتب إلى خليفتِه : إنِّي قد أدَّيتُ جميع المال . ثمَّ قال لعبد الله : هي لك هديَّةً .

والطباطبائيّ نسبة إلى إبراهيم بن إسماعيل الديباج . وعرف بذلك لأنَّه كان يلثغ بالطاء عوضاً من القاف . فقال يوماً بحضرة أمير المؤمنين هارون الرشيد – وأشار إلى بعض الغلمان – : « ذاك يا أميرَ المؤمنين صاحب الطَّبا صاحبُ الطَّبَا » . فلُقِّب طَبَاطَبَا[1] .

وكان يضعّف رضي الله عنه .

وأعقب من خمسة : القاسم الرسّيّ ، والحسن ، وأحمد ، ومن محمد في الصحيح ، ومن عبد الله في الصحيح . وقد ذكرنا القاسم الرسّيّ[2] .

---

(1) في الوفيات رواية أخرى في النطق بطبا عوض قبا . وقيل أيضاً إنَّ طبطبا عبارة فارسيّة معناها سيِّد السادات (انظر فصل ابن طبطبا في دائرة المعارف الإسلاميّة) .

(2) القاسم بن عبد الله مفقود مع حرف القاف .

هٰذا وقد ذكر ابن خلّكان الحادثة المزعومة بين المعزّ عند دخوله مصر سنة 362 وبعض الأشراف العلويّين ، وأنكر أن يكون بطلُها عبد الله هذا الذي توفي سنة 348 ، وافترض أن تكون المساجلة دارت بين المعزّ وعلويّ آخر كالشريف مسلم الحسينيّ أو الشريف إبراهيم الرسيّ ، وقد لقيا المعزّ فعلاً . وقال الذهبيّ في السير : يكون ولد الشريف أبي محمد .

وعبد الله هٰذا شخصيّة حسنيّة ، أي من الفرع المعتدل من العلويّين ، ومكانتُه المادّيّة والأدبيّة التي تبدو من هذه الترجمة ، تدلّ على الاحترام الخاصّ الذي يحظى به الأشراف العلويّون ، مِمّا يؤهّلهم ان يكونوا وسطاء بين العامّة والسلطان ، كمَا فعلوا حين قادوا – أو انضمّوا – إلى الوفد الذي فاوض جوهرا سنة 358 .

1517 – القاضي بهاء الدين ابن الحلبيّ [– 709]

عبد الله بن أحمد بن علي بن المظفّر [...] ، القاضي بهاء الدين ، ابن الحلبيّ ، ناظر الجيوش [بالديار المصريّة] .

سمع من النجيب عبد اللطيف وحدّث عنه .

مات في شوّال سنة [709][1] .

1518 – أبو عبد الدائم اللقانيّ [550 – 635][2]

عبد الله بن بدران بن محمد بن ... علي بن عرام ، أبو عبد الدائم ، الخزاعيّ ، اللقانيّ .

ولد ... سنة خمسين وخمسمائة ....

[...] سنة خمس وثلاثين وستّمائة .

1519 – ابن برّي محشّي الصحاح [499 – 582][3]

[186 أ] /عبد الله بن برّيّ بن عبد الجبّار بن برّي – وقيل : عبد الله بن برّي بن عبد الله بن عبد الله بن برّي – أبو محمد ، ابن أبي الوحش، المقدسيّ، النحوي ،

---

(1) الإكمال من الدرر 2114 .

(2) الترجمة مشوّهة الخطّ .

(3) ترجمة ابن برّي : الوفيات 3 / 108 (353) – إنباه الرواة 2 / 110 (319) – بغية الوعاة 2 / 34 (1364) – ياقوت أدباء 12 / 56 (22) طبقات السبكي 4 / 234 – دائرة المعارف الإسلامية – الوافي ، 17/ 80 (68) – أعلام النبلاء 21/ 136 (69) – حسن المحاضرة ، 1 / 533 (12) .

اللغوي ، نزيل القاهرة .

ولد بمصر في خامس شهر رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وقرأ الأدب على أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني المغربي[1] ، وأبي عمرو عثمان بن عليّ الصقلّي .

وسمع من أبي صادق المديني ، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الرازيّ ، وأبي العبّاس أحمد بن الحطيئة ، وغيرهم .

وروى عنه ابن الجميزي ، وابن المفضّل ، والوجيه القوصي ، والزاهد أبو العبّاس أحمد بن علي بن محمد القسطلاني ، وخلق .

وتصدّر للاشتغال بالنحو في جامع عمرو بن العاصي من سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة .

وكان إماماً مقدّماً في النحو واللغة ، انفرد بذلك في وقته ، وكان جمّ الفوائد ، كثير الاطّلاع ، عالماً بكتاب سيبويه وعِلله ، قيّمًا باللغة وشواهدها ، تخرّج به جمع كبير ورحلت إليه الطلبة .

وله حواشٍ على كتاب الصحاح للجوهريّ . وله أيضاً : جواب المسائل العشر التي سُئل فيها ملك النحّاة[2] . وله مقدّمة سمّاها « اللباب » ، وحواشٍ على درّة الغوّاص ، وجزء في أغاليط الفقهاء ، وكتاب الردّ على ابن الخشّاب في ردّه على الحريريّ .

وكان علّامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره ، اطّلع على أكثر كلام العرب .

---

(1) أبو بكر الشنتريني (ت 550) : بغية الوعاة ، 68 .

(2) ملك النحاة لقب الحسن بن صافي بن عبد الله (انظر السيوطي : الأشباه والنظائر 3 / 171 نقلا عن هامش 2 ج 2 ص 111 من انباه الرواة) . وفي كشف الظنون 1072 أنّ الذي بدأ كتابة الحواشي على صحاح الجوهريّ هو استاذه علي بن القطّاع الصقلّي (ت 515) .

وكان له التصفّح في ديوان الإنشاء ، فلا يصدُر كتاب إلى ملك ولا يُعطى لأحدٍ مرسوم إلّا بعد أن يتصفّحه ويصلح ما لعلّه فيه من خلل .

وكان المصريّون يقولون إنّه لم يأخذ كتاب سيبويه عن أحدٍ ، وإنّما أخذه بالقوّة . فلمّا مات وُجد في أوراق الجزء السادس من سيبويه بخطّ الشيخ أبي بكر الشنتريني ما مثالُه : « قرأ عليَّ الشيخ أبو محمد عبد الله بن الشيخ برّي بن عبد الجبّار بن برّي المقدسي هٰذا الجزء وما قبله من الكتاب ، فكمُل له جميع الكتاب قراءةَ فهم ودراية » . فعُلِم أنّه قرأ الكتاب .

وحكى عنه صاحبُه المختصّ به عبد الخالق بن ريدان المسكيّ قال : لمّا أملى علينا شيخُنا أبو محمد ٱبن برّيّ حواشيَ الصحاح وٱنتهى إلى فصل « رمث » وأنشد الشاهد منه [طويل] :

[186ب] تمنّيت من حُبّي عُلَيَّةَ أنّنا على رَمَثٍ في البحر ليس لنا وَفْرُ[1] /

قال : هٰذا من أبيات لأبي صخر الهذلي ومـ[ـنها] :

أما والذي أبكى وأضحك ، والذي أمات وأحيى ، والذي أمره الأمرُ

وأنشد الأبيات حتى ٱنتهى إلى قوله :

تكاد يدي تندى إذا ما لمستُها وينبُت في أطرافها الوَرَقُ الخُضْرْ

فتبسّم . فسألتُه عن سبب تبسّمه فقال : هٰذا البيت كان سببَ ٱشتغالي بالنحو وٱختصاصي به : وذلك أنّ والدي كان كُتبيًّا في زقاق القناديل بمصر . وكان يجلس إليه وجوه الفضلاء كٱبن أبي حصينة . وظافر الحدّاد الشاعِرَيْن . وغيرهما . فأنشد أبي هٰذا البيت وقال فيه : الورق الخضر بكسر الراء فضحكوا

---

(1) في المخطوط : أنّني : على ... ليس لها ... ، والإصلاح من الصحاح (رمث) ومن أشعار الهذليّين ، 958 . والرَّمَث : الخشب المضموم بعضه إلى بعض في هيئة الزورق .

منه وٱنصرفوا وأبي خجلان . وجئته وهو على تلك الحال من الانقباض والخجل فسألتُه عن خبره . فأخبرَني بالقصّة . ثمّ قال لي : يا ولدي ، متى يحقّق الله عزّ وجلّ فيك رؤياي ؟ فإنّي مترقّب فيك ما بُشّرتُ به في النوم .

فقلت له : وما هٰذه الرؤيا ؟

فقال : رأيت كأنّني في بيت المقدس ، وبيدي رُمحٌ طويل في رأسه قنديل يتوقّد ناراً ونوراً . فحملتُه حتّى ركّزتُه على الصخرة . فأوّلت رؤياي على معبّر فقال لي : يولد لك مولود يشيع ذكْره ويرتفع قدره بمقدار ما رأيتَ من علوّ الرمح وضوء القنديل .

(قال) فوجدت في نفسي نشاطاً وقوّةً وحدث لي في الحال محبّة العلم ، فقلت : أيّ العلوم تؤثر أن أشتغل به ؟

فقال : يا بنيّ ، أوّل ما أريد أن تشتغل به النحو ، فإنّه رأس العلوم ، وبه يعرف تأويل القرآن وحديث الرسول ﷺ . وفائدتي فيه أنّك تتعلّمُه وتَعلِّمُنيه . فقد ٱستحيَيْتُ ممّا جرى عليّ اليومَ .

(قال) فتركتُه وتردّدتُ إلى الشيخين أبي بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني وأبي عمرو عثمان بن عليّ الصقلّيّ . ولي خمسَ عشْرةَ سنة ، فكنتُ أقرأ عليهما وأعلَمُ إلى أن صرتُ إلى ما ترونَ .

وكانت عنايتُه تامّة في تصحيح الكتب ، قلّما ملك كتاباً إلّا وصحّحه وأتقنه .

وكان مع ما آتاه الله من العلم ساذَج الطباع في أمور الدنيا مبارك الصحبة ميمون الطلعة . وفيه تغفّل عجيب يستبعِد مَن سمعه أن يجتمع في رجلٍ متين العلم . وكانت ثيابه وسخةً . وله في التغفّل أخبار شائعة بمصر : منها أنّه ٱشترى خبزاً ولحماً وبَيضاً وحطباً وجعل الجميعَ في كُمِّهِ / وأتى منزله . فوجد أهلَه قد [187 أ] مضَوا لبعض شأنهم ، وباب الدار مغلق . فألقى من كوّة تُفضِي إلى الدار جميع

ما في كمّه، ولم يفكّر في تكسير البَيض وأكل السنانير اللحم والخبز إذا خلت به .

وٱشترى مرّةً عنباً وجعله في كُمّه ومشى وهو يحادث شخصاً ويعبث بالعنب حتّى تخبّص وجرى ماؤه على رجليه . فٱلتفت إلى الرجلِ وقال : أجاء المطر ؟

فقال : لا .

فقال : فما هٰذا الذي ينقط على رجلي ؟

فتأمّله الرجل فإذا هو ماء العنب . فلمّا أخبره بذلك خجل .

ويُحكى عنه من الحذق في العلم وحسن [الجواب عمّا يُسأل عنه ما] يعجب منه .

وكان لا يتكلّف في كلامه ولا يتقيّد بالإعراب بل يسترسل في حديثه كيف ٱتّفق حتّى قال مرّة لبعض تلاميذه : ٱشتر لي هندباً بعروقو .

فقال له التلميذ : هندبا بعروقه !

فعزّ عليه كلامه وقال له : لا تأخذه إلّا بعروقو ، وإن لم يكن بعروقو فلا تأخذه .

وهكذا كان كلامه ، لا يكتَرث بمَا يقولُه ولا يتوقّف على إعراب .

وكان له أخ قد ٱشتهر بالأبنة عند الخاصّ والعامّ . فجاء في بعض الأيّام إلى الشيخ شخص وقال له : أنت ٱبن برّيّ البغّاء ؟

فٱستحيى وقال : ذاك أخي ! ذاك أخي !

وفيه يقول بعضهم [كامل] :

نظر ٱبن برّيّ إلى زبدة ... فَهَوَى ليأخذَها هُوِيَّ الأجدلِ
لو كان يُعطى في الغَداءِ لخُبزها ... ما كان يأخذه لترك الأوّل[1]

---

(1) لم نهتد إلى قراءة صحيحة للبيتَين .

وكان الشيخ قليلَ التصنيف ، [و]إنّما يكتب حواشيَ على الكتب فأفرِدت . ولو كمّل حواشيَ الصحاح لكان عجباً . وإنّما وصل في حواشي الصحاح إلى « وقش » من باب الشين المعجمة ، وكان ذلك مجلّدين ، وهي ربع الكتاب . وكمّل عليه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان البسطيّ إلى آخر الكتاب ، فجاءت التكملة في ستّ مجلّدات وكان جملة هٰذا المصنّف ثماني مجلّدات بخطّ البسطي . وآسم هٰذا الكتاب : « التنبيه والإيضاح عمّا وقع في كتاب[1] الصحاح » وهو كتاب جيّد إلى الغاية .

وتوفّي من مرض الإسهال في ليلة السبت السابعة والعشرين من شوّال سنة آثنتين وثمانين وخمسمائة ، ودُفن بالقرافة .

وبَرِّي بفتح الباء الموحّدة وكسر الراء المهملة وتشديدها ثمّ ياء آخر الحروف .

1520 - ركن الدين ابن أبي البركات النحويّ [637 - 719][2]

عبد الله بن أبي البركات ، ابن أبي الفضل ، النحويّ ، أبو عمر ، رُكن الدين ، ابن أبي الأكرم .

ولد في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستّمائة . وسمع من الرشيد العطّار ، والصابر البجانيّ ، والنجيب ابن أبي الرجاء . وكان شيخاً متواضعاً كثير المداعبة ، له تصانيف ونظم .

ومات في الحادي عشر من رمضان سنة تسع عشرة وسبعمائة . وكان آخر كلامه : « لا إلاه إلّا الله ، فزتُ وربِّ الكعبة ! » وفاضت نفسُه .

---

(1) في المخطوط : في حواشي .

(2) الترجمة مشوّهة الخطّ عسيرة الفهم . وانظر الدرر 2 (2123) .

1521 – الوزير ابن الغنّام [– 741][1]

[188 أ] /عبد الله ابن تاج الرئاسة ، أبو سعيد ، أمين الدين أمين الملك[2]، ابن الغنّام، الوزير الصاحب .

نشأ بديار مصر على دين النصرانيّة ، وخدم بالكتابة الديوانيّة وتدرّب بخاله السديد الأعزّ وهو يلي الاستيفاء . فلمّا مات خالُه رُتِّب عوضَه في الاستيفاء فنال فيه سعادةً طائلة إلى أن كانت واقعة النصارى ومنعهم من ركوب الخيل ، وإلزامهم بلبُس العمائم الزرق .

[فـ]ـأنف من ذلك وأظهر أنّه أسلم في شهر رجب سنة سبعمائة مع مَن أظهر الإسلام منهم ، بعدما اختفى هو والشمس غبريال نحو شهر .

فلمّا أسلم قُرِّر في نظر الدولة عوضاً عَن [. . .] .

ثم فصل من نظر الدولة ونُقِل إلى الوزارة فوليها بعد الأمير بكتمر[3] الحساميّ في يوم [. . .] سادس شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وقد استدعاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وخلع عليه .

فباشر الوزارة إلى أن قُبض عليه وعلى التاج عبد الرحمان الطويل ناظر الدولة

---

(1) الدليل الشافي 384 (1319) – الدرر 2 / 357 (2129) – السلوك 2 / 513 ، 553 . النجوم 9 / 325 (سنة 741) . الوافي ، 17 / 88 (78) .

(2) « أسلم على يد بيبرس الجاشنكير .. ونال من وظيفة الاستيفاء ما لا مزيد عليه ، حتى إنّه وليَ الوزارة ثلاث مرّات . وهو يتأسّف على وظيفته الأولى . . . (الدرر) وفي تعليق المرحوم محمد مصطفى زيادة ناشر السلوك ، 2/ 106 هامش 3 ، أنّ النصارى الداخلين إلى الإسلام يلقّبون عادة بإضافة لقبهم الأصلي إلى الدين . فيقال أمين الدين مثل ابن الغنّام هذا ، وعليه فلا يكون أمين الملك أيضا . هذا ما قاله المحقّق .

(3) بكتمر الحاجب (ت 728) : له ترجمة في المقفّى : س 938 .

في سادس شوّال منها وأُلزِما بمَالٍ فحملاه وهما معوقان مدّة أيّام من غير أن يليَ أحدٌ الوزارة . ثمّ أفرج عنهما في حادي عشر منه وخلع عليهما وأستقرّا على عادتهما .

ولمّا سار السلطان إلى دمشق خرج بعد رحيله من القاهرة في يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوّال سنة ثنتي عشرة [وسبعمائة] . وأقام بدمشق بعد توجّه السلطان منها للحجّ . وأوقع الحوطة على وزير الشام ومباشريه . وطالب محيي الدين بن يحيى بن فضل الله كاتب السرّ بمَال كبير وأغلظ في مخاطبته . وصادر أكثرَ الناس .

فلمّا عاد السلطان إلى مصر ولّى بدر الدين محمد بن التركماني شدّ الدواوين ، وكريم الدين أكرم الصغير نظر الدواوين . فأتّفقا على أبن الغنّام ، نَمَّا عليه عند السلطان أنّه أخذ مالاً كثيراً بدمشق من المصادَرين ولم يحمل منه[1] إلّا ما قلّ ، وساعدَهُما كريم الدين عبد الكريم ناظر الخاصّ . فقبض عليه في يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة [وسبعمائة] وعلى الأسعد غبريال النصرانيّ كاتب الأمير أرغون النائب ، لأتّفاقه مع أبن الغنّام على مُرَافعة كريم الدين الكبير [ابن هبة الله] . وقبض أيضاً على العلم كبيبة كاتب منكلي بغا بهذا السبب أيضاً . وأحضر الثلاثة إلى السلطان فضرب بحضرته أبن الغنّام نحوَ الستّين عصا ، وضُرب غبريال بالمقارع ، وضرب كبيبة بالعصيّ وسلّم ابن الغنّام للأمير بدر الدين محمّد / بن التركماني مشدّ الدواوين وأوقعت [188ب] الحوطة على أسبابه وتعلّقاته . وتولّى مجد الدين سالم بيعَ موجوده في داره مدّة شهر فحمل منها نحو الثلاثمائة ألف درهم عن ثمن أصناف[2] ولم يوجد له درهم ولا دينار .

---

(1) في المخطوط : منها .

(2) ثمن الأصناف : قراءة ظنّيّة .

ثمّ أفرج عنه ولزم داره إلى تاسع عشر ذي الحجّة منها [سنة 713] فطُلب وآستقرّ ناظرَ النظّار عوضاً عن الصاحب ضياء الدين عبد الله بن أحمد النشائيّ بحكم آنتقاله إلى نظر الخزانة بعد وفاة سعد الدين الحسين بن عبد الرحمان الأقفهسيّ .

وأبطل السلطان الوزارة فلم يولِ بعد آبن الغنّام وزيراً .

فلمّا مات تقيّ الدين سعد [الأحول] ابن أمين الملك المعروف بكاتب برلغي وهو[1] في نظر الدولة أفرد أمين الملك آبن الغنّام بنظر الدواوين في خامس عشر رجب سنة ستّ عشرة [وسبعمائة] . ثمّ صرف في رابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة ، ولزم تربته بالقرافة .

وولي عوضَه التاج إسحاق بن القماط ، والموفّق [هبة الله][2] مستوفي سلار ، نُقلا من استيفاء الدولة إلى نظر الدواوين .

ثمّ أخرج في سابع عشر صفر سنة ثماني عشرة على البريد إلى طرابلس ناظراً عليها . وسبب ذلك أنّه لمّا طالت عُطلته آجتمع بالأمير سيف الدين بكتمر البوبكري وبسط لسانَه في كريم الدين الكبير ناظر الخاصّ ، ونسبه إلى أخذ أموال السلطان ونفقها على الخاصكيّة ليقوّوا أمرَه ويشدّوا أزرَه . فبلّغ البوبكريّ كلامه للسلطان فذكره لكريم الدين فلم يظهر حنقاً وقال : هو يا خوَند معذور فإنّه قد بطل ، ولا بدّ له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان .

وعيّنه لنظر طرابلس وقصد بذلك إبعادَه عن السلطان ووضع مقداره . فللحال بعث السلطان إليه خلعة مع بريديّ ليتوجّه به فسار من وقته وساعته .

وأقام بطرابلس إلى أن عفا عنه من مباشرتها في صفر سنة عشرين ، ورسم بإقامته في القدس ورتّب له في كلّ شهر ألف درهم ، وبعث إليه كريم الدين

(1) هنا أيضا كلمة غير مفهومة . وانظر السلوك ، 2 / 166 .
(2) الإكمال من السلوك ، 2 / 172 .

بهديّة سنيّة .

ثمّ لمّا قُبض على كريم الدين في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين آستدعاه السلطان من القدس ليوليه الوزارة ، فقدم على البريد في رابع عشرينه ، وأجلسه السلطان وطيّب خاطره وألبسَه تشريف الوزارة ، فقبّل الأرض ثمّ قبّل يد السلطان . فأكّد عليه في تحصيل أموال كريم الدين حيث كانت وقال له : ما تركتُك في القدس مدّةَ سبع سنين إلّا ذخيرة : خبّأتك لهٰذا اليوم !

ونزل ومعه الحجّاب وأرباب الوظائف إلى قاعة الوزارة بالقلعة وجلس في الشبّاك على عادة الوزراء / وكان قد أُغلق بعدَ عَزله فلم يُفتح حتى عاد ، ولا [189 أ] جلس فيه وزيرٌ غيرَه – وآستقرّ معه في نظر النظّار شرف الدين إبراهيم بن زنبور مستوفي الصحبة شريكاً لموفّق الدين – ثمّ نزل إلى داره ، فكان يوماً مشهوداً . وبثّ الرسل في طلب أتباع كريم الدين وألزامه ، وصادرهم .

فولّى السلطان الأمير مغلطاي الجمالي الأستاداريّة ، وآنضمّ إليه المجد ابن لقينة[1] ناظرُ البيوت في عِدّة من الكتّاب ، وأغروه بآبن الغنّام ونسبوه إلى العجز ، وأنّ الأحوال معه واقفة ، وهو يعرّف السلطان ذلك ، ويشير عليه بأن يولّي الوزارة تركيًّا وهو يقول له : آصبر حتى أعرّفك ما تعمل .

فلمّا أكثر عليه في ذلك آتّفق معه على إقامة الأمير علاء الدين مغلطاي الأستادار في الوزارة ، وقال له : آخرج ونفّذ أشغالك إلى آخر النهار ، ثمّ آنزل إلى بيتك ، وأعلِم الناس أنّ الوزير مغلطاي .

فخرج إلى قاعة الصاحب بالقلعة وأمر ونهى ، وكتب وأطلق ورتّب حتّى مضى النهار . وركب إلى بيته بالفوانيس والمشاعل على العادة ، والناس بين يديه حتى نزل عن بغلته [فـ]ـقال للمستوفين والنظّار وشادّ الدواوين والمقدّمين : يا

(1) إبراهيم بن لقينة ناظر الدولة (ت 731) : له ترجمة في المقفّى : س 299 .

جماعة ، مسّاكم الله بالخير ، وزيركم غداً الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي .

فكان ذلك عزلاً لم يعزله وزير غيره . وأصبح يوم الخميس ثامن شهر رمضان سنة أربع وعشرين فآستدعي مغلطاي الجمالي وخلع عليه للوزارة عوضاً عن آبن الغنّام ، مضافاً للأستاداريّة . ولزم ابن الغنّام داره يأكل مرتّبه إلى ذي القعدة منها ، فألزم هو والموفّق ناظر الدولة بمائة ألف درهم عن ثمن كتاب من الجيزة لزمها بحكم الديوان خَصّ ابن الغنّام منها مبلغ خمسين ألفاً ، وخصّ الموفّق مبلغ خمسة وعشرين ألفاً ، فأخذ ذلك كلّه من جوامك المباشرين كلّهم ، ما بين كاتب ومعامل ، عنايةً بهما .

ثمّ طلب في سابع شوّال سنة ثمان وعشرين ، وخلع عليه وعلى مجد الدين ابن لقيتة بغير طرحات[1]. وآستقرّا في نظر الدولة والصحبة . وكتب استئمار قرىء على السلطان بمَا آستقرّ عليه الحال فوفّر فيه كثيراً من جوامك المباشرين والغلمان ، وقطع منهم عدّة .

ثمّ صُرف بعد أربعين يوماً وأقام بطّالاً حتى طلب وخلع عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين لنظر الشام وما بها من الخاصّ عوضاً عن الشمس غبريال[2] .

ثمّ أحضر بعد قتل النّشو [شرف الدين عبد الوهّاب] إلى القاهرة في ثامن عشر صفر سنة أربعين ، وآجتمع بالسلطان من الغد ، وخلع عليه وأمره بلزوم داره . وولّى عِوضَه في نظر الشام ابن الحرّاني . فأقام بداره بطّالاً حتى قبض عليه في سنة إحدى وأربعين وعلى ولدَيه تاج الدين أحمد ناظر الدولة ، وأخيه كريم الدين مستوفي الدولة . وضُربوا وأُخِذت أموالُهم .

ثمّ قُتل خنقاً في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى [سنة 741] .

ثمّ أفرج عن ولديه بعد أيّام .

---

(1) الطرحة : منديل للرقبة (دوزي) .

(2) شمس الدين غبريال (ت 734) : المنهل الصافي . وآنظر السلوك ، 2 / 106 .

وقد ولي الوزارة ثلاث مرّات .

وكان رضيّ الأخلاق حسَن الشكل حلوَ اللسان . نسخ بخطّه عدّة مصاحف كريمة . وكان يكره قطع الأرزاق فتجنّب في جميع ولاياته قطعَ رزق أحدٍ . وكان عاقلاً كثيرَ التؤدة ظاهر الرئاسة كثير الحِشمة لا يدخل عليه أحدٌ إلّا قام له .

وكان يكتب سريعاً خطًّا مليحاً إلى الغاية .

1522 – أبو ثابت الشَّنهوريّ [570 – 628] [1]

/ عبد الله بن ثابت بن عبد الخالق بن عبد الله بن رومي بن إبراهيم بن [189ب] حسين بن عرفة بن هديّة ، أبو ثابت ، التجيبيّ ، الخطيب ، الشَّنهوريّ .

ولد سنة سبعين وخمسمائة بالصعيد الأعلى فوق قوص ، فاشتغل ومهر .

ومن نظمه [طويل] :

لقد جدتَ حتّى قيل : أنت سحابٌ ... وأعليت حتي قيل : أيّ شِهابِ ! [2]

علمتَ بأنّ المال ليس بخالدٍ ... فها أنت تعطيه بغير حساب

وكانت وفاته في رمضان سنة ثمان وعشرين وستّمائة [بشنهور] .

1523 – عبدويه [– بعد 179] [3]

/ عبد الله بن [عبد ربّه بن] الجارود ، المعروف بعبدويه . [190 أ]

(1) التكملة 3 / 289 (2348) ، والزيادة منها . وقال : شنهور : بلدة من أعمال قوص . وعند ياقوت : سنهور بالمهملة : بين الإسكندريّة ودمياط .

(2) في المخطوط : أنت شهاب ، والإصلاح من الوافي 17 / 98 (79)

(3) البيان المغرب 1 / 86 – الطبري تحت سنة 178 .

تغلّب على إفريقيّة حتى وليَها هرثمة بن أعيَن ، فأطاع عبدويه وسار إلى بغداد .

وكان من خبره أنّ الفضل بنَ رَوح بن حاتم[1] لمّا ولّى المغيرةَ بنَ بشر بن رَوح آبن حاتم تونس ، آستخفّ بالجند ، فأجمعوا رأيهم على عبدويه وأقاموه أميراً عليهم ، وكان القائم بأمره محمد بن الفارسيّ ، فبايعوه وأخرجوا المغيرة عنهم . فكتب عبدويه إلى الفضل أنّهم لم يُخرجوا آبن أخيه خلافاً عن الطاعة لكن لأحداثٍ بدت منه فيها فساد الدولة . وطلب منه والياً غيره . فكتب في جوابه : أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ وجلّ يجري قضاءَه[2] فيمَا أحبّ الناس أو كرهوا ، وليس اختياري والياً لو آخترتُه لكم أو اخترتموه بحائل دون شيء أراد الله عزّ وجلّ بلوغه فيكم . وقد ولّيت عليكم عاملاً فإن دفعتموه فهو آية النكث منكم ، والسلام .

وبعث إليهم عبد الله بن يزيد وضمّ إليه عسكراً . فعندما خرج عبد الله إلى باب المدينة آندقّ زجّ لوائه فتطيّر الناس . وسار حتى [إذا] كان على مرحلة من تونس وجّه عبدويه منصور بن هيمَان في جماعة ليعلم خبر قدومه ، ولا يتعرّض لحرب ما وجد سبيلاً إلى العافية .

فلمّا لقيَه قال لأصحابه : قد علمتم عدوان الفضل حتّى إنّه يأخذ الرجلَ منكم في الأمر الذي ليس عليه فيه مؤنة فيقطع يدَيه ورجلَيه . فكيف وقد أخرجتم آبنَ أخيه ؟

فقالوا : فما رأيك ؟

قال : القتال .

فلمّا قربوا من عبد الله بن يزيد حملوا عليه وعلى أصحابه فقتلوه وأسروا من

(1) ولي الفضل افريقيّة سنة 177 وقتل في شعبان 178 .

(2) في المخطوط : قضاياه . والإصلاح من البيان .

معه من القوّاد ورجعوا إلى عبدويه . فقال : ما لهٰذا بعثتُكم ! فأمّا إذ وقع فما رأيُكم ؟

فأشار بعضهم بمكاتبة الفضل ، فإنّه يَحُثُّ على الموادعة وطلبِ العافية و[قالوا :] آعتذر إليه بأنّه قُتل ابن عمّه بغير حضورك ولا رأيك .

فضحك محمد بن الفارسيّ ، فقال له عبدويه : لم ضحكتَ ؟

قال له : آعلم أنّ الفضل لا يَسلم لك صدرُه بعد إخراج ابن أخيه وقتل ابن عمّه . وليس آعتذارك أنّك غِبتَ عن قتل آبن عمّه بالذي يقيم لك العُذرَ عنده وقد قيل في أمثال دمنة وكليلة : « الضرسُ المأكولُ الفاسد لا راحة لصاحبه دون قلعه »[1]. وكذلك نحن وآل المهلّب : لا راحة لنا فيهم إلّا بقتلهم وإخراجهم بالمكايد والحيل .

فقال عبدويه / : فتولَّ أنت تدبير الرأي ومكاتبةَ الناس ، وآكفِني ذلك [190ب] أكفِك أمر الحرب إن شاء الله .

فجعل محمد بن الفارسيّ يكتب إلى كلّ رجل من وجوه القوّاد يوهمُه أنّهم يؤمّرونهم عليهم . فكان الكتاب إذا جاء أحدَهم يقول : « وما عليّ أن أكتفي هٰذا الأمر ؟ » ويطمع فيمَا كتب به إليه . فأفسد قلوب جماعة حتّى قُتل الفضل . فبلغ أميرَ المؤمنين هارون الرشيد وثوبُ عبدويه . فوجّه يقطين[2] إلى إفريقيّة وأمره بالتلطّف بعبدويه وإخراجه من البلد . فما زال بعبدويه حتى خرج من إفريقيّة في مستهلّ صفر [...] وآستخلف على القيروان عبد الملك بن عيّاش . فكانت أيّام عبدويه سبعة أشهر .

ووصل إلى بغداد في سنة تسع وسبعين ومائة . ثمّ خرج فمات بمصر .

---

(1) ابن المقفّع قتل حوالي سنة 132 ، فهٰذا آنتشار سريع لكتابه .

(2) يقطين بن موسى .

1524 – عبد الله بن جُدْعان[1]

[191 أ] /عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤَيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، القرشيّ ، ثمّ التيميّ تيم بن مرّة ، أبو زهير .

فولَدَ تيمُ بن مرّة سعداً والأحبّ ، أمُّهما الطوالة بنت مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي . فالعقب في ولد سعد بن تيم .

فولد سعد كعب وحارثة ، أمُّهُما نُعم بنت ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان ابن محارب بن فهر ، وأمُّها آمنة بنت الحرث بن منقذ بن عمرو بن بغيض بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ، وأمُّها ماوية بنت سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص .

فولد كعب بن سعد : عمرو بن كعب – وهو بيت بني تَيْم – وعبد مناف ابن كعب ، وهو المشرَفيّ ، وعامر بن كعب . وأمّ عمرو تَمْلِك بنتُ تيم بن

---

(1) عبد الله بن جعدان : ذكر في نسب قريش للزبيريّ ، 275 – والأغاني في ترجمة أميّة بن أبي الصلت . وفي السيرة النّبويّة والروض الأنف (حلف الفضول) – وفي أنساب الأشراف 1 / 56 (حميد الله) ، 2 / 11 (باقر المحمودي) – وفي المروج 1453 و1484 – والمعارف 583 ، وجمهرة ابن حزم ، 136 ، 300 .

والمقريزي ينقل عن الأغاني وعن كتب أخرى مفقودة كأخبار أبي عبيدة وابن الكلبيّ وعروة بن الزبير ، ولا يتحاشى التكرار لأنّه كان ينوي التبييض فيما بعد ، ولا يصحّح القراءات المتضاربة في نقل الشعر وهو مع هٰذا يتأرجح بين تدقيق المؤرّخ الشغوف بسير الرجال – من ذلك إطالته في ذكر الأنساب – وإيجاز الإخباريّ القاصّ .

ونتساءل عن سبب إدراج عبد الله بن جدعان في مترجمي المقفّى : أكان قدومه مصر لبيع الجوهرات المسروقة مبرّراً كافياً لأعتباره من المصريّين أو من الواردين ؟

ولكنّا رأينا أنّ المقريزيّ ترجم حتى لمَن دخل مصر ميتا في تابوت ، أو أدخل إليها رأسه فقط .

غالب ، وقيل : أمّه قيلة بنت حذافة بن جمح .

وأمّ عبد مناف وعامر : ليلى بنت عامر الجانّ بن الحارث بن غُبشان بن أقصى بن خزاعة .

فولد عمرو بن كعب عامراً ، وأمّه آمنة بنت وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، وعثمانَ بنَ عمرو ، وهو شارب الذهب ، وجدعان بن عمرو ، وأمّهُما السوداء ابنة زهرة بن كلاب .

السوداء عرّافةُ قريش

وذكر الزبير بن بكّار قال : لمّا وُلدت السوداء بنت زهرة بن كلاب أرسل بها أبوها من يئِدها فخرج الوائد حتى أتى بها الحَجون فحفر لها . فلمّا وضعَها في حفرتها صاح به صائح من الجبل : يا وائد الصبيّة ، ربَّ فَرس رَدود ، ومُطعم يَجود ، في السنة الجَمود ، من الصبيّة الوئيد !

فرفع رأسَه فلم يرَ أحداً فعاد لأن يئدها فصاح به : يا وائد الصبيّة ، أمضِ ودعْها عنك في البرِّيّة ، إنّ لها علَماً في الإنسيّة !

فرجع بها إلى أبيها فأخبره الخبر فقال : « دعها فإنّ لها شأناً » ، فعمّرت ، وكانت تقول : يا بني زهرة ، إنّ فيكم لنذيراً أو والدة نذير ! فأعرضوا عليّ نساءكم .

فعرضن عليها حتى مرّت بها الشنفاء أمّ عبد الرحمان بن عوف فقالت : « ليست بها ولتلدَنَّ ! » فولدت عبد الرحمان بنَ عوف .

وعُرضت عليها بنت عبد بن الحرث أمّ عبد الله بن مسعود فقالت : « ليست بها ، ولتلدنّ » — فولدت عبد الله بن مسعود .

وعُرضت عليها هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة فقالت : ليست

بها . ولتلدنّ – فولدت حمزة وصفيّة والمقوم ، بني عبد المطّلب .

[191ب] وعرضت عليها آمنة بنت وهب بن / عبد مناف بن زهرة فقالت : إنّها لنذيرة أو لتلِدنَّ نذيراً – فولدت النبيَّ محمّداً رسول الله ﷺ .

أصل ثروة ابن جدعان

وولد جدعان بن عمرو : عبدَ الله بن جُدعان ، وكلَدة بن جدعان – قُتل في الفجار – وأمُّهُما سُعدى بنت عُوَيج بن سعد بن جُمح .

وكان عبد الله بن جدعان سيّد قريش في الجاهليّة . وكان واسع المال كثيرَ المعروف جواداً . فاجتمع إليه وجوه العرب في داره على مائدة فقالوا له : يا أبا زهير ، ما كان أصلُ مالك ؟

فقال : كنت صعلوكاً من صعاليك قريش فتّاكاً أطلب الغِرّة . فبينا أنا كذلك إذ أتاني مالك بن عامر البرّاض أخو بني كنانة . فقال : ألا أبغيك قنصاً يا عبدَ الله ؟

قلت : نعم .

قال : إنّ كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن قريب من أرضنا ، لهم إبل .

فعزمنا على الغارة عليها . فركبت فَرَسي أنا ومالك بن عامر وطردنا لكلاب مائة ناقة حتّى ألقيناها بالطائف فبعناها . فأرسل كلاب إلى قريش : إنّ سفيهَكم أغار عليّ وطرد لي مائةَ ناقةٍ . فليس لكم أن تشهدوا سوق عكاظ ، ولي لديكم وبرة – وكان سوق عكاظ في وسط أرض قيس بنِ عيلان .

وائتمرت قريش على قتلي لئلّا أجرّ إليهم الجرائر فيُطلبُوا [1] بسببي وهم تجّار

[1] في المخطوط : فيطلبون .

لا يستغنون عن الضرب في البلدان . فلمّا أتيتُ من الطائف إلى منزلي قال لي أهلي : إنّ قريشاً ٱئتمروا على قتلك ، فٱنجُ بنفسك !

فأخذت زاداً ومزادة ، وخرجتُ هارباً مع الصباح إلى دوحة الزيتون . فلم أزل أطلب موضعاً أختفي فيه ، والقوم في أثري يطلبونني حتّى أتيتُ إلى حجَرين بينهُما خلَل يدخل فيه النحيف متجانفاً . فتجانفت في ذلك المكان من ذلك الخلل ودخلت ومعي زادي . فطال عليّ السرب ورأيت أنّ موتي فيه أحبّ إليّ من أن يقتلني قومي فيشمت بي عدوّي ، ويحزن عليّ حبيبي ، ويصير لقومي ذحل في قريش يخرجون به منهم . فسرت ملحجاً[1] في السرب حتّى بلغت داراً عظيمةً فيها بيت ، وفي وسط البيت جوهر ودرّ وياقوت ولُجين وعِقيان . وفيه أربعة أسرّة ، على كلّ سرير رجلٌ قاعدٌ ، وعلى رأسه لوح من رخام مكتوب بالمسند[2]. فقرأتُ الألواحَ فأصبت فيها أنّ أهل الألواح عمرو بن مضاض ، والحرث بن مضاض ، وعبد المسيح بن بقيلة ، وبقيلة بن عبد المدان . فأقمتُ خمسةَ / أيّام في ذلك [192 أ] البيت آكل من زادي وأشرب من مزادتي حتّى يئسَت قريش منّي . فخرجت فلم أجِد أحداً في الغيضة . فأخرجتُ ما أصبتُ من المال وأخذت الألواح خيفة من قريش لتكون لي عندهم حجّة وبراءة .

ثمّ أتيت منزلي فأخذتُ جملاً وسرتُ ليلاً ، فإذا أنا بسيّارة يريدون مدينة مصر . فسرتُ معهُم لا يدرون مَن أنا ولا ما معي حتّى بلغت مصر . فبِعتُ ما معي فأصبتُ مالاً جزيلاً ورجعت . فنزلت ينبع على مالك البرّاض فقصصتُ عليه قصّتي مع قريش فقال : هاك خمسين ناقةً .

فسقتُها أنا وهو حتّى أتينا كلاباً ، فأرسلنا إلى ٱبنه جعفر بن كلاب فدفعنا إليه الخمسين مِنَ النوق . ثمّ تبعنا كلاب في بنيه وهو شيخ كبير ثمّ سرنا إلى سوق

---

(1) مُلْحِجًا : أي مُتَجانفا .

(2) المسند : خطّ القوم الأوائل كفراعنة مصر أو عاربة حمَير .

عكاظ ، وأرسل إلى قريش فشهدوا عكاظ ، وانصرفتُ معهم إلى مكّة .

فلمّا ظهر بعض مالي وثبُوا عليَّ وقالوا : غَدَرت !

فأعلمتُهم بمَا كان من حديث المغارة وأخرجت لهم الألواح فأرسلوا معي خويلد بنَ أسد بنِ عبد العُزّى ، ووهب بن زهرة بن عبد مناف ، فسارا معي حتّى دخلتُ ودخلا معي وعَايَنّا الأشباحَ فقالا لي : رُدَّ الألواح !

فرددتُ كلّ لوح إلى مكانه وخرجنا . وأخذنا حجراً عظيمًا سدَدنا به باب الخلل لئلّا تكونَ المغارة ملعباً للسّفهاء .

سبب حلف الفضول

وفي دار عبد الله بن جدعان كان حلف الفضول . وقد ٱختلف في سبب حلف الفضول . فعن أبي عبيدة قال : كان سبب حلف الفضول أنّ رجلاً من أهل اليمن قدِم مكّة ببضاعة فٱشتراها رجل من بني سهم . فلوى الرجل بحقِّه فسألَه متاعَه فأبى عليه فقام في الحجر فقال : يا للرجل المظلوم بضاعته ! [بسيط] :

يالَقُصَيٍّ لمظلوم بضاعتَه ... ببطن مكّة نائي الدار والنفرِ[1]
وأشِعثٍ مُحْرِمٍ لم تقضَ حرمته ... بين المقام وبين الركنِ والحجر
أقائمٌ في بني سهم يذمُّهُمُ ... أم ذاهب في ضلالٍ مالُ معتمِرِ ؟
إنّ الحرامَ لَمَن تمّت كرامتُه ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدرِ

(قال) وقال بعض العلماء : إنّ قيسَ بن شيبة السلميّ باع متاعاً من أميّة ٱبن خلَف فلواه وذهب بحقّه فٱستجار برجلٍ من بني جمح فلم يقوموا بجواره فقال [رجز] :

---

(1) سيرة ابن هشام 1 / 140 – الروض الأنف 2 / 72 : يا آل فهر .

يالَ قُصَيٍّ كيف هٰذا في الحَرَمْ وحرمة البيت وأعلاق الكَرَمْ
أُظلمُ لا يُمنَع منّي من ظلم

(قال) وبلغ الخبر عبّاس بن مرداس فقال / [بسيط] : [192ب]

إن كان جارُك لم تنفَعك ذِمَّتُه وقد شربتَ بكأس العَلّ أنفاسًا
فأْتِ البيوتَ وكُن من أهلها صدراً لا تلق ناديَهم فُحشاً ولا بأسا
وثَمَّ كُن بفناءِ البيت معتصِماً تلقَ ابنَ حربٍ وتلقَ المرءَ عبّاسا
قومي قريش وأحلافي ذؤابتُها بالمجد والحزم ما حَلَّا وما ساسا
ساقي الحجيج وهٰذا [. . . . .] والمجدُ يورثُ أخماساً وأسداساً

فقام العبّاس بن مرداس وأبو سفيان بن حرب حتّى ردّا عليه متاعه . وٱجتمعت بطون قريش فتحالفوا على ردّ الظالم بمكّة ، وألّا يظلم أحدٌ بمكّة إلّا منَعوه وأخذوا له حقَّه . وكان حلفهم في دار عبد الله بن جُدعان . قال رسول الله ﷺ : شهدت حلفاً في دار عبد الله بن جُدعان ما أُحِبُّ أنّ لي [به] حُمْرَ النَّعَم ، ولو دُعيتُ له لأجبتُ .

وقال قوم من قريش : هٰذا والله أفضل الحِلف ، فسُمّيَ حلفَ الفضول .

(قال) وقال آخرون : تحالفُوا على مِثل حِلفٍ تحالف عليه قوم من جُرهم في هٰذا الأمر لا يُقرّون ظالماً بمكّة إلّا غيّروه . وأسماؤهم :

الفضل بن شراعة ،
والفضل بن قضاعة ،
والفضل بن سماعة .

وعن محمد بن شهاب الزهريّ قال : كان شأن حلف الفضول أنّ رجلاً من بني زيد قدِم مكّةَ معتمراً في الجاهليّة ، ومعه تجارة له ، فٱشتراها منه رجل من بني سهم فآواها إلى بيته . ثمّ إنّه تغيّب فٱبتغى الزيديُّ متاعَه فلم يقدر عليه .

فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فأغلظوا له ، فعرَف أن لا سبيلَ إلى ماله ، فطوّف في قبائل قريش يستعين بهم ، فتخاذلت القبائل عنه . فلمّا رأى ذلك أشرف على أبي قُبيس حين أخذت قريش مجالسَها في المسجد الحرام وقال : يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... الأبيات الثلاثة . فلمّا نزل أعظمت قريش ذلك فتكلّمت فيه فقال المطيَّبون[1] : والله لئِن قُمنا ليغضبنّ الأحلاف .

وقالت الأحلاف[2] : والله لئن تكلّمنا في هٰذا ليغضبنّ المطيَّبون .

وقال ناس من قريش : تعالَوا ، وليكُن حِلفاً فضولاً دون المطيّبينَ ودونَ الأحلاف !

وٱجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان ، فصنع لهم طعاماً ... وكان رسول الله ﷺ يومئذ معهم قبل أن يوحى إليه ، وهو ٱبن خمسٍ وعشرين سنة . فٱجتمعت بنو هاشم ، وأسد ، وزهرة ، وتيم ، وتحالفوا على أن لا يُظلم بمكّة غريب ولا قريب ، ولا حُرّ ولا عبدٌ ، إلّا كانوا / معه حتّى يأخذوا له حقّه ، ويؤدّوا إليه مظلمته من أنفُسهم ومن غيرهم ، ثمّ عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جفنة فبعثوا به إلى البيت فغسلت منه أركانُه ثمّ أتوا به فشربوه . (قال) فحدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنّها سمعَت رسول الله ﷺ يقول : شهدتُ في دار عبد الله بن جُدعان حلفَ الفضول . [أ]ما لو دُعيتُ إليه اليوم لأَجبتُ . وما أحِبّ لي به حُمْرَ النَّعَم ، وأنّي نقضتُه ! [193 أ]

(قال) وحدّثني عبد العزيز بن عمر العبسيّ أنّ الذي ٱشترى من الزبيديّ المتاع العاصي بن وائل السهميّ . (قال) أهل حلف الفضول بنو [عبد]

(1) المطيّبون : بنو عبد مناف ، ومعهم بنو الحارث وبنو زهرة وبنو تيم بن مرّة وبنو أَسد : غمسُوا أيديَهم في جفنة طيب فسمّوا بهٰذا الاسم (الروض الأنف 2 / 62) .

(2) الأحلاف : بنو عبد الدار ، ومعهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عديّ . قال بعضهم [خفيف] :

ولها في المُطيّبين جدودٌ ثمّ نالت نوائب الأحلاف

المطّلب ، وبنو أسد بن عبد العُزّى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم . تحالفوا ألّا يُظلم أحدٌ بمكّة إلّا كُنّا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممّن ظلم ، شريفاً كان أو وضيعاً ، منّا أو من غيرنا . ثمّ ٱنطلقوا إلى العاصي بن وائل فقالوا له : لا نفارقك حتّى تؤدّيَ له حقّه .

فأعطى الرجلَ حقّه . فمكثوا كذلك لا يظلم أحدٌ بمكّة إلّا أخذوا له حقّه . فكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أنّ رجلاً خرج من قومه ، لخرجتُ من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول – وليس عبد شمس في حلف الفضول[1] .

وعن هشام بن عروة عن أبيه أنّ بني هاشم وبني عبد المطّلب وأسد بن عبد العزّى وتيم بن مرّة ٱحتلفُوا على أن لا يدَعوا بمكّة كلّها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلّا أجابوه حتى يردّوا إليه مظلمته ويبلغُوا في ذلك عذراً ، وعلى أن لا يتركوا لأحدٍ عند أحدٍ فضلاً إلّا أخذوه ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – ولذلك سمِّيَ حلف الفضول – فتحالفوا بالله : إنّا ليدٌ على الظالم حتى نأخذ للمظلوم من الظالم ما بَلَّ بحرٌ صوفةً .

وعن محمد بن فضالة عن أبيه قال : لم يكن بنو أسد بن عبد العُزّى في حِلف الفضول .

وعن عيسى بن زيد بن خباب قال : أهل حِلف الفضول بنو هاشم ، وزهرة ، وتيم .

قيل له : فهل لذلك شاهد من الشعر ؟

قال : نعم . أنشدَني بعض أهل العلم بقريش قولَ بعض الشعراء [بسيط / كامل] :

---

(1) أنظر شرح نهج البلاغة 15 / 224 .

تيم بن مرّة إن سألت وهاشم   وزهرة الخير في دار ابن جُدعانِ
متحالفينَ على الندى ما غرّدت   ورقاء في فنن من جزع كُتْمان[1]

وعن أبي عبيدة قال : تداعى بنو هاشم ، وبنو [عبد] المطّلب ، وبنو أسد آبن عبد العزّى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وتيم بن مرّة إلى حلف الفضول [193ب] فأجتمعوا / إلى دار عبد الله بن جُدعان ، فتحالفوا عنده وتعاقدوا ألّا يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها ومن غيرهم إلّا قامُوا معه على مَن ظلمَه حتّى يردّوا مظلمتَه .

وعن جابر بن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : إنّما سُمِّي حلفَ الفضول أنّه كان في جرهم رجال يردّون الظالمَ فتحالفوا بالله ليأخذُنَّ للمظلوم من الظالم ، وللمقهور من القاهر ما بلّ بحرٌ صوفةً .

وجه تسمية حلف الفضول

وعن معروف بن خربود قال : تداعت بنو هاشم ، وبنو [عبد] المطّلب ، وتيم ، واحتلفُوا على أن لا يدَعوا بمكّةَ كلِّها ولا في الأحابيش مظلوماً يدعوهم إلى نصرته إلّا أنجَدوه حتّى يردّوا إليه مظلمتَه ويبلـ[ـغـ]ـوا في ذلك عذراً . فكرِه ذلك سائر المُطيِّبينَ والأحلافِ ، وسمَّوه حلفَ الفضول عيباً له وقالوا : هٰذا من فضول القوم فسمّوه حلف الفضول .

ويروى أنّ معاوية بن أبي سفيان قال لجبير بن مطعم[2] : يا أبا محمّد ، أكُنّا في حلف الفضول ؟

قال : لا .

قال : فكيف كان ؟

(1) حاشية في المخطوط : كُتمان : وادٍ بنجران . والبيتان مختلفا الوزن .
(2) جبير بن مطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف ، له صحبة (جمهرة ، 116) « وكان من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة » (سيرة 1 / 12) .

قال : قدم رجلٌ من ثمالة فباع سلعةً له مِن أُبيّ بن خلَف بن وهب بن حذاقة بن جُمحٍ ، فمطله . فأتى الثماليّ أهلَ حِلف الفضول فأخبَرَهم . فقالوا له : اذهب فأَخبِره أنّك أخبَرتَنا ، فإن أعطاك حقّك وإلّا فآرجع إلينا .

فأتاه فأخبره بمَا قال أهل حِلف الفضول ، فأخرج إليه حقّه فقال [طويل] :

أتأخذني في بطن مكّة ظالماً   أُبيٌّ ،ولا قومي لديَّ ولا صحبي ؟
وناديت قومي صارخاً ليجيبني   وكم دونَ قومي من فياف ومن سُهْب
ويأبى لكم حلفُ الفضول ظلامَتي   بني جُمَحٍ والحقُّ يُؤْخذُ بالعضب

وقد قيل : إنّ أبا الطحمان آستجار عبد الله بن جدعان ، فعدا عليه قوم من بني سهم فنحروا ثلاثاً من إبلِه . فأتاهم بمثلها وقال : أنتم لها ولأكثر منها أهل .

فأخذوها فانتحروها . ثمّ أمسكوا عنه زماناً ، ثمّ جلسوا على شرابٍ لهم . فلمّا آنتشَوا عدَوا على إبلِه فآستاقوها كُلَّها . فأتى عبدَ الله بن جدعان فآستصرخه فلم يكن فيه ولا في قومه قوّة بني سهم فأمسك عنهم ولم ينصره . فقال أبو الطحمان في ذلك شعراً وآرتحل عنهم .

وقدم لُميس بن سعيد البارقي مكّة فاشترى منه أبيّ بن خلف سلعة فمطله إيّاها . فمشى في قريش فلم يجد أحداً يجيره .

ثمّ قدم رجل من بني زيد فآشترى منه رجل من بني سهم يُقال لَه حذَيفة آبن قيس سلعة وظلمَه حقَّه . فصعِدَ الزيديّ على أبي قُبيس فقال بأعلى صوتِه ، وقريش في ناديهم : يا آل فهر لمظلوم بضاعته .... الأبيات . فأعظم الزبير بن / [194 أ] عبد المطّلب ذلك وقال : يا قوم إنّي والله أخشى أن يُصيبَنا ما أصاب الأممَ السالفةَ من ساكِني مكّة .

ومشى إلى عبد الله بن جُدعان ، وهو يومئذ شيخ قريش ، فقال له مثل

ذلك . فتحالف بنو هاشم وبنو المطّلب وبنو تيم بالله إنّا ليَدٌ واحدة على الظالم حتى يردّ الحقّ . وخرجت سائر قريش من هٰذا الحلف إلّا أنّ عبد الله بن الزبير[1] ادّعاه لبني أسد في الإسلام .

[و]ذكر الواقدي وغيرُه أنّ محمّد بن جبير بن مطعم حدّث عن أبيه جبير بن مطعم أنّه دخل على عبد الملك بن مروان فسأله عن حلف الفضول فقال : أمّا أنا وأنت يا أمير المؤمنين فلسنا فيه .

فقال : صدقت . والله إنّي لأعرفك بالصدق .

فقال : إنّ ابن الزبير يدّعيه .

قال : ذلك هو الباطل .

وجهٌ آخر لتسْمِيته

وقيل : إنّه سُمِّي بذلك لأنّهم قالوا : لا ندَعُ لأحدٍ عندنا وعند أحدٍ فضلاً .

والصحيح أنّ قوماً من جرهم يقال له فضيل وفضالة وفضال ومفضل تحالفوا على مثل هٰذا في أيّامهم . فلمّا تحالفت قريش بهٰذا الحِلف سُمّوا بذلك .

وذكر الزبير بن بكّار أنّ معاوية بن أبي سفيان قال لرجل قد أدرك حربَ عكاظ : مِن أينَ تعادّ القوم لخروجهم إلى عكاظ ؟

قال : من دار ابن جُدعان .

قال : فمن أين أخرجت السلاح ؟

قال : من دار ابن جدعان .

---

(1) لأنّ العوّام ابنُ خويلد بن أسد ...

قال : فمَن أطعم الناس ؟

قال : ٱبن جدعان .

قال : ما أسمع الأمرَ كلّه إلّا لٱبن جدعان .

(قال) وقال أميّة بن أبي الصلت في عبد الله بن جُدعان [كامل] :

زعم ابن جدعانٍ وليس بكاذبٍ لينفَعَنْ مائةً سلاحاً كاملا[1]
ولَيَنْحرَنْ في دار كلّ إقامةٍ عشراً ويُطعمُ ذا العيال العائلا
نِعم الفتى وٱبن العشيرة ، إنّه يعطي الجزيل ولا يكدّ السّائلا

وقيل : إنّ قائلها شبيب بن مُهان الليثيّ يمدح عبد الله بن جدعان ، وقد كان سلّح مائة رجل من بني كنانة يوم عكاظ وحملهم – وكان على بني تيم يوم عكاظ .

خبرُ الجرادتين

وقال ٱبن الكلبيّ : كانت لٱبن جدعان أمَتان يسمّيهما « الجرادتين » تغنّيان في الجاهليّة وسمّاهما جرادَتَي عاد . فوهبَهُما لأميّة بنْ أبي الصلت الثقفيّ ، وكان قد ٱمتدحه . وكان ٱبن جُدعان سيداً جواداً فرأى أميّة ينظر إليهما ، وهو عنده ، فأعطاه إيّاهُما .

وروى أبو بكر ابن أبي شيبة : ثنا حفص بن غيّاث عن داود عن الشعبيّ عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت لرسول الله : إنّ ٱبن جدعان كان في الجاهليّة يصلُ الرحم ويُطعم المسكين / ، فهل ذلك نافعُه ؟ [194ب]

قال : لا . إنّه لم يقل يوماً : ربّ ٱغفر لي خطيئتي يومَ الدين .

وذكر أنّ رسول الله ﷺ قال يوم بدر : لو كان أبو زهير – يعني عبد الله

(1) في المخطوط : ليقنعن ، ولم نفهمها .

ٱبن جدعان أو مطعم بن عديّ – حيًّا فٱستوهبَهم لوهبُتُهم له .

وذكر الزبير بن بكّار قال : قدم أميّة بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان . فلمّا دخل عليه قال له عبد الله : أمرٌ ما أتى بك ؟

فقال أميّة : كلاب غُرَماء قد نبحتني ونهَشتني .

فقال له عبد الله : قدمتَ عليّ ، وأنا عليل من حقوق لحِقتني ولزمَتني . فأنْظِرني قليلاً يجمَ ما في يدي . فقد ضمِنتُ قضاءَ دَينك ولا أسأل عن مبلغه .

فأقام أميّة أيّاماً ثم أتاه فقال [وافر] :

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ؟ إنّ شيمتَك الحياءُ
وعلمك بالحقوق وأنت فرع لك الحسبُ المهذّبُ والسّناءُ[1]
كريم لا يغيّره صباح عن الخُلق السَّنيِّ ولا مساءُ
يباري الريحَ مكرمةً وجوداً إذا ما الكلبُ أَحجرَه الشتاءُ
5 وأرضُك أرضُ مكرمةٍ بناها بنو تيمٍ وأنت لها سماءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كفاه من تعرّضِه الثناءُ
إذا خلّفت عبد الله فاعلم بأنّ القومَ ليس لهم حُداءُ[2]
فأبرز فضلُه حقًّا عليهم كما برزت لناظِرها السماءُ
وهل تخفى السماءُ على بصير وهل بالشمس طَالعةً خفاءُ ؟

فلمّا أنشده أميّة هٰذا الشعر كانت عنده قينتان . فقال لأميّة : خذ أيّتَهُما شئتَ . فأخذ إحْدَاهُما وانصرف . فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا : لقد ألفيتَه عليلاً . فلو رددتَها عليه – فإنّ الشيخَ يحتاج إلى خدمتِها – كان ذلك أقرب لك عنده وأكبرَ من كلّ حقّ ضمنه .

---

(1) في الأغاني : وعلمك بالأمور .
(2) في الأغاني : ليس لهم جزاء .

فوقع الكلام من أميّة موقعاً فرجع إليه ليردّها عليه . فلمّا أتاه بها قال [له] ابن جدعان : لعلّك إنّما رددتَها لأنّ قريشاً لاموك على أخذها ؟ – ووصف لأميّة ما قال القوم .

فقال له أميّة : والله ما أخطأت يا أبا زهير !

فقال عبد الله : ما الذي قلتَ في ذلك ؟

[فـ]ـقال أميّة [طويل] :

عطاؤُك زَين لأمرىءٍ إن حبَوتَه ببذلٍ وما كلّ العطاء يَزينُ
وليس بشَينٍ لأمرىءٍ بذلُ وجهِه إليك ، كما بعض السؤالِ يَشين

فقال عبد الله لأميّة : خذ الأخرى !

فأخذهما جميعاً وخرج . فلمّا صار إلى القوم بهما ، أنشأ يقول [وافر] :

وما لي لا أُحيّيه وعندي مواهب يطّلعن من النجاد ؟ / [195 أ]
لأبيضَ من بني عمرو بن كعبٍ وهم كالمَشرفيّات الحداد
لكلّ قبيلة هادٍ ورأسٌ وأنتَ الرأسُ تقدُم كلّ هادٍ
عماد الخيف قد علمَت معدٌّ وأنت البيتُ يُرفَعُ بالعماد
5 له داعٍ بمكّةَ مُشمعِلّ وآخرُ فوق كعبتها ينادي
إلى ردح من الشيزى ملاء لباب البرّ يُلبك بالشُهاد
فأدلجهم على ربَذ يداه بفعل الخير ليس من الجماد[1]

وقال أيضاً [كامل] :

ذُكر ابن جُدعانٍ بخيـ ـرٍ كلّما ذُكر الكرامُ
يهب النجيبةَ والنجيـ ـبَ له الرحالة والزمامُ

---

(1) هٰذه الأبيات في الأغاني مع آختلاف في الرواية والترتيب .

من لا يخون ولا يعقّ ولا تغيّره اللئامُ

وعن أبي عبيدة قال : كان آبن جدعان سيّداً في قريش . فلمّا وفد على كسرى أكل عنده الفالوذ ، فسأل عنه فقيل : هٰذا الفالوذُ .

قال : وممَّ يُصنَعُ ؟

قالوا : لُبابُ البُرّ يُلبك مع عسل النحل .

قال : آبغوني غلاماً يصنعه .

فأتوه بغلام يصنعُه فآبتاعه ، وقدم به مكّة . ثمّ أمره فصنع الفالوذَ بمكّة ، فوضع الموائد من الأبطح إلى باب المسجد ، ثمّ نادى مناديه : ألا من أراد الفالوذ فليحضر !

فحضر الناس . فكان ممّن حضر أميّة بن أبي الصلت فقال فيه : وما لي لا أحيّيه ... الأبيات .

ودخل أميّة على آبن جُدعان وهو يجود بنفسه ، فقال : كيف تجدُك يا أبا زهير ؟

فقال : إنّي لمُدابرٌ – أي ذاهب – .

فقال أميّة [كامل] :

علم آبن جدعانَ بن عمـ ـرو أنّـه يومـاً مـدابرْ
ومسـافـرٌ سفـراً بـعيـ ـداً لا يؤوبُ به المسافرْ
فـقـدوره بـفـنـائـه لـلضيـفِ مُترعة زواخـرْ
تبدو الكسور منِ آنْضا ح الغَلي فيها والكراكرْ
5 زبـداً وغـرغـرة كَـقـر قرَة الفُحول إذا تَخاطَرْ
وكـأنّـهـنّ إذا حَـمِـيـ ـنَ بمَا شجينَ به ضرائر
وكـأنّما يـدعى عُـرَيْـ ـنُهُ في طوائفها وهاجرْ

بــذّ المعــاشرَ كــلّــهــم بالفضل تعرفه المعاشِرْ
وعلا عُلُوَّ الشمس حـ ـتّى ما يُفاخِرُه مُفاخِرْ
دَانَتْ لـه أفنـاءُ فِهـ ـرٍ من بني كعب وعامِرْ
آبـــاؤك الشـــمُّ المرا جيح المساميح الأخايرْ
وإذا تُشـام بـروقُـهُـم جادت أكُفُّهُم المواطِرِ / [195ب]
لا يحتويهم جـــانب نائي المحلّ ولا مجاور
قـومٌ حصونُـهـمُ الأسنّـ ـةُ والأعـنّـة والبواترْ
نزلـوا البطاحَ ففُضّلت بهمُ البـواطـنُ والظواهر 15
أنت الجواد ابن الجوا دِ بكُم ينافِر مَن ينافِرْ

وقال الواقدي عن أبي الزناد : ما مات أحدٌ من كبراء قريش في الجاهليّة حتى ترك الخمر استحياءً ممّا فيها من الدنس ، ولقد عابها ابن جدعان قبل موته .

تركُه الخمر

وذكر الزبير بن بكّار أنّه كان مولعاً بالخمر ، فجعل ليلةً يخاطِبُ القمرَ بيدِه . فلمّا أصبح أُخبرَ بذلك فآلى أن لا يشربها أبداً وقال [وافر] :

شربتُ الخمر حتّى قال صحبي ألستَ عن السفاه بمستفيق ؟
وحتّى مَ أُوَسَّدُ في مبيتٍ أنامُ به سويَّ الترب سَحيق ؟
وحتى أغلق الحانوت رهني وآنست الهوانَ من الصديق

فلم يقربها بعد ذلك .

وقيل : كان سبب تركه الخمر أنّ أميّة بن أبي الصلت شرِب معه فأصبحَت عينُ أميّة مخضرّةً يخاف عليها الذهاب . فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت . فلمّا ألحّ عليه قال له : أنت صاحبُها ، أصبتها البارحة .

فقال : أَوَ بلغ الشرابُ مِنّي أن أنال من جليسي هٰذا ؟ لا جرم لأدِيَنَّها دِيَتَيْ عَينين !

فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال : الخمر حرامٌ عليّ أن أذوقها أبداً – وتركها من يومئذ .

ولمّا مات عبد الله بن جدعان فمُرَّ بنعشه صرخت ضباعة – بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة – فقال لها زوجها هشام بن المغيرة يؤنّبها : مَه ! – وكانت قبله عند عبد الله بن جدعان خلف عليها بعد عليّ بن أبي هوذة الحنفيّ – فقالت : إنّه كان نعمَ زوج الغريبة !

فقال هشام : وزوج القريبة ! وما ألومُك أن تبكي سيّدَ قريش .

وكان حرب بن أميّة ، وعبد الله بن جدعان ، وهشام بن المغيرة يتجالسون ، وكان حرب يتوسّط عليهما . فلمّا مات حرب جاء ٱبنه أبو سفيان بن حرب ليجلس ذلك المجلس ، فقال له هشام : تنحّ ! فإنّا أعطينا ذاك أباك !

فقال أبو سفيان : أمّا إذ فعلتَ فوالله لأوسِّطنَّ أشرفَكُما !

فوسّط عبدَ الله بنَ جدعان .

وكان عبد الله بن جدعان قد كبر ، فأخذت بنو تَيم على يده ومنعوه أن يُعطيَ من ماله شيئاً . فكان الرجلُ إذا أتاه يسأله ، يقول [له] : « ٱدنُ منّي ! » فإذا دنا منه لطمَهُ ثمّ قال : اذهب فٱطلب لطمتَك أو تُرْضَى منها !

[196 أ] فيطالبه الرجل بلطمته فترضيه / بنو تيم من مال عبد الله بن جدعان ففي ذلك يقول عبد الله بن قيس الرقيّات [خفيف] : ٢

والذي إن أشارَ نحوَك لطماً تبع اللطمَ نائلٌ وعطاء

وعن هشام بن عروة قال : تذاكروا شرف الجاهليّة يوماً عند عبد الله بن

الزبير فقال : ما لنا وللجاهليّة ؟

فقيل له : لا بدّ للناس من ذكر مآثرهم .

فقال : إن كنتم لا بدَّ فاعلين فٱذكروا عبدَ الله بنَ جُدعان ، فما ٱقتُسِم الشرفُ إلّا بعدَه .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعتُه يذكر أهل الجاهليّة وٱبن جُدعان فقال : كان والله يُطعم مَن بين أجبل مكّة – ما يستثني عروة أحداً .

وقال الزبير بن بكّار : كان عند قريش رجل من غنيّ كان أسيراً عندهم في الحديد . فنحر ٱبن جدعان ودعا الناس فشُغلوا عنه بالطعام . فلمّا غفلوا رقيَ الجبلَ ثمّ تنحّى منه في ناحية فدقّ حديده ثمّ مضى وهو يقول [رجز] :

كم ناقة غادرتها منتظرة　　وبازل كوماء مثل القنطرة
وشدقم ضخم القرى والحنجرة　　وجازر يلبقة ما أجزره
قيس إذا كفت عنه مئرزة　　وقد دعا أعوانه في المجزرة
زيد الحصى وشَبَثا ومَغيرة　　فشقّ شطًّا تامكاً وكركره
فشابع من رَجِل ومَزمَره　　وحامل لأهله ما أوقره　5
يوم ابن جدعان بجنب الحزورَه　　كأنّه قيصر أو ذو الدسكرة

وكان الأسير في قريش يرسل إليه أهله أن يغتنم غفلة الناس يوم طعام ٱبن جُدعان فيهرب .

ولعبد الله بن جدعان يقول خراش بن زهير في أمر عكاظ [طويل] :

أغرّك أن قالت قريش مسوّد　　وأنّك مكفيٌّ بمكّة طاعم

إعجابُ كِسرى به

وقال البلاذريّ : وكان له ذكر في العرب . فسأل كسرى يوماً عن دين

العرب وأمر البيت ، وقال : إنّي لأحبّ أن ألقى من أهل مكّة رجلاً ذا عقل وفهم فأسائله عن أمورهم . فذكر له قوم من العرب كانوا بحضرته أمر عبد الله بن جدعان . فكتب إلى صاحبه باليمَامة يأمره بالمسير إلى مكّة حتى يُشخصَ إليه عبد الله بن جُدعان مُكرَماً ، فأشخصه إليه . فلمّا رآه كسرى أعجبَته هيئتُه وعقلُه ونُبله ، وكان قد أهدى إليه عضباً يمَانيًّا وأدماً . فقبِل هديّتَه وآنسه . فكان يدعو به ليسائله ، وبينهُما ترجمان ، فإذا قام منصرفاً قال : ما ظننتُ أنّ في العرب مثلَ هٰذا في حلمِه ونجابتِه وجوده ورأيه .

[196ب] وكان يؤاكلُه . ثمّ إنّه وصله فزوّده / من ثياب العراق وطرائفه وقال له ، وهو يأكل معه : هل لك من حاجة تذكرها ؟

قال : نعم ، تهَب لي هٰذا الطبّاخ الذي يتّخذ لك هٰذه الحَيْسَة – يعني الفالوذ – فوهب له طبّاخاً . فلمّا أنصرف وقدم مكّة أمر بأتّخاذ الفالوذ فكان يُتَّخَذُ ويُطعمه أهل مكّة فقال أميّة بن أبي الصلت [وافر] :

وأبيض من بني عمرو بن كعب ... وهـم كـالمشرفيّات الحدادِ
لـه داعٍ بمكّة مشمعلّ ... وآخرُ فوق دارتِه يُنادي
إلى رُدح من الشيزى مُلاءٍ ... لُبابُ البُرِّ يُلبَك بالشّهادِ
لكلّ قبيلة شيخ وهادٍ ... وكنت الرأسَ تقدُم كلّ هادِ [1]
5 فما لاقيتُ مثلَك يا آبن سُعدى ... لمعـروفٍ وخـيـرٍ مستفـادِ

(قال) وقد سمعتُ في قدومه على كسرى وجهاً آخر ، وهو : أنّ الحرث ابن ظالم [المرّيّ] لمّا خاف النعمان آستجار بزرارة بن عدس ، ثمّ آلتمسَ أحرز من مكانه عنده فأتى مكّة واستجار بعبد الله بن جدعان . فكره النعمان ومَن جمع له أن يأتوا مكّة وهي حرم . فكتب النعمان إلى كسرى يعلمه فتكَ الحرث وشرارتَه وأنّه يسعى بالفساد في عمله ، ويسأله أن يكتب إلى صاحب اليمَامة في

---

(1) قد تقدّم البيت برواية أخرى ص 477 .

إشخاص الحرث إليه وأخذِ مَن هو عنده به .

فلمّا صار صاحب اليمَامة بقرب مكّة كرِهَ أن يطأها بجيش ، فٱنتظر يوماً من أيّام أسواقهم بعكاظ أو غيرها . فلمّا ٱجتمعُوا فيه لقيَ ابن جُدعان فسأله أن يُسلّم إليه الحرث بن ظالم . فقال : إنّه قد فارقني .

فأشخص صاحب اليمَامة ٱبنَ جدعان إلى كسرى .

ويقال إنّ باذام صاحب كسرى تعبّث بأهل مكّة في شيءٍ ٱلتمسَه منهم ، فشخص ٱبن جدعان في عدّة من قريش إلى كسرى يشكونه ، فكتب له إلى باذام بمَا أراد ، والله أعلم .

وقال الواقدي : كانت بنو تيم في حياة ٱبن جدعان كأهلِ بيتٍ واحِدٍ يُقوّتهم ٱبنُ جدعان ، وكان يُطعم كلَّ يوم في داره الدهرَ كلَّه جَزوراً ، فينادي مناديه : مَن أراد اللحمَ والشحمَ فعليه بدار ابن جدعان !

ووفد على ملك فارس فقال له : بلغني أنّك أعظمُ العرب مروءةً ، فسَلني حاجتك .

فسأله طبّاخاً يعمل الفالوذ فكان يُطعمُها قريشاً .

وكان لرجلٍ من بني جشم بن بكر على رجل من بني كنانة دَين ، فأعدم الكنانيّ فأتى إلى الجشميّ بقِردٍ فقال : مَن يشتري هٰذا القرد بدَين الجُشميّ عليّ ؟

فوثب الجشميّ فقتل القرد ، فٱقتتل بنو كنانة وبنو بكر فأصلح بينهم ٱبنُ جُدعان وحمل ذلك الدين . / [197 أ]

وعن أبي عمرو بن العلاء : كان ٱبن جدعان يوجّه أبا مليكة وغيرَه بالهدايا إلى ملك الحيرة وإلى كسرى ويكاتبهم . فبعث بهدايا إلى ملك الحيرة فقطع على رسله بنو يربوع فأغار ٱبن جدعان بقريش ومَن لافّهم على بني يربوع ولم يعرض لغيرهم من بني تميم .

وقال ٱبن جدعان في ولد سُبيعة بنت الأحبّ وفي خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تَيم وأخوَيه [وافر] :

إذا وَلَدُ السُّبَيعة فارقوني فأيّ مراد ذي حسَب أرود ؟
أأقعد بعدَهم في الناس حيًّا وقد هلك المصاليت الأسود ؟
يكبّون العشارَ لمَن أتاهم إذا [ما] لم يكُن في الأرض عُود .

وكان ٱبن جدعان عقيمًا فٱدّعى بنوّة رجل فسمّاه زهيراً وكنّاه أبا مليكة ، فولَدُهُ كلّهم ينسبون إلى أبي مليكة ، ويقال : أبو مليكة ابن عبد الله بن جدعان .

وقال معاوية بن أبي سفيان : إنّما تُقُسِّم الشرفُ بعد أبي زهير عبد الله بن جدعان .

1525 – أبو الحارث الزبيديّ الصحابيّ [– 86][1]

[197ب] / عبد الله بن الحرث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو بن غشم بن عمرو بن عُويج بن عمرو بن زبيد ، الزبيدي ، حليف أبي وداعة السهميّ ، يكنّى أبا الحارث ، وهو ٱبن أخي مَحْمية بن جَزْءِ الزبيدي ، وأحدُ الصحابة الذين شهدوا فتح مصر ، وٱختطّ بها .

وروى عنه عبد الملك بن مُلَيل البلويّ ، ومسلم بن يزيد الصدفيّ وعبّاس بن جليد الحجريّ ، وعقبة بن مسلم التجيبيّ ، ويزيد بن أبي حبيب وغيره .

ولأهل مصر عنه نحو عشرين حديثاً . ولهم عنه حكايات .

وتوفّي بقرية سفط القدور من عمل أسفل أرض مصر بعدما عمّر عمراً

---

(1) أعلام النبلاء ، 3 / 387 58 .

طويلاً وعميَ ، في سنة ستّ وثمانين – وقيل سنة ثمان ، وقيل سنة سبع ، وقيل : سنة خمس وثمانين .

1526 – أبو حذافة السهميّ [– قبل 36][1]

/ عبد الله بن حذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم بن عمرو بن [198 أ] هصيص بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب ، أبو حذافة ، السهميّ.

أسلم وهاجر إلى الحبشة في المرّة الثانية . وكان رسول الله ﷺ أرسله بكتابه إلى كسرى بن هرمز ملك فارس يدعوه إلى الإسلام .

وأمره أيّامَ مِنى أن ينادِيَ : إنّها أيّام أكلٍ وشرب .

وقدم مصر وشهد فتحَها . وولّاه عمرو بن العاصي الإسكندريّة فأسرته الروم ، فكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى قسطنطين متملّك الروم يتوعّده بأن يغزوَه بنفسه إن لم يُخلِ سبيل عبد الله بن حذافة فخلّاه .

ومات في أيّام عثمان رضي الله عنه . واتّفقَ له في أسره مَنْقَبةٌ جليلة : قال خليفة : وفيها – يعني سنة تسع عشرة – أسرت الرومُ عبدَ الله بن حُذافة السهميّ .

وذهبوا به إلى ملكهم وقالوا : هٰذا من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ! فقال له الطاغية : تنصّرْ وأشركك في ملكي !

فقال له : لو أعطيتَني جميعَ ما تملك ما رجعتُ عن ديني .

فقال له : تنصّر وإلّا ألقيتُك في النقرة .

فأبى . فدعا بنقرة – أو قدر من نحاس – فصبّ فيها ماءً وأوقد عليها حتّى

---

(1) الاستيعاب 3/ 888 (1508) – تاريخ خليفة ابن خيّاط 1/ 114 – أعلام النبلاء ، 2/ 11 (2)

ٱلتهبت ، ودعا بنفر من المسلمين فألقاه فيها فإذا عظامه تلوح . فأمر بعبد الله أن يلقى فيها فبكى . فظنّه قد جزَع . فقال : والله ما بكائي من الموت ، وإنّما أبكي حيث لم تكن لي إلّا نفسٌ واحدة يُفعل بها هٰذا في سبيل الله ، وكنت أتمنّى أن يكون لي عدد كلّ شعرة فيّ أو في جسدي أنفس يفعل بها هٰذا في سبيل الله .

فقال له الطاغية : هل لك أن تقبّل رأسي وأُطلقك ؟

فقال : لا ، حتّى تطلق جميع أسارى المسلمين .

قال : نعم .

فقبّل رأسه ، فأطلق له ثمانين أسيراً .

فلمّا دخل المدينة كان عمر رضي الله عنه في المسجد فقام إليه وقبّل رأسه . وكان المسلمون بعد ذلك يداعبونه فيقولون : قبّلت رأس علج !

وفي رواية أنّ عمر رضي الله عنه كتب إلى الطاغية يتهدّدُه ، فأطلقه .

وعن سليمَان بن حبيب أنّه قال : ما ٱختُبر أحدٌ من المسلمين مثلما ٱختبر عبد الله بن حذافة السهميّ .

وقد رُويَ أنّه شكيَ إلى رسول الله ﷺ أنّه صاحب مزاح وباطل فقال : ٱتركوه ، إنّه يحبّ الله ورسولَه .

فرمى على قيساريّة فأُخذ ، وبعثوا به إلى الطاغية وهو بالقسطنطينيّة فقال له : تنصّر وأنكحك ابنتي وأشركك في ملكي .

فقال : لا أفعل .

فقال له : أقتلك .

قال : فعجّل !

فأتى بأسارى فضرب أعناقهم ، فمدّ عنقَه وقال : ٱضرب .

فدعا بنقرة من نحاس فمُلئت زيتاً . فذكر بنحو ما تقدّم . / ورُوي أنّه [198ب] حبس في بيت وعنده لحم خنزير مشويّ وخمر ممزوج فلم يأكل ولم يشرب .

1527 – عبد الله بن عبّاس [3 – 68][1]

/عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب – وهو شَيْبَةُ الحَمْد – بن هاشم – [199 أ] وهو عمرو – بن عبد مناف – وهو المغيرة – بن قصيّ – وهو زيد – بن كلاب ابن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، حَبر الأمّة وترجمان القرآن ، أبو العبّاس ، ابن أبي الفضل ، القرشيّ ، الهاشميّ ، رضي الله عنه .

[العبّاس بن عبد المطّلب أبوه][2]

كان أبوه العبّاس ، عمّ رسول الله ﷺ ، أخا أبيه عبد الله بن عبد المطّلب لأبيه .

وأمّ العبّاس نتيلة ابنة جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر – وهو الضَّحْيان – بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هِنب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، من بني القِرِّيَّة .

والقِرِّيَّة[3] أمّ بني عمرو بن عامر ، وهي أيضاً أمّ ضرار بن عبد المطّلب .

---

(1) الوفيات 3 / 62 (338) - أسد الغابة 3035 - نكت الهميان 180 .

(2) ترجمة العبّاس بن عبد المطلب ، أسد الغابة 2797 .

(3) جمهرة ابن حزم ، 15 .

وكان العبّاس أسنّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين : وُلد قبل الفيل بثلاث سنين .

وكان محبًّا لرسول الله ﷺ مائلاً إليه . وكان رسول الله ﷺ يأتي منزله فيَقِيلُ فيه .

وأسلمت لبابة ٱمرأته حين بُعث رسول الله ﷺ فكانت ثالثةَ النساء أو ثانيتَهنّ بعد خديجة .

وٱعتقد البيعة لرسول الله ﷺ على الأنصار يوم العقبة على رقبة وقريش تطلبه . وكان العبّاس يهابُ قومه فيكتم إسلامه .

وكان ذا مال فيفرّق على قريش . وكان يحامي على مكرمته ومكرمة بني عبد المطّلب من السقاية والرفادة[1] ويخاف خروجها من يده . فخرج مع المشركين يومَ بدرٍ ، وأطعم تجلّداً مع المطعمين ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ بخبر المشركين . فأسر يومئذ وفدى نفسَه وعاد إلى مكّة .

وخرج مجاهراً بإسلامه فلقيَ النبيّ ﷺ بذي الحليفة وهو يريد مكّة فشهد معه فتحَ مكّة ، وحنيناً .

وكان رسول الله ﷺ يجلّه إجلال الولد والدَه .

وٱستسقى به عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عامَ الرمادة فسُقُوا .

ولم يمرّ العبّاس بعمر وعثمان ، رضي الله عنهما ، وهما راكبان وهو راجل إلّا نزلا له حتّى يجوزهما ، إجلالاً له ، أو يمشيان معه حتى يبلغ منزله أو مجلسَه .

[199ب] وكفّ / بصره قبل موته بخمس سنين . وتوفّي في شهر رمضان سنة ٱثنتين

(1) الرفادة كانت للحارث بن عامر ، من بني نوفل (لا لعبد المطّلب) . وهي « ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاجّ » (العقد 3 / 314) – وقال في مكان آخر : الرفادة لبني أسد (4 / 10) .

وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة . ودُفن بالبقيع بعدما صلّى عليه عثمان بن عفّان رضي الله عنه .

[لبابة الصغرى الهلاليّة أمّه]

وأمّ عبد الله بن عبّاس أمّ الفضل لبابة [الصغرى] بنت الحرث بن حَزن بن بجير بن الهُزَم بن رُويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة .

[مولده]

وولد عبد الله بن عبّاس قبل الهجرة بثلاث سنين ، وبنو عبد المطّلب في الشِّعب . فجاء به أبوه إلى النبيّ ﷺ فقبّله ومسح وجهَه ورأسَه ودعا له فقال : اللهمّ آملأ جوفَه فَهْماً وعلماً وآجعَله من عبادك الصالحين . وتوفّي رسول الله ﷺ وله ثلاث عشرة سنة .

وروى عن رسول الله ﷺ [1] ...

ودخل مصر في خلافة عثمان رضي الله عنه . وشهد فتح المغرب . ولهم عنه عدّة أحاديث .

وكان مقدّماً عند أبي بكر وعمر وعثمان .

وحجّ بالناس سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان وهو محصور .

وولّاه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة .

[انقطاعُه عن عليّ بسبب خراج البصرة]

وشخص معه إلى صفّين ، ثمّ رجع إليها والياً . ثمّ كتب أبو الأسود فيه إلى

---

(1) سقوط بنحو تسعة أسطر .

عليّ فغاضب عليًّا وشخص إلى الحجاز .

[200 أ] / روى هشام بن الكلبيّ[1] عن أبيه قال : كان أبو الأسود الدؤلّي مقيمًا بالبصرة وكان يطالع عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، بمَا يبدو من العمّال . وعلِم به عبد الله بن عبّاس . قال أبو مخنف : فمرّ ابن عبّاس يوماً على أبي الأسود فقال له : لو كنتَ من البهائم لكنت جمَلاً ، ولو كنت راعياً ما بلغت بك المرعى ولا أحسنت مِهنتَك[2] !

فكتب أبو الأسود إلى عليّ : أمّا بعد ، فإنّ الله جعلَك والياً مؤتمَناً وراعياً مسؤولاً . وقد بلَوناك فوجدناك عظيم الأمانة ناصحاً للرعيّة ترفدهم وتظلف نفسَك عن دنياهم . وإنّ ابنَ عمّك هٰذا قد أكل ما تحتَ قدَمَيه[3] بغير علمِك ، فلم يسَعْني كتمانُك ذلك . فانظر رحمك الله فيمَا هنالك ، والسلام .

فكتب إليه : أمّا بعد ، فإنَّ مثلَك مَن ينصح الإمام والأمّة ، فلا تدَعْ إعلامي بمَا يكون ، ممّا فيه صلاح الأمّة ، فإنّه واجب عليك ، والسلام .

وكتب إلى ابن عبّاس في ذلك ، فكتب إليه ابن عبّاس : فإنّ الذي بلغك باطلٌ ، وإنّي لما تحت يدي ضابط وله حافظ ، فلا تصدّق الظنين ، والسلام .

فكتب إليه علي : أخبرني بالذي جبَيتَ من الخراج والجِزية ، وفي أيّ شيءٍ وضَعتَه .

فكتب إليه : ابعَث إلى عملِك مَن أحببتَ فإنّي ظاعن .

ثمّ دعا أخوالَه من بني هلال بن عامر [بن صعصعة] ، فأتاه الضحّاك بن عبد الله ، وعبد الله بن رَزين وجماعة . فأخذ ما كان في بيت مال البصرة ، وهو أربع مائة ألف – وقيل سبعمائة ألف ، وقيل ألف ألف – درهم . فتبعتهم بكر

(1) هشام بن محمد بن السائب بن الكلبيّ « أعلم الناس بالأنساب » ، المعارف 536 .
(2) العِقد 4 / 354 .
(3) العقد 4 / 354 : ما تحت يديه .

وغيرُها فٱقتتلوا وكثرت الجراحات في الفريقَين ، وأفلت ٱبن عبّاس في عشرين رجلاً بالمال إلى مكّة . وبلغ عليًّا ذلك فأرسل الخيلَ وراءه ففاتهم .

وكتب إليه : أمّا بعد فإنّي أشركتُك في أمانتي ، ولم يكن من أهل بيتي رجلٌ أوثق في نفسي منك لمؤازرتي وأداء الأمانة . فلمّا رأيتَ الزمانَ على ٱبن عمِّك قد كَلِب ، والعدوّ عليه قد حرب ، وأمانة الناس قد ذهبت ، والأمّةَ قد ٱفتُتِنَت ، قَلبتَ لأبن عمّك ظهرَ المجنّ ففارقتَه مع المفارقين وخذلتَه أسوأ خذلان ، واختطفتَ ما قدرت عليه من مال الأمّة اختطاف الذئب الأَزَلِّ [دامية المعزى][1] . أما توقِنُ بالمعاد ؟ أما تخافُ ربّ العباد ؟ أما يكبُر عليك أنّك تأكل الحرام ، وتنكح وتشتري / الإماء بأموال الأرامل والأيتام ؟ ٱردُدْ إلى المسلمين [200ب] أموالهم . ووالله لئن لم تفعَلْ لا عذرتُ الله فيك ! فإنّ الحسن والحسين لو فعلا ذلك لم يكن لهما عندي هوادة ، والسلام .

فكتب إليه ابن عبّاس : حقّي في بيت المال أكثر ممّا أخذت .

فكتب إليه عليّ : العجب كلّ العجب مِن تزيين نفسِك لك أنّك أخذتَ أقلّ ممّا تستحقّه ! وهل أنت إلّا رجل من المسلمين ليست لك سابقة ، وقد علمتَ سوابقَ أهل بدر وما كانوا يأخذون غيرَ ما فُرض لهم . ويكفي أنّك ٱتّخذتَ مكّةَ وطَناً ، وضربتَ بها عطَناً ، تشتري من مولّدات الطائف ومكّة ما تقع عليه عينُك وتميل إليه نفسُك ، وتبذل فيه مالَ غيرِك ، فكأنّك قد بلغتَ المدى ، وعُرِض عليك عملُكَ غداً بالمحلّ الأعلى ، الذي يتمنّي المضيِّع فيه التوبةَ الخلاصَ[2] ، « وَلَاتَ حِينَ مَنَاصِ ! » (ص ، 3) .

فكتب إليه ٱبن عبّاس : لأن ألقى اللهَ بكلّ ما على ظهر الأرض وبمَا في

---

(1) الزيادة من عيون الأخبار 1 / 57 و2 / 82 . والأزلّ : الخفيف الوركين ، كناية عن الهزال .

(2) العقد ، 4 / 359 .

بطنها أحبُّ إليّ مِن أن ألقاه بدم مسلم .

فكتب إليه عليّ : إنَّ الدماءَ التي أشرتَ إليها قد خُضْتَها إلى ساقَيك وبذلتَ في إراقَتِها جهدَك ، ووضعتَ بإباحتِها خطّك ، وتقشّعت عنها فتياك ، والسلام .

وذكر البلاذري أنّ ٱبن عبّاس لمّا قدم مكّة ٱبتاع من عطاء بن جبير مولى بني كعب الخزاعي ثلاثَ مولّدات : حوراء ، وفنون ، وشادن ، بثلاثة آلاف دينار .

وقد قال قوم : إنّ ٱبن عبّاس ما زال بالبصرة حتّى قُتل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه .

قال أبو زيد[1] : زعم أبو عبيدة – ولم أسمَعه منه – أنّ ٱبنَ عبّاس لم يزَل بالبصرة حتّى قتل عليّ ، فشخص إلى الحسَن بن عليّ يشهد الصلح بينه وبين معاوية ، ثمّ رجع إلى البصرة فحمل ثقله ومالاً مِن بيت المال وقال : هي أرزاقي . (قال أبو زيد :) فذكرتُ ذلك لأبي الحسن فأنكره ، وزعم أنّ عليًّا قتل وٱبن عبّاس بمكّة ، والذي شهِد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيد الله بن عبّاس (قلت) وهٰذا هو الصحيح كما ذكره المدائني وغيره .

[مناقب ابن عبّاس]

ولعبد الله فضائل كثيرة . قال مالك عن الزهري[2] عن عبيد الله بن عتبة عن ٱبن عبّاس قال : كنت في حجّة رسول الله ﷺ مراهقاً للحلم .

---

(1) أبو زيد الأنصاريّ النحويّ (ت215) واسمه سعيد بن أوس – المعارف 454 و594 .

(2) الزهري (أبو بكر محمد بن مسلم) تابِعيّ ، يروي عنه مالك والسفيانان . له ترجمة في المقفّى رقم 3314 . (ت 124) .

وعن سفيان بن عُيَينة[1] عن عبيد الله بن أبي يزيد / قال : سمعتُ آبن [201 أ] عبّاس يقول : أنا فيمَن قدّمه رسول الله ﷺ من ضَعَفة أهله مع النَّفَل من المزدلفة إلى مِنى .

وعن سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : سمعتُ آبن عبّاس يقول : كنت أنا وأمّي من المستضعَفين : كانت أمّي من النساء ، وكنت أنا من الصبيان .

وعن زهير بن معاوية عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن سعيد بن جبير[2] أنّه سمع عبد الله بن عبّاس يقول : وضع رسول الله ﷺ بين كتِفيَّ – أو قال : منكِبيَّ – وقال : اللهمّ فقِّههُ في الدين وعلّمه التأويل !

وعن حمّاد بن سلمة[3] قال : أخبرَنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن سعيد آبن جُبير أنّه سمع ابن عبّاس يقول : إنّ رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة (قال) فوضعتُ له وضوءًا من الليل . فقالت ميمونة لرسول الله : وضع لك هٰذا آبن عبّاس . فقال رسول الله ﷺ : اللهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل !

وقال مجاهد[4] عن آبن عبّاس أنّه قال : رأيت جبريل عليه السلام مرّتين ، ودعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكمة مرّتين .

وعن سفيان عن أبي بكير عن عكرمة[5] عن آبن عبّاس أنّه دخل إلى النبيّ ﷺ ، وعنده رجل . فقال له : مَن هٰذا يا رسول الله ؟ قال : جبريل .

وعن حمّاد بن سلمة عن عمّار ابن أبي عمّار عن آبن عبّاس قال : كنت

---

(1) سفيان بن عُيَينة (ت 198) المحدّث الكبير – المعارف 507 .

(2) سعيد بن جبير : تابعيّ ، قتله الحجّاج سنة 94 لخروجه مع ابن الأشعث (المعارف ، 445) .

(3) حمّاد بن سلمة بن دينار (ت 164) : من رواة الحديث – المعارف 503 .

(4) مجاهد بن جبر (ت 103) : تابعيّ – المعارف 444 و455 .

(5) عكرمة مولى ابن عبّاس (ت 105) – المعارف 438 .

وأبي عند النبيّ ﷺ فكان كالمُعرِض . فلمّا خرجنا قال لي أبي : أي بنيّ ، ألم ترَ إلى النبيّ ﷺ كأنّه مُعرض عنّي ؟

فقلت : إنّه كان يناجي رجلاً .

فرجعنا إليه ، فقال له أبي : قلت لعبد الله كذا فقال كذا . أفكان معك أحدٌ يا رسولَ الله ؟

فقال رسول الله ﷺ : أرأيتَه يا عبدَ الله ؟

قلت : نعم .

قال : ذاك جبريل .

وعن عاصم[1] بن عليّ بن عاصم عن زينب بنت سليمَان بن عليّ[2] قالت : حدّثني أبي عن أبيه قال : دخل عبد الله بن عبّاس على رسول الله ﷺ وعنده رجل . فقام عبد الله فرآه . فآلتفت النبيُّ ﷺ فقال : متى جئت يا حبيبي ؟

فقال : منذ ساعة .

فقال : هل رأيتَ أحداً ؟

قال : نعم ، رأيتُ رجلاً .

فقال ﷺ : ذاك جبريل ، لم يرَه خَلق إلّا عُميَ ، إلّا أن يكونَ نبيًّا ، ولكن أسأل الله أن يجعلَ ذلك في آخر عمرك . / وقال : اللهمّ فقّهه في الدين [201ب] وعلّمْه التأويل وآجعَله من أهل الإيمَان .

---

(1) عاصم : يروي عن أبيه عليّ بن عاصم بن مهيب مولى بني تميم . توفي سنة 221 – المعارف 516 ، 524 .

(2) سليمان بن علي بن عبد الله بن عبّاس : ولي البصرة للسفّاح والمنصور . وزينب آبنته أمّها طالبيّة ، قال فيها حمّاد عجرد الأشعار (مروج 2443 و3993) .

وعن عكرمة عن ٱبن عبّاس قال : ضَمّني رسول الله ﷺ وقال : اللهمّ علِّمْه الحكمةَ !

وعن عمرو بن دينار أنّ كريباً أخبره عن ٱبن عبّاس قال : دعا لي رسول الله ﷺ أن يزيدني الله علماً وفهماً .

وعن عمرو بن دينار[1] عن طاووس[2] عن ٱبن عبّاس قال : دعاني رسول الله ﷺ فمسح ناصيتي وقال : اللهمّ علِّمه الحكمةَ وتأويل الكتاب .

وعن الكلبيّ عن أبي صالح[3] عن ٱبن عبّاس في قوله تعالى : ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (الكهف ، 22) قال : أنا من أولائك القليل .

وقال ليث عن طاووس : أدركت سبعين شيخاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا تدارؤوا في شيءٍ أتَوا ابن عبّاس حتّى يبيّنه لهم ويقرّرهم به ، فينتهون إلى قوله .

وقال ليث[4] عن طاووس : أدركت سبعين رجلاً من أصحاب محمد ﷺ فتركتُهم وٱنقطعتُ إلى هٰذا – يعني ابن عبّاس – فٱستغنيتُ به .

وقال ٱبن جريج[5] عن طاووس : ما رأيتُ رَجُلاً قطّ أعلمَ من ٱبن عبّاس .

وقال حبيب بن أبي ثابت عن طاووس : ما رأيتُ رجلاً خالف ٱبن عبّاس قطّ فتركه حتّى يقرّره بمَا قال .

---

(1) عمرو بن دينار المكّيّ (ت 125) : محدّث يروي عن ابن عبّاس (المعارف ، 468) .
(2) طاووس بن كيسان (ت 106) : المعارف 455 .
(3) أبو صالح باذام ، المعارف 36 – التهذيب 1 / 416 – أو : أبو صالح عبد الرحمان بن قيس : التهذيب 6 / 256 .
(4) الليث بن سعد المحدّث (ت 175) – المعارف 505 .
(5) ابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز – ت 150) – المعارف 488 .

وعن أبي الضّحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : نعم ترجمان القرآن ٱبن عبّاس .

وقال أبو الضّحى عن مسروق : كنت إذا رأيتُ ٱبن عبّاس قلت : أجمل الناس ، فإذا تكلّم قلت : أفصح الناس ، فإذا حدّث قلت : أعلم الناس .

وقال أبو الزناد[1] عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما رأيتُ أحداً كان أعلمَ بالسنّة ، ولا أجلدَ رأياً ، ولا أثقب نظراً من ٱبن عبّاس . وإن كان عمر ابن الخطّاب ، رضي الله عنه ، ليقول له : قد طرأت علينا عُضَلُ أقضيةٍ أنت لها ولأمثالها . — فإذا قال فيها رضي قولَه ، وعُمَرُ ما عُمَرُ في نظره للمسلمين وجَدِّه في ذات الله .

وقال ٱبن أبي نجيح عن مجاهد : ما سمِعتُ فُتيَا أحسنَ من فتيا ٱبن عبّاس ، إلّا أن يقول : قال رسول الله ﷺ .

وقال شعبة عن منصور عن مجاهد : كنت إذا رأيتُ ٱبن عبّاس يفسّر القرآن [202 أ] أبصرتُ على / وجهه نوراً .

وعن عطاء بن أبي رباح[2] : ما رأيتُ مجلساً أكرمَ من مجلس ابن عبّاس ، ولا أعظم جفنةً ، ولا أكثرَ علماً : أصحاب القرآن في ناحية ، وأصحاب اللغة في ناحية يوردهم في وادٍ رحبٍ .

وقال سعيد بن جبير عن ٱبن عبّاس : جمعت المحكَم على عهد رسول الله ﷺ .

قلت : وما المحكم ؟

قال : المفصّل .

---

(1) أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان — ت 130) — المعارف 464 .

(2) عطاء بن أسلم (ت 115) — المعارف 444 .

وقال سعيد بن جبير ويوسف بن مهران عن ٱبن عبّاس أنّه كان يُسأل عن القرآن فيقول : هو كذا ، أما سمعتم الشاعر يقول كذا ؟

وعن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال : كان عمر رضي الله عنه ، يأذنُ لأهل بدر ويأذن لي معهم ، فذكر أنّه سأله وسألَهم فأجابه فقال لهم : كيف تلومونني على ٱبن عبّاس بعد مَا ترونَ ؟

وعن عطاء بن يَسَار[1] أنَّ عمر وعثمان رضي الله عنهما ، كانا يدعوان ابن عبّاس مع أهل بدر . وكان يفتي في عهد عثمان إلى أن مات .

وقال سفيان بن عُيَيْنة عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : كان ٱبن عبّاس إذا سئل عن الأمر فكان في القرآن أخبرَ به . فإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به . فإن لم يكن في شيءٍ من ذلك ٱجتهد رأيَه .

وقال جرير بن عبد الحميد[2] عن مغيرة[3] : قيل لأبن عبّاس : بمَ أصبتَ هٰذا العلم ؟

فقال : بلسانٍ سؤول وقلب عقول .

وقال معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة أنّ ٱبن عبّاس قال : سلوني عن التفسير ، فإنّ ربّي وهبني لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً .

وقال حمّاد بن زيد[4] عن الزبير بن الخرّيت[5] عن عكرمة قال : كان ٱبن عبّاس أعلمَ بالقرآن من عليّ بن أبي طالب . وكان عليّ أعلم بالمبهمات منه .

وقال مجاهد : كان ٱبن عبّاس يسمّى البحر لكثرة علمه .

---

(1) عطاء بن يسار (ت 103) «كان قاصًّا» (المعارف ، 459) .
(2) جرير بن عبد الحميد الضبّي . المعارف 456 . تهذيب 2 / 75 .
(3) مغيرة بن مقسم الضبي – المعارف 551 .
(4) حمّاد بن زيد – المعارف 440 .
(5) الزبير بن الخرّيت – التهذيب 3 / 314 – المعارف 346 .

وقال ٱبن جريج عن عطاء أنّه كان يقول : قال البحر كذا ، وأفتى البحرُ بكذا - يعني ٱبن عبّاس .

نماذج من تفسير ابن عبّاس

وقال سعيد بن جبير : وجد ناس من المهاجرين على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، في إدنائه ٱبن عبّاس دونهم . فقال عمر : أما إنّي سأُريكُمْ اليوم منه ما تعرفون / به فضله - فسألهم عن هٰذه السورة : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [202ب] (النصر ، 1) فقال بعضهم : أمر الله نبيّه ﷺ إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً أن يحمده على ذلك ويستغفره .

فقال عمر : يا ٱبن عبّاس ، تكلّم !

فقال : أعلمَه أنّه ميِّت ، يقول : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ﴾ فهي آيتُك في الموت .

ثمّ سألهم عن ليلة القدر فأكثروا القولَ فيها ، فقال بعضُهم : ليلة إحدى وعشرين ، وقال بعضهم : ليلة ثلاث وعشرين ، وقال بعضهم : ليلة سبع وعشرين .

فقال لٱبن عبّاس : تكلّم !

فقال ٱبن عبّاس : إنّ الله وتر يحبّ الوتر : خلق السماوات سبعاً ، والأرضين سبعاً ، وجعل عدّة الأيّام سبعةً ، وجعل الإنسان من سبع فقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَجَعَلْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون ، 12 ـ 14) . ثمّ جعَل رِزقَ الإنسان من سبع فقال : ﴿ إِنَّا صَبَبْنَا ٱلمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعِنَباً وَقَضْباً ، وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ،

وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُم ﴾ (عبس ، 25 – 32) ، فأمّا السبعة فمتاع لبني آدم ، وأمّا الأَبُّ فهو ما تُنبتُ الأرضُ للأنعام . وما نُراها إن شاء الله إلّا لثلاث وعشرين تمضِي ولسبع يبقَين .

فقال عمر : كيف تلومونني على ٱبن عبّاس ؟

وقال عوانة بن الحكم[1] عن أبيه : قيل لعبد الله بن عبّاس : أرجلٌ كثير الذنوب كثير الحسنات أحبّ إليك أم رجلٌ قليل الذنوب قليل الحسنات ؟

فقال : ما أعدلُ بالسلامة شيئاً .

وقال الحسن : أوّلُ مَن عَرَّفَ بالبصرة ٱبن عبّاس . وكان كثيرَ العلم : قرأ سورة البقرة ففسّرها آيةً آيةً وحرفاً حَرفاً .

وقال يزيد بن هارون[2] عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة[3] عن ٱبن عبّاس أنّه قال : وجدتُ عامّة حديث رسول الله ﷺ عند الأنصار . فإن كنت لآتي الرجل منهم فأجده نائمًا ، ولو أشاء أن يُوقَظَ لي لأُوقِظَ . فأجلس على بابه تسفي الريحُ على وجهي التراب حتّى / يَستيقظ متى ٱستيقظ فأَسْأَلُهُ عمّا أريدُ ثمّ [203 أ] أنصرف .

وقال بقية بن الوليد الحمصيّ عن سليمَان الأنصاريّ : إنّ ٱبنَ عبّاس كان يقولِ : مَن حَلُم ساد ، ومن تفهّم ٱزداد .

وقال إسماعيل بن عليّة[4] عن أبي عون[5] عن عكرمة أنّ عليًّا رضي الله عنه أحرق ناساً ٱرتدّوا عن الإسلام ، فبلغ ذلك ٱبنَ عبّاس فقال : ما كنت

(1) عوانة : عيون الأخبار 1 / 201 .

(2) يزيد بن هارون بن وادي (معارف 456) أو ابن زادان (تهذيب 2 / 302) .

(3) أبو سلمة البصري (عمارة بن زادان) – تهذيب 12 / 135 . وانظر عيون الأخبار 2 / 122 .

(4) إسماعيل بن عليّة : عيون الأخبار 1 / 272 .

(5) أبو عون (محمد بن عبد الله) التهذيب 9 / 322 .

لأُحرقهم ، فإنّ رسول الله ﷺ قال : « لا تُعذّبوا بعذاب الله » . ولكنّي أقتُلُهم ، فإنّ رسول الله ﷺ قال : مَن بدّل دينَه منكم فٱقتلوه .

فبلغ ذلك عليًّا فقال : لله درّ ٱبن عبّاس !

وقال ابن عليّة عن عُيَيْنة بن عبد الرحمان بن جوشن عن أبيه عن ٱبن عبّاس أنّه نعيَ إليه أخوه قُثَم[1] وهو في سفر ، فٱسترجع ثمّ عدل عن الطريق فأناخ راحلتَه وصلّى ركعتين أطال فيهما ، ثمّ عاد إلى راحلته فركبها . فقيل له : ما رأينا كما فعلتَ .

فقال : أما سمعتم الله يقول : ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلخَاشِعِينَ﴾ (البقرة ، 45) .

وقال طاووس عن ٱبن عبّاس أنّ معاوية قال له : أنت على ملّةِ عليّ .

قال : لا ، ولا على ملّة عثمان . ولكنّي على ملّة محمّد رسول الله ﷺ .

وعن قتادة أنّ عليًّا ، رضي الله عنه ، قال في قوله تعالى : ﴿وَٱلعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ : هُنّ الإبل . وقال ٱبن عبّاس : هي الخيل . فبلغ ذلك عليًّا فقال : صدق والله ٱبن عبّاس .

وعن جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث قال : كان رسول الله ﷺ يصُفّ عبدَ الله وعبيدَ الله وكُثيراً بني العبّاس ويقول : « من يسبق إليّ فله كذا ! » فيستبقون إليه ويقعون على صدره وظهره فيقبّلهم ويلتزمهم .

وقال مصعب بن عبد الله الزبيريّ عن ٱبن الدراوردي عن جعفر بن محمد[2] عن أبيه : لم يبايع رسول الله ﷺ ممّن لم يبلغ منّا[3] إلّا عبد الله بن

(1) قثم بن عبّاس : ولي المدينة لعلّي (جمهرة ، 18) .
(2) أي : جعفر الصادق بن محمد الباقر .
(3) في المخطوط : الأمناء إلاّ .

العبّاس . والحسن ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم .

وقال وكيع[1] عن سفيان عن عبد الرحمان بن عابس أنّه قال : قلت لأبن عبّاس : أشهدتَ العيد مع رسول الله ﷺ ؟

فقال : نعم . ولولا مكاني منه ما شهدتُه .

وقال سفيان عن سلَمة بن كهيل[2] عن الحسن العُرَفيّ عن أبن عبّاس قال : قدمنا / ونحن أغيلمة من بني عبد المطّلب على حُمَيِّراتنا ليلة المزدلفة فجعل [203ب] النبيّ ﷺ يلطخ على أفخاذنا ويقول : لا ترمُوا الجمرةَ حتّى تطلع الشمس !

وقال طاووس : ما رأيت أبن عبّاس مفطراً جمعة تامّة قطّ .

وقال يزيد عن عكرمة : كان أبن عبّاس في العلم بحراً . فلمّا عمّر أتاه ناس من أهل الطائف معهم علم مِن علمه – أو قال : كتبٌ من كتُبِه – فجعلوا يَستَقرئُونَه وجعل يُقدّم ويؤخِّر . فلمّا رأى ذلك قال : إنّي قد بلهتُ من مصيبتي هٰذه : فمَن كان علِم من علمي شيئاً فليقرَأْه عليّ ، فإنّ إقراري له به كقراءتي إيّاه عليه . (قال) فتروَّوا عليه .

وقال سفيان عن نافع عن أبي مليكة : كان أبن عبّاس يجلس في الصُفّة . وكان الناس يتصدّعون عن فتياه فيقول السّقاة : كأنّه رسول الله ﷺ إلّا أنّه لم يُبعَث .

وعن عمير بن بشر الخثعميّ قال : قال ابن عمر رضي الله عنه : أبن عبّاس أعلم الناس بمَا أنزل على محمد ﷺ .

---

(1) وكيع بن الجرّاح (ت 197) – المعارف ، 507 .

(2) سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي : تهذيب 4 / 155 .

(3) أبوه مولى عبد الله بن جدعان – المعارف، 475 .

إجلال عمر لٱبن عبّاس

وقال عطاء عن زيد بن أسلم[1] عن ٱبن عمر قال : قال عمر ، رضي الله عنه ، لٱبن عبّاس : إنّي رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسَح رأسك وتفل في فيك وقال : « اللهمّ فقِّهه في الدين وعلّمْه التأويل ! » – فكان يقرّبه .

وعن سعيد بن جبير قال : قال عمر ، رضي الله عنه ، لٱبن عبّاس : لقد علمتَ علماً ما علمناه .

وقال الحسن : كان ٱبن عبّاس من الإسلام بمكان ، ومن علم القرآن بمنزلة رفيعة . وكان عمر ، رضي الله عنه ، إذا ذكره قال : ذاكم كهلُ الفِتيان ! – وفي رواية : كان عمر يأذن له مع المهاجرين ويسأله ويقول : « غص غوّاص ! » وكان إذا رآه مقبلاً قال : أتاكم فتى الكهول ، له لسانٌ سؤول وقلب عَقول !

وقال قتادة : كان ٱبن عبّاس منطيقاً .

وقال سعيد بن جبير : لقِيني رجل من يهود الحيرة فقال : يا أبا عبد الله ، أيّ الأجَلَين قضى موسى ؟

قلت : لا أدري .

ثمّ لقيت ابن عبّاس بعدُ فسألتُه فقال : قضى أكبرَهما وأتمَّهما .

فلقيتُ اليهوديّ فأعلمتُه ذلك فقال : صاحبُك والله عالم !

وقال شفيق بن سلَمة : شهِدت ٱبن عبّاس وهو على الموسم ، فخطب ثمّ تلا سورة النور وفسّرها . فقال رجل : ما رأيت كلاماً أحسنَ من هٰذا ! لو سمعه الترك والروم لأسلمُوا .

[204 أ] وقال الحسن عن عبد الله بن بريدة / : أسمع رجلٌ ٱبن عبّاس كلاماً فقال

(1) أبوه مولى عمر بن الخطّاب . وزيد بن أسلم كثير الرواية عن أبيه . (المعارف ، 189) .

له : أما إنّك تُسمعُني ، وفيّ ثلاث خلال : إنّي لأسمعُ بالحاكم العدل من حكّام المسلمين فأفرح به ، ولعلّي لا أقاضَى إليه أبداً .

وإنّي لأسمع بالغيث يصيب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به ومالي بالبلد سائمة .

وإنّي لآتي على الآية من كتاب الله فأودّ أنّ الناس جميعاً يعلمون منها ما أعلم .

وقال أبو رجاء العطاردي[1] : رأيتُ هٰذا المكان من ٱبن عبّاس مثل الشراك البالي من الدموع – ووضع أبو رجاء يده عليه – يعني مجرى الدموع .

وعن إبراهيم التيميّ[2] قال : خلا عمر بن الخطّاب يوماً يفكّر كيف تختلف الأمّة ونبيُّها واحدٌ ، وقبلتُها واحدة ، وكتابُها واحدٌ ؟ فدعا ٱبن عبّاس وسأله عن ذلك فقال ٱبن عبّاس : أُنزل القرآن علينا فقرأناه وعلِمنا فيمَا نزل ، وسيكون بعدنا أقوام يقرؤونه ولا يدرون فيمَا نزل فيكون لهم فيه رأي فإذا كان ذلك ٱختلفوا . فزبره عمر . ثمّ إنّه أرسل إليه فقال : « أعِد عليَّ قولَك » ، فأعاده ، فعرف عمر صوابه وأعجبه .

وعن القٰسم بن عوف الشيبانيّ أنّ عبد الله بن عبّاس قال لكعب الأحبار : إنّي سائلُك عن أشياء فلا تحدّثني بمَا حُرِّف من الكتاب ، ولا بأحاديث الرجال . وإن لم تعلم فقل : لا أعلم ، فإنّه أعلم لك .

وقال القٰسم بن سلّام : ثنا محمد بن رجاء الواسطيّ : ثنا ٱبن ثوبان عمّن سمع الضحّاك[3] يحدّث عن ٱبن عبّاس أنّه قال : قال لي رسول الله ﷺ : حدّث إذا حدّثتَ ، إلّا أن تجد قوماً تحدّثهم بشيء لا تضبطه عقولهم ،

---

(1) أبو رجاء العطاردي (ت 117 عن 128 سنة) – المعارف – 427 .

(2) قال ابن قتيبة (المعارف 625) : من المرجئة .

(3) الضحّاك بن مزاحم (ت 102) – المعارف 457 .

فيكون ذلك فتنةً لبعضهم . (قال) وكان ٱبن عبّاس يخفي أشياء ويفشيها إلى أهل العلم .

وقال ٱبن أبي مليكة : سافرتُ مع ٱبن عبّاس ، فكان يسير النهار وينزل الليل فيقوم فيصلّي في نصف الليل يقرأ القرآن ، فيُكثر أن يقرأ : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق ، 21) ثمّ يبكي حتّى نسمع له نشيجاً .

وقال عطاء عن ٱبن عبّاس : لو أخبر الناس ببعض تأويل القرآن لرجموني بالحجارة .

وقال ٱبن جريج : قال لي ٱبن أبي مليكة : جاء ٱبنَ الزبيّر مالٌ أوّلَ ما جاءه . فٱنطلق ٱبن عبّاس إليه ، وهو في قعيقعان فقال : إنّك قد دعوتَ الناس [204ب] إلى ما قد علمتَ ، وقد جاءك مالٌ وبالناس حاجةٌ . /

فقال ٱبن الزبير : وما أنتَ وهٰذا ؟ إنّك أعمى ، أعمى الله قلبَك .

فقال ٱبن عبّاس : بل أعمى الله قلبك .

قال ٱبن الزبير : والله ما أنت بفقيه .

قال ٱبن عبّاس : والله لأنا أفقهُ منك ومن أبيك .

فلمّا خرج قال لقائده : مَن عنده ؟

قال : ٱبنتُه وٱمرأتُه .

قال : فهلّا أخبرتني ؟ فوالله لو علمتُ ما أسمعتهما شتْمَه . (قال) ثمّ أرسل إليه ابنُ الزبير أبا قيس الزرقي بأنّا لسنا بأوّل ٱبني عمّ ٱستبّا ، فٱكفُف عنّي وأكفّ عنك .

قال ٱبن عبّاس : إن كفّ كففتُ ، وإن أذاع أذعتُ .

قال ابن جريج : قال ٱبن أبي مليكة : وكان بينهما شيءٌ . فغدَوتُ على ٱبن عبّاس فقلت : أتريدُ أن تقاتلَ ٱبن الزبير فتُحِلَّ حرم الله ؟

فقال : معاذ الله ! إنّ الله كتبَ بني أميّة وآبن الزبير مُحِلّين[1] وإنّي والله لا أُحلُّه أبداً . قال الناس : بايعْ لأبن الزبير ! فقلت : وأنّى بهذا الأمر عنه ؟ أمّا أبوه فحَواريّ رسول الله ﷺ . وأمّا جدّه فصاحب الغار – يعني أبا بكر رضي الله عنه – وأمّا أمُّه فذات النطاقَين . وأمّا خالته فعائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها . وأمّا عمّتُه فخديجة زوج النبيّ ﷺ . وأمّا عمّةُ رسول الله ﷺ صفيّة فجدّته . ثمّ عفيف في الإسلام قارىء القرآن ، والله لأحاسبنّ نفسي له محاسبةً ما حاسبتُها لأبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما . إنّ آبن أبي العاصي برز يمشي القدميّة – يعني عبد الملك بن مروان – وإنّه لوى ذَينه – يعني ابن الزبير .

وعن الشعبي[2] أنّ آبن الزبير قال لأبن عبّاس : قاتلتَ أمّ المؤمنين وحواريّ رسول الله ﷺ ، وأفتيتَ بتزويج المتعة .

فقال : أمّا أمّ المؤمنين فأنت أخرجتَها وأبوك ، وبنا سُمّيت أمّ المؤمنين ، وكنّا لها خيرَ بنين ، فتجاوز اللهُ عنها !

وقاتلت أنت وأبوك عليًّا ، فإن كان عليّ مؤمناً فقد ضللتُم بقتال المؤمنين . وإن كان كافراً فقد بُؤتم بسخط من الله لفراركُم من الزحف .

وأمّا المتعة فإنّه بلغَني أنّ رسول الله ﷺ رخّص فيها وأنّ أوّل مَجْمَر[3] سطع في المتعة[4] لمَجمر في آل الزبير .

---

(1) كان ابن الزبير يدعى « المحلّ » لإحلاله القتال في الحَرَم (العقد 4 / 413) .

(2) العقد 4 / 14 . والشعبيّ إمّا عامر بن شراحيل (ت 105) المعارف 449 ، أو الحسن بن إبراهيم القاضي (مروج 1347 ، 1352) .

(3) المِجمر : هو الذي يُتَبَخَّرُ به ، ويُعدّ له الجَمر ويوضع فيه البخور (اللسان : جمر) .

(4) في العقد 4 / 14 والمروج 1953 : يريد متعةَ الحجّ لا متعة النساء .

بين ابن عبّاس وابن الزبير

وقال هشام الكلبي عن أبي مِخنَف[1] وعوانة قالا : قال عبد الله بن الزبير يوماً ، وهو على منبر مكّة ، وٱبن عبّاس حاضر : إنّ هٰهُنَا رجلاً أعمى الله قلبه / كما أعمى بصَرَه ، يزعم أنّ متعة النساء حلال من الله ورسوله ، يُفتي في القملة والنملة ، وقد حمَل ما في بيت مال البصرة وترك أهلها يرضخون النوى . وكيف يُلامُ على ذلك . وقد قاتل أميرَ المؤمنين وحواريّ رسول الله ﷺ ومَن وقاه بيده - يعني طلحة رضي الله عنه ؟ [205 أ]

فقال ٱبن عبّاس لقائده سعيد بن جبير : « ٱستقبل بي ٱبن الزبيّر ! » ثمّ حسر عن ذراعيه وقال : يا ٱبنَ الزبير [رجز] :

إنّا إذا ما فئةٌ نَلْقاها نرُدُّ أولاها على أُخراها

حتّى تصير ضرَعاً دعواها قد أنصف القارة من راماها[2]

يا ٱبن الزبير ، أمّا العَمَى فإنّ الله يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحجّ ، 46) .

وأمّا فُتيَايَ في النملة والقملة فإنّ فيهما حُكمَين لا تعلَمُهُما أنت ولا أصحابُك .

وأمّا حمل مال البصرة فإنّه كان مالاً جبيناه ثمّ أعطَينا كلّ ذي حقٍّ حقّهُ ، وبقِيَت بقيّة هي دونَ حقّنا في كتاب الله وسهامه ، فأخذناه بحقّنا .

وأمّا المتعة فإنّ أوّل مجمر سطع في المتعة مجمرٌ في آل الزبير . فسَلْ أُمّك عَنْ بُرْدَيْ عوسجة !

وأمّا قتال أمّ المؤمنين فبِنا سُمّيَت أمّ المؤمنين لا بك وبآبائك . فٱنطلق أبوك

(1) في المخطوط : أبي مخنفة . وهو أبو مخنف الازدي (المعارف 537) .

(2) في المروج 3 / 280 (1952) : الرجز لرجل من قبيلة القارة (هامش المحقّق رقم 3) . وانظر مجمع الأمثال 2867 وفصل المقال للبكري 205 واللسان (قور) .

وخالُك - يعني طلحة - فعمِدا إلى حجابٍ مدّهُ الله عليها فهتكاه عنها ، ثمّ اتّخذاها فِئةً يقاتِلان دونها وصانا حلائلَهُما في بيوتهما . فوالله ما أنصفا اللهَ ولا محمّداً ﷺ في ذلك .

وأمّا قتالُنا إيّاكم فإن كُنّا لقِيناكم زحفاً ونحن كفّار فقد كفرتُم بفراركم من الزحف . وإن كنّا مؤمنين فقد كفرتُم بقتالكم إيّانا . وأيم الله ! لولا مكان خديجة فينا وصفيّة فيكم ما تركت لك عظماً مهموزًا[1] إلّا كسرتُه !

فلمّا نزل ٱبن الزبير سأل أمّه عن بُردي عوسجة فقالت : ألَم أنهَك عن ٱبن عبّاس وبني هاشم ؟ فإنّهم كُعْمُ[2] الجواب إذا بُدهوا .

قال : بلى ، فعصَيتُكِ .

قالت : فٱتّقِهِ ، فإنّ عنده فضائح قريش .

فقال في ذلك أيمن بن خريم بن فاتك الأسديّ [بسيط] :

يا ٱبن الزبير لقد لاقيت بائقةً ... من البوائق فالطف لطف محتالِ / [205ب]

لقِيتَهُ هاشميًّا طابَ مغرسه ... في منبتيه كريم العمّ والخالِ

ما زال يقرع منك العظمَ مقتدراً ... على الجواب بصوتٍ مسمعٍ عالِ

حتى رأيتُك مثل [الضبّ] منحجراً ... خلف الغبيط ، وكنتَ البادىء الغالي

5 إنّ ٱبن عبّاس المحمود حكمته ... حَبرُ الأنام له حال منَ الحالِ

عيّرته المتعةَ المتبوع سنّتُها ... وبالقتال ، وقد عيّرتَ بالمالِ

---

(1) مهمور : في المعاجم : الهمر من الناس : الغليط .

(2) كُعُم ج أكعم : وهومكعوم الفم مشدود كما يُكعَم البعير (اللسان) . والمنتظر أن تقول أسماء غير هٰذا إذ تحذّر ابنها من بداهة ابن عبّاس .

هٰذا ولم نتبيّن قصّة بردي عوسجة . في مروج الذهب ، 3/ 280 إشارة إلى « البردة والعوسجة » دون تفصيل ، وكأنّ ٱبن عبّاس يعني متعة الحجّ لا متعة النساء فإنّ الزبير أبعد عنه أسماء وقد أحلّت بعد الإحرام ولبست ثيابها وتطيّبت ، فخاف « أن يثب عليها » .

لمّا رماك على رسلٍ بأسهمِه	جرى عليك كسوفُ الحال والبالِ
واْعلم بأنّك إن حاولتَ نُقصتَه	عادت عليك مخازٍ ذاتُ أذيال[1]

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري في عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه ، وقد كلّمَ عاملاً في الأنصار وكلّمه فيهم غيره فلم يبلغ أحدٌ منهم مبلغه في الكلام حتّى قضيت حاجتُهم [طويل] :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل	بمنتظماتٍ لا ترَى بينها فصلا
كفى ، وشفى ما في النفوس ، ولم يدع	لِذي إربةٍ في القولِ جدًّا ولا هَزَلا
سموت إلى العليا بغير مَشقّةٍ	فنِلتَ ذُراها لا دنِيًّا ولا وَغْلَا

وقال أبو الزناد عن الأعرج عن عبد الرحمان بن حسّان عن أبيه حسّان بن ثابت قال : بدت لنا معشر الأنصار إلى الوالي حاجةٌ ، وكان الذي طلبنا أمراً صعباً . فمشَينا إليه برجال من قريش وغيرهم ، فكلّموه وذكروا له وصيّة رسول الله ﷺ بنا . فذكر صعوبة الأمر فعذره القوم وخرجوا .

وألحّ عليه ابن عبّاس فوالله ما وجد بُدًّا من قضاء حاجتنا . فخرجنا حتّى دخلنا المسجد فإذا القوم فيه أنديةً . فصحت وأنا أسمعهم : إنّه والله كان أولاكم بها ! إنّه والله صبابة النبوّة ووراثةُ أحمد ﷺ ، وتهذيب أعراقه ، واْنتزاع شَبَه طبائعِه !

فقال القوم : أجمِلْ ! أجمِلْ يا حسّان !

فقال له ابن عبّاس : صدقوا فأجمِل !

فأنشأ حسّان يمدح ابن عبّاس فقال :

إذا ما اْبن عبّاس بدا لك وجهُه	رأيتَ له في كلّ مجمعةٍ فضلا

(1) هٰذه الأبيات لا توجد ضمنَ ما جمعَه الطيّب العشّاش من شعر أيمن بن خريم (حوليّات ، 9/ 1972 ص 101) ولا في ترجمة أيمن التي مرّت برقم 893 .

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل | بملتقطات لا ترى منها فصلا / [206ب]
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدَع | لذي إربة في القول جدًّا ولا هَزْلا
سموتَ إلى العليا بغير مشقّةٍ | فنِلتَ ذُراها لا جباناً ولا وغلا
5 خُلقتَ حليفاً للمروءة والنّدى | بليجاً ولم تخلق كهاماً ولا جَبْلا[1]

فقال الوالي : والله ما أراد بالكَهَام والجَبْل غيري ، فالله بيني وبينه .

وقال عطاء عن ٱبن عبّاس : المعروفُ أوثقُ الحصون ، وأرشدُ الأمور . ولن يَصلحَ المعروف إلّا بتعجيله وستره وتصغيره ، فإنّك إذا عجّلته هنّأته ، وإذا سترته أتْمَمْتَه ، وإذا صغّرته عظّمته ، وإذا مطلته نكّدته ونغّصته .

وقال عبد الله بن بريدة عن كعب الأحبار[2] أنّه كان عند معاوية ، فقرأ معاوية : في عَيْنٍ حَامِيَةٍ ، فقال كعب : ﴿في عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ (الكهف ، 86) ، فلم يقبل منه وقال : عليّ بٱبن عبّاس !

فلمّا جاء قال : كيف تقرؤونها ؟

فوافق كعباً ، فلم يرجع معاوية ، فغضِب كعب ، فقال ٱبن عبّاس : لا تغضب يا كعب ، فإنّك من الذين أوتوا الكتاب ، تؤمن به . ومعاوية من الأحزاب ينكر بعضَه .

فقال معاوية : أمشاتِمي أنتَ يا ٱبنَ عبّاس ؟

قال : إن شئتَ .

قال : قد شئتُ .

---

(1) في ديوان حسّان ، 359 لا ذكر للبيت الأوّل ولا البيت الخامس .
والبليح من الرجال : الطلق الوجه . والكهام : الضعيف البطيء . والجبْل : البخيل .

(2) كعب الأحبار توفّي سنة 32 ومعاوية صار خليفة بعد سنة 40 . وربّما جالسه حين كان واليا على الشام .

فقال : لولا البيعةُ التي لك عندي ، ولولا السلطان لفعلتُ .

قال : فلا بيعةَ لي عليك ولا سلطان ، فقُل !

قال : بل أُجلّك يا أميرَ المؤمنين وأكرمُك .

فسكن بعض غضبه ، ثمّ قام إلى الصلاة وقال : أطبقِ المصحف يا غلام ، فإنّي ما أرى الحرفَ إلّا كما قالا .

[207 أ] ولمّا أنكر الخوارج / على عليّ ، رضي الله عنه ، تحكيم الحكَمين وآنحازوا عنه ، خرج إليهم آبن عبّاس ، فقالوا : مرحباً بك يا آبن عبّاس ، ما جاء بك ؟[1]

جدال بين ابن عبّاس والخوارج

قال : جئت لأخبركم عن أصحاب محمد ﷺ ، فليس فيكم رجل منهم .

فقال بعضُهم لبعض : لا تخاصموه ، فإنّ الله يقول : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف ، 58) .

فقال آبن عبّاس : أخبروني ما الذي نقَمتم على آبن عمّ رسول الله ﷺ عليّ ؟

قالوا : نقمنا عليه أنّه حكّم الرجال في دين الله ، ولا حكمَ إلّا لله ، وأنّه قتل ولم يسبِ ، ومحا « أمير المؤمنين » وكتب آسمَه .

فقال آبن عبّاس : أمّا قولكم : حكّم الرجال ، فإنّ الله تبارك وتعالى حكّم الرجال في دينِه في الشقاق بين الرجال والنساء ، وفي أرنب ثمنُها ربع درهم يصيبُها المُحرِم فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ،

(1) العقد 2 / 389 .

وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُم بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (المائدة ، 95) . فالحُكم في حقن الدماء وصلاح ذات البين أفضَلُ .

قالوا : نعم .

[قال :] وأمّا قولكم : قَتَلَ ولم يَسْبِ فَأَيُّكُمْ كان يأخُذُ عائشة أمَّ المؤمنين في سهمه ، وهي أمّهُ ؟ فإن قلتم : ليست بأمّنا فقد كفرتم ، وإن قلتم : نأخذها ضللتم .

وأمّا قولكم مَحَا اسمَهُ [من الخلافة][1] ، فإنّ رسول الله ﷺ وهو خيرُ من عليّ وادع قريشاً بالحديبيّة فكتب : « هٰذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله » . فقالوا : « لو أقررنا بأنّك رسول الله لم نخالِفك » . فقال : امح ، واكتب : هٰذا ما اصطلح [عليه] محمد بن عبد الله ...

فاتّبع ابنَ عبّاس ألفان من الخوارج ، وبقيت بقيّتُهم .

وعن عكرمة عن ابن عبّاس قال : أُتِيتُ في مَنامي فقيل لي : هٰذه ليلة القدر ، فقمت وأنا ناعس فتعلّقتُ ببعض أطناب فسطاط رسول الله ﷺ فنظرت فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين .

وعن محمد بن كعب قال : قال ابن عبّاس بعد أن أصيبَ ببصره : ما أَأْسَى على شيءٍ إلّا على أنّي لم أحُجَّ ماشياً لأنّي سمعتُ الله يقول : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (الحجّ ، 27) .

وقال ابن عبّاس لوبرةَ بنِ عبد الرحمان المسلي : إيّاك والكلام فيمَا يعنيك[2] إذا كان في موضعه ، ولا تمار سفيهاً ولا حليمًا ، فإنّ السفيهَ يُؤذيك ، وإنّ الحليمَ يَقليك . واذكر أخاك في غيبته بمَا / تحبّ أن يذكرَك به ، ودَعْه ممّا [207

(1) الزيادة من العقد 2 / 389 ، وبها يتّضح قصدهم .

(2) النصيحة مستغربة ، ولعلّ في الكلام سقطا : ... اذا كان في [غير] موضعه ، كمَا يُفهم من الرواية الثانية الآتية .

تحبُّ أن يدَعك منه .

وفي رواية : دع الكلام فيمَا لا يعنيكَ فإنّه فضل . ولا تتكلّم فيمَا يعنيك إذا لم تصب موضعه فإنّه جهل .

وفي رواية : دع ما لا يَعنيك فإنّه فضل . ولا تكلّم بمَا يعنيك في غير موضعِه ، فربّ متكلِّم بمَا يَعنيه في غير موضعه قد عنِت . ولا تُمارِ سفيهاً ولا حليمًا ، فإنّ الحليم يقليك وإنّ السفيهَ يؤذيك . وٱذكر أخاكَ بمَا تحبّ أن يذكرك به ، ودَعْه ممّا تحبّ أن يدَعَك منه . وٱعمَل عملَ مَن يرى أنّه مُجزًى بالإحسان مأخوذٌ بالإجرام .

وقيل لأبن عبّاس : إنّ ابنَ الزبير ينتقصُك فقال : دُبَى حَجَلٍ ، « لو ذات سوارٍ لطمَتني » . أما والله إنّي لأعرِفُ دَخْلاً ودُخَيلاً ، وما سبَبْتُ قُرَشيًّا قطّ إلّا يحيى بن الحكم[1] فٱشتفى من لحم سمينٍ وٱشتفيتُ من مثله .

وعزّى معاوية ابنَ عبّاس عن الحسن بن عليّ ، رضي الله عنهم ، فقال له : لا يسوؤُك الله !

فقال : لا يسوؤني ما أبقى اللهُ أميرَ المؤمنين .

ثمّ إنّ يزيد بن معاوية ركب إلى ابن عبّاس فجلس مجلسَ المعَزّيَ . فلمّا قام قال ٱبن عبّاس : ما تكاد تعدم من الأمويّ عقلاً وكرماً .

وقال ٱبن عبّاس : الهدى الصالح والسمتُ الحسَن والاقتصاد في الأمور جزء من أجزاء النبوّة .

وقال داود بن أبي هند[2] عن محمّد بن أبي موسى عن ٱبن عبّاس أنّه فقد غلاماً له ، فحلف بالله ليضربنّه . فلمّا جاء الغلام قال له : أين كنت ؟

---

(1) لعلّه يحيى بن الحكم الأمويّ أخو مروان بن الحكم .
(2) داود بن أبي هند (ت 139) – المعارف 482 .

قال : كنتُ في موضع كذا .

فعفا عنه ولم يضربه . فقيل : ألستَ قد حلفت ؟

فقال : أوَلم أعف عنه إحداهُما بالأخرى ؟

ولمّا كُفَّ بصرُه أنشد [بسيط] :

ما زال عمري على الأيّام منتقصاً   حتّى فنيتُ وحبلُ الدهر ممدود
أقدّم العودَ قدّامي وأتبعُه   وكنتُ أمشي وما يمشي بيَ العودُ

ولمّا وقع في عين ابن عبّاس الماء أراد أن يتعالج منه . فقيل له أن يمكث كذا وكذا يوماً لا يصلّي إلّا مضطجعاً ، فكرِه ذلك .

وقال مجاهد : أتى ابن عبّاس عثمان بن عفّان ، وعنده زيد بن ثابت رضي الله عنه ، فخرجا جميعاً فأراد زيد أن يركب ، فأخذ ابن عبّاس بركابه فآمتعض زيد من ذلك وقال : ما هٰذا فداك أبي وأمّي ؟

فقال ابن عبّاس : هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا . (قال :) فقبّل زيد يدَه وقال : هكذا أُمِرنا أن نفعلَ بأهل بيت نبيّنا .

وقال آبن جريج عن عثمان بن أبي سليمَان : إنّ ابنَ عبّاس كان يبتاع الرداءَ بألف درهم[1] .

وقال حبيب بن أبي ثابت : رأيتُ على آبن عبّاس قميصاً سابريًّا يُبيّن إزارُه مِن رِقّته .

وقال أبو صالح : أنشد الأحوص بن محمد عبدَ الله بن عبّاس [منسرح] :

الله بيني وبين قيِّمِها / يفرّ عنّي بها وأتّبعُ[2]   [208 أ]

(1) هٰذه الأخبار مرويّة في العيون 1 / 269 ، 298 .

(2) في العقد 2 / 93 : ... وبين سيّدها .

فقال ابن عبّاس : الله بين قيّمها وبينك !

بديهة ابن عبّاس في الشعر

وقال ابن كناسة [1] : لمّا قال عمر بن أبي ربيعة قصيدته التي أوّلُها [متقارب] : تشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا ... أنشدها عبدَ الله ابن عبّاس . فلمّا قال عمر : تشطّ غداً دار جيراننا

قال ابن عبّاس : وللدارُ بعد غدٍ أبعَدُ [2]

فقال : كذا والله قلتُ ، جُعِلت فِداك !

فقال ابن عبّاس : الكلام مشترك .

فلمّا أنشد : تحمّل للبين جيرانُنَا [3]

قال ابن عبّاس : وقد كان قربهُمُ يحْمَدُ

فقال عمر : كذا والله قلت ! — وقبّل يده .

وقال ابن عبّاس : إنّ لكلّ داخل دهشةً فآنسوه بالتحيّة !

وكان ابن عبّاس جالساً فجاءه سائل فسأله . فقال : ألستَ مسلِماً تصلّي وتصوم ؟

فقال : نعم .

فقال : إنّ مؤاساتك لواجبة !

ونزع ثوبه فألقاه عليه .

---

(1) ابن كناسة الكوفي (ت 207) — المعارف 543 .

(2) ديوان عمر ، 308 .

(3) هٰذا البيت مفقود .

وقال شعبة عن قتادة عن أبي الطفيل[1] : حجّ معاوية فوافق ٱبنَ عبّاس فرآه يستلم الأركان كلَّها . فقال معاوية : إنّما استلم رسول الله ﷺ الركنَيْن .

فقال ابن عبّاس : إنّه ليس من أركانه شيءٌ مهجور .

وقال الأعمش[2] عن الضحّاك عن ٱبن عبّاس : منّا المهديّ والمنصور والسفّاح .

وقال عبّاس بن هشام الكلبيّ : كنت أنا وعكرمة عند ٱبن عبّاس وليس عنده أحدٌ غيرَنا . فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فسلّما عليه ثمّ ذهبا . فقال : إنّ هٰذين يزعُمان أنّ المهديّ من ولدِهما . ألا وإنّ السفّاح والمنصور من ولدي !

وقال سفيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار عن أبي معبد : سمعتُ ٱبنَ عبّاس يقول : إنّي لأرجو أن لا تذهب الأيّام والليالي حتّى يكونَ مِنّا أهلَ البيت مَن يُقيمُ أمرها : شابٌّ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لم يلبس الفتن ولم تلبسه . وأرجو أن يُختمَ هٰذا الأمرُ بنا .

(قال) فقلت : أَعَجزَ عنه شيوخُكم وترجونه لشبابكم ؟

قال : يفعل الله ما يشاء .

وقال ابن عبّاس : أشهى السلام إليَّ البركات .

وقال الحسن بن عليّ الحرمازيّ عن العتبيّ[3] عن أبيه أنّ رجلاً قال لعبد الله ٱبن عبّاس : بمَاذا عرفتَ ربّك ؟

فقال : وَيْلك ! مَن طلبَ الدينَ بالقياس لم يزل الدهرَ في التباس ، مائلاً

---

(1) أبو الطفيل (عامر بن واثلة الكناني ، صحابيّ) – المعارف ، 741 .

(2) الأعمش (سليمان بن مهران) – الأعلام ، 3 / 198 (ت 148) .

(3) العتبيّ (محمد بن عبيد الله – ت 228) : إخباريّ – المعارف 538 . والحرمازي مذكور في المعارف ، 308 .

عن المنهاج ، ظاعناً في الاعوجاج ! أعرفه بمَا عرّف به نفسَه من غير رؤية ، وأصفه بمَا وصف به نفسَه من غير / صورة ، لا يُدرك بالحواسّ ولا يُقاس [208ب] بالناس ، حيٌّ في ديمومته ، لا يجور في أقضيته ، يعلم ما هم عالمون ، وما هم إليه صائرون ، فتبارك الله الذي سبقَ كلَّ شيءٍ علمُه ، ونفذت في كلّ شيءٍ مشيئته !

ملاحاة أخرى بين ابن عبّاس وعبد الله بن الزبير

وقال أبو مخنف : لمّا نزل ٱبن عبّاس الطائف حين نافره ٱبن الزبير كان صلحاء الطائف يجتمعون إليه ، ويأتيه أبناء السبيل يسألونه ويَستَفتُونه فكان يتكلّم في كلّ يوم بكلام لا يدعُه ، وهو : الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وعلّمَنا القرآن ، وأكرمَنا بمحمّد ﷺ فٱنْتَأَشنَا[1] به من الهلكة وأنقذنا من الضلالة ، فأفضلُ الأئمّة أحسنُها لسُنّتِهِ ٱتّباعاً وأعلمُها بمَا في كتابه ٱحتساباً . وقد عمِل بكتاب ربّكُم وسُنّة نبيّكم قوم صالحون ، على الله جزاؤهم ، وهلكوا فلم يدَعُوا بعدهم مثلَهم ولا مُوازياً لهم ، وبقِي قومٌ يريغون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون جلود الضأن لتحسبوهم من الزاهدين ، يُرضونَكم بظاهرهم ويسخطون الله بسرائرهم ، إذا عاهدُوا لم يوفُوا ، وإذا حكمُوا لم يعدِلوا ، يَرون الغدرَ حزماً ، ونقض العهدِ مَكيدة ويَمنعون الحقوقَ أهلها . فنسأل الله أنْ يهلك شرار هٰذه الأمّة ويُولي أمورَها خيارَها وأبرارها .

فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إليه : بلغني أنّك تجلس العصرين فتُفتي بالجهل وتعيب أهل البرّ والفضل وأظنّ حِلمي عنك وٱستدامتي إيَّاك جرّآك عليّ ، فٱكفف عنّي من غربك وٱربع على ظلعك وٱرع على نفسك[2] .

---

(1) ٱنتَأَشَهُ : انترعَه (اللسان) .

(2) حاشية : ٱربع على ظلعِك : ٱرفُق بنفسك فيمَا تحاوله . وقيل : لا يربع على ظلعك مَن يحزنُه أمرُك .

فكتب إليه ٱبن عبّاس : فهمتُ كتابَك . وإنّما يُفتي بالجهل مَن لم يُؤْتَ من العلم شيئاً ، وقد آتاني الله منه ما لم يُؤته أباك . وزعمتَ أنّ حِلمَك عنّي جرّأني عليك ، فهٰذه أحاديث الضبع ٱستَها . فمتى كنتُ لعُرامك هائباً وعن حدّك ناكلاً ؟ ثمّ تقول إنّي إذا لم أنتهِ وجدتُ جانبَك خشِناً ووجدتُك إلى مكروهي عجلاً . فما أكثر ما طرت إلى شقة من الجهل ، وتعمّدتني بفاقرة من المكروه فلم تضرر إلّا نفسَك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيتَ ، ولا أرعى عليك إن أرعيت ! فوالله لا ٱنتهيتُ عن / إرضاء الله بإسخاطك ! [209 أ]

وقال عبد الرحمان بن السائب عن ٱبن عبّاس أنّه قال : أكرم الناس عليّ جليسي : إنّ الذباب ليقع عليه فيشقّ ذلك عليّ .

وقال ٱبن أبي مليكة عن ٱبن عبّاس أنّه قال : أكرم الناس عليّ جليسي . أو قال : رجل تخطّى رقابَ الناس حتى جلس إليَّ .

وقال عمرو بن دينار : قال ٱبن عبّاس : لجليسي عندي ثلاث : إذا أقبل رحّبتُ به ، وإذا قَعَد أوسَعتُ له ، وإذا تحدّث أَنْصَتُّ لحديثِه وٱستمعتُ منه .

وقال ٱبن مليكة : قال عبد الله بن عبّاس : ثلاثة لا أقدر على مكافأتهم : رجل جئت ظمآن فسقاني ، ورجلٌ ضاق بي مجلسي فأوسع لي . ورجل ٱغبرّت قدَماه في الاختلاف إلى بابي . ورابع هو أعظمُهم حقًّا عليّ : رجل بات ساهراً يعرض الناس على نفسه فأصبح لا يجد له في حاجتِه معتمداً سوايَ[1] .

وعن عطاء : كنّا نأتي ٱبن عبّاس فيُؤتَى بغَدَائه فأقول : إنّي صائم ، فما يزال يُقسم عليّ حتّى أدنوَ فأتغدّى معه .

وقال القاسم بن محمّد : ما رأيتُ في مجلس ٱبن عبّاس باطلاً قطّ . وكان الرجل يأتي مجلس ٱبن عبّاس ، وقد ٱنتعل ليقوم ، فيخلع نعلَيه ، فيقول له الرجل : « لا يَحبِسْك مكاني . يا أبا العبّاس ! » فيقول : ما أنا بقائم حتّى

(1) عيون الأخبار 3 / 176 ، مع اختلاف .

أحدّثك وتحدّثني فأسمع منك .

وعن عكرمة أنّه قال : إنّا مع ٱبن عبّاس يوم عرَفة إذا فِتية يحملون فتًى معروقَ الوجه ناحل البدَنِ ، فوضعوه بين يدَي ٱبن عبّاس وقالوا : ٱستشف له ، يا ٱبن عمّ رسول الله .

فقال : ما به ؟

فأنشده [طويل] :

بنا من جوى الأحزان والوجدِ لوعةٌ تكاد لها نفس الشّفيق تذوبُ[1]
ولكنّما أبقى حشاشة معول على ما به عُودٌ هناك صليبُ

ثمّ حملوه فخَفَت في أيديهم فمات . وسأل ٱبن عبّاس عنه فقيل : هٰذا عروة بن حزام العذري صاحب عفراء . فقال ٱبن عبّاس : « هٰذا قتيل الحبّ لا عقل ولا قود ! » وما رأيتُه سأل الله عزّ وجلّ في عشيّته إلّا العافية ممّا أصاب ذلك الرجل حتّى أمسى .

وقال أبو المليح : قال معاوية : ما باحَثْتُ[2] أحداً في عقلِه أشدَّ عليّ من ٱبن عبّاس .

وقال أبو عوانة : كتب ٱبن عبّاس إلى الحسن بن عليّ : إنّ المسلمين قد ولَّوك أمورهم بعد عليّ ، فشمِّر لحربك ، وجاهد عدوَّك ، ودارِ أصحابَك ، وٱسْتُرْ من الظنين ذنبَه [بمَا] لا يَثلِمُ[3] دِينك ، ووالِ أهلَ البيوتات والشرف تَستصلِحْ عشائرَهم . وٱعلَم أنّك تحاربُ مَن حَادّ اللهَ ورسولَه فلا تخرُجَنْ من حقٍّ

---

(1) الأغاني 23 / 116 : بنا من جوى الأحزان في الصدر ...

(2) حاشية : مباحة : مخالصة . وباحتَه : خالصه وكاشفه .

(3) في المخطوط : واشتر دينه ولا تسلم دينك . والإصلاح من العقد 1 / 26 وعيون الأخبار 1 / 14 ، مع اختلاط بين الضنين والظنين . وأخذنا بقراءة العقد في موضع آخر 4 / 361 .

أنت أولى به ، وإن جاءك الموتُ دونَ ما تحبّ .

وقال أبو صالح / عن ٱبن عبّاس : مَن ٱلتمَسَ الدينَ بالمُخاصمَة حيّرَتْه [209ب] المنازعة ، ولن يميلَ إلى المغالبة إلّا مَن أعياه سلطانُ الحجّة .

وقال زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أنّ العبّاس قال لعبد الله : أنت أعلم منّي ، ولكنّي أشدُّ تجربةً للأمور منك . وإنّ هٰذا الرجلَ – يعني عمر رضي الله عنه – قد قرّبك وقدّمك ، فلا تُفشِ له سرًّا ، ولا تَغتَبْ عنده مُسلِماً ، ولا تبتَدِئْه بشيء حتّى يسألك عنه .

وفي رواية : إنّي أرى هٰذا الرجل قد أدناك وأكرمك ، فٱحفظ عنّي ثلاثاً : لا يجرِّبنّ عليك كذباً ، ولا تُفشينَّ له سرًّا ، ولا تغتابنّ عنده أحداً[1] .

وكانت عند ٱبن عبّاس يتيمة فخطَبَها إليه رجل فقال : إنّي لا أرضاها لك .

قال : كيف وقد نشأت في حجرك وعندك ؟

قال : إنّ فيها بذاءً ، وهي تتشرّفُ [وتنظر][2] .

فقال : لا أبالي .

قال ٱبن عبّاس : فإنّي الآن لا أرضاك لها .

وشكا إليه رجلٌ زوج ٱبنتِه ، فقال له : ألم أقُل لك : إنَّ مَن زوّج ٱبنتَه من سفيه فقد عقّها ؟

وقال [ٱبن عبّاس] : ما رأيتُ رجلاً أوليتُه معروفا إلّا أضاءَ ما بيني وبينه ، ولا رأيتُ رجلاً فَرَط منّي إليه سوءٌ إلّا أظلَمَ ما بيني وبينه .

وقال : إذا ترك العالِم قولَ « لا أدري » أُصيبَت مقاتِله .

---

(1) العقد 1 / 9 .

(2) زيادة من عيون الأخبار 4 / 16 .

وسأل بعضَ أصحابه عن شيءٍ فقال : لا أدري .

فقال ٱبن عبّاس : أحسنتَ : كان يقال : « لا أدري » نصفُ العلم .

وكان يقول : ٱسمحْ يُسمَحْ لك . ورواه مرفوعاً أيضاً .

وكان وهو أميرُ البصرة يغشى الناس في شهر رمضان فيحدّثُهم ويُفقّهُهُم فلا ينقضي الشهرُ حتّى يُفقِّهَهُم . فإذا كان آخر ليلةٍ من شهر رمضان يعظهم ويتكلّم بكلام يودّعهم ، ثمّ يقول : ملاك أمركم الدين ، ووصلتُكم الوفاء ، وزينتُكم العلمُ ، وسلامتُكم في الحِلم ، وطَولُكم المعروف . إنّ الله كلّفكم الوسعَ فٱتّقوه ما ٱستطعتُم .

وكان يقول : عالِمٌ واحدٌ أشدّ على الشيطان من ألفِ عابدٍ – ورُويَ عنه مرفوعاً أيضاً .

ودخل زياد على معاوية وعنده ٱبن عبّاس ، فلم يسلّم زياد عليه . فقال له ٱبن عبّاس : ما هٰذا الهجران يا أبا المغيرة ؟

فقال : ما هٰهُنا بحمد الله سوء ولا هجران ، ولكنّه مجلسٌ لا يُقضى فيه إلّا حقُّ أميرِ المؤمنين وحده .

وعن ٱبن شهاب قال : وفَدَ أبو أيّوب الأنصاري رضي الله عنه على معاوية ، فقضى حوائجه . ثمّ قال له أبو أيّوب : يا أميرَ المؤمنين ، لي مالٌ ولا غِلمان فيه ، فأعطِني مالاً أشتري به غلماناً .

[210 أ] فقال : ألم أُعطِك لوفادتك ، وأقضي حوائجك في خاصّتك / وعامّتك ؟

قال : بلى .

قال : فما عندي شيء سوى ذلك .

فقال أبو أيّوب : إلّا تفعَلْ يا معاوية ، فإنّ رسول الله ﷺ قال لنا : إنّكُم ستلقَون بعدي أثَرة يا مَعَاشِرَ الأنصار ، فٱصبروا حتّى تلقَوني .

قال : فٱصبر يا أبا أيّوب .

قال : أقُلتها يا معاوية ؟ والله لا أسألُك بعدهَا شيئاً أبداً !

وبلغ ٱبنَ عبّاس قولُ معاوية ، وهو يومئذ وافدٌ عليه ، وقد تيسّر للخروج . فأعطى أبا أيّوب قيمَة مائة مملوك ، وأعطاه جميعَ ما كان في داره ، ثمّ شخص .

وسعى ساعٍ إلى ٱبن عبّاس برجل فقال : إن شئْتَ نظرْنا فيمَا قلت : فإن كنتَ كاذباً عاقبناك ، وإن كنتَ صادقاً مقتناك . وإن أحببْتَ أقلناك .

قال : هٰذه .

وقال مجاهد : كان عبد الله بن عبّاس أمدَّهم قامةً ، وأعظمَهم جفنةً ، وأوسعَهم عِلماً . ولو أشاءُ أن أبكِيَ كلّما ذكرتُه بَكَيتُ .

ولمّا أخرج عبد الله بن الزبير محمد بنَ الحنفيّة عن مكّة ، أغلظ له ٱبن عبّاس وقال له : أتُخرِج بني عبد المطّلب عن حرم الله ، وهم أحقّ به منك ؟

فقال : وأنت أيضاً ، فٱلحَقْ به !

فخرج إلى الطائف فمات بها .

صفة ٱبن عبّاس

وأوصى ٱبنَه عليًّا بإتيان الشام والتنحّي عن سلطان ٱبن الزبير إلى سلطان عبد الملك بن مروان ، فكان عبد الملك يحفظ له ذلك . وسكن عليّ دمشق وٱبتنى بها داراً ، ثمّ صار وولدَه إلى الحُمَيْمة وكُدَاد من عمل دمشق .

وقال معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة : كان عبد الله بن عبّاس مديدَ القامة ، جيّد الهامة ، مستديرَ الوجه جميلَه ، أبيضَ وليس بالمفرط البياض ، سبط اللحية ، في أنفه قناً ، معتدلَ الجسم . وكان أحسنَ الناس عيناً

قبل أن يَكُفَّ بصرُه . وكُفَّ قبل موتِهِ بستّ سنينَ أو نحوها .

وتوفّي بالطائف . وقال الواقدي : فنزل في قبره وتولّى دفنَه عليّ بن عبد الله ، ومحمّد بن الحنفيّة ، والعبّاس بن محمد بن عبد الله بن العبّاس ، وصفوان ، وكريب ، وعكرمة ، وأبو معبد ، مواليه .

وكان يخضب بالحنّاء ثمّ صفر .

وقال عمران بن أبي عطاء : أدخل آبن الحنفيّة آبن عبّاس قبرَه معترضاً ، وصلّى عليه فكبّر أربعاً ، وضرب على قبره فسطاطاً ثلاثة أيّام .

[210ب] ومات سنة ثمان وستّين ، وهو آبن إحدى وسبعين / سنة وأشهر ، أو آبن آثنتين وسبعين سنة – وقيل : كان عمره سبعين سنة – والأوّل أثبت . وكان مرضُه ثمانية أيّام .

وسُمع محمد بن الحنفيّة يقول في جنازته : اليوم مات ربّانيُّ العلم ! – أو قال : ربّانيّ الأمّة .

وعن أبي الزبير قال : توفّي آبن عبّاس بالطائف . فجاء طائر فدخل في نَعشه حين حُمل ، فلم يُرَ خارجاً منه .

وعن مجاهد أنّ آبن عبّاس مات بالطائف ، فصلّى عليه آبن الحنفيّة ، فأقبل طائر أبيض فدخل في أكفانه فما خرج حتى دُفن معه . فلمّا سوّي عليه التراب قال آبن الحنفيّة : مات والله حَبر هٰذه الأمّة .

وعن سعيد بن جبير قال : توفّي آبن عبّاس بالطائف فشهدتُ جنازتَه فجاء طائر لم يرَ على خلقته فدخل في نعشه .

وقال غيره : لمّا دُفن تُليت هٰذه الآية عند قبره وهُم لا يرَون تاليَها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ آرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَآدْخُلِي فِي عِبَادِي وَآدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر ، 27) .

وقال أبو صالح عن رافع بن حُديْج[1] أنّه قال حين أخبِر بوفاة ٱبن عبّاس : مات والله مَن كان المشرق والمغرب ومَن بينهُما يحتاجون إلى علمِه .

وقال الواقديّ عن يحيى بن العلاء عن يعقوب بن زيد عن أبيه : سمعتُ جابرَ بنَ عبد الله حين بلغَته وفاةُ عبد الله بن عبّاس يقول ، وصفّق بإحدى يدَيه على الأخرى : مات أعلمُ الناس ، وأحلمُ الناس . لقد أصيبَت الأمّةُ به .

1528 – المهدي [عبيد الله الفاطميّ] [– 322]

/ عبيد الله ، المهدي بالله ، الإمام أمير المؤمنين ، أبو محمد ، ابن محمد الحبيب بن جعفر المصدّق ، ٱبن محمد المكتوم ، ٱبن الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السِّبط ، ٱبن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه . [211 أ]

وقد اختلف الناس في نسب عبيد الله هٰذا اختلافاً كبيراً : منهم من أثبت نَسَبَه وصحَّح انتماءَه إلى علي بن أبي طالب ونسبَتَه إلى بُنُوَّتِهِ . ومنهم من نفاه عن العلويّة وطعن في نسبه . ومنهم من زعم أنَّه من اليهود .

[حقيقة اسمه]

والذين أثبتوا نسبه والذين نفَوه اختلفُوا في اسمه ومَن ينسبو[نـ]ـه إليه اختلافاً زائداً . فقال قوم : هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن عليّ بن موسى ٱبن جعفر الصادق . ذكره صاحب تاريخ القيروان[2] .

(1) رافع بن حديج الأنصاريّ (ت 73) . المعارف 306 .

(2) هو عبد العزيز بن شدَّاد الصنهاجي . والكتاب مفقود . ولكنَّ المؤرّخين المتأخّرين ينقلون عنه ، ولا سيّما ابن الأثير في الكامل ، والمقريزي هنا وفي الاتّعاظ والداعي إدريس في عيون الأخبار .

وقال غيره : هو عبيد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر المذكور .

وقيل : هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن عليّ بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

وقيل : هو عبيد الله بن التقيّ بن الوفيّ بن الرضيّ . وهؤلاء الثلاثة يقال لهم « المستورون[1] في ذات الله تعالى » . فالرضيّ هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . والتقيّ اسمُه الحسين . واسم الوفيّ أحمد . واسم الرضيّ عبد الله . وإنّما استتروا لأنّهم خافوا على أنفسهم لأنّهم كانوا مطلوبين من جهة بني العبّاس ، فإنّهم[2] علموا أنّ فيهم من يروم الخلافة أسوةً [بـ]ـغيرهم من العلويّين .

وإنّما تسمّى المهديّ عبيدَ الله اتّقَاءً[3] . ويقال إنّ اسمَه سعيد ، ولقبه عبيد الله ، وزوج أمّه اسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح ، وأنّه كان يقال لعبيد الله « اليتيم » من أجل أنّه رُبّي[4] يتيمًا في حجر زوج أمّه . وقيل : بل ربّي يتيمًا في حجر عمّه . ويقال له أيضاً « المعلِّم » .

وقيل : بل هو أبو محمد عبيد الله ، وهو سعيد بن الحسين بن محمد بن عبدُ الله بن عبيد الله .

وقيل : هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وهذا قول شيخ الشرف النسّابة[5] .

---

(1) في المخطوط : المستورين .

(2) أي : العبّسيُون .

(3) ترجم فانيان : ابتداء ، ولم يفهم اتقاء أي : تقيّة .

(4) في ترجمة فانيان : « بقي » عوض « ربّي » .

(5) شيخ الشرف (ت 437 / 1054) : علويّ عالم بالأنساب ، اسمه محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني (انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، رقم 2272 والوافي بالوفيات للصفدي والأعلام للزركليّ) وله ترجمة في المقفّى (الترجمة 3153) .

وقيل : بل خرج من الكوفة الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إلى الشام وسكن سلميّة فصادف بها أبا عبد الله الشيعيّ وأخَوَيْه ، فوَسْوسُوا به حتى أجابهم إلى القرمطة . وكان له بنون أربعة ، وادَّعى الإمامة وقال : أنا وليّ عهدِ أبي ، محمد بن إسماعيل ، وأنا داعٍ لأبي إلى أن يخرج . فالأمر لابني أبي القاسم أحمد . فإن حدث به الأمر الذي لا بُدَّ منه ، فالأمر لأخيه صاحب الخال . فإن حدث به أمر ، فالأمر لأخيه عبد الله .

فخرج أبو القاسم بدمشق وعُرف بصاحب الجمل وقُتل في الحرب ظاهرَ دمشق .

وقام من بعده أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال ، وظُفر به وحُمل إلى بغداد فقتل بها .

وسار أبو عبد الله الشيعيّ إلى بلاد الغرب ودعا لعبيد الله هٰذا حتى استقام له الأمر فلحق به .

وخرج أبوهم الحسين ومعه ابنه الرابع ، واسمه القاسم ، وجمع الناس وطرق الكوفة وخرج . فأتته العساكر من بغداد وقاتلَتْه فقتل في الهَبِير[1] وقُتل ابنُه وزوجتُه المؤمنة .

[القول في نسبه : مطاعن ابن رزام وأخي محسّن]

وقال الشريف العابد أبو الحسين محمد بن علي المعروف بأخي محسّن الدمشقيّ في كتابه الذي ألّفه في الطعن على الفاطميّين خلفاء مصر أولاد عبيد الله هٰذا ، كلاماً طويلاً ، وليس هو منشئه ، وإنّما هو كلام أبي عبد الله بن رزام في

---

(1) الهبير : في طريق مكّة ، وأضاف ياقوت : كانت به وقعة القرامطة بالحاجّ في محرَّم سنة 312 .

كتابه الذي ردَّ فيه على الإسماعيليّة[1] ، أخذه الشريف ولم يَعْزُهُ إليه ، فتناقله مؤرّخو الشام والعراق والمغرب حتى انتشر في الآفاق إلى اليوم وامتلأت به التصانيف . وأنا أبرأ إلى الله منه ، ولولا خشية الظنّ أنّي لَمْ أَقِف عليه لما سطَّرْتُه .

[211ب] (قال) : هؤلاء القوم من / ولد ديصان الثنويّ الذي تنسب إليه الثنويّة ، وهو مذهب يعتقدون فيه خالقَين اثنَين أحدهما يخلق النور والآخر يخلق الظلمة . فولد ديصان ميمونَ القدَّاح ، وإليه تنسب الميمونيّة ، وكان له مذهب في الغلوّ – يعني في التشيُّع – فولد لميمون عبد الله بن ميمون ، وكان أخبث من أبيه وأمكر ، وأعلم بالحيَل ، فعمِل أبواباً عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام ، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم المذاهب كلّها . فرتَّب سبع دَعوات يتدرَّج الإنسان من واحدة إلى أخرى فإذا انتهى إلى الدعوة الأخيرة جَعَلَه مُعرًّى من جميع الأديان لا يعتقد غيرَ تعطيل الباري تعالى وإباحةِ أمّة محمد عليه السلام وغيرهم من الأمم ، ولا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً ، وما هوَّنت نفسه لا يرجع عنه . ويقول إنَّ أهل مذهبه على هدى وأنّ المخالفين لهم في ضلال وغفلة . وكان يريد بهذا أن يجعل المخدوعين أُمَّةً له ويستمدَّ من أموالهم . وفي الظاهر يدعو إلى الإمام من آل الرسول ، محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ليجمعهم عليه . وقد كان طلب أن يتنبَّأ قبلَ ذلك بشعوذة فلم تتمّ له الحيلة .

---

(1) أخو محسِّن الدمشقيّ ، أبو الحسين : سمَّاه المقريزي في الاتّعاظ : محمد بن علي بن الحسين ورفع نسبه إلى جعفر الصادق . أمَّا ابن رزام – واسمه كمَا جاء في التنبيه والإشراف للمسعودي ، 343 : أبو عبد الله محمد بن علي الطائيّ الكوفيّ – فهو « أوّل كاتب أشاع قصَّة انتماء الفاطِميِّين إلى ميمون القدَّاح » حسب رأي المرحوم الشيَّال في طبعته للاتعاظ ، 25 ـ هامش 5 .

وفي برنارد لويس : أصول الإسماعيلية ، الترجمة العربيّة 57 ، أنَّ الرجلين عاشا في النصف الأوَّل من القرن الرابع ، وقد اعتبرهما من مؤرِّخي السنَّة .

(قال) وأصل عبد الله بن ميمون وآبائه من موضع بالأهواز . ونزل عبد الله عسكر مُكَرَّم[1] ، واكتسب بهٰذه الدعوة مالاً . وكان يتستَّر بالتشيُّع والعلم ، وصار له دعاة . ثمَّ هرب من المعتزلة[2] ومَعَهُ من أصحابه الحسين الأهوازيّ . ونزل البصرة وقال : أنا مِن ولد عقيل بن أبي طالب ، داعٍ إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر .

فلمَّا انتشر خبرُه طلبه العسكريّون ، فهرب ومعه الحسين ونزلا سلميّة من أرض الشام . فأقام بها عبد الله بن ميمون ، وخفِيَ أمره حتى ولد له أحمد بن عبد الله بن ميمون القدَّاح . فقام بعد موت أبيه في ترتيب الدعوة ، وبعث الحسين الأهوازيَّ داعيتَه إلى العراق فلقِيَ حمدان بنَ الأشعث قَرْمَطَ بسواد الكوفة فدعاه حتى استجاب له – وكان منه مذهب القرامطة على ما ذكرتُه في ترجمة أحمد بن الحسين بن أبي سعيد الجنَّابيّ من هٰذا الكتاب[3] .

(قال) ثمَّ ولد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القدَّاح الحسينُ ومحمَّدٌ المعروف بأبي الشلعلع ، وهلك[4] فخلفه ابنه الحسين في الدعوة حتَّى مات . فقام بالدعوة أخوه محمد بن أحمد المعروف بأبي الشلعلع . وكان للحسين ابنٌ اسمُه سعيد تحت حجر عمّه أبي الشلعلع[5] . فبعث أبو الشلعلع بأبي عبد الله

---

(1) الشكل من المقريزي نفسه ، والنسخة بخطّه ، أمّا ياقوت فرسمها « مُكْرَم » بضمٍّ فسكون ففتح ، ونسبها إلى بعض أتباع الحجّاج بن يوسف اسمه مكرم بن معزاء ، ونسب إليها أبا هلال العسكري .

(2) نُقول المقريزي في الاتّعاظ ، 29 ، أكثر تفصيلاً ووضوحاً : « وصار له دعاة . وظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة ، والمكر والخديعة ، فثارت به الشيعة والمعتزلة . وكبسوا داره . ففرَّ إلى البصرة ... » . وانظر الملاحظة الهامَّة من المرحوم الشيَّال في الهامش 4 من ص 29 من اتعاظ الحنفاء .

(3) انظر ترجَمة الأعصم القرمطي في هذا الكتاب (رقم 1146) .

(4) الهالك هو أحمد بن عبد الله كمَا في الاتعاظ ، 30 : ثم هلك أحمد فخلفه ابنه الحسين.

(5) في الفهرست ، 238 : ولد لعبد الله بن ميمون ثلاثة بنين : أحمد ومحمد والحسين . وولد لمحمّد ابن اسمه أحمد ولقبه أبو الشلعلع ، وولد للحسين ابن اسمُه سعيد . فأبو الشلعلع هو =

[212أ] الشيعيّ / وأخيه أبي العبّاس[1] حتى نزلا في قبيلتين من قبائل البربر بأرض المغرب يدعوان الناس .

واشتهر أمرهم بسلميّة واشتروا وصار لهم أملاك كثيرة . وبلغ السلطان خبرُهم فبعث في طلبهم ففرَّ سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح بن ديصان الأهوازيّ الثنويّ إلى مصر وهرب إلى المغرب وصار صاحب الأمر . فلم يلبث إلّا يسيراً حتى قَتل أبا عبد الله وتسمَّى بعبَيد الله وتكنّى بأبي محمَّد وتلقَّب بالمهديّ وصار إماماً علويًّا من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر .

(قال) وأصلهم من المجوس ، وسعيد هٰذا الذي استولى على المغرب وتسمَّى بعبيد الله كان يتيمًا بعد أبيه في حجر عمِّه محمد أبي عليّ ، ويلقَّب محمد هٰذا بأبي الشلعلع ، وكان عَلَى ترتيب الدعوة بعد أخيه يرتّب أمرَها لسعيد . فلمَّا هلك وكبر سعيد وصار على الدعوة وترتيب الدعاة والرئاسة ، هرب ، لمَّا ظهر أمره وطلبه المعتضد ، إلى المغرب . ولمَّا هرب من سلميّة ترسّم بالتعليم ليُخفيَ أمرَه ، وكان يقول إنَّه تربَّى في حجر أبي الشلعلع وأنَّه من ولد محمد بن إسماعيل ابن جعفر . وكان يقال له « يتيم المعلّم » .

[جريدة الأنساب العلويّة ببغداد]

(قال) وحدَّثني أخي أحمد بن عليّ أنَّه نظر في الجريدة الكبرى في بغداد التي فيها أنساب الطالبيّين في جميع الأقطار ، فوجد فيها ذكرَ هٰذا الدَّعيّ الذي هرب من سلميّة إلى المغرب وخبر دعواه . وهٰذه الجريدة هي أبين ما في وقتنا .

= ابن عمّ سعيد ، لا عمّه كمَا في رواية ابن رزام التي ينقلها المقريزي هنا .
وفي الخطط ، 2 / 19 - أنَّ سعيداً هو ابن أحمد بن عبد الله . وهو خطأ من النساخ لأن المقريزي يقول بعدها بقليل : وإنمَا هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القدَّاح .

(1) أبو عبد الله الشيعيّ : ترجمة 1224 وأخوه أبو العبّاس المخطوم : رقم 1828 .

ولم يدَّعِ سعيد هٰذا المسمَّى بعبيد الله نسباً إلى علي بن أبي طالب إلَّا بعد هروبه من سلميَّة ، وآباؤه مِن قَبله لَمْ يدَّعُوا هٰذا النسب ، وإنَّما كانوا يُظهرون التشيُّعَ والعلم ، وأنَّهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل ، وأنَّه حيٌّ لم يمُت . وهٰذا القول باطل ومكر وخديعة . وباطنهم غير ظاهرهم[1] ، وليس يُعرفُ هٰذا القول إلَّا لهم ، وهم أهل تعطيل وإباحة ، وإنَّما جعلوا عَلَقَهُمْ بآل البيت باباً للخديعة والمكر . ولم يتمَّ لسعيد أمره بالمغرب إلَّا أن قال : « أنا من آل رسول الله » . فتمَّ له بذلك الحيلة والخديعة ، وشاع بين الناس أنَّه علويّ فاطميّ من ولد إسماعيل آبن جعفر ، وخفِي أمر مذهبه في تعطيل الباري تعالى والطعن على جميع الأنبياء ، وإباحة أنفس أُممِهم وأموالهم وحرمهم[2] _ وأطال من التشنيع .

[قول القاضي النعمان]

وقال القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد في « افتتاح الدولة الزاهرة »[3] :

بدأنا بذكر صاحب دعوة اليمن وهو أبو القاسم الحسن بن الفرح بن حوشب بن زادَان الكوفي ، وتسمَّى بـ « منصور اليمن » لِما أتيح له من / النَّصر والظفر . [212ب] وكان من بيت علم وتشيُّع ، وقد قرأ القرآن وطلب الحديث والفقه على مذاهب الإماميّة الاثنَي عشريّة أصحاب محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق الذين كانوا يرون أنّه المهديّ وأنّه يظهر[4] . قال أبو

(1) أخطأ فانيان القراءة هنا (ص 8 هامش 3) وخطَّأ ترجمة كاترمير قبله ، وهي الصحيحة ، وهي موافقة لمَا في الاتّعاظ ، 34 .

(2) انتهى هنا النقل عن الشريف أخي محسّن . والجملة الموالية تعليق من المقريزي .

(3) هو كتاب افتتاح الدعوة المعروف . والنقل من ص 2 (طبعة الدشراوي) وص 32 (طبعة وداد القاضي) .

(4) المهدي المنتظر عند الاثني عشرية هو محمد المنتظر بن الحسن العسكريّ بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أي الثاني عشر من الأئمة بعد علي بن أبي طالب فالحسن فعلي زين العابدين فمُحمَّد الباقر إلخ .

القاسم : فعرضت لي فكرة يوماً في ذلك وذكرتُ قول الفهري [هزج] :

ألا يا شيعةَ الحقِّ ذوي الإيمَان والبرّ
أتتكم نصرة الله على التخويف والزجر
فلا تدعوا إلى الداعيـ ـن أهل النكث والغدرِ
فلو قد فُقِد العاشـ ـرُ أوْ زيدَ على العشر
5 لدارت عُصبُ الضرّ على الدائر بالشرّ
فعند الستّ والتسعيـ ـن قطع القول والعُذرِ
لأمرٍ ما يقول النا سُ : بيعَ الدرُّ بالبعرِ
وصار الجوهر المكنو نُ عِلقاً غيرَ ذي قدرِ
يتيمٌ كان خلف البا بِ فانقضَّ على الوكر[1]

– قوله اليتيم هٰهنا رمز على المهديّ . (قال أبو القاسم) فرأيتُ الوقت قد قرب على ما قاله الفهريّ . فخرجت إلى دجلة ثمَّ أخذتُ في قراءة سورة الكهف فإذا شيخ يمشي معه رجل ما نظرتُ إلى أحدٍ يملأ قلبي هيبةً قبلَه . فجلس ناحيةً وجلس الرجلُ بين يديه . وأقبل غلام فقرب منِّي ، فقلت : من أنت ؟

فقال : حسينيّ .

فاستعبرتُ وقلت : بأبي الحسين المضرّج بالدماء ، الممنوع من هٰذا الماء !

فرأيت الشيخ نظر إليَّ وكلَّم الرَّجل الذي بين يديه فقال لي الرجل : تقدّم إلينا !

فقمت وجلست بين يديه . فقال لي : مَن أنت ؟

قلت : رجل من الشيعة .

---

(1) نقل الداعي إدريس في كتابه « عيون الأخبار » ص 51 من طبعتنا « تاريخ الخلفاء الفاطميِّين بالمغرب » بيروت 1985 ، أبياتاً من هذه المقطوعة ، وقد حاولنا هناك التعريف بالفهريّ وكذلك في كتابنا : « الأدب بإفريقيّة في العهد الفاطميّ » .

قال : ما اسمُك ؟

قلت : الحسن بن فرح بن حوشب .

قال : أعرف أباك من الشيعة الاثني عشريّة .

قلت : نعم .

قال : وأنتَ منهم ؟

قلت : كنت على ذلك إلى أن بطل الأمر في أيدينا .

فقال : سمعتك تقرأ ، فاقرأ كما كنت تقرأ !

(قال) فابتدأت من حيثُ وقفتُ حتَّى بلغتُ ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ ﴾ (الكهف ، 74) . قال : أنت ممَّن يقول بالعدل والتوحيد ؟

قلت : نعم .

قال : فمن أيّ وَجْهِ العدل أن تُقتَل نفسٌ زاكية بغير نفس إلّا لقوله[1] : ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ (الكهف ، 80) ؟

قلت : والله لكأنّني ما قرأتُها قطّ ، وإنّني إلى علم الوجهِ في ذلك لفقير .

فقال : دون ذلك سِتر رقيق .

ثمَّ تحرّك للقيام وتركني . فلمَّا غاب ندمت إذ لم أكن تبعته حتى عرفت مكانه . وعظم موقُع كلامه من قلبي حتى إذا كنت في حدِّ الإياس منه ، مرّ بي الرجل الذي كان معه فسلَّمت عليه وسألتُهُ عن / الشيخ ، فعرَّفني أنَّه الإمام[2] [213 أ]

---

(1) في الافتتاح ، 7 / 36 : إلى قوله... ونصّ المقفّى أثبت : فالاحتجاج مبنيّ على الاستثناء كما فهم فانيان ، أي : لا حجّة للخضر عليه السلام إلّا حشيتُهُ لمَا سيؤول إليه أمر الغلام . وما سبق أداة الاستثناء ليس من لفظ الآية وإنّما هو من معناها .

(2) انظر في الافتتاح ، 37 هامش 4 ، تلخيص وداد القاضي لمختلف الآراء في اسم الإمام ، وانظر كذلك رأي برنارد لويس : أصول الإسماعيلية ، 162 . وقضية النسب الفاطميّ =

وجمع بيني وبينه . فصار يقوّيني ويرمز بقرب الأمر ودنوّ العصر ، ويقول في كلامه : البيت يمَانٍ والركن يمَانٍ والدين يمَانٍ والكعبة يمَانيّة ، ولن يقومَ هٰذا الدين ويظهر أمرُه إلَّا مِن قبَل اليمن .

ثمَّ قال لي يوماً : يا أبا القاسم ، هل لك في غربةٍ في الله ؟

قلت : الأمرُ إليك .

فقال : ما لليمن إلَّا أنتَ ! اصبر ، كأَنِّي برجل يقدم من اليمن .

فقدِم رجل من أهل جيشانَ مدينة باليمن ، يشار إليه ، يقالُ له أبو الحسن عليّ بن الفضل ، قد خرج حاجًّا في سنة ستٍّ وستّين ومائتين . فلمَّا قضى حجَّه أتى قبر الحسين بن عَليّ عليهما السلام زائراً في جملة أهل اليمن . فاجتمع برجلٍ من أصحاب الإمام فحمله إليه . فلمَّا رآه واختبر حالَه قال لأبي القاسم : « هٰذا الذي كنَّا ننتظره ، فاعزم على اسم الله ! » ودعا بعليّ بن الفضل وسأله عن أخبار اليمن وقال له : أتعرف عدَن لاعة ؟

قال : لا .

فقال لأبي القاسم : عدن لاعة [1] فاقصد ، وعليها فاعتمد ، ففيها يظهر أمرُنا .

وقال لعليّ بن الفضل : إنَّني مرسل أخاك هٰذَا داعياً إلى اليمن ، وأنت معه .

وتقدَّم إلى كلّ واحدٍ منَّا ناحيةً وأوصاه [2] .

= وحقيقة الإمام المستودع والإمام المستقرّ قضيَّة عويصة خاض فيها القدماء والمعاصرون . انظر إحالاتنا في كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ، تونس 1978 ، ص 410 ، هوامش 1 / 3 . وفي كتاب عيون الأخبار للداعي إدريس ، 246 .

(1) عرَّفنا بعدن لاعة في ص 62 ، تحقيقنا لكتاب عيون الأخبار للداعي إدريس .

(2) انتهى كلام منصور اليمن هنا . وخبر الدعوة باليمن مفصَّل في كتاب عيون الأخبار ، 59 ـ 79 .

وأعطى أبا القاسم كتاباً فيه أصولٌ ورموزٌ ، كان افتتاحُه : « باسم الله الرحمان الرحيم . من أبي المسلمين وأمير المؤمنين ووارث الوارثين ، وسماء الطارقين ، وشمس الناظرين ، وقمرِ المستضيئين ، وقبلة المصلِّين ، وأمانِ الخائفين ، وقاتل إبليس اللعين ، ركنِ الإسلام ، وعلَم الأعلام ، وقلم الأقلام ، ويوم الأيَّام ، ونور التمام ، رسالة عبدٍ مسكين يعمل في البحر منذ سنين لعلَّ سفينته تنجو من الغرَق فينجو فيها من ينجو من العطب » .

ثمَّ أفسح الكلام الذي أصَّله والمعنى الذي أراده وقال له في عهده إليه : إن لقيتَ مَن هو ألحن بالحجَّة منك . فانغمِسْ له في الباطن .

قال : وكيف ذاك ؟

قال : بقطع الكلام . وتُريه أنَّ تحت ما يريد الجواب به باطناً لا يمكن ذكره ، فتحتجِزُه بذلك منه إلى أن تتهيَّأ لك الحجَّة عليه .

وأوصاه بعليّ بن الفضل خيراً وتقدَّم إلى عليّ وأوصاه[1] . وودَّعَهُمَا ودعا لهما .

قال أبو القاسم : ولمَّا ودَّعت الأهل وخرجت إلى القادسيَّة سمعتُ حادياً يقول [رجز] :

يا حاديَ الليل مليحَ الزجْرِ بَشِّرْ مطاياك بضوءِ الفجر

(قال) فسُررت به واستحسنتُ ذلك الفأل . وَوَافَيْتُ مكَّة .

ثمَّ دخل أبو القاسم / وأبو الحسن اليمن في أوَّل سنة ثمانٍ وستِّين ومائتين . [213ب] فأقاما باليمن يدعوان الناس سنَتين مُسْتَتِرَيْنِ . ثمَّ ظهرت الدعوة باليمن سنة سبعين ومائتين .

قال أبو القاسم : واجتمعتُ بقومٍ يقال لهم بنو موسى ، من الشيعة .

(1) في المخطوط : وأوصاه بي . والسياق يقتضي : به . أي بِمنصور اليمن ابن حوشب .

فأخذت عليهم العهد . فقالوا لي : إنَّ لنا إخواناً من الشيعة بعدن لاعة .

فقلت : إليهَا أُرسلتُ .

وسرت معهم فأصبت دار شيعةٍ .

وتزوَّج أبو القاسم ابنة أحمد بن عبد الله بن خليع [وكان] داعياً للمهديّ [1] .

قال أبو القاسم : وبعثْتُ بكتابٍ ومالٍ كثير وطرائف وطرازٍ إلى المهديّ . فلمَّا وصل إليه وقرأ الكتاب ، تمثَّل بهٰذه الأبيات [رجز] :

الله أعطاك التي لا فوقها وكم أرادوا منعها وعوقَها
عنك ، ويأبى الله إلَّا سَوقَها إليك ، حتى طوّقُوكَ طَوْقَهَا [2]

وفشا أمر الدعوة باليمن ، وابتنى أبو القاسم حصناً [3] بجبل لاعة وملك صنعاء وفرَّق الدعاة في نواحي اليمن وإلى سائر البلدان إلى اليمَامة والبحرين والسِّند والهند وناحية مصر والمغرب .

[قول ابن شدَّاد الصنهاجي]

وقال الأمير عزّ الدين أبو محمد عبد العزيز بن شدَّاد بن تميم بن المعزّ بن باديس الحِميَّري في كتاب « الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن كان فيها وفي سائر المغرب من الملوك والأعيان » : أوّل من أظهر الزندقة في الإسلام أبو

(1) أوقع سقوط « كان » فانيان في الخطإ ففهم أنَّ تزوّج منصور اليمن بابنة ابن خليع كان القصدُ منه حملَ أبيها على الدخول في الدعوة . وقد اختصر المقريزي كلام النعمان وفيه ذكر لوفاة ابن خليع في حبس اليعفري بسبب الدعوة .

(2) البيتان لكثّير عزّة (ديوانه ، نشر إحسان عبَّاس بيروت 1971 ، 535) .

(3) في عيون الأخبار ، 70 ، هو حصن « عبر محرم » .

الخطَّاب[1] محمد بن أبي زينب مولى بني أسد ، وأبو شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان صاحب كتاب « الميدان » في نصرة الزندقة ، وأبو سعيد [...][2] من أهل رامهرمز من كورة الأهواز ، وكان من خُرَّميّة المجوس . فَأَلْقَى هٰؤُلَاءِ إلى مَنْ اختصُّوا به أنَّ لكلِّ شيءٍ من العبادات باطناً ، وأنَّ الله ما أوجب على أوليائه ومَن عرفَ الأئمَّة والأبواب[3] صلاةً ولا زكاة ولا صوماً ولا حجًّا ، ولا حرَّم عليهم شيئاً من المحرّمات ، وأباح لهم نكاح الأمَّهاتِ والأخواتِ . وقال : إنَّما هٰذه العبادات عذابٌ على الأمَّة وأهل الظاهر ، وهي ساقطة عن الخاصَّة ، وإنَّ آدم وجميعَ الأنبياء كذَّابون محتالون طلَّاب الرئاسة ـ ولمَّا كان في أيّام بني العبَّاس اشتدَّت شوكتُهم مع أبي الخطَّاب وأصحابه لانتحالهم التشيُّع لبني هاشم ، وحاهُم بنو العبَّاس . فلمَّا قامت البيِّنة عليهم في الكوفة ، وأنَّ أبا الخطَّاب أسقط العبادات / وحلَّل المحرَّمات ، أخذه عيسى بن موسى الهاشميّ [214أ] مع سبعين من أصحابه فضرب أعناقهم . وتفرَّق باقيهم في البلاد فصار منهُم جماعة في نواحي خراسان والهند وصار أبو شاكر ميمون [بن ديصان] بن سعيد الغضبان إلى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه وأخذوا في تعليم الشعبذة والنارنجات ومعرفة الزَّرَق[4] وصفة النجوم والكيمياء ، وإظهار الزهد والورع .

---

(1) في خصوص الخطَّابيّة . انظر : المجالس والمسايرات ، 84 . وعيون الأخبار ، 73 . واتّعاظ الحنفاء ، 48 ، هامش 4 .

(2) بياض بالأصل ، وقال فانيان : لعلَّه حسن بن بهرام الجنَّابي . ولكنَّ الجنَّابي لا ينسب إلى رامهرمز . وفي الاتعاظ ، جاء عنوان كتاب ميمون بن ديصان : كتاب الميزان . وينقل ابن الأثير أيضاً عن ابن شدَّاد (الكامل ، 6 / 126) ولا يذكر أبا سعيد هذا ، ولم يذكره المقريزي في الاتعاظ ، 50 .

(3) الباب مصطلح إسماعيليّ يعيّن مرتبةً عاليةً في الدعوة .

(4) الزَّرَقُ مفرده : زَرْقة وهي « خرزة يُؤخَّذُ بها الرجال . والتأخيذ : حبسُ السواحرِ أزواجهُنَّ عن غيرهنَّ من النساء » (اللسان : زرق وأخذ) . وفي الكامل ، 6 / 126 : والزور عوض : والزرق . أمَّا النارنجات أو النيرجات كمَا في الفهرست لابن النديم ، ص 373 فهي أعمال السحر والطلاسم . وفي اللسان (نرج) : « النِّيرَجُ : أُخَذٌ تُشبهُ السِّحر ، وليست بحقيقتِهِ . والأخذَةُ : رقيةٌ أو خرزة توخّذ بها النساءُ الرجالَ » .

ونشأ لأبي شاكر ميمون ابنٌ يقال له عبد الله القدّاح ، وعرَّفه هٰذه النحلة وإظهار التشيُّع . وكان قد ثار في أيّام المأمون مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وادَّعوا التشيُّع في الكَرَج[1] وفي أصبهان . وكان من جملتهم رجل يُعرف بمحمَّد بن الحسين بن جهار لختان[2] ويلقَّب بديدان ، وكان بنواحي الكَرَج وأصبهان له حال واسعة ، وكان يبغض العرب . وسمع عبد الله بن ميمون القدَّاح به فسار إليه . وكان عبد الله يتعاطى الطبَّ وعلاج العين ويقدحُ[3] الماءَ النازل بها ، ويُظْهر أنَّه يفعل ذلك حسبةً وقربةً إلى الله تعالى ، فطار له بهٰذا اسم في نواحي أصبهان والجبل . وسمع به ديدان فأحضره ، وأظهر له عبد الله مساوىءَ العرب فأحبَّه ، وأخذ منه مالاً عظيمًا . وخرج عبد الله القدَّاح إلى سواد الكوفة ومعه المال ، وبثَّ الدعاة ، ومات . وقام ابنه أحمد مقامه وبثَّ الدعاة ، واستدعى رجلاً من أهل الكوفة يقال له رستم أبو الحسين بن الكرخين بن حوشب بن زادان النجّار . وكان هٰذا الرجل من الإماميَّة يقول بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، فنقله إلى القول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق . وكانوا يرصدون مَن يرِد المشاهد بالعراق وكربلاء ، فمن كان لهم فيه طمع استدعَوه . وورد عليهم أبو الحسن محمد بن الفضل[4] من أهل جيشان من أرض اليمن فدخل ، وهو يبكي ، على الحسين بن علي رضي الله عنه ، فصَبروا عليه حتَّى خرج من

(1) في الأصل : الكرخ . والصحيح : الكَرَج بفتحتين والجيم التحتيّة ، وهي ، حسب ياقوت ، مدينة بين أصبهان وهمذان . وهي قراءة فانيان والشيّال .

(2) في المخطوط : جهان بجبار ، بدون تنقيط . وأخذنا بقراءة برنارد لويس : أصول ... 158 حيث قال إنَّه اسم فارسي غريب عن المؤلِّفين العرب ، وأنَّه اسم الرجل الذي موَّل الحركة الباطنيَّة .

(3) « قدَح الطبيبُ العينَ : أخرج منها الماء المنصبَّ إليها من الداخل » . فهٰذا التفسير الحرفيّ لصفة « قداح » يخالف التفسير « الباطني » الذي يدلي به المعزّ في المجالس والمسايرات ، 411 : « هُوَ الميمون المبارك السعيد ، قادح زناد الحقِّ ، موري نور الحكمة » . وقد قالوا أيضاً القدّاح هو باري القِداح ، أي السهام .

(4) هوعلي بن الفضل الجيشاني الذي مرَّ ذكره في كلام النعمان ، وكنية « أبو الحسن » — أو أبو =

زيارته ، وأخذ الداعي بيده فقال له : قد رأيتُ ما كان منك من البكاء والقلق على صاحب هٰذا القبر . فَلَوْ أدركتَه ما كنت تصنع ؟

قال : كنت أجاهد بين يديه وأبذل مالي ودمي دونه .

فقال : أتظنّ أنّه ما بقي لله حجّة[1] بعد صاحب هٰذا القبر ؟

قال : بلى ، ولكن لا أعرفه بعينه .

قال : فتريده ؟

قال : أي والله .

فسكت عنه الداعي . فقال له : ما قلتَ لي هٰذا القول إلّا وأنت عارفٌ به .

فسكت / الداعي ، فقوي ظنّ ابن الفضل بأنَّ الرجل يعرف الإمام [214ب] والحجَّة ، فألحَّ عليه ، فقال له : دعني أفكِّر ، واطلبْ واصبِر ولا تعجل ، وأَقِم ، فإنَّ هٰذا الأمر لا يتمُّ بالعجلة ، ولا بدَّ له من صبر .

(قال) فمضى الداعي إلى ابن القدَّاح وعرَّفه حال ابن الفضل فأخذه وجمع بينه وبين أحمد ابن القدَّاح . وكان أحمد أبداً يقول للحسن بن حوشب[2] : « هل لك في غربة في الله ؟ » فيقول : « الأمر إليك يا سيِّدي » . فلمَّا اجتمع بابن الفضل ، قال له : « قد جاء [ما] كنت تريد يا أبا القاسم : هٰذا رجل من أهل اليمن . وهو عظيم الشأن كثير المال ومن الشيعة . وقد أمكنك ما تريد ، وثمَّة خلق من الشيعة فاخرج وعرِّفهم أنَّك رسول المهديّ . وأنَّه في هٰذا الزمان يخرج من اليمن ، واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشُّف » . وجمع بينه وبين ابن الفضل وأخرجه معه وقال : « يا أبا القاسم ،

= الحسين كما في المخطوط – أوفق لعليّ منها لمحمّد .

(1) الحجَّة : مصطلح إسماعيلي آخر بمعنى : الخليفة والنائب والوصيّ .

(2) في المخطوط : للحسين . وهو الحسن بن فرح بن حوشب كمَا مرَّ .

الزم الباطن وقل : لكلِّ شيءٍ باطن . وإن ورد عليك شيء لا تعلَمُه فقل : لهٰذا من يعلَمُه وليس هٰذا وقت ذكره » .

وخرجا إلى أرض اليمن ، ونزل ابن حوشب بعدن ، وفيها قوم يُعرفون ببني موسى ، وخبرهم عند ابن القدَّاح . فلمَّا قدِم ابن حوشب اجتمعوا به وقالوا له : أنت رسول المهديّ ونحن إخوانُك .

ولم يزل ابن حوشب يقوى وأخباره تردُ على مَن بالكوفة من الإماميَّة فيبادرون إليه ويقول بعضهم لبعض : دار الهجرة . فكثر عددهم واشتدَّ بأْسهم . وكانوا قد نفّذوا إلى المغرب رجلين أحدهما يعرف بالحلوانيّ والآخر يعرف بأبي سفيان . وتقدَّموا إليهما بالوصول إلى أقاصي المغرب والبعد عن المُدنِ والمنابر ، وقالوا لهما : ينزل كلّ واحدٍ منكما بعيداً عن صاحبه وقُولا : قد قيل لنا : اذهبا فالمغرب أرضٌ بور فاحرُثاها واكرُباها[1] حتى يجيء صاحب البذر . فنزل أحدهما بأرض كتامة بمدينة تسمَّى مرمجنّة ، والآخر بسوجمار[2] ، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما . وماتَا على قرب بينَهُما .

فقال ابن حوشب لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعيّ — وقد كان هاجر إلى ابن حوشب — : « يا أبا عبد الله ، أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانيّ وأبو سفيان ، وقد ماتا . وليس لها غيرك . فبادِرْ فإنَّها موطَّأةٌ ممهَّدة لك ! » فخرج أبو عبد الله .

فذكر[3] قدومَه إلى أرض المغرب مع كتامة وإقامة دعوة عبيد الله بها . (قال) وكان ولد عبد الله بن ميمون القدَّاح لمَّا قويَ أمره وكثرت أمواله ومات عبد الله / ادَّعَوا أنَّهم من ولد عَقيلِ بن أبي طالب وهم مع هٰذا يستتِرون ويُخفونِ أشخاصهم ويغيّرون أماكنهم وأسماءهم وأسماء دُعَاتِهم . وكان لعبد الله [215أ]

(1) كرب الأرض (باب نصر) : حفرها وقلبها .
(2) سوق حمّاد في المخطوط . وقد عرَّفنا بسوجمار في عيون الأخبار ، 85 .
(3) أي : ابن شدَّاد .

القدّاح جماعة من الولد فَخَلَفَه منهم أحمد . ومات أحمد فخلفه محمَّد . وكان لمحمّد ولدان : أحمد والحسين . فمات أحمد ، وهو الذي نفَّذ ابن حوشب وابن الفضل إلى اليمن . وصار الحسين إلى سلميّة من أرض حمص وله بها أموال من ودائع جدّه عبد الله القدّاح ووكلاء وغلمان وأتباع . وبقي ببغداد من أولاد القدّاح أبو الشلعلع وكان مؤدَّباً بآداب الملوك . وكان الذي بسلميّة يدَّعي أنَّه الوصيّ وصاحب الأمر دون بني القدّاح ويكاتب الدعاة .

واتَّفق أنَّه جرى بحضرته حديث النساء بسلميّة . فوصفوا امرأةَ رجل يهوديّ حدَّاد ، مات عنها زوجُها ، وهي في غاية الجمال . فقال لبعض وكلائه : زوّجني بها .

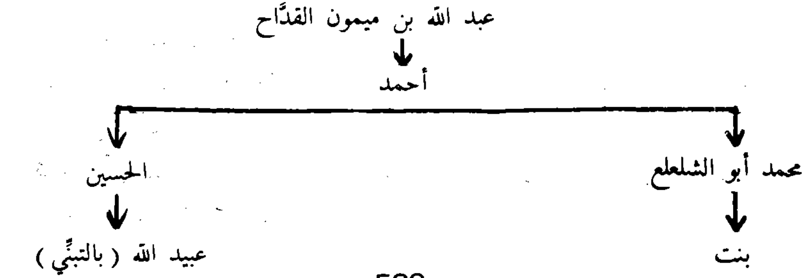
فقال : يا سيِّدي ، هٰذه فقيرة ولها ولد .

فقال : ما علينا من الفقر ! زوِّجني بها وأَرغِبها وابذل لها ما شاءت .

فتزوّجها وأحبّها وحسُن موقعُها منه . وكان ابنُها يماثلها في الجمال فأحبّه وأدَّبه وعلَّمه وأقام له الخدم والأصحاب . فمِن العلماء من أهل هٰذه الدعوة من يقول إنَّ الإمام الذي كان بسلميّة من ولد القدّاح مات ولم يكن له ولد ، فعهد إلى ابن اليهوديّ الحدَّاد وهو عبيد الله وعرَّفه أسرارَ الدعوة وأين الدعاة وأعطاه الأموال والعلامات ، وتولَّى[1] على الأعمال وتقدّم إلى وكلائه بطاعتِه وأنّه الإمام وزوّجه ابنة عمّه أبي الشلعلع محمد بن أحمد[2] . وهٰذا قول أبي القاسم الأبيض

(1) هكذا في المخطوط . ولعلّها : « وولاّه » كمَا ترجم فانيان . وقد سقطت الجملة من ابن الأثير ، 6 / 128 .

(2) الشجرة هنا تتمثل على هذه الصورة :



=

العلويّ[1] وغيرِه من العلماء بهٰذه الدعوة ورواةِ أهلها . وبعض الناس – وهو قليل – يقولون : لا ، ولكنَّ عبيد الله هٰذا من ولد القدّاح .

[تبرّؤ المقريزي ممَّا ينقله]

قال كاتبه[2] : أنا أستغفر الله ممَّا سطَّرتُه ، وما زادنا هٰذا الأمير عزّ الدِّين على أن جمع إلى قول الشريف العابد أخي محسّن قولَ القاضي أبي حنيفة النعمان سوى التشنيع وإيراد هٰذا الزور والإفك الصريح الذي يكفي من الردِّ عليه حكايته .

[قول ابن الأثير]

وقال الإمام عزّ الدِّين أبو الحسن علي بن أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن الأثير الشيبانيّ الجزريّ في كتاب الكامل في التاريخ[3] : أبو محمد عبيد الله ، قيل : هو ابن محمد بن عبد الله بن ميمون [بن] محمد بن إسماعيل بن جعفر ، يعني الصادق ، ومَن ينسبه هٰذا النسب يجعل عبد الله هو عبد الله بن ميمون القدَّاح الذي تنسب إليه القدَّاحيّة . / [215ب] وقيل : هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وقد اختلف العلماء في صحَّة نسبه . فقال هو وأصحابُه القائلون بإمامتِه إنَّ نسبه صحيح على ما ذكرناه ، ولم يرتابوا فيه . وذهب كثير من العلماء بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً . ويشهد بصحَّة هٰذا القول ما قاله الشريف

= فالبنت هي ابنة عمِّه فعلاً .

(1) أبو القاسم الأبيض العلويّ : ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، 4 / 75 وقال إنَّه من أهل الدعوة .

(2) كاتبه . أي المقريزي ، وهي العبارة نفسها التي يستأنف بها كلامه في الاتّعاظ .

(3) الكامل ، 6 / 124 (سنة 296) .

الرضيّ : ما مقامي على الهوان ... الأبيات (وذكر القصّة) .

قال كاتبُه : ذكر أبو الحسين الصابي وابنُه غرس الدولة محمد[1] في تاريخهما ما ذكره ابن الأثير ممّا نقله عنهُما ، فَأَحْبَبْتُ أن أنقلَه من الأصل الذي أخذ منه ابن الأثير ، فإنَّه أتمُّ وأبسطُ ، ثمَّ أرجع إلى تمام قول ابن الأثير .

[قول الصابي وابنه]

قال الصابي : إنَّ القادر بالله عقد مجلساً أحضر فيه الشريف الطاهر أبا أحمد الحسين بن موسى[2] بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر ، يعني الصادق ، وابنَه أبا القاسم علي المرتضى ، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز إليهم أبيات الشريف الرضيّ أبي الحسين محمد بن أبي أحمد الحسين التي أوَّلها [خفيف] :

ما مقامي على الهوان وعندي	مِقوَل صارم وأنفٌ حميّ
وإباءٌ محلّقٌ بي عن الضيـ	ـم كما راغ طائر وحشيّ
أيُّ عذر له إلى المجد إن ذَ	لَّ غلام في غمده المشرفيّ
أحملُ الضيمَ في بلاد الأعادي	وبمصر الخليفةُ العلَويّ
من أبوه أبي ومولاه مولا	يَ ، إذا ضامني البعيد القصيُّ 5
لفّ عِرقي بعرقه سيّدا النا	سِ جميعاً : محمد وعليّ

(1) الصابي : هو هلال بن المحسّن الصابي (ت 448) مؤرّخ ، له : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، وذيل تاريخ ثابت بن سنان .
وابنه : هو غرس النعمة – لا الدولة – محمد بن هلال (ت 480) له كتاب عيون التواريخ ، وهو يواصل تاريخ أبيه ، على الصورة التي واصل بها أبوه تاريخ ثابت بن سنان ، وواصل بها ثابت تاريخ الطبري ، فيكون التسلسل : الطبري حتى سنة 302 ، ثابت حتى 360 وهلال الصابي حتى 448 وغرس النعمة حتى 479 (انظر الزركلي 7 / 357 و9 / 94) .

(2) هو نقيب العلويّين ببغداد ووالد الشريفين الرضي والمرتضى – ت 440 / 1010 .

إنّ جوعي بذلك الرَّبع شبع وأُوامي بذلك الظلِّ ريّ
مثل من يركب الظلام وقد أقْـ ـمَرَ من خلفه هلال مضيّ[1]

وقال الحاجب للنقيب أبي أحمد : قل لولدك محمد : أيّ ذلّ أصابه في مملكتنا ؟ وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟ أكان يصنع إليه أكثرَ من صنيعِنَا ؟ أَلم نُولِهِ النِّقابةَ ؟ ألم نستخلِفْهُ على الحَرَمين والحجاز ، وجعلناه أميرَ الحجيج ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثرُ من هٰذا ؟ ما نظنُّه كان يكون لو حصل عنده إلَّا واحداً من أفناءِ الطالبيّين بمصر .

فقال النقيب أبو أحمد : أمَّا هٰذا الشعر ، فمَّا لم نسمَعْه منه ولا رأيناه بخطِّه ، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه / نحله إيّاه وعزاه إليه . [216 أ]

فقال القادر : إن كان كذلك فليُكْتَب الآن محضر يتضمَّن القدحَ في أنساب ولاة مصر ويكتب محمد خَطَّه فيه .

فكُتب محضر بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس ، منهم النقيب أبو أحمد ، وابنُه المرتضَى . وحُمِل المحضر إلى الشريف الرضيّ ليكتبَ فيه خطّه ، حملَه أبوه وأخوه . فامتنع وقال : « لا أكتب ، وأخاف دعاة صاحب مصر » . وأنكر الشعر وكتب خطّه أنَّه ليس بشعره ولا يعرفُه . فأجبره أبوه على أن يسطّر خطَّه في المحضر ، فلم يفعل وقال : أخافُ دعاةَ المصريِّين وغيلَتَهم ، فإنّهم

---

(1) ديوان الشريف الرضي ، طبعة صادر 2 / 576 . وفي البيت الثاني : ذا إباء ، والتصويب من الديوان ، وفي البيت السابع ، رواية الديوان : إن ذلّي بذلك الجوّ عزّ ، والنقع عوض الظلِّ ، وفي البيت الأخير ، في المخطوط : وقد أثرى ومن خلفه .. فأخذنا بقراءة الديوان . هذا وقد نقل المقريزي في الاتعاظ ، 43 وابن الأثير في الكامل 6 / 124 الأبيات 1 ، 4 ، 7 .
وفي الديوان ثلاثة أبيات زائدة على رواية المقفّى ، بين البيت السابع والبيت الحادي عشر :
قد يذلّ العزيز ما لم يشمِّرْ لانطلاق ، وقد يضام الأبيُّ
إنَّ شرًّا عليَّ إسراعُ عزمي في طلاب العلى ، وحَظّي بطيُّ
أرتضي بالأذى ، ولم يقف العز مُ قصوراً ، ولم تعُزَّ المطيُّ

معروفون بذلك .

فقال أبوه : يا عجباهُ ! تخاف مَن بينك وبينه ستّمائة فرسخ ، ولا تخاف مَن بينك وبينه مائة ذراع !

وحلف ألّا يكلّمه ، وكذلك المرتضى ، فعَلا ذلك تقيّةً وخوفاً من القادر وتسكيناً له ، وبعد ذلك صرفه عن النّقابة وولّاها محمد بنَ عمر النهرسابسي .

[عود إلى ابن الأثير]

قال ابن الأثير عن أبيات الرضيّ التي ذكرت : « وإنّما لم يودعها في ديوانه خوفاً ، ولا حجّةَ فيمَا كُتب في المحضر المتضمّن القدح في أنسابهم ، فإنَّ الخوف يحمل على أكثر من هٰذا . على أنَّه قد ورد ما يصدِّق ما ذكرته[1] » . فذكر معنى ما تقدَّم عن الصابي وقال : « ففي امتناع الرضيّ من الاعتذار ومن أن يكتب خطّه بالطعن في نسبهم مع الخوف دليل قويّ على صحّة نسبهم . (قال) وسألت جماعة من أعيانَ العلويّين عن صحّة نسبِه فلم يرتابوا في صحّته . وذهب غيرهم إلى أنَّ نسبه مدخول ليس بصحيح وتعدَّت طائفة منهم فجعلوا نسبه يهوديًّا . وقد كتب في أيّام القادر محضر يتضمَّن القدح في نسبه ونسب أولاده ، فكتب فيه جماعة من العلَويّين وغيرهم أنَّ نسبه إلى علي بن أبي طالب غير صحيح . (قال) وجعل القائلون بصحَّة نسبه أنَّ العلماء ممَّن كتب المحضر إنّما كتبوا خوفاً وتقيّة ، ومن لا علمَ عنده بالأنساب فلا احتجاجَ بقوله . وذكر معنى ما قاله الأمير عزّ الدين بن عبد العزيز في تاريخ القيروان على ما تقدَّم ذكره إلى أن قال حكاية نكاح امرأة الحدَّاد اليهوديَّة وأنَّ عبيد الله ابنُ الحدَّاد اليهوديّ : فقال ابن الأثير[2] : « وهٰذه الأقوال فيها ما فيها . فيا ليت شعري ، ما الذي حمل أبا

(1) الكامل ، 6 / 125 .
(2) الكامل ، 6 / 129 .

[216ب]عبد الله الشيعيّ / وغيره ممَّن قام في إظهار هٰذه الدعوة ، حتّى يُخرجوا الأمر من أنفسهم ويُسلموه إلى ولدِ يهوديّ ؟ وهل يسامح نفسَه بهٰذا إلَّا مَن يعتقده ديناً يُثاب عليه ؟ »

[قول القاضي عبد الجبَّار]

وقال القاضي عبد الجبَّار البصري[1] في أواخر كتاب تثبيت نبوَّة رسول الله ﷺ : إنَّ أوَّل من قام بدعوة الفاطميِّين بالغرب المهديّ ، وكان اسمه سعيداً ، وأبوه يهوديّ حدَّاد من أهل سلميّة من أرض الشام . وذكر عنه أنَّ دعاتَه في البلاد يأخذون على الناس أنَّه رسول الله وحجَّة الله . ومنهم من يلقي إليه أنَّه الله الخالق الرازق . وكان إذا ضجَّ الناس من هٰذا وظهر منهم الإنكار يأخذ الدعاة فمرَّة يحبس بعضهم ، ومرَّة يقتلهم ويقول : ما أمرتُ بهٰذا ، ويقول الدعاة : هو أمرنا[2] .

[قول الباقِلّاني]

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الباقلَّاني[3] في كتاب « الأسرار الباطنيَّة » :

---

(1) القاضي عبد الجبّار (ت 415 / 1025) الفقيه الشافعيّ والمتكلِّم المعتزليّ ، صاحب كتاب « تثبيت دلائل نبوَّة سيدنا محمد » الذي يناقش فيه آراء الفرق الأخرى ولا سيّما الشيعة (دائرة المعارف الإسلاميّة والأعلام ، واسمه فيهما : عبد الجبَّار بن أحمد) .

(2) فهم فانيان أنَّ الدعاة يقتلون من أنكر دعواهم . والمنقول عن القاضي هنا يختلف عمَّا نقله عنه ابن تغري بردي في النجوم ، 4 / 75 .

(3) الباقلاني (ت 403 / 1013) هو المتكلِّم الأشعري المعروف والفقيه المالكي صاحب « إعجاز القرآن » و « التمهيد » في الجدل والكلام . قال في الديباج المذهب ، 267 : « لقِّب بشيخ السنَّة ولسان الأمَّة ... وإليه انتهت رئاسة المالكيّين في وقته » . وكتابه « كشف أسرار الباطنيَّة » سمَّاه الشيَّال ، اتعاظ 43 هامش 2 : « كشف الأسرار وهتك الأستار » وقال إنَّه لم يصلنا .

إنَّ أوَّل من وضع هٰذه الدعوةَ طائفة من الفرق المخالفة لملّة الإسلام من المجوس وأبناءِ الأكاسرة وأصحاب الممالك من الفرس ، والباعث لهم على ذلك سلب ملكهم والقدح في دينهم وقمع باطلهم بثبوت الإسلام ، فلمّا خافوا من تطاول ذلك أعملُوا رأيهم واتّفقوا على وضع دعوة تُدخل الشبهة على عوّام الناس ومن لا علمَ عنده . فيقال إنَّ أوّلَ مَن وضَع ذلك ، الهرمزان الذي واضع أبا لؤلؤة على قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . ثمَّ ظهر أمرها في زمن أبي مسلم الخراسانيّ ، ثمَّ ما كان في زمن المعتصم من الأفشين وقتله[1] . وكان من رأي الأوائل منهم أنَّهم اتّفقوا على تقديم رجلٍ منهم وضمنوا له النصرة والإمداد بالمال . فجعلوه في رجل يعرَف بعبد الله بن ميمون بن عمرو القدّاح الأهوازي ، وذلك في سنة عشرٍ ومائتَين ، وكان حاذقاً مشعوذاً فأظهر الورع والزهد ، وكان يتّخذ رجالاً يشبهون خلقته ويأْمرهم بالحجِّ وإظهار أنفسهم لمن يعرفونه ، ويستتر هو مدَّة أيّام الحجِّ ، ثم يظهر ويخبر أنَّه حجَّ مع الناس ، فإذا رجع المشاهدون لأمثاله اعتقدوا صدقَه وأنّه حجَّ وعاد إلى وطنه وطُوي له البعيد .

واختلف في جدِّ القدّاح فقيل : هو ديصان أحد الثنويّة . وقيل : إنَّ الطائفة الميمونيّة ، وهم غلاة من الرافضة ، يُنسَبون إلى والد هٰذا عبد الله بن ميمون . وقد اتّفق الكلُّ على أنَّ / القدّاح ليس من ولد علي بن أبي طالب [217أ] رضي الله عنه وأنَّه دعيّ . وكان من دعواهم الكاذبة أن قالوا إنَّ جعفر بن محمد الصادق لمَّا انقلَب روحانيًّا استخلَف لتميم ، يعني المعزّ لدين الله ، بعد دورة سبعة[2] وهم : عبد الله بن ميمون القدّاح .

---

(1) فهم فانيان أنَّ المقتول هو بابك الخرَّمي . ومعلوم أنَّ الأفشين قائد المعتصم العبَّاسي اتُّهم بالزندقة وقتل سنة 226 / 841 .

(2) هذه الجملة غامضة . وقد فهمها فانيان على هذا النحو : « جعفر الصادق انقلب روحانياً ثمَّ وصل إلى تميم ، أي المعزّ لدين الله ، بعد أن مرَّ بسبعة أشخاص على التوالي ، وهو ... » ولاحظ أن السبعة ينقصهم واحد ، ولكنَّه وهم في عبارة « ظهور السابع » فظنَّ أنه الإمام السابع واسمه عبد الظهور . وفي خصوص هذا التسلسل السباعي في دور الستر ، انظر ما =

وابنه محمد بن عبد الله بن ميمون .

وابن ابنِه أحمد بن محمد بن عبد الله .

وسعيد بن الحسين بن أحمد وهو الذي يقال له عبيد الله صاحب برقة والقيروان ، وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح ، استخلفه أحمد بن محمد عند وفاته .

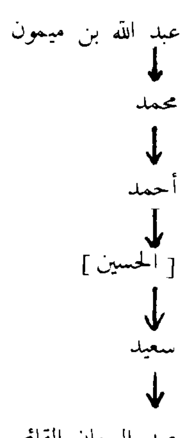
ثمَّ أبو القاسم عبد الرحمان .

وعند ظهور السابع تقوم القيامة .

ولمَّا شرع القدّاح في إقامة الدعوة كان ببغداد ثمَّ هرب إلى البصرة فطُلب ، فهرب إلى الشام واستقرَّ بسلميّة ومات بها ، وخلف ابنه محمد فخرج يريد العراق فاكترى بقرة من بقَّار اسمه قرمط بن الأشعث فدعاه إلى رأيه فأجابه وصار داعيَةً لهم ودعا أهل قريته فسُمُّوا قرامطة .

= كتبه برنارد لويس : أصول ... 160 وما يليها .

والسلسلة عند الباقلاني تختلف عنها عند ابن شدّاد (انظر أعلاه : هامش 42) :



بجعل محمد بين عبد الله وأحمد أوَّلاً ، وبإسقاط الحسين من الإمامة ثانياً ، فيكون السبعة المقصودون في كلام الباقلاني هم الخمسة المذكورون هنا - بإسقاط الحسين - وينضاف إليهم جعفر الصادق رأس السبعة والمعزّ خاتمهم .

وقال[1] بعض من لا يتّقي الله إنَّ أبا عبد الله الشيعيّ لمَّا زحف بعساكره على مدينة سجلماسة ليُنقذ المهديّ من سِجن اليَسَع بن مدرار ، قتل اليسعُ المهديَّ في السجن وهرب من سجلماسة ، فدخل أبو عبد الله الشيعي فوجد المهديّ مقتولاً ، وعنده رجل من أصحابه كان يخدمه ، وخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه ما دبَّره من الأمر إن ظهر أنَّ المهديّ قد قُتل ، فأخرج الرجلَ الذي كان يخدم المهديَّ وقال : هٰذا هو المهديُّ .

قال كاتبه : قد جمع قائل هٰذه الكذبة مع قلَّة الدين عدمَ المبالاة بالانتقاد عليه : فإنَّ من قول كلِّ أحدٍ أنَّ المهديَّ لمَّا سجن بسجلماسة كان ابنُه أبو القاسم معه . فما الذي حمل أبا عبد الله على العدول عن ابن المهديّ ، الذي استباح سفكَ دماء عددٍ من الخلق لا يحصيهم إلَّا خالقهم تقرُّباً إلى الله تعالى في نصرته ، وإلى[2] أن يترك ابنَه ، وقد قُتل أبوه ، ويُسلم أمرَ الملك العظيم إلى رجل دعيٍّ ؟ فلو أنصف قائل هٰذا الإفك نفسَه لما قال قولاً يظهر فسادُه من غير تأمُّل .

[قول ابن خلدون]

والذي يظهر ، أنَّ هٰذه الأقوال موضوعة لم يَقُلها أحد بل افتراها أعداء القوم ونشروها في الناس لينفِّروهم عنهم . وقد قال شيخنا العلَّامة أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون رحمه الله في كتابه الذي سمَّاه « العِبَر وديوان المبتدإ والخَبر » : ومن الأخبار[3] الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرّخين / في [217ب] العبيديّين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة ، من نفيهم عن أهل البيت والطعن في نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، يعتمدون في ذلك على أحاديث لُفِّقت

---

(1) هذا كلام المقريزي حسب الظاهر ، فإنَّه يستقبح القول الآتي .

(2) في الأصل : في نصرة المهديّ إلى أن يترك ... وآثرنا تقويم التركيب بالضمير العائد في الجملة الموصولة إلى المهديّ ، وبالعطف على : حمل على العدول . . .

(3) مقدِّمة ابن خلدون : المقدِّمة في فضل علم التاريخ ، ص 22 .

للمستضعفين من خلفاء بني العبَّاس ، تزلُّفاً لهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفنُّناً في الشمات بعدوِّهم حسب ما نَذكر [من] بعض هٰذه الأحاديث في أخبارهم ، ويغفلون عن التفطُّن لشواهد الواقعات وأدلَّة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والردِّ عليهم . فإنَّهم متَّفقون في حديثهم عن مبدإ دولة الشيعة أنَّ أبا عبد الله المحتسب لمَّا دعا بكتامة للرضيّ من آل محمد ﷺ واشتَهَر خبرُه وعُلِم تحويمه على عبيد الله المهديّ وابنه أبي القاسم ، خشِيا على أنفسهما فهربا من المشرق محلّ الخلافة واجتازا بمصر ، وأنَّهما خرجا من الإسكندريّة في زيِّ التجَّار ، ونمى خبرُهما إلى عيسى النوشريّ عامل مصر والإسكندريّة ، فسرَّح في طلبهما الخيالة ، حتى إذا أدركا خفي حالُهما على تابعِهما بمَا لبِسوا به من الثياب[1] والزيِّ فأقبلوا إلى المغرب ، وأنَّ المعتضد أوعز إلى الأغالبة أمراء إفريقيّة بالقيروان وبني مدرار أمراء سجلماسة بأخذ الآفاق عليهما وإذكاء العيون في طلبهما ، فعثر اليسع صاحب سجلماسة على خفيّ مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاةً للخليفة . هٰذا قبلَ أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان . ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بإفريقيّة والمغرب ثمَّ بمصر والشام والحجاز ، وقاسموا بني العبَّاس في ممالك الإسلام وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويديلون[2] من أمرهم . ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقِها الأميرُ البساسيري من موالي الديلم المتغلِّبين على خلفاء بني العبَّاس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم ، وخطب لهم على منابرها حولاً كَرِيتاً[3] . وما زال بنو العبَّاس يغصُّون بمكانهم ودولتهم ، وملوك بني أميَّة وراء البحر ينادون بالويل والحَرَب منهم . وكيف يقع هٰذا كلُّه لدعيّ في النسب مكذَّب في انتحال الأمر ؟ واعتبِرْ حال القرمطيّ إذ كان دعيًّا في انتسابه

(1) في المقدِّمة : من الشارة والزيّ .
(2) في المقدِّمة : ويزالون .
(3) حولاً كريتاً : أي سنة كاملة العدد . وفي المقدِّمة : حولاً كاملاً . وتغلَّب البساسيري على بغداد وأمصار العراق من ذي القعدة 450 إلى أواخر 451 (انظر دائرة المعارف الإسلاميّة ، فصل : البساسيري) .

كيف تلاشت دعوتُه وتفرّق أتباعه فظُهر سريعاً على خُبْثِهم ومَكرهم فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم . ولو كان أمر العبيديّين كذلك لعُرِف ، ولو بعد مهلةٍ [طويل] :

فمهما يكن عند امرىء من خليقة وإن / خالها تخفى على الناس ، تُعْلَم [1] [218 أ]

فقد اتّصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة ، وملكوا مقام إبراهيم عليه السلام ومصلّاه ومواطن الرسول ﷺ ومدفَنَه ، وموقِف الحجيج ومهبط الملائكة ، ثمَّ انقرض أمرهم ، وشيعتهم في ذلك كلّه على أتمِّ ما كانوا عليه من الصاغية [2] إليهم والحبّ فيهم واعتقادهم بنسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق . ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها داعين إلى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة ويذهبون إلى تعيينهم بالوصيَّة ممَّن سلف قبلهم من الأئمَّة . ولو ارتابوا في نسبِهِم لما ركبوا أعناق الأخطار في الانتصار لهم . فصاحب البدعة لا يلبِّس أمره ولا يشبِّه في بدعته ولا يَكذِبُ نفسه فيمَا ينتحله [3] . والعجب من القاضي أبي بكر الباقلّاني [4] يجنح إلى هٰذه المقالة المرجوحة ويرى هٰذا الرأي الضعيف . فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين ، والتعمُّق في الرفض ، فليس ذلك بدافع في صدر بدعتهم ، وليس إثبات منتَسَبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم . وقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (هود ، 46) . وقال ﷺ لفاطمة يعظُها : « يا فاطمة ، اعملي ، فلن أُغنيَ عنكِ من الله

---

(1) البيت من معلّقة زهير .

(2) صاغيةُ الرجل : أنصاره وأقرباؤه . وفي المقدِّمة ، 23 : من الطاعة لهم .

(3) هذه الفقرة ملتبسة ، والذي ذهب إليه فانيان بعد دي سلان : أنَّ صاحب النحلة الجديدة ينبغي له أن لا يكذب ولا يحتجّ إلاّ لما لا شبهة فيه حتى يصدِّقه الناس .

(4) في المقدِّمة ، بعد اسم القاضي : شيخ النظّار من المتكلّمين ، كأنّه ينعى عليه قصر النظر .

شيئاً »[1] . ومتى عرف امرؤٌ قضيَّةً أو استيقن أمراً وجب عليه أن يصدع به ﴿ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ ، وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب ، 4) .

والقوم كانوا في مجالٍ لظنون الدول بهم وتحت رِقْبةٍ من الطغاة بتوفُّر شيعتهم وانتشارهِمْ في القاصية بدعوتهم ، وتكرُّر خروجهم مرَّة بعد أخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يُعرفون كما قيل [طويل] :

فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامَ : مَا اسْمِيَ ؟ مَا دَرَتْ وَأَيْنَ مَكَانِي ؟ مَا عَرَفْنَ مَكَانِيَا[2]

حتى لقد سُمِّيَ محمد بن إسماعيل الإمام جدّ عبيد الله المهديّ بالمكتوم ، سمَّته بذلك شيعتهم لما اتّفقُوا عليه من إخفائِه حذراً من المتغلِّبين عليهم . فتوصَّل شيعة آل العبَّاس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن في نسبهم وازدلفُوا بهٰذا الرأي الفائل إلى المستضعفين من خلفائهم وأُعجِب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولُّون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرَّة العجز عن المقاومة [218ب] والمدافعة لمن غلَبهم على الشام ومصر / والحجاز من البربر الكتاميّين شيعة العبيديّين وأهل دعوتهم حتى لقد أسجل[3] القضاة ببغداد بنفيهم من هٰذا النسب ، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة ببغداد في يوم مشهود ، وذلك سنة ثنتَين وأربعمائة في أيّام القادر . وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهَرَ وعُرِف بين الناس ببغداد . وغالبها شيعة بني العبَّاس الطاعنون في هٰذا النسب ، فنقله الإخباريّون كما سمعوه ، ورووه حسَبَ ما وعوْه ، والحقُّ من ورائِه . وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة أصدقُ شاهدٍ وأوضح دليل على صِحَّة نسبهم : فالمعتَضِد أقعد[4] بنسب أهل

---

(1) في الجامع الصغير للسيوطي ، 1 / 48 : اعملي ولا تُتَّكلي [على شفاعتي] . وورد بلفظ مغاير في العقد الفريد 3 / 162 على لسان الأوزاعي يعظ المنصور العبَّاسي .

(2) في مُعجم البلدان (المقدِّمة) : فلو تسأل الأيام عنّي لمل دَرَتْ ... والبيت غير منسوب .

(3) أسجل له : كتب له . وأسجَلَ الكلام : أطلقه مسترسلاً .

(4) الأقعدُ النسب : القريبُ الآباء من الجدِّ الأعلى . وفي اللسان : فلانٌ أقعدُ من فلان : أي

البيت من كلٍّ أحد ، والدولة والسلطان سوقٌ للعالم تُجلب إليه بضائع العلوم والصنائع وتلتمس فيه ضوالُّ الحكَم وتُحدى إليه ركائب الروايات والأخبار . وما نَفق فيها نَفَق عند الكافّة . فإن تنزَّهت الدولة عن التعسُّف والميل والأَفَنِ[1] والشقشقة ، وسلكت النهج الأَمَم ولم تَجُرْ عن قصد السبيل ، نفقَ في سوقها الإبريزُ الخالصُ وللجَينُ المُصفَّى . وإن ذهبَت مع الأغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي والباطل ، نفَق البهرجُ والزائفُ . والناقد البصير قسطاسُ نظره وميزانُ بحثه ومُلتَمَسِه[2] ، والله الموفّق .

[رجوع إلى المهديّ]

وكانت ولادة المهديّ بسلميّة في ربيع الأوَّل سنة ستِّين ومائتين . وقيل : ولد ببغداد في سنة تسع وخمسين . وقيل : ولد بالكوفة فيها[3] . ويقال إنَّ الحسين لمَّا صرف عهدَه إليه قال له : « إنَّك ستهاجر بعدي هجرةً بعيدة . وتلقى محناً شديدةً » . وقيل إنَّه أخرجه لخاصَّة ولده سنة ثمان وستِّين ومائتين . وعمره تسعة أعوام ، وأظهر لهم العلامات التي فيه ، وأعلَمَهم أنّ عبيد الله هٰذا ولدُهُ ، وهو المهديّ وأنَّه العاشر من ولد الحسين بن علي والثاني عشر من أبي طالب كما وجد في ملحمة[4] علي بن أبي طالب . ثمَّ دفع إلى ولده عبيد الله المهديّ الملحمة وأعلمه أنَّه هو العاشر من ولد الحسين . وأنَّ في العاشر من ولد عُبيد الله ستقطع دولتهم كما قامت في العاشر من ولد الحسين .

= أقرب منه إلى جدِّه الأكبر . فالمعتضد أقرب إلى آل البيت من كلٍّ أحد ، أي ألصقُ بنسبهم فلا يفوتُه الزائف منه إلخ ...

(1) الأَفَنُ : ضعفُ العقل .

(2) هكذا في المقدِّمة ، وفي المنقول منها في الاتّعاظ . 66 . ولعلَّ الجملة تمَّت بالخبر : قسطاس وميزان .

(3) أي في سنة 259 .

(4) الملحمة هنا : كتاب فيه تنبؤات بما سيحدُث لهم .

فقام بعد وفاته بالأمر وانتشرت دعوتُه وظهر أمره ببلاد المغرب على يد أبي عبد الله الحسين بن أحمد الشيعيّ وأطاعته كتامة . فلمَّا استقام أمر أبي عبد الله ببلاد المغرب أنفذ رجالاً من كتامة يثق بهم إلى عبيد الله المهدي ليخبروه بمَا فتح الله وأنّهم ينتظرونه . وكان خبر عبيد الله قد شاع عند الدولة العبّاسيَّة فطُلب ، وذلك في أيَّام المكتفي بالله . فخاف عبيد الله على نفسه فخرج من سلميّة ومعه ابنُه أبو القاسم محمد نزار – ويقال : عبد الرحمان – وهو يومئذ غلام حَدث حين طرّ شاربُه ، والمهديّ شابّ عند كماله ، وخرج معه خاصَّتُه ومواليه ، يريد الهجرة إلى أرض المغرب ، وذلك في أيَّام زيادة الله بن الأغلب . فقدم مصر في زيّ التجَّار [1] .

[219أ] وذكر الأمير المختار عزّ الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبّحي [2] في / تاريخه من حوادث سنة إحدى وتسعين ومائتين : فيها قدم الإمام المهديّ ومعه ابنُه القائم إلى مصر وأمل أن يقصد اليمن ، وكان قد تقدَّم بعض دعاته إلى اليمن وفسد أمره ، فكره دخولها على هٰذه الحال فأقام بمصر مستتراً في زيّ التجّار . فأتت الكتب من بغداد إلى صاحب مصر بالقبض عليه والأمر بطلبه إلى العامل بها . وكان بعض خاصَّة ذلك العامل وليًّا مؤمناً فأسرع إلى المهديّ بالخبر ، فخرج ومعه ابنه القائم وبعض عبيده ، ومعه أموال كثيرة ، فاشترى بضائع وجعل الأموال في الأحمال وسار في رفقة في زيّ التجّار .

وأخبرني حسن بن محمد بن أبي علي الداعي أنَّ الإمام المهدي صلَّى يوماً في

---

(1) في خروج المهديّ من سلميّة إلى المغرب وأحداث الرحلة ، انظر رسالتَي « استتار الإمام » و « سيرة جعفر الحاجب » اللتين نشرهُما إيفانوف بمَجلّة كلية الآداب بمِصر مجلد 4/ 2 ديسمبر 1936 . وانظر طبعتنا لكتاب عيون الأخبار ، ابتداءً من ص 143 .

(2) المسبِّحي المؤرِّخ (ت 420 / 1029) : له ترجمة في الوفيات (رقم 653) وينقل ابن خلكان كثيراً عن « تاريخه الكبير » ، المسمّى تارة تاريخ مصر ، وتارة « تاريخ المغاربة ومصر » . ويظهر أنَّ هذا الكتاب مفقود مثل بقيَّة مؤلفاته .

الجامع العتيق بمصر الصبح تحت اللوْح الأخضر ، ومعه أبو علي الداعي[1] ، فلمَّا خرجا من الباب الأوَّل ضرب رجلٌ بيده على كُمِّ الإمام وقال : قد حصلت لي عشرة آلاف دينار .

قال له : وكيف ذاك ؟

قال : لأنَّك الرجل المطلوب .

فضحك المهديّ وقال لأبي علي الداعي : قدَّرَ هٰذا الرجل يا أبا علي أنَّني ذلك الرجل الذي أريتك إيَّاه السَّاعة .

ثمَّ ضرب بيده على يدِ ذلك الرجل الذي ضرب بيده إلى كمِّه ودخل معه إلى صدر الجامع وقال له : عليك عهدُ الله وغليظ ميثاقه أنَّني إذا جمعتُ بينك وبينَ الرجل الذي تطلبُه ، كان لي عليك ولصديقي خمسة آلاف دينار ؟

ثمَّ أخذ بيدِه وأتى به إلى حلقة قد اجتمع الناس فيها وأدخله من جانبها وفارقه فخرج من الجانب الآخر ولم يلتقوا إلى هٰذه الغاية .

(قال) وكنت[2] يوماً قائمًا على الجسر بمصر مع الإمام المهديّ إلى أن سمعت الجرس والنداء عليه : « ألا برئت الذمَّة من أحد آوى رجلاً من صفته كذا ومن نعته كذا – ووصف صفةَ المهديّ – ومن أتى به فله عشَرة آلاف دينار

---

(1) أبو علي الداعي « باب الأبواب » : هو داعي المهديّ بمصر ، الحسن بن أحمد ... بن عقيل بن أبي طالب (انظر عيون الأخبار ، 237) . توفِّي بإفريقية سنة 321 فخلفه ابنه أبو الحسن في منصب داعي الدعاة . فالحسن بن محمد الذي ينقل عنهُ المسبّحي هو حفيد باب الأبواب أبي علي ، وهو بدون شكّ معاصر للمؤرّخ .
وفي سيرة جعفر الحاجب ، 114 ، ذكر « لمحمد بن الحسين داعي الدعاة الذي بلغ مع الأئمَّة المهديّ والقائم والمنصور والمعزّ المحلَّ الجليل العظيم » .
واللوح الأخضر : يبدو أنّه ركن من الجامع العتيق مغلّف أو مسقّف بلوح أخضر . انظر الخطط 10 ، 11 ، 16 .

(2) المتكلِّم هنا هو أبو علي الداعي باب الأبواب . وراوي حديثه هو حفيدُه الحسن بن محمَّد الذي يتحدَّث إلى المسبّحي المؤرّخ . وهذا الخبر ملخَّص في عيون الأخبار ، 151 .

حلالاً طيّباً » . فقال لي : « يا أبا عليّ ، المقام بعد هٰذا عجز » ثمَّ ركب الجسر وسرت معه . وسألته أن أسير معه إلى المغرب . فقال : « على مَن أدَعُ مَن لي هٰهُنَا ؟ » فبكيتُ ، فأنشدني شعر امرىء القيس [طويل] :

بكى صاحبي لمَّا رأى الدرب دونَه | وأيقن أنَّا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبكِ عينك إنّما | نحاول ملكاً أو نموتَ فنُعْذَرا

ثمَّ قبّلتُ يده وفارقتُه .

وقال غيره : لمَّا وصل المهدي ومعه ولده القائم نزلا بدار ابن طلحة بعقبة بني فليح في سنة تسع وثمانين ومائتين / . [219ب]

وقال مؤرِّخ القيروان[1] : فلمّا وصل المهدي إلى مصر في زيّ التجّار كان عامل مصر عيسى النوْشري . فأتت الكتب إلى عيسى بأن يقبض عليه – وفيها حليته – من جهة الخليفة ، وأنَّه ممَّن يطلب الأمر لنفسه . وكان المهدي قد خرج من مصر . فلمَّا وصل الكتاب إلى النوشري فرَّق الرسل في طلبه وخرج بنفسه فلحقه ، فلمَّا رآه لم يشكّ فيه فقبض عليه وأنزلَهُ في بستان وأحضر طعاماً وسأله أن يأكل معه . فاعتذر بأنَّه صائم . فرقّ له ودعاه في خلوة وقال له : اصدقني على أمرك ، فإنِّي أتلطَّف في خلاصك .

فخوَّفه المهديّ من الله وقالَ له : اتَّقِ الله ، فإنَّما أنا رجل تاجر ولست أعرف شيئاً ممَّا تقولونه .

فخلَّى سبيله . ويقال إنَّه أعطاه مالاً أقرَّ عينه . وأراد أن يرسل مع المهديّ من يوصله إلى رفقته ، فقال : « لا حاجة لي إلى ذلك » ، ودعا له . فرجع بعض أصحاب النوشري عليه باللوم ، فندم على إطلاقه وأراد إرْسال الجيش ليردُّوه .

---

(1) ابن شدّاد .

وكان المهديّ لمّا لحق أصحابه رأى ابنه أبا القاسم قد ضيَّع كلباً كان يصيد به ، وهو يبكي عليه . فعرَّفه عبيدُه أنَّهم تركوه في البستان الذي كانوا فيه ، فرجع المهديّ بسبب الكلب حتى وصل البستان ومعه عبيده . فرآهم النوشريّ فقال : ما هؤلاء ؟

فقيل له : التاجر رجع .

فبعث فسألهم ما الذي ردَّهم ، فقالوا : فَقَدَ وَلَدُ سيِّدنا كلبه ، وهو عزيز على أبيه فرجع في طلبه . فقال النوشري لأصحابه : قبَّحكم الله ! أردتم [أن] تحملوني على مثل هٰذا الرجل حتى آخذه . فلو كان يطلب ما يقال ، أو كان مريباً لكان يطوي المراحل ويخفي نفسه ، ولا كان رجع في طلب كلبه !

ثمّ سَار المهدي فلحقه لصوص في الطريق في موضع يسمَّى الطاحونة فسلبوه متاعه وكُتُباً لآبائه فيها روايات وملاحم ، فعظم أمر الكتب عليه ، فيقال إنَّهُ لمَّا خرج ابنه أبو القاسم القائم في السفرة الأولى إلى مصر أخذها من أهل ذلك المكان بأعيانها بعد سنين .

وصول المهدي إلى إفريقيّة

وانتهى المهدي وولده إلى مدينة طرابلس ، وتفرَّق مَن كان صحبتَه من التجّار . وكان في صحبته أبو العبّاس محمد أخو أبي عبد الله الشيعيّ ، فقدَّمه المهديّ أمامه إلى القيروان وأمره أن يلحق بكتامة . فلمَّا وصل أبو العبَّاس إلى القيروان ، وجد الخبر قد سبقه ، ووصلت الكتب من الخليفة إلى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب في أمر المهدي . فسأل عنه رفقته فأخبر أنَّه تخلَّف بطرابلس وأنَّ صاحبه أبا العبَّاس بالقيروان . فأخذ أبو العبّاس وقُرِّر ، فأنكر وقال : « أنا رجل تاجر صحبتُ رجلاً في / القَفَل[1] » ، فحبسه . [220أ]

---

(1) القفل بفتحتين اسم جمع بِمعنى القافلة .

وسمع المهديّ فسار إلى قسطيلية . ووصل كتاب زيادة الله إلى عامل طرابلس بصفته وطلبه ، فسار المهديّ إلى سجلماسة بعدما اجتمع بعامل طرابلس وأهدى إليه . فكتب العامل إلى زيادة الله بأنَّه قد سار ولم يدركْه .

فأقام المهديّ بسجلماسة وقد أقيمت عليه الأرصاد في الطريق حتى عرفوا دخوله إلى سجلماسة . فأهدى إلى صاحبها اليسع بن مدرار هدايا وواصله . فقرَّبه اليسع وأحبَّه إلى أن ورد عليه كتاب زيادة الله يقول : « هٰذا الرجل هو الذي يدعو إلى طاعته أبو عبد الله الشيعي » . فقبض عليه حينئذ وحبسه[1] .

فأخذ أبو عبد الله رقّادة كما ذكر في ترجمته وتوجَّه إلى سجلماسة لينقذ المهديّ من سجن اليسع ، حتى قرب منها . فأرسل اليسع إلى المهديّ فسأله عن نسبه وحاله ، وهل إليه قصْدُ أبي عبد الله ؟ فحلف له المهديّ أنَّه ما رأى أبا عبد الله ولا عرفه ، « وإنَّما أنا رجل تاجر » .

فأغلظ له في القول فلم يحل عن كلامه فأمر به أن يعادَ إلى الاعتقال وأُفرد في دار وحده ، وكذلك فَعل بابنه أبي القاسم ، وجَعل عليهما الحرس . وقرَّر أبا القاسم أيضاً فما حال عن كلام أبيه . وقرَّر[2] رجالاً كانُوا معه وضربَهم فلم يقرُّوا بشيءٍ .

وسمع أبو عبد الله ذلك فشقَّ عليه وأرسل إلى اليسع كتاباً يتلطَّف به ويؤمّنه ، وأنَّه إنَّما قدم إلى جهته بسبب حاجة مهمَّة ، ولم يقدم لحرب ، ووعده من نفسه بالجميل . فرمى الكتاب وقتل الرسول . فعاوده في الملاطفة خوفاً على المهديّ وأعرض عن ذكره له أوّلاً وآخراً ، فقتل الرسول ثانياً وتمادى على حاله ، فأسرع أبو عبد الله في السير ونزل عليه وقاتله حتى الليل . فهرب اليسع ومن

---

(1) انتهى هنا النقل عن ابن شدّاد ، وعنه نقل أيضاً ابن الأثير ، والمقريزي في الاتعاظ ، 84 .

(2) قرَّره : حمله على الاعتراف .

معه ، وبات أبو عبد الله ومَن معه في غمّ عظيم لا يدرون ما صُنع بالمهديّ وولده . فلمَّا أصبح خرج إليهم أهل البلد وأعلموهم بهرب اليسع ، فدخل بأصحابه البلد وأتوا المكان الذي فيه المهديّ فاستخرجه منه وأخرج ولده . فلمَّا رآهما الناس كانَتْ فيهم مسرَّة عظيمة كادت تطيش عقولهم . فقرَّب أبو عبد الله إلى المهديّ وولده حِصَانَين فركبا ، وحفَّت العساكر بهما ، ومشى أبو عبد الله ووجوه القبائل بين يدي المهدي ، وأبو عبد الله يقول للنَّاس : « هٰذا مولاكم ومولاي ! » وهو يبكي من شدَّة الفرح ، حتى وصل إلى فسطاط قد ضرب له فدخله / وأمر بطلب اليسع فخرجت العساكر مسرعةً إليه . فأقام إلى العشاء ، [220ب] ثمَّ أمر أن يفرش قدَّام الفسطاط وخرج إلى الناس وأحاطوا به يسمعون كلامه ويبكون ، وهو في ذلك يثني عليهم ويذكر فضلهم . وأدركت العساكر اليسع فأخذوه ومن كان معه . فأمر بضرب اليسع فضُرب بالسياط وطيف به العسكر ، ثمَّ قتل هو وأصحابه . وكان اليسع قد قطع عنه الطعام أيَّاماً حين سجنه[1] .

وكتب بفتح سجلماسة إلى إفريقيّة ، وكان الناس لمَّا خرج منها أبو عبد الله وغاب عنهم ظنُّوا به الظُّنون وشنَّعوا الإشاعات . فعندما ورد كتاب الفتح وظهور المهديّ سرَّ الناس .

وأقام المهديّ بعد الفتح بسجلماسة أربعين يوماً ، وكان ظهوره من سجلماسة يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجَّة سنة ستّ وتسعين ومائتين .

قال مؤرِّخ القيروان : « وكانوا يزعمون في قديم الزمان أنَّ الثاني عشر من أبي طالب والد أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهَه هو الذي يصير إليه أمر المسلمين فيكون إماماً ، وذلك إذا دخلت سنة ستّ وتسعين ومائتين . فكان كذلك » .

---

(1) في رواية الداعي إدريس : عيون ، 162 ، أنَّ المهديّ عفا عن اليَسَع ولكنَّ الأمير المدراريّ رفض الأكلَ والشربَ حتى مات .

انتصابه بالقيروان

فلمَّا تمَّ له من يوم الفتح أربعون يوماً نهض يريد إفريقيّة . وأمر بإحضار الأموال التي على أيدي الدعاة ، فلمَّا حضرت قبضها . وسار إلى رقَّادة فوصل يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبعٍ وتسعين ومائتين . وحضرت إليه الأموال من إيكجان فدخل بها معه إلى رقّادة .

وزالت بالمهديّ دولة بني الأغلب وملك بني مدرار الذين آخرهم اليسع وكان لهم في الملك ثلاثون ومائة سنة تفرَّدوا بسجلماسة وما حولها من أيَّام الخليفة أبي جعفر المنصور . وزال أيضاً ملك بني رستم من تاهرت وله ستُّون ومائة سنة تفرَّدوا بتاهرت وما حَوْلها من أيّام الخليفة عبد الملك بن مروان . وملك المهدي جميع ذلك في هٰذه السنة .

ونزل بقصر من قصور رقَّادة بعدما خرج إليه أهلها وأهل القيروان ، وأبو عبد الله ورؤساء القبائل مشاة بين يديه وولده خلفه فسلَّموا عليه فردَّ عليهم ردًّا جميلاً وأمرهم بالانصراف .

فلمَّا أصبح يوم الجمعة أمر الخطيبَ أن يذكره في الخطبة فيقول : « أبو محمد عبد الله الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين » . فلمَّا صعد الخطيب المنبر وانتهى إلى ذكر المهديّ قام جبلة بن حمُّود الصدفيّ قائمًا وكشف رأسه حتى رآه الناس ومشى من المنبر إلى آخر الجامع وهو يقول : « قطُعوها قطعهم الله ! » – يعني الخطبة لبني العبَّاس – ويكرِّرها . وقام الفقهاء ووجوه البلد معه فما حضر أحدٌ من الأمثال[1] وجلس بعد الجمعة / رجل يعرفُ بالشريف ومعه الدعاة وأحضروا [221 أ] الناس بالعنف والشدَّة ودعَوْهم إلى مذهبهم ، فأجابوا إلى ذلك إلَّا القليل . فأمر بهم فضربوا وحبسوا .

---

(1) الحادثة مرويّة في رياض النفوس للمالكي ، 2 / 43 : ترجمة جبلة بن حمود .

ونابذ طائفة من الفقهاء المهدي حتى إنَّه أدخل برجل على الوالي فقال له الوالي : قل : لا إلاه إلَّا الله !

فقال له : أمَّا من قولك ، فلا . إنِّي لا أدري ما تقول لي بعدها .

ودُخل إليه بآخر وبين يديه مصحف فقال له : أليس هو القرآن ؟

فقال له : ما أعرف ما هو .

ووجد رجل من أصحاب المهديّ المشارقة مقتولاً فأتوا إليه وقالوا : قتل رجل من الأولياء .

قال : وأين هو ؟

قالوا له : أكلوه ولم يبقَ إلَّا عظام ساقيه .

فقال المهدي : هٰذا بلد لا يحلُّ أن يقام فيه .

وأمر بقتل المحْبُوسين إن لم يرجعوا عمَّا هم عليه ، فقتل منهم على ما قيل أربعة آلاف رجُل في العذاب ما بين عابدٍ وجل صالح ، ولذلك قال سهل في قصيدته [كامل] :

وأحلَّ دار البحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات[1]

واستقامت الدولة للمهدي . وعرض عليه أبو عبد الله جواري زيادة الله بن الأغلب اللاتي كان أبو عبد الله أخذهنّ فيمَا أخذ من أموال ابن الأغلب عند فِراره . فاختار المهديّ كثيراً منهنَّ لنفسه ولولده أبي القاسم . وصرف ما بقي على وجوه كتامة . وقسم عليهم الأعمال ودوَّن الدواوين وجبى الأموال ، واستقرَّت قدمه ودان له أهل البلاد واستبدَّ بالأمر وحده وانفرد بالتدبير دون كلّ أحد .

---

(1) البيت لسهل الوراق من قصيدة في هجو بني عبيد ، انظر : رياض النفوس 2 / 496 .

[مقتل أبي عبد الله]

فدخل قلبَ أبي العبَّاس فسادُ نيَّة وحسد كبير ، فإنَّه كان قد استخلفه أخوه أبو عبد الله على القيروان ، وكان إليه الأمر والنهي حتى وصل المهدي وباشر الأمور بنفسه ، فشقَّ عليه الفطام ، وأقبل يزري على المهديّ في مجلس أخيه ويتكلَّم فيه ، ويعنِّفه على تسليم الأمر إلى المهديّ ، حتَّى أثَّر كلامه في قلب أخيه وتغيَّر . ثمَّ أقبل[1] على الشيوخ وأغراهم بالمهديّ وحرَّضهم على قتله ، إلى أن اتَّفقوا على الفتك به ، وقصدوا ذلك مراراً ، والأقدار تحول بينهم وبين ذلك . ثمَّ أخذ يغضُّ من المهديّ ويقول : إنَّ هٰذا ليس بالذي كنَّا نعتقد طاعته ، ولقد كان ظَنُّنا فيه فاسداً ، لأنَّ المهديّ الحقيقيّ يأتي بالآيات والمعجزات حتى إنَّه يختم بخاتمه على البلاد . وأمَّا هٰذا فقد أخطأنا فيه .

فأثَّر ذلك في قلوبهم ، وواجه المهديَّ أبو موسى هارون بن يونس الذي يقال له « شيخ المشايخ » من كتامة ، وقال له : « إن كنت / المهديَّ فأظهر لنا [221ب] آية ، فقد شككْنا فيك » . فغضب المهدي وأمر بضرب عنقه .

وفي جميع هٰذه الأمور ، والمهدي يغضي عند سماعها ويلاطف أبا عبد الله . ثمَّ عَتَبَه عَتْباً رفيقاً كما تقدَّم في ترجمتِهِ[2] . فعلم أبو عبد الله أنَّ عورتَه قد ظهرت للمهديّ ، وانصرف فأخبر أصحابه فخافوا وتخلَّفوا كلّهم عن الحضور إلى مجلس المهديّ . فانتدب رجل يقال له ابن القديم قد كان في جملة المخالفين وقال : يا مولاي ، إن شئتَ أتيتُك بهم .

قال : أَوَتقدِر على ذلك ؟

قال : نعم .

---

(1) أسند المترجم الضمير إلى أبي عبد الله خطأً .

(2) مرَّت ترجمة أبي عبد الله في هٰذا الكتاب ، وكذلك ترجمة أخيه أبي العبّاس (رقم 1224 ورقم 1828 .

فأحضرهم إلى المهديّ فلاطفهم وما زال حتّى فرّقهم في البلاد . فبعث أبا زاكي تمّام بن معارك – وكانوا يجتمعون في داره – إلى طرابلس ، وكتب إلى واليها أن يقتله إذا قدِم عليه ، فقتله وبعث برأسه . وفرّ ابن القديم فضربَتْ عنقه في طريقه . ورتّب المهدي غزويه بن يوسف وجبر بن القاسم في رجال وأمرهم بقتل أبي عبد الله وأخيه أبي العبّاس فقتل غزويه أبا عبد الله وقتل جبر بن القاسم أبا العبّاس للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين[1] . فثارت فتنة بسبب قتلهمَا وجرَّد أصحابهُما السيوف فركب المهديّ وأمَّن الناس فسكنوا . ثمَّ تتبَّع المخالفين بالقتل حتى أفناهم .

ثمَّ ثارت فتنة ثانية بين كتامة وأهل القيروان قُتل فيها خلق كثير . فخرج المهديّ وسكّن الفتنة . وكفَّ الدعاة عن طلب الناس بمذهب التشيُّع .

ثم عهد إلى ولده أبي القاسم محمد نزار بالخلافة من بعده ، وكان إذا نظر إليه وأعجبه يُنشِد متمثِّلاً [سريع] :

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين

وجهّزه إلى بلاد كتامة وقد أقاموا طفلاً وزعموا أنَّه نبيّ يُوحى إليه وأقاموهُ بمدينة ميلة ، فسار إليها وحَصَرَها حتى أخذها وقتل الطفل الذي أقاموه وأفنى منهم أمماً عظيمةً وجلاهم إلى البحر وعاد .

فورد الخبر بخلاف أهل صقلّية فأنفذ إليها أسطولاً قاتلها حتى فتحها .

وخالف أيضاً أهل تاهرت فبعث إليها وغزاها وقتل أهل الخلاف .

وتتبَّع بني الأغلب برقّادة وكانوا قد عادوا بعد موت زيادة الله إليها ، حتى قتلهم عن آخرهم .

---

(1) انظر خبر مقتل أبي عبد الله في عيون الأخبار ، 180 وما يليها . وانظر في المجالس والمسايرات ، 183 تبرير المعزّ لقتل الأخوَين .

ثمّ بعث ابنه أبا القاسم على جيش إلى مصر في سنة إحدى وثلاثمائة وملك الإسكندريَّة والفيُّوم وعاد . فبعث في سنة اثنتين وثلاثمائة حباسة أحد قوَّاده على جيش آخر ، وعاد مهزوماً .

[تأسيس المهديَّة]

[222 أ] فلمّا كانت / سنة ثلاثمائة خرج بنفسه إلى تونس يرتاد لنفسه موضعاً على ساحل البحر يتَّخذ فيه مدينة وكان عنده علم بخروج رجل شديد البأس على دولته ، وهو أبو يزيد النكّاري الخارجيّ ، ومن أجله بنى المهديَّة وهي جزيرة متَّصلة بالبرّ كهيئة كفّ متَّصل بزند فتأمَّلها ، ووجد فيها راهباً في مغارة فقال له : بمَ يعرف هٰذا الموضع ؟

فقال : يسمَّى جزيرة الخلفاء ، والذي يليها من البرِّ يسمَّى أرض جمَّة .

فقال المهديّ : الله أكبر ! هٰذه التي نجدها ، وهي والله جزيرة الخلفاء !

فبناها وجعلها دار ملكه وحصَّنها بالسور العجيب وأبواب[1] الحديد المُصْمَتِ المحكم ، وجعل في كلّ مصراع مائة قنطار . وهما بابان بأربعة مصارع لكلّ بابٍ دهليز يسع خمسمائة فارس . وكان ابتداء بنائها يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة . وكان أوّل ما ابتدأ به من سورها ما على الجانب الغربي الذي فيه أبوابها . فلمَّا مُدَّ الحائط على أساس السور ووُضع أوَّل حجر منه ، أمر المهديّ رامياً بالقوس أن يرميَ سهماً من حدِّ الحجر الذي في أساس السور إلى ناحية الغرب ، فرمى الرامي سهمه فانتهى إلى الموضع الذي عُمِل فيه المصلَّى . ووقع السهم قائماً على نصله ، فقال المهدي : « إلى هٰذا السهم يصل صاحب الحمار » ، يعني أبا يزيد الخارجيّ . فخرج على الدولة وكذا كان ، كما سيرد خبره إن شاء الله في ترجمة أبي القاسم محمد بن المهديّ إن شاء

(1) والأبواب في المخطوط .

الله[1] . ثمَّ أمر المهديّ أن تقاس مساحةُ موضع الرميّة بالذراع فبلغ مائتَيْ ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً ، فقال المهدي : هٰذا عدد ما تقيم المهديّة في أيدينا من السنين ، فكان كذلك[2] .

وأمّا الأبواب الحديد فإنَّها عُمِلت صفائح مفرغةً بثلاث طبقات وطرِقت بالمسامير فبقِيت تتحرَّك ، فقال المهديّ : ما عندكم في هٰذا ؟

فقالوا : لا ندري .

فأمر بالحطب الكثير فجُعل فوقَها وتحتَها وأطلقت النيرانُ العظيمة وطرقت المسامير فصارت الأبواب قطعةً واحدة ، ولمَّا ركّبت صعب فتحُها وإغلاقُها ، ولم يكن يغلق الباب الواحد إلَّا جماعةٌ من الرجال / فأمر المهديّ أن يجعل خرزها [222ب] زجاجاً فدار الباب في الوقت وسهل فتحُه وغلقُه وصار الرجل الواحد يفتحه ويغلقه . ثمَّ قال : كم يكون وزن كلّ باب ؟

فقال القوم : هٰذا لا يعلمُه إلَّا الله إذ ليس في الأرض ميزان يحمل بعضه .

فأمر بمصراع منه فحمل على الصواري حتى ألقي على ظهر مركب في الماء إلى حدٍّ بعينه ، وعُلّم ما نزل من المركب في الماء ، ثُمَّ أُنزل المصراع وجُعل في المركب من الصخر والحجر حتى بلغ الماءُ إلى الحدِّ الذي علّم فيه ، ثم وُزِن جميع ما وضع في المركب من الصخر والحجارة ، فعُلِم ما فيه من رطل ، فجاءت زنة الأربَعَةَ مصار[يـ]ـع أربعمائة قنطار .

ثمَّ أمر أن تقطع في داخل المدينة صناعة تنقر في الجبل تحمل مائتَيْ شيني[3] وعليها باب .

ثمَّ نقروا في أرضها أيضاً أهْراءً برسم الغلال في الحجر الصلب تسع من

---

(1) هو القائم . انظر ترجمته في المقفّى رقم 2641 .

(2) لم يتوقّع صاحب التنبؤ خروج بني زيري عن الولاء الفاطميّ .

(3) الشونة والشيني : مركب للجهاد في البحر . والصناعة قبله تعني الترسخانة .

الطعام ما لا يحصى ، ودمَسَهَا . وبنى قصوراً عالية ، وجعل فيها من المصانع للماء ما لا يحصى وختم عليها وأمر بحفظها . فلمَّا فرغ من بناء السور والقصور والدور قال : اليوم أمنت على الفاطميّات ، يعني بناته .

وارتحل إليها في شهر صفر سنة ثمان وثلاثمائة ، وكان طالعها برج الأسد . ولمَّا رأى المهديّ إعجابَ الناس بالمهديَّة وبحصانتِها قال : هٰذه بنيتُها لتعتصمَ بها الفواطم ساعةً من نهار .

وكذلك كان ، لأنَّ أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعةً ولم يظفر .

وفاة المهديّ

وما زال المهديّ بالله على إمامته حتى قبضه الله إليه بمدينة المهديَّة يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأوَّل سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وعمره اثنتان وستّون سنة وشهر واحد ويوم واحد ، ومدَّة دولته خمسٌ وعشرون سنة وثلاثة أشهر وسبعة أيّام[1] . فأخفى ابنه أبو القاسم موتَه لتدبير كان له .

قال النعمان بن محمَّد : نُعي المهديّ صبيحة يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خلَون من جمادى الأخرى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكانت مدَّة ظهور إمامته من يوم وصل إلى رقَّادة إلى يوم نعي فيه أربعاً وعشرين سنة وشهراً واحداً وعشرين يوماً .

---

(1) يوافق تاريخ وفاة المهدي يوم 4 مارس 934 . ومدَّة خلافتِه في حساب المقريزي تنطلق من يوم « ظهوره من سجلماسة » (7 ذي الحجة 296) .

أمَّا في حساب النعمان (افتتاح الدعوة ص 290 من طبعة وداد القاضي و329 من طبعة الدشراوي) فإنَّ مدَّة الخلافة – بين 20 ربيع الثاني 297 تاريخ الوصول إلى رقادة و20 جمادى الثانية 322 تاريخ النَّعْي – تنقص بسنة وشهرين ، ولعلّ نصّ الافتتاح تحرَّف من « خمس وعشرين (ص 330) . وواضح أنَّه لم يعتبر فارق السنة الكاملة التي زعمُوا أنَّ القائم كتم فيها وفاة المهديّ ، ولو فعل ، لرفع مدَّة الخلافة إلى ستٍّ وعشرين سنة . على أنَّه ذكر سنة الوفاة بوضوح : 322 .

ويقال إنَّ القمر انخسف في الساعة التي توفِّيَ فيها خسوفاً شنيعاً .

وخلَّف من الأولاد : أبا القاسم محمد - ويقال عبد الرحمان - القائم ، وقام بالأمر بعده .

وأبا عليّ أحمد[1] .

وأبا طالب موسى .

وأبا الحسن عيسى ، مات برقَّادة سنة اثنتين وستِّين وثلاثمائة .

وأبا عبد الله الحسين ، مات بالمغرب .

وأبا سليمَان داود ، مات / بالمغرب سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة . [223 أ]

وخلَّف ثماني بنات : آمنة ، وزينب ، وفاطمة ، وأمّ الحسَن ، وقد ذكرن في هٰذا الكتاب[2] .

وأمّ الحسين وسكينة وأمّ عليّ ورشيدة ، متن ببلاد المغرب .

وترك من السراريّ ستًّا ، أمَّهات أولاد .

وقضاته : أبو جعفر محمد بن عمَّار المروروذي ، مات بعد أن عُزل في سنة ثلاث وثلاثمائة . ثمَّ إسحاق بن [أبي] المنهال . ثمَّ محمد بن محفوظ القمُّوديّ ، مات في محرَّم سنة تسع وثلاثمائة . ثمَّ محمد بن عمران ، مات سنة عشر . ثمَّ إسحاق بن [أبي] المنهال ثانياً .

---

(1) في النجوم الزاهرة لابن سعيد ، 45 : أبو طالب أحمد . وعقد له المقريزي في المقفَّى ترجمة وجيزة رقم 509 .

(2) لا توجد تراجمهنَّ في ما لدينا من مخطوطات المقفَّى . ولعلَّ المقريزي ، على غرار كثير من المترجمين ، أفردَ - أو كان ينوي أن يفردَ - قِسماً من قاموسه للنسوة ، فضاع أو لم ينجزه ، على أن عبارة « قد ذكرن » تشعر بأنَّ الأمر تمَّ فعلاً .
وذكر هؤلاء دون الأربع الأخر يشعر بأمرين :
1 ـ أنَّ هؤلاء الأربع بنات قدِمن إلى مصر مع المعزّ .
2 - أن الأربع اللائي مِتن بالمغرب لم تُحمَل توابيتهُنَّ إلى مصر كمَا فُعِل برفات المنصور مثلاً .

وحاجبه جعفر بن عليّ .

وحامل مظلّته مسعود الصقلبيّ ، ثمَّ غرس الصقلبيّ .

وكان نقش خاتمه : بنصر الإِلٰه الممجَّد ينتصر الإمام أبو محمَّد .

وكان يشبّه في خلفاء بني العبَّاس بالسفَّاح : فإنَّ السفَّاح خرج من الحميمة بالشام يطلب الخلافة والسيف يقطر دماً ، والطلب عليه بكلّ مرصد ، وأبو سلمة الخلَّال يُؤَسِّس له الأمر ويثبِّت دعوته . وهكذا المهديّ : فإنَّه خرج من سلميّة بالشام ، وقد أُخذت عليه الطرق ونصبت له المراصد ، وأبو عبد الله الشيعيّ قد مهَّد لهُ الأمر . وكلاهما تمَّ له الأمر وقتلَ القائم بدعوته .

شعر الشعراء فيه

وأوَّل مَن مدح المهديّ من شعراء إفريقيّة سعدون الورجيلي ، وكان من شعراء بني الأغلب ، فأنشده [كامل] :

قِف بالمطيّ على مرابع دور ... لبِست معالمُهُنَّ ثوبَ دثور
لعبت بها حتى محَت آثارها ... رِيحان : ريح صباً وريح دبور

فلمَّا انتهى إلى قوله :

وسفيهة هبَّت تصدّ عن النوى ... ويد النوى ملكت عِنان مسيري
خافت عليّ من الخطوب لأنَّني ... من قبلُ غِبتُ فأُبتُ بعد دهور
5 ثمَّ اجتمعنا بعد ذاك فيا لها ... مأسورة جمعت على مأسور !

فلمَّا قال هٰذا استعبر المهديّ وتلقَّى عبرته بكُمِّه ، فسكت سعدون فأومأ إليه : أنْ قُلْ ، فمرَّ فيها حتى قال :

أَعن ابن فاطمةٍ تصدّينَ امرأً ... بنتِ النبيّ وعِترة التطهير ؟ !
كُفِّي عن التشبيط إنِّي زائرٌ ... من أهل بيت الوحي خير مزور

هٰذا أمير المؤمنين تضعضعت لقدومه أركان كلّ أمير
هٰذا الإمام الفاطميّ ، ومَن به أمِنت مغاربُها من المحذور
10 والشرقُ ليس لشامه وعراقه من مهربٍ من جيشه المنصور / [223ب]
حتَّى يفوز من الخلافة بالمنى ويفاز منه بعدله المنشور

فقال المهدي : ما شاء الله !

ومرَّ فيها إلى أن ذكر أبا عبد الله الشيعيّ فقال :

يا مَن تخيَّر مِن خيار دُعاتِهِ أرجاهُمُ للعسر والميسور
حتى استمال إليه كلّ قبيلةٍ ورُمي إليه قياد كلّ عثور
أشبهتَ موسى ، وهو حيَّتُك التي تُلقى ، فتلقِفُ إفكَ كلّ سحور

فنظر المهدي إلى أبي عبد الله وتبسَّم . فقبَّل أبو عبد الله الأرض وقال للورجيلي : « أنا دون ذلك ببُعْد ما بين السماء والتراب » . وأمر المهدي للشاعر بصلة جزيلة ، وكانت تجري عليه لكلّ عام ، ووصله أبو عبد الله أيضاً .

ولم يمت المهدي عبيد الله حتى وصلت دُعَاتُه إلى بلاد المشرق ، وبعث إليه نصر بن أحمد أمير خراسان[1] يقول : أنا في خمسين ألف مملوك يُطيعونني ، وليس على المهديّ لهم كلفة ولا مؤونة ، فإن أمرني بالمسير سرتُ إليه ووقفتُ بسيفي ومنطقي بين يديه وامتثلْتُ أمره ، وإن أمرَني أن أُدخل أهلَ الأرض في طاعته .

وكتب إليه أيضاً مرداويج الجبلي بمثل ذلك ، وكتب إليه يوسف بن أبي الساج [...] ، وأحمد بن صعلوك[2] [...] بمثل ذلك ، وأنفذوا رسُلَهم مع

---

(1) نصر بن أحمد بن إسماعيل : وليَ خراسان سنة 301 للمقتدر العبَّاسيّ وبقيَ عليها حتى وفاته سنة 330 .

(2) مرداويج الجبلي بن زياد بن وردانشاه : قائد ديلميّ استقلَّ بأذربيدجان وسجستان في سنة 320 ، وقتله خَدَمُه الأتراك سنة 323 (انظر : العيون والحدائق ، 538) .

الأموال إليه . فوقّع على ظهر كتبهم : الزموا مراكزكم ! ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد ، 38) .

بعض أخبار المهديّ

ومن أخباره أنَّه لمَّا كان مقيمًا بسجلماسة سمع بغزويه بن يوسف فتطلَّعت نفسه إلى رؤيته . فلمّا وصل أبو عبد الله إلى سجلماسة ، وفرّ اليسع بأهله وولده ، وخرج المهديّ ، أمر أبا عبد الله بطلبه فلم يقدر عليه ولا علِم أين توجَّه ، فأمر المهدي بإحضار غزويه فحضر بين يديه فأعجب به . وكان فيمَا قال له غزويه : يا مولانا ، وقَعَتْ في أيدينا من هٰذا البلد نعم عظيمة ، وليس معنا من الظَهر ما نحملها عليه ، فإن رحل مولانا بقِي كلّ ما أفدناه ولم نحصل منه على طائل ، وإن أقام أيّاماً أرسلْنا إلى من يقرب منَّا من القبائل فأمَّنَّاهم واشترينا منهم الجمال وكسبنا من الظهر ما نتّسع به في حمل ما صار إلينا ، وننصرف بمَا أنعم الله علينا ، ويُرى مِن ورائِنا ما أعطاه الله ببركة أيَّامك ويمن دولتك .

فأجابه المهدي إلى أن يقيم أيّاماً . فقال : يا مولانا ، إنَّ هَا هُنا رجلاً رئيساً له كرم وفيه تشيُّع ومحبَّة ، فلو أذن لي مولانا لكاتبتُه في / [224 أ] شراء ما أحتاجُ إليه من الظَهر ، وعقدت بيني وبينه مودَّة .

قال : ومن هو ؟

قال : فلان ، مقدّم قومه .

فقال : افعل وائتِني بمن ترسلـ[ـه] إليه لأوصيَه .

= ويوسف بن أبي الساج : من قوّاد العبَّاسيِّين ، كلَّفه المقتدر بحرب القرامطة فلقيهم بظاهر الكوفة سنة 315 فغلبوه وقتلوه (العيون والحدائق ، 240) .
ولا نعرف أحمد بن صعلوك .

شيءٌ من دهائه

وكان المهدي قد بلغه أنَّ اليسع بن مدرار صار إلى هٰذا الرجل ورفعه إلى قلعة له . فكتب إليه كتاباً عن غزويه من غير علمه يرغّبه في المودَّة وعقد الأخوَّة ، ويحضُّه في أن يجعَل لنفسه من أمير المؤمنين موضعاً بالقبض على اليسع وتوجيهه ، وأنّه ، إن لم يفعل ذلك ، خرجت العساكر فأهلكَته واستأصلت عشيرتَه . ووجَّه غزويه إلى المهديّ رسوله فوصّاه بمَا أحبَّ ودفع إليه الكتاب ، وغزويه لا يعلم . فوصل الرسول بالكتابين جميعاً : كتاب غزويه بشراء الجمال وما أحبَّه من أحواله ، والكتاب الثاني الذي دسَّه المهديّ . فلمّا وقف الرجل على ذلك قال : « هٰذه بليَّة قد وقعتُ فيها وامتُحِنتُ بها » . وكان في ظنّه أنَّ أحداً لا يعلم بوصول اليسع إليه . فجمع أهله وشاورَهم فقالوا : « لا تُكسِبْنَا عداوةَ المشارقة[1] ، فإنَّه لا طاقةَ لنا بهم » . فردَّ الجوابَ بأن يصل من يتسلَّم اليسع وأهلَه وولدَه . فدعا المهديّ بأبي عبد الله فقال له : ما تجعل لمن دلَّك على اليسع ؟

فقال : كلّ ما عندي يا مولانا ، وما أملِكُ إلَّا نفسي . فإن ملّكني مولاي نفسي جعلتُها لمَن دلَّني عليه وأَوقَعَه في يدي .

فأطلعه على الكتاب فسجد بين يديه شكراً لله تعالى . فأمره أن يبعث من يختاره فبعث أبا مديني ولهيصة .

قال المهديّ : « تَبَيّنتُ في أبي عبد الله من غير أن يظهر به قولاً ولا فعلاً ، كراهية لأمر غزويه . وإن يكن بلغ منّا هٰذه المنزلة » . وبيَّن ذلك أنَّ أبا العبَّاس جعل يقول : « هٰذا جزاؤنا . فعلنا وصنعنا » . وأكثر مثلَ هٰذا بحضرة المهديّ حتى أغضبه وقال له : « اخرج ، فلا أقام الله دولةً تُقيمُها أنت وأخوك ! » .

---

[1] المشارقة : هو الاسم الذي يطلقه أهل إفريقية والمغرب – وهم سنّة مالكيّون – على الشيعة الفاطميّين .

فقال أبو عبد الله : وقد بلغت منه حتى أحوجته إلى هٰذا الكلام ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ، 156) .

وحضر المائدة من ذلك اليوم وقد تغيَّر وجهُه ولونه ، وظهر عليه ما حرَّكه به أبو العبّاس .

المهديّ والقرامطة

وذكر القرطيّ[1] في تاريخه أنَّ المهديّ كتب إلى القرامطة : « وأنا أحلف ، أيُّها المؤمنون ، بأجلّ ما يحلف به ، أنَّ فيمَا تلقَّيتُه ممَّا أطلعَنَا الله عليه من غَيبه الذي استأثر به وآثر بعلمه أولياءه الذين ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ، 38) ، أنَّه لا بدَّ أن تحلَّ ولايتُنا بخضراء بني أميَّة بالشام وزوْراء بني العبَّاس بالعراق ، ويكون لنا من الخلفاء مثل ما كان لبني أميَّة في العدد » . (قال) فقد والله كان جميعُ ما ذكره .

ووقَّع المهدي لقاضي قضاته [ابن] أبي المنهال ، وقد أعادهُ إلى القضاء بعد عزله : إنَّما عزلتُك لِلينك ومهانتِك ، ورددتُك لدينك وأمانتك .

وكتب عبيد الله إلى سعيد بن صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور صاحب مدينتَي نكور وتمسيامان من بلاد المغرب يدعوهُ لطاعته ، وكتب في أسفل كتابه [طويل] :

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم ... وإن تعدلوا عنّي أرَ قتلكم عدلا
وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم ... وأدخلها عفواً وأملؤُها قتلا[2]

---

(1) القُرْطيّ (ت 567) : « نسبة إلى القرط الذي تأكله الدوابّ » أبو عبد الله محمد بن سعد : مؤرخ مصري عاش في زمن العاضد الفاطميّ . وألّف « تاريخ مصر » بين سنتي 558 و564 . انظر : ابن سعيد المغربي : المغرب (قسم مصر ، 267) والنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، 22 هامش 2 .

(2) البيتان في البيَان المغرب لابن عذاري 1 / 178 مع جواب أهل نكور .

1529 - أبو نصر السجزيّ [- 444][1]

/ عبيد [الله] بن سعيد بن حاتم بن أحمد بن محمد بن علّوبة بن سهل بن عيسى [225ب]
آبن طلحة ، أبو نصر ، الوائليّ، من بكر بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أقصى
آبن دعمى ابن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، السجستاني، المسجزيّ .

أحد الحفّاظ المتقنين . سمع بخراسان ومكّة ومصر والبصرة والعراق الكثير .

وجاور بمكّة حتى مات .

1530 - عبيدة بن عبد الرحمان السُّلميّ والي إفريقيّة [- بعد 116][2]

/عبيدة بن عبد الرحمان بن حكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوقص ، [226 أ]

= هٰذا ، وترجمة المهديّ مطوّلة لأنّ المقريزي أثقلها بما خاض فيه من قضيَّة النسب الفاطميّ ، وبالنقول الكثيرة من الطاعنين فيه والمصدّقين له . وهوإلى الشكّ في صحّة نسبهم أميل إلّا أنّه لم يجسر على التكذيب ، تأثُّراً بموقف أستاذه ابن خلدون كما يقول .

غير أنّنا نلتمس هنا وهناك شيئاً من التحفُّظ إزاء الدولة العبيديَّة ، وبالخصوص عندما ينقل أخبار الاضطهاد الذي قيل إنهم سلّطوه على أهل السنة .

وأفادتنا الترجمة ببعض التفاصيل والمعلومات التي سكت عنها بقيَّة المؤرخين : من ذلك وجود « جريدة » للأنساب العلويّة ببغداد هي بِمثابة السجلِّ الرسميّ الذي يُرجَع إليه في تثبيت نسب الأشراف أو تفنيده .

ومن ذلك أن الأسرة الفاطميَّة كلَّها ، نساءً ورجالاً ، أحياءً ، وربَّما أمواتاً ، قد غادرت إفريقية مع المعزّ .

ومن ذلك أيضاً ما نستشفُّه من دهاء المهديّ في رفعه من شأن القائد الكتامي غزويه بن يوسف حتى يقابل به نفوذ أبي عبد الله وأخيه ، تمهيداً للقضاء عليهما .

(1) أعلام النبلاء ، 17 / 654 (445) وقال : هو مصنّف « الإبانة الكبرى » في أنّ القرآن غيرُ مخلوق .

(2) الأعلام ، 4 / 357 - الاستقصاء ، 1 / 104 - تاريخ إفريقيّة والمغرب للرقيق ، 104 .

الذكوانيّ ، السلميّ . وهو ٱبن أخي أبي الأعور السلميّ . ونُسبَ نَسَباً هو أَصحّ من هٰذا ، فقيل : هو عبيدة بن عبد الرحمان بن عبد الله بن أبي الأعور السلميّ – واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعيد بن فائق بن الأوقص ٱبن مرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهتة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

من أهل دمشق . ولي أذربيجان في خلافة عمر بن عبد العزيز . حدّث بمصر . روى عنه بكر بن سوادة وعبد العزيز بن يحيى بن ديسان وولّاه هشام بن عبد الملك بن مروان إفريقيّة والأندلس في صفر سنة عشر ومائة – وقيل في المحرّم منها . فمضى إلى إفريقيّة . وأغزى فيها عثمان بن أبي عبيدة بن عقبة البحر ، فخرج بصقليّة . وعقد لأخيه حبيب بن أبي عبيدة على سبعمائة فلقوه وأسر بَطْريقهم وهزمهم الله .

وأخرج في سنة إحدى عشرة من إفريقيّة المستنير بن الحبحاب الحرشيّ غازياً إلى صقلّيّة في ثمانين ومائة مركب ، فحاصرهم وهجم [...] بريح طيّبة [...] حتّى نجح . فجاءت ريح عاصف فغرّقت مراكبَهم فلم يسلم منها إلّا سبعةَ عشرَ مركباً . ووقع المركب الذي كان فيه المستنير إلى ساحلِ إطرابلس . فكتب عبيدة إلى عامله على إطرابلس يزيد بن مسلم الكنديّ يأمره أن يشدّه وثاقاً ويبعث معه ثقة . فبعث به في وثاق . فلمّا قدم عليه جلده حدًّا وجيعاً وطاف به القيروان على أتان . ثمّ جعل يضربه في كلّ جمعةٍ مرّة : وذلك أنّ المستنير أقام بأرض الروم حتّى برك عليه الشتاء وٱشتدّت أمواج البحر وعواصفه . فلم يزل محبوساً عنده .

وأغزى في سنة ثنتي عشرة ومائة ثابت بن خثعم من أهل الأردن صقليّة ، فأصاب سبايا وغنائم وسلم .

وأغزى في سنة أربع عشرة من إفريقيّة عبد الملك بن قطن صقليّة فغنم وسلم .

وأغزى أيضاً عبد الله بن زياد الأنصاري سردانية فغنم وسلم .

وفي سنة خمس عشرة أغزى من إفريقيّة بكر بن سويد فأتى صقليّة فلقيه الروم فرموا مراكبَه بالنار .

وكان عبيدة قد ولّى عبد الرحمان بن عبد الله العكّي على الأندلس وكان رجلاً صالحاً ، فغزا إفرنجة وهم أقاصي عَدُوّ الأندلس ، فغنم غنائم كبيرة وظفر بهم . وكان فيمَا أصاب رجل من ذهب مفضّضة بالدرّ والياقوت فأمر بها فكسرت ثمّ أخرج الخمس وقسم سائر ذلك في المسلمين الذين كانوا معه . فبلغ ذلك عبيدة فغضب غضباً شديداً وكتب إليه كتاباً يتوعّده فيه فكتب إليه عبد الرحمان : إنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَوْ كَانَتَا رَتْقاً لَجَعَلَ الرَّحْمَانُ لِلْمُتَّقِينَ مِنْهَا مَخْرَجاً . ثمّ خرج إليهم أيضاً غازياً فاستشهد وعامَّة أصحابه في سنة خمسَ عشرة ومائة .

فولّى عبيدة بعده على الأندلس عبد الملك بن قطن .

ثمّ خرج عبيدة إلى هشام بن عبد الملك وخرج معه بهدايا وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة وقيل : خمس عشرة . وكان فيمَا خرج به العبيد والإماء ، ومِن الجواري المتخيَّرة سبعمائة جارية ، وغير ذلك من الخصيان والخيل والدوابّ والذهب والفضّة والآنية .

وٱستخلف على إفريقيّة حين خرج عقبة بن قدامة التجيبي . فقدم على هشام بهداياه وٱستعفاه فأعفاه ، وولّى عبيد الله بن الحبحاب .

وقيل : كانت ولاية عبيد الله بن الحبحاب بعده في سنة ستّ عشرة ومائة .

وذكر في كتاب الذخائر والتحف أنّ في جملة ما قدم به عبيدة بن عبد الرحمان القيسيّ والي إفريقيّة إلى هشام بن عبد الملك من هداياه في سنة أربع عشرة ومائة عشرون ألف عبدٍ / وأمة ومن صفايا الجواري المتخيّرة سبعمائة جارية ، ومثل ذلك من الخصيان المروّقة ، ومن الخيل والدوابّ والذهب والفضّة [226ب]

والآنية ما لا يحصى كثرةً[1] .

1531 - ابن سليم الأسوانيّ مؤرّخ النوبة [- بعد 365]

[227 أ] / عبد الله بن أحمد بن سُلَيم الأسواني .

بعثه القائد جوهر بكتابه إلى قيرقي[2] متملّك النوبة يعرض عليه فيه الإسلام ويستأدي منه ما عليه من البَقْط[3] . فدعاه إلى الإسلام بحضرة شاهدَين أُخرِجا معه . فكبر ذلك عليه ، وجمع علماءه وأساقفتَه[4] ، وأحضر ابن سليم للمناظَرة ، وقرأ عليه كتاباً جواباً عن الكتاب الوارد معه ، يدعو جوهراً إلى النصرانيّة ويحتجّ فيه كما احتجَّ عليه بنسخ الشرائع ، فطالت بينهُما المناظرة .

ثمَّ عاد إلى ذكر طاعته وموالاة أبيه وأخيه من قبل . فأعلمه ابن سُلَيم أنَّ هٰذا الذي دُعِيَ إليه يُوجبُ الشُّكْرَ عليه لأنَّه اختار له ما اختاره لنفسِه ، ويجب أن يحمدَ الله على ما أولاه من إبقائه على ملكه ، لأنَّ الإسلام لمَّا ظهر أزال ملوكاً كباراً من الأكاسرة وغيرهم ، وأقربها إليه أرض مصر ، فأيّها أكبر : ملك مصر أو ملكك ؟

فقال له : أمَّا في الحال والمال فمصر . وأمَّا الرجال فنحن أكثرُ عدداً

---

(1) في أسفل هٰذه الصفحة ، كتب : آخر الجزء السادس . وهي إشارة فريدة في كامل الأجزاء الموجودة من المقفّى . ولنذكّر بأنّ المقريزي كان يقدّر أن يكون الكتاب في ثمانين جزءًا ، وأنّ السخاوي قال انّه لم ينجز منه إلّا ستة عشر .

(2) قيرقي ملك النوبة : يسمّيه المقريزي في ترجمة ابن عبد الحميد العمري الناسك (رقم 1497) : قيري - وقيرقي - بن زكريا بن بحنس . ولما كانت الوقائع بين العمري وملك النوبة دارت في عهد أحمد بن طولون ، فالمفروض أنّ ملك النوبة في عهد جوهر هو حفيد قيرقي الأوّل . وقد ترجم ج . طروبو . G. Troupeau كلام المقريزي عن بلاد النوبة في فصل له بمجلّة أرابيكا ، 1954 ص 276 .

(3) البقط : « أن تعطى الجنَانُ على الثلث أو الربع » (اللسان) واستأداه المال والدَّين ونحوه : طلب منه أن يؤدِّيَه له .

(4) كان النوبة إذ ذاك نصارى يَعَاقِبة كمَا جاء في خطط المقريزي .

ومدداً .

فقال : إن احتجَجتُ عليك بأنَّ رجال مصر أكثر من رجالك ظلمتك في الاحتجاج لأنَّك تقول لي : قد رأيتَ رجال مصر . وأمَّا رجالي وعامَّتهم وما ورائي من البلد الفلانيّ والفلانيّ فلم تَرَهم . غير أنِّي أحتجّ عليك بمَا لا يمكنك دفعُه : هل تعلم أنَّ في الدنيا درجةً فوق المَلِك ؟

قال : لا .

قال : فإنَّ مَلِكَ مصر بعث الله إليه موسى وهارون أجلّ الرسل يقول لفرعون : أنت ملك . فيأبى عليه ويقول : بل أنا الإله . فما ظنُّك بملِك يبلُغ طغيانُه إلى الخروج إلى هٰذا ؟ وقد أزاله المسلمون وملكوا أكثر كراسيّ النصرانيّة مثل الإسكندريّة وبيت المقدس وأنطاكية وغير ذلك من البلدان والأمصار ، فيجب أن تحمد الله على ما أعطاك ، وتشكره على ما خوَّلك ، وبقّاه عليك من نعمِه عندك ، وورّثك من تيجان أسلافك .

ففعل ذلك وأكثر التذلُّل لله عزَّ وجلَّ والثناء عليه .

وصنَّف كتاب « أخبار النوبة والمَقُرَّة وعَلوة والبُجَة والنيل ومَن عليه ومَن قَرُب منه »[1] من غيرهم للعزيز بالله أبي منصور بن المعزّ لدين الله ، وقدَّمه إليه وفيه فوائد كثيرة . وذكر فيه أنَّه حصل عيد الأضحى وهو عند ملك النوبة . فخرج إلى ظاهر المدينة في نحو ستّين من المسلمين ، ونشر بندين عليهما اسم المعزّ لدين الله وضرب الطبلَ والبوقَ وصلَّى بالجماعة صلاة العيد ، فأحبَّ أولياء الملِك من صاحِبِهم الإنكارَ عليه فأبى عليهم وقال : هٰذا رجل فارق / أهله ووطنه ، [227ب]

(1) هٰذا اسم كتاب واحد . وقد نقل منه المقريزي فصولاً في الخطط ، مثلاً ، 1 / 104 ، 307 ، 318 وسمّاه « مؤرّخ النوبة » . كما نقل منه المنوفي وابن إياس في قول ج . طروبو في فصله المذكور ، 276 . والمقرَّة وردت عند ياقوت بشكل « المقرّي » . وانظر فصل « علوة » في دائرة المعارف الإسلاميّة .

وهو يومُ سرور يريد أن يتجمّل بفعله هٰذا فلا انحل عليه به[1] .

1532 – بدر الدين الحمولي قاضي القدس [– 645]

عبد الله بن إدريس بن محمد ، الحمولي ، الشافعيّ ، بدر الدين ، أبو الفتح .

كان فاضلاً مباركاً . ولي قضاء القدس ثمّ انفصل عنه وعاد إلى مصر وإلى أسيوط . وبها مات في رمضان سنة خمس وأربعين وستّمائة .

1533 – آبن الدهّان [522 – 581][2]

[228 أ] / عبد الله بن أسعد بن عليّ بن عيسى بن عليّ ، الإمام العلّامة ، مهذّب الدين ، أبو الفرج ، آبن الدهّان ، الموصليّ ، نزيل حمص ، الفقيه الشافعيّ .

كان فقيهاً فاضلاً ، أديباً شاعراً ، لطيف الشعر ، مليح السبك ، حسنَ المقاصد . غلب عليه الشعر وآشتهر به ، وله ديوان شعر صغير كلّه جيّد .

وضاقت به الحال في الموصل فعزم على قصد الصالح طلائع بن رزيك سلطان مصر فضاقت يده عن حمل زوجته معه ، فكتب إلى الشريف ضياء

---

(1) قراءة ملتبسة .
هذا ، ولم يتبسّط المقريزي في ترجمة الأسواني ، فلم يذكر سنة وفاته ، ولا وظيفته لدى جوهر عدا هذه الرسالة إلى ملك النوبة . والترجمة مفيدة من جهة هذه الوظيفة التبشيرية عند جوهر القائد ، وقد علمناه قائداً مظفَّراً وأميراً محنّكاً في تدبير شؤون الدولة .
وقد أطنب المقريزي في وصف بلاد النوبة عند ترجمته لعبدالله بن عبد الحميد العمري كمَا أسلفنا .

(2) الأعلام 4/ 198 – وفيات 3/ 57 (336) – الوافي ، 17/ 67 (60) – أعلام النبلاء ، 21/ 176 (88) .

الدين أبي عبد الله زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله الحسنيّ نقيب العلويّين بالموصل [بسيط] :

وذات شَجْوٍ أسال البينُ عبرتَها باتت تؤمّل بالتفنيد إمساكي
لجّت فلمّا رأتني لا أصيخ لها بكت فأقرح قلبي جَفنُها الباكي
قالت وقد رأتِ الأجْمَالَ مُحْدجَةً والبين قد جَمَع المشكوَّ والشاكي
مَن لي إذا غِبتَ في ذا المحْلِ ؟ قلت لها : اللهُ وآبنُ عبيدِ الله مولاكِ
لا تجزعي بآنحباس الغيث عنكِ فقد سألتُ نوءَ الثريَّا جودَ مغناكِ 5

فتكفّل الشريف لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدّة غيبته عنها . فسار إلى مصر ومدح الصالح . ثمّ تنقّلت به الأحوال وأقام بحمص ودرس بها .

ولمّا وصل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب إلى حمص مدحه بقصيد[ة] منها [كامل] :

ما نام بعد البينِ يستحلي الكرى إلّا ليطرقَه الخيالُ إذا سرَى
كلِفٌ بقربكُمُ فلمّا عاقه بُعدُ المَدَى سلك الطريق الأقصَرَا

منها :

تُرْدِي الكتائبَ كتبُه فإذا غَدَتْ لم أدرِ أنفذ أسطراً أم عسكرَا
لم يحسن الإترابُ فوق سطورها إلّا لأنّ الجيش يعقد عِثْيَرَا
مدحُ الملوك فِرًى [1] ويؤسف يوسف ما مدحه الوافي حديثاً يفترى

وكان القاضي الفاضل في المجلس وقت الإنشاد فقال للسلطان : يا مولانا ، لذا الشاعر مدح الصالح بن رزيك بقصيدة يقول فيها [بسيط] :

أأمدحُ التُركَ أبغي الفضل عندهُم والشعر ما زال عند التُّرك متروكا ؟

---

(1) ج فِريَة وهي الكذب .

فٱشتهى مولانا يكذّبه ويصدّق أمله ، فعجّل له السلطان بالجائزة وأحسن إليه .

وتوفّي بحمص في سنة إحدى – وقيل ٱثنتين – وثمانين وخمسمائة ، وقد قَاربَ ستّين سنة .

ومن غريب الإتّفاق أنّه ٱجتمَعَ بمدينة حلب المهذّب عبد الله بن أسعد بن الدهّان وأبو العلاء / المحسن بن الحسين بن أبي الندى المعرّي التنّوخيّ فتذاكرا أنّ [228ب] الأراكَ يُستاكُ به وأنّ العودَ مع طيب رائحتِه يُلقى في النار ، فمضى كلّ منهما إلى منزله وعمل في هٰذا المعنى بيتين ، واجتمعا من الغد بجامع حلب فأنشد ٱبنُ أبي الندى [بسيط] :

لا غرو إن كان مَن دوني يفوز بكُم وأنثني عنكُمُ بالويلِ والحربِ :
يُدْنى الأراكُ فيضحي وهو ملتثِمٌ ثغرَ الفتاةِ ويُلقى العودُ في اللهبِ

فلمّا فرغ من إنشاده أخرج ابن أسعد من عمامتِه رقعة فيها :

لا غرو إن كان مَن دوني يفوز بكم وأنثني عنكُمُ بالويلِ والعارِ
يُدنى الأراك فيضحي وهو ملتثِم ثغرَ الفتاةِ ، ويُلقى العود في النار !

وهٰذا من أعجب التوارد على اللفظ والمعنى .

1534 – أبو طالب الأزجيّ البغداديّ [– 634] [1]

[229أ] / عبد الله بن إسماعيل بن علي بن الحسين ، أبو طالب ، ٱبن أبي محمد ، ٱبن أبي الحسن ، ٱبن أبي عبد الله ، البغدادي ، الأزجي ، الفقيه الحنبليّ ، الواعظ ، المعروف والدُه بـ « غُلام ابن المنى » .

(1) التكملة 3 / 456 (2752) .

كان والده أحد الفقهاءِ العارفين بمذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وسمع عبد الله هٰذا من أبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهّاب بن كليب الحرّاني ، وقرأ المذهب والخلاف ، واشتغل بالوعظ وناظر ووعظ بدمشق ، وقدم مصر ووعظ بها مدّة بالجامع الأزهر ، ثمّ خرج عنها وحدّث ببغداد ، وبها مات في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وثلاثين وستّمائة وقد قارب الخمسين . ومن شعره [رجز] :

يا ليلتي بالأَثَلاتِ عودي	أو لمريضٍ بالصدودِ عودي
ما نسمت من حاجرٍ نُسَيمَةٌ	إلّا ٱنتشقنا أرجاً من عود
ولا جرى حديث نجدٍ في الحمى	إلّا ظننّا نغمَات عود
يا ميُّ هل ترجع أيّامٌ مضت	بـرامة وتـنجزي وعـودي
أما ترقّي لكئيب ساهرٍ	متيَّمٍ في حُبِّكم قد عُود(يَ)
يهتزُّ إن ناحَ الحمامُ بسحرةٍ	على الأراك كٱهتزاز عود

1535 – أبو محمد الكنانيّ [– 576]

/ عبد الله بن إسماعيل بن أبي بكر ، الكناني ، [...] ، أبو محمد . [229ب] مات [سنة] ستّ وسبعين وخمسمائة .

1536 – ابن عبد الظاهر صاحب سيرة الظاهر [620 – 692] (1)

/ عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة ، محيي [230أ] الدين ، أبو الفضل ، ابن المقرىء رشيد الدين ، الجذاميّ ، السعديّ ،

(1) الوافي 17 / 256 (240) – الدليل الشافي 387 (331) حسن المحاضرة ، 1 / 570 (68) .

الرَّوْحيّ ، من ولد رَوح بن زنباع الجذاميّ .

ولد في المحرّم سنة عشرين وستّمائة . وسمع من جعفر الهمدانيّ ، وعبد الله بن إسماعيل بن رمضان ، ويوسف ابن المخيليّ ، في آخرين . وكتب عنه البرزاليّ ، والفتح ابن سيّد الناس ، وأثير الدين أبو حيّان ، وجماعة . وبرع في كتابة قلم الرقاع . وفاق في النثر وصار شيخ أهل الترسّل في طريق [القاضي] الفاضل عبد الرحيم .وجوّد ما شاء في النظم ، ومقاطيعه أحسن من قصائده [...] [1] .

وتوفّي يوم الخميس ثالث شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وستّمائة بالقاهرة ، [230ب] ودُفن بتربته من القرافة بجوار جامعه الذي أنشأه بها / .

ومن شعره قوله في شبابه [طويل] :

وناطقة بالنفح من روح ربّها ... تعبّر عمّا عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأسمعت ... « فنحن سكوت والهوى يتكلّم» [2]

وقال [وافر] :

ذباب السيف من لحظ إليه ... لأخضرِ صُدغه بعضُ انتساب
ولا عجبٌ إذا ما قيل هٰذا ... له صدغ زُمُرُّدُهُ ذُبَابِي

وقال [كامل] :

كم قلت لمّا بتُّ أرشف ريقه ... وأرى نقيّ الدرِّ ثغراً مُنتقى
بالله يا ذاك اللمى متروّيًا ... كرّر عليّ حديث جيران النّقا

وقال [خفيف] :

لي غزال يغزو الورى بجفون ... كلَّ يوم سيوفُها مشهورة

---

(1) بياض بنحو 18 سطرًا .

(2) عجز شاهد معروف ، صدره : حواجبنا تقضي الحوائجَ بيننا . . .

عجباً من لحاظها كيف حتى هزمتنا مَعْ أنَّها مكسورة

وقال [كامل] :

شكراً لنسمة أرضهم كم بلّغت عنّي تحيّة
كم قد أطالت بل أطا بت في رسائلنا الخفيّة
لا غروّ إن حفظت أحا ديثَ الهوى فهي الذكيّة

1537 – عبد الله بن عبد الملك بن مروان [60 – بعد 90][1]

(أمير مصر)

/عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن [231أ] عبد شمس بن عبد مناف ، القرشيّ ، الأمويّ ، أبو [عمر][2] ، أحد أمراء مصر .

مؤازرته الحجّاج على ابن الأشعث

بعثه أبوه أمير المؤمنين أبو الوليد عبد الملك بن مروان من دمشق إلى العراق في سنة آثنتين وثمانين ، وقد خلعه عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث بن قيس وغلب على الكوفة وقاتل الحجّاج بن يوسف قتالاً شديداً ، وبعث معه أخاه محمد بنَ مروان في جندٍ كثيفٍ ليعرضا على أهل العراق عزل الحجّاج عنهم ، وأن يُجريَ عليهم أعطياتهم كما تُجرى على أهل الشام ، وأن ينزل عبد الرحمان بن محمد أيّ بلد شاءَ من العراق ، فإذا نزل كان والياً عليه ما دام حيًّا وعبد الملك خليفة ، فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عزلا الحجّاج عنهم ، وصار محمد بن

---

(1) الكندي ، 58 . الوافي ، 17/ 300 (254) – الطبريّ ، 6/ 347 .
(2) الزيادة من الكندي .

مروان أميرَ العراق . وإن أبى أهل العراق ذلك فالحجّاج أمير الجماعة ووالي القتال ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعتِه .

فقدما على الحجّاج ، وخرج عبد الله بن عبد الملك فقال : يا أهلَ العراق ، أنا آبن أمير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا .

وخرج محمد بن مروان وقال : أنا رسول أمير المؤمنين ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا .

فلم يرضَوا بذلك ، وأعادوا خلعَ عبد الملك خلعاً ثانياً . فقال عبد الله ومحمد للحجّاج : شأنَك وعسكرك وجندك ! وآعمل برأيك ، فقد أُمِرنا بآتّباعك ، وأن نسمعَ لك ونطيع .

فكانا يسلّمان عليه بالإمرة ويسلّم عليهما بالإمرة . وشهِدا وقعةَ دير الجماجم . فلمّا آنهزم آبن الأشعث عاد عبد الله إلى الشام وغزا الروم سنة ثلاث وثمانين وفتح طرندة[1] وأسكن فيها عدّة من المسلمين . ثمّ غزا سنة أربع وثمانين ففتح المصيصة وبنى حصنَها ووضع فيها ثلاثمائة مقاتل من ذوي البأس ، فكان أوّلَ من أنزل فيها المسلمين . وبنى أيضاً مسجدَها .

ولايتُه مصر

ثمّ ولّاه أبوه مصر بعد موت عبد العزيز بن مروان ، وجعل إليه الصلاةَ والخراجَ معاً ، فدخل الفسطاط يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ستٍّ وثمانين ، وهو يومئذ آبن سبع[2] وعشرين سنة ، وقد تقدّم إليه أبوه أن يُعَفِّيَ[3] آثارَ عمّه عبدِ العزيز . فآستبدل بِالْعُمَّالِ وبالأصحاب ،

(1) طرندة قرب ملطية . « وكان عبد الله بن عبد الملك قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة 80 ، وملطية يومئذ خراب (الكامل ، سنة 100) .

(2) في الخطط ، 2/ 85 : تسع وعشرين .

(3) في الخطط : أن يقتفى ، وآثرنا الإبقاء على ما في المقفّى وفي كتاب الولاة .

ونقل عبد الرحمان بن معاوية بن حديج إلى الإسكندريّة ، وجعل على الشرط عمران بن عبد الرحمان بن شرحبيل بن حسنة[1] ، وجمع له القضاء والشرط .

وتوفّي عبد الملك بن مروان في شوّال من سنة [86] وبويع بعدَه آبنُه الوليدُ آبن عبد الملك ، فأقرّ / أخاه عبد الله على صلاة مصر وخراجها . وأمر عبد الله [231ب] بالدواوين فنُسخت بالعربيّة ، وكانت قبل ذلك بالقبطيّة ، وصرف أشناس[2] عن الديوان وجعل عليه [...] بن يربوع الفزاري[3] . ومنع أيضاً من لبس البرانس وذلك في سنة سبع وثمانين .

وفي أيّامه غلت الأسعار بمصر فتشاءم الناس به لأنّها أوّل شدّة رأوها بمصر ، ورمَوه بأنّه آرتشى وكثروا عليه القول وسمَّوه مَكِيس[4] .

ووفد عبد الله إلى أخيه الوليد في صفر سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على الفسطاط عبد الرحمان بن عمرو بن قحزم[5] ، والناس يومئذ في شدّة عظيمة . فقال زرعة بن سعد الله بن أبي زمزمة الخشنيّ يهجو عبد الله [طويل] :

إذا سار عبد الله من مصر خارجاً   فلا رجَعَتْ تلك البغالُ الخوارج !

أتى مصرَ والمِكيالُ وافٍ مُغرْبَلْ   فما سار حتّى سار وَالمُدّ فالج

طويل القميص فاحش عند رجله   دقيق القُصَيرى مُخْدَجيّ حَدارجُ[6]

وصرف عبد الله عن الشرط والقضاء عمرانَ بنَ عبد الرحمان بن شرحبيل بن

---

(1) الكندي يضيف : حليف بني زهرة .

(2) الكندي : عبد الله أشناس .

(3) الكندي يضيف : من أهل حمص .

(4) نكيس حسَب السيوطي : حسن المحاضرة 1 / 587 .

(5) الخولانيّ في الخطط .

(6) الكندي 59 أورد البيتين الأوّلين فقط . والقُصيري هي أقصر الضلوع ، أو هي أعلى العُنق ، وهو أنسب للهجاء . والمُخدَجُ من الأولاد هو ناقصُ الخَلق . والحدرج والحدرجان هو قصيرُ القامة .

حسنة في صفر سنة تسع وثمانين . وجعل مكانَه على الشرط عبد الأعلى بن خالد بن ثابت الفهميّ . وعلى القضاء عبد الواحد بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج .

وأمر بسقف الجامع فرفع وكان مطأطأ[1] .

مخاصمتُه موسى بن نصير

وكان موسى بن نصير[2] يكاتب عبد العزيز بن مروان ، فلمّا مات وولي عبد الله مصر بعده لم يكاتبْه وكاتب عبد الملك بن مروان ، فكتب إليه عبد الله : أمّا بعد ، فإنّك كنتَ من عبد العزيز وبشر بين مهادَين يُقلّك من[3] الحضيض مُهودُهما ويدفئك دثارهُمَا حتى عفا مَخْبَرُك وسمَت بك نفسُك ، فلا تحسبَنّي كمَنْ كنتَ تُخلّيه وأعداء بيتِهِ ، وتقول اكفياني أكفِكُمَا ،. ولا كأصيلع كنت تمنّيه بكهانتِك ! وايمُ الله لأضعَنَّ منك ما رفعا ، ولأُقلّنَّ منك ما كثّرا ! فضحّ رويداً وكأن قد أصبحتَ سادماً ، تعضّ أناملَك نادماً ، والسلام .

فكتب إليه موسى بن نصير : أمّا بعد ، فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ ما وصفتَ فيه من إركاني إلى أبويك وعمّيْك ، ولعمرك إن كنت لذلك أهلاً ، ولو خبرتَ منّي ما خَبَرَا لما صغرّتَ منّي ما عظّما ، ولا جهلتَ من أمرنا ما عَلِما ، وكيف أتَاهُ الله لك . فأمّا انتقاصك لهما فهُما لك وأنت منهما ، ولهما منك ناصرٌ . ولو قال وجد عليك مقالاً ، وكفاك جزاء العاقّ . / [232 أ] فأمّا ما نلت من عِرضي فذلك موهوب لحقّ أمير المؤمنين لا لك . وأمّا تهدُّدُك إيّايَ بأنّك واضعٌ منّي ما رفعا ، فليس ذلك بيدك ولا إليك ، فأرعِد وأبرق لغيري ! وأمّا ما ذكرتَ ممّا كنت آتي

---

(1) وذلك في سنة 89 (الكندي) .

(2) وكانت ولاية موسى سنة 78 استعمله عليها عبد العزيز بن مروان ، وهو حينئذ على مصر لأخيه عبد الملك (الكامل 4 / 113) .

(3) في كتاب الولاة 60 : تعلو عن الحضيض .

به عمّك عبد العزيز ، فلعمري إنّي ممّا نُسبتُ إليه من الكهانة لبعيد ، وإنّي من غيرها من العلم لقريب ، فعلى رسلِك ، وكأن قد أطلّك البدر الطالع والسيفُ القاطع والشهاب الساطع ، فقد تمّ لك ؟ وتمّت له ، ثمّ بعث إليك الأعرابيّ الجلف فلم تشعر حتّى يحلّ بعقوتك فيستلبك سلطانَك ولا يعود إليك ولا تعود إليه ، فيومئذ تعلم أكاهنٌ أنا أم عالم ، وتوقن أيّنا النادم السادم ، والسلام .

فلمّا قرأ عبد الله الكتاب ، كتب إلى عبد الملك بن مروان كتاباً ، وأدرج فيه كتاب موسى ، فلم يصل إلى عبد الملك حتى قُبض . ووقع الكتاب في يد الوليد بعد عزل عبد الله عن مصر وولاية قرّة بن شريك[1] . فلمّا قرأه آستضحك ثمّ قال : لله درّه ! إن كان عنده لأثرة من علم ، ولقد كان عبد الله غنيًّا أن يتعرّضه .

عزله عن مصر

ثمّ إنّ يحيى بن حنظلة نزّه عبد الله إلى أبي النحرس[2] بالجيزة – وقيل : إلى أوسيم . فلمّا متع النهار[3] أقبل قرّة بن شريك والياً على مصر[4] . فكتب إليه عبد الأعلى بن خالد يعلمه ، فأتاه الخبر ، وقد أهديت له جارية فبكى ، ولبِس خفَّيه قبل سراويله دهشاً ، ولبس سراويله مقلوباً .

وكانت ولايته على مصر سنتَين وعشرة أشهر[5] ..

ويقال إنّ الذي أضاف عبدَ الله رجلٌ من القبط بناحية وسيم . فلمّا تناهى

---

(1) في سنة 90 – الكامل 4 / 116 .
(2) الكندي ، 62 : منية له . وقال في يحيى بن حنظلة : مولى بني السهم .
(3) متع النهار (وزن فتح) : بلغ غاية ارتفاعه .
(4) في ربيع الأوّل سنة 90 .
(5) وكذلك في الخطط 2/ 85 . أمّا النويري : نهاية الأرب 1/ 211 فقال : ثلاث وعشرة .

في الوليمة بعث إلى عبد الله أن شرّفْني بحُلُولِك عندي فأبى عليه . فجاءه وقال : عزمت عليك وتعبت فلا تخجلني !

فقال : لا أفعل .

قال : هٰذه مائة ألف دينار ، خُذها وانصرف معي لأكبت أعدائي بحضورك عندي .

قال : هاتها !

فأحضرها . فلمّا قبضها ركب معه في جنده إلى أن أتى المعدية [فـ]ـقدّم أصحابه كلّهم بين يديه فعدّوا النيل وهو واقف . فأتاه خبر عزله ، فأعاد المال على القبطيّ وقال : قد عُزلنا .

فقال : والله لا بُدَّ أن تكون ضيفي وتشرّف منزلي وتأكل طعامي ! ووالله لا عاد لي شيءٌ من المال ! ودعك منصرفاً ؟

فعدّى معه .

والذي عليه المعوَّلُ أنّ العزلَ أتى عبد الله وهو في الضيافة . وكتب رجل إلى الوليد [خفيف] :

عجباً ما عجبت حين أتانا ... أَنْ قَدَ اَمّرتَ قُرَّة بنَ شرِيك
وعزلتَ الفتى المبارك عنّا ... ثمّ فيّلتَ فيه رأي أبيك [1]

[232ب] / وأخذ عبد الله في الخروج عن مصر ، وبرز بكلّ ما يملكه وسار إلى الأردنّ . فأتته رسلُ الوليد فأخذوا كلّ ما كان معه .

صُوَر من عسفه في الولاية

ولمّا ولي مصر أمر بفَرَس من حديد فصُنع بالجزيرة . وجعل على ظهره

(1) النجوم الزاهرة 1 / 241 . وجاء في حاشية : يعني بالمبارك : المشؤوم .

مسالّ كمسالّ الكتّان . فلمّا أتي به عُطِّي . ثمّ أذِن لكبار القبط فدخلوا عليه . ثمّ أمر بالفرس فكشف فقال : كيف ترونَ هٰذا ؟

قال أبو قير صاحب تنيس : نرى فرساً جائعاً وله عندنا علف .

قال : فشأنكم !

فلمّا خرجوا قال لهم أبو قير : هٰذا آبن ملك العرب الأعظم قد شخص إلى ما في أيديكم ، فتُعطونَه طائعين خير وأبقى من أن يَأخذَها وأنتم كارهون ، فليُهدِ كلّ رجلٍ منكم على قدر ما عنده !

ففعلوا ، وبعث إليه بثلاثين وصيفـ[ـاً] يحملون ثلاثين طبقاً في كلّ طبق ألف دينار منثورة ، عليها الحبق والياسمين . فدخل بها رسوله عليه ، فقال : ما هٰذا ؟

فأعلمه [و]قال : فهم لك وما معهُم .

فأدنى طبَقاً منها فرأى وبيصَ[1] الدنانير ، فأمر بقبضها .

وكان داود صاحب الفيّوم قد تخلّف . فنعاه مِينا بهنمويه صاحب قرى أهناس فقال : حبسه الضغن والاستخفاف بك . ولك عليّ خمسة آلاف دينار على أن تمكّنني منه .

قال : آحملها !

ففعل . فقال أبو قير : هٰذا قد سبّب لهٰذا المال أمراً إن يَطعَمْه أتى على أنفسكم ، فاحملوا له هٰذه الخمسة آلاف وردّوه عنه !

فدخل عليه فقال : إنّ داود صاحب الفيّوم إنّما تخلّف ليجمع للأمير ما يجب جمعُه من طرائفه وهداياه . ولسنا نردّ الأمير عن رغبة أشرفت له . وهٰذه الخمسة آلاف عليّ ، على أن يُعفيَه مِن مينا بهنمويه .

قال : احملوها !

---

(1) الوبيص : البريق .

وكتب بعافيته . فقدم رسول مينا عتمة فأخذ داود فقرفصه[1] ثمّ طرحه في بئر .

وأتى رسول العافية ضُحًى فوجده قد مات .

1538 – أبو محمد الحسينيّ [– 363]

[233 أ] / عبد الله بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، أخو أبي جعفر مسلَّم[2] الحسيني ، أبو محمّد .

وأنفذه كافور على جيش كبير في يوم عرفة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ليخلّص من بني سليم ما أخذوا للحاجّ . فسار إلى تبوك ، ولم يقدر على بني سليم ، وعاد في المحرّم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وقد ظفر بمال ممّا أخذ للتجّار فأودعه بزقاق القناديل[3] في مصر .

وخرج إلى الرملة في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . وقد فوّض إليه الأستاذ كافور الإخشيديّ تدبير الشام . فمات كافور في جمادى الأولى منها . وكتب الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات إليه ، يأمرُه بالاجتماع مع الحسن بن عبيد الله بن طغج أمير الرملة ويعقد عليه البيعة لأبي الفوارس أحمد بن عليّ بن الإخشيد محمّد بن طغج بمحضر من القضاة والعلماء والشهود . ففعل ذلك . فامتنع عليه الحسن بن عبيد الله ، ثمّ أجاب على أنّه

---

(1) قرفصه كقردسه : أوثقه وقَيّدَه .

(2) هكذا جاء الاسم مشكولاً بتشديد اللام وفتحها . ولم يتكرّر الشكل .

(3) زقاق القناديل صار يطلق على محلّ الودائع من أموال اليتامى والغيّب ، ويبدو أنّ الاسم والموضع والوظيفة قديمة سبقت عهد الحاكم بكثير ، خلافاً لمَا في كتاب الولاة والقضاة ، 597 (ترجمة القاضي محمد بن النعمان) .

يجتمع مع ثمال العقيلي ، فأجابه عبد الله إلى ذلك . ومضى عبد الله إلى ثمال فدخل ثمال إلى الرملة فحاربا الحسن بن عبيد الله فحاربهُما وهزمَهُما . فحُكِي عن عبد الله أنّه دعا إلى نفسه وتسمّى بالمهديّ .

فلمّا قدمت القرامطة صار إليهم ، إلى أن قدم المعزّ إلى القاهرة في شهر رمضان سنة اثنتين وستّين وثلاثمائة ، وسار القرامطة لحربه ، وهو معهم . فشكاه المعزّ إلى أخيه أبي جعفر مسلّم ، وكتب إليه مع أبي جعفر أحمد بن نصر لصداقة كانت بينه و بين عبد الله . وكان القرمطيّ قد بعثه إلى الصعيد فنزل بنواحي أسيوط وأخميم وحاصر عليّ بن غفيانان وحاربه واستخرج الأموال . فثقل ذلك على المعزّ وعاتب الشريف مسلّم فاعتذر إليه وتبرّأ من أخيه عبد الله .

وأوغل عبد الله في الصعيد وقتل جماعة من المغاربة وأسر كثيراً ، ثمّ عاد إلى إخميم . فبلغه هزيمة الجيش القرمطيّ بظاهر القاهرة . [فـ]ـركب البحر إلى عينونا[1] ومضى إلى الحجاز فنزل المدينة . ثمّ خاف فسار إلى الأحساء ولحق بالقرامطة يستنهضهم لحرب المعزّ ، فلم يجد فيهم قوّةً لذلك . فتركهم وسار إلى العراق ، فبعثوا في إثره ابن سنبر[2] فسمّه في لبنٍ بموضع يقال له الجعفريّة[3] على ميلين من البصرة ، فقام مائتي مجلس في ليلة وماتٍ في موضعه . فغسّل وكفّن وحُمل إلى البصرة وصُلِّي عليه ودفن بها . ثمّ حمل إلى المدينة .

وكان موته في سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة[4] .

---

(1) عينون عند ياقوت وعين أُنا ، ونقل عن البكري أنها قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجّوا ، وهو كلام من غير معجم ما استعجم .

(2) ابن سنبر : لعلّه سنبر بن الحسن بن سنبر أبو محمد ، الذي ترجم له المرحوم عمر لسعيدي في ذيول العيون والحدائق ، 547 ، وهو أحد وزراء أبي طاهر الجنابي القرمطي (انظر الإحالات في المرجع المذكور) .

(3) هذه جعفريّة البصرة ولم يذكرها ياقوت ، وإنّما ذكر جعفريّة بغداد .

(4) نقل المقريزي هذه الأحداث باختصار شديد في الاتّعاظ ، 203 ، وكذلك فعل ابن القلانسي فيمَا يخصّ الأحداث بالرملة (ذيل ، 2) .

1539 – صفيّ الدين العسقلانيّ [– 731]

[233ب] / عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم بن هبة الله ، العسقلانيّ الأصل ، عفيف الدين ، ابن أبي [...] ، صفيّ الدين .

ولد بمصر ثمّ تحوّل إلى دمشق فرتّب في شهّاد [. . .] فكان في غاية التحرّي . شهد في الله بغير أجرة ولا هديّة .

... ثامن عشر المحرّم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .

1540 – ابن أبي مليكة [– 117][1]

[234أ] / عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة [زهير] بن عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرّة ، التّيميّ ، المكّي ، أبو بكر ، ويقال : أبو محمّد .

يروي عن عائشة ، وأمّ سلمة ، وأسماء ، وعبد الله بن عبّاس ، وعبد الله ابن عمرو ، وعقبة بن الحارث ، والمِسْوَر بن مخرمة ، وأبي محذورة ، وعبد الله ابن جعفر[2] ، وعلقمة بن وقّاص ، وطائفة .

وأرسل[3] عن عثمان وطلحة .

وروى عنه ابنُه يحيى ، وابن أخيه عبد الرحمان بن أبي بكر ، وعطاء بن أبي

= وانضمام هذا الزعيم الحسيني إلى القرامطة يقابل تواطُؤ أخيه أبي جعفر مع الفاطميّين ، وذكر المقريزي أخاً ثالثاً لهما يسمّى عيسى (اتّعاظ ، 202) لكنه لم يذكر له موقفاً من المعز .

(1) المعارف ، 475 . الوافي ، 17 / 304 (261) . تهذيب التهذيب ، 5 / 306 (523) – غاية النهاية ، 1 / 430 (1806) .

(2) المسور بن مخرمة وعبد الله بن جعفر : المعارف 429 ، 206 .

(3) أي : روى الحديث المرسل .

رباح[1] مع تقدّمه ، وعمرو بن دينار ، وآبن جريج ، وعبد الواحد بن أيمن ، وعثمان بن الأسود ، ونافع بن عمر الجمحيّ ، وأيّوب السّختياني[2] ، وجرير بن حازم ، وعبد الجبّار بن الورد ، وأبو هلال محمد بن سليم ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة[3] ، وخلق .

وثّقه أبو زُرعة وأبو حاتم[4] .

وكان مؤذّن عبد الله بن الزبير وقاضيَه على الطائف .

وقدم مصر .

وقال ابن جريج عن آبن أبي مُليكة قال : رأيتُ عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول : ألا ليتني لم أكُ شيئاً مذكوراً ! ألا ليتني كَنابِتَةٍ من الأرض أو كراعي ثلّة في طرف الحجاز من بني نصر بن معاوية أو بني سعد بن بكر ![5] .

وتوفّي سنة سبع عشرة ومائة .

1541 – العلم آبن كريم الدين الكبير [– 739][6]

/ عبد الله بن عبد الكريم بن هبة الله ، علم الدين ، آبن [. . .] أبي [234ب] الفضائل ، آبن العلم السديد .

---

(1) عطاء (ت 115) وابن جريج (ت 150) : المعارف 444 و488 .
(2) أيّوب (ت 131) . جرير (ت 170) . الليث (ت 175) .
(3) ابن لهيعة (ت 174) وفيات 3 / 38 .
(4) أبو زرعة الرازي (ت 364) – أعلام 4 / 350 .
(5) هذه الرواية في كتاب الولاة ، 55 .
(6) السلوك 2 / 470 .

كان أبوه[1] ناظر الخواصّ للسلطان [محمد بن قلاوون] ولمّا [. . .] ذكره و [. . .] كبر آبنه في سعادة صحيحة ونعمة طائلة ، وتجرّب عن أبيه في الوظيفة وسلك مسلكه في المكارم وسعة العطايا وتألّف النفوس، والترف ، وركوب الخيل المسوّمة باللباس المزركش .

وركب مرّة [إلى] بحيرة دمياط للنزهة ورمي البندق ، وصحبته عدّة طيور وجوارح وسائس في البر طول الرحيل . فأقام بها يومَين بلياليها ، فكان مبلغ ما صرف منه من الإنعام والصدقات ستّمائة دينار .

ثمّ نكب مع أبيه . ومات فجأة في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، وعليه ديون كثيرة .

1542 – الحافظ ابن القطّان المباركيّ [277 – 365][2]

[235 أ] /عبد الله بن عديّ بن عبد الله بن محمد بن المبارك ، أبو محمّد ، الجرجانيّ ، المباركيّ، الحافظ، المعروف بآبن القطّان. أحد أئمّة أصحاب الحديث والمكثرين منه والجامعين له والرحّالين فيه .

رحل إلى الشام ومصر رحلتَين أولاهما سنة سبع وتسعين ومائتين ، والثانية سنة خمس وثلاثمائة . فسمع بدمشق محمد بن خريم ، وعبد الصمد بن عبد الله آبن أبي زيد ، وعبد الرحمان بن القاسم بن الدوّاس ، وإبراهيم بن دحيم ، ومحمد آبن يوسف بن ماموية وأحمد بن حوصا في آخرين .

---

(1) أبوه القاضي عبد الكريم نكبه الناصر ابن قلاوون سنة 723 ومات سنة 724 – السلوك 2، / 243 و 259 .

(2) الأعلام 4 / 235 . أعلام النبلاء 16 / 154 (111)– الوافي 17 / 318 (271) وهو فيهما : أبو أحمد .

وسمع بحمص أحمد بن أبي الأخيل ، والحسين بن محمد السكوني وجماعة .

وبصيدا محمد بن المعافى بن أبي كريمة .

وبصور أحمد بن بشر بن حبيب الصوري ، وأحمد بن صالح التيميّ وغيره .

وبالكوفة أبا العبّاس بن عقدة وغيره .

وبالبصرة أبا خليفة الفضل بن الحباب وغيره .

وبالعسكر عبدان الأهوازي .

وببغداد أبا محمد بن صاعد ، ومحمد بن يحيى بن سليمَان .

وبمصر أبا عبد الرحمان النسائي ، وعلي بن سعيد الرازي ، والقاسم بن عبد الله الإخميميّ ، وخلائق سوى هؤلاء .

روى عنه ابن عقدة من شيوخه وأبو سعد الماليني [1] وجماعة . وكان مصنّفاً حافظاً ثقة ، على لحنٍ فيه .

ومولده يوم السبت غرّة ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومائتَيْن .

وصنّف في معرفة ضعفاء المحدّثين كتاب « الكامل » في ستّين جزءًا ، قال فيه الدارقطنيّ : فيه كفاية ، لا يزاد عليه .

وجمع أحاديث مالك ، والأوزاعيّ ، وسفيان الثوريّ ، وشعبة [2] ، وإسماعيل بن أبي خالد .

وصنّف على كتاب المزني [3] كتاب « الانتصار » ، ولم يكن في زمانه مثله .

---

(1) الماليني (أحمد بن محمد – ت 412) له ترجمة في المقفّى : رقم 654 .

(2) شعبة بن الحجّاج (ت 160) .

(3) مختصر المزنيّ في فروع الشافعيّة .

قال أبو الوليد سليمَان بن خلف الباجي[1] : أبو محمّد بن عديّ حافظ لا بأس به .

وتوفّيَ ليلةَ السبت غرّة جمادى الآخرة سنة خمس وستّين وثلاثمائة .

1543 – عبد الله بن عطاف الأزدي [– 572]

[235ب] / عبد الله بن عطاف بن الحسن ، أبو محمد ، الأزدي .

ولد في [...] .

سمع أبا عبد الله العزازيّ بالإسكندريّة وأبا بكر الطرطوشي وأبا الحجّاج الميورقيّ[2] وأبا الحسين التونسيّ ، وحدّث .

وكان صحيح السماع متحرّياً في الرواية فقيهاً .

توفّي في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

1544 – عبد الله بن عقبة بن نافع [– بعد 110]

عبد الله بن عقبة بن نافع الفهريّ ، أبو عبيدة .

ولي غزو البحر عدّة سنين ، وقفل من القسطنطينيّة في خلافة عمر بن عبد العزيز . ثمّ غزا البحر سنة تسع ، ثمّ غزا الصائفة سنة عشر ومائة[3] .

---

(1) أبو الوليد الباجي كبير المالكيّة بالأندلس (ت 474) – الأعلام 3 / 186 .

(2) قراءة ظنّيّة لرداءة الخطّ .

(3) الطبريّ ، 7/ 54 .

1545 – الوزير ابن شُكر [548 – 622][1]

/ عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن [236 أ] منصور بن إبراهيم بن عمّار بن منصور بن علي ، الوزير الصاحب ، صفيّ الدين ، أبو محمد ، ابن القاضي أبي الحسن ، الشيبي الدميريّ ، المالكي ، المعروف بابن شكر. وابن شكر إنّما هو زوج أمّه القاضي الأعزّ أبو الفوارس مقدام بن أحمد بن شكر ، نُسِب إليه من أجل أنّه ربّاه صغيراً ، فعُرِف به .

مولده بناحية دميرة[2] إحد[ى] قرى مصر في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

تحصيله العلم

وتفقّه على الفقيه أبي بكر عتيق البجائي وبه تخرّج . وتفقّه بالإسكندريّة على الإمام شمس الإسلام أبي القاسم مخلوف بن علي بن جادة ، وسمع منه ، ومن الإمام أبي الطاهر إسماعيل بن مكّي بن عوف الزهريّ ، وأبي الطيّب عبد المنعم بن يحيى بن الخلوق الحميَري وأبي الحسين محمد بن أحمد ابن أبي نوح النحويّ . وسمع إنشاداً من الحافظ السّلفي . وَأجاز له أبو الحسين أحمد بن حمزة بن عليّ السلميّ ، وأبو عبد الله محمد بن علي بن صدقة الحرّانيّ ، وأبو محمد عبد الرحمان ابن علي بن المسلم اللخميّ ، وأبو الفضل إسماعيل بن عليّ بن إبراهيم ، وغيره .

---

(1) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، 291 ، 298 – أبو شامة : ذيل تاريخ الدولتين ، 114 – النويري : نهاية الأرب ، 6 / 263 (سنة 622) – فوات الوفيات 1 / 219 – الأعلام 4 / 243 – الوافي 17 / 327 (281) . التكملة ، 3 / 157 (2061) . أعلام النبلاء ، 22 / 294 (172) .

(2) دميرة : بين مصر (القاهرة) والإسكندريّة .

وحدّث بدمشق والقاهرة وبرع في الفقه وصنّف فيه مختصراً حفظه عدّة من الناس في مدّة وزارته ، فكان مَن حفِظه أكرمه وأنعم عليه وصار إليه منه حظٌّ وافرٌ . وكان يريد أن يتشبّه في ذلك بالوزير عون الدين بن هبيرة .

وأوّل ما عرف من نباهته أنّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب لمّا سلّم أمر أسطول مصر إلى أخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيّوب في سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأفرد له من الأبواب الديوانيّة الزكاة بديار مصر ، وكانت تبلغ في السنة شيئاً كبيراً بحيث إنّها ضمّنت بخمسين ألفَ دينار مصريّة ، وأفرد له الحُبس الجيوشي بالبرّين الشرقيّ والغربيّ ، وكان في هٰذا الحبس عدّة نواح بالجيزة وضواحي القاهرة ، منها سفط ونهْيا والأميريّة وغير ذلك ، وأفرد له النطرون والخراج وما معه من ثمن القَرَظ ، وساحل السنط[2] والمراكب الديوانيّة ، وناحيتَي إسنى وطنبذى[1] ، فاستخدم العادل في مباشرة ديوان الأسطول صفيّ الدين هٰذا ، فٱشتهر من حينئذٍ ذكره . وتخصّص بالملك العادل .

إكثاره من المصادرات

[236ب] فلمّا قدّر الله تعالى بأنّ الملك العادل ملك ديار مصر في سنة ستّ وتسعين / وخمسمائة عظم قدر الصفيّ وولّاه الوزارة بعد الصنيعة ابن النحال فحلّ عنده محلّ الوزراء الكبار والعلماء المشاوَرين ، وباشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعاظم ، وصادر كتّاب الدولة وٱستصفى أموالهم ففرّ منه القاضي الأشرف أحمد ابن القاضي الفاضل عبد الرحيم[3] بن عليّ إلى بغداد وتشفّع بالخليفة الناصر ،

(1) القَرَظ : شجر يدبغ به . وساحل السنط لا ندري هل هو مكان أم هو شجر السنط وهو من الأشواك .

(2) إسنا بالمدّ عادة . وطنبذة عند ياقوت .

(3) أسرة القاضي الفاضل عريقة في الكتابة الديوانيّة والقضاء : أبوه القاضي الأشرف علي بن الحسن كان قاضي بيسان بفلسطين فنسبوا إليها . ثمّ هو : عبد الرحيم بن علي (ت

وأحضر كتابه إلى الملك العادل بالشفاعة فيه . وهرب منه أيضاً القاضي علم الدين إسماعيل بن أبي الحجّاج متولّي ديوان الجيش والأسعد بن مماتي [1] ناظر الديوان . وصادر بني حمدان وبني الجيّاب وبني الجليس وأكابر الكتّاب من غير أن يعترض عليه السلطان في شيءٍ ممّا يفعله . ومع ذلك كان يكثر من التجنّي والغضب على السلطان فيحتملُه ولا يؤاخذه ، إلى أن غضب عليه في سنة خمس وستّمائة ، وكان العادل في رأس عين ، لإنكار أنكره عليه السلطان .

وخرج فتبعه الملك المنصور صاحب حماة والأمير مجد الدين جهاركس وداروا عليه في بريد رأس عين حتى وجدوه وأتوا به فعفا عنه ، ومن حينئذ انحطّت منزلته .

وكان المنصور كثيرَ العناية به ، وهو أوّل من مشى إليه من الملوك . ثمّ إنّه حرد [عليه] [2] وحلف أنّه لا يباشر فلم تصر له السلطة على ذلك ، وصرفه عن الوزارة يوم الاثنين لسبع بقين من ربيع الأوّل سنة تسع وستّمائة . وولّى الوزارة عوضاً عنه القاضي الأعزّ مجد الدين مقدام بن أحمد بن شُكر .

ثمّ أخرج الصفيّ من القاهرة بجميع أمواله وحرمه وغلمانه فخرج . وثقله على ثلاثين حملاً . وشرع أعداؤه في إغراء السلطان به وزيّنوا له أن يأخذ مالَه فلم يوافق على ذلك . وسار إلى آمد فأقام بها عند متملّكها الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق حتى مات العادل في سنة خمس عشرة وستّمائة .

رجوعه إلى الوزارة

فاستدعاه الملك الكامل محمد ابن العادل إلى القاهرة ، فقدم عليه مستهلّ

= 596) ، ثمّ ابنه القاضي الأشرف أيضاً أحمد بن عبد الرحيم (ت 643) . الوفيات 3 / 158 – الأعلام 4 / 121 .

(1) ابن مَماتي : أسعد بن مهذّب بن مينا (ت 606) – له ترجمة في المقفّى : رقم 742 . وانظر الوفيات 1 / 210 .

(2) حرِد عليه (وزن فرح) : غضب .

ذي الحجّة منها وهو في نوبة دمياط على مقابلة الفرنج ، وقد دعته الضرورة إلى ذلك بعدما كان يعاديه في أيّام أبيه . فخرج إلى لقائه بالمنزلة العادليّة وأكرمه ، وشكا إليه ما دهمه من موت أبيه ومحاربة الفرنج ومخالفة الأمير عماد الدين أحمد ابن المشطوب[1] عليه ، مع آضطراب أرض مصر بثورة العربان وكثرة المين والخلاف . فثبّتَه وقوّى قلبَه وتكفّل له بتحصيل الأموال وتدبير الأمور . ففوّض إليه الوزارة في ذي القعدة[2] منها .

وتوجّه إلى القاهرة فباشر على عادته وصادر أرباب الأموال من الكتّاب والتجّار ، وقرّر على الأملاك مالاً ، وجدّد حوادث عديدة وبعث بالأموال إلى السلطان شيئاً بعد شيءٍ فزاد تمكّنُه وعظمت مهابتُه واشتدّت في أعاديه نكايته وتوفّرت مكانتُه ورتبتُه بحيث إنّ السلطان لمّا عاد إلى القاهرة بعد انقضاء نوبة الفرنج كان يأتيه إلى داره ويجلس عنده بمنظرة على / الخليج ويشاوره في مهمّات [237 أ] الدولة . وما زال على هٰذا إلى أن توفّيَ وهو وزير في يوم الجمعة الثامن من شعبان سنة آثنتين وعشرين وستّمائة ، فدُفن برباطه الذي كان بقرب داره ، وهو الآن بجوار مدرسته .

وكان بعيد الغَور جمّاعاً للمال ضابطاً له من الإنفاق في غير واجب ، قد ملأت مهابتُه الصدور ، وانقاد له على الرغم والرضى الجمهور ، وأخمد جمرات الرجال . وأضرم رماداً لم يخطر إيقاده على بال . وبلغ من الرتبة عند الملك الكامل أنّه بعث إليه بآبنيه الملك الصالح نجم الدين أيّوب ، والملك العادل سيف الدين أبي بكر يومَ العيد ، فقاما على رأسه وهو جالس ، والشعراء تنشده مدائحَهم فيه ، فزاد القوصيّ[3] في قصيدته عندما شاهَدَ المِلكين قياماً على رأسه [كامل] :

(1) ابن المشطوب (ت 619) – الوفيات 1 / 180 .

(2) مرّ أنّه قدم عليه في ذي الحجّة .

(3) الزكيّ القوصيّ : عبد الرحمان بن عبد الوهاب (ت 631) .

لو لم تقم في الله حقّ قيامه   ما كنتَ تقعُد والملوك قِيام

وقطع في وزارته الأرزاق المرتّبة على الدولة ، ومبلغها في السنة أربعمائة ألفِ دينار . وتسارع إلى بابه أرباب الحوائج فكانوا يقفون بِبابه وتمتلىء الطرقات بهم . وأكثر من يحضر إنّما هو لخوفه منه . وكان يُهين الجميع ولا يحفل بتسيخ منهم ولا عالم . وأوقع برؤساء مصر وأرباب البيوت بها ، وأذلَّ عزيزهم وأفقر غنِيّهم ومحا آثارهم ، وقدّم عدّة من الأراذل في مناصبهم .

قساوته على نفسه وعلى غيره

وكان مع ذلك جلداً قويًّا حتّى إنّه مرض مرّة بدوسنطاريا أزمنت به وقويت بحيث يئس الأطبّاء من حياته ، فعند[ما] آشتدّ به الأمر وأشفى على الموت آستدعى بعشرة من وجوه الكتّاب كانوا في حبسه وقال لهم : أنتم في راحة وأنا في الألم ، كلّا والله لا يكون ذلك !

وأمر بهم فعُصِروا ونوّع عذابهم فصاروا يصرخون من شدّة العقوبة ، وهو يصرخ لما به من الألم الشديد طول الليل إلى الصبح . فلم يمضِ غير ثلاثة أيّام حتى زال ما به وركب أقوى ما كان . وكان كثيراً ما يقول : لم يبقَ في قلبي حسرة إلّا كون ابن البيسانيّ لم يمرّغ شيبته على عتباتي ، يعني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني فإنّه مات قبل وزارته .

وكان درّيّ اللون تعلوه حمرة ، طلق المحيّا ، حلو اللسان ، حسن الهيئة ، كثيرَ الدهاء مع هوج وخبث في طيش ورعونة مفرطة وحقد لا تخبو ناره / بحيث [237ب] ينتقم ويظنّ أنّه ما آنتقم فيعود . وكان لا ينام عن عدوّه ولا يقبل معذرة أحد ويعادي سائر الرؤساء ولا يرضيه من عدوّه إلّا إهلاكُه وقطعُ أثرِه . وإذا انتقَمَ لا يرحم أحداً ولا يبالي بعاقبة . وكان له ولأهله كلمة يروونها ويعملون لها كما يُعمل

بالأقوال الإلاهيّة ، وهي : « إذا كنت دُقْمَاق[ـاً][1] فلا تكن وتد[اً] ! » وكان الواحد منهم يعيد هٰذه الكلمة في كلّ يوم مرّاتٍ ويجعلها حجّةً عند ٱنتقامه .

وكان قد ٱستولى على الملك العادِل ظاهراً وباطناً وحجب عنه كلّ أحد ولم يمكّن أحداً من الدنوّ منه ولا الوصول إليه ، حتى الطبيب والحاجب والفرّاش كان له عليهم أعين فلا يتكلّم أحد منهم بكلمة خوفاً منه .

وكان أكبر أغراضه إبادةُ أرباب البيوت ومحو آثارهم وهدم ديارهم ، وتقريب شرار الـ[ـسـ]ـفهاء وسقّاط الناس .

أعماله المعماريّة

وكان لا يأخذ من مال السلطان فلساً ولا ألف دينار ، ويبالغ في إظهار الأمانة ، فإذا لاح له مال عظيم احتجَنَه . وكان مبلغ إقطاعه في السنة مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار . وهو الذي بلّط الجامع الأمويّ بدمشق في سنة إحدى عشرة وستّمائة من مال السلطان الملك العادل ، وكان الجامع كلّه حفراً وجُوَراً[2] ، فأُعجِب الناسُ بذلك ، وأحاط على مصلّى دمشق سوراً ، وعمِلَ الفوّارة وعمّر جامع المِزَّة .

وفي آخر عمره عمي فأظهر جلَداً عظيمًا وعدَم استكانة بحيث لم يتبيّن عليه العمى ، وإذا حضر إليه الأمراء والأكابر وجلسوا على خِوانه قال : قدّموا اللون الفلاني للأمير فلان ، واللون الفلانيّ للصدر فلان ، ولون كذا للقاضي فلان ، ويبني أموره في معرفة مكان المشار إليه برموز ومقدّمات يكابر فيها دوائر الزمان فيمشي هٰذا منه على الناس ولا يفطن بعماه .

وكان يتشبّه في ترسّله بالقاضي الفاضل ، وفي محاضراته بالوزير عون الدين

(1) الدقماق : المطرقة .
(2) الجُورةُ : ما تهدّم من البنيان .

ابن هبيرة[1] حتى اشتهر عنه ذلك ، ولم يكن فيه أهليّة هذا ، لكنّه كان من دهاة بني آدم . وكان إذا لحظ إنساناً لا يقنع له إلّا بكثرة الغنى ونهاية الرفعة ويرى مع ذلك أنّه مقصّر . وإذا غضب لا يتأخّر عن قطع دابر من غضب عليه . وكان كثيراً ما ينشد [بسيط] :

إذا وترتَ امرأً فاحذر عداوتَهُ   من يزرع الشرّ لا يحصد به عِنبا

وينشد كثيراً [طويل] :

تَوَدُّ عدوّي ثمّ تزعُمُ أنّني   صديقُك ، إنَّ الرأيَ منك لعازب [2]

وأخذه مرّة مرض من حمّى قويّة وحدث به النافض[3] ، وهو في مجلس / [238 أ] السلطان ينفّذ الأشغال فلم يتأثّر ولا ألقى جنبه إلى الأرض وتمادى في شغله حتى ذهبت .

وكان يتعزّز على الملوك والجبابرة ، ويُلزم رؤساء الناس وكبراءهم بالوقوف على بابه من نصف الليل ومعهم المشاعل والشموع إلى الصبح ، فإذا كان الصباح ركب ولا يراهم ولا يرو [نـ]ـه لأنّه عندما يخرج ، إمّا أن يرفعَ رأسَه إلى السماء تيهاً ، وإمّا أن يعرّج على طريق غير طريقهم التي هُم بها . وإمّا أن يأمر الجاندارية[4] التي في ركابه بضرب الناس وطردهم من طريقه ، ويكون الرجل الجليل قد وقف على بابه طولَ الليل إمّا من أوّله أو من نصفه بغلمانه ودوابّه فيُطرد عنه ولا يراه ، ومع ذلك لا يجد سبيلاً إلى الانقطاع خوفاً من الهلاك وسلب المال واستئصال الأهل والأولاد ، فيعود من الغد والحال كذلك أبداً .

وكان له بوّاب يأخذ من الناس المال الكثير ، ومع الأخذ فإنّه يُهينُهم إهانة

---

(1) الوزير ابن هبيرة : الوفيات 6 / 230 (يحيى بن هبيرة – ت 560) .
(2) البيت للعتّابي . انظر عيون الأخبار . 3 / 6 .
(3) النافض : رعدة الحمّى .
(4) الجاندار (فارسيّة) : حارس السلطان .

مفرطة . وكان عليه في كلّ يوم خمسة دنانير عن ثمن فقّاع[1] ديناران وعن ثمن حلوى ثلاثة دنانير ، وعليه مع هٰذا نفقات الغِلمان وكسوتهم ، وأفضل بعد ذلك مالاً صار له منه عدّة ضياع وأملاك .

ولمّا مات الصاحب أوقع السلطان الحوطة على سائر موجوده وقبض على أولاده تاج الدين يوسف ، وعزّ الدين محمد ، و[. . .] وسجنهم .

ولمّا عزل الملك العادل صفيّ الدين بنَ شُكر قال مظفّر الأعمى [خفيف] :

أين حجّابك المطيفون بالبغـ ـلة والرافعون فضلَ الثياب ؟
ردّك العزلُ كالنداء على الما ء بلا حاجب ولا بوّاب

1546 – عبد الله بن عليّ العبّاسيّ [– 147][2]
(أبو محمد الشمّاخ)

[239 أ] / عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم ، أبو محمد الأصغر ، وبعضهم يسمّيه الشمّاخ ، ابن أبي محمّد السجّاد ، ابن أبي العبّاس حَبر الأمّة وترجمان القرآن ، ابن أبي الفضل عمّ رسول الله ﷺ ، القرشيّ ، الهاشميّ ، العبّاسيّ .

ولد [...] .

قتاله لمروان الجعديّ

ولّاه أبو العبّاس عبد الله بن محمد السفّاح محاربة مروان . وذلك أنّه كان

(1) الفقّاع : شراب من الشعير .
(2) مروج الذهب 2298 – الوافي 17 / 321 (275) . تاريخ بغداد 10 / 8 (2118) .

ممّن سار من الحُمَيمَة وٱختفى بالكوفة مع أبي العبّاس . فلمّا بويع أبو العبّاس بالخلافة ندب أهلَ بيتِه إلى قتال مروان بن محمد الجعديّ ، فلم ينتدب له إلّا عبد الله بن عليّ هٰذا ، فوجّهَه لحربه وضمّ إليه وجوهَ قوّاد خراسان . فلقي مروان بالزاب نحو الموصل ، ومروان في مائة ألف فقاتله وهزمه وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، وغرق في الزاب أكثر ممّن قُتل . ومضى مروان إلى حرّان ثمّ إلى دمشق ، ومضى منها إلى مصر ، وخلّف بدمشق الوليد بنَ مِعاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان ، فحصره عبد الله بن عليّ وٱقتحمَها وقتل الوليد بن معاوية – وقيل بل بعث به إلى أبي العبّاس فقتَلَه وصلبه بالحيرة . ومكث الناس يقتلون بمدينة دمشق عدّة ساعات ، وهدم عبد الله سور المدينة .

ثمّ توجّه إلى فلسطين ، وصار إلى نهر أبي فُطرُس ، ووجّه أخاه صالح بنَ علي إلى مصر في طلب مروان ، وعلى مقدّمتِه عامر / بن إسماعيل بن نافع أحد [239ب] بني مُسْلِية فعدل مروان ببوصير كما ذكر في ترجمته من هٰذا الكتاب[1] . ويقال إنّ أبا العبّاس كتب إلى عبد الله بن عليّ يأمره بتوجيه صالح إلى مصر . وبعث صالح برأس مروان إلى عبد الله فأنفذه إلى أبي العبّاس وهو بالكوفة فنصِب بها – ويقال : بل بعث به صالح إلى أبي العبّاس.

نبشه قبور بني أميّة

ولمّا صار عبد الله بن عليّ إلى نهر أبي فطرس أمر فنُوديَ في بني أميّة بالأمان ، فٱجتمعوا إليه فعجّلت الخراسانيّة إليهم بالعمد فقتلوهم ، وقتل عبد الله جماعةً منهم ومن أشياعهم . وأمر بنبش قبر معاوية بن أبي سفيان فلم يوجد من مُعاوِية إلّا خطّ[2] ، وبنبش قبر يزيد بن معاوية فَوُجد منه سُلَامِيَاتُ

(1) ترجمة مروان بن محمد مفقودة . وعند الطبريّ ، 7 / 442 أنّ قاتل مروان هو عامر بن إسماعيل الحارثيّ من بني مسلية .

(2) هكذا في المخطوط ، ولم نفهمها . ونبش قبور الأمويّين مذكور في المروج 2223 .

رجله ، ووجد من عبد الملك بعض شؤون[1] رأسه ، ولم يوجد من الوليد وسليمَان إلّا رفاتٌ . ووُجد هشام صحيحاً إلّا شيئاً من أنفِه وشيئاً من صُدغه ، وذلك لأنّه كان طُلِي بالزئبق والكافور وماء الفُوَّة[2] . ووجدَت جمجمة مسلمة آبن عبد الملك فاتّخذت غرضاً حتى تناثرت . ولم يعرض لعمر بن عبد العزيز . وجمع ما في القبور فأحرق .

انتصابه منافسا لأبي جعفر المنصور

فلمّا توفّي أبو العبّاس السفّاح كتب إليه عيسى بن علي وعيسى بن موسى آبن محمّد بوفاته وتوليتِه عهدَهُ أبا جعفر عبد الله بن محمّد وعيسى بن موسى بن محمد إن كان بعده . وكان أبو جعفر حاجًّا وشخص إليه بالكتاب بذلك أبو غسّان حاجب أبي العبّاس السفّاح ومولاه زياد - ويقال يزيد - والهيثم بن زياد الخزاعيّ . فلمّا قرأ الكتاب قال : إنّ أمير المؤمنين أبا العبّاس السفّاح ندب الناس إلى مروان فتثاقلوا عنه فقال : « من آنتدب له من أهل بيتي فهو الخليفة بعدي » ، فانتدبت له .

فصدّقه أبو غسّان وسلّم عليه بالخلافة . ووعظه الهيثم فقال له : نشدتك الله أن تهيج الفتنة وتُعرّض نفسَك وأهلَ بيتك للهلكة وزوال النعمة .

وخطب عبد الله بن عليّ فقال : « إنّ أمير المؤمنين رحمه الله استخلَفني » فصدّقه أبو غسّان وكذّبه الهيثم فأمر به فضربت / عنقُه . [240 أ]

وقال المدائني : كتب أبو العبّاس إلى عبد الله بن عليّ يأمره بغزو الصائفة فوافاه خبر وفاته وهو ممّا يلي دربَ الحدَث - يريد دخولَه بلاد الروم - فدعا عبد الحميد بن ربعي الطائيّ ، وخفاف بن منصور المازنيّ ، ونصير بن المحتفر

---

(1) السُلاميات والسّلامى : عظام الرِّجل ، أمّا الشؤون فعظام الرأس .

(2) الفوّة : نباتٌ ذو عروق دقاق يصبغ بها ويداوى .

المُزني ، وحَبَّاش بن حبيب الطائيّ فقال : « إنّ أبا العبّاس وجَّهني إلى مروان على أن جعل ليَ الأمر بعده » . فقاموا فسلّمُوا عليه بالخلافة . وأرسل إلى الحكم آبن ضبعان الجذاميّ ، وزفر بن عاصم الهلاليّ ، وبكّار بن مسلم العقيليّ ، وعثمان آبن سراقة بن عبد الأعلى بن سراقة الأزديّ فقال لهم مثل مقالته لأبي غانم وأصحابه ، فقال بكّار : أنا سهمُك !

وقال زفر : إنَّكم أهلَ البيت لم تطمعوا في بني أميّة حتّى آختلفوا ، فأنا أحذّرك الاختلافَ ، فإن آجتمع أمرُك وأمرُ مَن بالأنبار عزَزْتُم ، وإن آختلفتُم فهي الفتنةُ .

وقال آبن ضبعان : إن كان عهد إليك وعقَدَ لك عند وفاته فقد كفيت [...] ، وإلّا فلستَ من الأمر على ثقة .

وقال له آبن سراقة : إنّ بلاءك عند أهل الشام غير جميل ، فلن ينفعَك إلّا مثلي ، ممّن لك عنده بلاء حسن وأيادٍ متظافرة ، أو رجل صاحب فتنة يلتمس أن يُدرك فيها شرَفاً .

فعزم عبد الله على آدّعاء الخلافة وخطب الناس بين دلوك ورعبان . وقد كان قدِم عليه أبُو غسّان والهيثم بن زياد ، فاستَشهَدَهُما . فأمّا أبو غسّان فشهد له . وأمّا الهيثم فقال : « أشهد أنّ أبا العبّاس ولّى الخلافةَ أبا جعفر » ، فقتله .

وبايع الناسُ عبد الله بن عليّ ، وبايعه حميد بن قحطبة .

وسار فنزل قنسرين ، فاستعمل / عليها زفَرَ بن عاصم ، وولّى عثمانَ بن [240ب] عبد الأعلى دمشق ، والحكم بن ضبعان فلسطين . وكتب إلى الحسن بن قحطبة وهو بأرمينية ، وإلى ماكد بن الهيثم وهو بأذربيجان ، وإلى محمد بن صول وهو بسميساط مقيم في خمسة آلاف ، يدعوهم ، فلم يجيبوه . فسار إلى حرّان وعليها مقاتل بن حكيم العكّي ، وهو في أربعة آلاف ، وهو على الجزيرة فحصره ووضع عليها المجانيق . ثمّ طلب مقاتل الصلح فصالحه . ودخل مدينة حرّان في صفر سنة

سبع وثلاثين ومائة .

ثمّ أتى الرقّة وآستعمل على الجزيرة عبد الصمد بن عليّ أخاه ، وولّاهُ عهدَه ، وصيّر على شرطتِه منصور بنَ جفونة بن الحرث ، أحد بني عامر بن ربيعة .

وبعث العكّيّ إلى آبن سراقة وأمره أن يقتلَه وآبنَه خالداً فلم يفعل وحبسه .

وآستعمل حميد بن قحطبة على قنسرين ، وعزل زفر بن عاصم في الظاهر ، فكتب إلى زفر : « إذا ورد عليك حميد فآقتُله ومَن معه » . فعلم حميد بذلك فسار حتى قدم على المنصور فأمره أن يَلحق بأبي مسلم .

تكليف أبي مسلم بقتال عبد الله بن عليّ

وكان أبو مسلم كتب إلى أبي العبّاس يستأذِنُه في الحجّ فأذِن له فقدم فحجّ . وكان أبو جعفر المنصور حاجًّا أيضاً . فلمّا قدما الأنبار قال أبو مسلم لأبي جعفر : إن شئت جمعت ثيابي في منطقتي وخدمتُك . وإن شئْتَ أتيتُ خراسان فأمددتُك بالجنود . وإن شئتَ شخصتُ إلى عبد الله بن علي فحاربتُه .

فوجّهَهُ لمحاربته وشيّعه إلى عكبرا . وكان الحسن بن قحطبة بأرمينيّة فكتب إليه المنصور في اللحاق بأبي مسلم ، فوافاه بأرض الموصل في ألف . فصيّره أبو / [241 أ] مسلم على مقدّمته . ووافى مالك بن الهيثم أبا مسلم بالموصل بكتاب المنصور إليه في اللحاق به والسمعِ والطاعة له .

ودسّ المنصور محمّد بن صول إلى عبد الله بن عليّ ليفتك به إن أمكنه ذلك ويكتب إليه بأخباره فأتاه وصار معه . فكتب بعض عيون عبد الله بن عليّ في عسكر المنصور : « صُلْ بآبن صول قبلَ أن يصولَ بك ! » فقتله عبد الله وآبنَينِ له .

ويقال : قدم المنصور الكوفة فولّاها طلحة بن إسحاق بن محمد بن

الأشعث . وسار إلى الأنبار فوجد أبا مسلم بها فولّاه حرب عبد الله بن علي ، وأعطى الجندَ الذين معه آثني عشرَ ألفَ ألفِ درهم - ويقال ثمانية عشر ألفَ ألف - . وكان أبو العبّاس السفّاح حطّ الأرزاق في سنة خمسٍ وثلاثين [ومائة] إلى ستّين ستّين ، فصيّرها أبو جعفر المنصور ثمانينَ ثمانينَ ، وسوّغهم عطاءً أعطاهم إيّاه عيسى بن موسى فشكروا ذلك . ووهب المنصور لكلّ رجل من عمومته ألفَ ألفِ درهمٍ ، وكان أوّل خليفةٍ أعطى ألفَ ألفٍ بصكٍّ إلى بيت المال يجرى في الدواوين .

ولم يُقم بالأنبار إلّا جمعةً ، وعزل جَهْور بن مرّار العجليّ عن شرطته وولّاها عبدَ الجبّار بنَ عبد الرحمان . ووجّه جهور إلى قرقيسيا فتلقّى أصحاب عبد الله بن عليّ .

وخرج المنصور فعسكر بدَير الجاثليق على دجلة ، ووجّه عيسى بن عقيل إلى هيت ، وعبدَ العزيز أخا عبد الجبّار إلى بلد[1] وقال له : إن بلغك أنّ آبنَ عليّ أنهزم فلا تبرَحْ مكانك ولا تخلَّ بمركزك !

ووجّه قائداً إلى تكريت ، وكتب إلى موسى بن كعب أنِ / استخلِفْ آبنَك [241ب] عُيَيْنَة وأقدِمْ ! وقد أمرتُ لك بخمسمائة ألفِ درهم فاقبضها !

وكتب إلى الحسن بن قحطبة وهو بأرمينية فقدم .

وقدم عبد الله بن عليّ نصيبين فخندق وجمع الأطعمةَ وآستعدَّ للحرب . فنزل أبو مسلم بإزائه وكايدَه لينزل منزله فغرَّب وأظهر أنّه يريد الشام لتولية أمير المؤمنين إيّاه الجزيرةَ والشام ، وأنّ قادماً تقدّم لمحاربة عبدِ الله بنِ عليّ مكانَه . فضجّ أهل الجزيرة والشام وقالوا : الآن يَقدِم أبو مسلم بلادَنا فيجتاحُ أموالَنا ويسبي نساءَنا وذراريّنا ويقتل مَن وراءَنا من رجالنا ، ونحن من ملك الدنيا وسعتها في خندقٍ !

(1) بلد : مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل (ياقوت) .

فرحل عبد الله بن عليّ من خندقِه ، ونزل أبو مسلم رأس العين ، ثمّ ٱنكفأ راجعاً حتّى نزل خندقَ عبدِ الله بنِ عليّ ، ونزل عبد الله خندقه وقد علم أنّها مكيدة من أبي مسلم .

وكاتب أبو مسلم أهلَ خراسان فانحاز إليه منهم بشر كانوا مع عبد الله ، فتخيّل عبد الله ممّن بقي معه منهم وقتل خلقاً كبيراً منهم .

وحارب أبو مسلم عبدَ الله بن عليّ أربعة أشهر . ثمّ إنّهم ٱقتتلوا ذاتَ يوم قتالاً شديداً وقد خفّ أصحاب عبد الله ، وأتت أبا مسلم الأمدادُ وأبو مسلم يقول [رجز] :

من كان ينوي أهله فلا رجع ! فرّ من الموت وفي الموت وقع [1]

ٱنهزام عبد الله بن عليّ

فٱنهزم أصحاب عبد الله أقبحَ هزيمةٍ . وسار عبد الله إلى ناحية حرّان ثمّ إلى الرقّة . وعبر جسرَها ثمّ أحرقَه ، ومضى في البرّ إلى البصرة فنزل على أخيه سليمان بن عليّ .

وكان أبو مسلم لمّا قدّم مقدّمته وعليها حميد بن قحطبة لقُوا عبد الصمد بن عليّ ببلد فقاتله حميد فهزمه وأخذه أسيراً .

[242 أ] ويقال إنّ أبا مسلم وجّه في أيّام محاربته عبدَ الله بنَ علي / حميداً إلى عبد الصمد وهو بالجزيرة فقاتله وهزمه حتى لحقَ بالرصافة فأُخِذ بها وأُتِي به أبو مسلم فوجّه المنصور مرزوقاً أبا الخصيب مولاه فحمله إليه في سلسلة فكلّمه فيه إسماعيل بن عليّ فعفا عنه وأمر له بألفِ دينار .

وقيل : بل قدم به أبو مسلم معه .

---

(1) في الكامل 4 / 349 : من كان ينوي ...

وقيل : بل ٱختفى بالكوفة حتى كُلّم فيه المنصور فأمّنه ووصله .

وقيل : لمّا هُزم أتى الرصافةَ فوافاه عبد الله بن عليّ منهزماً هارباً فمضى ، وأقام عبد الصمد لأمر أراده وعزم على أن يتبع عبد الله من يومه ولم يرَ أنّه مطلوب ، فوافاه زبارة بن جرير وكان ممّن رتّب بقرقيسيا فجرّ برجله وأوثقَه وحمله إلى أبي مسلم وهو بتلّ مدايا .

وقدم صالح بن علي بن عبد الله من مصر متمسّكاً بطاعة المنصور ومقيمًا عليها فحارب ٱبنَ ضبعان في اليوم الذي هُزم فيه عبد الله ٱبن عليّ .

وحوى أبو مسلم أموالَ عبد الله بن عليّ وجميع ما كان في عسكره وأطلق من أسره ووهب لكلّ أسيرٍ أربعة دراهم . ولم يقتل إلّا أبا غسّان لشهادته بمَا شهِد به لعبد الله بن عليّ .

ولمّا علم عاملُ عبد الله بن علي على دمشق الخبرَ قتل العكّيَّ وٱبنَه خالداً وكانا في حبسه .

وكتب أبو مسلم إلى المنصور يعلمه أنّ الجزيرةَ والشام بمواضع من الثغور مُشحنة للعدوّ وأنّها لا تسدّ إلّا بهم ، وسأله الصفحَ عنهم ، وأشار عليه بٱستصلاح وجوههم وٱصطناعهم . ووفد [...] إليه عدّة من أشرافهم .

وكان عبد الله بن عليّ لمّا توجّه لغزو الصائفة بلغه أنّ أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك قد أقبل يريده في أربعة آلاف فقصد له ووجّه على مقدّمته حميد بن قحطبة / والعبّاس بن زبيد فلم يكن منهم كبير قتال حتى ٱنهزم أبان وأصحابه وتحصّنوا في حِصن كيسوم ، فنزل عليه عبد الله فطلبوا الأمان فأمّنهم .[242ب] وهرب أبان فدُلّ عبد الله عليه ، وكان في غارٍ ، فقطع عبد الله يديه ورِجلَيه ثمّ ضرب عنقَه . وأتى دابق فبلغه خبر وفاة أبي العبّاس . وكانت عند عبد الله بن عليّ أمة الحميد[1] ويقال : أختها أمّ البنين بنت محمد بن عبد المطّلب بن ربيعة

(1) في الجمهرة ، 153 : هي بنت عبد الله بن عياض .

ٱبن الحرث بن عبد المطّلب بن هاشم فقالت له : قتلتَ أهلَ الشام فأسرفتَ ، ثمّ قتلت أهل خراسان وكانوا أنصاركم وأولياءَ دعوتكُم ، ثمّ انتحلتَ الخلافةَ وقابلتَ ٱبن أخيك ، وهو الخليفة ، فلم تبقِ غايةً ولم تدَع جهداً ، ثمّ هربتَ إلى غير ملجإٍ ولا حِرزٍ . فهلّا متَّ كريمًا ! أما والله لتُقاسيَنّ ذلاًّ طويلاً !

فغضب فطلّقها ، وكان له منها : محمد ، وعيسى ، وأمّ محمّد ، وأمّ عبد الله .

ولمّا هرب عبد الله بلغ المنصور أنّ عبد الحميد بن ربعيّ أبا غَانم بالرها ، وكان صديقاً لأبي الأزهر المهلّب بن العبثر المهريّ ، فوجّهه يطلب الشراة وأهلَ الفساد من الأعراب ويسكّن الناس ، فجعل يقتل الأعراب من أهل الدعارة حتى أتى الرها . فبعث إلى أبي غانم : إنّي مشتاق إليك وقد وُجّهتُ في أمر فتركتُه وملتُ إليك لأُحدِثَ بك عهداً .

فخرج إليه وجعلا يتنادمان ، ثمّ ذاكره الخروجَ إلى المنصور فقال : أنا مستوحش ، ولا عذرَ لي ولا حُجّةَ فيمَا كان منّي .

ثمّ إنّه خرج إليه يوماً في خِفٍّ فأسكره وحمله فارتحل فأوفده على حميد بن قحطبة وهو والٍ على الجزيرة فأنفذه إلى المنصور ، فقال له / المنصور : [243 أ] ويحك ! ما حملك على ما صنعتَ ؟

قال : لا عُذرَ لي فأتكلَّمَ .

فقال : أنا أكره أن أقتلَ رجلاً من آل قحطبة ، ولٰكنّي أهَبُ مسيئَهم لِمُحسنِيهم ، وقد وهبتُك لأبنَي قحطبة حميد والحسن .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن لم يكن فيَّ مصطنعٌ فاقتلني !

قال : إنّك أحمقٌ أهوَج . ٱخرُج فأنت عتيق لهم أبداً !

ولمّا أقام عبد الله بن عليّ بالبصرة خرج سليمَان بن عليّ إلى المنصور فطلب

له أماناً وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ عفوَك لا يضيقُ عنه ، وهو ٱبن أبيك ، وفيه مُسْتَصْلَح .

فقال : هو آمن إذا رأيته .

وٱستأذن له في الحجّ فقال : إن حجّ ظاهراً فقد أذِنتُ له .

فلم يحُجّ .

ومات يونس بن عبيد الفقيه مولى عبد القيس فمشى عبد الله بنُ عليّ وسليمَان في جنازته .

وأراد المنصور استخراج مزارع من البطيحة فضجّ أهلُ البصرة وقالوا : « إنّما نستعذبُ الماءَ من البطيحة » . وأتوا عبد الله بن عليّ فقال[ـوا] : « انزل يا أمير المؤمنين إلينا نبايعْك ! » وكفّهم سليمَان بن عليّ وفرّقهم .

وكان عبد الله بن عليّ يجمّع بالبصرة ، ويقعد في خلفه يزيد الرقاشيّ ، فوجّه المنصور سليمَان بنَ مجالد وأمره بإبلاغ سليمَان بن عليّ أن يشخص عبدَ الله معه ، وكتب إليه في ذلك ، فلم يفعل وقال : « قد جعلت له عهد الله أن أتوثّق له » . فولّى المنصور سليمَان بن مجالد بريد البصرة وأخبارَها . ووجّه روح ٱبن حاتم بن قبيصة بن المهلّب ابن أبي صفرة إلى البصرة في أربعة آلاف من أهل البأس والنجدة والطاعة ، وأظهر أنّه قد ولّاه عُمان ونواحيَها . ثمّ وجّهَ سفيان بن معاوية والياً على البصرة في جيش كثيف ، وبعث أبا الأسد القائد في جيش وأمره أن يقيم على / آخر البطيحة . ودخل سفيان البصرةَ وتسلّمها من سليمَان [243ب] ٱبن عليّ . ووجد عليه المنصور لما كان منه في أمر عبد الله بن عليّ . وتتامّ بالبصرة أكثرُ من ٱثني عشر ألفاً من أهل خراسان .

أمان عبد الله بن عليّ وتسديد ابن المقفّع فيه

وكتب سليمَان بن علي إلى أخيه عيسى بن عليّ يسأله أن يستأذنَ له المنصورَ

في القدوم عليه منفرداً ، فقدم ودخل مع عيسى إلى المنصور وكلّماه في أمان عبد الله بن عليّ فأجابهما إلى ذلك . وكان عبد الله بن المقفّع كاتِبَ عيسى بن عليّ فأمره فكتب له أماناً تعدّى فيه ما يكتبه الخلفاء من الأمانات ، وكتب : فإن لم يفِ أمير المؤمنين بمَا جَعَل له فهو بريىءٌ من الله ورسوله ، والأمّةُ في حلّ وسَعةٍ من خلعه .

نقض المنصور للأمان

ثمّ شخص عيسى وسليمَان ابنا عليّ من البصرة ، ومعهما عبد الله بن عليّ . ووكّل بهم سفيان بن معاوية قائداً يقال له عقبة بن عازب في ألفٍ وبعث أبا الأسد معهم . فلمّا صاروا إلى واسط تسلّم عاملُها عبدَ الله بنَ عليّ ، ثمّ سلّمَه إلى أبي الأسود فأورده الكوفة . وكان المنصور قد وقّع في الأمان : « هٰذا الأمانُ نافذٌ إن رأيتُ عبد الله » . فلمّا قُدم به ورأى [...] في بابه قال لأبي الأزهر المهلّب بن عبيثر : « إذا أمرتك بإدخال عبد الله عليّ فَلَا تُرِني وجهه وأدخِلْه المقصورة » . ففعل ذلك ووكّل به الحرس . وكلّمه فيه بنو عليّ فجعل يقول : أقسمت عليكم لمّا لم تكلّموني فيه ، فإنّه أراد أن يفسد علينا وعليكم أمرَنا .

ومكث محبوساً تسع سنين . ثمّ حوّله من عنده إلى عيسى بن موسى وأمره / بقتله في خفية فحبسه وأراد قتله فقال له أبو عون يونس بن فروة [244 أ] الأنباري – وكان كاتبَه : « إن قتلتَه فنكِّلْ بهِ ! » فأمسك عن قتله .

ثمّ إنّ المنصور سأل عيسى بن موسى عنه فقال : قتلتُه .

فأظهر غضباً وقال : أتقتل عمِّي ؟ لأقتُلنَّك به !

فقال : إنّي والله خِفتُ هٰذه منك فٱستبقيتُه .

قال : فٱدفعه إلى المهلّب بن العبيثر .

فدفعه إليه ، فغمّهُ وجاريةً له حتى ماتا ، ثمّ جعلها إلى جانبه كأنّها معانقة

له ثمّ عزقت البيت فسقط عليهما .

ودُفِن عبد الله ببغداد بعد أن أُدخِل عليه ابن علاثة القاضي وعدوله ، فنظروا إليه وما به شيء .

وبعث المنصور إلى عبد الله بن عيّاش الهمداني المنتوف أن أَخبِرني عن خلعاء ثلاثة أوّلُ آسم كلّ آمرىءٍ منهم عينٌ قتل رجلاً من أقربائه أوّلُ آسمِ كلِّ آمرىءٍ منهم عين ؟

تخابث المنصور بعد قتل عمّه عبد الله

فقال : عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن الزبير ، وعبد الملك بن مروان قتل عمرو بنَ سعيد بن العاص . وعبد الله بن علي سقط عليه البيت .

فقال : إذا سقط عليه البيت ، فما ذنبي ؟

ويقال : لمّا حُبِس عبد الله بن علي في المقصورة مع المنصور ووكّل به قال له بنو عليّ : يا أمير المؤمنين ، سجنتَ عبد الله ؟

فقال : إنّ أهل خراسان متسرّعون إليه لما كان منه إليهم ، ولا آمن أن يفتكوا به ، فقد بلغني أنّهم مجمعون على ذلك ، فجعلتُه عندي إلى أن أدعُو به .

فيئس سليمان بن عليّ منه فمضى إلى البصرة حتى مات بها سنة آثنتين وأربعين ومائة .

ويقال : كان عبد الله بن عليّ مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فأسره ابن ضبارة وبعث به إلى مروان بن محمّد . فقال : « إنّما أتيتُه طالباً لرفده » . فخلّى سبيله . فلمّا حاربه قيل له : هٰذا الرجلُ / الشديد البياض [244ب] الحسن الوجه المصفرّ الدقيق الذراعين الفصيحُ اللهجة الذي كنتَ أتيتَ به فعفوتَ عنه .

فقال مروان : ربّ معروف يُخبَّأ لصاحبه شرًّا !

وكان عبد الله بن علي إذا ضحك انقلبت شفتُه العليا .

ومات في سنة سبع وأربعين ومائة ، وهو ٱبن ٱثنتين وخمسين سنة . وهو الذي هدم قصر مروان بن محمد بحرّان ، وكان أنفق عليه عشرة آلافِ ألفِ درهم .

وقال رؤبة بن العجّاج في عبد الله بن علي يمدحه :

يا أيّها القائل قولاً أحنفا سفاهة من رأيه وصلفا
ما قام عبد الله إلّا أنفاً خوفاً على الإسلام أن يُستَضْعَفَا
ومن صلاح الدين أن يستحلفا أشجع من ليث عرين أغضفا

وقال أيضاً :

إنّ لعبد الله عندي أثراً ونعماً جزاؤها أن تُشكَرَا

وقال ٱبن شبرمة [وافر] :

أقول لذي مكاسرة وضغنٍ سعرت الحرب بين أبي أبيكا
وأورثت الضغائن من بنيهم بني أبنائهم وبني بنيكا
كأنّك قد أصابك سهمُ حتفٍ وأسلمَك العُداة لأقربيكا

1547 – القاضي أبو محمد المخزوميّ [549 – 592] [1]

[245ب] / عبيد الله بن علي بن عثمان بن يوسف ، القاضي أبو محمّد ، ابن القاضي أبي الحسن ، المخزوميّ ، الشافعيّ ، العدل الأديب .

مولده في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

---

(1) التكملة 1 / 249 (327) وهو فيها : عبد الله ، وكذلك في السلوك ، 1 / 139 ولقبه علم الدين .

وقرأ على ٱبن برّيّ .

وقال السعد : توفّي في سادس عشر جمادى الأولى سنة ٱثنتين وتسعين وخمسمائة .

1548 - قاضي القضاة ابن التركماني [719 - 769] [1]

/ عبد الله بن علي بن عثمان بن مصطفى بن سليمَان ، الماردينيّ ، المعروف [246 أ] بٱبن التركماني ، قاضي القضاة ، جمال الدين ، أبو محمّد ، ابن قاضي القضاة علاء الدين أبي الحسن ، الحنفيّ .

ولد في يوم [...] سنة تسع عشرة وسبعمائة ، وبرع في الفقه وولي قضاء القضاة بعد أبيه في يوم [...] المحرّم سنة خمسين [وسبعمائة] بسؤال طلبة الحنفيّة الأمير شيخو العمري أن يولّيه عليهم فاتّفق رأي الأمراء على ولايته . وطلب إلى قلعة الجبل ، وفوّض إليه السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد بن قلاوون القضاء ، وخلع عليه . فنزل وباشر القضاء أجملَ مباشرة من الحشمة ، والرئاسة ، وكثرة الإفضال لسائر من يقصده ، مع لين الجانب ، والحياء ، والمعرفة التامّة بالأحكام ، والقوّة على أرباب الدولة ، والشدّة عليهم ، مع تعظيمهم له ومحبّتهم فيه ، وٱعتقادهم إجلاله دِيناً يثابون عليه ، وتواضعه مع الفقراء ، وتقريبه أهلَ العلم وإكرامهم والإحسان إليهم ، وسدّ أبواب الريب . وترك كلِّ ما يُعتذر منه ، وتشدّده في ترك الاستبدال بالأوقاف ، ومنعه ذلك جملةً ، وٱعترافِ فضلاء مذهبه له بالفضيلة التامّة . وبالجملة فما يجد حاسده ما يعيبه به .

وما زال على سداد ورشاد حتى توفّي ليلة الجمعة حادي عشر شعبان سنة

---

(1) الدرر 2 / 381 (2177) - الدليل الشافي 387 (1333) . الجواهر المضيئة . 2 / 316 (712) .

تسع وستّين وسبعمائة . ودفِن بمقبرتهم خارج باب النصر . رحمه الله فلقد كان مفخراً من مفاخر الدهر وزيناً لقضاة مصر .

1549 – القاضي جمال الدين العسقلاني [– 817][1]

[246ب] / عبد الله بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن أبي الفتح ، جمال الدين ، ابن قاضي قضاة دمشق ، علاء الدين ، الكنانيّ ، العسقلانيّ ، الحنبليّ ، الجندي ، سبط أبي الحزم القلانسيّ .

سمع على محمد بن إسماعيل الأيّوبي ، والعرضي ، وعلى جدّه كثيراً ، وأحضر على الميدوميّ ، وألبسه القطب القسطلاني خرقة التصوّف .

وحدّث بمسند الإمام أحمد عن العرضيّ . وأقبل الناس عليه في آخر عمره فسمعوا عليه كثيراً .

وكان خيّراً متديّناً فاضلاً يتزَيـيّ بزيّ الأجناد .

توفّي يوم [...] شهر رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة .

1550 – أبو المنجّى القرمطيّ [– بعد 364]

[247أ] / عبد الله بن عليّ بن المنجّى ، أبو المنجّى ، القرمطيّ .

قدم مع الحسن بن أحمد الأعصم[2] القرمطيّ من الأحساء على دمشق في ذي القعدة سنة ستّين وثلاثمائة . وتركه على حصار سعادة بن حيّان بيافا ، ومعه ظالم بن مرهوب العقيليّ . وسار إلى مصر فقاتله جوهر القائد وهزمه . فرحل أبو

(1) الضوء اللامع ، 5/ 34 (127) . ولم يذكره المقريزي في السلوك في وفيات 817 ولكنّه ذكره في عقوده حسب السخاويّ .

(2) الأعصم القرمطيّ له ترجمة في المقفّى رقم 1146 (ت 366) .

المنجَّى وظالم عن يافا ونزلا على دمشق . فاختلف أبو المَنجَّى مع ظالم بسبب أخذ الخراج ، وأراد كلّ منهما أخذه لينفقه في رجاله .

فقدم الحسن بن أحمد بعد هزيمته من ظاهر القاهرة إلى بلده ، ونزل على الرملة ، فلقيَه أبو المنجَّى وعرَّفه ما جرى بينه وبين ظالم من الاختلاف . وكان أبو المنجَّى أثيراً عند الحسن القرمطيّ يولج إليه أمورَه ويستخلفُه على تدبيره . فقبض على ظالم وحبسه .

فلمَّا انهزم الحسن من المعزّ نزل أذرعات وأنفذ أبا المنجَّى في طائفة من الجند إلى دمشق ، وكان ابنه[1] والياً عليها . فوصل دمشق واستولى عليها .

وكان ظالم قد تفلَّت ونزل بعلبك . فلمَّا رجع الحسن بن أحمد إلى الأحساء اتَّفق ظالم مع أبي محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح على قتال أبي المنجَّى . وسار ظالم من بعلبك حتى وافى عقبة دُمَّر[2] فخرج إليه أبو المنجَّى في ألفين من الجند ، فتركه كثير منهم ولحقوا بظالم ، فطرق ظالم أبا المنجَّى بالميدان وقبض عليه وعلى ولده بعد أن وقعت فيه ضربة ، وصار جميع من معه إلى ظالم ، وملك دمشق في يوم السبت العاشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستِّين [وثلاثمائة] ، وسجنه وابنه في عدَّة من أصحابه وأخذ أموالهم .

فنزل أبو محمود على دمشق يوم الثلاثاء ، ثاني عشر منه ، فسلَّم إليه ظالم أبا المنجَّى وابنه ومحمد بن أحمد بن سهل النابلسيّ[3] ، فعمل لكلّ منهم قفصاً من خشبٍ وحملهم إلى المعزّ لدين الله . فقدموا القاهرة لأربع خلون من ذي القعدة [سنة 363] فطيف بهم على الإبل بالبرانس والقيود في نيف وعشرين رجلاً من القرامطة خلفهم على الإبل . ثمَّ سُجن الجماعة وقتل ابن النابلسيّ . فلم يزل

---

(1) لم يذكر هٰذا الابن في أمراء دمشق للصفدي ، 50 و87 .

(2) عقَبة دُمّر : في غوطة دمشق على طريق بعلبك .

(3) ابن النابلسي الزاهد الشهيد (ت 363) له ترجمة في المقفّى رقم 1727 . وانظر تراجم الأشخاص الآخرين : جعفر بن فلاح : رقم 1078 وإبراهيم ابنه : رقم 98 .

أبو المنجّى في الاعتقال إلى أن أطلق لخمس بقين من المحرّم سنة أربع وستّين [وثلاثمائة] هو وابنه ، وخلع عليه وحُمل ، وأطلق معه بضعة عشر من القرامطة .

1551 - التقيّ السروجيّ [- 693] [1]

[247ب] / عبد الله بن علي بن منجّد بن ماجد بن بركات ، تقيّ الدين ، أبو محمّد ، المنعوت بالتقيّ السّروجيّ .

كان رجلاً عفيفاً يتلو القرآن ، وله معرفة بالنحو واللغة والأدب ، متقلّلاً من الدنيا ، يغلب عليه حبّ الجمال مع العفّة التامّة والصيانة . وكان مأمون الصحبة طاهر اللسان ، يتفقّد أصحابه . وكان كثير الانقطاع لا يكاد يظهر إلّا يومَ الجمعة .

وهوي شابًّا من الترك وفطن أبوه به . فلمّا عرف عفّتَه جعله عنده في منزله وصار يخدمه بنفسه وأهله ، حتى مات الشابّ وهو مقيم عندهم .

وقيل له يوماً عن الحمّام ، فقال : بعد محمّد أدخل الحمّام ؟

وتوفّي بالقاهرة يوم [...] شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وستّمائة بداره من الحسَينيّة خارجَ القاهرة .

وله شعر لطيف المنزع رقيق مستبدع . فمنه قوله [كامل] :

دنيا المحبّ ودينُه أحبابُه   فإذا جفَوه تقطّعت أسبابُه
وإذا أتاهُمْ في المحبّة صادق   كشف الحجاب له وعزّ جنابُه
ومتى سقَوه شراب كأسٍ منهُم   رقّت معانِيهِ وراقَ شرابُه
وإذا تهتّك لا يلامُ لأنّه   سكرانُ عِشقٍ لا يُفيدُ عتابُه

(1) الدليل الشافي ، 387 (1334) - الوافي 17 / 341 (294) والتصويب منه .

5 بعثَ السلامَ مع النسيم رسالةً فأتاه في طيّ النسيم جوابُه

وقوله [كامل] :

أَنعِمْ بوصلك لي فهٰذا وقتُه يكفي من الهجران ما قد ذقتُه[1]

[وقوله – بسيط] :

يا رائس الحبّ أدركْني فقد وحِلت مراكبُ الحبّ بي في بحر أَشْوَاقي

ولي بضاعة صبرٍ ضاع أكثرُها وقد غدا ذا الهوى يستغرق الباقي

1552 – عبد الله ٱبن سيّدنا عمر بن الخطّاب [– 73][2]

/عبد الله بن عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رَباح بن عبد الله [248 أ] ٱبن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب ، القرشيّ ، العدويّ ، أبو عبد الرحمان ، ٱبن أمير المؤمنين أبي حفص ، وأخو حفصة أمّ المؤمنين . أمُّهُا زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحيّ .

أسلَمَ مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم . وقيل : أسلم قبل أبيه ، ولا يصحّ . وأصحّ منه أنّه هاجر قبل أبيه . وأجمعوا أنّه لم يشهد بدراً ، مع أنّه رُوي عن أنس وعن سعيد بن المسيّب أنّه شهد بدراً . وٱختلفوا في شهوده أُحُداً . والصحيح أنّ أوّلَ مشاهده الخندقُ .

وقال محمد بن عمر الواقديّ : كان عبد الله بن عمر يومَ بدر ممّن لم يحتلم فاستصغره رسول الله ﷺ وردّه . وأجازه يوم أحد .

---

(1) بعد هٰذه الأبيات بياض بنحو عشرة أسطر .

(2) وفيات 3/ 29 (321) – أسد الغابة 3/ 340 (3080) – تهذيب 5/ 228 – المعارف 185 – الوافي 17/ 362 (297) .

ويروى عن نافع أنّ رسول الله ﷺ ردّه يوم أحد لأنّه كان آبن أربع عشرة ، وأجازه يوم الخندق وهو آبن خمس عشرة سنة . وقد روي حديثُ نافع على الوجهين جميعاً .

وشهد الحديبيّة وقيل إنّه أوّل مَن بايع يومئذ . والصحيح أنّ أوّلَ من بايع رسول الله ﷺ بالحديبيّة تحت الشجرة – بيعة الرضوان – أبو سنان الأسديّ[1] .

وعن مجاهد قال : أدرك آبن عمر الفتحَ وهو آبن عشرين سنة ، يعني فتح مكّة .

وكان رضي الله عنه من أهل الورع والحلم . وكان كثير الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ شديد التحرّي والاحتياط والتوقّي في فتواه وفي كلّ ما يأخذ به نفسَه . وكان لا يتخلّف عن السرايا على عهد رسول الله ﷺ . ثمّ كان بعد موته عليه السلام مولعاً بالحجّ قبل الفتنة وفي الفتنة ، إلى أن مات ، وكان أعلم [الصحابة] بمناسك الحجّ .

وقال رسول الله ﷺ لزوجه حفصة بنتِ عمر : « إنّ أخاك عبد الله رَجُلٌ صالح لو كان يقوم من الليل » . فما ترك ابن عمر بعدها قيامَ الليل .

وعن حذيفة قال : لقد تَرَكَنا رسولُ الله ﷺ يومَ توفِّيَ ، وما منّا أحدٌ إلّا وغيّرَ عمّا كان عليه ، إلّا عمر وعبد الله بن عمر .

وقال مالك بن أنس : قال لي محمد بن شهاب الزهريّ : لا تعدلن عن رأي عبد الله بن عمر ، فإنّه أقام بعد رسول الله ﷺ ستّين سنة فلم يغيّر عليه من أمر رسول الله ﷺ ولا أصحابه .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمان : كان آبن عمر في زمانه أفضلَ من عمر في زمانه .

---

(1) أبو سنان ابن محصن – المعارف ، 274 .

وعن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت : ما رأينا ألزمَ للأمر الأوّل من عبد الله بن عمر .

وقال قتادة عن سعيد بن المسيّب : لو / شهدتُ على أحدٍ أنّه من أهل [248ب] الجنّة لشهدت على ٱبن عمر .

وعن نافع عن ٱبن عمر قال : لمّا فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف ، وفرض لي ألفين وخمسمائة[1] قلت له : يا أبت ، لمَ تفرض لأسامة ٱبن زيد ثلاثة آلاف وتفرض لي ألفين وخمسمائة ؟ والله ما شهد أسامة مشهداً غبت عنه ، ولا شهد أبوه مشهداً غاب عنه أبي .

قال : صدقت يا بنيّ ، ولكن أشهد : لأبوه كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك ، ولهو أحبّ إلى رسول الله منك .

فشهادة عمر لأبنه أنّه لم يَشهدْ أسامةُ مشهداً إلّا شهِدَه ، من أجلّ فضائل ٱبن عمر .

وعن ٱبن عمر قال : بايعت النبيّ ﷺ يومَ الحديبيّة على الموت مرّتين . قال عمر : « أرى الناس مجتمعين (: فقال) إذهب فانظر ما شأنُهم ؟ » فإذا النبيّ ﷺ يبايع على الموت ، فبايعتُه ثمّ رجعتُ إلى عمر فأخبرتُه فجاء فبايعَه . ثمّ بايعتُه بعدما بايع .

وهٰذه من أجلّ فضائل ٱبن عمر .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : ما منّا أحدٌ أدرك الدنيا إلّا قد مالت به ، إلّا عبدَ الله بن عمر .

وعن نافع قال : دخل ٱبن عمر الكعبة فسمعتُه يقول ، وهو ساجد : قد تعلم ، ما يمنعني من مزاحمة قريشٍ على هٰذه الدنيا إلّا خوفُك .

---

(1) في فتوح البلاذري ، 437 : أسامة : 000 4 وعبد الله 000 3 .

وعن محمد بن الحنفيّة قال : كان ٱبن عمر حَبْرَ هٰذه الأمّة .

وعن سعيد بن جبير قال : رأيت ٱبنَ عمر وأبا هريرة وأبا سعيد وغيرَهم كانوا يرون أنّه ليس أحدٌ منهم على الحال التي فارق عليها محمّداً ﷺ غير ابن عمر .

وعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنّه قال : ابن عمر أزهد القوم ، وأصوب القوم رأياً .

وعن يوسف بن مهران قال : كنّا مع جابر بن عبد الله فقال : إذا سرّكم أن تنظروا إلى أصحاب محمد ﷺ الذين لم يغيّروا ولم يبدّلوا فانظروا إلى عبد الله ابن عمر ، ما منّا أحدٌ إلّا غيّر .

وقال محمد بن سوقة عن أبي جعفر : لم يكن أحدٌ من أصحاب النبيّ ﷺ إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثاً أجدرَ أن لا يزيدَ فيه ولا يُنقِصَ منه ، ولا ، ولا ، من ٱبن عمر .

وعن ٱبن عمر : « تلوت هٰذه الآية : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران ، 92) فذكرتُ ما أعطاني الله فما وجدتُ شيئاً أحبَّ إليَّ من جاريتي رضيّة[1] فقلت : هي حرّة لوجه الله عزّ وجلّ ، فلولا أنّي لا أعود في شيءٍ جعلتُه لله عزّ وجلّ لنكحتُها » . فأنكحها نافع[2] ، فهي أمّ ولده .

وعن نافع : لو رأيت ٱبنَ عمر وهو يتتبّع آثار رسول الله ﷺ لقلت : هٰذا مجنون .

[249 أ] وقال ٱبن / وهب عن مالك قال : أقام ٱبن عمر بعد النبيّ ﷺ ستّين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك . (قال) وكان ٱبن عمر من أئمّة الدين .

---

(1) في الوفيات اسمها رمينة .

(2) نافع مولاه .

وفي رواية : بلغ عبد الله بن عمر ستًّا وثمانين سنة فأفتى في الإسلام ستّين سنة ، ونشر نافع عنه علماً جمًّا .

وقال ميمون بن مهران[1] : ما رأيتُ أورعَ من ٱبن عمر ولا أعلمَ من ٱبن عبّاس .

وقال يوسف ٱبن الماجشون عن أبيه[2] وغيره إنّ مروان بن الحكم دَخَلَ في نفر على عبد الله بن عُمر بعدَما قُتل عثمان رضي الله عنه ، فعرضوا عليه أن يبايعوا له . قال : كيف لي بالناس ؟

قال : تقاتلهم ونقاتلهم .

فقال : والله لو ٱجتمع عليّ أهلُ الأرض إلّا أهلَ فدك ، ما قاتلتهم ! (قال) فخرجوا من عنده ومروان يقول [بسيط] :

والملك بعد أبي ليلى لمَن غَلَبَا[3]

وبعث إليه عليّ رضي الله عنه بعدما بويع بالخلافة ، ولحق طلحة والزبير بمكّة وأجمعا على المسير بأمّ المؤمنين عائشة ، رضي الله عنهم ، إلى البصرة . كميلَ بنَ زياد النخَعيّ[4] فجاء به فقال : أنهَضُ مع أهل المدينة . إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا في هٰذا الأمر فدخلت معهم لم أفارقهم فيه . فإن يخرجوا أخرج ، وإن يقعدوا أقعد .

(1) ميمون بن مهران ، أخو العلاء ابن الحضرمي : كان واليا على خراج الجزيرة زمن عمر بن عبد العزيز (ت 145) . المعارف 448 .

(2) الماجَشون : يعقوب ابن أبي سلمة (ت 124) ، مولى آل المنكدر . المعارف ، 461 والوفيات 6 / 376 (823) .

(3) أبو ليلى : معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان – المعارف 352 . وقبله :

إنّي أرى فِتَنًا تَغلي مراجلُها .

(4) كميل النخعي (ت 82) : تابعيّ – تهذيب 8 / 447 – الإصابة 7503 – الأعلام 6 / 93 .

فقال : فأعطني زعيمًا بأن لا تخرج .

قال : ولا أعطيك زعيمًا .

قال : لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني ، دعُوه فأنا به زعيم !

فرجع عبد الله إلى أهل المدينة وهم يقولون : لا والله ، ما ندري كيف تصنع ، وإنّ هٰذا الأمرَ لمشتبه علينا . ونحن مقيمون حتى يُضيىءَ لنا ويسفر .

فخرج عبد الله من ليلته بعدما أخبر أمّ كلثوم بنت عليّ رضي الله عنهما بالذي سمع من أهل المدينة ، وأنّه يخرج معتمِراً مقيمًا على طاعة عليّ ، ما خلا النهوضَ . وكان صدوقاً ، فٱستقرّ عندها .

وأصبح عليّ رضي الله عنه فقيل له : حدَثَ البارحةَ حدَثٌ هو أشدُّ عليك من طلحة والزبير وأمّ المؤمنين ومعاوية .

فقال : وما ذاك ؟

قالوا : خرج عبد الله بن عمر إلى الشام .

فأتى عليّ السوقَ ودعا بالظَّهر فحمَلَ الرجال وأعدّ لكلّ طريقٍ طلّاباً . وماج أهل المدينة .

وسمعت أمّ كلثوم بالذي هم فيه فدعت ببغلتِها فركبَتها في رَجْل ثمّ أتت عليًّا وهو واقف في السوق يفرّق الرجال في طلبه فقالت : ما لك ؟ ما تريد من هٰذا الرجل ؟ إنّ الأمرَ على غير ما بلغك .

وحدّثته وقالت : أنا ضامنة له .

فطابت نفسه وقال : ٱنصرفوا . والله ما كذِبت ولا كذَب ، وإنّه عندي ثقة .

فٱنصرفوا . قال الزهري : والعجب من ٱبن عمر يمتنع من بيعة عليّ ويبايع

يزيد بن معاوية وعبد الملك بنَ مروان !

وعندما أجمع طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم على المضيّ من مكّة إلى البصرة بمَن معهم من المسلمين ليدعوا إلى الأخذ بثأر عثمان رضي الله عنه / دعوا [249ب] عبد الله إلى المسير معهم فقال : « إنّي آمرؤٌ من أهل المدينة ، فإن يجتمعوا على النهوض أنهَضْ ، وإن يجتمعوا على القعود أقعُدْ » . فتركاه ورجعا .

وكانت أخته حفصة بنت عمر رضي الله عنهُما أرادت الخروجَ مع عائشة ، فمنَعها من ذلك وعزم عليها فلم تسِر . وأعلمَت عائشة بذلك فقالت : يغفر الله لعبد الله !

وقيل لعبد الله : فيم تفرّقت قريش ؟

فقال : أو هي تفرّقت ؟ إنّما تفرّق الغوغاء ، والشرّ بينهما . والله لا يزال ذلك دأبَ الغوغاء حتى يفتنُوا قريشاً وحتى يسلمهُم ذلك إلى الكفر يوماً .

فلم يشهد عبد الله الجمَل ولا صفّين .

وعندما عزم معاوية على المسير إلى صفّين كتب هو وعمرو بن العاص إلى مكّة : أمّا بعد ، فمهما غاب عنّا من الأمور ، فلم يغب عنّا أنّ عليًّا قتل عثمان . والدليل على ذلك مكانُ قَتَلَتِه منه . وإنّا إنّما نطلب بدمه حتّى يُدفعُوا إلينا فنقتلهم بكتاب الله . فإن دفعهم إلينا كفَفْنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عمر بن الخطّاب . فأمّا الخلافة فلسنا نطلبها ، فأعينونا على أمرنا هٰذا ، وآنهضوا من ناحيتكم ، فإنّ أيديَنا وأيديَكم إذا اجتمعت على أمر هاب عليّ ما هو فيه .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر : أمّا بعد ، فلعمري لقد أخطأتُما موضعَ النصرة وتناولتُماها من مكانٍ بعيد . وما زاد الله مَن شكّ في هٰذا الأمر بكتابكما إلّا شكًّا . وما أنتما والمشورة ؟ وما أنتما والخلافة ؟ أمّا أنت يا معاوية فطليق ، وأمّا أنت يا عمرو فظَنون . ألا فكفّا عنّا أنفسكُما ، فليس لكما فينا وليّ ولا نصير !

فكتب إليه معاوية : أمّا بعد ، فإنّه لم يكن أحدٌ من قريش أحبّ إليّ أن يجتمع إليه الناس بعد عثمان منك . ثمّ ذكرتُ خذلَك إيّاه وطعنَك على أنصاره فتغيّرتُ لك . وهوّن ذلك عليّ خلافُك على عليّ وجرّني إليك بعضُ ما كان منك . فأعنّا رحمك الله على حقّ هٰذا الخليفة المظلومِ ، فإنّي لستُ أريد الإمارةَ عليك . ولكني أريدها لك . فإن أبيتَ كان[ـت] شورى بين المسلمين[1] .

وكتب في أسفل كتابه [طويل] :

ألا قل لعبد الله وٱخصص محمّداً	وفارسَنا المأمولَ سعدَ بن مالكِ[2]
ثلاثةَ رهطٍ من صحاب محمّدٍ	نجوماً ومأوًى للرجال الصعالكِ
ألا تخبرونا والحوادثُ جمّةٌ	وما الناسُ إلّا بين ناجٍ وهالك :
أُحِلّ لكم قتلُ الإمام بذنبه	فلستُ لأهل الجَور أوّلَ تارك
وإلّا يكن ذنب أحاط بقتله	ففي تركه واللهِ إحدى المهالكِ / [250 أ]
وإمّا وقفتُم بين حقٍّ وباطلٍ	فوقفُ نساءٍ في إماءٍ عواركِ
وما القولُ إلّا نصرُه أو قتالُه	إمامَةُ قُدْمٍ بُدِّلَتْ غيرَ ذلكِ
فإن تنصُرونا تنصُروا أهلَ حرمةٍ	وفي خذلنا يا قوم جَبُّ الحوارك

فأجابه عبد الله : أمّا بعد ، فإنّ الرأيَ الذي أطمَعَك فيّ هو الذي صيّرك إليه الله . أنّى تركت عليًّا في المهاجرين والأنصار وطلحة والزبير وعائشة أمّ المؤمنين وٱتّبعتُك ؟[3] وأمّا زعمُك أنّي طعنتُ على عليّ فلعمري ما أنا في الإيمان والهجرة كعليّ ، ومكانِه من رسول الله ﷺ ونكايتِه في المشركين . ولكن حدث أمرٌ لم يكن من رسول الله ﷺ فيه عهدٌ إليّ ، ففزَعتُ فيه إلى الوقوف ، إن كان هُدًى ففضلٌ

(1) انظر وقعة صفّين ، 80 .
(2) هما محمد بن مسلمة الأنصاري (أسد الغابة 4761) وسعد ابن أبي وقّاص .
(3) في المخطوط : واتبعك . والإصلاح من وقعة صفّين ، 81 .

تركتهُ ، وإن كان ضَلاَلةً فشرٌّ نجوت منه . فأَغْنِ عنّا نفسَك .

وقال لأبن غزيّة[1] : « أجب الرجل ! » فقال :

معاويَ لا ترجُ الذي لستَ نائلاً وحاول نصيراً غيرَ سعدِ بن مالِكِ
ولا ترجُ عبدَ الله وأتْرُكْ محمّداً ففيمَا تريدُ اليومَ جبُّ الحوارك
تركنا عليًّا في صحاب محمّدٍ وكان لما يُرجى له غيرَ تارك
نصير رسول الله في كلّ موطنٍ وفارسَه المأمولَ عند المعارك
5 وقد خفّتِ الأنصار مَعْه وعُصبةٌ مهاجرَةٌ مثل الليوثِ الشوابكِ
وطلحة يدعو والزبير وأمُّنَا فقلنا لها : قولي لنا ما بدا لكِ
حذارَ أُمورٍ شُبّهت ولعلّها صوانعُ في الأخطار إحدى المهالك
وتطمع فينا يا ٱبنَ هندٍ سفاهةً عليك بعُليا حِميرٍ والسكاسك
وقومٍ يمَانيّونَ يعطوك نصرهم بصُمٍّ العوالي والسيوف البواتكِ

فلمّا تواعد عليّ ومعاوية على تحكيم الحكَمين كتب معاوية إلى عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير أن يحضرا الحكومةَ . فأراد ٱبن عمر أن يقعد فدخل على أخته حفصة أمّ المؤمنين فقال : قد كان من أمرِ الناس ما ترينَ ، ولم يُجعل لي من الأمر شيءٌ .

قالت : فالحَقْ بهم ، فإنّهم ينتظِرونَك ، وإنّي آخشى أن يكونَ في ٱحتباسك عنهم فرقة .

فقال : إنّهم لم يقاتِلوا على هٰذا ليدفعوه إليّ .

فلم تدعْه حتى ذهب فقدم على معاوية فأمره ومَن قدم معه أن يذهبوا إلى عمرو بن العاص فأتوه وقعدوا عنده . فسكت عمرو وسكتوا ، حتّى همّ ٱبن عمر أن يقول له : الكبر منعَك تتكلّم .

---

(1) ابن أبي غزيّة في وقعة صفّين ، 81 .

[250ب] ثمّ تكلّم عمرو فٱفتخر ، وذكر / شيئاً عرّض فيه بالرّشوة ، فغمز ابن الزبير عبدَ الله بن عمر . قال ٱبن عمر : فهممتُ أن أتكلّمَ ، فقلت : أأقطعُ كلامَه ؟ لا ، ولكن أدعهُ . فلمّا فرغ قلت : « إنّ العرب قد حمّلوك ما لا طاقةَ لك به ، وإنّه لم يبقَ من أجلِك إلّا كظمإ الحمار يشرب غُدْوةً ويظمأ [سائر] النهار ، فاتّقِ الله وردّ الحقّ إلى أهله » . وشئت أن أقولَ له الذي أردت أن أقول . ولأَن أكونَ قلتُه أحبُّ إليّ من أن أُعْطى كذا وكذا ، غضباً لرسول الله ﷺ وأصحابه .

قالوا : ما أردتَ أن تقولَ ؟

قال : أردتُ أن أقول : كذبت ! بل أنت ٱبن النابغة[1] العبد الهجين !

وفي رواية ، قال ابن عمر : لمّا ٱجتمع الحكَمان دعا أبو موسى إليّ سرًّا ولا أعلم ، فقال : يا عمرو : وهل لك إلى عبد الله بن عمر ؟ رجل لم يضع يدَه في الفتنة ، ثمّ هو مَن قد عرفتَ ، فعسى أن يركب بالناس ما يعرفون . (قال) فإذا عمرو والله يريدني على الرشوة ، وما أدري حتّى ضرب عبد الله بن الزبير على فخذي وقال : هل تدري ما يريد الرجل ؟ والله إن يريد إلّا الرشوة ! (قال) قلت : أنا أرشوه ؟ والله لا أرشوه فيها ولا أرتشي ! ما يسرّني أنّ لي بحظّي من جنّات عدنٍ شيئاً . ويحك يا عمرو ، اتّقِ الله .

وقيل لٱبن عمر : لو أقمتَ للناس أمرهم ، فإنّ الناس قد رضُوا بك كلُّهم ؟

قال : أفرأيتم إن خالف رجلٌ بالمشرق ؟

قالوا : يُقتل . وما قتلُ رجلٍ في صلاح هٰذه الأمّة ؟

فقال : والله ما أحبّ أنّ أمّة محمّد أخذت بعالية رمح وأخذتُ بزُجّه بقتل رجل من المسلمين ، ولي الدنيا وما فيها .

---

(1) في أسد الغابة 3965 : وأمّه النابغة بنت حرملة ، سبيّة بيعت بعكاظ

فلمّا تفرّق الحكمان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعريّ خطب معاوية بن أبي سفيان فقال : من كان يريد أن يتكلّم في هٰذا الأمر فليطل وليقصّر . فنحن أحقّ بذلك منه ومن أبيه – يعرّض بٱبن عمر .

فقال حبيب بن مسلمة[1] لٱبن عمر : فهلّا أجبتَه فداك أبي وأمّي ؟

فقال ابن عمر : فحللت حبوتي فهممتُ أن أقولَ : أحقُّ بذلك منك مَن قاتلك وأباك على الإسلام . ثمّ خشِيتُ أن أقول كلمةً تفرّق بين الجميع ويسفك فيها الدم وأحمل فيها على غير رأيي . فكان ما وعد الله في الجنان أحبّ إليّ من ذلك كلّه .

فقال حبيب لٱبن عمر : فإنّك قد عصمتَ وحُفظتَ ممّا خفتَ عُرَّتَه .

فلمّا ٱجتمع الناس على معاوية بايَعَه . فقيل لنافع : ما بالُ ٱبن عمر بايع معاوية ولم يبايع عليًّا ؟

فقال : كان ٱبن عمر لا يعطي يداً في فرقة ولا / يمتنع من جماعة . [251 أ]

ولم يبايع معاوية حتى اجتمع الناس عليه . فلمّا عهد معاوية لٱبنِه يزيد ودعا الناس إلى بيعتِه بولاية العهدِ من بعدِه قال ٱبن عمر لمعاوية : أبايعُك على أنّي أدخل فيمَا تجتمع عليه الأمّة . فواللهِ لو ٱجتمعَت على حَبَشيٍّ لدخلتُ معها .

ثمّ عاد إلى منزله فأغلق بابه فلم يأذن لأحد . فلمّا مات معاوية بعث إليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أميرُ المدينة ليبايع ليزيد بن معاوية ، فقال : « إذا بايع الناسُ بايعتُ » . فتركوه وكانوا لا يتخوَّفُونه .

وقيل إنّ ابن عمر كان بمكّة هو وعبد الله بن عبّاس ، فلمّا عادا إلى المدينة لقِيَهُما الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير فسألاهما : ما وراءكُمَا ؟

---

(1) حبيب بن مسلمة الفهريّ : من أصحاب معاوية . كان على ميسرته في صفّين (وقعة صفّين ، 233 – أسد الغابة 1068) – ت 42 .

فقالا : موت معاوية وبيعة يزيد .

فقال ابن عمر : لا تفرّقا جماعة المسلمين !

وقدم هو وابن عبّاس المدينة ، فلمّا بايع الناسُ بايَعَا .

ومات عبد الله بن عمر بمكّة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل عبد الله بن الزبير بنحو ثلاثة أشهر – وقيل ستّة أشهر – وأوصى أن يدفن في الخلّ[1] فلم يقدر على ذلك من أجل الحُجّاج ، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين .

وكان الحجّاج قد أمر رجلاً فسمَّ زجَّ رمحِهِ وزحمه في الطريق ووضع الزجّ في ظهر قدَمه . وذلك أنّ الحجّاج خطب يوماً وأخّر الصلاةَ فقال ابن عمر : إنَّ الشمسَ لا تنتظرُك .

فقال له الحجّاج : لقد هممتُ أن أضرب الذي فيه عيناك .

قال : إن تفعل فإنّك سفيه مسلَّط .

وقيل إنّه أخفى قوله ذلك عن الحجّاج ولم يسمعه .

وكان يتقدّمه في المواقيت بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبيّ ﷺ وقفَ فيها ، فكان ذلك يعزّ على الحَجّاج ، فأمر رجلاً معه حربة يقال إنّها كانت مسمومةً . فلمّا دفع الناس في عرفة لصق به ذلك الرجل فأمرّ الحربة على قدمه وهي في غَرْزِ راحلته فمرض منها أيّاماً ، فدخل عليه الحجّاج يعودُه فقال : من فعل بك يا أبا عبد الرحمان ؟

فقال : وما تصنع به ؟

قال : قتلني اللّهُ إن لم أَقْتُله !

قال : ما أراك فاعلاً : أنت الذي أمرتَ الذي نَخَسَني بالحربة !

قال : لا تفعل يا أبا عبد الرحمان !

(1) الخلّ بين مكّة والمدينة (ياقوت) إن ثبتت قراءتنا .

وخرج عنه .

ورِوي أنّه قال للحجّاج إذ قال له : من فعل بك ؟

قال : أنت أمرتَ بإدخال السلاحِ في الحرم .

فلبث أيّاماً ومات . وصلّى عليه الحجّاج .

وقد روي عنه أنّه قال : ما أُأسى[1] على شيء من الأشياءِ إلّا أنّي لم أقاتل مع عليّ الفئة الباغيةَ .

وقيل لعبد الله بن عمر : لو دعوتَ الله لنا بدعَوات ؟

فقال : اللهمّ ٱرحَمْنا وعافِنا وارزُقنا .

فقال له رجل : لو زدتَنا يا أبا عبد الرحمان ؟

قال : نعوذ / بالله من الإسهاب ! [251ب]

وقد روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ فأكثر . وروى عن أبي بكر ، وبلال ، وصهيب ، وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم .

وروى عنه بنوه ، سالم وحمزة وعبيد الله، وبلال ، وزيد ، وعبيد الله ، وعمر ، وحفيدُه محمد بن زيد ، وعبد الله بن واقد ، وأبو بكر بن عبيد الله ، وسعيد بن المسيّب ، وسعيد بن جُبير ، وأبو صالح السمّان ، وزيد بن أسلم ، ونافع مولاه ، وآدم بن عليّ ، وبكر بن عبد الله المزنيّ ، وجبلة بن سحيم ، وثابت بن أبي حبيب ، وزهرة بن معبد ، وعبد الله بن دينار ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير .

ومن أهل مصر : شَراحيل بن بكيل ، وٱبن طعمة ، وثابت بن يزيد الخولاني ، وقيصر مولى تجيب .

ولأهل مصر عنه سند بثمانية أحاديث كلّها أغربوا بها .

(1) أسي يأسَى أسًى : حزن .

وشهد عبد الله بن عمر فتح مصر مع عمرو بن العاص . ثمّ قدمها أيضاً في خلافة عمر رضي الله عنه يريد غزو إفريقيّة ، فغزاها مع عبد الله بن سعد ابن أبي سرح .

قال ٱبن يونس : شهد الفتحَ بمصر وٱختطّ بها ، وروى عنه أكثر من أربعين رجلاً من أهل مصر .

وكان مجاب الدعوة : لمّا كتب زياد بن أبيه إلى معاوية بن أبي سفيان : إنّي قد ضبطت العراق ، شمالي ويميني فارغة ، وسأله أن يولّيه الحجاز والعروض ، كرِه ابنُ عمر جَوْر سلطانه وشقّ عليه . فٱستقبل القبلةَ وقال : اللهمّ تجعل في القتل كفّارةً لمَن تشاءُ من خلقِك . اللهمّ ، فمَوْتاً لٱبن سُمَيّة لا قتلاً !

فخرجت على إصبعه طاعونة فما أتت عليه إلّا جُمُعة حتى مات . فبلغ ذلك ابن عمر فقال : إليك ٱبنَ سميّة ، لا دنيا بقِيت لك ، ولا آخرةَ أدركتَ !

1553 – شيخ الشيوخ تاج الدين الحمّويّ [566 – 642][1]

[252 أ] / عبد الله – وقيل : عبد السلام – بن عمر بن عليّ بن محمد بن حمُّوَيَة ٱبن محمد بن حموية بن علي ، شيخ الشيوخ ، تاج الدين ، أبو محمد ، ابن شيخ الشيوخ عماد الدين أبي الفتح ، ٱبن الفقيه أصيل خراسان أبي الحسن ، ٱبن الإمام الزاهد شيخ الإسلام علَم الزهّاد أبي عبد الله ، الجوينيّ الحَمُّوِييّ ، الدمشقيّ .

ولد بدمشق في يوم الأحد رابع عشر شوّال سنة ستّ وستّين وخمسمائة .

وسمع من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر ، ومن القطب مسعود النيسابوريّ .

وسمع في بغداد من فخر النساء شَهدة بنت أحمد الأَبّوبي وجماعة .

---

(1) التكملة 3 / 637 (3156) . أعلام النبلاء ، 23 / 96 (72) – أسد الغابة 3 / 349 (3090) .

وبرع في عدّة علوم وأتقن الأصلين وكتب الأمالي والتخاريج . وصنّف كتاب السياسة الملوكيّة برسم الملك الكامل محمد ، وصنّف كتاب المسالك والممالك .

وقدم إلى القاهرة ، وسار منها إلى بلاد المغرب في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ولقي هناك أبا محمد بن حوط الله وغيرَه ، وأخذ عنهم . وعاد إلى مصر في سنة ستّمائة . وسار إلى دمشق ثمّ إلى الرها ، وأقام بها سنين عندَ الملك الأشرف موسى . ثمّ عاد إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفّي يوم الأربعاء خامس صفر سنة آثنتين وأربعين وستّمائة .

وكان متديّناً شريفَ النفس قليل الطّمع لا يلتفت إلى أحدٍ من أبناء الدنيا ، لا من أهلِه ولا من غيرِهم .

ومن شعره قوله [بسيط] :

لم ألقَ مستكبراً إلّا تحرّك لي ... عند اللقاء له الكبرُ الذي فيه
ولا حلا لي من الدنيا ولذّتها ... إلّا مقابلتي للتّيه بالتّيه

وقوله [سريع] :

يا ساهر المقلة لا عن كرى ... غفلت عن همّي وأوصابي
لو لم يكن وجهُك لي قبلة ... ما أصْبَحَ الحاجب محرابي

1554 – أبو عبد الرحمان ابن غانم الرعينيّ [128 – 190] [1]

/ عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل بن ثوبان ، الرعينيّ ، أبو [252ب] عبد الرحمان – من أهل إفريقيّة – أورع أهل زمانه وأفقهُ أهل مصره .

(1) رياض النفوس ، 1/ 215 (87) – تهذيب التهذيب ، 5/ 331 (567) والتواريخ منهما .

رحل وقدِم مصر حاجًّا ولقي مالك بن أنس . ثمّ عاد إلى القيروان وولي القضاء لإبراهيم بن الأغلب . فرفع إليه أنّ أبا موسى هارون مولى ٱبن الأغلب ٱشترى بغالاً بخمسمائة دينار ومطل أربَابَها ، فضمّ ديوانه وقام مع الشكاة إلى ابن الأغلب وعرّفه الخبر . فأحضر هارون وسأله فأقرّ وٱعتذر بأنّه إنّما أخّر المبلغ ليدفعَه من خراج ضيْعتِه . فألزمه بدفع المال في المجلس فدفعه لأربابه .

ودخل مرّةً على ٱبن الأغلب وفي يده قارورة بها دهن ، فقال : كم يقول القاضي أنّ هٰذا الدهن يساوي ؟

فذكر شيئاً تافهاً . فقال ابن الأغلب : « إنّ ثمنه كذا وكذا » فذكر مبلغاً عظيمًا . فقال ابن غانم : وما هو ؟

فقال : إنّه سمٌّ قاتِل سريع .

فقال : أرنيه !

فناوله إيّاه ، فضرب بها العمود فكسرها فقال له ابن الأغلب : ماذا الذي صنعت ؟

فقال : لا أترك معك ما تقتل به الناس !

1555 – أبو القاسم عُبيد المقرىء [295 – 360] [1]

[253أ] / عبيدالله بن عمر بن أحمد ، أبو القاسم ، القيسيّ ، البغداديّ ، المقرىء . الفقيه الشافعيّ ، المعروف بعُبيد ، نزيل قرطبة .

أخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر ابن مجاهد ، وأحمد بن يعقوب التائب ، وإسحاق بن أبي عمران الإمام ، وعن عليّ بن بدهن بمصر . وكان إماماً في

---

(1) السبكي ، 3/ 343 (217) –

مذهب الشافعيّ كثير التصنيف في أصول الفقه وغير ذلك .

مات في شوّال سنة ستّين وثلاثمائة في آخره وله خمس وستّون سنة .

1556 – عبد الله بن عمر قاضي اليمن [530 – 626][1]

/ عبد الله بن عمر بن عبد الله ، القاضي أبو محمد ، المعروف بقاضي اليمن، [254أ] الشافعيّ .

ولد بدمشق في سنة ثلاثين وخمسمائة تخميناً . وسمع بالإسكندريّة من السِّلفيّ وغيره .

وتوجّه صحبة شمس الدولة توران شاه إلى بلاد اليمن ، وأمّ به في الصلوات ، وتقدّم عنده وآختصّ به ، وولّاه قضاء اليمن وحصّل مالاً كثيراً .

ثمّ عاد وأقام بدمشق وحدّث بها .

ومات في عاشر ربيع الأوّل سنة ستّ وعشرين وستّمائة .

1557 – أبو المعالي جمال الدين الحلاويّ [728 – 807]

/ عبد الله بن عمر بن علي بن مبارك ، الشيخ المسند المعتقد ، جمال [255ب] الدين ، أبو المعالي ، ابن الشيخ المعتقد أبي عبد الله ، الهنديّ ، الصوفيّ ، السعوديّ ، الحلاويّ – بحاء مهملة .

تفرّد بالسماع من يحيى بن المصري وغيره من أصحاب النجيب وتصدّى للسماع عليه بزاوية أبيه وجدّه بالأبّارين من القاهرة . فسمع عليه الناس عدّة سنين . وكان حسن الإصغاء للسماع صبوراً عليه لا يكاد ينعس حالَ السماع مع

---

(1) التكملة 3 / 96 (1922) .

طول المجلس وإن كان ليلاً .

وللناس في أبيه وجدّه اعتقاد ، وهم من أهل الصلاح والخير .

توفّي وقد قارب الثمانين يوم [...] صفر سنة سبع وثماني مائة . ومولده في تاسع المحرّم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

1558 - عبد الله بن عمرو بن العاص [- 65][1]

[256 أ] /عبد الله بن عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي ، القرشيّ ، السهميّ، أبو محمد - وقيل أبو عبد الرحمان ، وقيل : أبو نصير ، والأوّل أشهر .

كان اسمُه العاصي فبدّل رسول الله ﷺ اسمَه واسم العاصي بن مطيع والعاصي بن عمر بن الخطّاب ، وسمّى كلّ أحد منهم عبد الله ، وذلك في يومٍ واحدٍ .

وعبد الله بن عمرو أمّه ريطة بنت منبّه بن الحجّاج السهميّة .

وُلد وعُمر أبيه ثنتا عشرَةَ سنةً ، فكان أبوه أسنَّ منه بهٰذا - وقيل : كان أبوه أسنَّ منه بإحدى عشرة سنة . وأسلم قبل أبيه ، وكان فاضِلاً لما قرأ منَ الكتب .

واستأذن النبيَّ ﷺ في أن يكتبَ حديثَه فأذنَ له . قال : يا رسول الله ، أكتب كلّ ما أسمعُ منك في الرضا والغضب ؟

قال : نعم ، فإنّي لا أقول إلّا حقًّا .

وقال أبو هريرة : ما كان أحدٌ أحفظ لحديث رسول الله ﷺ منّي إلّا

---

(1) الوافي 17 / 380 (311) - تهذيب التهذيب ، 5 / 337 (575) .

عبدَ الله بن عمرو فإنّه كان يعي بقلبه وأعي بقلبي ، وكان يكتب وأنا لا أكتب ، آستأذن رسول الله ﷺ في ذلك فأذن له .

وروى شفيّ الأصبحيّ عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت عن النبيّ ﷺ ألف مثَل .

وكان يسرد الصوم ولا ينام الليل فشكاه أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : إنَّ لعينِك عليك حقًّا ، وإنَّ لأهلك عليك حقًّا ، وإنَّ لزورك عليك حقًّا . قُم ونَم وصُم وأفطِرْ ! صُم ثلاثة أيّام من كلّ شهر فذلك صيام الدهر .

قال : إنّي أطيقُ أكثر من ذلك .

فلم يزل يراجعه في الصيام حتى قال له : لا صَوْمَ أفضل من صوم داود : كان يصوم يوماً ويُفطر يوماً .

فوقف عبد الله عند ذلك وتمادى عليه .

ونازل رسولَ الله ﷺ أيضاً ختمَ القرآن ، فقال : آختِمْه في شهر !

قال : إنّي أطيق أفضَل من ذلك .

فلم يزل يراجعه حتّى قال : لا تقرَأْهُ في أقلَّ من سبع . - وبعضهم يقول : أقلّ من خمس . والأكثر على أنّه لم ينزل من سبع ، فوقف عند ذلك - .

وقد شهد صفّين مع معاوية ، وآعتذر من ذلك . قال آبن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو أنّه كان يقول : ما لي ولصفّين ؟ ما لي ولقتال المسلمين ؟ والله لوددتُ أنّي متُّ قبلَ هٰذا بعشر سنين !

ثمّ يقول : أما والله ما ضربتُ فيها بسيف ، ولا طعنتُ برمح ، ولا رميتُ بسهم ، ولوددتُ أنّي لم أحضر شيئاً منها ، وأستغفر الله عزّ وجلّ من ذلك وأتوب إليه !

إلّا أنّه ذكر أنّه كانت بيده الراية يومئذ ، فندم ندامة شديدةً على قتاله مع معاوية وجعل يستغفر اللّهَ من ذلك ويتوب إليه .

وقدم مع أبيه مصر وشهِد فتحَها ، وكان على مقدّمة أبيه في فتح الإسكندريّة ، فأصابتهُ / جراحات كثيرة فقال لوردان ، وهو حامل اللواء : يا وردان ، لو تقَهْقرْتَ قليلاً نصيب الرَّوحَ ؟ [256ب]

فقال وردان : الرّوح تريد ؟ الروحُ أمامَك وليس هو خلفَك !

فتقدّم عبد الله . فجاءه رسول أبيه ليسأله عن جراحه ، فقال [وافر] :

أقولُ إذا جشأتْ وجاشَت   مكانَك تُحمَدِي أو تستريحي !

فرجع الرسول بذلك إلى عمرو فقال : هو ٱبني حقًّا !

وٱستخلفه أبوه على مصر في إحدى قدمتَيه على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . وٱستخلَفَه لمّا قدِم على عثمان رضيَ اللهُ عنه . فصرف عثمان عمراً بعبد الله ٱبن سعد بن أبي سرح ، وعبد الله على مصر . فسار عنها وأقام مع أبيه بفلسطين . ثمّ سار معه إلى معاوية بدمشق . وٱستعمَله معاويةُ في حرب صفّين على الميمنة ، فتقلّد سيفَيْن ودرعَين ، قد تقلّد بواحدٍ وهو يضرب بالآخر ، وأطافت به خيل عليّ رضي الله عنه فقال عمرو : يا الله ، يا رحمان ، ٱبني ابني !

فقال معاوية : ٱصبِر ، إنّه لا بأسَ عليه .

فقال عمرو : لو كان يزيد بن معاوية ، إذَنْ لصَبَرتُ !

ولم يزل حماة أهل الشام يذبّون عنه حتى نجا هارباً على فرسه .

فلمّا ٱشتدّت الحرب بصفّين ورفع معاوية المصاحفَ ودعا عليًّا رضيَ الله عنهُ إلى الحكم بمَا في كتاب الله ، ٱختلف عليه أصحابُه : فمِنهم من رأى أن يُتِمَّ مَا هو عليه من قتال أهل الشام ، ومنهم من رأى أن يجيب إلى تحكيم القرآن . فجزع أهل الشام وقالوا : يا معاوية ، ما نرى أهلَ العراق أجابونا إلى ما

دعوناهم إليه ، فأَثِرْهَا جَذعة فإنّك قد غُمِزتَ بدعائك القوم ، وأطمَعْتَهم فيك .

فدعا معاوية عبد الله بن عمرو فأمَرَه أن يُكلِّم أهلَ العراق ، فأقبل حتّى إذا كان بين الصّفَّيْنِ نادى[1] : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن عمرو بن العاص . إنّها قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين أو الدنيا ، فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتُم . وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفْنا وأسرفتُم . وقد دعوناكم إلى أمرٍ لو دعوتمونا إليه لأجبناكُم . فإن يجمعْنا وإيّاكُم الرّضا فذاك من الله . فاغتنمُوا هٰذه الفُرجةَ لعلّه أن يعيش فيها المُحترف وينسى فيها القتيل فإنّ بقاءَ المُهلِك بعد الهالك قليل .

فلمّا بلغ قولُه عليَّ بنَ أبي طالب قال لسعيد بن قيس الهمْداني : أجب الرجلَ !

فتقدّم سعيد فقال : يا أهل الشام ، إنّه كان بيننا وبينكم أمور حامينا فيها عن / الدين والدنيا سمَّيْتُمُوها غَدْرًا [وسرَفا][2] وقد دعوتُمونا إلى ما قاتلناكم عليه . ولم [257 أ] يكن ليرجع أهلُ العراق إلى عراقهم ولا أهلُ الشام إلى شامهم بأمر أجمل منه : أن نحكُم بمَا أنزل الله . فالأمر في أيدينا دونَكم ، وإلّا فنحنُ نحنُ وأنتُم أنتم .

فلمّا انقضت صفّين ثمّ قُتل عليّ رضي الله عنه ، وصالح الحسَن بن علي عليه السلام معاوية واستقرّ له الأمر استعمل عبد الله بنَ عمرو على الكوفة . فأتاه المغيرة بن شعبة فقال : استعملتَ عبد الله على الكوفة وأباه على مصر فتكون نازلاً بين نابَيْ الأسد .

فعزله عنها واستعمل المغيرة على الكوفة ، فبلغ عمروَ بن العاصي كلام المغيرة فدخل على معاوية وقال : استعملتَ المغيرةَ على الخراج ، وإنّه ليغتال المال ولا

---

(1) وقعة صفّين ، 552 .

(2) الزيادة من وقعة صفّين ، 552 .

تستطيع أن تأخذه منه . آستعمِلْ على الخراج رجلاً يخافُك ويتَّقيك .

فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة .

وقدم عبد الله بن عمرو مع أبيه مصر فلم يزل بها حتّى مات أبوه وقد استخلفَه على مصر فأقرّه معاوية عليها ، ثمّ عزله بعتبة بن أبي سفيان ، فأقام بمصر إلى أن مات معاوية وآستخلف بعده ابنَه يزيد بنَ معاوية . فكره عبد الله بن عمرو أن يبايع ليزيد . وكان مسلمة بن خالد الأنصاري أمير مصر يومئذ بالإسكندريّة فبعث إليه كريب بن أبرهة وعابس بن سعيد فدخلا عليه ومعهما سُلَيم بن عتْر وهو يومئذ قاضي مصر وقاصّ . فوعظوا عبد الله في بيعة يزيد فقال : والله لأنا أعلم بأمر يزيد منكم . وإنّي لأوّل الناس أخبر به معاوية أن يستخلف . ولكن أردتُ أن يلي هو بيعَتي .

وقال لكريب : أتدري ما مثلُك ؟ مثل قصرٍ عظيم في صحراء غشيه ناس قد أصابهم الحرُّ فدخلُوا يستظلّون فيه فإذا هو ملآن من مجالس الناس . وإنّ صوتك في العرب كريب بن أبرهة وليس عندك شيء . وأمّا أنت يا عابس بنَ سعيد ، فبعتَ أخراك بدنياك . وأمّا أنت يا سُلَيم بنَ عتْر فكنت قاصًّا فكان معك ملَكان يعينانِك ويذكرانك ، ثمّ صرتَ قاضياً فمعك شَيطانَانِ يُزيغانك عن الحقّ ويفتنانك .

وذكر أبو عمر الكنديّ أنّ مسلمة كتب إلى عابس بن سعيد من الإسكندريّة بأخذ البيعة ليزيد ، فبايعه الجندُ إلّا عبدَ الله بن عمرو ، فدعا عابس بالنار ليُحرقَ عليه بابَه . فلمّا رأى ذلك بايع ليزيد .

[257ب] ولم يزل بمصر حتّى مات بها للنصف من / جمادى الآخرة سنة خمسٍ وستّين . فلم يُستطَع أن يُخرجَ بجنازته إلى المقبرة لشغب الجند على مروان بن الحكم في داره بسبب قتله الأكدر بن حمام .

وقيل : مات ليالي الحرّة في ولاية يزيد بن معاوية ، وكانت الحرّة يوم

الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين .

وقيل : مات سنة ثلاث وسبعين .

وقيل : مات بأرضه بالسَّبْع من فلسطين سنة خمس وستّين .

وقيل : مات بمكّة سنة سبع وستّين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

وقيل : توفّي بالطائف سنة خمس وخمسين .

والصحيح أنّه مات بمصر كما تقدّم وهو ابن اثنتَيْن وسبعين سنة .

وكان رجلاً طوالاً أحمرَ عظيمَ الساقينِ أبيضَ الرأسِ واللحية . وكان قد عمي في آخر عمره . وقيل : كان يخضّب بالسواد .

وخرّج الحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : كانت أمّ عبد الله بن عمرو ريطة بنت منبّه بن الحجّاج ، وكانت تلطّف برسول الله ﷺ ، فأتاها ذات يوم فقال : كيف أنتِ يا أمَّ عبد الله ؟

فقالت : بخير . فكيف أنت بأبي وأمّي يا رسول الله ؟

قال بخير . (قال) وكيف عبد الله ؟

قالت : بخير – وعبد الله رجل قد ترك الدنيا – .

قال له أبوه يوم صفّين : اخرج فقاتل !

فقال : قد كان من عهد رسول الله ﷺ ما قد سمعتَ .

قال : أنشدك بالله ! أتعلم أنّ[ـه] ممّا كان من عهد رسول الله ﷺ إليك أنّه أخذ بيدِكَ فوضعها في يدي فقال : أطِعْ أباك عمرَو بنَ العاص ؟

قال : نعم .

قال : فإنّي آمُرك أن تقاتل .

(قال) فخرج يقاتل . فلمّا وضعتِ الحربُ أوزارها قال عبد الله

[طويل] :

فلو شهدَت جملٌ مقامي ومشهدي بصفّينَ يوماً شاب منهُ الذوائبُ
عشيّة [جا] أهل العراق كأنّهم سحاب ربيع صفّقَتْهُ الجنائب
إذا قلت : قد ولّوا سراعاً [بَدَت لنا] كتائب مِنهُمْ وآرجحنّت كتائِبُ
فقالوا لنا : إنّا نرى أن تبايعُوا عليًّا ، فقلنا : بل نرى أن نضاربُوا [1]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في غزوة له ففزع الناس فخرجتُ وعليّ سلاحي فنظرت إلى سالم مولى أبي حذيفة عليه سلاحه يمشي وعليه السكينة فقلت : « لأقتدينَّ بهٰذا الرجل الصالح ! » فسرت معه حتى أتى فجلس عند باب رسول الله ﷺ ، وجلستُ معه . فخرج رسول الله ﷺ مغضباً فقال : يا أيّها الناس ، ما هٰذه الخفّةُ ؟ [258أ] ما / هٰذا النزق ؟ أعجزتُم أن تصنعوا كما صنع هٰذان الرجلان المؤمنان ؟

وقيل : كان آسم عبد الله بن عمرو « العاص » فغيّره النبيّ ﷺ وسمّاه عبد الله .

وقد روى عبد الله بن عمرو عن النبيّ ﷺ أحاديثَ كثيرةً ، وروى عن أبيه وأبي بكر وعمر ومعاذ وأبي الدرداء وغيرهم .

وروى عنه ابنه محمد على خلافٍ فيه ، وحفيدُه شعيب بن محمّد وأبو أمامة آبن سهل وجبير بن نفير وسعيد بن المسيّب وأبو الخير اليزني ووهب بن منبّه وأبو سلمة بن عبد الرحمان ، وخلائق .

ولأهل مصر عنه نحو مائةِ حديث .

---

(1) العِقد ، 4/ 344 والإكمال منه .

1559 – عبد الله المُطرَف [– 96] [1]

/ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن [259أ] عبد شمس بن عبد مناف ، القرشيّ ، الأمويّ ، المعروف بالمُطرَف ، والد محمّد الديباج .

قيل له « المُطْرَف » لحسنه وجماله . أمّه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطّاب . يعدّ في الطبقة العالية من أهل المدينة .

روى عن أبيه ورافع بن حديج وعبد الله بن عبّاس وجدّه لأمّه عبد الله بن عمر بن الخطّاب وجماعة .

روى عنه محمد بن يوسف ومحمد بن عبد الرحمان بن أبي لبيبة وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهشام بن سعد وآبنه محمد بن عبد الله ، الديباج .

خرّج له مسلم وأبو داود والترمذيّ والنسائيّ . ووثّقه النسائيّ وغيره .

وكان شريفاً نبيلاً جواداً ممدّحاً . مدحه الفرزدق وموسى شهوات .

قال آبن سعد وأبو عمر الكندي : مات بمصر سنة ستّ وتسعين ، وله أخبار . منها :

قال عبد الله بن نافع : كان ثابت بن عبد الله بن الزبير إذا قدم على عبد الملك بن مروان نهى بني أميّة عن كلامه . فخرج من عنده مرّة فمرّ بعبد الله آبن عمرو بن عثمان وهو جالس مع أهل الشام . فجعل ثابت يتصفّح وجوههم . فقال له عبد الله : إلامَ تنظر ؟ هؤلاء قتلةُ أبيك . قال : لكن أبوك ما قتله إلّا حملة القرآن .

---

(1) المعارف ، 199 ، وهو جدّ الشاعر العرجيّ الذي ترجم له الصفديّ ، 17/ 384 (316) .

وقال مالك عن نافع إنّ ابنة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فطلّقها البتّة ، فأنتقلت فأنكر ذلك عبد الله بن عُمر .

وقال الزبير بن بكّار : قدم الوليد بن عبد الملك المدينة وهو خليفة فوضع أربعـ[ـة] كراسيّ جلس عليها أربعة أشراف من قريش كلّهم أمّه من بني عديّ بن كعب :

– عبد الله بن عمرو بن عثمان : أمّه حفصة آبنة عبد الله بن عمر بن الخطّاب .

– ومحمد بن المنذر بن الزبير : أمّه عاتكة ابنة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

– وطلحة بن عبد الله بن عوف : أمّه بنت مطيع بن الأسود .

– ونوفل بن مساحق : أمّه بنت مطيع بن الأسود .

(قال) : ولمّا نشأ عبد الله بن عمرو قال الناس : هٰذا حُسْنٌ مُطْرَفٌ بعد عمرو بن الزبير . فبذلك أسميَ عبد الله المُطرَف . (قال :) وكان عمرو بن الزبير فائق الجمال .

وذكر الأصمعيّ أنّ عبد الله بن عمرو بن عثمان مرّ هو وعمر بن عبد العزيز على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحدِ فقهاء المدينة وقد عمي[1] . فلم يُسلّما عليه فأخبر بذلك فأنشأ يقول [طويل] :

[فـ]ـلا تعجبا أن تؤتيا [...] فما خشيَ الأقوامُ شرًّا من الكبر[2]

[و]مسّا ترابَ الأرض : منه خُلِقتُما وفيها المعاد ، والمصير إلى الحشر

قال الزبير بن بكّار : قال جميل لبثينة : ما رأيت عبد الله بن عمرو بن

(1) ترجم له الصفدي في نكت الهميان ، 197 ، ولم يذكر البيتين .

(2) كلمة الصدر لم نفهمها .

عثمان يخطر على البلاط إلّا أخذتني الغيرة عليك وأنت بالجناب .

ولعبد الله بن / عمرو يقول أبو الزُّبَيْس عباد بن طهْفة التغلبيّ [طويل] : [259ب]

جَميل المُحَيَّى واضحُ اللون لم يطأ بحَزنٍ ولم تألَم له النكب أصبعُ
من النفَر الشُمِّ اللذين إذا ابتدوا وهاب اللئَام حلقة الباب قعقعوا
إذا النفَرُ الأدم اليمَانون نمنموا له حَوكَ بُردَيه أرقُّوا وأوسعُوا
جلا الغِسل والحمامُ والبِيضُ كالدُّمَى وطِيبُ الدِهان رأسَهُ فهو أصلعُ

وأنشد لموسى شهوات فيه [خفيف] :

ليس فيمَا بدا لنا منك عيبٌ عابه الناسُ غيرَ أنّك فانٍ
أنت خير المتاع لو كنتَ تبقى غير أن لا بقاءَ للإنسان

وله يقول الفرزدق [وافر] :

أعبد الله إنّك خير ماشٍ وساعٍ بـالجرائم الـكـبـار
نمى الفاروقُ أُمَّك وآبنُ أروى أباك فأنت منصدِع النهار
هما قمَرَا السماء وأنتَ نجمٌ به بالليل يُدلج كلُّ سار
وهل في الناس من أحدٍ يساوي يديك إذا تُنُوزِع للفخار ؟
5 كِلا أبوَيك عبدَ الله برّ رفيع في المنازل والديار[1]

وفيه أيضاً يقول السريّ بن عبد الرحمان بن عتبة بن عُوَيم بن ساعدة الأنصاري [خفيف] :

يا آبن عثمان وآبنَ خير قريش ابغني ما يـقـرّني بـقَباء[2]
ربّـمَا بلّني نداك وجلّى عن جبيني عجاجةَ الغرماء

---

(1) ديوان الفرزدق ، 1/ 360 .
(2) في المخطوط : بقُباء بالضمّ .

وخرج الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفّان إلى الصحراء فأخذتهما السماءُ فأويا إلى سرحةٍ ، فكتب الحسن على السرحة [خفيف] :

خبّرينا خُصِصتِ يا سَرحُ بالغيـ ـثِ بصدقٍ والصدق فيه شفاءُ
هل يموت المحبُّ من لاعج الشّو قِ ، ويَشفِي من الحبيبِ اللقاءُ ؟

فكتب عبد الله بن عمرو :

إنّ جهلاً سؤالُك السرحَ عمّا ليس فيه على الحبيبِ خفاءُ
ليس للعاشقِ المحبِّ من الحـِ ـبّ سوى لذّة اللقاءِ شِفَاءُ

1560 – عبد الله بن فرّوخ الخراساني [115 – 175] [1]

(فقيه القيروان)

[260 أ] / ويقال اليمَاميّ . نزيل المغرب .

مولده سنة خمس عشرة ومائة . وروى عن هشام بن عروة ، وابن عون ، وأسامة بن زيد الليثيّ وجماعة .

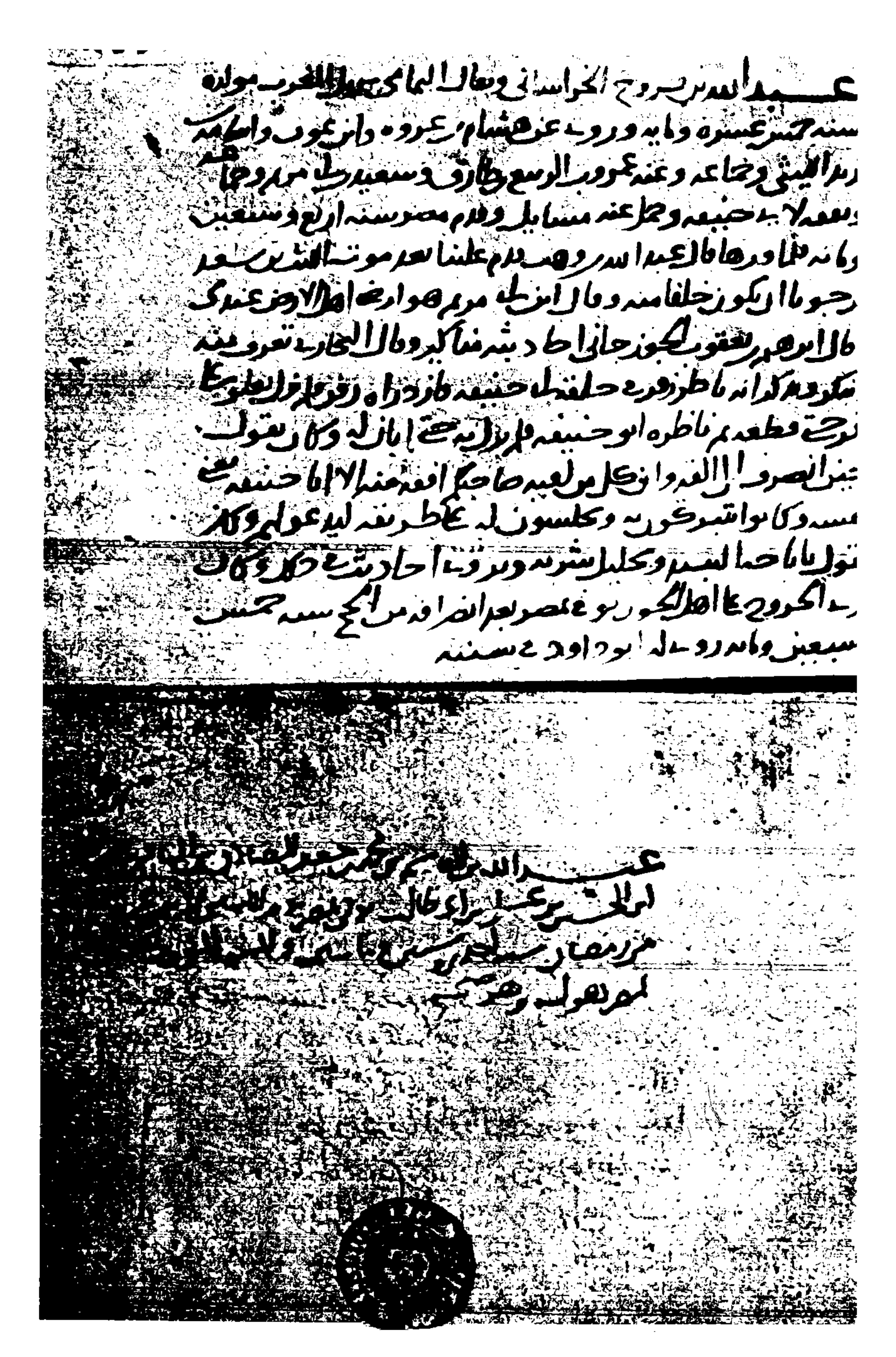
وعنه عمرو بن الربيع بن طارق ، وسعيد بن أبي مريم وجماعة .

وتفقّه لأبي حنيفة وحمل عنه مسائل .

وقدم مصر سنة أربع وسبعين ومائة . فلمّا ور[د]ها قال عبد الله بن وهب : قدم علينا بعد موت الليث بن سعد فرجَوْنا أن يكون خلفاً منه .

---

(1) الوافي 17 / 399 (335) – أبو العرب 107 – معالم الإيمان 1 / 238 . رياض النفوس ، 1 / 176 (77) . تهذيب التهذيب ، 5 / 356 (612) .



عبد الله بن فروخ الخراساني ويقال التيمي [illegible] المغرب مولده
سنة خمس عشرة ومائة وروى عن هشام بن عروة وابن عون والأعمش
وابن [illegible] الليثي وجماعة وعنه عمرو بن الربيع بن طارق وسعيد بن [illegible] وجماعة
وتفقه لأبي حنيفة وحمل عنه مسائل وقدم مصر سنة أربع وسبعين
ومائة فلما وردها قال عبد الله بن وهب قدم علينا بعد موت الليث بن سعد
رجونا أن يكون خلفا منه وقال ابن [illegible] مريم هو أرضى أهل الأرض عندي
قال [illegible] يعقوب [illegible] جائز [illegible] وقال البخاري تعرف منه
وتنكر [illegible] ناظر [illegible] حلقة أبي حنيفة [illegible]
[illegible] فقطعه ثم ناظره أبو حنيفة [illegible] وكان يقول
[illegible] الفقه [illegible] صاحبكم أفقه منا إلا أبا حنيفة
[illegible] ويجلسون له [illegible]
[illegible] وكان
[illegible] أهل [illegible] بمصر بعد انصرافه من الحج سنة خمس
وسبعين ومائة [illegible] أبو داود في سننه

عبد الله [illegible] محمد [illegible] البغدادي [illegible]
أبو الحسن [illegible]
[illegible] رمضان سنة [illegible]
[illegible] رحمه [illegible]

الصفحة الأخيرة من مخطوطة باريس .

وقال ٱبن أبي مريم : هو أرضى أهل الأرض عندك .

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : أحاديثه مناكير .

وقال البخاري : تعرف منه وتنكر . ويذكر أنّه ناظر زفر في حلقة أبي حنيفة فٱزدراه زفر ، فلم يزل يعلو على زفر حتى قطعه . ثمّ ناظره أبو حنيفة فلم يزل به حتّى أبان له . وكان يقول حين انصرف إلى القيروان : كلّ من لقيَه صاحبكم أفقَهُ منه إلّا أبا حنيفة ، يعني نفسَه .

وكانوا يتبرّكون به ويجلسون له على طريقه ليدعو لهم .

وكان يقول بإباحة النبيذ وتحليل شربه ويروي أحاديث في ذلك .

وكان يرى الخروج على أهل الجَور .

توفّي بمصر بعد انصرافه من الحجّ سنة خمس وسبعين ومائة .

روى له أبو داود في سننه .

1561 – عبد الله بن القاسم الحسينيّ [– 261]

[260ب] / عبد الله بن القاسم بن محمد بن جعفر الصّادق بن الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

توفّي بمصر يوم الاثنين لأثنتَي عشرة بقيت من رمضان سنة إحدى وستّين ومائتين [1] .

(1) بعد هٰذا ثماني كلمات لا تفهم .

فهرس تراجم المجلّد الرابع كما وردت في المخطوط

مراجع الجزء الرابع

(ممّا زاد على الأجزاء السابقة)

أ

الاشتقاق لابن دريد (ت 321) نشر عبد السلام هارون ، بغداد ، 1979 .
أصول الإسماعيليّة لبرنار لويس ، ترجمة خليل الحلو وجاسم الرجب القاهرة ، د . ت .
افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت 363) نشر وداد القاضي ، بيروت 1970 .
نشر فرحات الدشراويّ ، تونس 1975 .
أنساب الأشراف للبلاذريّ (ت 279) نشر محمد حميد الله .

ب

البلدان لليعقوبيّ (ت 284) مع الأعلاق النفيسة ، ليدن ، 1891 .

ت

تاريخ إفريقية في العهد الحفصيّ لروبار برنشويك ، ترجمة حمّادي الساحليّ ، بيروت ، 1989 .
تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيروانيّ (ت 425) نشر المنجي الكعبيّ ، تونس

. 1968
تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد لمحَمّد ابن الخوجة ، نشر حمّادي الساحلي والجيلاني ابن الحاج يحيى ، بيروت 1985 .
التيجان في ملوك حِمْيَر لوهب بن منبّه (ت 114) حيدراباد **1347** .

ج

الجامع الصغير للسيوطيّ (ت 911) ، القاهرة ، د . ت .

د

الدرّة المضيئة لابن الدواداريّ (ت 736) نشر صلاح الدين المنجّد ، القاهرة ، 1961 .
ديوان ابن دريد (ت 321) نشر عمر بن سالم ، تونس ، 1973 .
ديوان الشريف الرضيّ (ت 406) بيروت ، د . ت .
ديوان طهمان الكلابيّ ، نشر محمد جبّار المعيبد ، بغداد ، 1968 .
ديوان المعاني للعسكريّ (ت 400) ، القاهرة ، 1352 .

ذ

الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهرانيّ ، النجف ، 1936 .

ر

الروض الأنف للسهيليّ (ت 581) ، القاهرة ، 1972 .

ز

زبدة الحلب من تاريخ حلب لعمر ابن العديم (ت 660) . نشر سامي الدهّان ، دمشق ، 1968 .

زهر الأكم للحسن اليوسيّ (ت 1102) الدار البيضاء ، 1981 .

ط

طبقات الشافعيّة لابن قاضي شهبة (ت 851) ، حيدر آباد ، 1980 .

ظ

ظافر الحدّاد لحسين نصّار ، القاهرة ، 1975 .

م

مجمع الامثال للميدانيّ (ت 518) نشر محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1955 .

معجم بني أميّة .

مقدّمة ابن خلدون ، القاهرة ، 1327 .



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها: الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم : 176 / 1000 / 7 / 1991

الطباعة : دار صادر - بيروت

MAQRĪZĪ (m. 845 / 1441)

AL - MUQAFFĀ

Volume IV

(1402 - Ṭaynāl - 1561 - Abdullah b. Qāsim)

Texte établi et annoté

par

MOHAMMED YALAOUI



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
1991



